الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ

كليّة: أصول الدين
قسم : الكتاب والسنة

الرقم الترتيبي: ..../...........................

رقم التسجيل: ..../...........................

جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي

من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطّالب:

عبد الرحيم ثابت

إشراف الأستاذ:

أ.د. رابح دوب

لجنة المناقشة :

د .رمضان يخلف	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا
د . حسين شرفة	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة	عضوا
أ د . أحمد كامش	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	عضوا
د . عمر حيدوسي	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة	عضوا
د . عبد الرحمان معاشي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

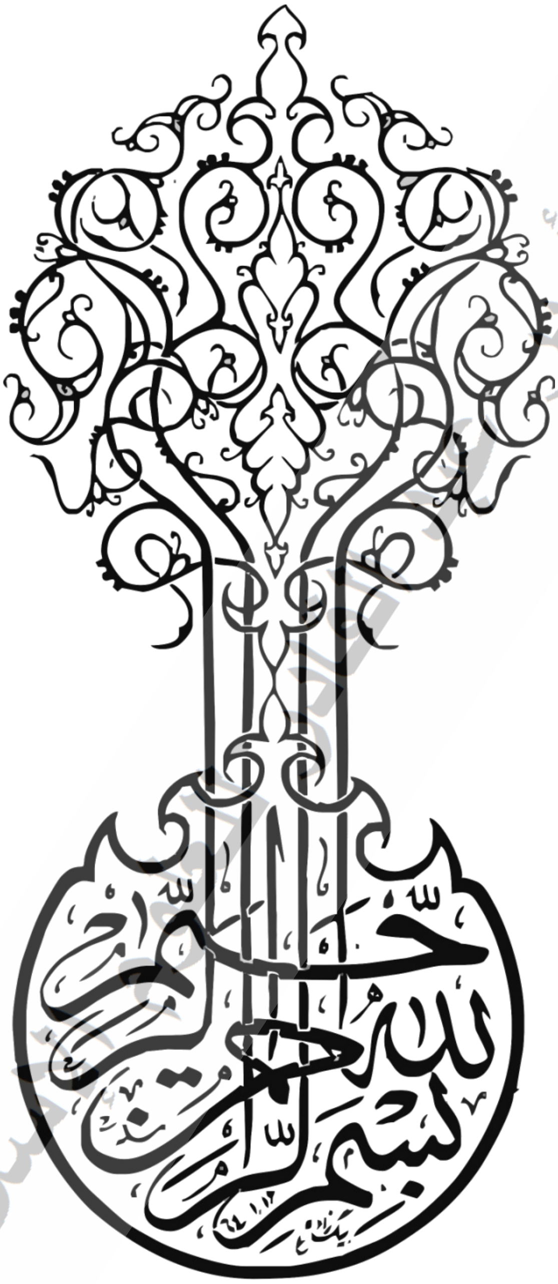

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾

[فاطر: ٢٩] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اِعْتِذارٌ

كتب أستاذ العلماء البلغاء؛ القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذراً عن كلام استدركه عليه:

«إنّه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا، وها أنا أخبرك به ، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»

(أبجد العلوم 71/1 ، كشف الظنون 17/1).

إِهْدَاءٌ

عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنّ لله أهلين من الناس ، فقيل : من هم أهل الله منهم ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته

«رواه الإمام أحمد»

إلى أهل القرآن المقيمين حروفه والحافظين حدوده ، الذين اعتنوا بفهمه وتدبره وتلاوته حق تلاوته .

عبد الرحيم ثابت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

و قوفا عند قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»

أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى المشرف على الرسالة: الدكتور رابحدوب ،الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وتابعه خطوة خطوة حتّى بلغ هذا المجهود ما قدر له أن يبلغه ، فجزاها الله خير الجزاء.

إلى الأساتذة الكرام؛ والمشايخ الفضلاء ، والمربين الحكماء الذين تشرفت بالتتلمذ على أيديهم ، أهديهم ثمرة من غرسهم وباكورة من عملهم.

كمالا يفوتني شكر كل من ساهم من قريب، أو من بعيد في إنهاء هذا العمل،فجزاهم الله جميعا خير ما يجزي به عباده المخلصين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه، و نستغفره و نتوب إليه، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وسلم من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وبعد :

فإنّ أجل نعمة أسبغت على البشرية وخير منة حضيت بها الأمة المحمدية القرآن الكريم، خير كتاب أنزل على أفضل رسول أرسل، تكفل المولى جلّ وعلا بحفظه، فأفحم البلغاء عن معارضته والإتيان بمثله، حار أرباب الحجا في بلاغته وبهر الخطباء في جزالة لفظه، ورصانة أسلوبه ومتانته، وأعيا الشعراء عن مضاهاته والنظم على منواله ومحاكاته.

ولا يتطرق الشك إلى عاقل أو لبيب ولا ينتاب الواحد منهم أدنى ريب أنّه معجزة باهرة، وحجة بالغة، علماء الإسلام في القديم الغابر والجديد الحاضر الإجماع منهم منعقد على إعجازه، غير أن محل النزاع بينهم وموطن الاختلاف عائد إلى الجهة و الطريقة التي حصل بها الإعجاز، فالأقوال في وجوه الإعجاز متنوعة و الآراء متضاربة، ففريق يرجع الإعجاز إلى صرف الله تعالى العرب عن معارضته وبعض يرجعه إلى الطريقة الخاصة التي ألّف بها القرآن وطائفه تجعل من إخبار القرآن عن الأشياء المستقبلية مكمن الإعجاز، وأخرى من تضمنه لقصص الأولين محل إعجاز، وصنف يرى أنّ الإعجاز حصل من جهة نظمه، ويرى التحدي عائد إلى بلاغته و فصاحته، وجماعة ترى أنّ الإعجاز حاصل بهذه الوجوه كلها.

وقد تفان المفسرون أيّما تفان في بيان إعجازه بما قدموه من جهود مضنية في تفسير كتاب الله تعالى بدءا من الرعيل الأول المتمثل في الصحابة والتابعين إلى الصدر الثاني ممن جاء بعدهم من علماء

الإسلام ومفسريهم، غير أنّ جهود المفسرين بعد الصحابة والتابعين والقرون الأربعة الأولى جاءت في زمن قد قعدت فيه العلوم وأصلت فيه الأصول، ودوّنت الكتب والمصنفات، وكان المفسرون يسعون إلى إظهار إعجاز القرآن كل من جهة تخصصه، وتمكنه في فن من الفنون وتبحره فيه.

فالنحوي يقتصر على الصناعة النحوية، فيغلب الجانب النحوي عليه في تفسيره للآيات، حتّى يصنف تفسيره ضمن التفاسير النحوية، وآخر يغلب عليه الجانب الفقهي الأصولي، وآخر الجانب الكلامي والعقدي، وصنف يغلب عليه الطابع البلاغي، وهذه العلوم كلها ضرورية ولازم توفرها في المفسر حتى يتأهل لتفسير كلام الله تعالى.

وإنّ من أجل العلوم منزلة وأعلاها رفعة وتزداد الحاجة إليه، وتتعين ضرورة الإحاطة والإلمام به حتّى يفهم القرآن ويظهر إعجازه، علم البلاغة الذي به تتضح أسرار القرآن وتتجلى به معجزة الفرقان في دقة النظم، وبراعة الألفاظ، وحسن التأليف، ورونق التركيب، لذا حرص المفسرون على الاعتناء والاهتمام بهذا الجانب، وتتجلى مظاهر الاعتناء بهذا الجانب في تطرقهم للمباحث البلاغية في ثنايا تفاسيرهم وهم في ذلك متفاوتون، كل بحسب تبحره وتقدمه في هذا الفن، أو بحسب ميوله إلى علم من العلوم وغلبة بعض العلوم لديه على بعض، ويرى بعض العلماء أن تفاسير المتقدمين كانت غفلا عن هذا العلم، والذي يبدو لي والله أعلم أنها لم تكن غافلة عن هذا الجانب، وإنما لم تكن بارزة وظاهرة مثل ما هو ظاهر بعد القرون الأولى، نظرا لأنّ كثيرا من علوم هذا الفن وغيره من العلوم لم تدون، و لكن لا يعني أنّها غير موجودة بل وجدت ، وكانت تفاسيرهم تحتوي على جملة من هذه الإشارات والمباحث البلاغية، كما يذهب البعض إلى تفوق المشارقة في هذا الفن وتمكنهم منه أكثر من المغاربة، وذلك أنّ تقعيد هذا النوع من العلم تمّ في أرض المشارقة وهم من صنفوا فيه المصنفات وألّفوا فيه المؤلفات، لذلك كانت تفاسيرهم حافلة

بمباحث هذا الفن وممتلئة من إشاراته، أمّا المغاربة فقد كانت بضاعتهم في هذا الفن مزجاة ونصيبهم منها قليل وذلك لصعوبة مآخذ البلاغة عليهم وغموض مباحثها، وخفاء مداركها عنهم، لذلك لم يعرها مفسرو الأندلس والمغاربة شأنا كبيرا في تفاسيرهم، وللوقوف على صدق هذه الدعوى أحببت الكشف عنها، فجاءت هذه الرسالةالموسومة باسم: «**جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري** ».لتبين صدق هذه المقالة . ومدى مطابقتها للواقع التفسيري عند المغاربة في تلك الحقبة الزمنية .

أولا : إشكالية البحث:

والإشكالية في البحث المختار هو ما يلاحظ من أهمية علم البلاغة في بيان إعجاز القرآن الكريم وشدة حاجة المفسرين إلى الإلمام بهذا الفن ،حتّى يتسنى لهم توظيفه في تفسير القرآن الكريم لإبراز جهة سر الإعجاز فيه من جهة نظمه، وبراعة تأليفه وحسن تركيبه، ولما كان المفسرون قد أولوا هذا الجانب اهتماما كبيرا وحرصوا على إبرازه وإظهاره في تفاسيرهم أحببت أن أكشف اللثام عن جهود المفسرين وإسهاماتهم في هذا الجانب، و لماكان من العلماء من يذهب إلى استئثار المشارقة بهذا العلم وتفوقهم فيه، وعمارة تفاسيرهم وامتلائها بمباحث هذا الفن، بينما المغاربة كانت بضاعتهم في هذا الفن مزجاة ونصيبهم فيها قليل حتّى خلت تفاسيرهم من مباحث هذا العلم، فهل أغفل المفسرون المغاربة حقيقة البلاغة من تفاسيرهم ؟ وما هو مدى اهتمامهم بإظهار الإشارات البيانية والنكات البلاغية في تفاسيرهم ؟ وهل وفقوا في توظيف الدرس البلاغي في العملية التفسيرية ؟ وما مدى تأثيرهم في الدراسات البلاغية والقرآنية عند المتأخرين ؟

ثانيا: أهمية الموضوع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يكشف عمّا يأتي:

- إيضاح إعجاز القرآن الكريم من الجانب البياني والبلاغي حيث يدرس البحث بلاغة القرآن الكريم.
- الوقوف على عناية المفسرين المغاربة بالجانب البلاغي وإسهاماتهم في المجال البياني.
- إبراز الجانب التطبيقي والتحليلي لمباحث البلاغة عند المفسرين المغاربة في كتبهم.
- بيان جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي وتوظيفهم له في تفاسيرهم.

ثالثا: دوافع البحث و أسبابه:

في الحقيقة هناك سببان دفعا بي للكتابة في هذا الموضوع:

السبب الذاتي

أقصد بالسبب النفسي كدافع من دوافع الكتابة في هذا البحث هو الانتماء للقطر المغاربي . هذا القطر الذي ساهم بشكل كبير في ازدهار وتطور الحضارة الإسلامية في الجانب العلمي عبر جميع العصور منذ بداية الفتح الإسلامي إلى زماننا هذا . وهذه المساهمة كانت بما خلفه علماء تلك المنطقة من علوم ومصنفات في مختلف الفنون والمجالات العلمية ، لكن وللأسف بخس علماء المغرب بما فيهم الأندلس حقهم وغمطوا قدرهم إذا ما قورنوا بعلماء المشرق ، وقد كان لهذا البخس والغمط صور وأشكال . ومن صور ذلك اتهامهم المتكرر والدائم بجهلهم في كثير من العلوم و الفنون وتارة بالقدح في مناهجهم التعلمية أو مؤلفاتهم ومصنفاتهم العلمية ووسمهم بالبداوة والجفاء حتّى في كتابتهم . وتعدّى ذلك إلى إهمالهم في جانب تحقيق التراث فضاعت كثير من أعمالهم ولم تبصر النور فبقيت أعمالهم رهينة المكتبات وخزائن المخطوطات ، في حين لاقى تراث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المشارقة إقبالا واهتماما منقطع النظير . وبالنسبة لهذا البحث فإنّه وللأسف اتهم المغاربة وعلى يد أحد أعلامهم بالضعف في علم البلاغة لصعوبة مآخذها عليهم ، ولكونهم أهل بدو فابتعدوا بذلك عن أساليب البلاغة التي تتطلب في حدّ تعبيره التمدن و التحضر ، وكان لهذا الضعف على حدّ تعبيره أثر على كتب التفسير في منطقة المغرب فخلت مصنفاتهم بالتالي من مباحث البلاغة القرآنية ، وقد دفعني هذا القول من الإمام ابن خلدون لاستجلاء حقيقة ذلك وبيان بطلان هذا الاتهام والتدليل على نقيض ما قال بالتأكيد على تمكنهم من هذا العلم وأخذهم بنصيب وافر منه .

السبب العلمي:

- حبي للقرآن الكريم وهيامي بعلومه، وكتب التفسير.
- الرغبة في الإلمام بالبلاغة القرآنية والتخصص في الجانب البياني للتفسير.
- المساهمة في الدراسات البيانية للقرآن الكريم من خلال بيان جهود المفسرين في الجانب البلاغي.
- محاولة الكشف عن جهود المفسرين المغاربة في تناول مباحث هذا العلم والوقوف على تطبيقاتهم لمسائله في تفاسيرهم وأثرهم في الدرس البياني.
- التعرف على التراث المغاربي في الجانب البياني ،ومدى اعتناء مفسريهم بهذا الاتجاه في كتب التفسير.

رابعا : الدراسات السابقة :

- أمّا عن الدراسات السابقة التي لها صلة بطبيعة البحث ،فإنّني لم أقف على دراسة كاملة تطرقت لهذا النوع من البحث بعينه، المتمثل في : بيان جهود المفسرين المغاربة في تناول

الدرس البلاغي من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري حسب اطلاعي وفي حدّ علمي ، إلاّ أنني وجدت بعض الدراسات التي تتلاقى مع صميم البحث على تفاوت بينها في درجة القرب والبعد ، ومن أقرب الدراسات التي تتلاقى مع بحثي ووقفت عليها رسالة : البلاغة في التفسير القرآني الأندلسي في القرنين السابع والثامن للباحث: خلدون سعيد صبح . وهي رسالة تقدّم بها لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية بكلية اللغة العربية من جامعة دمشق تحت إشراف الأستاذ أسعد أحمد علي ، وقد جعل بحثه محصورا في ثلاثة مفسرين هم : الإمام القرطبي من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن والإمام ابن جزي الكلبي من خلال تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل والإمام أبو حيان الأندلسي من خلال كتابه تفسير البحر المحيط ، وكما يظهر من عنوان رسالته أنّها تختلف عن موضوع بحثي من و جوه :

- أوّلا العنوان : خصصّ الباحث رسالته للحديث عن البحث البلاغي عند المفسرين الأندلسيين في القرنين السابع والثامن وأنا خصصت رسالتي للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي من القرن الخامس إلى القرن الثامن
- اقتصر بحثه على ثلاثة مفسرين فحسب هم الإمام القرطبي وابن جزي وأبو حيّان ، وأمّا بحثي فقد خصصته للحديث عن ستة من المفسرين هم : الإمام مكي والإمام ابن عطية والإمام ابن الزبير والإمام ابن جزي والإمام أبو حيّان والإمام ابن عرفة ، فهو إذن يلتقي معي في مفسرين هما الإمامان ابن جزي وأبو حيّان .

فيما يتعلق بالمباحث التي تعرّض لها فقد تناول في بحثه بعض الظواهر البلاغية من علم المعاني والبيان والبديع ، ففي المعاني تحدّث عن ثلاث ظواهر فحسب وهي : الخبر والإنشاء والفصل

والوصل والتقديم والتأخير ، وفي البيان تكلم عن المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ، وفي البديع تحدّث عن بعض فنونه عند ابن جزي مع إشارته لبعض المحسنات البديعية والمعنوية التي أشار إليها كل من الإمامين القرطبي وأبو حيّان .

والملاحظ على بحثه أنّه أغفل بعضا من الظواهر البلاغية في علم المعاني واكتفى بثلاثة منها فحسب وكذلك في جانب البديع ، كما خلى بحثه من كثرة التمثيل ، حيث اكتفى بأمثلة قليلة يتعرض لها في الغالب بالشرح والتحليل مستعينا بكتب التفسير كالزمخشري وغيره . فهذه هم أهم ملامح رسالته .

ومن الرسائل التي تتلاقى مع موضوع بحثي بعض الرسائل العلمية التي عقدت لبيان مناهج المفسرين في كتبهم ومنها ثلاث رسائل تناولت بعض المفسرين الذين هم من صميم بحثي

الأولى : رسالة بعنوان مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن للباحث أحمد حسن فرحات . وهي رسالة تقدّم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر تخصص التفسير وعلوم القرآن سنة 1973م، والذي يهمّ من هذه الرسالة هو أنّه عقد بابا لبيان منهج مكي في التفسير وخصص فصلا منه في بيان اعتداده باللغة العربية في التفسير وأشار إلى علوم البلاغة ، وقد أخبر بأنّ المفسر لم يعتن بعلوم البلاغة كثيرا في تفسير لكونه أفرد بعض المؤلفات لبيان إعجاز القرآن فاستغنى بذلك عن كثير من المسائل البلاغية في تفسيره ، ثمّ قام بالإشارة لبعض المباحث التي وقف عليها وهي قليلة جدا وما ذكره في هذا الموضوع لا يجاوز سبع صفحات . وعليه يتأكد بأنّه لم يقف على كثير من المسائل والمباحث البلاغية التي تعرّض لها الإمام مكي في تفسيره .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الثانية : رسالة بعنوان منهج ابن عطية في تفسير القرآن للباحث عبد الوهاب عبد الوهاب فايد . وهي رسالة تقدّم بها صاحبها لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن من جامعة الأزهر ، والذي يهم من دراسته هذه هو أنّه عقد فصلا للحديث عن منهج الإمام ابن عطية في التفسير وتعرض فيه لكثير من القضايا منها علم البلاغة وقد نصّ في حديثه عن ذلك على إقلال الإمام ابن عطية من الإشارة لفنون البلاغة ، وقد صرّح بأنّه لم يعن كثيرا بقضايا البلاغة في تفسيره ، ولقد عللّ ذلك بتعليل ابن خلدون وهو أنّ المغاربة لم يكن لهم إلمام وعلم بالبلاغة مقارنة بغيرهم من المشارقة ، وهذا يؤكد عدم جرده للكتاب وقراءته بأكمله أو عدم قدرته على استخراج تلك المباحث لسبب من الأسباب العلمية لأنّ الواقع العملي كما سنرى ذلك في تناول جهود هذا الإمام لقضايا البلاغية يكذب ذلك وينفيه .

الثالثة : رسالة بعنوان ابن جزي ومنهجه في التفسير للباحث على محمد الزبيري تقدّم بها لنيل درجة الماجستير تحت إشراف الأستاذ مصطفى زيد ، والذي يخص موضوع بحثي من الرسالة هو تخصيصه لمبحث في الفصل الذي عقده لبيان منهجه في التفسير بالرأي تحت عنوان : الناحية البلاغية في تفسير ابن جزي ورأيه في إعجاز القرآن ، ففي هذا المبحث أشار لبعض النماذج من المسائل البلاغية الواردة في تفسير ابن جزي وقسّمها إلى ثلاثة أقسام على حسب تقسيم علوم البلاغة عند المتأخرين ، فذكر في مبحث المعاني التقديم والتأخير ومثل له بمثالين وذكر وضع الظاهر موضع المضمر ومثّل له بمثال واحد ، وأشار إلى النفي بالجملة الاسمية ومثل له بمثال واحد ، وأشار إلى الحصر بالتعريف ومثّل لذلك كذلك بمثال واحد ، ثمّ تناول باب الحذف وذكر فيه حذف المفعول وحذف الأجوبة وحذف الجمل وحذف القسم

ومثّل لجميعها بمثال واحد ، ثمّ تعرض لبعض الأنواع من علوم البيان فأشار للمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية . وقد مثل لجميعها بأربعة أمثلة لكل نوع ، ثمّ تعرّض لعلم البديع فأشار لجملة من المحسنات اللفظية والمعنوية فذكر الجناس ومثّل له بمثالين ، وأشار للطباق ومثّل له بمثال واحد ، وذكر الترديد ومثّل له بمثالين ونصّ على التقسيم وأورد له مثالا واحدا ، وأشار للقلب والمشاكلة ومثّل لكليهما بمثال واحد ، ثمّ ذكر اللف والنشر ومثل له كذلك بمثال واحد .

فهذه هي جملة المباحث من أقسام البلاغة الثلاث التي ذكرها في بحثه ولي عليها جملة من الملاحظات:

إغفاله لكثير من مباحث علم المعاني وردت في تفسير الإمام ابن جزي

إغفاله لكثير من مباحث علم البديع الواردة في تفسير الإمام ابن جزي

قلة التمثيل وإيراد الشواهد لما ذكره من فنون في جميع المباحث

عدم تحليله لتلك الأمثلة والشواهد وبيان منهج ابن جزي في تناولها .

كما وقفت على رسالة علمية تناولت البلاغة القرآنية في ملاك التأويل للباحث إبراهيم بن عبد العزيز الزيد بعنوان : «البلاغة القرآنية في ملاك التأويل دراسة وتقويما» تقدّم بها لقسم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الماجستير ، وقد أفدت من رسالته في بعض الجزئيات المتعلقة بكتاب ملاك التأويل وتوافقت معه في بعض المباحث التي ذكرها والأمثلة التي نبّه عليها فيما تعلق بعلم المعاني والبيان و البديع

وبهذا أكون قد ذكرت أهمّ الدراسات المتعلقة بهذا البحث ، وتأكّد خلو دراسة كاملة بهذا العنوان الموسوم ب : «جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري» .

خامسا منهج البحث :

طبيعة البحث في الحقيقة تقتضي عدة مناهج ،بيد أنّ المنهج الغالب والطاغي على الدراسة أولا: هو المنهج الاستقرائي الذي يعتني بدراسة الجزئيات بغية الوصول إلى حكم كلي ينطبق على تلك الجزئيات ، والجزئيات في هذه الدراسة هي الآيات التي تحتوي على الإشارات البيانية والنكت البلاغية حيث أقوم بجمع هذه الآيات وتتبعها عند المفسرين المغاربة وطريقتهم في الإشارة إلى هذه المباحث والمسائل ومنهجهم في تحليلها ومناقشتها، وهذا كله يقضي منّي قراءة جيدة لهذه التفاسير ،كما سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي لقصد التأصيل والتأريخ للمراحل التفسيرية والبلاغية ببلاد المغرب في تلك الفترة ، مع توظيف المنهجالوصفي بغية تحليل هذه المسائل البلاغية ومناقشة المفسرين في تعرضهم لها ومنهجهم في التعامل معها.

سادسا : مجال الدراسة

المفسرون المغاربة المقترح دراستهم في الموضوع:

- الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي 540هـ.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير العاصمي الغرناطي، المتوفى سنة 708هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، المتوفى سنة 741 هـ
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يونس الشهير بأبي حيان الأندلسي 754هـ.
- تفسير الإمام ابن عرفة الورغمي التونسي ، المتوفى سنة 803 هـ .

سابعا : خطة البحث

اقتضى هذا البحث انتهاج خطة مكونة من مقدمة و أربعة فصول وخاتمة ،خصصت الفصل الأول للحديث عن الدرس التفسيري والبحث البلاغي في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري ، وقد قسّمت هذا الفصل لأربعة مباحث، في المبحث الأول تناولت مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح ، وفي المبحث الثاني تطرقت للحديث عن الدرس التفسيري واتجاهاته في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن ، وأمّا المبحث الثالث فجعلته للحديث عن مفهوم البلاغة في اللغة والاصطلاح، وتعرضت في المبحث الرابع للحديث عن البحث البلاغي واتجاهاته في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن .

وأمّا الفصل الثاني : فقد خصصته للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم المعاني . وقد قسمته لثمانية مباحث ، في المبحث الأول بيّنت مفهوم المعاني في اللغة ومراحل تطور هذا المصطلح في علم البلاغة ، وفي المبحث الثاني تعرّضت لتعريف علم المعاني وبيان أثره في البلاغة العربية ، وأمّا المبحث الثالث فقد خصصته للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول مبحث الخبر و الإنشاء ، وأمّا المبحث الرابع فقد تطرقت فيه للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب التقديم والتأخير ، وأمّا المبحث الخامس فقد تكلمت فيه عن جهودهم في تناول أسلوب الحذف ، وفي المبحث السادس تكلمت عن جهودهم في تناول أسلوب الفصل والوصل .

وأمّا السابع فقد تحدّثت فيه عن جهودهم في تناول أسلوب الإيجاز والإطناب ، وفي المبحث السابع ذكرت جهودهم في تناول أسلوب الالتفات .

وأمّا الفصل الثالث : فقد خصصته للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البيان ، وقد قسمته لأربعة مباحث ، في المبحث الأول تحدثت عن مفهوم البيان لغة واصطلاحا ومراحل تطور هذا المصطلح في علم البلاغة ، وأمّا المبحث الثاني فتناولت فيه جهود المفسرين المغاربة في تناول فن التشبيه ، وفي المبحث الثالث تعرضت للحديث عن جهودهم في تناول فن الاستعارة . وأمّا المبحث الرابع فتطرقت فيه لبيان جهودهم في تناول فن الكناية .

وأمّا الفصل الرابع : فعقدته للكلام عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البديع . وقد قسمته لسبعة مباحث ، في المبحث الأول كان الكلام عن مفهوم البديع في اللغة ومراحل تطور هذا المصطلح في علم البلاغة ، وأمّا المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن تعريف علم البديع وبيان أثره في اللغة العربية ، وأمّا المبحث الثالث فتطرقت فيه لبيان جهود الإمام ابن عطية في تناول علم البديع ، وفي المبحث الرابع تكلمت عن جهود الإمام ابن الزبير في تناول علم البديع ، وكان المبحث الخامس مخصصا للحديث عن جهود الإمام ابن جزي في تناول قضايا البديع ومسائله ، و خصص السادس لتناول جهود الإمام أبي حيّان ، والسابع للحديث عن جهود الإمام ابن عرفة .

وأمّا الخاتمة فقد سجلت فيها أهمّ النتائج المتوصل إليها من هذا البحث ، مع ذكر بعض التوصيات والمقترحات العلمية المتعلقة بالبحث وموضوعه .

ثامنا : مصادر البحث

دراسة هذا الموضوع استلزمت الرجوع لجملة من المصادر والمراجع ، تباينت وتنوعت حسب الحاجة إليها في ثنايا البحث وطياته ويأتي في طليعتها كتب التفسير وبالخصوص تفاسير المغاربة الذين عنيتهم بالدراسة ، فقد عدت لتفاسيرهم لاستقراء الآراء البلاغية التي ذكروها في تفاسيرهم بغية بيان طريقتهم ومنهجهم في تناولها وتحليلها ، إضافة لتفاسير أخرى كتفسير الإمام الزمخشري والإمام البيضاوي ، وتفسير الإمام النسفي ، وتفسير الإمام السمين الحلبي ،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتفسير الإمام ابن عادل ، وتفسير الإمام أبي السعود ، وتفسير الإمام الألوسي وتفسير الشيخ الطاهر بن عاشور ، والعودة لهذه التفاسير كانت لقصد مقارنة آراء المفسرين المغاربة بآرائهم في الآيات التي تضمنت المسائل البلاغية ، وذلك للوقوف على مدى صحة أقوالهم ومدى تطابقها مع آراء غيرهم ، كما عدت لجملة من مصادر ومراجع البلاغة العربية وذلك لتوثيق المسائل البلاغية فيما تعلق بالتعريفات والحدود والتقسيمات وغيرها من المباحث البلاغية الوثيقة الصلة بموضوع البحث ، ومن جملة تلك المصادر والمراجع البيان والتبيان ، والحيوان كلاهما للجاحظ ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ودلائل البلاغة ،وأسرار البلاغة كلاهما لعبد القاهر الجرجاني ، والعمدة لا بن رشيق القيرواني ، وسر الفصاحة لا بن سنان الخفاجي ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والمثل السائر لابن الأثير ، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني. وغيرها من المصادر و المراجع ، كما عدت لمصادر علوم القرآن وذلك لتوثيق بعض المسائل العلمية المتعلقة بالتفسير وأصوله منها : البرهان في علوم القرآن للزركشي ، والإتقان للإمام السيوطي ، ومقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمة ، والتفسير والمفسرون لمحمد الذهبي . وغيرها من المراجع ، كما رجعت لأمهات السنة من الصحيحين إلى كتب السنن الأربعة وبعض المسانيد والمصنفات الأخرى لتخريج الأحاديث النبوية وتوثيقها ، كما عدت لجملة من المعاجم والقواميس اللغوية للكشف عن المدلولات اللغوية لبعض المصطلحات العلمية المتعلقة بالبحث ،مع الرجوع لبعض الدواوين الشعرية وكتب الأدب لتخريج الأبيات الشعرية كالأغاني للأصفهاني ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، كما اقتضى البحث العودة لجملة من كتب السير والطبقات وذلك للترجمة لبعض الأعلام الواردة في البحث والمتعلقة به من مفسرين وبلاغيين ، مع الاستعانة ببعض الكتب

المعاصرة في الدراسات البلاغية والمباحث البيانية لتحليل كثير من المسائل والظواهر البلاغية الواردة في البحث.

تاسعا : **طريقة التعامل مع المادة العلمية في البحث** :

اجتهدت في هذا البحث لتوثيق المادة العلمية الواردة فيه على النحو الآتي :

1ـــ عزو وتوثيق الآيات القرآنية الواردة في البحث في الهامش بذكر اسم السورة ورقم الآية . مع عدم تكرار توثيقها إذا وردت في نفس الصفحة .

2 ـــ تخريج الأحاديث الواردة في متن الرسالة قدر الإمكان . وذلك بالرجوع لكتب السنة كالصحيحين والسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد ، ومصنف ابن أبي شيبة وبعض كتب التفسير بالأثر كجامع البيان للطبري ، وتخريجها يكون بذكر اسم الكتاب ، والباب ، ورقم الحديث ، وذكر الجزء ثمّ الصفحة ، ثمّ راوي الحديث .

3 ـــ توثيق الشواهد الشعرية قدر الإمكان والاجتهاد في عزوها لأصحابها .

4 ـــ تعرضت في هذا البحث لترجمة بعض الأعلام من المفسرين و البلاغيين الواردين في البحث ، وهم من صميم الموضوع في المتن ، دون التعرض لترجمة الباقين من الأعلام داخل الهامش .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

الدرس التفسيري والبحث البلاغي واتجاهاتهما في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح:

عقدت هذا المبحث لبيان معنى التفسير وضبط مفهومه لغة. وذلك بالرجوع للمعاجم والقواميس للوقوف على مدلول هذه الكلمة وبيان المراد منها ، إضافة لضبط مفهوم علم التفسير كعلم قائم بذاته . وذلك بنقل وإيراد تعريفات العلماء له مع شرحها وتحليلها والخلوص لتعريف مختار .

المطلب الأول : التفسير لغة :

إذا ما جئنا نستبين معنى التفسير في اللغة لزم الرجوع للمعاجم والقواميس لإيضاح ذلك . وبالعودة لها وجدنا أنّ المادة اللغوية لمصطلح التفسير تفيد أنّه مشتق من الفسر ، فالتفسير على وزن تفعيل أصل من الفسر الذي يعني بيان الشيء وإيضاحه.

قال صاحب القاموس :« الفسر الابانة وكشف المغطى»«[1]».

وقال ابن منظور : «الفسر البيان ، وفسّر الشيء يفسره بالكسر ، ويفسّره بالضم ، وفسّره أبانه والتفسير بمثله ... والتفسير كشف المغطى المراد عن اللفظ المشكل»«[2]».

من خلال هذين النصين اتضح أنّ المادة اللغوية للتفسير تصب في معنى واحد وهو الكشف والبيان والايضاح.

[1] ـ القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي ، د ط ، دم ، دار الفكر ، د ت ، ج 2 ، ص 110.

[2] ـ لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، د ط ، د م ، بيروت ، د ت (مادة فسر) ، ج 5 ، ص 55.

المطلب الثاني : التفسير اصطلاحا

وضعت عدة تعاريفات للتفسير في الاصطلاح ، وتباينت أقوال العلماء في تعريفه من ناحية الاسهاب والايجاز ، ومن التعاريف الواردة في ذلك :

تعريف ابن جزي قال: « هو شرح القرآن ، وبيان معناه ، والافصاح بما يقتضيه بنصه أو بإشارته ، أو بفحواه »«[3]»

وعرّفه أبو حيّان بقوله : «هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الافرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك..... ثمّ قال :

فقولنا «علم» : جنس يشمل سائر العلوم .

وقولنا : «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن »هذا هو علم القرآن

وقولنا : «وأحكامها الافرادية والتركيبية »هذا يشمل علم التصريف وعلم الاعراب ، وعلم البيان وعلم البديع .

وقولنا : «ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب» يشمل ما لا دلالة عليه بالحقيقة ، وما دلالته عليه بالمجاز ، فإنّ التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ، ويصدّ عن الحمل على ظاهره صاد ، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر ، وهو المجاز

وقولنا : «وتتمات لذلك » هو معرفة النسخ ، وأسباب النزول ، وقصة توضح ما انبهم في القرآن ، ونحو ذلك»«[4]».

---

[3] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ط 1 ، تحقيق عبد الرزاق مهدي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1425 هـ ـ 2004 م، ج 1 ، ص 12.

[4] ـ تفسير البحر المحيط : ط 1 ، تحقيق عبد الرّازق المهدي ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ، 1423 هـ ـ 2002 م ، ج 1 ، ص 23 ـ 24 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعرّفه الزركشي بقوله :« هو علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه »«[5]»

وعرّفه الكافيجي بقوله :« وأمّا التفسير في العرف فهو كشف معاني القرآن وبيان المراد ، والمراد من معاني القرآن أعمّ سواء كانت معان لغوية، أو شرعية ، وسواء كانت بالوضع ، أو بمعونة المقام ، وسوق الكلام وقرائن الأحوال ، نحو السماء ، والأرض ، والجنة ، والنار ، وغير ذلك ، ونحو الأحكام الخمسة ، ونحو خواصّ التراكيب اللازمة له بوجه من الوجوه »«[6]».

تحليل هذه التعريفات:

تعريف الإمام ابن جزي : إنّ ما يلاحظ على تعريف هذا الإمام هو مطابقة تعريفه للمعنى اللغوي لكلمة الفسر ، فقد ورد في المعاجم أنّها تعني الكشف والايضاح والبيان ، وهذا ما ضمنّه الشيخ في تعريفه لعلم التفسير ، فقد بيّن أنّ حقيقته شرح القرآن ، وبيان معناه ، ثمّ زاد الشيخ في ذكر طرق الايضاح والبيان ، ليخبر أنّ طرق الدلالة على معانيه إمّا أن تكون بصريح النص وما يدل عليه ،أي بمنطوقه الظاهر ، وإمّا أن تكون الدلالة بمنطوق غير صريح كدلالة الإشارة ،«أي الاشارة إلى معنى ليس مقصودا بالأصالة ، بل بالتبع مع أنّه لم تدع ضرورة لصحة الاقتصار على المذكور دون تقديره»«[7]» ، أو تكون الدلالة بفحوى الخطاب «وهو ما كان المسكوت عنه فيه أولى بالحكم من المنطوق به»«[8]»

---

[5]ـ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ،ط 1 ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، د ت ، ج 1 ، ص 13 .

[6] ـ التيسير في قواعد علم التفسير : محمد بن سليمان الكافيجي ، ط 1 ، تحقيق محمد حسن الذهبي ، القاهرة ــ مكتبة القدسي للنشر والتوزيع ، 1419 هـ ــ 1998 ، ص 21

[7] ـ ينظر: نثر الورود على مراقي السعود ، محمد الأمين بن مختار الشنقيطي ، ط 3 ، تحقيق محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي ، السعودية ـ دار المنارة ـ ، 1423 هـ ـ 2002 م، ص 100.

[8]ـ المصدر نفسه :ص 104 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : الملاحظ على تعريفه أنّه لم يورد العلوم التي يحتاجها المفسر ، والتي هي من جملة الشروط التي يجب أن تتوفر فيه حتّى يتأهل للعملية التفسيرية ، وإنّما اكتفى ببيان ضابط التفسير وهو البيان والشرح والايضاح .

تعريف أبي حيّان : وهو الذي وجه إليه نقد من بعض المعاصرين «[9]» فمنهم من وصف تعريفه بأنّه غير دقيق لأنّه نظر فيه إلى جملة العلوم التي تستنبطنها كتب التفسير ، و لذكره فيه ما ليس من علم التفسير ،وهذا الكلام فيه نوع من القصور في فهم تعريف الشيخ ، ومراده من كلامه .

فقوله : بأنّه أشار إلى جملة من العلوم التي تستنبطنها كتب التفسير فهذا غير صحيح ، وإنّما لم يفهم مراد الشيخ من كلامه ، فإشارة الشيخ في تعريفه لهذه العلوم التي ذكرها من علم القراءات ، وعلم التصريف والاعراب ، والبيان ، وأصول الفقه ، وبعض أنواع علوم القرآن التي هي من أصول التفسير كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ، وغير ذلك ممّا أورده في تعريفه وقام بشرحه ، هو بمثابة البيان لجملة العلوم التي يستمد منها علم التفسير ، والتي هي من الأدوات التي يجب أن يستكملها ويستنفد طاقته في تحصيلها حتّى يتسنّى له تفسير كلام الله تعالى، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ، فإنّه لا ينبغي لأحد أن يقدم على ذلك إلاّ بعد استكمال هذه الآلات ، وهذا هو مقصود الشيخ من كلامه ، فإنّه أشار إلى الضروري من ذلك ، فمعرفة اللسان العربي و التبحر فيه واجب على المفسر ، فإنّ من أسباب الانحراف في التفسير والخطأ في التأويل هو الجهل باللسان العربي قراءة وكتابة وفهما وتطبيقا ، والجهل بقواعده من التصريف والنحو، والاشتقاق والاعراب والمعاني «[10]» قال الحافظ ابن عبد البرّ :« وممّا يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله عزّ وجلّ وهو العلم بلسان العرب ، ومواقع كلامها وسعة لغتها ، وأشعارها ومجازها

---

[9] ـ ينظر : ما كتبه الدكتور مساعد الطيار في كتابه التفسير اللغوي ، ط 1 ، السعودية ـ دار ابن الجوزي ـ، 1422 هـ ، ص 25 .

[10] ـ ينظر: أسباب الخطأ في التفسير ، طاهر محمود محمد يعقوب ، ط 1 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1425 هـ ، ج 2 ، ص 988.

وعموم لفظ مخاطبتها ، وخصوصه ، وسائر مذاهبها لمن قدر ، فهو شيء لا يستغنى عنه ، وكان عمر بن الخطاب يكتب إلى الأفاق : أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن كما يتعلم القرآن »«[11]»

وقال : الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ« فإذا كان الأمر على هذا لزم كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم الكلام الذي به أديت ، وأن لا يحسن ظنّه بنفسه قبل الشهادة له بالعلم من أهل العربية بأنّه يستحق النظر ، وأن لا يستقل بنفسه في المسائل المشكلة التي لم يحط بها علمه دون أن يسأل عنها من هو من أهلها ...»«[12]»

فالشيخ ذكر في تعريفه ما يحتاج إليه من علوم اللغة كالنحو والتصريف والبيان وهي لازمة لا محالة ، وقد وقع في الصدر الأول إنكار البعض لكثير من القراءات المخالفة لبعض القواعد المقررة في النحو ، واستهجن كثير من الناس بعض أساليب القرآن في الخطاب ، فانبرى جماعة من العلماء لدفع ما أنكروه مبيّنين أنّهم أو توا من قبل جهلهم باللسان العربي ، ثمّ إنّ الزيادات التي تكون بعيدة عن علم التفسير إنّما هي التي يسعى أصحابها إلى تقرير قواعد ذلك العلم في تفسير آية من الآيات فيعمد مثلا إلى ذكر قواعد ذلك العالم والتوسع في مباحثه وجزئياته ، فهذا يخرج به صاحبه عن علم التفسير ، وقد انتقد الإمام أبو حيان هذا المنهج عندما راح يعيب على بعض المفسرين إسهابهم في ذكر النسخ و أقسامه ، وأنواعه وغير ذلك من مباحثه التي هي من أصول الفقه فقال : « وهكذا جرت عادتنا أنّ كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم ، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم ، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير ، فنخرج عن طريقة التفسير ، كما فعله أبو عبد الله محمد بن عمر الرّازي ، المعروف بابن خطيب

---

[11] ـ جامع بيان العلم وفضله : ط 1 ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، مؤسسة الريان ـ دار ابن حزم ـ ، 1424 هـ ـ 2003 م ج 2 ، ص324

[12] ـ الاعتصام : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ابن محمد الغرناطي الشاطبي ، د ط ، تحقيق سيد إبراهيم ،القاهرة ، دار الحديث ، 1424 هـ ـ 2003 م ، ص 495 .

الري ، فإنّه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة ، لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك حكي عن بعض المتطرفين من العلماء أنّه قال : فيه كل شيء إلاّ التفسير ، وقد ذكرنا في الخطبة ما يحتاج إليه علم التفسير ، فما زاد على ذلك فهو فضول في هذا العلم »«[13»]، ثمّ نقل كلاما عن شيخه أبي جعفر بن الزبير الغرناطي « متى رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث ، أو التصنيف ، فاعلم أنّ ذلك ، إمّا لقصور علمه بذلك الفن ، أو لتخليط ذهنه وعدم إدراكه ، حيث يظنّ أنّ المتغايرات متماثلات»«[14]»

فمن المفسرين من يستخدم هذه العلوم فيما يحتاج إليه من بيان معاني القرآن ، دون الزيادة على ذلك ، ومنهم من يتبحر ويستطرد فيها وفقا لتخصصه في ذلك الفن ، وهذا الاتجاه شاع في كتب التفسير بالرأي ،كما هو الحال عند البيضاوي وأبي السعود اللذّان أكثرا من مسائل البلاغة ، وأبي حيّان الذي أكثر من مسائل النحو والصرف ، فجعلت البعض ينتقد منهجه ، لكن لا يمكن أن يقال إنّه خرج به عن حدّ التفسير ، وإنّما توسع في ذلك حتّى كان كتابه في طبقة الخاصة من العلماء والطلاب الكبار ، فلا يكون في متناول المبتدئين الذين لم يتأصلوا في كثير من هذه العلوم والله أعلم .

تعريف الامام الزركشي : في الحقيقة ورد عن الامام الزرّكشي تعريفان أحدهما الذي نقلته ، وقد عرّف فيه التفسير بما يقارب المعنى اللغوي الذي يعني الايضاح والبيان فأخبر أنّه علم يفهم به كتاب الله وتستبان به معانيه ، وتستنبط أحكامه ، دون أن يشير إلى العلوم التي يستمد منها علم التفسير ، والتعريف الآخر الوارد عنه «[15]» ، فقد ذكر فيه جزءا من العلوم التي يحتاجها المفسر ، وهي من علوم القرآن كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، والمكي والمدني ، ونبذا من

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[13]ـ تفسير البحر المحيط : ط 1 ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1422 هـ ـ 2001 م ، ج 1 ،ص 511

[14]ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص511

[15]ـ البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 148

أصول الفقه كمعرفة العام والخاص والمطلق ، والمجمل والمبين ، وتعريفه يتقارب مع تعريف أبي حيّان .

تعريف الامام الكافيجي :الملاحظ على تفسير الامام الكافيجي أنّه أورد فيه أولا المعنى اللغوي لكلمة التفسير فأخبر أنّها في العرف تدل على الكشف والبيان ، وخصّها بالكشف عن معاني القرآن وبيان المراد منه ، ثمّ أشار إلى تعدد معاني القرآن فمنها اللغوية ، ومنها الشرعية ، ثمّ أشار بعدها إلى طرق الدلالة على هذه المعاني ، وأدوات استنباطها مركزا على أداة أصول الفقه ، ففي كلامه تنويه بمدى أهمية أصول الفقه وحاجة المفسر إليه في تفسير كلام الله تعالى ، وقد أشار الامام ابن جزي إلى أهمية مادة أصول الفقه بالنسبة للمفسر ، فأخبر في مقدمة التسهيل ما نصه :« وأمّا أصول الفقه فإنّها من أدوات تفسير القرآن على أنّ كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها ، وإنّها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال ، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص ، والظاهر ن والمجمل ، والمبين ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، وفحوى الخطاب ، ولحن الخطاب ، ودليل الخطاب ، وشروط النسخ ، ووجوه التعارض ، وأسباب الخلاف ، وغير ذلك من علم الأصول »«[16]»

إنّ النقد الموجه لبعض التعاريفات التي ذكرها العلماء لحد التفسير ، والتي أوردوا فيها بعض العلوم الضرورية للخوض فيه منشأه من اختلافهم في ماهية علم التفسير أهو من العلوم التي ليس لها قواعد كبقية العلوم العقلية التي تحتاج إلى مزاولة تلك القواعد ، فلا يتكلف لها بوضع حد ضابط يتضمن الاشارة إلى تلك العلوم التي هي بمثابة الأدوات ؟ ، أو العكس من ذلك ، حيث يرى البعض أنّه من قبيل المسائل الجزئية والقواعد الكلية والملكات الناشئة من مزاولة تلك القواعد ،

[16]ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 15 .

فيتكلف له التعريف ، ويذكر فيه العلوم التي يحتاجها علم التفسير من علوم اللغة ، وأصول الفقه والقراءات ، وغيرها من الآلات والأدوات .»[17]

وعليه فإنّ التعريف الذي تطمئن إليه النفس وترتضيه ما كان متضمنا لتلك العلوم التي يتوقف عليها فهم النص القرآني ، وإن تفاوتت مراتب العلماء والمفسرين في تحصيلها وتوظيفها في منهجهم التفسيري ، ومن أنسب ما وضع من تعريف لحد التفسير عند المعاصرين ما ذكره الشيخ محمد حسين الذهبي الذي عرّف التفسير بقوله :« علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد »«[18]» .

المبحث الثاني : الدرس التفسيري واتجاهاته في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري

إنّ الحديث عن الدرس التفسيري واتجاهاته بالمغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري يستدعينا للحديث عن نشأة هذا العلم الجليل من علوم الشريعة في هذه البقعة المباركة ، فرأيت أنّه من المستحسن قبل الشروع في الحديث عن ذلك إعطاء صورة واضحة ونظرة شاملة عن علم التفسير ونشأته وأجعل ذلك كالتوطئة بين يدي المبحث

إنّ التفسير وغيره من بقية علوم الشريعة الغرّاء بزغ فجره وظهر ميلاده في ديار المغرب والأندلس تزامنا مع الفتح الإسلامي لهما ، فقد نزل بهما خيار التابعين يتقدمهم الفقهاء والعلماء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة البيان الديني ، والارشاد التعليمي ، فبلاد إفريقيا صادف فتحها نزول عدد من الصحابة لها ، إلاّ أنّ النشاط التعليمي في عهدهم لم يكن كبيرا وظاهرا بسبب انعدام الاستقرار في بداية الفتح ، ولما استتب الجانب الأمني واستقرّ الفتح الإسلامي فيها قام التابعون

---

[17] ـ ينظر: التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، 8 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ،1424 هـ ـ 2008 م ، ج 1 ، ص 12.

[18] ـ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 14.

بهذه المهمة ، وممّن نزل هذه البلاد من الفقهاء موسى بن علي أبو عبد الرحمان اللخمي فقد بعث عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ جماعة إلى إفريقية لتفقيه أهلها ، فنزل القيروان ، قال الإمام المزّي ــ رحمه الله ــ فيما نقله عن سعيد بن يونس في شأن أبي عبد الرحمان اللخمي :«كان بإفريقيا بعث به إليها عمر بن العزيز مع جماعة من الفقهاء من أهل مصر ليفقهوا أهلها ، يقال توفي بإفريقيا سنة اثنتين وعشرين ومائة »«[19]» ، وممّن نزل كذلك بالمنطقة حنش بن عبد الله الصنعاني «كان مع علي بالكوفة ، ، وقدم مصر بعد قتل علي ، وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت ، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير ، وكان أول من ولي حضور إفريقية في الإسلام ،توفي بإفريقيا سنة مائة ، ويقال أنّ جامع سرقسطة من بنائه ، وأنّه أول من اختطه »«[20]»، وجاء في تاريخ الأندلس ما نصه « أخبرنا الخطّاب ابن مسلمة أنبأنا قاسم بن أصبغ دخل الأندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام ، وعلي بن رباح اللخمي ، وأبو عبد الرحمان الحبلى ، واسمه عبد الله بن يزيد ، وموسى بن نصير »«[21]» فهذه النصوص وأمثالها تفيد دخول ثلة من سادات التابعين وفقهائهم بلاد المغرب والأندلس ، وفي دخولهم كانوا معلمين لأهل تلك الديار مسائل الحلال والحرام ، وأصول الإسلام وعقائده ، معتمدين على المصدرين العظيمين في التشريع الكتاب والسنة ، وكان من جملة ما يتناول في دروس هؤلاء وحلقهم تفسير القرآن الكريم ، وممّن دخل المنطقة من كبار التابعين المشتغلين بتفسير القرآن الكريم عكرمة مولى ابن عباس ، وقد ذكر ابن عساكر عن أبي الأسود قوله :«كنت أول من سبب إلى عكرمة الخروج إلى بلاد المغرب ، وذلك أنيّ قدمت من مصر إلى المدينة فلقيني عكرمة ، وسألني عن أهل المغرب ، فأخبرته عن

---

[19]ــ تهذيب الكمال ، ط1 ، تحقيق بشار عواد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1400هـ ــ 1980 م ، ج 5 ، ص 138.

[20]ــ ينظر: الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، ط 1، تحقيق أحمد الأرناؤوط ــ تركي مصطفى ، بيروت ، دار إحياء التراث ، 1420 هـ ــ 2000 م ، ج 13 ، ص 125.

[21]ــ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، ابن الفرضي ط 2 ، نشر وتصحيح : عزت العطار الحسيني ، مصر ، مطبعة المدني ، 1408 هـ ــ 1988 م ، ج 1 ، ص 148.

غفلتهم، قال فخرج إليهم ...»«[22]» ، وقد جلس عكرمة في مؤخرة جامع القيروان ، والتف حوله أهل المنطقة يأخذون عنه القرآن وتفسيره ، فتعليم القرآن وعلومه شاع وذاع بمنطقة المغرب على أيد هؤلاء العلماء الذين نزلوا بها واستوطنوها بعد استقرار الأوضاع فيها ،ويضيف البعض إلى أنّ التعليم الديني بمنطقة المغرب قد تدّعم ببعث الخليفة عمر بن عبد العزيز لثلة من فقهاء التابعين لتعليم أهل المغرب ، ونشر تعاليم الإسلام في ربوع المنطقة ، فقامت هذه الثلة بإنشاء المساجد ، وتشييد الكتاتيب ، ودور العلم ،ممّا جعل سكان المغرب يتعلقون بهم ، ويقبلون عليهم في الأخذ من علوم الشريعة ، والتفقه في الدين «[23]».

وقد تخرّج على يد هؤلاء التابعين علماء إفريقية الأوائل الذين نهلوا من معين معلميهم ، ليحملوا مشعل التعليم والتدريس في المنطقة بعدهم ، ويأتي في طليعتهم عبد الرحمان بن زياد بن أنعم الإفريقي الذي يعد أوّل مولود في الإسلام بعد فتح إفريقية ، كما ذكر الإمام المزّي ، وقد رحل إلى الكوفة ، وسمع منه سفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن وهب ، وأبو عبد الرحمان عبد الله بن يزيد المقرئ ، وقد ولاّه مروان بن محمد بن مروان قضاء إفريقية «[24]» ، ومن فقهاء المغرب أيضا وعلمائها عبد الله بن فروخ الخراساني (ت173 هـ)الذي سافر إلى المشرق ، وسمع من ابن جريج ، وسفيان الثوري ، وأبي جناب الكلبي ، وقد روى عنه بالمغرب يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري التيمي المتوفى سنة 200 هـ ، وكان يحيى بن سلام من أوعية العلم روى عن كثير من التابعين من أمثال مالك ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن عروبة وغيرهم ، وقد وضع الإمام يحيى بن سلاّم تفسيرا كاملا للقرآن الكريم ابتكر فيه طريقة التفسير النقدي ، أو

---

[22] ـــ تاريخ مدينة دمشق : ط ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، بيروت ، دار الفكر ، 1995 م ، ج 41 ، ص 120

[23] ـــ ينظر: طبقات علماء إفريقية وتونس ، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ، ط 2 ، تحقيق علي الشابي ـــ نعيم حسن اليافي ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1985 م ، ص82 ـــ83 ، ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، عبد الرحمان الأنصاريالدباغ ، تونس ، المطبعة العربية ، 1320 هـ ، ج 1 ، ص 180 ـــ 223.

[24]ـــ ينظر: تهذيب الكمال ، ج 14 ، ص 185

الأثري التي سار عليها بعده ابن جرير الطبري ،واشتهر بها «[25]» ، وذلك أنّ التفسير في القرن الثاني كان مصطبغا بصبغة الإسناد والرواية ، وبعد تقعيد النحو ، والتدوين فيه ، استعان كثير من المفسرين بالأثر ، بأقوال اللغويين ، والنحاة من أمثال الخليل وعيسى بن عمر ، فبدأوا يتكلمون عن إعراب الآي ، والتراكيب اللغوية للمفردات القرآنية ، وبالتالي أضفوا شيئا جديدا على التفسير الأثري ، ويعدّ الإمام يحي بن سلاّم أوّل من أرسى دعائم هذا الاتجاه ، الذي نضج واكتمل فيما بعد على يد ابن جرير الطبري ، فتفسير يحي ظهر في القرن الثاني للهجرة ، وهو تفسير أثري عني فيها بإسناد الأحاديث ، والأثار للنبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة ، والتابعين مع إيراده للقراءات القرآنية ، وبعض علوم القرآن كبيان المكي ، والمدني ،الناسخ والمنسوخ ، وذكر بعض المسائل اللغوية ، والحديث عن الأحكام والمسائل الفقهية ، ولقد اهتم العلماء بهذا الكتاب من ناقل عنه ، وحافظ له ، ومختصر له ، وشاع ، وذاع في كثير من الأقطار ، وقد نقل منه كبار المفسرين كأمثال الإمام الماوردي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وغيرهم ، وقد اختصره الإمام ابن أبي زمنين ، والإمام أبو المطرف القرطبي «[26]».

ومن علماء إفريقية كذلك الذين رحلوا إلى المشرق أسد بن الفرات الذي أدرك مالكا وأبا حنيفة ، وصاحبيه أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وبعد رحلته إلى المشرق عاد إلى إفريقية ناشرا العلم بها في الفقه ،والتفسير ، والحديث ، وقد امتازت دروسه التفسيرية كما تنقل كتب السير والتراجم بالتشدد والحيطة فيما تعلق بأمور العقيدة ، خوفا من دخول بعض المعتقدات والآراء إلى بلاد إفريقية ، فكان يردّ على أهل الأهواء البدع فيما يثيرونه من أقوال يخالفون فيها معتقدات أهل

[25] ـينظر: التفسير ورجاله ، محمد الفاضل بن عاشور ، ط 1 القاهرة ـ دار السلام ـ 1429 هـ ـ 2008 م ، ص 37

[26] ـ ينظر: مقدمة تحقيق تفسير ابن أبي زمنين ، ط 1 ، تحقيق حسين بن عكاشة ، ومصطفى الكنز ، القاهرة ، دار الفاروق للطباعة ، ص 100

السنة كمسألة الرؤية ، وخلق القرآن ، وإثبات آيات الصفات وإمرارها من غير تأويلها «[27]»، ولهذا حفظت بلاد المغرب في القرون الأولى من كثير من الآراء ، والأهواء بفضل جهود علمائها ، ومن علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق ثمّ عادوا بلاد الأندلس فملؤها علما المفسر المحدث بقي بن مخلد أبو عبد الرحمان الأندلسي المتوفى سنة (276 هـ) «[28]» ، الذي سمع من يحيى بن يحيى الليثي ، وأبي مصعب الزهري ، وتفقه بإفريقيا على يد سحنون بن سعيد ، ثمّ رحل إلى المشرق فسمع من أحمد بن حنبل ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ،و أبي بكر بن أبي شيبة ، ثمّ عاد إلى الأندلس فملأها علما ، وقد قال أبو الوليد الفرضي في شأنه :« ملأ بقي بن مخلد الأندلس حديثا »«[29]» ، وقد وضع ـ رحمه الله ـ عدة مصنفات في مختلف العلوم كانت محل الثناء والإعجاب والتقدير عند سائر العلماء ، حتّى قال الإمام ابن حزم رحمه الله في شأن تصانيفه « ... فصارت تصانيف هذا الإمام قواعد الإسلام ، لا نظير لها ...»«[30]» ومن جملة تصانيفه تفسيره الذي نوّه به كثير من العلماء والحفاظ ، وأذعنوا فيه لإمامته ، وتبحره في العلم ، قال ابن حزم رحمه الله «... فمن مصنفات أبي عبد الرحمان كتابه في تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا استثناء فيه أنّه لم يؤلف في الإسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ، ولا غيره »«[31]».

---

[27] ـ ينظر : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ،د ط ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1403 هـ ـ 1983 م ، ج 1 ، ص 264 ـ 265.

[28] ـ ينظر: سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 2 ، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ـ علي أبو زيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1404هـ ـ 1984 م ، ج 13 ، ص 85

[29] ـ تاريخ العلماء والرواة بالأندلس : ج 1 ، ص 107 ـ 108

[30] ـ ينظر : تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر ، ج 10 ، ص 358

[31] ـ المصدر نفسه : ج 10 ، ص 358

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقال الإمام الذهبي « بقي بن مخلد ابن يزيد الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمان الأندلسي ، القرطبي الحافظ صاحب التفسير ، والمسند اللذين لا نظير لهما...»«[32]»

من خلال هذه الإطلالة على التفسير ونشأته في بلاد إلى إفريقية منذ الفتح إلى القرن الثالث ، اتضح لنا أنّ أول تفسير صنّف ووضع بالمنطقة هو تفسير يحي بن سلام ،ثمّ تلاه في بلاد الأندلس بقي بن مخلد ،وما نقلناه عمّا قبلهما من العلماء ، وأثرهم في نشأة الدرس التفسيري ، فإنّه لم يؤثر عن واحد منهم تفسير كامل للقرآن كله يمكن من خلاله تحديد معالم ، واتجاه التفسير بالمنطقة في تلك الفترة ، لكنّ تلك النقولات التي نقلناها عنهم في بيان جهودهم في خدمة القرآن الكريم عموما والتفسير خصوصا ، يمكن أن تحدد لنا الاتجاه العام للتفسير في تلك الفترة ، وقبل بيان ذلك ، كان من الواجب تحديد مصطلح الاتجاه التفسيري ، وبيان الفرق بينه ، وبين المنهج ، والطريقة .

تعتبر هذه المصطلحات حديثة في الدراسات القرآنية ، فإنّها لم ترد في اصطلاح المتقدمين ، لذا يقع اضطراب في استعمالها ، فمنهم من يطلقها على معنى واحد ، ومنهم من يغاير بينها ، وقد حاول البعض وضع ضابط للتفريق بينها ، فممّا ذكره أنّ الاتجاه يراد به الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ، ويجعلونه نصب أعينهم ، وهم يكتبون ما يكتبون ، أمّا المنهج فهو السبيل التي تؤدي إلى الهدف المنشود ، وأمّا الطريقة ، فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي للهدف أو الاتجاه ...»«[33]» ، ويرى آخر أنّ الاتجاه «هو بمثابة الوجهة

[32] ـ ينظر : سير أعلام النبلاء : ج13 ، ص 285 .

[33] ـ ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، فهد بن عبد الرحمان الرومي ، ط4 ، مكتبة وهبة ، 1419 هـ ،ص 55

التي قصدها المفسر في تفسيره ، وغلبت عليه ، أو كانت بارزة في تفسيره ، بحيث تميّز بها عن غيره »«[34]».

وبعد بيان هذه المصطلحات نرجع للحديث عن اتجاهات التفسير في منطقة المغرب والأندلس في بداية الفتوحات بهما

في الحقيقة يمكن القول أنّ الاتجاه العام للتفسير في بلاد المغرب والأندلس منذ نشأة هذا العلم بهما ، يمكن تحديده بالاتجاه العلمي المحض ، الغالب عليه المنهج الأثري ـ أي التفسير بالمأثور ـ ، فالتفسير في تلك الفترة ، في مختلف الأقطار الإسلامية كان المنهج العام فيه التفسير الأثري الذي يعتمد فيه المفسرون على ما جاء في القرآن نفسه من بيان له ، وما جاء في السنة النبوية ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ممّا هو تفسير للقرآن الكريم ، وفي القرن الأول الهجري ، والثاني كان التفسير يتداول على طريقة المرويات والآثار التي يرويها المحدثون ، وبلاد المغرب والأندلس كما أسلفنا القول قد شهدت نزول بعض الصحابة بها ، وكذلك نزول كبار التابعين بها ممّن أخذوا عن الصحابة ، كعكرمة الذي روى التفسير عن ابن عباس ، وكذلك شهدنا نزوح كثير من أبناء تلك المنطقة إلى المشرق لنيل العلوم ، ثمّ العودة إلى الموطن الأصل ، ونشر تلك العلوم بها ، والتي من جملتها التفسير ، وكانت دروسهم التفسيرية عبارة عن سرد الآثار ، والمرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، وبعض كبار التابعين في معاني القرآن ، والملاحظ على تلك الدروس والحلق أنّ التركيز فيها كان منصبا على المحافظة على القرآن الكريم ، وتقديسه ، والعمل بمحكمه ، ومتشابهه ، والمحافظة على أصول العقيدة الإسلامية ، خوفا من أن يطرأ على تلك المنطقة بعض آراء أهل الأهواء والبدع

[34]ـ ينظر: فصول في أصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار ، ط 3 ،السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1420 هـ ـ 1999 م ، ص 20

أمّا في القرن الثاني للهجرة ، ومنذ ظهور أول تفسير بالمنطقة على يد يحيى بن سلاّم ، ثمّ تفسير بقي بن مخلد في الأندلس في منتصف القرن الثالث للهجرة يمكن تحديد ملامح اتجاه التفسير في تلك الفترة ، أمّا التفسير الأول وهو تفسير يحيى بن سلام ، فقد وصل إلينا ، وبإطلالة عليه يمكن إعطاء صورة عنه ، فهو يسير فيه على منهج المحدّثين في سرد الأخبار بسندها إلى صاحبها ، ومن ثمّ فهو يعنى بتفسير بالقرآن بالقرآن ، وكذلك تفسير القرآن بالحديث النبوي ، كما يتعرض ـ رحمه الله ـ لأسباب النزول ، ويعنى كذلك بسرد الرواية عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن ، كما أنّه تميّز بسرد الروايات التي لها تعلق بالقراءات القرآنية ، ولا ريب أنّ معرفة اختلاف القرّاء ، واختلاف القراءات لها أثر كبير في العملية التفسيرية ، سواء فيما تعلق بالجانب الإعرابي ، أو بجانب المعاني المترتبة على الاختلاف في القراءة ، كما برز اعتناءه بالمعاني اللغوية للألفاظ القرآنية ، فيما يعرف بغريب القرآن ، وكذلك فيما تعلق بالاشتقاق والتصريف لبعض الكلمات ، كما أنّه يتعرض للمسائل العقدية التي تحويها الآيات القرآنية ، ويورد أقوال أهل السنة وينصرها ، ويضعف أقوال المبتدعة ، وأهل الأهواء ، ويحذر منها ، كما يلحظ اعتناءه بآيات الأحكام ، والمسائل الفقهية المتعلقة بالآية ، مع إيراده لكثير من الإسرائيليات في تفسيره ، وإشارته لبعض موضوعات علوم القرآن كالمكي والمدني ، والمبهم ، وغيرها من المواضع ، وبالجملة فتفسيره من التفاسير الأثرية

أمّا التفسير الثاني وهو تفسير بقي بن مخلد ، فهو من التفاسير المفقودة التي لم تصل إلينا ، وقد أثنى عليه غير واحد من أهل العلم ، وأذعنوا لعلم هذا الإمام وعظيم مصنفه هذا ، فقد أشادوا بتفسيره ومسنده ، وقد سبقت الإشارة إلى كلام الإمام ابن حزم رحمه الله في حق هذا الإمام ومصنفاته ، ولقد اختصر تفسير بقي عبد الله بن محمد بن حسن بن عبد الله بن عبد الملك أبو محمد القرطبي المتوفى سنة 318 هـ ، وهذا المختصر أيضا مفقود ، وبما أنّ كتاب الإمام بقي مفقود ، فإنّه من الصعب الوقوف على منهجه وبيان اتجاه هذا التفسير ، لكنّ النقولات عن هذا الإمام في تفسيره ، والتي رواها بعض المحدّثين والمفسرين ، والفقهاء تعطينا صورة واضحة عن معالم هذا التفسير واتجاهه العام ، وفي الحقيقة فهو تفسير أثري يعتمد فيه على سرد الروايات بأسانيدها إلى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الصحابة ، أو التابعين ، فيما له تعلق بتفسير الآية ، كما تصاحب هذه المرويات أقوالا في بعض المسائل العلمية من الجوانب اللغوية ، أو بعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن كالناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، والمكي والمدني ، ولقد أكثر الحافظ ابن عبد البر النقل عنه في كتابه التمهيد سيما في إيراده للآثار التي يرويها بقي في تفسير بعض الآيات القرآنية ، ومن خلال تلك الآثار يتضح منهجه العقدي ، والذي ينمي عن عقيدة سلفية محضة يسعى فيها لتقرير أقوال السلف من أهل السنة في كثير من المسائل ، وينافح عنها على غرار ما رواه مثلا في إثبات الشفاعة ، وإثبات عذاب القبر ، ومسألة الروح ، وكذلك في انتهاجه طرق التفسير بالمأثور في تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة ، وعنايته بإيراد أسباب النزول ، والكلام على الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم «[35]»

المطلب الأول : التفسير في القرن الخامس

بعد الحديث عن طابع التفسير واتجاهه في بلاد المغرب الإسلامي بداية الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الثالث هجري ، سأنتقل للحديث في هذا المطلب عن اتجاه التفسير في القرن الخامس ببلاد المغرب . وسأجعل حديثي مقتصرا على المفسرين الذين خصصتهم وعنيتهم بالدراسة في هذا البحث ، وبناء على ذلك فهذا المطلب سيكون مخصصا للكلام عن تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي الموسوم ب «الهداية إلى بلوغ النهاية ».

[35] ـينظر: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا ، محمد بن رزق بن طرهوني ، ط 1 ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، 2005 م ، ج2 ، ص 569 ـ 579 .

الفرع الأول :التعريف بالإمام مكي بن أبي طالب القيسي :

قبل الخوض في بيان ملامح اتجاه التفسير في كتاب الهداية للإمام مكي ارتأيت أن أتعرض لترجمته ، وذلك بإعطاء نبذة عن سيرته وحياته ، وذلك للوقوف على تكوينه وعوامل نشأته التي لاريب سيكون لها أثر كبير على تأليفه وتصنيفه .

ترجم للإمام مكي كثير من أصحاب السير والطبقات . وممّا أوردوه في شأن اسمه و نسبه ومولده ، قولهم :هو أبو محمد مكي بن أبي طالب ، واسمه محمد ، ويقال له حموش ابن مختار القيسي ، وأصله من القيروان ، نزيل قرطبة المقرئ «[36]» ، ولد لتسع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة «[37]» ، كان فقيها مقرئا أديبا، متفننا روّاية ، أخذ بالقيروان عن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة ، وأبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المالكي المعروف بالقابسي ، وغيرهم ، ثمّ رحل إلى الشرق سنة سبع وسبعين ، فلقي الأدفوي ، وابن غلبون بمصر ، وحج عامه ، ثمّ عاد مكة سنة سبع وثمانين ، فأقام بمكة أربعة أعوم ، وتحوّل في رحلته ، فلقي من الفقهاء ، والمحدّثين جماعة منهم أبو القاسم السقطي ، وأبو الفضل أحمد بن عمران الهروي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا البسري ، وعبد الرحمان بن علي العبّاسي ، وأبو الحسن المطوّعي ، وصدقة بن أحمد الزقي ، وغير هؤلاء ، وانصرف إلى القيروان سنة اثنتين وسبعين ، ودخل قرطبة أيّام المظفّر بن أبي عامر ثلاث وتسعين ولا يؤبه به إلى أن تنبّه إلى مكانه ابن ذكوان القاضي ، فأجلسه في المسجد الجامع ، فنشر علمه ، وعلا ذكره ، ورحل إليه الناس ، ثمّ ولي الخطبة والصلاة مدّة إلى أن أقعده عنها الخوف ، وكان رسوخه في علم القرآن وتفننه فيه ، قراءات وتفاسير ومعاني، نحويا لغويا فقيها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[36] ــ ينظر: ترجمته ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، د ط ، تحقيق أحمد بكير محمود ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د ت ج 3 ، ص737 ــ 738 .

[37] ــ ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدباءهم ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ، ط 2 ، نشر وتصحيح : عزت عطار الحسيني ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1414 هـ ــ 1994 م ، ج 2 ، ص 523 .

روّاية ، ولي الشرى ، وصنّف تصانيف جليلة في علوم القرآن ، ومن أشرف تصانيفه كتاب الهداية في التفسير ، وكتاب الكشف في وجوه القراءات ، والتبصرة ، والموجز واختصار أحكام القرآن ».«[38]»

وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة سبع وثلاثين وأربعمائة لليلتين خلتا من المحرّم «[39]» .

من خلال الترجمة التي وقفنا عليها للإمام مكي ـ رحمه الله ـ اتّضح لنا بجلاء أنّه برع وتضّلع في علوم القرآن والقراءات خاصة إضافة إلى إلمامه باللغة العربية ، وقد وظّف هذا التبحر ـ رحمه الله ـ في تصانيفه لا سيّما تفسيره الذي نحن بصدد الحديث عنه .

الفرع الثاني التعريف بالكتاب (الهداية إلى بلوغ النهاية) :

بعد التعرض لترجمة الإمام مكي أنتقل للحديث عن تفسيره ، وذلك بتعريفه وذكر ما يتعلق بذلك :

و ضع الإمام مكي ـ رحمه الله ـ مقدمة لتفسيره تحدّث فيها عن المصادر التي استقى منها هذا التفسير ، وأبان عن جهده فيه واستفراغه الوسع في إخراجه مع ذكر الخطوات والمناهج التي انتهجها ، فقال ـ رحمه الله ـ :« هذا كتاب جمعت فيه ما وصل إليّ من علوم كتاب الله جلّ ذكره ، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره ، واختصاره ، وتقصيّت ما وصل إليّ من مشهور تأويل الصّحابة ، والتابعين ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي ، وما تذكرته في وقت تأليفي له ، وذكرت المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ما وجدت إليه سبيلا، أو صحّ عندي من رواية غيري»«[40]» ، وقال بعدها متحدثا عن مصادره«.... جمعت أكثر هذا الكتاب

---

[38] ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، القاضي عياض ، ج 3 ، ص 738

[39] ـ ينظر: الصلة لابن بشكوال ، ص 523

[40] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ط 1 ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، جامعة الشارقة كلية الدراسات و البحث العلمي ، 1429 ، 2008 م، ج 1 ، ص 72 ـ 73 .

من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي ، وهو الكتاب المسمّى بكتاب الاستغناء ، والمشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن ، أفضيت في هذا الكتاب نوادره ، و غرائبه ومكنون علومه ، مع ما أضفت إلى ذلك من كتاب تفسير القرآن ، تأليف أبي جعفر الطبري ، وما تخيّرته من كتب أبي جعفر النّحاس ، وكتاب أبي إسحاق الزّجاج ، وتفسير ابن سلاّم ، ومن كتاب الفرّاء ، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني ، والغريب ، والمشكل انتخبته من ألف جزء أو أكثر مؤلفة في علوم القرآن مشهورة مروية ...»«[41]» ، ولقد تحدّث كذلك في مقدمته عن المقاصد التي توّخاها من وضع هذا السفر الجليل ، فقال :« وإنّ غرضي في هذا الكتاب إنّما هو تفسير التلاوة ، وبيان القصص والأخبار ، وكشف مشكل المعاني ، وذكر الاختلاف في ذلك ، وتبيين الناسخ والمنسوخ ، وشرح وذكر الأسباب التي نزلت في الآي»«[42]»

أمّا عن تاريخ وضع الإمام مكي ـ رحمه الله ـ لهذا التفسير فقد ذكر وأخبر في المقدمة أنّه بدأ جمعه في صدر العمر ، لكنّه لم يخرجه إلاّ في أواخر عمره كشأن العلماء الذين يحرصون على تنقيح وتصحيح كتبهم ومراجعتها قبل إخراجها فقال :« ... فما أخرجت هذا الكتاب ، وبذلته للنّاس بعد أن كنت عملته في صدر العمر وجمام الفهم لنفسي خاصة ، ولمذاكرتي مفردا ...»«[43]». وقد أثنى على تفسير مكي ـ رحمه الله ـ فطاحل العلماء ، وأذعنوا لعلمه وأقرّوا بسعة تبحرّه فممّن أدلى بذلك الحافظ ابن سعيد ـ رحمه الله ـ في تذييله على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس فقال : « رأيت أن أذيّل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر الأندلس بما حضرني ، والله تعالى ولي الإعانة أمّا القرآن فمن أجلّ ما صنّف في تفسيره كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في عشرة أسفار ، صنّفه الإمام العالم الزّاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي ...»«[44]»

---

[41] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ص 74 ـ 75 .

[42] ـ المصدر نفسه : ص 73.

[43] ـ المصدر نفسه : ص 75.

[44] ـ ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب ، أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، د ط ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د ت ،ج 3 ، ص 179

وقال القاضي عياض :« وصنّف تصانيف جليلة في علوم القرآن وغير ذلك ، ومن أشرف تصانيفه كتاب الهداية في التفسير ...»«[45]».

وقد حقق الكتاب في مجموعة رسائل جامعية وزّعت على الأساتذة التالية أسماؤهم :

زرارة صالح ، الحسن بوقسيسي ، محمد عبد الحق حنشي ، أصبان إبراهيم ، عبد العزيز اليعكوبي ، مصطفى الصمدي محمد على نصر ، الحسين عاصم ، مولاي عمر بن حمّاد ، عزّ الدين جودي ، مصطفى رياح ، فوضيل مصطفى ، وذلك تحت إشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي ، وقد اعتمدوا في ذلك على عدة نسخ خطية للكتاب منها نسخة الخزانة العامة في الربّاط ، ونسخة الخزانة الحسنية الملكية في الرباط ، ونسخة خزانة القرويين في المغرب ، ونسخة الجامع الكبير بمكناس ، ونسخة مركز جمعة الماجد في دبي ، وقد طبعت جامعة الشارقة الكتاب سنة 1429 هـ الموافق 2008 م، تحت إشراف كلية الدراسات والبحث العلمي ، ويقع الكتاب في ثلاثة عشر مجلدا . وقد أعدّ الدكتور أحمد حسن فرحات رسالة علمية تقدّم بها إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر تحت عنوان : مكي بن أبي طالب القيسي وتفسير القرآن الكريم ، ونوقشت سنة 1973 م ، ونال بها شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بمرتبة الشرف الأولى ، وطبعت هذه الرسالة سنة 1997م ، في عمّان بدار عمّار ، فكانت دراسته شاملة ومستوعبة لمنهج مكي ـ رحمه الله ـ في الهداية ، فتطرّق لبيان منهجه في التفسير بالمأثور وانتهاجه لهذا الطريق ، ثمّ أشار إلى اعتناء مكي بالتفسير اللغوي من خلال احتفائه في تفسيره بإيراد المعاني اللغوية للمفردات القرآنية ، وإشارته إلى أصول الكلمات واشتقاقها ، والكلام عن إعراب الآيات ، وبيان معاني الحروف ، مع تنبيهه لبعض المباحث البلاغية ، وبيان تناوله لبعض علوم القرآن في تفسيره كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وعنايته بإيراد القراءات القرآنية وتوجيهها ، ثمّ ختمها ببيان أثره في المفسرين من بعده.

[45] ــ ينظر: ترتيب المدارك ، ج 3 ، ص 738.

وسأقتصر على إيراد بعض النماذج التفسيرية من كتابه التي تعطينا صورة واضحة وبيّنة عن ملامح اتجاهه في التفسير

لقد سار مكي ـ رحمه الله ـــ في تفسيره مسلك التفسير الأثري ، ويتجلّى ذلك بوضوح في انتهاجه لطرق التفسير بالمأثور في تفسيره للقرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة النبوية ، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة ، وتفسير القرآن بأقوال التابعين، وهذه أمثلة توضح ذلك ، وتبيّنه

في تفسير قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾«[46]».

قال ـ رحمه الله ـ « أكثر المفسّرين على أنّ ذلك بمعنى هذا كما تقول للرجّل وهو يحدّثك : ذلك والله الحق ، أي هذا والله الحق ، قال الله جلّ ذكره : ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾«[47]»، أي هذا ما كنت منه تحيد ، وقال : ﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ﴾ «[48]»أي هذه عشرة كاملة، وقال : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾،«[49]»أي هذا الحكم لمن لم يكن أهله ... وهو كثير في كلام العرب والقرآن ...»«[50]».

ففي هذا المثال نرى أنّ الإمام حرص على تفسير معنى كلمة ذلك بما ورد من نظائرها في القرآن الكريم في آيات أخرى «[51]» ، وقد أكثر من هذا النوع في تفسيره ، وكذلك الاستدلال بالقرآن على تعدد المعاني في الكلمة الواحدة ، وكذلك فيما ورد من القرآن مجملا ، ثمّ جاء تفسيره مفصّلا

---

[46] ـــ سورة البقرة : الآية 2

[47] ـــ سورة ق: الآية 19

[48] ـــ سورة البقرة : الآية 196

[49] ـــ سورة البقرة : الآية 196

[50] ـــ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 124

[51] ـــ ينظر: المصدر نفسه ، ص 231

في آيات أخرى فهو يحرص على إظهاره وتفسير الآية ، وغير ذلك ممّا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن .

في تفسيره لقوله تعالى﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾«[52]».

قال ــ رحمه الله ــ :« معناه نعظّمك بالحمد والشكر ، وقيل التسبيح الصّلاة ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : «إنّ للّه في السّموات السبّع ملائكة يصّلون ، وإنّ عمر بن الخطّاب قال له يا رسول الله : ما صلاتهم ، فلم يردّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ، فأتاه جبريل ، فقال له يا نبي الله : سألك عمر عن صلاة أهل السّماء ، قال: نعم ، فقال له : أقرئ على عمر السلام ، وأخبره أنّ أهل السّماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون : سبحان ذي الملك والملكوت ، وإنّ أهل السّماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون : سبحان ذي العزّة والجبروت ، وأهل السّماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون سبحان الحيّ الذي لا يموت ...»«[53]».

فنحن نرى من هذا النقل عن الإمام مكي أنّه عمد إلى تفسير لفظة التسبيح بمعنى الصّلاة ،وأكد ذلك بحديث نبوي دلّل به على إطلاق لفظ التسبيح بمعنى الصلاة .

[52] ــ سورة البقرة : الآية 30

[53] ــ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 223 ، والأثر أخرجه : الإمام الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط 1 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1420 هـ ـ 2000 م ، عن سعيد ابن جبير مرسلا ، ج 1 ، ص 472 ــ 473 .

في قوله تعالى :﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾«[54]» .

قال ــ رحمه الله ــ« قال: أي فجأة ، قال قتادة ذكر لنا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «إنّ السّاعة تهيج والرجل يصلح حوضه ، والرّجل يسقي ما شيته ، والرجل يقيم سلعته في السوق ، ويخفض ميزانه ويرفعه » ، وروى أبو هريرة أنّ النبي صلي الله عليه وسلم قال : «تقوم السّاعة والرّجلان قد نشرا ثوبهما يبيعانه فما يطويانه حتّى تقوم السّاعة ، وتقوم السّاعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه ، فما تصل إلى فيه حتّى تقوم السّاعة »«[55]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾«[56]».

قال:« قال ابن مسعود: بالبأساء الفقر ، والضّراء المرض »«[57]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾«[58]».

قال: قال مجاهد :المعنى ليس يؤمنوا ، وقال الرّبيع بن أنس كان في علمه عزّ وجّل يوم أقرّوا بالميثاق أنّهم لا يؤمنون ، وقال السدّي ذلك يوم أخذ منهم الميثاق ، فلم يكونوا ليؤمنوا الآن حقيقة »«[59]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾«[60]»

قال : « وروى أنس بن مالك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم صلّى نحو بيت المقدس تسعة أشهر

---

[54] ــ سورة الأعراف : الآية 187.

[55] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 4 ، ص 2663 ، الحديث أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ، باب طلوع الشمس من مغربها ، رقم 6141 ، ج 5 ، ص 2386

[56] ــ سورة الأنعام : الآية 42.

[57] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 4 ، ص 2456

[58] ــ سورة الأعراف : الآية 101

[59] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 4 ، ص 2475 ـ 2474 .

[60] ــ سورة البقرة : الآية 142

وعشرة أيّام بعد هجرته قال فبينما هو قائم يصّلي الظهر بالمدينة ، وقد صّلى ركعتين نحو بيت المقدس ، انصرف بوجهه إلى الكعبة فقال السفهاء : ما ولّاهم عن قبلتهم »«[61]».

ـ إيراده للإسرائيليات في تفسيره :

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾«[62]»

قال قال : وهب بن منبه « لما أراد إبليس من آدم عليه السّلام ما أراد دخل في جوف الحيّة ، وكان لها أربع قوائم كالختية ، فدخلت الجنّة وخرج إبليس إلى الشّجرة وأخذ منها ، وجاء إلى حوّاء فقال: انظري ما أطيب هذه الشّجرة وأحلاها وأحسن ريحها ، فأكلت منها ثمّ مضت إلى آدم ، فقالت له مثل ما قال إبليس فأكل منها ، فبدت له سوأته عند ذلك ، وقام فدخل في جوف الشّجرة ، فقال الله تعالى : يا حوّاء أنت التي غررت عبدي فإنّك لا تحملين حملا إلاّ حملته كرها ، ولا تضعين ما في بطنك إلاّ أشرفت على الموت ، ثمّ لعن الحيّة لعنة تحوّلت قوائمها في بطنها ، وجعلها عدوة لبني آدم تهلكهم إذا لدغت أحدهم ، ويقتلونها إذا ظفروا بها »«[63]»

عنايته بالناسخ والمنسوخ :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾«[64]».

قال ـ رحمه الله ـ«[65]»« ... وقال قتادة أمروا ألاّ يقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّى يبدؤوهم ، ثمّ نسخ ذلك بقوله « وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة » أي لا يكون شرك ، وكون الدين للّه أي

---

[61] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 476 ، والأثر أخرجه : الإمام الطبري في تفسيره ، رقم 2155 ، ج 3 ، ص 135 .

[62]ـ سورة البقرة : الآية 36 .

[63] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 237 .

[64]ـ سورة البقرة :الآية 191 .

[65]ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 637

يقال لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله ...، وقال مجاهد الآية غير منسوخة ، ولا يحل لأحد أن يقاتل في الحرم أحدا إلاّ أن يبدأه بذلك فيقاتله ، واحتّج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة« إنّ مكة حرام بحرمة الله لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي»«[66]» ، وأكثر النّاس على أنّها منسوخة ، وأنّ المشركين يقاتلون في كلّ موضع بقوله :﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾«[67]».

التفسير اللغوي عند مكي :

لقد حظي التفسير اللغوي عند مكي في كتابه الهداية بعناية فائقة ، فقد احتفى به وتجلّى ذلك في حرصه على بيان معاني المفردات القرآنية ، وبيان أصول اشتقاق الكلمات ، ومعاني الحروف ، وإعرابه للكلمات القرآنية ، وسأضرب أمثلة توضح ذلك :

بيانة المفردات :في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾«[68]».

قال مكي ــ رحمه الله ــ :« ومعنى حنيفا مائلا عن الكفر إلى الإيمان ، وقيل الحنيف الحاج ، وقيل الحنيف المخلص »«[69]».

---

[66] ــ أخرجه البخاري : كتاب الحج ، باب لا يحل القتال بمكة ، رقم1737 ، ج 2 ، ص 651 ، ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ .

[67] ــ سورة التوبة : الآية 5

[68] ــ سورة البقرة : الآية 135 .

[69] ــ الهداية في بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 464

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾«[70]».

قال ــ رحمه الله ــ « وبكّة حول البت مع الطّواف من قولهم بكّه إذا زحمه ، فسميت بذلك البقعة للازدحام الذي يكون فيها وما عدا ذلك في خارج المسجد مكة ، قال ابن شهاب :بكة البيت والمسجد ، ومكة الحرم كلّه ، وقال مالك بكة موضع البيت ، ومكة غيرها من المواضع ، قال ابن القاسم يريد القرية ، وروي عن ابن وهب أنّه قال : بكة موضع البيت ، ومكة ما حول البيت من المواضع ...»«[71]».

بيان معاني الحروف :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾«[72]»«قال : أي واذكر إذ أخذ الله ، واللاّم في لما لام تأكيد ، وما بمعنى الذي في موضع رفع بالابتداء ، ومن لبيان الجنس ، والهاء محذوفة من آتيناكم ، ومن كتاب وحكمة الخبر هذا مذهب الخليل وسيبويه ، وأجاز الأخفش أن يكون الخبر لتؤمنن به ، وهذا لام قسم ، كأنّه قال : والله لتؤمنن به ، وقال الكسائي ما للشرط ، وهي في موضع نصب ، واللّام لام تأكيد كما تقول ، واللّه لئن زيدا ضربت لأضربنّك ، ومن كسر اللاّم في لما فهي لام الجرّ ، أي أخذ الميثاق الذي أتاهم من كتاب وحكمة ، ويكون لتؤمنن من أخذ الميثاق ، وكأن تقول : لأخذت ميثاقك لا تفعلن »«[73]».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[70] ـ سورة آل عمران : الآية 96

[71] ـــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 107

[72] ـــ سورة آل عمران : الآية 81

[73] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 2 ، ص 1062

عنايته ببيان اشتقاق أصول الكلمات :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾«[74]» .

قال ــ رحمه الله ــ :« اختلف في اشتقاق آدم ، فقال فيه ابن عبّاس آدم ، لأنّه خلق من أديم الأرض ، وقال قطرب آدم أفعل من الأدمة ، وقيل هو أفعل من أدمت بين الشيئين أي خلطتهما ... وقال الطّبري هو فعل ماض رباعي سمي به الشخص ...»«[75]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾«[76]».

قال ــ رحمه الله ــ :« ومعنى يستنبطونه منهم أي يبحثون عن صحته ، ويستخرجونه ، والهاء والميم في منهم تعود على أولي الأمر ، أي ليعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه ، أي يبحث عن صحتها ويستخرجها ، يقال استنبطت الركية استخرجت ماءها ، وسمي النبط نبطا لاستنباط الماء أي استخراجهم الماء ، والنبط الماء المستخرج من الأرض ...»«[77]».

عنايته بإعراب الكلمات القرآنية :

اهتمّ مكي ــ رحمه الله تعالى ــ بناحية الإعراب في تفسيره ، إلاّ أنّه لم يتوسع بشكل مستفيض في ذلك ، خشية الإطالة في الكتاب ، كما أنّه أفرد إعراب القرآن الكريم بمصنّف خاص ، وهو المشكل في إعراب القرآن ، وقد نبّه هو في مقدمته على ذلك ، حيث قال :« قدّمت في أوّله نبذا من علل النحو وغامض الإعراب ، ثمّ خفّفت ذكر ذلك فيها ، لئلا يطول الكتاب ، ولأني قد

[74] ــ سورة البقرة : الآية 31 .

[75] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 266

[76] ــ سورة النّساء : الآية 83

[77] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 2 ، ص 1399

أفردت كتابا مختصرا في شرح مشكل الإعراب خاصة »«[78]» ، ومن أمثلة تناوله لإعراب بعض الكلمات :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾«[79]».

قال ــ رحمه الله ــ «رفعت الموفون على العطف على «من» في قوله: «ولكن البرّ من آمن » أي : ولكن البّار من آمن على قراءة من خفّف أو شدّد ، وبعده الصّابرين هو نصب على المدح ، وقيل الموفون رفع على إضمار مبتدأ ، وهم الموفون تجعله مدحا للمضمرين داخلا في صلة من ، وتنصب الصّابرين على العطف على ذوي القربى ، أو على أعني ، وأجاز الكسائي رفع الموفون على العطف على من في قوله :« ولكن البّر من آمن » ، وتنصب الصّابرين على العطف على ذوي القربى ، وهو خطأ لأنّه يفرّق بين الصّلة والموصول ، فيعطف على الموصول ، ثمّ يعطف بعده على ما في الصّلة ، فيفرّق بين الصّلة وهي الصّابرين والموصول وهو من بالموفون ، وليس بداخل في الصّلة إنّما هو معطوف على الموصول ، وقيل إنّ الموفون عطف على المضمر في آمن والصّابرين عطف على ذوي القربى ، أو على أعني المدح ، وقيل إنّ الصّابرين عطف على السّائلين ، ومعنى الكلام والذين لا ينقضون عهد الله بعد المعاهدة ، ولكن يوفون به ...»«[80]»

اعتناؤه بالقراءات القرآنية و توجيهها

يعدّ الإمام مكي ــ رحمه الله ــ من أساطين علم القراءات ، فقد ضرب فيه بسهم وافر ، تجّلى ذلك في مصّنفاته التي خصّصها لهذا العلم الجليل من علوم الشريعة الغرّاء ، إضافة إلى كونه مقرئا ، فقد تلقى القراءات القرآنية في القيروان ومصر على شيوخ هذا الفنّ وعلمائه، وقد ترك بصمة هذا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[78] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 73 .

[79] ــ سورة البقرة : الآية 177.

[80] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 561 ــ 562 .

العلم في تفسيره ، فإنّه في معرض تفسير الآيات اهتّم بذكر القراءات القرآنية المختلف فيها بين القرّاء ، وعزوها إلى أصحابها من سواء كانت من المتواتر ، أو الشّاذ ، ثمّ يقوم بعدها بتوجيهها ،

وتعليلها ، وبيان الأثر المترتب عن الاختلاف في تلك القراءة سواء من ناحية الإعراب ، أو الفقه ، وسأورد أمثلة عن ذلك :

في تفسير قوله تعالى :﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾«[81]».

قال ــ رحمه الله ــ :« وقرأ ابن عبّاس ومجاهد وعيسى بن عمرو ، وابن كثير أأن يؤتى بالاستفهام ، معناه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ؟ ولا يؤمنون ؟ مثل: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾»«[82]» أي : من أجل هذا قال كذا وكذا ...»«[83]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾«[84]».

قال: ـ رحمه الله ـ « وجه من قرأ بالإسكان في يؤده وشبهه أنّها لغة العرب يسكّنون الهاء كما يسكّنون الميم في أنتم ... وبعض النحويين لا يجيزه إلاّ في الشعر ، وبعضهم يمنعه البتة ، وعدّ المبّرد إسكان الهاء لحنا ، وقيل أسكنت الهاء على التّوهم أنّ الجزم عليها وقع ، وقد روي عن أبي عمرو الاختيار ، وهو اختيار أهل النظر ...»«[85]».

---

[81] ــ سورة آل عمران : الآية 73 .

[82] ــ سورة القلم : الآية 14

[83] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج2 ، ص 1046

[84] ــ سورة آل عمران : الآية 75.

[85] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 2 ، ص 1051

في قوله تعالى :﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾«[86]».

قال ــ رحمه الله ــ :«من قرأ بالتاء ردّه على المخاطبة في كنتم خير أمة تفعلون وتصنعون ، ومن قرأ بالياء ، ردّه على الإخبار في قوله : أمة قائمة يتلون آيات الله ويفعلون كذا وكذا ، ثمّ قال وما تفعلوا من خير ، والياء فيها تحضيض لهؤلاء المذكورين ، والتاء فيها عموم لجميع الأمة واختار الطّبري ، وغيره التاء ...»«[87]».

فهذه الأمثلة وغيرها تعطينا تصورا عن اعتنائه بالقراءات القرآنية وإيراده لها في تفسيره ، مع توجيهها وتعليلها ، وبيان أثرها في تفسير النّص القرآني من ناحية توسع المعاني التي تضيفها القراءات ، أومن ناحية الأحكام الفقهية المترتبة عن الاختلاف في القراءة ، أو بيان أوجه الإعراب المتعددة على حسب القراءات الواردة .

من خلال هذه الجولة والإطلالة في تفسير مكي ـ رحمه الله ـ التي قصدت فيها تحديد الاتجاه العام الغالب في تفسيره اتضّح لي أنّ الاتجاه العام الغالب عليه هو الاتجاه الأثري وذلك بيّن من خلال الخطوات التي سار عليها في تفسيره من اهتمامه بطرق التفسير بالمأثور تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة النبوية ، وتفسير القرآن بأقوال الصّحابة والتابعين ، وعنايته بأسباب النزول ، وبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن ، لكنّه بالإضافة إلى ذلك وظّف الرأي المحمود في تفسيره المتجّلي في تعرضه للقضايا النحوية ، وتناوله لبعض القضايا البلاغة ، وعنايته بتوجيه القراءات القرآنية وتعليلها ، وتتناوله للمسائل العقدية ، والأحكام الفقهية ، وإيراده لمذاهب الفقهاء ، ومن ثمّ فإنّه يخطئ من يعدّ تفسيره تفسيرا أثريا محضا ، كما ذهبت إليه الدكتورة وسيلة بلعيد في كتابها التفسير واتجاهاته بإفريقيا من النشأة إلى القرن الثامن ، ومن بعدها الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني في رسالته التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا ، وهما في ذلك مقلدين للتقسيم الفنّي الذي

86 ــ سورة آل عمران : الآية 115

87ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 1102 .

دأب عليه المعتنون بالدراسات التفسيرية والقرآنية في تصنيفهم للمفسّر ضمن المفسرين بالمأثور بناء على عنايته بالآثار والإكثار من المنقول في تفسيره ، والمفسّر بالرأي هو من لا يحتفي بالآثار ولا يكثر منها وإنّما يعتني باستنباط الأحكام وتفسير الآي بناء على إعمال النظر والفكر المنبثق من الاجتهاد العلمي المؤصل الذي لا يتعارض مع اللغة ، أو الشرع، لكنّ الأصح أن نقول إنّ المفسّر يعد من أصحاب المأثور إذا جرّد تفسيره من كل الآراء ما عدا الآثار والأحاديث كتفاسير السلف الأوائل من أمثال عبد الرّزاق الصنعاني ، وسفيان الثوري ، وأمّا إذا أقلل المفسّر من الآثار والأحاديث في تفسيره ، وغلّب إعمال النظر المنضبط وفق أصول التفسير وقواعد الاستنباط الذي لا يتعارض مع العقل والنقل واللغة ، فإنّنا نقول إنّ المفسّر الفلاني مقلّ من الجانب الأثري في تفسيره ، ولا نخرجه من دائرة التفسير بالمأثور البتة ، وهذا الكلام ينطبق على الإمام مكي ــ رحمه الله ــ ، فإنّنا لا نمكن أن نقول عنه إنّ الاتجاه الغالب عليه هو الاتجاه الأثري ، لأنّه أكثر الاعتناء بذلك ، ونخرجه من دائرة التفسير بالرأي المحمود مع أنّه قد اهتمّ واعتنى به ، وعليه ، فالذي أقول به إنّ الاتجاه الغالب عليه هو الاتجاه الأثري واللغوي .

ولقد ظهرت في هذا القرن كتب عديدة في التفسير تنوّعت اتجاهاتها وتباينت مناهجها ، فمنها ما مزج أصحابها بين عدّة اتجاهات كتفسير الإمام أبي العبّاس المهدوي (ت 440هـ) الذي جمع في تفسيره بين الاتجاه الأثري واللّغوي والفقهي ،ومنها ما اختّص بالاتجاه الفقهي المعتني بآيات الأحكام كالإمام أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الباغاني (ت 401 هـ) الذي صنّف أحكام القرآن ، ومنهم من نحا مسلك اختصار أمهات التفسير بالمأثور كما فعل الإمام أبو المطرف عبد الرحمان بن هارون الأنصاري القنازعي (ت 413هـ) عندما اختصر تفسير الإمام يحي بن سلّام ، والإمام أبو يحي محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي (ت 419 هـ) الذي اختصر تفسير الإمام الطبري ، والإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد اللّه النحوي المعروف بابن اللّحاش (ت490 هـ) له اختصار على تفسير الإمام الطبري ، وغيرها من الكتب التي وضعت في هذا القرن .

المطلب الثاني : التفسير في القرن السادس :

بعد الحديث عن اتجاه التفسير في القرن الخامس ، سأنتقل للحديث في هذا المطلب للحديث عن اتجاه التفسير في القرن السادس ببلاد المغرب ، وسأجعل حديثي مقتصرا على المفسرين الذين خصصتهم و عنيتهم بالدراسة في هذا البحث . وبناء على ذلك فهذا المطلب سيكون مخصصا للكلام عن تفسير الإمام ابن عطية الأندلسي الموسوم ب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ».

الفرع الأول :التعريف بالإمام ابن عطية :

قبل الخوض في بيان ملامح اتجاه التفسير في كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية ارتأيت أن أتعرض لترجمته . وذلك بإعطاء نبذة عن سيرته وحياته . وذلك للوقوف على تكوينه وعوامل نشأته التي لاريب سيكون لها أثر كبير على تأليفه وتصنيفه.

ترجم للإمام ابن عطية كثير من أصحاب السير والطبقات ، وممّا أوردوه في شأن اسمه و نسبه و مولده ونشأته ، قولهم :

هو القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرّحمان بن عطية المحاربي من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ولد سنة 480 هـ ، ونشأ في بيت علم ، فأبوه من أعيان العلماء بغرناطة ، فاغترف من بحر أبيه أوّلا ، ثمّ سمع من شيوخ بلده ، فروى عن أبي علي الغسّاني ، ومحمد بن فرج ، وأبي محمد بن عتّاب، والصّدفي ،وأبي المطرّف الشعبي ، وأبي الحسن بن البيان ، وأبي القاسم بن الحصار،

وغيرهم ، وروى عنه العلم أبو بكر بن أبي جمرة ، وأبو محمد بن عبد الله ، وأبو القاسم بن حبيش ، وغيرهم «[88]».

قال ابن بشكوال فيه :«كان واسع المعرفة ، قوي الأدب متفننا في العلوم ، أخذ النّاس عنه ، »«[89]» ، وقال لسان الدين بن الخطيب « كان عبد الحق فقيها عالما بالتفسير ، والأحكام والحديث ، والفقه ، والنحو ، والأدب ، مقيّدا حسن التقييد ، ولي القضاء بمدينة ألمرية في المحرّم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان غاية في الذكاء ، والدّهاء ، والتهم بالعلم، سري الهمة في اقتناء الكتب ، توخى الحق ، وعدل في الحكم ، وأعزّ الخطّة ... توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بمدينة لورقة ، قصد مرسيّة يتولى قضاءها ...»«[90]».

ـ الفرع الثاني التعريف بكتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :

قدّم الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ بمقدمة لتفسيره تحدّث فيها عن الدوافع والأسباب التي دعته لوضع هذا التفسير ، وذاك أنّه لما رأى العلم فنونا وأودية متشعبة ينبغي أن يأخذ العالم من كل فنّ منها بطرف ، ثمّ بعد ذلك يختار فنّ يميل ويركن إليه توسعا وتبحرا ، وأنّه لما أجهد نفسه وأتعبها في تحصيل جملة من فنون العلم ، قرّر أن يختار بعدها علما ينظر إليه ويختص فيه اختار علم التفسير لأنّه أشرف العلوم وأجلها لتعلقه بكتاب الله تعالى ، علاوة على فضله في تقريب العبد من ربّه ، وتخليصه من اتباع الباطل ، وحضّه على فعل الخيرات وملازمة الأعمال الصالحات ، ثمّ إنّه بعد أن عقد العزم على الولوج في هذا الميدان رأى أن يقيد ما يفتح عليه من الفهم في كتاب الله حتّى لا تضيع ، فتفرغ لتعليق يلمّ هذه النكات والفوائد ، حتّى لا تذهب ، وقد توخى في هذا

[88] ــ ينظر: ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين بن الخطيب ، ط 2 ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1988 م ، ج 3، ص 539 ــ 540 ، والصلة لابن بشكوال ،ج 1 ، ص 367 ــ 368 .

[89] ــ الصلة : ج 1، ص 367

[90] ــ الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 3، ص 540 .

التعليق الذي وضعه مقاصد وأهداف ، قال في ذلك :« ففزعت إلى تعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير ، وترتيب المعاني ، وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا لا أذكر من القصص إلاّ ما لا تنفك الآية إلاّ به ، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلق السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز ، وأهل القول بعلم الباطن ، وغيرهم ، فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظّن بهم للفظ ينحوا إلى شيء من أغراض الملحدين نبّهت عليه وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة الألفاظ من الآية من حكم أو أحكام ، أو لغة أو معنى أو قراءة ، وقصدت تتبع الألفاظ حتّى لا يقع طفر كما في كثير من كتب التفسير ، ورأيت أنّ تصنيف الناس كما صنع المهدوي ــ رحمه الله ــ مفرّق للنظر ، مشعّب للفكر ، وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها ، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي ، وعلى غاية من الإيجاز ، وحذف فضول القول »«[91]»

في هذه المقدمة أوضح الإمام ابن عطية المقاصد التي توّخاها في وضع الكتاب مع بيان المنهج والخطة التي سار عليها في تسويد هذا السفر الجليل من كتب التفسير ، وهو في هذا الكتاب كان له جملة من المصادر استقى منها واغترف شأنه شأن غير من أئمة التفسير ، إلاّ أنّه لم يورد في مقدمته الكتب التي استعان بها وأنارت له سلوك هذا الطرق ، إلاّ أنّه بالقراءة فيه والوقوف على الدراسات والرسائل العلمية التي أقيمت حوله، يقف الباحث على جملة من المصادر عوّل الشيخ عليها ونقل منها تارة بالتصريح ، وتارة من غير تصريح ، فمن أهمّ كتب التفسير التي نقل عنها تفسير الطبري ، وتفسير أبي بكر النقاش ،وتفسير مكي بن أبي طالب القيسي ، وتفسير أبي العباس المهدوي ، وغيرها من المصادر الأصيلة في القراءات والحديث واللغة ، ولقد لقي تفسير ابن عطية استحسانا في أوساط العلماء والمفسّرين فأثنوا عليه جميل الثناء ، واستجادوا صنعه ، وطارت

[91] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط1 ، تحقيق عبد السّلام عبد الشافي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993 م ، ص 34 ــ 35.

نسخه في مختلف الأقطار والأمصار وتدارسوه ونقلوا منه ، وقد بقيت شهادة هؤلاء الأعلام لهذا العالم وتفسيره ، فممّا حفظ قول ابن الابار (ت 685 هـ) :« وتأليفه في التفسير جليل الفائدة كتبه الناس كثيرا وسمعوه منه وأخذوه عنه »«[92]» ، وقال لسان الدين ابن الخطيب « ألّف كتابه المسمّى بالوجيز في التفسير ، فأحسن فيه وأبدع ، وطار بحسن نيته كل مطار »«[93]» ، وقال ابن جزي ــ رحمه الله ــ « وأمّا ابن عطّية فكتابه في التفسير أحسن تفسير وأعدلها ، فإنّه اطّلع على تآليف من كان قبله فهذّبها ولخّصها ، وهو مع ذلك حسن العبارة ، مسدّد النظر محافظ على السنة »«[94]» ، وقد تكّلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسير ابن عطية بكلام العلماء المنصفين فأثنى عليه في الشكل العام ، لكنّه انتقده في تقليده للمتكلمين في تقرير أمور العقيدة ، وجريه على أصول الأشاعرة في مبحث الصفات الشبيه بأصول المعتزلة في بعض الجزئيات، فقال :« وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة ، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجه لكان أحسن وأجمل ، فإنّه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري ــ وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدرا ــ ثمّ إنّه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ، ويذكر ما يزعم أنّه قول المحققين ، وإنّما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرّوا أصولهم بطرق من جنس ما قرّرت به المعتزلة أصولهم ، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة ، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ، ويعرف أنّ هذا من جملة التفسير على المذهب »«[95]» .

---

[92] ــ ينظر: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ابن الآبار) ، بيروت ــ دار صادر ــ 1985 م ،ج1 ، ص 261

[93] ــ الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج3 ، ص 540 .

[94] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 18

[95] ــ ينظر : شرح مقدمة في أصول التفسير لا بن تيمية ، مساعد الطيّار ، ص 145.

الفرع الثالث :الاتجاه العام لتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)

إذا ما جئنا نستبين الاتجاه الذي طبع تفسير الإمام ابن عطية ، نجد أنفسنا ملزمين بالوقوف على مقدمته التي استفتح بها تفسيره ، ففي المقدمة عادة تذكر الخطوط العريضة التي يسير عليها المصنّف في كتابه ، ويوضح فيها المنهج العلمي الذي ارتضاه المصنّف لنفسه ، وعملا بذلك ، فإنّ الوقوف عند مقدمته ، يجلي لنا بوضوح الاتجاه المطبوع به تفسيره ، ومن جملة ما قرّره فيها قوله :« وأثبت أقوال العلماء في المعاني المنسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرّموز ، وأهل القول بعلم الباطن ، وغيرهم ، فمتى وقع لأحد من أهل العلم الذين قد حاوزا حسن الظنّ بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين نبّهت عليه وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم أو نحو أو لغة أو معنى أو قراءة ، وقصدت تتبع الألفاظ حتّى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسّرين ...»«[96]».

إنّ هذا النّص المقتطف من مقدمة الإمام ابن عطية يوقفنا على أغلب الاتجاهات الكبرى التي برزت في تفسيره ، ففي قوله « وأثبت أقوال العلماء في المعاني المنسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصّالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى ...» إشارة منه ـ رحمه الله ـ إلى سلوكه للمنهج الأثري في تفسيره القائم على تفسير نصوص القرآن بالقرآن ، أو بالسنة النبوية ، أو بأقوال الصحابة ، أو التابعين من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين ، وهذا يعني بروز الاتجاه الأثري في تفسيره ، ثمّ إنّ الدراسة التطبيقية لبعض النماذج المأخوذة من كتابه توقفنا على ذلك :

---

[96] ـــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1 ، ص 35

ففي تفسير قوله تعالى :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾«[97]».

قال ـــ رحمه الله ـــ « واختلف المتأولون في معنى قوله تعالى :«لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة وجمهور المتكلمين المعنى لكلّ أمة منكم جعلنا شرعة ومنهاجا أي لليهود شرعة ومنهاج ، وللنّصارى كذلك ، وللمسلمين كذلك ، قال القاضي أبو محمد وهذا عندهم في الأحكام وأمّا في المعتقد ، فالدين واحد لجميع العالم توحيد ، وإيمان بالبعث وتصديق الرسّل ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عددا من الأنبياء شرائعهم مختلفة ، ثمّ قال لنبيّه صلّى الله عليه وسلم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾«[98]» ، فهذا عند العلماء في المعتقدات فقط ، وأمّا في أحكام الشرائع ، فهذه الآية هي القاضية فيها ، قال القاضي أبو محمد : والتأويل الأول عليه النّاس ...»«[99]».

وفي تفسير قوله تعالى :﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾«[100]».

قال ــ رحمه الله ــ «[101]»وقوله وعلى الله قصد السبيل هذا أيضا من أجلّ نعم الله تعالى أي على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه ، وذلك نصب الأدلة وبعث الرسل ، وإلى هذا ذهب المتأولون ، ويحتمل أن يكون المعنى أن مرسلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيمه طريقه وإلى ذلك مصيره فيكون هذا مثل قوله تعالى :﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾«[102]»

[97] ــ سورة المائدة : الآية 48
[98] ــ سورة الأنعام : الآية 90
[99] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 2 ، ص 201
[100] ــ سورة النحل : الآية 9
[101] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 381
[102] ــ سورة الحجر : الآية 41

وفي تفسير قوله تعالى﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾«[103]»

قال: ــ رحمه الله ــ « ... وقال غيره المعنى استعينوا بالصّبر عن الطّاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله ، وبالصّلاة على نيل الرّضوان ، وحطّ الذنوب وعلى مصائب الدّهر أيضا ، ومنه الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر فزع إلى الصّلاة«[104]» ، ومنه ما روي أنّ عبد الله بن عبّاس نعي إليه أخوه قثم ، وهو في سفر فاسترجع ، وتنحى عن الطّريق ، ثمّ انصرف إلى راحلته وهو يقرأ :«وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ»«[105]».

وفي تفسيره قوله تعالى :﴿ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾«[106]».

قال ــ رحمه الله ــ :« والمنّ صمغة حلوة هذا قول فرقة ، وقيل هو عسل ، وقيل شراب حلو ، وقيل الذي ينزل اليوم على الشجر ، وقيل المنّ خبز الرقاق مثل النقي ، وقيل هو الرنجبين ، وقيل الزنجبيل وفي بعض هذه الأقوال بعد ، وقيل المنّ مصدر يعني به جميع ما منّ الله به مجملا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب مسلم «الكمأة ممّا منّ الله به على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين »«[107]».

---

[103] ــ سورة البقرة : الآية 45

[104] ــ أخرجه الترمذي ، باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم 3524 ، ج 5 ، ص 539 . عن أنس رضي الله عنه .

[105] ــ المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1 ، ص 137 ــ 138

[106] ــ سورة البقرة : الآية 57

[107] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1 ، ص 129 .، الحديث أخرجه مسلم : كتاب الأشربة ، باب فضل الكمأة ومداوة العين بها ، رقم 2049 ، ج 3 ، ص 1619 ، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه .

في تفسير قوله تعالى﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾«[108]» .

قال ــ رحمه الله ــ :« وروي عن ابن مسعود أنّ معنى الآية كلمّا صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم ، وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد مبارك ، وإذا نزلت بهم مصيبة ، أو أصابتهم شدّة سخطوا ، وثبتوا في نفاقهم »«[109]»

وفي تفسير قوله تعالى :﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾«[110]» قال :« واختلف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين ، فقال ابن عبّاس وابن مسعود ومجاهد ، فالمعنى كنتم أمواتا معدومين قبل أن تخلقوا دارسين ، كما يقال للشيء الدّارس ميّت ، ثمّ خلقتم ، وأخرجتم إلى الدنيا ، فأحياكم ، ثمّ أماتكم الموت المعهود ، ثمّ يحييكم للبعث يوم القيامة ، وقال آخرون كنتم أمواتا بكون آدم من طين ميّت قبل أن يحي ، ثمّ نفخ فيه الروح فأحياكم بحياة آدم ، ثمّ يميتكم ، ثمّ يحييكم على ما تقدّم ، وقال قتادة كنتم أمواتا في أصلاب آبائكم ، فأخرجتم إلى الدنيا ، فأحياكم ، ثمّ كما تقدّم ...»«[111]» .

فهذه النماذج وأمثالها تظهر لنا عناية الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ بالمنهج الأثري في تفسيره وسلوكه له ، وقد تنوعت مظاهر استخدام هذا المنهج في كتابه وتعددّت أساليبه في توظيفه له ، تارة بالاستدلال على معاني الألفاظ القرآنية وغريبها ، أو ببيان أصول الكلمات واشتقاقها وأخرى بتوضيح بعض النصوص ، ومرّة ببيان بعض الأحكام العقدية أو الشرعية المستنبطة من الآية ، ومن خصائصه في استعمال هذا المنهج هو الاختصار وحذف الأسانيد على غرار ما كان عليه الأوائل من المفسّرين الذين اعتنوا بإيراد الأسانيد كاملة .

---

[108] ــ سورة البقرة : الآية 20.

[109] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ج 1، ص 105

[110] ــ سورة البقرة : الآية 28

[111] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1 ، ص 114 ــ 115 .

وفي قوله ــ رحمه الله ــ :«وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم أو نحو أو لغة أو معنى أو قراءة ...» في هذه الفقرة نقف على اتجاه آخر سلكه الإمام ابن عطية في تفسيره ، وهو الاتجاه اللغوي ، ولا يخف على مشتغل بالتفسير مكانة اللغة في تفسير القرآن الكريم ، ومن ثمّت فإنّ الإمام ابن عطية قد اعتنى في تفسيره ببيان مدلولات الألفاظ ، وبيان أصول الكلمات واشتقاقها ، وإعراب الكلمات ، وسأورد بعض النماذج التي توضح ذلك وتبيّنه :

في تفسير قوله تعالى :﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾«[112]» قال : « والتوراة والإنجيل اسمان أصلهما عبراني ، لكنّ النحاة وأهل اللسان حملوها على الاشتقاق العربي فقالوا في التوراة إنّها من وري الزناد يري إذا قدح وظهرت ناره يقال أوريته فوري ومنه قوله تعالى :﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾«[113]» وقوله :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾«[114]» قال أبو علي : فأمّا قولهم وريت بك زنادي على وزن فعلت ، فزعم أبو عثمان أنّه استعمل في هذا الكلام فقط ، ولم يجاوز به غيره ، وتوراة عند الخليل وسيبويه وسائر البصريين فوعلة كحوقلة ، وورية قلبت الواو الأولى تاء كما قلبت في تولج ، وأصله ولج من ولجت ، وحكى الزجاج أنّ توراة أصلها تفعلة بفتح العين من وريت بك زنادي ، وإنّما ينبغي أن تكون من أوريت قال فهي تورية ، وقال بعضهم يصلح أن تكون تفعلة بكسر العين مثل توصية ، ثمّ ردّت إلى تفعلة بفتح العين قال الزجاج وكأنّه يجيز في توصية توصأة ، وذلك غير مسموع ، وعلى كل قول ، فالياء لما انفتح ما قبلها ، وتحرّكت هي انقلبت ألفا فقيل توراة ، ورجّح أبو علي قول البصريين ...»«[115]».

---

[112] ــ سورة آل عمران : الآية 3

[113] ــ سورة العاديات : الآية 2

[114] ــ سورة الواقعة : الآية 71

[115] ــ المحرر الوجيز ، ج 1 ، ص 398

في تفسير قوله تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾«[116]»

قال ابن عطية ــ رحمه الله ــ « والخيل جمع خائل عند أبي عبيدة سمي بذلك الفرس لأنّه يختال في مشيه فهو كطائر وطير ، وقال غيره هو اسم جمع لا واحد له من لفظه ، واختلف المفسرون في معنى المسومة فقال سعيد بن جبير وابن عباس وعبد الله بن عبد الرحمان بن أبزى والحسن و الربيع و مجاهد معناه الراعية في المروج والمسارح تقول سامت الدابة أو الشاة إذا سرّحت وأخذت سومها من الرعي أي غاية جهدها ، ولم تقصر عن حال دون حال وأسمتها أنا إذا تركتها لذلك ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «في سائمة الغنم الزكاة »«[117]» ... وروي عن مجاهد أنّه قال المسوّمة معناه المطهمة الحسان ، وقاله عكرمة سومها الحسن ، وروي عن ابن عباس أنّه قال : المسومة معناه المعلمة سمات الخيل في وجوهها ، وقاله قتادة ، ويشهد لهذا القول بيت لبيد:

وغداة قاع القرنتين أتينهم   رهوا يلوح خلالها التسويم «[118]»

وأمّا قول النابغة : بسمر كالقداح مسومات   عليها معشر أشباه جن

فيحتمل أن يريد المطهمة الحسان ، ويحتمل أن يريد المعلمة بالشيات ، ويحتمل أن يريد المعدة ...»«[119]».

---

[116] ــ سورة آل عمران : الآية 14

[117] ــ أخرجه البخاري : كتاب الزكاة ، باب زكاة الغنم ، رقم 1386 ،ج 2 ، ص 527، ـ عن أنس رضي الله عنه ـ.

[118] ــ ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، د ط ، بيروت ـ دار صادر ، د ت ، ص 157 .

[119] ــ ينظر : المحرر الوجيز ، ج1 ، ص 414 .

في تفسير قوله تعالى :﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾«[120]».

قال ــ رحمه الله ــ : وأمّا إعراب ها أنتم هؤلاء فابتداء وخبر ، وحاججتم في موضع الحال لا يستغنى عنها ... ويحتمل أن يكون هؤلاء بدلا أو صفة ، ويكون الخبر حاججتم ، وعلى مذهب الكوفيون حاججتم صلة لأولاء ، والخبر في قوله : فلم تحاجون »«[121]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾«[122]».

قال ــ رحمه الله ــ: « وقوله من استطاع إليه سبيلا من في موضع خفض بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل ، وقال الكسائي ، وغيره هي شرط في موضع رفع بالابتداء ، والجواب محذوف تقديره من استطاع فعليه الحج ، ويدل عليه حذف الشرط الآخر بعده في قوله : ومن كفر ، وقال بعض البصريين من رفع على أنّه فاعل بالمصدر الذي هو حج البيت ، ويكون المصدر مضافا إلى المفعول ...»«[123]» .

فهذه النماذج والأمثلة التي ذكرتها تعطينا صورة واضحة عن اهتمام الإمام ابن عطية بالجانب اللغوي وبروز هذا الاتجاه في تفسيره سواء فيما تعلق ببيان أصول الكلمات واشتقاقها ، أو بيان غريب القرآن والاستشهاد بالأبيات الشعرية على تلك المعاني ، أو فيما تعلق بالإعراب وذكر مذاهب النحاة ، وقد ساعده على ذلك تضلعه في العربية وتبحره في علومها ، ولقد شهد له

---

[120] ــ سورة آل عمران : الآية 66 .

[121] ــ ينظر: المحرر الوجيز ،ج 1 ، ص 465 .

[122] ــ سورة آل عمران : الآية97

[123] ــ ينظر : المحرر الوجيز ، ج 1 ، ص 498

بذلك الأئمة ، فقد قال عنه الإمام السيوطي ـــ رحمه الله ــ مثنيا على تفسيره :« لقد أحسن ابن عطية في تفسيره ، وصار كتابه أحدث شاهد له بإمامته في العربية وغيرها »«[124]».

ولقد ظهرت في هذا القرن كذلك ، عدة كتب في التفسير تباينت اتجاهاتها وتنوعت مناهجها ، فمنهم من سلك الاتجاه الصوفي كالإمام عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال اللّخمي الإفريقي الإشبيلي الصوفي المعروف بابن برجان(ت 536 هـ) الذي صنّف تفسير سلك فيه الاتجاه الإشاري ، ومنهم من سلك الاتجاه اللغوي والفقهي كالإمام أحمد بن علي بن أحمد بن يحي بن أفلح بن رزقون بن سحنون المرسي (ت 542 هـ) فقد صنّف تفسيرا سلك فيه الاتجاه اللّغوي والفقهي ، والإمام أبو الحسن بن النعمة الأنصاري الأندلسي (ت 567 هـ)، الذي صنّف كتاب ريّ الظمآن في تفسير القرآن ومنهم من سلك الاتجاه الفقهي المعتني بآيات الأحكام ، كالإمام أبي بكر بن العربي المعافري الأندلسي (ت 543 هـ) الذي وضع كتابه أحكام القرآن .

المطلب الثالثالتفسير في القرن الثامن :

بعد الحديث عن اتجاه التفسير في القرن السادس، سأنتقل في هذا المطلب للحديث عن اتجاه التفسير في القرن الثامن ببلاد المغرب ، وسأجعل حديثي مقتصرا على المفسرين الذين خصصتهم وعنيتهم بالدراسة في هذا البحث، وبناء على ذلك فهذا المطلب سيكون مخصصا للكلام عن تفسير الإمام ابن جزي الغرناطي الموسوم ب «التسهيل لعلوم التنزيل » . وتفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي الموسوم ب «تفسير البحر المحيط» . و«تفسير الإمام ابن عرفة ».

---

[124]ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، المكتبة العصرية ، د ت ، ج 2، ص 73 .

الفرع الأول : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

قبل الخوض في بيان ملامح اتجاه التفسير في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي ارتأيت أن أتعرض لترجمته ، وذلك بإعطاء نبذة عن سيرته وحياته ، وذلك للوقوف على تكوينه وعوامل نشأته التي لاريب سيكون لها أثر كبير على تأليفه وتصنيفه.

ترجم للإمام ابن جزي كثير من أصحاب السير والطبقات ، وممّا أوردوه في شأن اسمه و نسبه و مولده ونشأته ، قولهم ::

هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة ، وذوي الأصالة والنباهة فيها ، كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصاد على الاقتيات من حرّ النشب ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظا ، قايما على التدريس مشاركا في فنون من العربية والفقه والأصول ، والقراءات والحديث والأدب ، حافظا للتفسير مستوعبا للأقوال جمّاعة للكتب ، ملوكي الخزانة ، حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن ، تقدمّ خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه ، فاتفق على فضله ، وجرى على سنن أصالته ، قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن ، وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الروّاية المكثر أبي عبد الله بن الكماد ، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد ، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن ، وعلى الروّاية المسنّ أبي الوليد الحضرمي ، وروى عن الشيخ الرواية أبي زكريا البرشاني ، وعن الروّاية الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري ...، وألّف الكثير في فنون شتّى منها كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، وكتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية ، وكتاب الدّعوات والأذكار المخرّجة من صحيح الأخبار ، وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ، وكتاب تقريب الوصول إلى علم

الأصول ، وكتاب النور المبين في قواعد عقايد الدين ، وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع ، وكتاب أصول القرّاء السّتة غير نافع ، وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة .

توفي ضحو يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة «[125]».

وبعد التعريف بالإمام ابن جزي وعرض شيء من ترجمته ارتأيت التعريف بكتابة قبل الشروع في تحديد ملامح اتجاه الكتاب :

وضع الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ مقدمة لتفسيره ضمّنها دوافع تأليفه للكتاب وبيان المنهج الذي سار عليه ، مع ذكر بعض المقدمات العلمية المهمة في علم التفسير ، فقال متحدثا عن الأسباب التي دعته لوضع الكتاب :«....فإنّ علم القرآن هو أرفع العلوم قدرا وأجلّها خطرا ، وأعظمها أجرا ، وأشرفها ذكرا ، وأنّ الله أنعم علي بأن شغلني بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه ، فاطّلعت على ما صنّف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف ، المتباينة الأصناف ، فمنهم من آثر الاختصار ، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض ، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال المفسرين ، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق ، وكل أحد سلك طريقا نحاه ، وذهب مذهبا ارتضاه ، وكلاّ وعد الله الحسنى ، فرغبت في سلوك طريقهم ، والانخراط في مسالك طريقهم ، وصنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وسلكت مسلكا نافعا ، إذ جعلته وجيزا جامعا »«[126]» .

ثمّ تحدّث بعدها عن المقاصد التي توخاها من وضع الكتاب ، والفوائد التي حوتها هذه المقاصد فقال : قصدت به أربع مقاصد : تتضمن أربع فوائد (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم ، في كتاب صغير الحجم ، تسهيلا للطالبين ، وتقريبا على الراغبين ، فلقد احتوى هذا الكتاب على

[125] ـ ينظر: ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ، ج 1 ، ص 352.

[126] ـ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 4.

ما تضمّنته الدواوين الطويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها ، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللّباب المرغوب فيه ، دون القشر المرغوب عنه ، من غير إفراط ولا تفريط ، ثمّ إنّي عزمت على إيجاز العبارة ، وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار ، الفائدة الثانية : ذكرت نكت عجيبة ، وفوائد غريبة ، قلّما توجد في كتاب لأنّها من بنات صدري ، وينابيع ذكري ، وممّا أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم ، أو ممّا التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة في غرائب الدفاتر ، الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات ، إما بحلّ العقد المقفلات ، وإمّا بحسن العبارة ، ورفع الاحتمالات ، وبيان المجملات ، الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح ...»[127] ثمّ ذكر التسمية التي ارتضاها لكتابه ، والمقدمات التي قدّم بها كتابه ، فقال :« وسميّته كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، وقدّمت في أوّله مقدّمتين : إحداهما : في أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ، والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة ...»[128].

والمقدمة الأولى التي أوردها تضمنت اثنا عشر بابا في علوم القرآن وأصول التفسير من جملة الأمور المهمة التي يحتاج إليها المفسر ، وتتوقف عليها العملية التفسيرية ، فذكر بابا في نزول القرآن وكيفيات تنزله ، ومراحل جمع القرآن ، وأسماءه ، ثمّ ذكر بابا في المكي والمدني ، وضوابط معرفته ، مع بيان موضوعاتهما ،وذكر المتفق فيه على أنّه مكي أو مدني ، والمختلف فيه ، ثمّ ذكر بابا في بيان المعاني والعلوم التي تضمنّها القرآن ، ثمّ ذكر بابا في فنون العلم التي تتعلق ، أي الأدوات التي تعين على تفسير القرآن كالقراءات والحديث ، واللغة ، حيث قال : «اعلم أنّ الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنّا من العلوم ، وهي التفسير ، والقراءات ، والأحكام ، والنسخ ، والحديث ، والقصص والتصوف ، وأصول الدين وأصول الفقه ، واللغة ، والنحو ، والبيان ...»

127ـ التسهيل لعلوم التنزيل: ج 1 ، ص 5
128ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 5

«[129]» ، ثمّ ذكر بابا في أسباب الخلاف بين المفسرين ، وطرق الترجيح بين أقوالهم ، ثمّ عقد بابا ذكر فيه المفسرين منذ زمن التابعين إلى زمانه ، مع بيان مصنفاتهم وأهم ما تميزت به هذ الكتب ، ليعقد بعدها بابا في الناسخ والمنسوخ ، ثمّ بابا في بيان القراءات المتواترة والشاذة ، وبعدها بابا في أحكام الوقف وأقسامه ، وكيفية معرفة كل قسم في القرآن ، ليعقد بعدها بابا في الفصاحة والبلاغة مبيّنا شروط الفصاحة ، متطرقا لبعض مواضع علم المعاني مبيّنا وأثرها في الكلام ، مشيرا بعدها إلى علم البيان ذاكرا البديع وأهم أنواعه الواقعة في القرآن والبالغة اثنين وعشرين نوعا ، ثمّ عقد بعد ذلك بابا في إعجاز القرآن مبيّنا فيه الوجوه التي كان بها القرآن معجزا ، ليختم المقدّمة الأولى بباب وضعه في فضائل القرآن وفضل أهله موردا الآثار الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك .

أمّا المقدمة الثانية فقد وضعها ــ رحمه الله ــ في تفسير الكلمات التي يكثر دورانها في القرآن الكريم جاعلا إيّاها كالأصول لمعاني التفسير ، متوخيا بهذا الجمع ثلاث فوائد ، حيث قال :« وإنّما جمعناها في هذا الباب لثلاثة فوائد : أحدها تفسيرها للحفظ ، فإنّها وقعت في القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها ، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير ، لما أنّ تآليف القرآن جمعت فيها الأصول المطّردة ، والكثيرة الدور ، والثالثة الاقتصار فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها ...»«[130]».

وبالجملة فالمقدمتان تعدّان من أصول التفسير وقواعده مهّد بهما كتابه تنبيها منه على ضرورة مراعاة هذه القواعد في العملية التفسيرية ، وضرورة إلمام المفسّر بها .

بعد الفراغ من الحديث عن كتاب الإمام ابن جزي أعرّج للحديث عن مقصود المطلب وهذا الفرع على وجه الخصوص وهو بيان وتحديد اتجاه الكتاب .

---

[129]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 9

[130] ــالتسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 21

إنّ المتصفح لتفسير ابن جزي يتضح له بجلاء أنّه سار ـ رحمه الله ـ في تفسيره على ما دأب عليه المتّأخرون من علماء التفسير في الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود أي الاجتهاد المبني على الضوابط والأسس العلمية المتعارف عليه في شروط هذا النوع من التفسير ، ولقد أشار في الباب الذي عقده في مقدمته لذكر المفسرين إلى جواز التفسير بالرأي المحمود لمن استحكم أدوات العلوم مجيبا عن الآثار الواردة في تشدد السلف وتورعهم عن تفسير القرآن بأنّ ذلك لمن تكلم في القرآن بغير علم ، حيث قال : ــ رحمه الله ــ « اعلم أنّ السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين ، فمنهم من فسّر القرآن وتكلم في معانيه ، وهم الأكثرون ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد في ذلك ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها :« ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسّر من القرآن الآيات إلاّ بعضا علمه إيّاهن من جبريل»«[131]»، وقال صلى الله عليه وسلم :«من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»«[132]» ، وتأوّل المفسّرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنّه مغيبات القرآن التي لا تعلم إلاّ بتوقيف من الله تعالى ، وتأول الحديث الآخر بأنّه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات ، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ، ونظر في أقوال العلماء المتقدمين ، ونظر في أقوال العلماء المتقدمين ، فإنّ هذا لم يقل في القرآن برأيه ...»«[133]».

ومن ثمّت فإنّ الإمام ابن جزي سار على هذا النهج في تفسيره ، حيث يبدأ تفسير الآية تفسيرا أثريا ، مستهلا ذلك ببيان معنى الآية بآية أخرى إن وجد ذلك ، وإلاّ طلب تفسيرها في السنة النبوية ، وإلاّ التمس ذلك في أقوال الصحابة أو التابعين متخيرا أصح الأقوال وأدّقها عنهم ، لينتقل بعدها للحديث عن الجوانب اللغوية والفقهية والأصولية التي تضمنّتها الآية معملا في ذلك

[131] ــ أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج 1 ، ص 39.

[132] ــ أخرجه أبوداود : باب الكلام في كتاب الله بغير علم ، رقم 3654 ، ج 3 ، ص 358 ، عن جندب ـ رضي الله عنه ـ

[133] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 13.

رأيه واجتهاده في استنباط هذه الأحكام وتوجيهها وتحليلها ، وسأعرض لبعض الأمثلة التي تجلي لنا بوضوح طغيان الاتجاه الأثري واللغوي والفقهي في تفسيره :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾«[134]».

قال ـ رحمه الله ـ: «[135]» والذي يتلى في المستضعفين من الولدان ، وهو قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾«[136]» ، لأنّ العرب كانت لا تورث البنت ، ولا الابن الصغير ، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث ، وأن تقوموا لليتامى بالقسط عطف على المستضعفين أي والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط ، ويجوز أن يكون منصوبا تقديره : ويأمركم أن تقوموا ، أو الخطاب في ذلك للأولياء و الأوصياء ، أو للقضاة وشبههم ، والذي تلي عليهم في ذلك هو قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ «[137]» ، وقوله : ﴿ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾«[138]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾«[139]» قال ـ رحمه الله ـ :« وجدّد ذكرها بعد دخولها في الصلوات اعتناء بها وهي الصبح عند

---

[134] ـ سورة النساء : الآية 127

[135] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 212

[136] ـ سورة النساء : الآية 11

[137] ـ سورة النساء : الآية 10

[138] ـ سورة النساء : الآية 29.

[139] ـ سورة البقرة : الآية 238

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مالك وأهل المدينة ، والعصر عند علي بن أبي طالب لقوله صلى الله عليه وسلم :«شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر »«[140]» ، وقيل : هي الظهر ، وقيل : المغرب ، وقيل :هي العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسمّيت وسطى لتوسطها في عدد الركعات ، وعلى القول بأنّها المغرب لأنّها بين الركعتين ،والأربع أو لتوسط وقتها ، وعلى القول بأنّها الصبح لأنّها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنّها الظهر أو الجمعة ، لأنّها في وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها »«[141]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾«[142]».

قال ــ رحمه الله ــ :« ... بيان أنّ الحسنة بسبعمائة كما جاء في الحديث أنّ رجلا جاء بناقة فقال هذه في سبيل الله ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لك بها يوم القيامة سبعمائة حسنة والله يضاعف لمن يشاء» أي يزيده على سبعمائة ، وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ، والأول أرجح لأنّه ورد في الحديث ما يدل عليه ...»«[143]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾«[144]».

قال ــ رحمه الله ــ :« قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستلف الوصي الفقير من مال اليتيم ، فإذا أيسر ردّه ...»«[145]».

---

[140] ــ أخرجه البخاري : ،كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، رقم 3885 ، ج 4 ، ص 1509 ، عن علي رضي الله عنه .

[141] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 117

[142] ــ سورة البقرة : الآية 261

[143] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 124 ، والحديث أخرجه مسلم : باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها ، رقم 1892 ، ج 3 ، ص 1505 ، عن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه .

[144] ــ سورة النساء : الآية 6

[145] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 175

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾«[146]».

قال ـ رحمه الله ـ :« قال سعيد بن المسيب معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب »«[147]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ «[148]».

قال ـــ رحمه الله ـ :« ...قال مجاهد وغيره إنّ الله قال لموسى لن تراني ، لأنّك لا تطيق ذلك ، ولكن سأتجلّى للجبل الذي هو أقوى منك وأشدّ ، فإن استقرّ وأطاق الصير لهيبتي أمكن أن تراني أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألاّ تطيق أنت »«[149]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾«[150]».

قال ـ رحمه الله ـ :« ... قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة للسماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر »«[151]»

فهذه النماذج والأمثلة التي سقتها تعطينا تصورا واضحا عن بروز الاتجاه الأثري في تفسير الإمام ابن جزي من خلال حرصه على بيان معاني القرآن الكريم ، ومدلولات ألفاظه بالقرآن نفسه ، وبالسنة النبوية وبأقوال الصحابة ، وأقوال التابعين ، كما أنّه يمزج التفسير الأثري بالتفسير بالرأي المحمود المبني على الاجتهاد ، فيجعل التفسير الأثري أوّلا ، ثمّ يورد التفسير بالرأي .

---

[146]ـ سورة البقرة : الآية 152

[147] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 87

[148] ـ سورة الأعراف : الآية 143

[149]ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 315

[150] ـ سورة الملك : الآية 5

[151] ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 2 ، ص 467

ومن أبرز الاتجاهات التي ظهرت في تفسير الإمام ابن جزي رحمه الله الاتجاه الفقهي ، فقد أولى اهتماما بالغا وفائقا بآيات الأحكام ، حيث تعرّض للمسائل الفقهية مبيّنا مذاهب الفقهاء من مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية ، دونما تعصّب لمالكيته ، والإمام ابن جزي فقهيه من أعيان المالكية له مصنفات في الفقه المالكي والفقه المالكي ، وأشهر مصنفاته كتاب : (القوانين الفقهية)، وسأضرب نماذج من تفسيره توضح عنايته بآيات الأحكام ونزعته الفقهية .

في تفسير قوله تعالى :﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ ﴾«[152]» .

قال ــ رحمه الله ــ :« وحدّ التعليم عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يجيب إذا دعي «تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ » أي تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد ، وتأتي تحصيل الصيد ، وهذا جزء ممّا علّمه الإنسان ، فمن للتبعيض ، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية ، والجملة في موضع الحال أو استئناف ، «فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ » الأمر هنا للإباحة ، ويحتمل أن يريد ممّا أمسكن ، سواء أكلت منه الجوارح أو لم تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد ممّا أمسكن ، ولم يأكل منه ، وبذلك فسّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :«فإن أكل منه فلا تأكل ، فإنّه إنّما أمسك على نفسه »«[153]».، وقد أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد في حديث آخر :« إذا أكل فكل »«[154]» ، وهو حجة لمالك ، «وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ » هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ويجري الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس في حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنّها واجبة حملا للأمر على

---

152 ــ سورة المائدة : الآية 4

153 ــ أخرجه البخاري : كتاب الذبائح والصيد ، باب صيد المعراض ، رقم 5159 ، ج 5 ، ص 2086 ، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه

154 ــ أخرجه أبو داود : باب في الصيد ، رقم 2853 ، ج 3 ، ص 68 ، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الوجوب ، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا لم تؤكل عندهم وقال الشافعي أنّها مستحبة حملا للأمر على الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وحمل بعضهم الضمير في عليه عائدا على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ومذهب مالك أنّه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت فهي عنده واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان ...»«[155]»

ومن جملة الاتجاهات البارزة كذلك في تفسير الإمام ابن جزي الاتجاه البياني ، فقد جعل الباب العاشر من مقدمته الأولى التي مهدّ بها لتفسيره في ذكر الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ، وقد سرد جملة من أنواع البديع معرّفا إيّاها ، كما أنّه حرص أثناء تفسيره للآيات على بيانها وإبراز مدى تأثيرها في تزيين الكلام وتحسينه ،الأمر الذي يدل على إعجاز القرآن الكريم وفصاحته ، ويرجع اعتناء الإمام ابن جزي بعلم البديع إلى أمرين اثنين :

ـ نضوج علم البديع واكتماله عند المتأخرين ، مع اهتمام الأندلسيين والمغاربة به أكثر من علوم البلاغة الأخرى .

ـ تكوين ابن جزي العلمي ، فقد أخذ علوم اللغة والبلاغة على إمام هذه الصناعة في زمانه ببلاد الأندلس الإمام أبو جعفر بن الزبير الغرناطي .

وسأعرض نماذج من تفسيره توضح عنايته بالجانب البياني في تفسيره :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾«[156]» .

[155] ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 226
[156] ـ سورة البقرة : الآية 16

قال ــ رحمه الله ــ « اشتروا الضلالة عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم في الضلالة فهو مجاز بديع ، فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز ،لما ذكر الشّر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران ، وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأنّ الرابح أو الخاسر هو التاجر »«[157]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾«[158]».

» قال : «... قال ابن مسعود هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة ، وقال عكرمة هي إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن ، والمؤمن من الكافر ، فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفي ذكر الحي من الميت مطابقة ، وهي من أدوات البيان ، وفيه أيضا القلب لأنّه قدم الحي على الميّت ، ثمّ عكس ...»«[159]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾«[160]».

قال :« ... يعني المؤمنين والكافرين ، شبّه الكفّار بالأعمى والأصم ، وشبّه المؤمنين بالبصير والسميع ، فهو على سبيل تمثيل للمؤمنين بمثالين ، وتمثيل للكافرين بمثالين ، وقيل التقدير

---

[157] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 54

[158] ــ سورة آل عمران: الآية 27

[159] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 141

[160] ــ سورة هود : الآية 24

كالأعمى والأصمّ ، والبصير والسميع ، وتمثيل للكفار بمثال واحد ، وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد ، وهو من جمع بين العمى والصمم »«[161]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾«[162]» .

قال ــ رحمه الله ــ «هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته ، وقيل هو مجاز كقوله : كشفت الحرب عن ساقها ، إذا اشتدت ، وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله ، وقيل التفت أي لفّها الكافر إذا كفر ، وفي قوله : الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس »«[163]».

فممّا تقدّم ذكره عن اتجاه تفسير الإمام ابن جزي تبيّن أنّه يندرج ضمن التفسير بالرأي المحمود المبني القواعد العلمية والذي يزاوج فيه بين عدّة علوم تستخدم كآلات ووسائل في استنباط الآيات القرآنية، وتفسير الإمام ابن جزي كما ظهر وبان أنّه جمع فيه بين اتجاهات ثلاث هي الاتجاه الأثري واللغوي و الفقهي . والذي أداه لسلوك هذا الاتجاهات هو تحصيله العلمي وتفننه في جملة من العلوم الشرعية من التفسير والفقه ، إضافة للعلوم اللغوية من البلاغة والنحو والصرف

الفرع الثاني : تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي

قبل الخوض في بيان ملامح اتجاه التفسير في كتاب البحر المحيط للإمام أبي حيّان ارتأيت أن أتعرض لترجمته . وذلك بإعطاء نبذة عن سيرته وحياته . وذلك للوقوف على تكوينه وعوامل نشأته التي لاريب سيكون لها أثر كبير على تأليفه وتصنيفه.

ترجم للإمام أبي حيّان كثير من أصحاب السير والطبقات . وممّا أوردوه في شأن اسمه و نسبه و مولده ونشأته ، قولهم :

---

161 ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 394 .

162 ــ سورة القيامة : الآية 29 ــ 30

163 ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 2 ، ص 515

هو الإمام محمد بن يوسف بن علي الشيخ الإمام الحافظ فريد العصر وشيخ الزمان ، وإمام النحاة ، أثير الدين أبو حيّان الغرناطي «[164]»، النفري نسبة إلى نفرة بكسر النون وسكون الفاء قبيلة من البربر ، ولد بمطخشارش مدينة من حضيرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة .

قرأ ــ رحمه الله ــ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع ، والعربية عن أبي الحسن الأبذي ، وأبي جعفر بن الزبير ، وابن أبي الأحوص وابن الصائغ ، وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة ، وتقدّم في النحو ، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب ، وسمع الحديث بالأندلس والافريقية والاسكندرية ، ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخا منهم أبو الحسن بن ربيع ، وابن أبي الأحوص و القطب القسطلاني ، وأجاز له خلق من المشرق والمغرب منهم شرف الدمياطي وابن دقيق العيد والتقي بن رزين ، وأبو اليمن بن عساكر .

قال في شأنه الإمام الأدفوي :« كان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم وكان ثبتا صدوقا حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية ومن الاعتزال والتجسيم ، ومال إلى مذهب أهل الظاهر ومحبّة علي بن أبي طالب ، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن ، وكان شيخا طوالا حسن النغمة مليح الوجه ظاهر اللون مشربا بحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر ...»«[165]»

ترك أبو حيّان ــ رحمه الله ــ مصنفات كثيرة جليلة القدر عظيمة الشأن في شتّى الفنون أثنى عليها أهل العلم واستحسنوها منها :

البحر المحيط في التفسير ، اتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب ، التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، التجويد لأحكام سيبويه ، نحاة الأندلس ، الأبيات الوافية في علم القافية ، عقد اللآلي

---

[164] ــ ينظر : الوافي بالوافيات : خليل بن أيبك الصفدي ، ج 5 ، ص 175

[165] ــينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، ج 1 ، ص 281 ــ 282 .

في القراءات على وزن الشاطبية وقافيتها ، الوهاج في اختصار المنهاج للنووي ، توفي بالقاهرة في ثامن عشر صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الصوفية رحمه الله تعالى »«[166]» .

وبعد التعريف بالإمام أبي حيّان وعرض شيء من ترجمته ارتأيت التعريف بكتابة قبل الشروع في تحديد ملامح اتجاه الكتاب :

وضع الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ مقدمة لتفسيره نوّه فيها بشرف القرآن الكريم الذي خصّ به الأمة المحمدية مشيرا إلى أنّ أجلّ المعارف وأعزّ العلوم هو علم القرآن إذ عليه تتوقف سعادة المرء الأبدية ، وقد منّى نفسه منذ صباه بولوج باب التفسير ، وذلك إذا بلغ الستين من عمره ، لكنه بلغ ذلك قبل الستين ، حيث قال :« ... وبعد فإنّ المعارف جمّة ، وهي كلها مهمة ، وأهمّها ما به الحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ، وذلك علم كتاب الله هو المقصود بالذات ، وغيره من العلوم كالأدوات ، هو العروة الوثقى ، والوزر الأقوى والأوقى ، والحبل المتين ، والصراط المبين ، وما زال يختلج في ذكري ، ويعتلج في فكري أنّي إذا بلغت الأمد الذي يتعضدد فيه الأديم ،

ويتنغص برؤيتي النديم ، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب ، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين ، فإيّاه وإيّا الشواب ، ألوذ بجانب الرحمان ، وأقتصر على النظر في تفسير القرآن ، فأتاح الله لي قبل بلوغ ذلك ، وبلّغني ما كنت أروم من ذلك القصد ، وذلك بانتصابي مدرّسا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور قدّس الله مرقده ، وبلّ بمزن الرحمة معهده ، وذلك في دولة ولده السلطان القاهر ، الملك الناصر ، الذي ردّ الله به الحق إلى أهله ، وأسبغ على العالم وارف ظلّه ... وكان ذلك في أواخر عشر وسبعمائة ، وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري ...»«[167]» ، ثمّ أشار إلى اعتكافه لتأليف هذا الكتاب ، بعد أن أطال النظر في التفاسير الموضوعة ، فلخّص منها ما أمكن تلخيصه ، وأضاف إليها غرر الفوائد التي جمعها من المشايخ وبطون الكتب أيام

[166] ـــ ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت ، ج 6 ، ص 145

[167] ـــ تفسير البحر المحيط ، ط 1 ، ت عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1422 هـ ـــ 2001 ، ج 1 ، ص 100

الطلب سيّما فيما تعلق بالجانب البياني المظهر لإعجاز القرآن ، وكذلك الجانب النحوي واللغوي ، تمخضّت كلها عن تبحره في علم العربية ، حيث قال :« ... فعكفت على تصنيف هذا الكتاب ، وانتخاب الصفو واللباب ، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم ، وأنعم النظر

فيما اقترحوه من تآليفهم ، فألخّص مطولها ، وأحلّ مشكلها ، وأقيّد مطلقها ، وأفتح مغلقها ، وأجمع مبددها ، وأخلّص منقدها ، وأضيف إلى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، ومن دقائق علم الإعراب ، المغرب في الوجوه أيّ إغراب المقتنص في الأعمار الطويلة من لسان العرب ، وبيان الأدب ، فكم حوى من لطيفة فكري مستخرجها ، ومن غريبة دهن منتجها ، تحصّلت بالعكوف على علم العربية ...»«[168]»

أمّا عن منهجه الذي ارتضاه لنفسه في هذا الكتاب ، فقد أخبر عنه كذلك في مقدمة كتابه ، فقال : « وترتيبي في هذا الكتاب أنّي أبتدأ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسّرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب إليها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ، ثمّ أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب ، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلا أقاويل السلف الخلف في ففهم معانيها ، متكلما على جليّها وخفيّها ، بحيث إنّي لا أغادر منها كلمة ، وإن اشتهرت حتّى أتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ، ودقيق الآداب من بديع وبيان ، مجتهدا أنّي لا أكرر الكلام في لفظ سبق ، ولا في جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسّرت ، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيها على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة ، ناقلا الفقهاء الأربعة ، وغيرهم في الأحكام الشرعية ممّا فيه تعلق باللفظ القرآني ، محيلا على الدلائل التي في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو ،وربّما

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[168] ــ تفسير البحر : ج 1 ، ص 100

أذكر الدليل إذا كان الحكم غريبا ، أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس ، بادئا بمقتضى الدليل وما دلّ عليه ظاهر اللفظ ، مرجحا له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه ، منكبا في الإعراب على الوجوه التي تنزّه عنها القرآن ، مبيّنا أنّها مما يجب أن يعدل عنه ، وأنّه ينبغي

أن يحمل على أحسن إعراب ، وأحسن تركيب ، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام ، فلا يجوز فيه جميع ما يجوّزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح ، وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة ، والتراكيب القلقة ، والمجازات المعقدة ، ثمّ أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسّرتها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا ، ثمّ أتبع آخر الآيات بكلام منثور ، أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني جمعتها في أحسن تلخيص ، وقد ينجرّ معها ذكر معان لم تتقدّم في التفسير ، وصار ذلك أنموذجا لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن ، وستقف على هذا المنهج »«[169]».

بعد الفراغ من الحديث عن كتاب الإمام ابن أبي حيّان أعرّج للحديث عن مقصود المطلب وهذا الفرع على وجه الخصوص وهو بيان وتحديد اتجاه الكتاب .

يندرج تفسير البحر المحيط ضمن كتب التفسير بالرأي الجائز ، وقد صبغت هذه بصبغة ، وهي أنّ كل واحدا من أصحابها قد طغى عليه في تفسيره اتجاه معين غلب عليه بحسب ميوله العلمي ، فالمتكلم يغلب عليه الجانب الفلسفي والكلامي ، واللغوي تغلب عليه الصناعة النحوية ، أو البيانية ، والفقيه يعتني بآيات الأحكام ومسائل الأصول ، والمشتغل بالسير والأخبار مولع بالقصص والإسرائيليات إلى غيرها من الاتجاهات ، والإمام أبو حيّان كان من جملة من اشتغل باللغة وعلومها ، فبرز الاتجاه اللغوي في تفسيره أكثر من غيره من الاتجاهات ، فقد أكثر من الصناعة النحوية في تفسيره حتّى جعله البعض أشبه بكتب النحو من كتب التفسير ، وقد صرّح في مقدمة كتابه عن ابتداءه الكلام على الآية ببيان مدلولات مفرداتها اللغوية ،مع الإشارة إلى الأحكام النحوية التي تضمنتها تلك الآية ، حيث قال :« أنّي أبتدأ أوّلا بالكلام على مفردات

---

169 ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 103

الآية التي أفسّرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ...»«[170]»

وسأعرض بعض النماذج من تفسيره التي تجلّي بوضوح اهتمامه بالجانب اللغوي سواء في بيان مدلول الألفاظ والاستشهاد على ذلك بالشواهد اللغوية من شعر أو نثر ، أو في جانب الصناعة النحوية بإعرابه للكلمات القرآنية ، وإيراده لمذاهب النحاة ، وكذلك في إشارته لبعض الجوانب البلاغية :

في تفسير قوله تعالى :﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾»«[171]».

قال ـ رحمه الله ـ « المرض مصدر مرض ، ويطلق في اللغة على الضعف والفتور ، ومنه قيل فلان يمرض الحديث أي يفسده ويضعفه ، وقال ابن عرفة : المرض في القلب الفتور عن الحق ، وفي البدن فتور الأعضاء ، وفي العين فتور النظر ، ويطلق ويراد به الظلمة ، قال:

في ليلة مرضت من كل ناحية فما يحس بها نجم ولا قمر «[172]»

وقيل المرض الفساد ، وقال أهل اللغة : المرض والوجع والألم نظائر ...»«[173]» .

---

[170] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 103

[171] ــ سورة البقرة : الآية 10

[172] ــ البيت لأبي حيّة ، ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1424 هـ ـ 2004 م ، ج 7 ، ص 46 .

[173] ــ البحر المحيط : ج 1 ، ص 181

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾«[174]».

قال ــ رحمه الله ــ « ... الشيطان فيعال عند البصريين فنونه أصلية من شطن أي بعد ، واسم الفاعل شاطن قال أمية :

أيّما شاطن عصاه عكاه ثمّ يلقى في السجن والأكبال «[175]»

وقال رؤبة : وفي أخاديد السياط المشنّ شاف لبغي الكلب المشيطن «[176]»

ووزنه فعلان عند الكوفيين ، ونونه زائدة من شاط يشيط ، إذا هلك قال الشاعر :

قد نطعن العين في مكنون قائلة وقد تشطوا على أرماحنا البطل «[177]»

والشيطان كل متمرد من الجن والإنس والدّواب ، قاله ابن عبّاس ....»«[178]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾«[179]».

قال ــ رحمه الله ــ « ... ونسبة الربح إلى التجارة من باب المجاز لأنّ الذي يربح أو يخسر إنّما هو التاجر لا التجارة ، ولما صور الهدى والضلالة مشترى وثمنا رشّح هذا المجاز البديع بقوله تعالى

[174] ــ سورة البقرة : الآية 14

[175] ــ البيت للأعشى : ينظر : البديع في نقد الشعر ، ج 1 ، ص 41 .

[176] ــ انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج 13 ، ص 237 ــ مادة شطن ــ .

[177] ــ البيت للأعشى ، ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، ط 1 ، تحقيق حاتم الضامن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1412 هـ ــ 1992 م ، ج 1 ، ص 54

[178] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 1 ، ص 193

[179] ــ سورة البقرة : الآية 16

: فما ربحت تجارتهم ، وهذا من باب ترشيح المجاز ، وهو أن يبرز المجاز في صورة الحقيقة ، ثمّ يحكم عليه ببعض أوصاف الحقيقة ، فينضاف مجازا إلى مجاز ، ومن ذلك قول الشاعر:

بكى الخزّ من روح وأنكر جلده　　　وعجّت عجيجا من جذام المطارف «[180]»

أقام الخز مقام شخص حين باشر روحا بكى من عدم ملامته ، ثمّ رشّحه بقوله وأنكر جلده ، ثم زاد في ترشيح المجاز بقوله : وعجت أي وصاحت مطارف الخز من قبيل روح هذا : وهي جذام لا يصلح لهم لباس الخز ومطارقه ، لأنّهم لا عادة لهم بذلك ، فكنى عن التباين بينهما بما كنّى به في البيت ...»«[181]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾«[182]».

قال ــ رحمه الله ــ « ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنّه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم وما يؤول إليه حال كل منهم انتقل من الإخبار عنهم إلى

خطاب النداء ، وهو شبيه بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾«[183]» بعد قوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾«[184]» ، وهو من أنواع البلاغة كما تقدم ، إذ فيه هزّ للسامع وتحريك له ، إذ هو خروج من صنف إلى صنف ...»«[185]».

---

[180] ــ البيت لحميدة بنت النعمان بن بشير ، ينظر : الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ط 2 ، تحقيق سمير جابر ،، دار الفكر ، د ت ، ج 16 ، ص 61 .

[181] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 205

[182] ــ سورة البقرة : الآية 21

[183] ــ سورة الفاتحة : الآية 5

[184] ــ سورة الفاتحة : الآية 2

[185] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 232 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾«[186]».

قال ـ رحمه الله ـ « وقد ركّبوا وجوها من الإعراب في قوله : ذلك الكتاب لاريب فيه ، والذي نختاره منها أنّ قوله ذلك جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ، لأنّه متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار ، كان أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار ، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلاّ الحمل على أحسن الوجوه ، وأبعدها من التكلف ، وأسوغها في لسان العرب ، ولسنا كمن جعل كلام الله ، كشعر امرئ القيس ، وشعر الأعشى يحمله جميع ما يحتمله اللفظ من وجوه الاحتمالات ، فكما أنّ كلام الله من أفصح الكلام ، فكذلك إعرابه ينبغي أن يحمل على أفصح الوجوه ، هذا على أنا إنّما نذكر كثيرا ممّا ذكروه لينظر فيه ، فربّما يظهر لبعض المتأملين ترجيح شيء منه ، فقالوا يجوز أن يكون ذلك خبر المبتدأ محذوف تقديره هو ذلك الكتاب ، والكتاب صفة أو بدل أو عطف بيان ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وما بعده خبر ، وفي موضع خبر ألم و لا ريب جملة تحتمل الاستئناف ، فلا يكون لها موضع من الإعراب ، وأن تكون في موضع خبر لذلك ، والكتاب صفة أو بدل أو عطف أو خبر بعد خبر ، إذا كان الكتاب خبرا ، وقلت بتعدد الأخبار التي ليست في معنى خبر واحد ، وهذا أولى بالبعد لتبيان أحد الخبرين ، لأنّ الأول مفرد والثاني جملة ، وأن يكون في موضع نصب أي مبرأ من الريب ، وبناء ريب مع لا

يدل على أنّها العاملة عمل إن ، فهو في موضع نصب ، ولا هو في موضع رفع بالابتداء ، فالمرفوع بعده على طريق الاسناد خبر لذلك المبتدأ فلم تعمل حالة البناء إلا النصب في الاسم فقط هذا مذهب سيبويه ، وأمّا الأخفش فذلك المرفوع خبر للا ، فعملت عنده النصب والرفع وتقرير هذا في كتب النحو ...»«[187]».

---

[186]ـ سورة البقرة : الآية 2

[187] ـ تفسير البحر المحيط ، ج 1 ، ص 159

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾«[188]».

قال ــ رحمه الله ــ « إذا ظرف زمان ، ويغلب كونها شرطا ، وتقع للمفاجأة ظرفا زمانا وفاقا للرياشي ، والزجاج لا ظرف مكان خلافا للمبرد ، ولظاهر مذهب سيبويه ، ولا حرفا خلافا للكوفيين ، وإذا كانت حرفا ، فهي لما تقيّن أو رجّح وجوده ، ويجزم بها في الشعر ، وأحكامها مستوفاة في علم النحو ...»«[189]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾«[190]».

قال ــ رحمه الله ــ « ... ومثلهم مبتدأ والخبر في الجار والمجرور بعده ، والتقدير كائن كمثل ، كما يقدّر ذلك في سائر حروف الجر ، وقال ابن عطية : الخبر الكاف ، وهي على هذا اسم ، كما هي في قول الأعشى :

أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب في الزيت والفتل «[191]» ، انتهى .

وهذا الذي اختاره ، ونبأ به غير مختار ، وهو مذهب أبي الحسن ، يجوز أن تكون الكاف اسما في فصيح الكلام ، وتقدّم أنّا لا نجيزه إلاّ في ضرورة الشعر ، وقد ذكر ابن عطية الوجه الذي بدأنا به بعد ذكر الوجه الذي اختاره ...»«[192]» .

---

[188] ــ سورة البقرة : الآية 11

[189] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 1 ، ص 159

[190] ــ سورة البقرة :الآية 17

[191] ــ ينظر: خزانة الأدب ونهاية الأرب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي ، ط 1 ، تحقيق : عصام شعيتو ، بيروت ــ دار ومكتبة الهلال ــ 1987 ج 9 ، ص 454 .

[192] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 1 ،ص 159

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهذه الأمثلة التي سقتها من تفسير الإمام أبي حيّان تجلّى بوضوح بروز الاتجاه اللغوي فيه ، وتظهر عنايته البالغة به ، وقد ساعده على ذلك تضّلعه في اللسان العربي ، وتبحره في علوم اللغة ، حيث وظّف صناعته في تفسير القرآن الكريم ، لكن هذا لا يعنى أنّه أغفل الاتجاهات الأخرى ولم يعرها اهتماما ، بل على النقيض من ذلك ، فقد ظهر في تفسيره أيضا اتجاهات أخرى كالاتجاه الأثري الذي بان من خلال اهتمامه بالتفسير بالمأثور وانتهاجه لطرق التفسير النقلي ، حيث كان يفسّر القرآن بالقرآن ، وبالأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين ، ويورد أسباب النزول ، ويعتني ببيان أوجه المناسبات بين الآيات والسور ، كما ظهر الاتجاه الفقهي في تفسيره، حيث كان يعلق على آيات الأحكام ويبيّن الأحكام المستنبطة من الآيات المتضمنة للمسائل الفقهية مقررا مذاهب الفقهاء بدأ بأقوال الصحابة وكبار التابعين منتهيا إلى أصحاب المذاهب الأربعة وأهل الظاهر ، وبعض المذاهب المندثرة كمذهب الإمامين الأوزاعي والليث .

غير أنيّ اكتفيت بإيراد النماذج التي تظهر الاتجاه اللغوي لأنّه كان الطاغي عليه والبارز في كتابه ، وهذا مجمع عليه عند الباحثين في مناهج المفسرين ، فجلّهم يصنف تفسيره ضمن التفاسير اللغوية.

الفرع الثالث : تفسير ابن عرفة

قبل الخوض في بيان ملامح اتجاه التفسير في كتاب الإمام ابن عرفة ارتأيت أن أتعرض لترجمته . وذلك بإعطاء نبذة عن سيرته وحياته ، وذلك للوقوف على تكوينه وعوامل نشأته التي لاريب سيكون لها أثر كبير على تأليفه وتصنيفه.

ترجم للإمام ابن عرفة كثير من أصحاب السير والطبقات ، وممّا أوردوه في شأن اسمه و نسبه و مولده ونشأته ، قولهم :

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هو الإمام محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمي بفتح الواو وسكون الراء وفتح المعجمة وتشديد الميم نسبة لورغمة قرية من إفريقية التونسي المالكي عالم المغرب ويعرف بابن عرفة ، ولد سنة ستة عشر وسبعمائة .

تفقه الإمام ابن عرفة ببلاده على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام الهواري ، أخذ عنه الأصول ، وقرأ القراءات على أبي عبد الله محمد بن محمد بن حسن بن سلامة الأنصاري ، وأبو عبد الله الوادياشي الذي سمع منه صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وسمع من محمد بن هارون الكناني وأخذ عنه الأصول وعلم الكلام ،كما أخذ عن محمد بن يحي بن الحباب المنطق والجدل ، وانتفع بمجالسة محمد بن إبراهيم بن أحمد التلمساني الآبلي .

مهر الإمام ابن عرفة في العلوم وأتقن المعقول والمنقول إلى أن صار المرجوع إليه في الفتوى ببلاد المغرب ، وتصدّى لنشر العلوم ، وكان لا يمل من التدريس وإسماع الحديث والفتوى مع الجلالة عند السلطان فمن دونه ، مع الدين المتين والخير والصلاح والتوسع في الجهات والتظاهر بالنعمة في مأكله وملبسه ، والإكثار من التصدق والإحسان للطلبة مع الإخفاء لذلك ، وقد خلّف رحمه الله مصنّفات جليلة في شتّى العلوم منها: كتابه في الفقه الذي سمّاه المبسوط ، وكتابه في اختصار فرائض الحوفي ، وله الحدود في الفقه كذلك ، وله نظم في قراءة يعقوب ، وله املاءات في التفسير جمعها بعض تلامذته في مجلدين .

تخرّج على الإمام ابن عرفة أئمة كثر من المغرب والمشرق ، فمن المغاربة الإمام أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاتي الأبي التونسي ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي الجزائري ، وأبو القاسم الشريف الادريسي السلاوي المغربي ، وابن قنفد القسنطيني الجزائري ، ومن المشارقة الإمام ابن حجر العسقلاني صاحب الذي استجازه عندم قدومه مصر فأجازه وأولاده ، وكذلك أبو حامد ابن ظهيرة المكي ، وشمس الدين بن عمار المصري ، والإمام ابن الجزري المقرئ الذي اجتمع به في الحج ومصر وأخذ عنه وأجازه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توفي الإمام ابن عرفة سنة ثلاث وثمان مئة بتونس في جمادى الآخر .«[193]»

وبعد التعريف بالإمام ابن عرفة وعرض شيء من ترجمته ارتأيت التعريف بكتابه قبل الشروع في تحديد ملامح اتجاهه .

إنّ أول ما ينبغي أن يعلمه القارئ أو الباحث في تفسير الإمام ابن عرفة ، هو أنّه لم يقم بتأليفه وكتابته بنفسه، بل هو عبارة عن إملاءات أملاها في مجالس علمية قام بعض طلبته بتقييدها وتدوينها حتّى كوّنوا هذا التفسير ، وأشهر من نقل تفسيره واعتنى بتقييده والتعليق عليه من بين طلابه أئمة ثلاث أحدهم تونسي ، وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاتي الأبي ، والثاني جزائري ، وهو الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي ، والثالث مغربي ، وهو الإمام أبو القاسم الشريف الادريسي السلاوي.

و أشهر هذه الروايات كما ذكرت الدكتورة وسيلة بلعيد هي رواية الأبي ، ثمّ رواية البسيلي ، ثمّ رواية السلاوي «[194]»

وقد طبع كل من تقييد الإمام الأبي وتقييد البسيلي ، أمّا تقييد السلاوي فلا يزال في عداد المفقودات ، وقد أشار إليه الإمام التنبكتي عند معرض ترجمته للإمام السلاوي ، فقال :« ...ومن تأليفه تقييد في التفسير عن ابن عرفة في مجلدين ...»«[195]».

---

[193]ــ ينظر : ترجمته في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي ، د ط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د ت ، ج 9 ، ص 240 ــ 241 .، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ــ 1998 م ، ج 2 ، ص 133 .

[194] ــ التفسير واتجاهاته بإفريقية من النشأة إلى القرن الثامن هجري : وسيلة بلعيد ، ط 1 ، تونس ، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، 1414 هـ ، 1994 م ص 333.

[195]ــ نيل الابتهاج ، ص 225

بعد الفراغ من الحديث عن كتاب الإمام ابن عرفة أعرّج للحديث عن مقصود هذا الفرع على وجه الخصوص وهو بيان وتحديد اتجاه الكتاب .

أمّا عن منهجه واتجاهه في التفسير ، فيمكن الوقوف عليه من خلال مقدمته التي مهد بها في تعريف علم التفسير ، وبيان حقيقته ، وموضوعه ، ودليله ، وفائدته ، واستمداده وحكمه ، حيث قال : «... أمّا حقيقته فهو العلم بمدلول القرآن ، وخاصية كيفية دلالته وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، فقولنا خاصية كيفية دلالته هي إعجازه ومعانيه البيانية ، وما فيه من علم البديع الذي يذكره الزمخشري ومن نحا نحوه ... وموضوعه القرآن ، ودليله اللغة العربية لأنّ المفسّر يفسّر اللفظة بمعنى ويستدل عليها بشواهد من الشعر ، وكذلك يستدل على إعرابها ، وفائدتها استنباط المعاني والأحكام من أصول الدين وأصول الفقه والعربية ، وحكمه أنّه فرض كفاية ، وهو الآن ساقط لحصوله في الكتب ، وقام به جمع كثير ...»«[196]»

من خلال هذه المقدمة يمكن أن نقول بأنّ الإمام ابن عرفة نهج منهج المتأخرين من أئمة التفسير في سلوكهم مسلك التفسير بالرأي المحمود المبني على تحصيل أدوات الاجتهاد ، واكتمال شروط التفسير المتمثلة في تحصيل جملة من العلوم تؤهل صاحبها للكلام في علم التفسير ، مع العلم بأنّ أصحاب هذا الاتجاه يجمعون بين الأثر والرأي مع طغيان جانب الرأي أكثر من جانب الأثر ، وتعريف الإمام ابن عرفة لعلم التفسير يظهر فيه سلوكه لهذا المنهج وجمعه بين الرأي والأثر ، حيث أوضح معنى قوله : «خاصية كيفية دلالته هي إعجازه ومعانيه البيانية وما فيه من علمه البديع الذي يذكره الزمخشري ومن نحا نحوه » اعتماده على اللغة العربية وعلومها من نحو وبلاغة في إظهار إعجاز القرآن وبيان أسراره وتوضيح معانيه وهذا من خصائص وأساسيات التفسير بالرأي المحمود ، أمّا اعتماده على التفسير الأثري فيمكن استبانته من خلال اشتراطه على المفسر حفظ القرآن كاملا حتّى يتسنى له تفسيره ، فقد يأتي تفسير آية في آية أخرى إمّا تكون مقيدة لمطلقها أو

---

[196] ــ تفسير ابن عرفة ، ، تحقيق حسن المناعي ، ط 1 ، تونس ـ مركز البحوث بالكلية الزيتونية ، 1986 ، ج 1 ، ص 59 ــ 60

مبيّنة لمجملها ، أو مخصصة لعامها ، حيث قال : « ... و المفسر من شروطه حفظ القرآن كله لأنّ المفسّر إذا استحضر آية لا يحل له أن يفسّرها لاحتمال أن يكون هنالك آية أخرى ناسخة لها أو مقيدة أو مخصصة أو مبيّنة فلابدّ للمفسّر حفظ القرآن كلّه »«[197]» وتفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير النقلي التّي نصّ العلماء على ضرورة انتهاجها ، وقد اعتمدها الإمام ابن عرفة في تفسيره كما سنوضحها من خلال الأمثلة التي نوردها من تفسيره توضيحا للاتجاهات التي برزت فيه وغلبت عليه ، وبالقراءة في تفسيره والاطلاع على الدراسات التي أقيمت حوله يظهر بروز ثلاث اتجاهات كبرى في تفسيره وهي الاتجاه الأثري ، والاتجاه اللّغوي ، والاتجاه الفقهي .

1 ـ الاتجاه الأثري :

تفسير القرآن بالقرآن :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾«[198]»

قال ابن عرفة ـ رحمه الله ـ «[199]».

« الإله في اصطلاح المتقدمين من الأصوليين هو الغني بذاته المفتقر غيره إليه ، وعند الأصوليين المتأخرين واللغوّين هو المعبود تقرّبا ، وبه يفهم قوله :﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ

[197] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 62

[198] ـ سورة البقرة : الآية 163

[199] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2، ص 482 .

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾«[200]» ، وقول إبراهيم لأبيه آزر ﴿ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾«[201]» ، وقول الله :﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾«[202]».

فالإمام ابن عرفة يفسّر معنى الإله بمعنيين ويدّلل عليهما بآيات جاءت متضمنة لهما

تفسير القرآن بالسنة النبوية :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾«[203]».

قال الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ «كان الفقيه أبو العباس أحمد بن علوان يقول : مقتضى هذا أنّهم طرحوه بين أيديهم لأنّ الظهر بالنسبة إلى الوجه خلف ، والوجه بالنسبة إلى الظهر خلف ، فالظهر خلف الوجه ، والخلف وجه الظهر ، وإذا طرحوه وراءه ظهورهم لزم أنّهم طرحوا أمامهم ، فلا ذمّ عليهم.

قال ابن عرفة وأجيب بأنّ المبالغة في إبعاده عنهم فجعلوه وراء الوراء كما جاء في الحديث الصحيح «وراء ورائهم» جعلوا للوراء وراء ، ونبذوه خلف ذلك الوراء ، وهو أبلغ في كمال النبذ »«[204]».

فالإمام ابن عرفة عمد إلى بيان وشرح لفظة « نبذوه وراء » بحديث جاء في صحيح مسلم يبيّن المقصود من هذا الطرح والنبذ ، والحديث الذي استشهد به على المعنى الذي جه أخرجه الإمام

[200] ـ سورة القصص : الآية 38

[201] ـ سورة الأنعام : الآية 74 .

[202] ـ سورة الزخرف : الآية 57 .

[203] ـ سورة البقرة : الآية 111

[204] ـ تفسير ابن عرفة ، ج 1 ، ص 384 ـ 385

مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول وهل أخرجكم منها إلاّ خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك ، إنّما كنت خليلا من وراء وراء اعمدوا إلى موسى عليه السلام الذي كلّمه الله تكليما »«[205]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾«[206]».

قال ابن عرفة رحمه الله ـ « أي يبذل المال المتطوع ، أو يراد به الإحسان الذي في الحديث وهو: «أن تعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»«[207]» .

فالإمام ابن عرفة فسّر الإحسان المأمور به في الآية بالإحسان الذي ورد ذكره في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي يقضي بأنّ الإحسان المراد به القيام بمقام العبودية .

تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾«[208]»

قال الإمام ابن عرفة :« قال ابن عباس هي حجارة الكبريت ،معناه مقارنة الناس لها أي هي نار شديدة دائمة حالة حلول أجسامهم الرطبة فيها كما لو كان فيها ، فإنّها لا تزال تشتعل أبدا كاشتعال النار في الوقود »«[209]».

---

[205] ـ أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين ، رقم 195 ، ج 1 ، ص 178 .

[206] ـ سورة البقرة : الآية 195

[207] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 564 ، الحديث : أخرجه البخاري ،كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ، رقم 50 ، ج 1 ، ص 27 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[208] ـ سورة البقرة : الآية 24

[209] ـ تفسير ابن عرفة ، ج 1 ، ص 193

ــ الاتجاه اللّغوي في تفسير ابن عرفة

لقد عني الإمام ابن عرفة بالجانب اللغوي في تفسيره أيّما اعتناء ، ويتجلى هذا الاهتمام والاعتناء في حرصه على بيان غريب القرآن وإيضاح معانيه مستعينا في ذلك بشعر العرب وكلامهم ، مع تعرضه للصّناعة النحوية بالكلام عن إعراب آي القرآن وإيراد مذاهب النحاة ومناقشتهم والرّد عليهم ، وكذلك في عنايته بمعاني الحروف ،إضافة إلى اهتمامه بالجوانب البلاغية بمختلف أقسامها ، وهذا الأخير سنفيض الكلام فيه في الفصل المخصص لدراسة المسائل البلاغية في كتب التفسير المغربية ، وسأورد جملة من النماذج التي تقرر ما ذكرناه :

في تفسير قوله تعالى :﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ ﴾«[210]».

قال الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ « اليوم هنا محتمل لثلاثة معان ، فالنحاة يريدون به زمن الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل ، ويحتجون بقول زهير :

وأعلم اليوم والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غد عمي «[211]»

والمفسرون هنا حملوه على و جهين : إمّا النهار الفاصل بين أمس وغد ، وإمّا زمن الحال وما قرب منه ماضيا كان أو مستقبلا ، وهذا يتم هذا ...»«[212]».

---

[210] ــ سورة المائدة : الآية 3

[211] ــ ينظر : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها : أحمد بن الأمين الشنقيطي ،ط 1 ، بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ ، 1432 هـ ـ 2011، ص 61

[212] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 87

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾«[213]».

قال ابن عرفة :« الشعور هو إدراك أوائل الشيء ، فالشعور هو أوائل التصور ومبادئه فهو أعم من التصور الحقيقي والتصديق فكذلك النفي ، لأنّ نفي الأعم يستلزم نفي الأخص ، وأشعر من أخوات ظننت ... وفي صحاح الجوهري ما نصّه أشعرته فشعر أي من أدريته فدرى ، وأشعرته ألبسته الشعار ، وأشعره فلان شرا غشيه به ، يقال أشعره الحب مرضا ...»«[214]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾«[215]»

قال ــ رحمه الله ــ « قال الزمخشري هو مفعول من أجله ، هو عندي بعد الفريضة فيجري فيه الأوجه الثلاثة ، إمّا مصدر للأول ، أو نعت لمصدر من لفظ الأول ، أو مصدر لفعل مقدر من لفظه بعد الفرق بين كونه مفعولا من أجله وكونه حالا، فالفرق بين كل شيء علة كاملة ، وبين كونه صفة الفاعل ، كما يفرق بين الصاحب الغريب وبين من يمتثل أمرك ، تقول فلان يضجر السفهاء ، وفلان يمتثل أمر السفهاء ، فالذم بهذا الثاني أشد ، فجعله مفعولا من أجله أبلغ من الذم ، معناه أنتم ممتثلون أمر شهوتكم وطابعون عليها .»«[216]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾«[217]» .

قال ابن عرفة ــ رحمه الله ــ « لما ذكر ابن عصفور ما يلزم فيه حذف المبتدأ وما يلزم فيه حذف الخبر ، قال وقسم يجوز فيه الأمران ، وهو ما عدا ذلك ، ومثله هذه الآية ، وقال ابن هشام في

---

[213] ــ سورة الأنعام : الآية 109

[214] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 182.

[215] ــ سورة الأعراف 81

[216] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، 234

[217] ــ سورة يوسف : الآية 18

شرح الإيضاح ، وابن مالك : لا خلاف أنّ المصدر المنصوب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، إذا ارتفع على الابتداء ، يجب حذف خبره، وإذا ارتفع على الخبر يجب حذف مبتدئه كقوله :

شكى إلي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلّنا مبتلى «[218]»

على رواية من رواه صبر جميل بالرفع ، وهذا خلاف ورجّح بعضهم الأول ، لأنّه على الثاني يكون مجرّد دعوى ، وكان الشيخ ابن عبد السلام يرجح الأول أيضا ، لأنّ الثاني يخالف قوله بعد هذا يا أسفى على يوسف ، فليس صبره صبرا جميلا ...»«[219]».

في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾«[220]».

قال ابن عرفة ــ رحمه الله ــ « إمّا مجرور بإضمار أن والواو بمعنى مع ...، قال شارح المبادئ نزل على الجمع المطلق ، ودلالتها على الجمع أقوى من دلالتها على العطف ، فإنّها قد تعدّى من معنى العطف ولا تعدّى من معنى الجمع ، فإنّ واو القسم واو الحال بمعنى مع لا تفيد العطف وتفيد الجمع لأنّها في القسم نائبة عن التاء ، والباء للإلصاق ، والحال مصاحبة لذي الحال ، والواو في المختلفين بمنزلة التثنية ، والجمع في المتفقين ...»«[221]».

---

[218] ــ البيت مجهول النسبة ، ينظر : جمهرة الأمثال ، أبي هلال العسكري ، ط 2 ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ــ عبد المجيد قطامش ، بيروت ، دار الفكر ، 1988 م، ج 1 ، ص 108 .

[219] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص379 .

[220] ــ سورة يوسف : الآية 9

[221] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 374

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾«[222]».

قال ابن عرفة ــ رحمه الله ــ « قال الزمخشري : من الثانية للتبعيض ، ويحتمل أن تكون لبيان الجنس تعظيما للآية وتنزيلا لها منزلة كل الآيات إشارة إلى أنّ كل آية في نفسها عظيمة تقوم مقام الآيات الكثيرة »«[223]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾«[224]».

قال ابن عرفة ــ رحمه الله ــ « قال الزمخشري واللّام للصيرورة ، هذا يناسب مذهب المعتزلة ، لأنّهم يقولون : إنّ اللّه لا يخلق الشّر ولا أراده ، لأنّه قبيح فجعلها للصيرورة ، أي فعل ذلك ليؤمنوا ، قال أمرهم إلى الكفر ، ولا يناسب أن يكون للصيرورة لا عندنا ولا عند المعتزلة ، لأنّ من لوازم لام الصيرورة الجهل بالعاقبة ، واللّه تعالى عالم بكل شيء مستحيل عليه الجهل بالعاقبة »«[225]» .

[222] ــ سورة الأنعام : الآية 4

[223] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 142

[224] ــ سورة الأنعام : الآية 105

[225] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 180

في تفسير قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾«[226]».

قال ابن عرفة ــ رحمه الله ــ « ... قالوا وهل في الآية لف ونشر ، أم لا على مذهب السّكاكي ، ففيها النّشر واللف بالانتقال عن الخطاب المعنوي «يأيّها الذين آمنوا » ، إلى الغيبة بقوله : شعائر اللّه ، ولم يقل شعائرنا »

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾«[227]».

قال ابن عرفة ـــ رحمه الله ـــ « هذا التفات ، فإن قلت ما فائدة الالتفات هنا في الانتقال من الغيبة إلى المتكلم ، قلنا فائدته أنّ هذا الباب أعجب وأغرب من الأول ، ففيه ردّ على الطبعائية ، إذ لو كانت هذه الأشياء أصل بالطبيعة لكان الشجر المسقي بالماء الحلو حلو أكله ، والمسقي بالمالح مالحا أكله ، قال تعالى : يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل »«[228]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾«[229]».

قال ابن عرفة ـــ رحمه الله ــ« من تأكيد المدح بما يشبه الذّم ، قيل :

هو الكلب إلاّ أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب »«[230]» .

[226] ــ سورة المائدة : الآية 2

[227] ــ سورة الأنعام : الآية 99

[228] ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 176

[229] ــ سورة هود : الآية 101

[230] ــ تفسير ابن عرفة ،ج 2 ، ص 368 ، البيت مجهول النسبة ينظر : زهر الأداب وثمر اللباب ،أبو إسحاق بن إبراهيم بن علي الحصري ، ط 1 ، تحقيق يوسف على طويل ، بيروت ـ دار ا ـ 1417 هـ ـ 1997 م ، ج2 ، ص 120

الاتجاه الفقهي في تفسير ابن عرفة :

لقد مهر الإمام ابن عرفة في الفقه وحذق فيه ، فشهد له بذلك أئمة عصره من المغرب والمشرق ، وما خلّفه ــ رحمه الله ــ من مصنفات في هذا العلم خير دليل على ذلك ، فكتاب الحدود نال شهرة واسعة عند مالكية أهل المغرب فعظّموه واحتفوا به ، وكذلك كتاب المبسوط ، وبالقراءة في تفسيره لاحظت عنايته بآيات الأحكام وحرصه على بيان ما تضمنّته تلك الآيات من مسائل فقهية وأصولية تارة بالاستنباط والتقرير ومرّة بالتأصيل ، وسأورد بعض النماذج التي توضح ذلك .

أولا : المسائل الفقهية

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾«[231]».

قال ابن عرفة : « اختلف المذهب في البكر بعد البلوغ ، وقبل التعيين هل للوصي عليها أن يرشدها ويشهد له أم لا ؟ وهو الصحيح والآية حجة للجواز وسبب الخلاف أنّ البكارة مظنّة لجهلها بمصالح نفسها ، فإن وجد بعض الأبكار عارف بمصالح نفسه فلا يضر ، لأنّ الحكمة قد تبتغى وتبقى المظنة ، وكذلك وجه قول أبي حنيفة في أنّها إذا بلغت خمسا وعشرين سنة ترشد ، وإن كانت سفيهة ، لأنّ بلوغ ذلك عنده بمظنة الرشد فلا يضر بخلقه في البعض ، وردّه ابن عرفة : بأنّ التعليل بالمظنة حالة وجود النص من القرائن لا يصح لاشتراط الرشد منها ...»«[232]».

---

[231]ــ سورة النساء : الآية 6

[232] ــتفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 7

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾«[233]».

قال ابن عرفة :« مذهب أبي حنيفة أنّ الحر يقتل بالعبد ، ويقتل العبد بالحر عملا بظاهر عموم هذه الآية ، ومذهب مالك أنّ العبد يقتل بالحر ولا يقتل الحر بالعبد ، لقوله تعالى : « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى ، لكن يرد علينا بأنّ ظاهر الآية أنّ الأنثى لا تقتل بالذكر ولا العكس فيجيب بالحديث ...»«[234]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾«[235]».

قال ابن عرفة :« قال ابن العربي : يؤخذ من الآية جواز الإجازة ، واتفقوا على ذلك إلاّ الأهم وهو من الشريعة أهم وجواز الجعل وجواز إجماله لقوله :« وأنا به زعيم » إنّ الاجارة والجعالة متباينان وهذه مثله ، فالثابت فيها أحد السندين لا كلاهما أعني إمّا الاجارة أو الجعالة فكيف يؤخذ من الآية جوازهما معا ، قلت أنا له يؤخذ منها جواز الجعل ، وقد قال مالك في كتاب الجعل والاجارة ، كل ما جاز فيه الجعل جازت فيه الاجارة ، والفرق بينهما أنّ الاجارة من شرطها ضرب الأجل وإن منعه من التمام مانع فلا شيء له ... قال في كتاب الغرر من المدونة لا يجوز أن يقول له أبيعك ملء هذه الغرارة لأنّ طيّها مجهول ، وهذا في الآية جعل وشرط الجعل أن يكون المجعول له معلوما وأجيب بأنّ حمل البعير معلوم عندهم أنّه قفيزان أو نحوهما ، الثاني أنّ المجعول عليه من شرطه عند مالك أن يكون فيه شفعة وما به للجاعل فلا يجوز أن يعيب رجل دينارا أو يقول من ... بموضعه فله كذا لأنّه عاجز بموضعه ، وكذلك لا يقول لرجل اطلع هذا الجبل أو هذه الصخرة ولك كذا لأنّك لا تنتفع في طلوعه بشيء ، نصّ على ذلك ابن رشد في البيان والتحصيل ، وذكر فيه قولين وذكر ابن يونس في فروع زادها في آخر كتاب الجعل والاجارة ...»«[236]» .

---

[233]_ سورة المائدة : الآية 45.

[234]_ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 110.

[235]_ سورة يوسف : الآية 72.

[236]_ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 398 ـ 399

ثانيا : المسائل الأصولية

لقد كان للإمام ابن عرفة نزعة أصولية بارزة وواضحة ، فكثيرا ما يورد المسائل والمباحث الأصولية ، إمّا تأصيلا واستدلالا لحجية بعض المصادر والقضايا أو اعتراضا وإنكارا لها ، ناقلا وحاكيا هذه المسائل عن أئمة الفنّ مع المناقشة والرّد والتوجيه ، وهذه أمثلة توضح ذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾«[237]».

قال ابن عرفة ــ رحمه الله ــ « احتج بها الشافعي على أنّ الإجماع حجة ودليل قاطع ، لأنّه قرن اتباع غير سبيل المؤمنين ميثاقه الرسول وهي حرام ، فدّل أنّ اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، أو لا يصّح أن يقال : من زنا وأكل الحلوى فاجلدوه ، قال ابن الحاجب وأجيب بأنّ الآية تحتمل متابعته ، أو مناصرته والاقتداء به ، والإيمان نصير دون الإنسان بالتمسك بالظاهر إنّما يثبت بالإجماع بخلاف التمسك به في القياس ، وقرّره الأصبهاني بأنّ الآية ليست دليلا قاطعا في وجوب متابعة الإجماع ، لأنّ اتباع سبيل المؤمنين عام يتناول اتبّاعهم في متابعة الرسول واتباعهم في نصرته والذب عنهم ، واتباعهم في فرقة والذب عنه ، واتباعهم بالاقتداء به واتباعهم في الإيمان به ، ودلالة العام على فرد من أفراده في المعنيين ليس بقطعي لجواز تخصيصه وإخراج ذلك الفردية ، وإذا لم يكن قطعيا وتمسّك به في كون الاجماع حجة لزم الدور ، لأنّ التمسك بالظاهر إنّما يثبت بالإجماع ...»«[238]».

---

[237]ــ سورة النساء : الآية 115

[238]ــ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 57

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ ﴾«[239]»

قال ابن عرفة ـ رحمه الله ـ « ذكر ابن العربي هنا في الأحكام والقرافي وغيرهما أنّ هذه الآية احتج بها من أنكر الاستحسان ، ووجه الدليل ما قاله أشهب في كتاب الخيار فيما إذا ورث قوم خيارا فاختلفوا فالقياس أنّ لهم ألا يأخذوا جميعا أو يردوا جميعا ، والاستحسان لمن أراد منهم أن يأخذ نصيب الراد إن شاء يفرق بينه وبين القياس وما الفرق بينهما إلّا أنّ القياس مستند إلى حكم شرعي معبّر عنه مصرّح به ، الاستحسان مستند إلى شيء قليل ، بل الفرق بينهما أنّ القياس مستند إلى حكم شرعي معبّر عنه مصرّح ، والاستحسان مستند إلى ذلك لكنّه في خاطر المجتهد ، ولا يقدر على التعبير عنه ، فقد خالف بينهما أشهب فجعلهما متباينين ، وما قلتموه ليس بمخالفة »«[240]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾«[241]».

قال ابن عرفة ـ رحمه الله ـ « ما ذكره ابن عطيّة وغيره عن أبي بكر وعمر ينبغي حمله على وجهين ، أحدهما : أنّ الخطأ في الاجتهاد ملزوم للتأثيم ، الثاني : ما ذكره ابن الحاجب من أنّه قد تعرّض له صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخطأ في اجتهاده ، ولكنّه لا يقرّ ، وقال الفخر في المحصول : الأكثرون على منع ذلك في حقّه وهو الصحيح ، لأنّ المعصية تمنع منه ، وهذا كلّه إذا قلنا إنّ كل مجتهد مصيب ، قال واحتجوا بهذه الآية على أنّ المصيب واحد ، فدّلت على أنّ عمر هو المصيب في اجتهاده ، وأجاب الآخرون بأنّ أبا بكر أقرّه النبي صلى الله عليه وسلم على ما فعله فهو مصيب بإقراره له ، وفرّق بعضهم بين الحكم بالفداء وبين أخذ الفداء ، فأبو بكر حكم

---

239 ـ سورة الأنعام : الآية 138

240 ـ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 191 ـ 192

241 ـ سورة الأنفال : الآية 67

ترجيح ، وغيره من الصحابة أخذه فوقع العتب على من أخذ الفداء ، لأنّه عرض دنيوي ، فأخذوه لمجرّد ذلك فقط ، وأبو بكر إنّما حكم بالفداء لمصلحة الآخرة وهو رجاء إسلامهم ...»«[242]».

فممّا تقدّم ذكره عن اتجاه تفسير الإمام ابن عرفة تبيّن أنّه يندرج ضمن التفسير بالرأي المحمود المبني القواعد العلمية ، والذي يزاوج فيه بين عدّة علوم تستخدم كآلات ووسائل في استنباط الآيات القرآنية. وتفسير الإمام ابن عرفة كما ظهر وبان أنّه جمع فيه بين اتجاهات ثلاث هي الاتجاه الأثري واللغوي و الفقهي ، والذي أداه لسلوك هذا الاتجاهات هو تحصيله العلمي وتفننه في جملة من العلوم الشرعية من التفسير والفقه والفقه ، إضافة للعلوم اللغوية من البلاغة والنحو والصرف .

المبحث الثالث : تعريف البلاغة لغة واصطلاحا

عقدت هذا المبحث لبيان معنى البلاغة وضبط مفهومها لغة. وذلك بالرجوع للمعاجم والقواميس للوقوف على مدلول هذه الكلمة وبيان المراد منها ، إضافة لضبط مفهوم البلاغة كعلم قائما بذاته . وذلك بنقل وإيراد تعريفات العلماء له مع شرحها وتحليلها والخلوص لتعريف مختار .

المطلب الأول :تعريف البلاغة لغة

إذا ما جئنا نستبين مدلول كلمة البلاغة في اللغة لزم الرجوع للمعاجم والقواميس فهي من تفيدنا بذلك . وبالعودة إليها وجدت أنّ المادة اللغوية لمصطلح البلاغة تفيد بأنّها مشتقة من الفعل بلغ الذي يعنى الانتهاء والوصول للشيء .

حيث جاء في لسان العرب ما نصه :« بلغ الشي يبلغ بلوغا وبلاغا ، وصل ، وانتهى ، وأبلغه هو إبلاغا ، وبلّغه تبليغا ... تبلّغ بالشيء وصل إلى مراده ، والبالغ ما يتبلغ به ، ويتوصل إلى الشيء المطلوب »«[243]»

---

[242]ـ تفسير ابن عرفة ، ج 2 ، ص 290

[243] ـ ابن منظور: ج 8 ، ص 419 ، ـ مادة بلغ ـ .

وقال الزبيدي :« بلغ المكان ، بلوغا بالضم وصل إليه وانتهى ، ومنه قوله تعالى :« لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس » ، والبلاغ : الاسم من الابلاغ والتبليغ ، وهما الايصال ، يقال : أبلغه الخبر إبلاغا ، وبلغه تبليغا »«[244]»

فالمعنى الذي أفادته المعاجم أنّ مصطلح البلاغة في عرف اللغة هو الانتهاء والوصول إلى الشيء.

المطلب الثاني : البلاغة في الاصطلاح

بعد ضبط معنى البلاغة في اللغة والخلوص إلى أنّها تعني الإيصال والانتهاء ، أحاول في هذا المطلب بيان معنى البلاغة في اصطلاح البلاغيين وأئمة النقد .

قد تضاربت أقوال العلماء من مفسرين و أدباء و لغويين و متكلمين ، وجدليين ، ومنطقين في تحديد مفهوم متكامل للبلاغة يحوطه الشمول والوضوح والبيان ، فالتعاريف الواردة عن المتقدمين لم تشف غليلا ، ولم ترو عليلا ، فالمصطلح ما زال يشوبه نوع من الغموض ، خصوصا عندما أخضع البعض منهم هذا المفهوم إلى مذهبه واعتقاده كما فعل بعض المتكلمين ، ممّا جعل اللاحق يتأفف من السابق ويتضجر منه ويلقى باللوم عليه ، لأنّه لم يضع تعريفا بيّنا ، كما أنّ الأقوال المنثورة للمتقدمين الأوائل لم تف بالغرض ، فلذا تعدّدت التعاريف وكثرت ، ومن أولى التعاريف المترددة تعريف صحار بن عياش عندما سأله معاوية بن أبي سفيان وقد أعجب بفصاحته فقال له: «ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال شيء تجيش به صدورنا ، فتقذفه على ألسنتا ، فقال له

[244] ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، د ط ، تحقيق علي شبري ، بيروت ، دار الفكر ، 1414 هـ 1994 م ،ج 12 ، ص 7 ـ 8 ،ـ باب الغين ـ.

معاوية ما تعدّون البلاغة فيكم ؟ قال : الايجاز ، قال معاوية ، وما الايجاز ؟ قال أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ»«[245]»

ويرى البعض في هذه القصة ، وهذا التعريف أنّه بداية لتبلور مفهوم البلاغة ، فصاحبه نطق بالمعنى الاصطلاحي للكلمة قبل غيره ، فلخص معاني البلاغة في كلمة جامعة ، وهي الايجاز «[246]» ، ومن التعريفات القديمة الموروثة ما نقله الجاحظ عن كثير من اللغويين حيث أورد عن عمرو بن عبيد تفسيرا دينيا لها «فقال : عندما سأله سائل ما البلاغة فأجاب : ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصّرك عواقب رشدك ، وعواقب غيّك ، فقال : السائل ليس هذا أريد ، قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول ... ، ثمّ قال : فكأنّك تريد تخيير اللفظ في حسن الافهام ، وقال : إنّك إذا أوتيت تقرير الحجة في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الأذان ، المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستحققت على الله جزيل الثواب »«[247]» فعمرو بن عبيد فسّر البلاغة هنا تفسيرا دينيا انطلاقا من المعنى اللغوي الذي يعنى الوصول ففسّر البلاغة بالوصول إلى الجنة والبعد عن النار عن طريق الأخذ بالأسباب ، ثمّ قرب إلى المفهوم الاصطلاحي للبلاغة المتعارف عليه عندما أشار إلى حسن انتقاء الألفاظ وتزيينها وتحسنيها حتّى تصل إلى قلوب المستمعين فيحصل لهم الاقناع والفهم ، ففي هذا تقريب للمعنى الحقيقي للبلاغة.

---

[245] ـ ينظر: البيان والتبين ، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، ط 1 ، تحقيق المحامي فوزي عطوي ، بيروت ، دار صعب ، 1968م ، ص 66.

[246] ـ ينظر: البلاغة عند المفسرين حتّى نهاية القرن الرابع عشر ، رابح دوب ، ط 2 ، مصر ، دار الفجر ، 1999م ، ص 17

[247] ـ البيان والتبين :ص 75

وقال العتّابي : «إنّ كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ، ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق »«[248]»

فتعريف العتّابي هذا أشار إلى أصل مهم في التعريف وهو الايجاز ، وهذا مقصد البلاغة ، فالبليغ يروم إيصال الفائدة إلى المستمع في صورة موجزة تراعي أحواله ، و قد علّق الجاحظ على هذا القول قائلا : «لم يعنِ أنّ كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقه إنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه ... ، وإنّما عني العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب »«[249]» ، ثمّ ذكر الجاحظ عدة تعريفات نقلها عن صحف الهند والفرس ، واليونان ، لكنّه أخبر بأنّ من أحسن ما اصطفي واجتبي ودوّن في تعريفها قول من قال : «لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه فلا يكون لفظك إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك »«[250]» ، وقد اعترض البعض عن التعاريف التي أوردها ، ووصفها بأنّها شرائط عامة مبهمة ليس فيها المعنى الحقيقي حتّى قال قائلهم : « ... فلا نظنّ أنّ ما أورده الجاحظ من أسئلة لفارسي ، ويوناني وهندي عن معنى المصطلح ، ما ذكره من إجابات يقدم كثيرا ، ولا يجدي أيضا ما يقوله الجاحظ متباهيا بأنّه من أحسن ما اجتبيناه ، ودوّناه عن مفهوم البلاغة بأنّه لا يكون الكلام يستحق البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظ إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك ولا يكفي كذلك أن تكون أمثل طريقة في البلاغة ـ أيضا كما يقول الجاحظ ـ : هي طريقة الكتاب لأنّهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا ... ينمو لك شعور بغيبة مفهوم متكامل أو شبهه ، وبخاصة عندما ترى الجاحظ لا يجد أمامه سوى النقل

248 ـ البيان والتبين: ص 113.

249 ـ المصدر نفسه : ص 98

250 ـ المصدر نفسه : ص 115 .

من صحيفة هندية في معنى البلاغة ، وهي شرائط في البليغ أكثر من كونها مفهوما فنيا ...»«[251]» ، ثمّ جاء بعض الجاحظ كثير من اللغوين كان لهم الفضل في إرساء البلاغة العربية وتأصيلها ، وأثرت عنهم تعاريفات لها ، لكنّها كسابقتها من التعريفات الأخرى ، فالنقاد يرون أنّها لا تعدوا أن تكون أقوالا مبسترة لم تصل إلى المفهوم الجامع المتكامل لهذا الفن ، ومن هذه التعاريفات تعريف المبرد الذي يقول :« إنّ حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم ، حتّى تكون الكلمة مقارنة أختها ومعاضدة شكلها ، وأن يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول»«[252]».

فالمبرد في تعريفه ذكر ما أشار إليه الأوائل وركّز على العناصر التي أوردوها في تعاريفهم من ضرورة الايجاز ، وحسن انتقاء الألفاظ ، والدقة في تركيب النظم ، إلاّ أنّه أحسن هو جمعها في هذا التعريف ، ليأتي بعده أبو هلال العسكري محاولا تجاوز ما أورده الأوائل ، ومستدركا عليهم بعد المآخذ في ذكرهم لحدود البلاغة وتعريفهم لها ، مضيفا في تعريفه أنّه ليس ثمة فرق بين البلاغة والفصاحة ، حيث قال : في تعريف البلاغة :« البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، وبلغتها غيري ، ومبلغ الشيء منتهاه ، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته ، فسميت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع ، فيفهمه ....والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى بليغا ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام »«[253]» .

[251]ـ ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، ط 2 ، الاسكندرية ، منشأة معارف ، د ت ، ص 12 .

[252]ـ ينظر: رسالة في البلاغة : ط 2 ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1405 هـ ـ 1985 م ، ص 81 .

[253]ـ الصناعتين الكتابة والشعر : د ط ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ محمد البجاوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1406 هـ ـ 1986 م ، ص 6

وقال في حدّ الفصاحة « أمّا الفصاحة فقد قال قوم : إنّها من قولهم أفصح فلان عمّا في نفسه إذا أظهره ، والشاهد على أنّها هي الاظهار قول العرب : أفصح الصبح إذا أضاء ، وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر ، وفصح أيضا ، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين ...والفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد ، وإن اختلف أصلاهما ، لأنّ كل واحد منهما إنّما هو الابانة عن المعنى والاظهار له»«[254]»

بيد أنّ تعريفه لم يسلم من النقد ، ففي الوقت الذي يعتبره البعض قد ابتعد في تعريفه للبلاغة

عن مسائل علم الكلام ولم يجار المتكلمين من أمثال الجاحظ ، وبشر بن المعتمر الذين سعوا في تكوين مفهوم بلاغي يجعل البلاغة وسيلة عقلانية للإقناع الفكري ، فيكون الأداء الفني وما به من وسائل جمالية خاضعة لذلك المعنى «[255]» حتّى قال أحدهم :« ... ولن يخدعنا العسكري في صناعته بأنّه بعيد عن هذا الجو ، «وأنّه ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين ، وإنّما قصدت صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، فهو ينقل رأي العتابي ، ويعلق عليه تعليق الجاحظ ، بل إنّ العسكري يؤكد مفهوم البلاغة مستدلا بأقوال الحكماء ... بل إنّ العسكري يضع عنوانا لما جاء عن الحكماء في حدود البلاغة ...»«[256]».

وممّن طالته أيادي النقد ولم يسلم من ذلك ابن سنان الخفاجي ، فقد أشار إلى اضطراب القوم في تحديد مفهوم البلاغة ، فجعلت البعض يؤمل تعريفا على يديه ، لكنّه راح يفارق بين الفصاحة والبلاغة ، فلم يحدها بتحديد دقيق ، فقال : « وقد حدّد الناس البلاغة بحدود إذا حققت كانت كالرسوم والعلائم ، وليست بالحدود الصحيحة .... والفرق بين الفصاحة والبلاغة أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفا للألفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة

---

[254]ــالصناعتين الكتابة والشعر : ص 7

[255]ـ ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، ص 14

[256]ـ المصدر نفسه : ص 15 .

واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ...»«[257]»

ويرى البعض أنّ الفضل في تحديد مفهوم شامل وواضح للبلاغة يعود للمتأخرين الذين وضعوا معالم هذا الفن ، ويخصون بذلك الامام السّكاكي ، فإنّه يعد الوحيد الذي وضع للبلاغة تعريفا دقيقا وشاملا حيث قال :« هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها ، وإيراد التشبيه ، والمجاز ، والكناية على وجهها »«[258]»

ومن المتأخرين كذلك الذين استقر على تعريفهم وتقسيمهم الامام القزويني ، فقد فرّق في تعريفه بين بلاغة الكلام ، وبلاغة المتكلم فقال عن بلاغة الكلام « وأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، ومقتضى الحال مختلف فإنّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، مقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذلك خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام ...»«[259]» .

وقال في بيان بلاغة المتكلم :« وأمّا بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ »«[260]» ، ثمّ قسّم علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام فقال :« حصر علوم البلاغة : وقد علم بما ذكرنا أمران : أحدهما أنّ كل بليغ ـ كلاما كان أو متكلما ـ فصيح وليس كل فصيح بليغا ، الثاني : أنّ البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وإلى تمييز الكلام

---

[257] ـ سر الفصاحة: د ط ، د ت بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1402 هـ ـ 1982 م ، ص 59

[258] ـ مفتاح العلوم : ط 1 ، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1403هـ ـ 1983 م ، ص 415 .

[259] ـ الايضاح في علوم البلاغة : ط 4 ، دت ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1998 م ، ص 13.

[260] ـ المصدر نفسه : ص 15

الفصيح من غيره ، والثاني أعني التمييز منه ما يتبين في علم متن اللغة ، أو التصريف أو النحو ، أو يدرك بالحس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي ، وما يحترز به عن الأول أعني الخطأ في تأدية المعنى المراد ـ هو علم المعاني ، وما يحترز به عن الثاني ـ أعني التعقيد المعنوي ـ هو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع »«[261]»

إلاّ أنّ هذين العالمين لم يسلما مثل سابقيهم ، فقد وجة إليهم النقد وحمّلا مسؤولية ركود البلاغة وجمودها ، فهم يرون أنّهما قد أفرغا البلاغة من ذوقها الأدبي وجمالها الفني وجعلاها مجرّد حدود ومصطلحات مصبوغة بصبغة فلسفية منطقية ، فكانت بمثابة قواعد تحفظ بأمثلة تطبيقية لا غير ،وفي هذا الرأي جانب من الصحة لا يمكن إنكاره ، لكن هذا التحديد للمصطلحات والقواعد كان لا بدّ منه ، كبقية العلوم التي أخضعت في القرون المتأخرة للتعاريف المنطقية والتبوييات الفلسفية ، حتّى تبسط ،ويفهم كلام المتقدمين .

و في ختام ما ذكرناه من أقوال نقلناها عن فطاحل اللغويين والبلاغيين في ضبط حقيقة البلاغة يمكن القول بأنّ تعريفات المتقدمين تختلف عن تعريفات المتأخرين . وذلك أنّ المتقدمين يعتمدون في بيان الحدّ والماهية على التعريف بالتمثيل أو التعريف اللغوي أو التعريف بالجزيئات أي الإشارة لمبحث من مباحث ذلك العلم وموضوعاته أو مسألة من مسائله، بخلاف المتأخرين الذي يحرصون

أن تكون الحدود شاملة وجامعة ومانعة بمعنى مستوعبة للمقصود من ذلك العلم ومخرجة ما ليس منه من العلوم الأخرى ، وهذا من فوائد المتأخر على المتقدم ، وهذا هو الذي يصدق على تعريف البلاغة هنا ، فمجموع ما أشار إليه المتقدمون من تعريفات مندرج تحت ما ذكرناه . وتعريف الإمامين السّكاكي والخطيب القزويني من المتأخرين مندرج تحت ما ذكرناه من خصائص تعريف المتأخرين ، وبناء على ما ذكر فإنّ تعريف السّكاكي والخطيب القزويني هو الذي سار عليه جلّ

[261] ـ الايضاح في علوم البلاغة : ص 15 ـ 16.

الباحثين وارتضاه أغلبية البلاغين من المتأخرين ممّن اعتنوا بكتابيهما . وهو الذي نرتضيه ونعتمده في بيان حدّ علم البلاغة.

المبحث الرابع : الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري

لقد شاع في أوساط الدّارسين والباحثين في الدراسات القرآنية ، والتفسيرية بشكل أخصّ مقالة مفادها أنّ المغاربة بضاعتهم مزجاة في علم البلاغة وإلمامهم بمسائلها ومباحثها ضعيف ، ممّا كان له تأثير على تفاسيرهم ، حيث خلت هذه الأخيرة من الإشارات البيانية والنكات البلاغية ، على غرار المشارقة الذين كانوا أقوم في هذا الفنّ وأمتن منهم ، لذلك كانت تفاسيرهم عامرة بمباحث البيان والمعاني ومملؤة بنكات البديع ، لا سيّما العجم منهم ، وصاحب هذه المقالة هو المؤرخ ابن خلدون ،فهو أوّل من حكى ذلك ، حيث أورد في كتابه المقدمة في معرض حديثه عن علم البلاغة وأهميته في بيان الإعجاز وضرورته في تفسير القرآن ما نصّه :« ... والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره ، وبالجملة فالمشارقة على هذا الفنّ أقوم من المغاربة وسببه واللّه أعلم أنّه كمالي في العلوم اللّسانية والصّنائع الكمالية توجد في العمران والمشرق أوفر عمرانا من المغرب ، كما ذكرناه أو نقول لعناية العجم وهو معظم أهل المشرق ، كتفسير الزمخشري ، وهو كلّه مبني على هذا الفن ، وهو أصله ، وإنّما اختّص أهل المغرب من أصنافه بعلم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية ، وفرّعوا له ألقابا وعدّدوا له أبوابا ، ونوّعوا أنواعا وزعموا أنّهم أحصوها من لسان لعرب ، وإنّما حملهم على ذلك الولوع بتزين الألفاظ وأنّ علم البديع سهل المأخذ ، وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيها ، فتجافوا عنهما ...»«[262]» .

---

[262] ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، د ت ، ط 4 ، بيروت – لبنان ، دار الكتاب العربي ، ج 1 ، ص 552.

وقد تلقى الناس من بعده هذه المقالة كنص مقدّس أو مسلمة من المسلمات الثابتة ، التي لا ينبغي الحياد عنها ،فتلقفوها وراحوا يتداولونها بينهم ، دونما تحليل ، أو إعادة قراءة ، لذا لزم الوقوف على عبارته وقراءتها قراءة دقيقة.

أولا: منهج المقارنة بين المشرق والمغرب في الجانب التعليمي والتربوي «[263]»

لقد كان لابن خلدون موقف من طرق التربية والتعليم المنتهجة في المغرب وقارن بينها وبين المشرق من خلال ما أفاده في رحلاته وبين ما نقله عن أئمة المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا بمناهج جديدة في التعليم وتنشئة الصبيان ، وكان يبدي في الغالب تدمرا من المغاربة في مختلف العلوم ، ففي الفقه يشيد بطريقة الأحناف في تدريس الفقه والتصنيف فيه ويميز بين المدرسة الحنفية والمالكية والشافعية في جانب في علم الخلاف «الفقه المقارن ». ويخبر بأنّ المالكية كانوا ضعافا فيه لأنّ أغلب معتمدهم على الأثر فيقول : « وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية لأنّ القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النظر والبحث،وأما المالكية فالأثر أكثر معتمدهم وليسوا بأهل نظر وأيضا فأكثرهم أهل الغرب وهم بادية غفل من الصنائع» «[264]».

فكلامه هذا يفتقد إلى التعليل وينمي عن عدم الاستقراء ، فكيف له أن يحتج على قلة مصنفات المغاربة في الخلافيات الفقهية بكونهم أهل بادية وغفل عن الصنائع فمثل هذا لا يحسن التعليل به ، والذي ينبغي أن يقال أنّ المغرب كان خاليا من وجود المذاهب الفقهية كالشافعية والأحناف ، وكان المذهب المالكي هو السائد في المنطقة ، ممّا لم يتطلب الحجاج والمناظرة مع المخالفين بخلاف المشرق

وفي تعليم القرآن والعربية ينتقد طريقة المغاربة في تأديب الصبيان وتعليمهم وقصرهم على حفظ القرآن دون العربية ، بخلاف المشارقة الذين يمازجون بين تحفيظ القرآن وتعليم بعض مبادئ العربية

---

[263]ـ ينظر: البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي : عبد الجليل ناظم ، ط 1 ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، 2002 م ، ص 15 .

[264]ـ المقدمة ، ج 1 ، 457 .

، ممّا أدّى إلى قصور المغاربة عن ملكة اللّسان ، فيقول : « فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ....وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا لا أدري بم عنايتهم منها والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الاجادة ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته فأما أهل أفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام»«[265]»

ثانيا : ضبط المفهوم «[266]»

من جملة المفارقات والتناقضات التي وقع فيها ابن خلدون هي عدم ضبطه للمصطلحات ، وبناء الأحكام جزافا عليها ، فمصطلح البديع الذي ادّعاه أنّ المغاربة قد أكثروا التأليف فيه وأولعوا بالخوض فيه ، ليس المراد به علم البديع على التقسيم الذي انتهى إليه علم البلاغة ، فإنّ ذلك التقسيم لم يظهر إلاّ بعد ظهور كتاب السّكاكي المفتاح، واعتناء العلماء بشرحه وتلخيصه، فإطلاق مصطلح البديع في زمانه والمغاربة بشكل أخص كان المقصود به علم البلاغة بأنواعه الثلاثة ، ولم يكن مقصورا على صناعة البديع ،وهذا وإن دلّ ، فإنّما يدل على عدم استقراء منه ،فجلّ المصنفات المغربية في القرن السادس والسابع والثامن كانت تحمل اسم البديع وأصحابها يضمنونها أنواع البلاغة كلّها ، كما هو الحال في كتاب الإضاءات والإنارات في البديع لأبي عبد الله محب الدين محمد بن عمر ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ)، وكتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، لأبي محمد القاسم بن محمد السجلماسي ، وكتاب الروض المريع في صناعة

---

[265] ـ المقدمة ، ج 1 ، 538 ـ 539.

[266] ـ البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي ، عبد الجليل ناظم ، ص 16

البديع لابن البنّاء المراكشي ت (721هـ) ، وهذا يؤكد كما يقول : الباحث عبد الجليل ناظم «أنّ ابن خلدون لم يكن يقصد بموقفه السابق الذكر التأليف البياني ، بل يقصد أساليب الصناعة البديعية التي سادت في الكتابة النثرية والشعرية . وهذه أساليب لم تكن مقصورة على المغاربة فقط ، بل عمّت كل الأدب العربي »«[267]».

من خلال ما تقدّم يتأكد أنّ رأي ابن خلدون فيما تعلّق بالبلاغة عند المغاربة لم يكن نقدا خاصا لعلم البلاغة في ذاتها. وإنّما هو نقد لمنظومة التعليم التي سادت بلاد المغرب في عصره ، فهي التي أثرّت على تكوين الطلاب وتنشئتهم بما في ذلك اللغة العربية . فهو على حدّ رأيه يرى أنّ طريقة تنشئة الصبيان في العربية وتلقينهم لعلومها على تلك العادات والتقاليد في بلاد المغرب لا تكوّن نبغاء في الأدب والبلاغة . وإنّ اتفقنا معه في هذا الرأي ، إلاّ أنّنا نخالفه في اطلاقه وتعميمه ، فالتراث المغربي في البلاغة يشهد لكثير من علماء المنطقة بعلو الكعب في البلاغة تدريسا و تصنيفا ، فالمصنفات والمؤلفات البيانية المغربية في القرن الخامس إلى القرن الثامن تبوأت منزلة في الساحة البلاغية في تلك الحقبة . وقد تنوعت وتباينت اتجاهات مؤلفيها و لتأكيد ذلك وإيضاحه عقدت هذا المبحث للحديث عن الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري ، وقد حصرت الكلام فيه عن بعض الشخصيات التي كان لها أثر وتأثير كبير في ساحة البلاغة المغربية دون التعرض لجميع البلاغيين في تلك الفترة .

المطلب الأول : الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن الخامس هجري

إنّ أقدم موروث بلاغي في المنطقة خلال القرن الخامس الهجري نستطيع من خلاله أن نسلط الضوء على البحث البلاغي في تلك الحقبة وأهم اتجاهاته وخصائصه ومميزاته هو كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه للإمام ابن رشيق القيرواني ، فقد احتل هذا الكتاب مكانة مرموقة وحظي باهتمام البلاغيين والنقاد من المشارقة والمغاربة ، بل يعدّها البعض من المصادر المؤصلة للبلاغة المغربية ، فمن هو الإمام ابن رشيق ؟، وما هو كتاب العمدة؟ وماهي قيمة المادة البلاغية التي حواها ؟ وما هي اتجاهاته ؟ وما مدى تأثيره في الدراسات البلاغية ؟ هذا ما نحاول أن نجيب عنه في هذا المطلب .

[267] البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي ، عبد الجليل ناظم ،ص 16

الفرع الأول : ترجمة الإمام ابن رشيق

هو أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني ، ولد بالمهدية سنة تسعين وثلثمائة ، من أب رومي مملوك ، من موالي الأزد ، ولد بالمسيلة ، وتأدب بها قليلا ، ثمّ ارتحل إلى القيروان سنة أربع وستمائة ، قرأ الأدب بالمحمدية ، وقال الشعر ، وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب ، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ، ترك كتبا مليحة منها : كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه ، وكتاب الأنموذج ، والرسائل الفائقة ، والنظم الجيد ، توفي ـــ رحمه الله ـــ ليلة السبت غرة ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر ...» «[268]»

الفرع الثاني : الدرس البلاغي في كتاب العمدة

صنّف الإمام ابن رشيق كتابه العمدة ليكون مرجعا في صناعة الشعر ومصدرا في النقد الأدبي، فيما تعلق بطريقة صياغة الشعر ، وإبداء المعاني وحسن التعبير عنها ، وأغراض الشعر وأهدافه ، كما ضمنّه مباحث بلاغية ، وهي التي سنتناولها بالحديث :

لقد تكلم ابن رشيق على جملة من المباحث البلاغية يمكن أن نصنّفها بحسب التقسيم العلمي الذي انتهت إليه : علم البيان ــ علم المعان ــ علم البديع ، مع العلم بأنّه لم يتحدث عنها وفق هذا الترتيب والتقسيم ، بل كانت متناثرة ومتفرقة حسب ما كان شائعا في كتابات ذلك العصر ، لأنّ هذا التقسيم لم يظهر إلاّ بعد الإمام السّكاكي ، ففي علم البيان تكلّم عن حدّ البلاغة ، وحدّ البيان ، وموضوع المجاز ، وباب الاستعارة ، والتمثيل ، والمثل السائر والتشبيه ، والكناية ،وفي علم المعاني تطرّق إلى موضوع التتميم والايجاز ، والايغال ، وفي علم البديع تطرّق للحديث عن التجنيس والترديد والتصدير ، والمطابقة والمقابلة ، والتقسيم ، والتسهيم ، والتفسير، والاستطراد والترصيع ، التفريع الالتفات ، والاستثناء ، والمبالغة ، والغلو ، والتشكيك ، والتكرار ، والمذهب الكلامي ، والاطراد والتمليط ، الاتساع ، ونفي الشيء بإيجابه ، وسأحاول الوقوف على هذه المباحث لمعرفة الجهد البلاغي الذي بذله ابن رشيق في هذا الكتاب ، ومدى إسهامه في تأصيل الدرس البلاغي ، مع بيان اتجاهه .

[268] ــ ينظر : وفيات الأعيان أبو العباس شمس الدين ابن خلكان ، ط 1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1994 م ، ج 2 ، ص 84 ــ 85 .

في علم البيان تكلّم ابن رشيق عن حدّ البلاغة وخصّص له بابا أورد فيه عدة تعاريفات نقلها عمّن سبقه من القدامى ، وكان قد استقى هذه التعاريف من كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، مؤيدا تلك التعاريف بالروايات والآثار ، والأخبار والأشعار ، موردا فيها أسماء كثير من الأدباء ، كالجاحظ ،وابن المقفع ،والرماني ، وابن المعتز ، وأبي منصور الثعالبي ، وفي خاتمة الباب ذكر أنّه اقتصر على بعض الأقوال الواردة في تعريف البلاغة ، وأضرب عن بعضها ليس غفلة أو جهلا بل اختصارا ، ليلخص في الأخير تلك الأقوال الواردة في تعريف البلاغة ويخرج منها بتعريف للبلاغة فقال :« وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني، ولا غفلته، لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات، ومدار هذا الباب كله على أن بلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز، مع حسن العبارة» «[269]»

وفي علم البيان كذلك تكلم عن حدّ البيان ناقلا تعريف الإمام الرّماني له وموردا كثيرا من الأمثلة والشواهد الحاوية لحسن البيان وجيده من القرآن والسنة وأشعار العرب ونثرهم وأخبارهم ، ثمّ علّق على تلك الأمثلة التي أوردها بأنّها نزر يسير من شيء كثير ، وأنّه لو تتبعها لأفنى العمر في ذلك ، مخبرا أنّ الجاحظ قد صنّف كتابا أجاد فيه وأتى بكل مستجاد ، فقال :« وهذا قليل من كثير يستدل به عليه، ولو تقصيت ما وقع من ألفاظ التابعين، وما تقدمت به شعراء الجاهلية والإسلام؛ لأفنيت العمر دون ذلك، وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ وهو علامة وقته الجهد وصنع كتاباً لا يبلغ جودة وفضلاً، ثم ما ادعى إحاطة بهذا الفن لكثرته وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل» «[270]».

وفي معرض حديثه عن المجاز أشار إلى منزلته في لغة العرب ومراعاة العرب له في مخاطباتهم وأنّه شيء متأصل فيهم لا يمكن إنكاره أو نفيه حيث قال : «العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات»«[271]» ، ثمّ ذكر تعريفا له نقله عن الإمام الحاتمي ، وأتبعه بكلام للإمام ابن قتيبة يؤكد فيه وقوع المجاز في القرآن ولغة العرب ، ليعمد بعدها إلى بيان تأثير المجاز في الكلام وسموّه عن الحقيقة في البلاغة ،

---

[269] ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ط 5 ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مصر ، دار الجيل ، 1401 هـ ــ 1989 م ، ج 1 ، ص 249 ــ 250 .

[270]ــ المصدر نفسه: ج1 ، ص 256 ــ 257 .

[271]ــ المصدر نفسه: ج 1 ، ص 265 .

ومدى وقعه في النفوس والقلوب ، مع الإشارة إلى ماانضوى تحت لواء المجاز من فنون بلاغية بديعة كالتشبيه والاستعارة والكناية، فقال :« فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز» «[272]» ، ثمّ شرع يسرد أمثلة عنه من القرآن وأشعار العرب .

وفي حديثه عن الاستعارة شرع ينوّه بقيمتها بأنّها أفضل أنوع المجاز ، وأنّ لها أثرا في تحسين الكلام ، مشير إلى تفاضل بعض الاستعارات على بعض ، وميل بعض النقاد إلى استحسان الاستعارة القريبة واستهجان البعيدة ، واستدّل على ذلك ببيت للبيد ، حيث قال : «والناس مختلفون فيها: منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه، كقول لبيد:

وغداة ريح قد وزعت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها«[273]»

فاستعار للفجر ملاءة، وأخرج لفظة مخرج التشبيه، وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة، ويقول: ألا ترى كيف صير له ملاءة، ولا ملاءة له، إنما استعار له هذه اللفظة؟ وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذي الرمة ناقص الاستعارة؛ إذ كان محمولاً على التشبيه، ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد»«[274]» ، ثمّ يعود وينتقد هذا الرأي ، بأنّ هناك أنواعا من الاستعارات البعيدة كانت أبلغ في الكلام وأوقع في النفوس من الاستعارات القريبة ،واستحسنها النقاد وأشادوا بها فقال : «وهذا عندي خطأ؛ لأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة، وعلى ذلك مضى جلة العلماء، وبه أتت النصوص عنهم، وإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء، ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس:

بح صوت المال مما ... منك يشكو ويصيح

فأي شيء أبعد استعارة من صوت المال؟ فكيف حتى بح من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع؟ ولم يرده أبو نواس فيما أقدر؛ لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيداً، وكذلك قول بشار:

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرها ... وقدت لرجل البين نعلين من خدي

فما أهجن «رجل البين» وأقبح استعارتها!! ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها الوصل: ... »«[275]».

---

[272] ــالعمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج 1، ص 266 .

[273] ــ ديوان لبيد بن ربيعة : ص 176

[274] ــالمصدر نفسه: ج 1 ، ص 269

[275] ــ المصدر نفسه : ج 1، ص 269 ــ 270 .

وهذه الاشارة من ابن رشيق تدل على أنّ له ذوقا أدبيا وأنّه ناقد على عكس ما يدّعيه البعض من أنّه لا يحسن إلاّ الجمع ولم يكن إلاّ مجرّد ناقل وحاك لكلام سابقيه ، فهو يعترض على من يرى أنّ الحسن يكمن في الاستعارات ، ويشير إلى وجود البلاغة في الاستعارات البعيدة مع الاستشهاد على ذلك بأشعار العرب ، ثمّ نقل بعد ذلك تعريفات للاستعارة عن القاضي الجرجاني وابن وكيع المصري ، وابن جنى ، مستحسنا كلامه في معناها ، مع الإضافة عليه ، وإبداء وجهة نظره فيها ، حيث قال :« وكلام ابن جني أيضاً حسن في موضعه؛ لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة، فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة، إلا أنّه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر، ولا يقربها كثيراً حتى يحقق، ولكن خير الأمور أوساطها.. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق:

وقد لبست لبس الهلوك ثيابها ... وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم

وترمق أحياناً بعينٍ مريضةٍ ...وتبسم عن مثل الجمان المنظم

وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض، وشبه المبسم بالجمان، وهذا إفراط غير جيد ههنا»«[276]» ، ثمّ ينقل بعد ذلك تعريف للاستعارة عن الرّماني ، مع نقله لبعض الأمثلة التي أوردها وبيّن فيها محاسن الاستعارة فيها ، وهو مع ذلك لا يكتفي بمجرد النقل بل يتبعها بالتعليق والتحليل ، فمن ذلك إشاراته لبعض الاستعارات وردت عن القدامى ، ويقصد بهم شعراء الجاهلية من أصحاب المعلقات يستهجنها المحدثون ، ويتحاشونها لطافة وظرافة ، ويمثل لها بأبيات من شعر امرئ القيس ، ثمّ يبيّن بعدها الغرض والدافع من لجوء العرب لاستعمالها والاكثار منها ، معللا ذلك ، بأنّها من باب الاتساع في الكلام ، وأنّ ألفاظ العرب أكثر من معانيها ، فقال : «والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة، ليس ضرورة؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم، فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً. ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة وهو يستعيرون له مع ذلك؟ على أنا نجد أيضا اللفظة الواحدة يعبر بهاعن معان كثيرة، نحو « العين » التي تكون جارحة، وتكون الماء، وتكون الميزان، وتكون المطر الدائم الغزير، وتكون نفس الشيء وذاته، وتكون الدينار، وما أشبه ذلك كثير، وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم، ولكنه مع الرغبة في الاختصار، والثقة بفهم بعضهم عن بعض. ألا ترى أن

---

[276] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ج 1، ص 271.

كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسم غير العين أو أسماء كثيرة؟ »«[277]» ليختم بعدها حديثه عن الاستعارة بأنّها وردت كثيرا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، مع إيراده للأمثلة والشواهد الدالة على من آيات القرآن وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وإرادفها ببعض أناشيد العرب وأشعارهم .

وفي معرض حديثه عن التمثيل جعله من ضروب الاستعارة مع إشاراته إلى أنّ بعضهم يسميه المماثلة ، وهو يعني بذلك أبا هلال العسكري ، فهو الذي سمّاه في كتاب الصناعتين بالمماثلة ، ثمّ يشرع في سرد شواهد من أشعار العرب ، فنقل بيتا لامرئ القيس علّق عليه بأنّه أول من ابتكر هذا النوع ، وأنّ ما قاله لم يؤت بأملح منه ، مشيرا إلى قوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتقذحي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل«[278]»

مع إيضاحه إلى وجه التمثيل وحسنه ، ويردفه بأبيات أخرى عن شعراء كثر ، وبعض الأحاديث النبوية الحاوية لهذا النوع من البيان ، ليقرر في الأخير أنّ الاستعارة والتمثل من التشبيه غير أنّهما بدون استثناء ، مبيّنا في خاتمة حديثه عن التمثيل محاسنه حاصرا إيّاها في ثلاثة أمور ، وهي : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه .

ثمّ عقد بابا للمثل السائر ، وهو بذلك يخالف أكثر النقاد الذي يجعلونه من التمثيل أو الاستعارة التمثيلية ، وفي حديثه عنه لا يستهل الكلام بتعريفة ، بل يشير إلى كثرة دورانه في لغة العرب نظما ونثرا ، مبيّنا أفضل أنواعه ، وهو ما كان موجزا وصادقا ، ثمّ يمضي في سرد بعض الأشعار الحاوية للأمثال متبعا إيّاها بالتعليق والنقد ، ليتحدّث بعدها عن بعض الأمثال الطويلة الجارية على النسق المحكم ، مخبرا أنّ ما جاء منها في القرآن ، فإنّه حوى أوجه الإعجاز ، ويضرب أمثلة عن ذلك ، ثمّ يضيف إليها أمثلة من السنة ، ليعود للحديث عن الأمثال في الأشعار ، منتقدا بعض الشعراء الذين يكثرون منه ، فيضمنون البيت الواحد أكثر من مثل ، ليبيّن بعدها أنّ المثل يستحسن ويستظرف إذا كان قليلا ، أمّا إذا كثر فيعد تكلفا ، لذلك وجب على الشاعر التوخي والحيطة من أن يكون شعره كلّه مثلا ، فلذلك ذمّ كثير من الشعراء الذين أولعوا بتزيين أشعارهم به ، وبغيره من ألوان البيان والبديع .

ثمّ تحدّث عن التشبيه واضعا تعريفا جديدا له ، فقال : « التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا

---

[277] ـالعمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 1، ص 274 .

[278] ـ ديوان امرؤ القيس : ط 4 ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، ـ دار المعارف ـ ، 1984 م ، ص 13

ترى أن قولهم « خذ كالورد » إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه، وكذلك قولهم :« فلان كالبحر، أو كالليث » إنما يريدون كالبحر سماحة وعلماً، وكالليث شجاعة وقرما، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهوقته؛ فوقوع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت؛ فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه، كقولهم : « عين كعين المهاة، وجيد كجيد الريم » فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والمهاة، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والريم، والكاف للمقاربة، وإنما يريدون أنّ هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المهاة، وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الريم، ألا ترى أن الأصمعي سئل عن الحور فقال: أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر، ولا حور في الإنسان، هذا أحد أقوال الأصمعي في الحور، ويدلك على أن التشبيه إنما هو بالمقاربة كما قلنا»«[279]» ، ثمّ بيّن حسن التشبيه والاستعارة فيما نقله عن الرّماني بأنّه كامن في إخراج الشيء من الغموض إلى الوضوح ، وتقريب البعيد ، ثمّ ينقل عنه أقسام التشبيه ، حيث جعلهما الرّماني ضربين: حسن وقبيح ، فالحسن ما أوضح غامضا ، فيفيد بذلك بيانا ، والقبيح على خلافه ، ثمّ يمضي ضرب الأمثلة والشواهد الموضحة لذلك ، ليحكي عنه بعد ذلك تقسيما جديدا للتشبيه ، أحدهما سمّاه التقدير ، والثاني التحقيق ، فالتقديري عنده ما كان التشبيه فيه من وجه واحد دون وجه ، والتحقيقي ما كان التشبيه فيه مطلقا كتشبيه النفس بالنفس ، ثمّ يسرد بعدها جملة من الشواهد يتبعها بالنقد والتحليل ، ثمّ ينقل عن قدامة ما زعم فيه أنّه أفضل أنواع التشبيه ، ويفند مزاعمه معلّقا على ماساقه من شواهد ناقدا إيّاها ومبيّنا أنّ ما ادعاه ليس فيه فضل كبير ، وأنّ التشبيه الذي نسب إليه الفضل ، يندرج ضمن التشبيه الحقيقي الذي ذكره الرماني ، ليتحدث بعدها عن بعض أدوات التشبيه مبيّنا أنّ الأصل فيها الكاف وما شابهها ، أو الكاف وما شاكلها متطرقا إلى تعدد طرفي التشبيه في البيت الواحد بعد أن كان الأصل فيه تشبيه شيء بشيء في بيت واحد ، مرجعا ذلك إلى امرئ القيس فهو أول من ابتكر ذلك وفعله ، فقال : «كلها شيء بشيء في بيت واحد، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب:

[279] ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج 1، ص 286 ــ 287 .

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي«[280]»

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد، واتبعه الشعراء في ذلك...»«[281]» ، ثمّ ينقل شواهد أخرى عن شعراء آخرين يوضح فيها تعدد طرفي التشبيه ، والملاحظ عليه في سرده لتلك الأبيات هو تتبعها بالتحليل والنقد ، ليتطرق بعدها للحديث عن وجود بعض التشبيهات وصفها هو بأنّها عقيمة لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة بمعنى أنّ ليس فيها شيء من الحسن أضفته على الكلام ويمثل لذلك بأبيات لعنترة العبسي ، والحطيئة، والشماخ ، وعدي بن الرقاع، ليعرج للإشارة على وجود التشبيه في القرآن والسنة ضاربا أمثلة عن ذلك ، ليختم حديثة عن التشبيه بإشاراته إلى وجود بعض التشبيهات أتى بها القدامى استبشعها المولدون بعدهم ، وإن كان حسنة في ذاتها .

وبعد فراغه من الحديث عن التشبيه عقد بابا للإشارة أفاض الحديث فيه ، حيث نوّه بقدرها وأشاد ببلاغتها ، مبيّنا أنّ فطاحل الشعراء والحذاق منهم هم الذين يستطيعون الاتيان بها ، ليتطرق بعدها إلى بيان أنواعها وأقسامها ، فعدّ منها : التفخيم ، والتعريض والتلميح ، والكناية والتمثيل ، والرمز ، واللغز ، واللحن ، والتعمية ، والحذف ، والتورية ، مدللا على كل قسم بشواهد من القرآن والشعر ، ومنثور العرب ، ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ الإمام ابن رشيق كان أدّق من الإمام أبي هلال العسكري ،حيث أدخل الكناية والتعريض والتعمية في باب الإشارة ، في حين أنّ أبا هلال أفرد عنها كثيرا من أقسام الكناية كان ينبغي عليه أن يسلكها فيها «[282]» .

ثمّ أفرد باب جديدا للكناية ، غير أنّه اصطلح عليها باصطلاح آخر سمّها التتبيع ، جاعلا إيّاها من أقسام الإشارة ، فوضع تعريفا لها ونسب ابتكار هذا النوع لامرئ القيس ، حيث قال : «من أنواع الإشارة التتبيع، وقوم يسمونه التجاوز، وهو: أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه، ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه، وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة:

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل«[283]»

فقوله: « ويضحى فتيت المسك » تتبيع، وقوله : « نؤوم الضحى » تتبيع ثان، وقوله : « لم تنتطق عن تفضل » تتبيع ثالث، وإنما أراد أن يصفها بالترفه، والنعمة، وقلة الامتهان في الخدمة، وأنها

---

[280] ـ ينظر : ديوان امرؤ القيس ، ص 38.

[281] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 1، ص 290 .

[282] ـ ينظر: البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ط 8 ، مصر ، دار المعارف ، د ت ، ص 148 .

[283] ـ ينظر : ديوان امرؤ القيس ، ص 17

شريفة مكفية المؤونة، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة»«[284]»، ثمّ يشرع بعد هذاالتعريف في سرد كثير من الشواهد الشعرية ، مبيّنا وجوه التتبيع فيها ومكمن الحسن والجمال الذي أضفته الكناية على الكلام .

هذا فيما تعلق بعلم البيان ، وأمّا علم المعاني فقد سبق وأن قلت بأنّه تعرّض لثلاثة مواضع مهمة منه ، وهي : الايجاز ، والتتميم ، والايغال ، ففي حديثه عن الايجاز استهله بنقل تقسيم له عن الإمام الرّماني ، حيث قال : «الإيجاز عند الرماني على ضربين: مطابق لفظه لمعناه: لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، كقولك: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ «[285]» ، ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع، كقول الله عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ وعبر عن الإيجاز بأن قال: هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف...»«[286]» ، إلاّ أنّه استدرك عليه بأنّ هذا الباب فيه اتساع كبير ، ويندرج تحته أنواع ، لكل نوع تسمية اصطلح عليها أهل الصناعة ، فالضرب الأول الذي جعله الرماني مطابق لفظة لمعناه أخبر أنّ أهل الصناعة يسمونه المساواة ، وساق أبيات توضحه وتبينه ، وأمّا الضرب الثاني الذي ذكره الرماني ، بأنّه حذف ، فقد أخبر بأنّ أهل الصناعة يسمونه الاكتفاء ، وهو داخل في باب المجاز ، وساق أمثلة عنه من القرآن والسنة ، وشعر العرب .

وعند حديثه عن التتميم يبدو تأثره واضحا بالحاتمي ، وقدامة بن جعفر في التسمية ، فالأول سمّاه التتميم ، والثاني سمّاه التمام ، بيد أنّه أخبر بأنّ من هذا النوع ضربا يسمى الاحتراس ، ومثّل له بقول طرفة بن العبد : فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي«[287]»

وبيّن التتميم الذي فيه قائلا :«لأن قوله غير مفسدها تتميم للمعنة، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر...»«[288]» ، ليسوق بعدها جملة من الشواهد الشعرية عليه ، ثمّ بيّن وقوعه في القرآن

[284]ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج 1 ، ص 313 ــ 314 .

[285]ــ سورة يوسف : الآية 82

[286]ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 2 ، ص 50

[287]ــ ينظر : ديوان طرفة بن العبد : ط3 ، شرح وتقديم محمد ناصر الدين ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 1423 هـ ــ 2002 م ، ص 79 .

[288]ــالمصدر نفسه : ج 2، ص 50.

عند قوله تعالى :﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾«[289]» وقوله :تعالى : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾«[290]» ، فالتتميم في الآية الأولى عند قوله تعالى : «عَلَىٰ حُبِّهِۦ» ، على قول من قال : إنّ الهاء ضمير الطعام ، وفي الآية الثانية عند قوله تعالى : «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» حيث تمّم المولى جلّ وعلا كلامه بقوله : «وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وعند حديثه عن الايغال ، جعله ضربا من المبالغة ، إلاّ أنّه يختص بالقوافي فحسب ، مفيدا بأنّ الحاتمي ،وأصحابه يسمونه التبليغ ، ثمّ يخبر بأنّه ليس ثمّت خلاف بين الناس أي أهل الأدب والنقد أنّ أول من ابتكر هذا النوع من المعاني في شعره هو امرئ القيس بقوله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ... تقول هزيز الريح مرت بأثأب «[291]»

حيث بالغ في وصفه عندما يجري شأوين ، فيبتل عطفه بالعرق ، ثمّ زاد إيغالا وتوسعا في صفته عندما ذكر الأثأب ، وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ، ليمضي بعدها في سرد كثير من الأبيات الشعرية مبيّنا وجوه الإيغال فيها ، ليختم حديثه عنه ببيان أصل اشتقاقه اللغوي ، وأثر التسمية على المعنى الاصطلاحي عند أهل الصناعة «[292]».

وفي علم البديع تناول ابن رشيق ــ رحمه الله ــ الجناس تحت مصطلح التجنيس ، ذاكر أنّ منه ضروب كثير شرع في تفصيلها ناقلا تلك التقسيمات عن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فذكر المماثلة ، وهي أن تكون اللفظة واحدة ، لكنّ المعنى مختلف ، ومثّل له ببيت لزياد الأعجم ، وآيتين من القرآن ، وحديث للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثمّ ساق شواهد كثيرة عنه ، دائما يتبعها بالنقد والتحليل ، فمن ذلك اعتراضه على قدامة الذي أخطأ عندما عدّ التجنيس طباقا في قول الأودي : وأقطع الهوجل مستأنساً ... بهوجل عيرانة عيطموس

قال ابن رشيق رادا على قدامة فيما ادّعاه :« أنشده قدامة على أنه طباق، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب، وقد جاء رد الأخفش علي بن سليمان عليه في ذلك وإنكاره على رأي الخليل و الأصمعي في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي»«[293]».

---

[289] ــ سورة الإنسان : الآية 8

[290] ــ سورة غافر : الآية 40

[291] ــ ينظر : ديوان امرؤ القيس ، ص 49

[292] ــ ينظر : ص 57 ــ 60

[293] ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج 1 ، ص 322.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولقد عدّ ابن رشيق الترديد من التجنيس ، إلاّ أنّه أخبر بأنّه سيفرد له بابا خاصا ، ثمّ يشير إلى نوع من التجنيس سمّاه التجنيس المحقق ،مخبرا أنّ الجرجاني يسميه التجنيس المطلق ، كما أشار إلى المضارعة التي يسميها الجرجاني التجنيس الناقص ، مبيّنا أنّها تأتي على أوجه كثيرة كزيادة الحروف ونقصانها ، أو تقدمها وتأخرها ، ضاربا أمثلة عنها من القرآن والسنة وشعر العرب ، مشيرا كذلك إلى التجنيس الذي يسميه الرماني مشاكلة ، وهذا النوع أصبح فنّا مستقلا بذاته عند المتأخرين ،يطلق على ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، ثمّ تكلم عن الترديد ، الذي يسميه أبو هلال العسكري بالمحاورة ، معرّفا إيّاه بقوله :« هو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه...»«[294]» ، ثمّ مضى يسرد جملة من الأبيات الشعرية ، ويحلل وجه الترديد فيها ، ليقرر بعدها أنّ النقاد والمولعون بالأدب متفقون جميعا على تقديم قول أبي حية النميري في هذا النوع من البديع عندما قال :

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى مما لبسن اللياليا

إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة ...تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

قال ابن رشيق معلقا عليه :«والترديد الذي انفرد فيه بالإحسان عندهم قوله لبسن البلى مما لبسن اللياليا وكذلك قوله إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة ثم قال: تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا لأن الهاء كناية عن المرء، وإن اختلف اللفظ»«[295]».

وممّا يلاحظ عليه في ذكره لهذا النوع من البديع أنّه يناقش أقوال النقاد ، ويخطئ الكثير منهم ،ممّن يخرج كثيرا من الأبيات عن دائرة الترديد ، وينتقل بها إلى فنون أخرى ، فمن ذلك تخطئته لمن ادّعى أنّ قول امرئ القيس تكرار عندما قال :فثوباً لبست وثوباً أجر ، قال ابن رشيق منتقدا هذا الرأي :«وحمل قوم قول امرئ القيس فثوباً لبست وثوباً أجر على أنه تكرار لا ترديد فيه، وهذا هو الخطأ البين، وأي ترديد يكون أحسن من هذا؟ وقد أفاد الثاني غير إفادة الأول حسب ما شرطوا»«[296]» ، ثمّ تحدّث بعدها عن التصدير ، ويقصد به ردّ أعجاز الكلام على صدورها كما قاله ابن المعتز ،و أبو هلال العسكري ،وكما استقر الاصطلاح عليه عند المتأخرين ، فابتدأ بتعريفه وبيان مزيته في تحسين الكلام قائلا:«وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على

---

[294] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه :ج 1، ص 333

[295] ـ المصدر نفسه : ج 1، ص 334.

[296] ـ المصدر نفسه : ج 1، ص 335 .

بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة ويزيده مائية وطلاوة»«[297]» ، ثمّ نقل تقسيم ابن المعتز له إلى ثلاثة أقسام ، ذاكرا تعريف كل قسم ، وممثّلا لها بأبيات شعرية ، ليشير بعدها إلى الفرق بين التصدير والترديد ، حيث جعل التصدير خاصا بالقوافي التي ترد على الصدور ، بينما الترديد يقع في أضعاف البيت ، هذا فيما تعلق بالتصدير ، لينتقل بعدها للحديث عن المطابقة مبتدئا بتعريفها ناقلا ذلك عمّن سبقوه من النقاد ، ومشيرا إلى مخالفة كلّ من قدامة والنحاس للجمهور في تسمية هذا النوع بالتكافؤ ، حيث قال : « المطابقة في الكلام: أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر، إلا قدامة ومن اتبعه؛ فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً، وقد تقدم الكلام في باب التجانس، وسمى قدامة هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا التكافؤ، وليس بطباق عنده إلا ما قدمت ذكره، ولم يسمه التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع من علمته»«[298]»، ثمّ يمثل لها بما يذكره من أشعار زهير ، وابن الزبير الأسدي ، والطفيل الغنوي ، ليردفها بشواهد من القرآن والسنة ، ثمّ أشار بعدها إلى اختلاط الجناس بالمطابقة مبيّنا أسباب ذلك ، مقررا إمكانية اجتماعهما في البيت الواحد أو الكلام الواحد، بحيث يكون أحدهما جناسا ظاهرا ، طباقا باطنا ، أو العكس ، ليخرج بعدها للحديث عن المقابلة ناقلا تعريفها عن سابقيه قائلا : «المقابلة: مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم، هذا حد ما اتضح عندي»«[299]» ، ثمّ ذكر أقسامها ممثلا لكل قسم بشعر من أشعار العرب ، ومنبها على أنّ المقابلة تقع في مرتبة وسطى بين الطباق والتقسيم ، ثم يشير بعدها إلى نوع من المقابلة لا يكون فيها موافقة ولا مخالفة ، إلاّ من ناحية الوزن ، فتسمى حينئذ موازنة بدلا ... »«[300]» ، ثمّ ينتقل بعهدها للحديث عن التقسيم ذاكر اختلاف الناس فيه وأنّ البعض منهم يرى أنّه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ ، ثمّ مثل له بأمثلة من الشعر ، وأمثلة من المنثور ساق فيها حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم بيّن وجه التقسيم فيه وحسنه ، ليبيّن بعدها أنواع التقسيم ، فذكر منها التقطيع ، وأفاد بأنّ ما يأتي منه مسجوعا يسميه قدامة ترصيعا .

---

[297] ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 2 ، ص 3.

[298] ــالمصدر نفسه : ج 2، ص 5

[299] ــ المصدر نفسه ، ج 2، ص 15

[300] ــ المصدر نفسه : ج 2، ص 20 .

وفي حديثه عن التوشيح سمّاه بالتسهيم متبعا في ذلك على بن هارون المنجم ، مشيرا إلى أنّ قدامة يسميه توشيحا ، وابن وكيع يسميه المطمع ، ثمّ يذكر بعد ذلك أقسامه ممثّلا لكل قسم بأمثلة من الشعر ، وشواهد من المنثور ، ليختم الحديث عنه ببيان وجه تسمية هذا النوع من البيان وأصل اشتقاقه ، فيقول :«وما أظن هذه التسمية إلا من تسهيم البرود، وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده. وأما تسميته توشيحاً فمن تعطف أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه، ويمكن أن يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز، وله فواصل معروفة الأماكن، فلعلهم شبهوا هذا به، ولا شك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره إنما هي من هذا، وبعض الناس يقول: إن التوشيح بالجيم، فإن صح ذلك فإنما يجيء من « وشجت العروق » إذا اشتبكت، فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ، فأما تسميته المطمع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف، فإذا حوول امتنع وبعد مرامه»« [301] ».

وفي حديثه عن التفسير عرّفه ومثّل له بقول الفرزدق قائلا :«وهو: أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملا، وقل ما يجيء هذا إلاّ في أكثر من بيت واحد، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة:

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم ... طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

لألفيت منهم معطياً ومطاعناً ...وراء شزراً بالوشيج المقوم»« [302] » ، ثمّ يقوم بالتعليق على هذا البيت مبيّنا رأيه فيه وموردا وجه الاعتراض عليه بأنّ فيه قصور وإشكال ، فيقول : «هذا جيد في معناه، إلا أنه غريب مريب؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخراً؛ فجاء فيه بعض التقصير والإشكال، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام»« [303] »، ويشير إلى أنّ أحسن التفسير ما كان خاليا من التضمين ، لينتقل بعدها للحديث عن الاستطراد مستهلا إيّاه بوضع حد له ، وضابط يدرك به الفرق بينه وبين الخروج ، فقال :«هو: أن يرى الشاعر أنّه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً، والصواب ما بينته..»« [304] » ، ثمّ ينقل عن الحاتمي ما ذكره في خروج الاستطراد من مدح إلى ذم أو العكس مع تسميته لهذا الخروج بالاستطرد ، ويورد الأمثلة التي استشهد بها الحاتمي ، كما يشير

---

[301] ــالعمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج 2، ص 34 .

[302] ــ المصدر نفسه : ج 2، ص 35 .

[303] ــ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 35

[304] ــ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 39.

إلى نوع من الاستطراد يسميه هو اندماجا ، ويمثل له ، ليخرج بعدها للحديث عن التفريع مبيّنا أنّه فرع من الاستطراد ، وقد سبقه إلى هذا كما يقول النقاد أبو تمام ، فهو الذي شعب من الاستطراد نوعا سمّاه التفريع ، ثمّ قام بتعريفه بقوله : « وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً ... »«[305]» ، ثمّ يمضي في إيراد الشواهد محللا إيّاه ومبيّنا رأيه فيها ، ثمّ يتعرض بعدها للحديث عن الالتفات ناقلا فيه عن قدامة وابن المعتز ، فحكى عن قدامة أنّ البعض يسميه الاعتراض ، وآخرون يسمونه الاستدراك ، ثمّ يذكر تعريفه ويمثل له بما نقله عن ابن المعتز قائلا :« وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول، كقول كثير:

لو أنّ الباخلين، وأنت منهم، ... رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله : «وأنت منهم» اعتراض كلام في كلام، قال ذلك ابن المعتز، وجعله باباً على حدته بعد باب الالتفات، وسائر الناس يجمع بينهما»«[306]».

ويمضي بعدها في إيراد الشواهد ويناقشها ، ثمّ يعقد مقارنة بين الاستطراد والالتفات وبيان الفرق بينهما، ثمّ يتحدّث عن توكيد المدح بما يشبه تحت اسم الاستثناء موافقا في ذلك أبا هلال العسكري ، وخاله أبا أحمد كما يقول النقاد ، غير أنّه يشير إلى تسمية ابن المعتز له باسم توكيد المدح بما يشبه الذم ، ثمّ يمثل له بأبيات للنابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، وابن الرومي ، مبدياً رأيه فيما يورده ويناقش ، ويستدرك ، ويصوب ، فمن ذلك انتقاده لقول الربيع بن ضبيع الفزاري ، حيث قال : «وقال الربيع بن ضبيع الفزاري:

فنيت وما يفنى صنيعي ومنطقي ... وكل امرئ إلا أحاديثه فاني

وليس من هذا الباب عندي، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط؛ فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطال، ولخرجنا فيه عن قصده وغرضه ولكل نوع موضع»«[307]»، ثمّ تحدّث عن الغلو ، وأخبر أنّ له أسماء كثيرة تطلق عليه ، كالإغراق والإفراط ، ثمّ يقوم بتخطئة من يرى أنّ فضل الشاعر وقيمته تكمن في مدى معرفته بالغلو والإفراط بأنّ هذا مناف للحقيقة ،ولأنّ النقاد مجمعون على أنّ خير الكلام ما كان حقيقة ، ثمّ يذكر تعريفه عن قدامة ويمثل له ، وينقل

[305] ــالعمدة في محاسن الشعر وآدابه: ج 2، ص 42 .
[306] ــ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 45 .
[307] ــالمصدر نفسه : ج 2 ، ص 50 .

عن الجرجاني ذمّه للمتأخرين الذين أفرطوا في الغلو ،وبالغوا فيه ، كما يحكي عن الحاتمي استهجان العارفين بالشعر لأبيات الغلو والإغراق ، ثمّ ينقل شواهد من الشعر للقدماء والمحدثين تضمنت الغلو ، ثمّ يختم حديثه عنه بمقترح مفاده أنّه وإن كان ولابدّ للشاعر أن يأتي بالغلو فليحرص على أن يكون ذلك ندرة وأن يكون في بيت واحد من قصيدة كاملة ، كما نبّه على أنّ أحسن الإغراق ما كان مقرونا بكاد ، أو ما شاكلها نحو : كأن ولو ولولا ، وما شابه ذلك ، ثمّ تحدّث الشيخ بعد فراغه من الغلو عن التشكيك مشيدا بحلاوته وحسن موقعه من الكلام ، مع إظهار الغرض والفائدة منه ، وهي الدلالة على قرب الشبيهين حتّى لا يفرق بينهما ، ولا يميز أحدهما من الآخر ، ويمثل له بأبيات لزهير وذي الرّمة ، وجرير وغيرهم من الشعراء ، وهذا النوع الذي سمّاه التشكيك يسميه ابن المعتز بتجاهل العارف .

ومن جملة المباحث التي تناولها كذلك وعدّها من فنون البديع التكرار ، متبعا في ذلك الإمام الباقلاني ، وأبا أحمد العسكري ، وخالفهم أبو هلال بجعله من أبواب الإطناب ، وقد نبّه ابن رشيق على أنّ التكرار يحسن في مواضع ويذم في مواضع ، وأنّه يقع في الألفاظ أكثر من المعاني ، مع إعطائه لشواهد من الشعر منبها فيها على الأغراض التي أفادها التكرار كالتشويق والتنويه والإشارة والتفخيم ، والتقرير والتوبيخ ، والازدراء والتهكم والتنقيص ، كما تحدّث ابن رشيق عن المذهب الكلامي بجعله بابا من التشكيك ، وقد نقل ذلك عن ابن المعتز ، واكتفى بأمثلة قليلة عنه اعتبرها كافية للدلالة عليه ، ثمّ تحدّث عن باب جديد يرجع إليه الفضل في اكتشافه سمّاه بنفي الشيء بإيجابه مشيرا إلى أنّه باب من المبالغة غير أنّه لا يختص بها ، لكن له أثر في تحسين الكلام ، ومزية في تزيينه ثمّ بيّن أصله في الحقيقة بأنّه من جهة الباطن نفي ومن جهة الظاهر إيجاب ... »[308].

ومضى يسرد أمثلة كثيرة عنه مبيّنا الحسن في بعضها ، والعيب في البعض الآخر ، ومن أنواع البديع التي يعود الفضل لابن رشيق في اختراعها وتحدّث عنها ما سمّاه الاطراد ، مشيرا إلى أنّه الصنعة الحسنة ، معرفا إيّاه على أنّه اطراد الأسماء في الشعر من غير كلفة ، ثمّ مثّل له ببيت للأعشى ، وبيت لدريد بن الصمّة بيّن فيهما الاطراد الذي جاء فيهما من غير تطلب أو كلفة ، فأضفى حسنا على الكلام ، ثمّ ضرب أمثلة عن الاطراد الذي جاء تكلفا ، ممثلا له كذلك بأبيات شعرية ، ليخرج بعدها للحديث عن فنّ جديد من فنون البديع يعود إليه الفضل في

308_ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 2، ص 80.

اكتشافه ألا وهو التمليط ، وقد عرّفه بأنّه تساجل شاعرين يصنع أحدهما قسيما والآخر قسيما لينظر أيّهما ينقطع قبل صاحبه ، ومثّل له بحكاية امرئ القيس مع التوأم اليشكري عندما تحداه وأمره أن يملط أصناف ما يقول ، قال ابن رشيق :«وفي الحكاية أن امرأ القيس قال للتوأم اليشكري: إن كنت شاعراً كما تقول فملط أنصاف ما أقول فأجزها، قال: نعم، قال امرؤ القيس: أحار ترى بريقاً هب وهناً فقال التوأم: كنار مجوس تستعر استعارا ف قال امرؤ القيس: أرقت له ونام أبو شريح فقال التوأم: إذا ما قلت قد هدأ استطارا ولا يزالان هكذا، يصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً إلى آخر الأبيات»«[309]» ، كما مثّل له بقصة أبي نواس والعباس بن الأحنف والحسن بن الضحاك والوليد بن مسلم ، ويحي بن المعلى، ليختم حديثه عنه ببيان أصل اشتقاقه ، فهو عائد إمّا إلى الملاطين جانبا السنام في مرد الكتفين ، أو إلى الملاط وهو الطين يدخل الحائط، ويختم باب البديع بنوع يرجع إليه الفضل كذلك في ابتكاره وهو ما سمّاه بالاتساع ، معرّفا إيّاه وممثّلا له بقول امرئ القيس فقال : «ذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل؛ فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ، وقوته، واتساع المعنى.

من ذلك قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

فإنما أراد أنه يصلح للكر والفر، ويحسن مقبلاً مدبراً، ثم قال :« معاً » أي: جميع ذلك فيه، وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة، فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه؟ وذهب قوم منهم عبد الكريم إلى أن معنى قوله كجلمود صخر حطه السيل من عل إنما هو الصلابة؛ لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب»«[310]».

وبهذا أكون قد عرضت جميع المباحث البلاغية التي ذكرها ابن رشيق في كتابه العمدة ، والذي اتضح وتبيّن لي من ذلك العرض والتقرير ، أنّ الإمام ابن رشيق ذو ذوق أدبي رفيع وحس بلاغي كبير ، حيث تجلى الجهد البلاغي الذي بذله في كتابه في جملة من النقاط :

ـ دقة قراءته لما كتبه المتقدمون في مباحث البلاغة ، وحسن تلخيصه لها ، مع براعته في جمع آراء العلماء.

---

[309]ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 2 ، ص 91 .

[310]ـالمصدر نفسه: ج 2 ، ص 93 .

ــ حسن تحليله لما يضرب من شواهد يوضح فيها الفنّ البلاغي بمختلف أنواعه ، مع إبداء آراءه ، بالتحليل والمناقشة والاعتراض والاستدراك ، كما هو الحال في باب المقابلة والتصدير والاستثناء ،و غيرها من الأبواب .

ــ إضافته فنون جديدة إلى علم البديع يرجع إليه الفضل في اختراعها وابتكارها والتنبيه عليها ، وهي : التفريع ، نفي الشيء بإيجابه ، التمليط ، الاطراد ، الاتساع .

ــ الاتجاه الذي تميز به كتاب العمدة لابن رشيق هو اتجاه أدبي عربي محض في روحه وأسلوبه ومنهجه العام مشى فيه على طريقة المتأدبين وصنّاع الشعر ، ولم يشبه بشيء من الفلسفة الأرسطية ، أو الآراء اليونانية التي كان لها تأثير على البلاغة العربية في الاتجاه والأسلوب والمضمون ، فابن رشيق سار على طريقة الأدباء في تقرير هذه المباحث ، ولم يتأثر بالآراء والنظريات الفلسفية .

المطلب الثاني : الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن السادس هجري :

إذا ما جئنا نتحدث عن البحث البلاغي في المغرب خلال القرن السادس ، فإنّنا نجد أنفسنا ملزمين بالوقوف على شخصية كان لها الحظ الأكبر والنصيب الأوفر في ازدهار الدرس البلاغي وتطوره بالمنطقة ، وذلك بما خلّفه من مصنفات وثيقة الصلة بالبحث البلاغي ، ألا وهو الإمام القاضي عياض ، فبالإضافة لمعارفه الدينية من فقه وتفسير وحديث ، فقد كان أديبا لوذعيا ، ولغويا فصيحا ، ذا إلمام ببلاغة العرب ، وقد أسهم في تطوير الدرس البلاغي بالمغرب في عصره ، وهذا ما سأحاول تجليته وكشفه ، وذلك بالتعرض لبعض ما كتبه في الموضوع ضمن مؤلفاته الحديثية .

الفرع الأول ترجمة القاضي عياض :

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ،ولد بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة ، أخذ العلم ببلده ، ثمّ رحل إلى الأندلس ، فأخذ بقرطبة عن أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين ، وأبي الحسين بن سراج ، وأجاز له أبو علي الغساني ، كما أخذ عن أبي عبد الله المازري ، والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم ، ثمّ رحل إلى غرناطة وتولى قضاءها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، قال الإمام ابن بشكوال في حقه مثنيا عليه « دخل الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن جماعة، وجمع من

الحديث كثيراً، وكان له عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم » «[311]».

وقد خلّف القاضي عياض تصانيف مفيدة منها : الإكمال في شرح كتاب مسلم ، و كتاب الشفا ، وكتاب مشارق الأنوار في غريب الحديث ، وبغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ــ شرح فيه حديث أم زرع المشهور ، وترتيب المدارك ، توفي القاضي عياض بمراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ودفن باب إيلان داخل المدينة رحمه الله تعالى «[312]».

الفرع الثاني الدرس البلاغي في مؤلفات القاضي عياض واتجاهاته :

لم يفرد القاضي عياض ــ رحمه الله ــ مصنفا خاصا في البلاغة العربية ، وإنّما ارتبطت البلاغة عنده بالدراسات الدينية ذات الصلة بالقرآن والسنة ، فقد تناول موضوع الإعجاز القرآني في كتابه الشفا ، وهذا لا شك له دور كبير في إثراء الدرس البلاغي بمنطقة المغرب في تلك الفترة ، سيّما وأنّ بحوث الإعجاز كان يسلط فيها الضوء على وجوه الإعجاز التي حواها القرآن والتي من جملتها الإعجاز البلاغي ، ومن ثمّ كان للقاضي عياض دور بارز في الموضوع ، جعل النقاد والبلاغيين الذين يؤرخون للبلاغة المغربية ينوهون ويشيدون بما كتبه في هذا الشأن ، حيث جاء على لسان عبد الوهاب الأزدي ما نصّه :« ... أمّا القاضي عياض فقد عقد في مؤلفه الشفا فصلا في إعجاز القرآن ووجوهه ، ولهذه الفصول أهمية خاصة في الفضاء البياني المغربي فهي من جهة أولى تمثل النواة الأولى للبحث البلاغي في المغرب الذي يشغل فصولا مركزة في مؤلفات بعينها ، وهي تشير من جهة أخرى إلى صورتها العامة التي امتزجت فيها المباحث البلاغية بالدراسات الدينية واصطبغت بمقاصدها الشرعية » «[313]»

وحتّى أجلي هذا الأمر بوضوح ، فإنّي سأعرض إلى وجوه الإعجاز التي ذكرها في كتاب الشفا ، فقد حصر وجوه إعجاز القرآن في أربعة أوجه وهي :

ــ أولها : حسن تأليفة و التئام كلمه و فصاحته و وجوه إيجازه و بلاغته الخارقة عادة العرب

311 ــ الصلة ، ج ، 1 ، ص 429

312 ــ ينظر: وفيات الأعيان ، ابن خلّكان ، ج 3 ، ص 483

313 ــ البحث البلاغي بالمغرب ، ط 1 ، مراكش ـ المطبعة والوراقة الوطنية ـ ت 2008م ، ص 28 ــ 29

ــ ثانيها: الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب و الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب و مناهج نظمها و نثرها

ثالثا: الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات

رابعا : الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة و الأمم البائدة و الشرائع الداثرة

إذن هذه هي وجوه الإعجاز الأربعة عند القاضي عياض ، والذي يسترعي وقوفي للحديث عنه هو الوجه الأول والثاني ، فهو الوثيق الصلة بالبلاغة .

يرى القاضي عياض أنّ أول وجه من وجوه الإعجاز الذي اشتمل عليه القرآن هو حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ، حيث قال : «اعلم . وفقنا الله و إياك: أنّ كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة و تحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أولها : حسن تأليفة و التئام كلمه و فصاحته و وجوه إيجازه و بلاغته الخارقة عادة العرب»«[314]».

فالقاضي عياض يرجع إعجاز القرآن في هذا الوجه إلى البلاغة والفصاحة التي من خصائصها حسن تأليف الكلام ومراعاة تلاءم الألفاظ ، والمراد بتأليف الكلام هنا هو طريقة نظم القرآن ، والتئام كلمه معناه تناسب ألفاظه وتناسقها في أداء المعنى بحسب مقتضيات الأحوال والأغراض التي يريدها ، وحتّى يقرب هذا الوجه للأذهان انتقل يفسر حسن تأليف القرآن والتئام كلمه ،بحسب ما نقدح عنده ، فجعل هذا الحسن والالتئام راجعا إلى إيجاز ألفاظه ، وكثرة معانيه ، وديباجة عبارته ، بحيث تشتمل اللفظة الواحدة منه على جمل كثيرة ، وفصول جمّة ، وعلوما زواخر ، وحتّى لا يكون هذا الكلام نظريا عنده ، فإنّه أورد مجموعة من الآيات حوت واشتملت على ما ذكره ، فقال :« وأنت إذا تأملت قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾«[315]» ، وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ «[316]»، وقوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ

---

[314] ــ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، د ط ، بيروت ، دار الفكر ، 1409 هـ ـ 1988 م ، ج 1، ص 258 .

[315] ــ سورة البقرة : الآية 179

[316] ــ سورة سبأ : الآية 51

﴾«[317]»و قوله : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ «[318]»، و قوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ ﴾ «[319]» ، و أشباهها من الآي، بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها و كثرة معانيها و ديباجة عبارتها و حسن تأليف حروفها و تلاؤم كلمها و أن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة و فصولا جمة و علوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها و كثرت المقالات في المستنبطات عنها »«[320]».

من خلال هذا الوجه الأول الذي أورده القاضي من وجوه الإعجاز يتضح للناظر فيه أمور :

ـ تقريره للخصائص التي استحق بها القرآن أن يكون معجزا من الجانب البياني

ـ يلاحظ على هذه الخصائص تطابقها التام مع شروط الفصاحة التي قررها علماء البلاغة حتّى يكون الكلام فصيحا ، وهي : خلوصه من التنافر ، والغرابة ، ومخالفة القواعد العربية ، يستشف هذا كله من عبارتي:« حسن تأليفه وتلاءم كلمه »

ـ يلاحظ عليه كذلك تقديمه لمصطلح الفصاحة على البلاغة باعتبار أنّ بلاغة الكلمة متوقفة على فصاحتها، وهذا الاستعمال شائع وذائع عند أرباب البلاغة .

هذا فيما يخص الوجه الأول ، أمّا الوجه الثاني ، فقد أرجع القاضي عياض فيه إعجاز القرآن لما انفرد به من نظم عجيب و أسلوب غريب حار فيه أرباب الفصاحة وعجزوا عن مضاهاته ومحاكاته ، والنظم على منواله ، حيث قال : « ...الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب و الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب و مناهج نظمها و نثرهاالذي جاء عليه و وقفت مقاطع آية و انتهت فواصل كلماته إليه و لم يوجد قبله و لا بعده نظير له و لا استطاع

[317] ـ سورة فصلت :الآية 34

[318] ـ سورة هود : الآية 44

[319] ـ سورة العنكبوت : الآية 40

[320] ـالشفا في التعريف بحقوق المصطفى : ج 1 ، ص 263 ـ 264 .

أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم و تدلهت دونه أحلامهم و لم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر»«[321]».

ويشير بعض العلماء إلى أنّ القاضي عياض يسير على نهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في القول بنظرية النظم والتي تعني الحرص على توخي المعاني على حسب الأغراض التي سيق لها الكلام ، لا تواليها في النطق وضمّ بعضها لبعض كيف ما اتفق ، ولذلك عبّر القاضي عياض بالنظم دون اللفظ ، فالإعجاز عنده راجع إلى النظم لا إلى اللفظ ، وممّن ذهب هذا الرأي وأكدّه الإمام الخفاجي في شرحه لكتاب الشفا ، وممّا يؤكد بجلاء تأثر القاضي عياض بعبد القاهر الجرجاني ومحاكاته له في نظرية النظم ما نصّ هو عليه في شرحه لحديث أم زرع الذي سنتحدث عنه لا حقا ، حيث قال في معرض بيانه لبعض وجوه البلاغة التي تضمنها هذا الحديث ما نصه : « ... فاعلم وفّقك الله أنّي إذا بيّنت لك قولي ، ورفعت مناره ،رأيت ترجيحه وإيثاره ، وذاك أنّي لم أر ذلك من جهة مذهب النحاة وتقويم الألفاظ ، ولكن من جهة المعنى وتصحيح الأغراض ، وترتيب الكلام ونظامه ، وردّ أعجازه لصدوره وتفصيل أقسامه ...»«[322]».

ويرى القاضي عياض أنّ النوع الأول والثاني من وجوه الإعجاز التي ذكرها يحصل بها الإعجاز إلاّ أنّ كل نوع خاص بذاته مستقل عن الآخر لا يمكن عدّهما وجها واحد نظرا لتشابههما ، فيقول مفرقا بينهما «والإعجاز بكل واحد من النوعين : الإيجاز و البلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجازه على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذا كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها و كلامها و إلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين» بيد أنّ الملاحظ للوجهين اللذين أوردهما يحكم على أنّهما وجه واحد ، فهما يصبّان في الجانب البياني للقرآن ويفصحان عن السّر الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم عن الإتيان بمثله وهو طريقة نظم القرآن ، فلا داعي لتفريقهما عن بعضهما البعض وجعل كل واحد منهما وجها مستقلا بذاته ، ولو ضمّهما لكان أوجه وأحسن ، ولذلك استدرك البعض على القاضي عياض في هذه الجزئية ، ورأوا بأنّ هذين الوجهين وجه واحد ، ومن هؤلاء الدكتور الوراكلي الذي يرى أنّ الوجهين الأولين من هذه الوجوه الأربعة لإعجاز القرآن في نظر عياض يمكن ردّها إلى وجه واحد

---

[321] ـ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى : ج 1 ، ص 264 .

[322] ـ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ، ط 1 ، تحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبي ومجموعة من الباحثين ، المملكة المغربية ـ مطبعة وزارة الأوقاف ـ ، 1395 هـ ـ 1975 م ، ص 51 .

، هو الوجه المبتدي في إعجاز الصورة البيانية للقرآن ، أو ما اصطلح على تسميته بنظم القرآن «[323]».

إذن هذه هي وجوه الإعجاز في نظر القاضي ، ولا حظت أنّ الإعجاز البلاغي والبياني أخذ الحظ الأكبر والنصيب الأوفر في اهتماماته ، بحيث عدّ وجهين من وجوه إعجاز القرآن مرجعهما إلى البلاغة والفصاحة ، وهو بهذا يتفق مع أعلام الأمة من مفسرين ومتكلمين في هذا الجانب .

وبالرغم ممّا كتبه القاضي عياض في الشفا في الموضوع إلاّ أنّه قد يعاب عليه بأنّه أخلى بحثه في الإعجاز من جوانب تطبيقية يوضح فيها كثير من الفنون البلاغية التي اشتمل عليها القرآن ، كما فعل كثير ممّن كتب في الإعجاز من معاصريه ، أو سابقيه ، ولهذا وجهت له أصابع النقص والتفريط في هذا الباب ، وفي صدد هذا يقول أحدهم :« ولكننّا لا نشك في أنّه كان بوسعه وهو المتفنن في علوم البلاغة ، والمتمرس بالأساليب العربية ، فضلا عمّا وهب من استرسال في الطبيعة ، ويقظة في الوجدان أن يجري قلمه في أبحاث تطبيقية حول النظم القرآني ، ما كان ليقتصر فيها بحال عن شأو المبرزين فيها ، وخاصة عصريه الزمخشري »«[324]» ، إلاّ أنّه يعتذر للقاضي عياض في ذلك بأنّ له منهجا خاصا في كتابه أراد أن يقرره ، وكونه لم يفرد كتابه الشفا في هذا الباب بالتخصيص ، بل جعله في السيرة ، والحديث عن إعجاز القرآن جاء عرضا ، غير أنّ الجانب التطبيقي للقاضي عياض في هذا الباب يمكن أن يلفى في مصنف آخر ، وهذا ما سأتحدث عنه .

لقد كان القاضي عياض عالما موسوعيا ، ومن جملة ما برع فيه علم الحديث رواية ودراية ، ومصنفاته في هذا الفنّ خير دليل على ذلك ، ومن جملة ما كتبه الحديث ، هو شرحه لحديث أمّ زرع المشهور«[325]» ، حيث أفرده بمؤلف خاص سمّاه بغية الرائد لما تضمّنه حديث أمّ زرع من الفوائد ، وقد تعهدّ ـ رحمه الله ـ بأنّ يخصصّ في شرحه هذا بابا لبيان ما تضمّنه حديث أمّ زرع من نكات بلاغية ، وأسرار بيانية ، حيث قال :«كنت نويت أن أذكر ما في كلام كل واحدة من هؤلاء النسوة من أبواب الفصاحة ، وأبيّن ما اشتمل عليه من أبواب البديع على مذهب أهل هذه الصناعة ، فإنّ كلام هؤلاء النسوة من الكلام العالي الفصيح ، الجامع للفظ المختار ، والنظم

---

[323] ـ ينظر: القاضي عياض مفسرا ، حسن الوراكلي ، ط 1، الرباط ـ دار المعارف ، 1984 ـ 1985 م، ص 88

[324] ـ المصدر نفسه : ص 89.

[325] ـ حديث أمّ زرع أخرجه البخاري :كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، رقم 4893 ، ج 5 ، ص 1988، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ

المتناسب المليح ، والمعنى الجيد البليغ الصحيح ، لكنّي رأيت أن أفرد الكلام عليه عند شرح قول كلّ واحدة يطول ، لما يتوجه من التكرار والمداخلة في بعض الفصول ، فرأيت تأخير ذلك إلى آخر الحديث أولى ، ليتأتى الكلام عليه دفعة ويفيض سجلا ، جريا على ما اشترطته من الاختصار ، وكرها لما بسطته من عذر الاكثار ، والعون من اللّه جلّ اسمه »«[326]».

وقد أوفى بما تعهد به ، حيث خصّص الفصل الأخير من كتابه لبيان ما اشتمل عليه الحديث من ضروب الفصاحة والبلاغة ، والناظر فيما كتبه يجزم بأنّ له حسّا بلاغيا رفيعا ، وأنّه قد ضرب بسهم وافر في علم البلاغة ، وأنّ له اطلاعا كبير على ما كتبه سابقوه من النقاد والبلاغيين ، فقد تردد على لسانه كثير منهم ، من أمثال الأخفش ، وقدامة بن جعفر ، والحاتمي ، وأبو الفتح السبتي ، وأبو القاسم الآمدي ، وأبو الحسن الرّماني ، والخفاجي ، كما يستشف الحسّ البلاغي من خلال ما أورده من فنون البيان والبديع التي تضمّنها الحديث، وطريقته في تحليلها وإيضاحها بأسلوب بليغ ينمي كما أسلفت القول عن تضلع في الفصاحة والبلاغة، وقد كانت هذه الإشارات محّل ثناء وإيشاد بها عند كثير من النقاد والأدباء الذين جعلوا شرحه من جملة المصادر المؤرخة للبلاغة المغربية ،إلاّ أنّه لم يحتف ويعتنى به عند كثير ممّن يؤرخ للبلاغة المغربية ، وفي صدد هذا يقول الدكتور محمد بن شريفة ما نصّه :« وأمّا حديث أمّ زرع فقد اشتمل كما ذكرنا على مباحث جيّدة في البلاغة والنقد ، وهي مستمدّة من كتب عدد من النقاد والبلاغيين الذين ورد ذكرهم في الشرح ، وتكرّرت الإشارة إلى بعضهم فيه مثل الأخفش وقدامة ، والآمدي ، والرّماني والحاتمي والخفاجي والثعالبي ، وتدّل مناقشات عياض لبعضٍ آرائهم على مشاركته في الموضوع وتمكنّه منه ، ولهذا أصبح شرحه معدودا في مصادر البلاغة والنقد ، فنحن على سبيل المثال في عدّة الكتب التي ذكرها ابن أبي الأصبع في صدر كتابه التحرير ، كما نجده ضمن أسماء الكتب التي سمّاها صفي الدين الحلّي في نهاية شرح الكافية البديعية ...»«[327]».

ولهذا فإني سأعرض لذكر الموضوعات البلاغية التي أشار إليها القاضي عياض ـ رحمه الله ـ .

---

[326] ـ بغية الرائد لما تضمّنه حديث أمّ زرع من الفوائد ، ص 57 ـ 58.

[327] ـ التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات : أبو المطرف أحمد لن عميرة ، ط 1 ، تحقيق محمد بن شريفة ، الرباط ـ 1412 هـ ـ 1991م ، ص 6 ـ 7

قد تناول ـ رحمه الله ـ جملة من المباحث البلاغية والبيانية في كتابه ، وهي تندرج تحت نوعين من علم البلاغة هما علم البيان ، وعلم البديع ، ففي علم البيان تعرّض الله لثلاثة موضوعات هي التشبيه ، والكناية ، والاستعارة ، وفي علم البديع تطرّق إلى المناسبة والترصيع ، والتجنيس والمطابقة ، وحسن التفسير ، والتزام ما لا يلزم ، والايغال ، والتتميم ، والتسجيع ، والترديد ، وقد تكلّم عليها في الفصل الأخير من كتابه ، وقد ابتدأ الحديث عن التشبيه ، حيث قال : «واعتبر كلام الأولى فإنّه مع صدق تشبيهه وصقالة وجوهه فقد جمع من حسن الكلام أنواعا ... والتشبيه أحد أنواع البلاغة وأبدع أفانين هذه الصناعة ، وهو موضوع للجلاء والكشف ، والمبالغة في البيان والوصف ، والعبارة عن الخفي بالجلي ، والمتوهم بالمحسوس والحقير بالخطير ، والشيء بما هو أعظم منه وأحسن ، أو أخسّ وأدون ، وعن القليل الوجود بالمألوف المعهود ، وكلّ هذا لتأكيد البيان والمبالغة في الايضاح ، فانظر أين قول القائل : الذين كفروا أعمالهم لا ينتفعون بها من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾«[328]» ، وتأمل بون ما بين الموضعين من البيان ، وفرق ما بين الكلامين في الايضاح وإن كان الغرض واحد والموضوع سواء ، وكذلك قول امرأة : زوجي بخيل لا يوصل إليّ شيئا ممّا عنده ، وبين كلام هذه المرأة المتكلم عليه ، ووجه بلاغة التشبيه ما فيه من الايضاح والجلاء ، كما قدّمناه ، وأكثر تشبيهات الكتاب العزيز من هذا النمط ...»«[329]».

فالقاضي عياض في هذه الفقرة المنقولة عنه يشير إلى أثر التشبيه وأغراضه ومحاسنه في الكلام ، حيث أبان عن بعض أغراضه وأسباب تأثيره ، فالأغراض معدودة في كمال الإيضاح والبيان والوصف وأسباب التأثير كامنة في إخراج الشيء من حالة الخفاء إلى الجلاء ، والتعبير عن الشيء المعقول بالمحسوس ، وغير ذلك من الأسباب ، ثمّ يقرر الشيخ شيئا مهما ، وهو أنّ جلّ تشبيهات القرآن مبنيّة على هذا الأمر ، ويمضي في سرد جملة من الآيات القرآنية حوت تشبيهات بلاغية رائعة مبيّنا وجه الحسن فيها ، ثمّ يشير إلى نوع من أنواع التشبيه ، وهو التشبيه المتعدد الطرف، لكنّه لم يعبّر عليه بهذا المصطلح ، إنّما أخبر فحسب بأنّه تشبيه الشيء بالشيء تشبيها مجرّدا ، ومثّل له ببيت امرئ القيس القائل فيه :

كأنّ قلوب الطيّر رطبا ويابسا   لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

[328] ـ سورة النور : الآية 39

[329] ـ بغية الرائد لما تضمنّه حديث أمّ زرع من الفوائد ، ص 187 ـ 188.

، ثمّ اشترط ــ رحمه الله ــ في التشبيه أن يكون صادقا من الوجه الذي وقع به التشبيه ، وإلاّ اختلّ به الكلام ، ثمّ أورد التشبيهات الواقعة في الحديث ، حيث قال : «... وهذه المرأة قد شبّهت بخل زوجها ، وأنّه لا ينال ما عنده ، مع شراسة خلقه ، وكبر نفسه ، بلحم الجمل الغث ، على الجبل الوعث ، فشبّهت وعورة خلقه بوعورة الجبل ، وبعد خيره ببعد اللّحم ، وتعذّره بالزّهد في لحم الجمل الغثّ ، فأعطت التشبيه حقّه ، ووفّته قسطه ، وهذا من تشبيه الخفي بالجلي ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، وممّا جاء في كلام صواحبها من التشبيه قول الثالثة :« أنا منه على مثل حدّ السّنان المذلق » فصدقت التشبيه لأنّها أخبرت أنّ حالها معه من الخوف وعدم الاستقرار كمن هو على مثل حدّ السّنان المحدّد : إمّا أن تحيد عنه فتهلك سقوطا ، أو تثبت فيهلكها ، فبيّنت بهذا التشبيه قولها قبل «إن أسكت أعلق ، وإن أنطق أطلق» ، وكذلك وجه تشبيه الأخرى زوجها بليل تهامة ، وغيث غمامة ، وهذا كلّه من باب تشبيه الخفي بالجلي ، والمتوهم بالمحسوس ، وهو من باب المبالغة والغلو »«[330]» ، ثمّ أشار الشيخ إلى نوع آخر من أنواع التشبيه وقع في كلام هؤلاء النسوة ، وهو التشبيه البليغ المؤكد دون أن يذكره بهذا الاسم ، ولكن أشار إلى أنّه وقع بدون أداة ، مفيدا أنّ التشبيه قد يقع بأداة ، أو دون أداة ، فقال :« ... وقول الثامنة : « المسّ مسّ أرنب ، والريح ريح زرنب » تشبيه أيضا ولكن بغير أداة التشبيه ، فإنّ التشبيه على ضربين : بأداة وهي الكاف وكأن ومثل وشبه و أخواتها ، وبغير أداة التشبيه ، ومثله قول أمّ زرع :

يلعبان من تحت خصرها برمانتين ، على تأويل أنّهما النهدان ، ومثله قول الرّابعة: والغيث غيث غمامة ، فهذا تشبيه بغير آلة ...»«[331]»، ثمّ تحدّث عن نوع من البديع يسمى المناسبة يظهر جماله في تآلف الألفاظ وتوزان الكلمات ، حيث قال : « ثمّ انظر حسن نظم كلامها وتطارده ، وأخذه حقّه من المؤالفة والمناسبة في الألفاظ التي هي رأس الفصاحة ، وزمام البلاغة ، فإنّها وزانت ألفاظها ، وماثلت كلامها ، وقدّرت فقرها ، وحسّنت أسجاعها ، فوازنت في الفقرة الأولى لحم برأس في الثانية ، وجمل بجبل ، وغثّ بوعث ، في الرواية الواحدة ، وقحر بوعر في الرواية الأخرى ، فأفرغت كلّ فقرة في قالب أختها ، ونسجتها على منوال صاحبتها »«[332]» ، ثمّ أشار ــ رحمه الله ــ إلى وقوع هذا النوع في القرآن الكريم كثيرا ، وأنّه جاء على أكمل وجه ، وفي دقة متناهية ،

---

[330] ــ بغية الرائد لما تضمنّه حديث أمّ زرع من الفوائد: ص 187 ــ 188 .

[331] ــالمصدر نفسه : ص 190

[332] ــ المصدر نفسه : ص 190

ليعود بعدها ويسرد الألفاظ الواردة فيها هذا المحسّن البديع من خلال كلام هؤلاء النّسوة ، فقال :« ... ومنه قول السادسة : إن أكل اقتف ، وإن شرب اشتف ، وإن هجع التف ، وقول الخامسة : إن خرج أسد وإن دخل فهد ، وقول الرّابعة لا حرّ ولا قرّ ولا مخافة ولا سئامة ، وقول الثامنة المسّ مسّ أرنب ، والرّيح ريح زرنب ،فهذا كلّه من حسن النّظم ومناسبة اللّفظ ، وهو باب آخر من البديع يسمّى المناسبة ...»«[333]» ، ثمّ أشار إلى نوع آخر من البديع تضمّنه الحديث ، وهو ما يعرف بالترصيع مشيرا إلى تسمية البعض له بالموازنة وبالتسميط والتضفير والتسجيع ، ثمّ عرّفه بقوله :« وهو أن تتضمّن الفقر أو بيت الشعر مقاطع أخر بقوافي متماثلة ، غير فقر السّجع وقوافي الشعر اللاّزمة »«[334]» ليشير بعدها إلى مزّيته في تحسين الكلام والتنبيه على وقوعه في كلام هؤلاء النّسوة ، حيث قال :« ... فيتوشح بها القول ، وينفصل بها نظم اللّفظ ، كما أتت هذه بلفظ جمل في وسط الفقرة الأولى ، وجبل في وسط الفقرة الأخرى ، ففصّلت بذلك الكلام على حدّ من المقابلة أثناء السّجعين اللّذين هما غثّ ووعث ، فجاء لكلّ فقرة سجعان متماثلان متقابلان ، ومثله قول أمّ زرع في احدى الروايات :« لا تبت حديثنا تبثيثا ولا تنقت ميرتنا تنقيثا ولا تغث طعامنا تغثيثا ، فإنّ التزام الثاء في تبث وتنقث وتغث ترصيع لمقاطع أسجاع هذه الفقر ، وقول الثامنة شجّك أو فلك أو بجك كقولك أنقى لثوبك وأتقى لربّك »«[335]» ، ثمّ أشار إلى نوع آخر من البديع تضمنه كلام هؤلاء النسوة وهو الجناس معرّفا إيّاه ومبيّنا أنواعه ، وسائقا لكلام كثير من البلاغيين ممّا يدّل على تضلعه بالبلاغة وإحاطته بكلام المتقدمين ودرايته بكلامهم وقراءاته لكتبهم ، فممّا قاله في بيان هذا النوع ما نصّه : « وفي طيّه باب رابع من البديع ، وهو مجانسة جمل بجبل ، وهو وإن لم يجانسه في كلّ حروفه ، فقد جانسه في أكثرها ، وقد اختلف أرباب البلاغة والنقد في هذا النوع إذا لم يكن مشتقا من أصل واحد ، فسمّاه : بعضهم مجانسة تغليبا للأكثر ، وأمّا أبو الفرج قدامة ، فسمّى هذا النوع مضارعة ، وهذا مثل قول أمّ زرع أيضا: رحلا سريا ركب شريا ، وقولها :بيتها فساح ، وفناؤها فياح ، وقول الثانية : عجره وبجره ، وقول أمّ زرع تعشيشا وتغشيشا ... »«[336]» ، ثمّ أشار إلى التجنيس الحقيقي معرّفا إيّاه وضاربا له أمثلة من القرآن والسنة ، وأبيات من شعر العرب ، منبها على ولوع المحدثين والمتأخرين من الشعراء والأدباء به ، من مجيد ومقصّر ، فممّا قاله :« وأمّا التجنيس

[333]ــ بغية الرائد لما تضمنه حديث أمّ زرع من الفوائد : 191

[334] ــ المصدر نفسه: ص 191

[335] ــ المصدر نفسه: ص192

[336] ــ المصدر نفسه : ص 192

الحقيقي فهو أن يكون في الكلام لفظتان احداهما مشتقة من الأخرى ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾«[337]»﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾«[338]» ،أو بمنزلة المشتق كقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾«[339]» وقوله :﴿ وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾«[340]»، وقوله:«صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصيت الله ورسوله»«[341]»... في أمثلة كثيرة ...»«[342]».

وتجدر الاشارة في هذا المقام بأنّ الإمام القاضي عياض يتفق مع الإمام ابن رشيق في تعريف هذا النوع إلاّ أن ابن رشيق سمّاه المحقق ، والقاضي عياض سمّاه الحقيقي ، ثمّ أشار إلى اختراع طائفة من المتأخرين نوعا جديدا من التجنيس سمّوه تجنيس التركيب ممثّلا له بأبيات من الشعر ، ليختم الحديث عنه بأنّه قليل الفائدة وهو من باب التكلف الخارج عن حدود البلاغة ، ثمّ أشار بعده إلى تجنيس التصحيف وهو مشاركة صورة الحرف في الخط دون اللفظ ، وهو أيضا عنده ليس من البلاغة المستجادة والمستحسنة في كلام العرب ، بل هو من باب التكلف ، ثمّ أشار في خاتمة حديثه عن التجنيس بتنبيه على ملاحظة ، وهي أنّ قدامة عدّ التجنيس المحقق الذي اتفقت صيغتي لفظه باختلاف معناهما طباقا ، مبينّا أنّ الجمهور على خلافه وردّوا قوله هذا ، فقال :« ... فهذه هي أنواع التجنيس ، إلاّ أنّ قدامة بن جعفر كان يسمي اتفاق صيغتي اللفظ باختلاف المعنى الذي من جنس بيت الأفوه بالطباق والناس كلّهم على خلافه ، وقد ردّ قوله هذا الأخفش وأبو القاسم الآمدي ، وغيرهما وحكوا أنّ مذهب الخليل والأصمعي خلافه »«[343]».

---

[337] ــ سورة التوبة : الآية 127

[338] ــ سورة البقرة : الآية 276.

[339] ــ سورة النور : الآية 37

[340] ــ سورة النمل: الآية 44

[341] ــ أخرجه البخاري : كتاب المناقب ، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وأشجع ، رقم 3322 ، ج 3 ، ص 1293 ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـ

[342] ــ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ، ص 192 ــ 193 .

[343] ــبالمصدر نفسه : ص 193

وهذا الكلام منه في هذه يتوافق مع ما ذكره ابن رشيق في العمدة ممّا يؤكد نهله من هذا الكتاب وقراءاته له ، أو توافقه معه في المصادر التي أخذا منها ، ونصّ ابن رشيق في العمدة كالآتي :«ويجري هذا المجرى قول الأودي:

وأقطع الهوجل مستأنساً ... بهوجل عيرانة عنترس«[344]»

أنشده قدامة على أنه طباق، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب، وقد جاء رد الأخفش علي بن سليمان عليه في ذلك وإنكاره على رأي الخليل و الأصمعي في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي»«[345]».

ثمّ أشار بعد ذلك القاضي عياض إلى نوع آخر من البديع وقع في كلام هاته النسوة ، وهو الطباق ، وسمّاه باسم المطابقة ، ثمّ قام بتعريفه والتمثيل له بما وقع في الحديث مع بيان أثره في تزيين الكلام وتحسينه ، فقال :« وهو مقابلة الشيء بضدّه ، فقابلت الوعر بالسّهل ، والغثّ بالسمين ، في الفقرتين الأخيرتين ، وهو ممّا يحسن الكلام بمقابلته ويروق بمناسبته لا خلاف بين أرباب النقد في ذلك »«[346]» ، ثمّ أشار إلى اختلاف بعض النقاد في ألقابه ، حيث ذكر ما نقل عن قدامة بن جعفر بأنّه كان يسمي ما يقع فيه المقابلة بين الضدين على جهة الحقيقة تكافؤا ، وما كان من جهة المجاز فلا يسمى متكافئا ، وأنّ النقاد على خلافه في تسمية كلاّ النوعين طباقا ، ليقوم بعد ذلك بالتمثيل لكلا النوعين بنصوص من القرآن والسنّة وممّا ورد في الحديث ، ليخرج بعدها للحديث عن نوع جديد من البديع ورد في الحديث وهو التقسيم ، حيث سمّاه بحسن التفسير ، وغرابة التقسيم ، والمعنى على المعنى في المقابلة والترتيب ، مع تحليله للأمثلة التي أوردها ، فممّا قاله :« وفي كلام هذه المرأة أعنى الأولى من الفصاحة وفنون البلاغة نوع سادس من البديع ، و هو حسن التفسير ، وغرابة التقسيم وإبداع حمل اللفظ على اللفظ ، والمعنى على المعنى ، في المقابلة والترتيب ، وذلك في قولها :« لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى » ، فإنّها فسّرت ما ذكرت ، وبيّنت حقيقة ما شبّهت ، وقسّمت كلّ قسم على حياله ، وفصّلت كلّ فصل من مثاله ، وجاءت للفقرتين الأولين بفقرتين مفسّرتين ، وقابلت لا سهل فيرتقى ، بقولها لا سهل فينتقى ... »«[347]»وبعد فراغه من التقسيم تعرّض القاضي عياض ــ رحمه الله ــ للون آخر من ألوان البديع

[344] ــ ينظر : الصناعتين الكتاب والشعر : ج 1 ، ص 420

[345] ــ العمدة في محسان الشعر وآدابه : ج 1، ص322

[346] ــ بغية الرائد لما تضمنه حديث أمّ زرع من الفوائد : ص 195.

[347] ــ المصدر نفسه : ص 197

التي تضمنّها هذا الحديث وهو ما يعرف بالالتزام أو لزوم ما لا يلزم أو الاعنات الذي يعمد فيه الناثر أو الشاعر إلى التزام حرف قبل روي البيت من الشعر أو الفاصلة من النثر حرفا فصاعدا على قدر قوته وحسب طاقته ، وقد نوّه بوقوعه في الحديث وأشاد بدوره في تحسين الكلام وتزيينه ، مع تنبيهه على ولوع المتأخرين به ولوعا شديد ، وتأكيده على أنّ الجيّد والمستحسن منه ماساقه الطبع دونما تكلف أو تصنع ، وممّا قاله في هذا الشأن :« وممّا في كلام هذه المرأة من بديع البلاغة نوع سابع ، وهو التزام ما لا يلزم في سجعها ، وبعضهم يجعله أحد أنواع الترصيع في قولها فيرتقى وينتقى ، فالتزمت القاف والتاء في كلّ سجع قبل القافية، وقافية سجعها الألف المقصورة ، وكذلك قولها في الرواية الأخرى ينتقل ، ويتوقل ، فقافيتها اللاّم والتزمت قبلها القاف ، وهذا نوع زيادة في تحسين الكلام وتماثله ، وإغراق في جودة تشابهه وتناسبه ، ولهذا في الأسجاع والقوافي طلاوة وديباجة ، يشهد الطبع له ويجده الذوق ، وعلّته المشابهة والمناسبة لا سيّما عند المقاطع ، وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا ، وأولع به المتأخرون ولوعا كثيرا ،

فمن مجيد ومقصر ، وبالجملة فلا يحسن منه ومن جميع ما مخضنا القول عنه إلاّ ما ساقه الطبع ، وقذف به الخاطر دون تكلف ولا مقاساة ، ووجد لفظه تابع لمعناه منقادا له، موضوعا عليه ، غير مرغم فيه ولا منافر له »«[348]».

وهو بهذا يتفق مع إمام الصنّاعة الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي يؤكد في أيّما موضع من كتابه الأسرار على أنّ الحسن في هذه المحسنات إنّما يكون عندما تكون الألفاظ تابعة للمعاني وخادمة لها ، أمّا إذا جاءت هذه المحسنات عن طريق التكلف فإنّها تفسد المقصود وتذهب برونق الكلام ، وقد بيّن هذا عندما تكلم عن ترك المتقدمين للسجع وعدم حرصهم على الإكثار منه ، حيث قال :« ... ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل العناية بالسجع ، ولزموا سجية الطبع ، أمكن في العقول ، وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوي التحصيل ، وأسلم من التفاوت ، وأكشف عن الأغراض ، وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل ، وأبعد من النّسل الذي هو ضرب من الخداع بالتزويق ، والرضا بأن تقع بأن تقع النقيصة في نفس الصورة ، وإنّ الخلقة إذا أكثر فيها من الوشم والنقش ، وأثقل صاحبها بالحلي والوشي ، قياس الحلي على السيف الدّدان ، والتوسع في الدعوى بغير

[348] ـ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد : ص 198 ـ 199

برهان ...»«[349]» ، وينعي في موضع آخر على المتأخرين الذين حرصوا على البديع فأدّاهم هذا الحرص إلى إغفال المعنى المقصود من الكلام ، فقال : « وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم و يقول ليبين و يخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء و أن يوقع السامع من طلبه في حبط عشواء و ربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى و أفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها »«[350]» ، ثمّ قام القاضي بضرب أمثلة عنه في القرآن الكريم مخبرا أنّ القرآن قد

اشتمل على هذا النوع من البديع وأنّ ما جاء منه في هذا الكتاب فهو في غاية الحسن والفصاحة وأبعد عن التكلف والتصنع ، ليعود بعدها للإشارة والتنصيص على وقوعه في كلام هؤلاء النّسوة ، حيث قال : « ... ومثاله من كلام صواحبها قول أمّ زرع وأشرب فأتقنح ، وآكل فأتمنح ، وقولها : أيضا في وصف الخادم ، في بعض الروايات ولا تغشّ طعاما تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ، وقولها : رجلا سريا ، ركب شريا ، ثمّ ذكرت بعد ذلك ثريا ، وقول السابعة : شجك أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلاّ لك ، وقول السادسة : أقتف وألتف ، وأشتف ، وقول الثامنة : أرنب وزرنب ، فروي سجعها الباء ، والتزمت قبلها حرفين الرّاء والنون ، وجاء في كلام التاسعة : مالك وذلك ، ثمّ مهلك ، وهو ألك ، فالتزمت اللاّم في أكثر سجعها ، وفي كلام الثالثة : أطلق ، وأعلق ، ومذلق ، فالتزمت اللاّم المشددة قبل قاف سجعها ، ومثل هذا الالتزام هو المحمود لما فيه من عدم الكلفة »«[351]».

وبعد فراغه ــ رحمه الله ــ من الكلام على الالتزام شرع يتحدّث عن لون جديد من ألوان البديع تضمنّه كلام هؤلاء النسوة ، وهو ما يسمى بالإيغال ، وقد أخبر أنّ قوما يسمّونه التبليغ ، وهو يريد بذلك الحاتمي وبعض أصحابه ، ثمّ عرّفه بقوله : « ... وهو أن يتم كلام الشاعر قبل البيت ، أو الناثر قبل السّجع إن كان كلامه مسجّعا ، أو قبل الفصل والقطع

[349] ــ أسرار البلاغة ، ، ط 1 ، مصر ـ دار ابن الجوزي ـ ، 1431 ــ 2010 هـ ، ص 6 .

[350] ــ المصدر نفسه : ص 6

[351] ــ بغية الرائد لما تضمنّه حديث أم زرع من الفوائد ، ص 200.

، إن لم يكن كذلك ، فيأتي بكلمة لتمام قافية البيت ، أو السّجع ، أو مقابلة الفصول والقطع ، يفيد معنى زائد ...»«[352]» ، ثمّ قام بالتمثيل له بأبيات لامرئ القيس وذي الرّمة ، وهو بذلك يتلاقى مع ابن رشيق في الشواهد التي ساقها لهذا اللّون البديعي ، حيث نقل ابن رشيق نفس الأبيات ، وهذا يؤكد تأثر القاضي عياض بكتاب العمدة ، كما يؤكد توافقه مع في جملة المصادر المستقى منها ، ليعود وينص على شواهد هذا النوع البديعي من خلال كلام هؤلاء النّسوة ، ثمّ يردفه بعد ذلك بآيات من الذكر الحكيم حوت هذا النوع البديعي ، وممّا قاله في هذا الشأن :« ... فكذلك لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل ، على رأس جبل لاكتفت ببعد مناله

، ومشقة الوصول إليه ، والزهد فيه ، وهو غرضها ، لكنّها زادت بسجعها (غثّ ووعث) ، معنيين بينين ، وبالغت في القول ، وأفادت بزيادتهما التناهي في غاية الوصف ...»«[353]».

وبعد فراغه ــ رحمه الله ــ من الحديث عن الايغال ، انتقل للكلام عن موضوع جديد من مباحث البلاغة وبالخصوص من علم البيان وهو الاستعارة ، حيث نبّه على وقوعها في كلام بعض هؤلاء النّسوة ، ثمّ راح يبيّن الفرق بينها ـ أي الاستعارة ـ وبين التشبيه ،بوضع ضابط يتميز به كل واحد منهما عن الآخر مستعينا في ذلك بما ورد من كلام أئمة البلاغة من أمثال الرّماني وغيره ، فأخبر أنّ الاستعارة انفصلت عن التشبيه في الصيغة واللقب ، كما أنّ الاستعارة تكون بغير أداة ، والتشبيه يكون بأداة أو بدونها ، إضافة إلى أنّ التشبيه يبقى على وضعه ، والاستعارة منقولة عن موضوعها إلى موضوع آخر ، ليشير بعد ذلك إلى فضلها ومزيتها في تحسين الكلام وتزيينه ، وبيان موقعها وعظيمه في اللّفظ مشفعا ذلك كلّه بآيات من الذكر الحكيم ، وأبيات من الشعر يجلي فيها حسن الاستعارة وجمالها ، فمّما ذكره في هذا الشأن : « ... والاستعارة باتفاق من أهل البلاغة أرفع درجات البديع ، وأعلى محاسن الشعر ، وآنق منظر الكلام ، وأعجب تصرفات البليغ ، ولها موقع في الابانة لا يقعه سواها ، ومنزع في الايجاز والاختصار لا يوجد في غير بابها ، فانظر ما بين قولك : كثر شيب رأسي ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ «[354]» ، وبين

[352] ــبغية الرائد لما تضمنّه حديث أم زرع من الفوائد: ص 200

[353] ــ المصدر نفسه: ص 201 .

[354] ــ سورة مريم : الآية 4

قولك : تذلل لهما ، وقوله :﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ «[355]» ، وبين قولك انتشر ضوء الفجر حتّى غابت النّجوم ، وقول ذي الرّمة : ولف الثريا في ملاءته الفجر ، وبين قولك فرس سابق الاوابد حتّى كأنّها مقيدة لم تسابقه ، ولا جرت معه حين جرى ، من قول امرئ القيس :« قيد الأوابد هيكل »... »«[356]» ، ثمّ قام بإيراد الكلمات التي وقعت فيها الاستعارة من كلام هؤلاء النسوة ، مع بيانه للغرض منها ، فقال : « ... ولكن للاستعارة فضل بيان وابلاغ ، وحسن طلاوة وابداع ، وجودة اختصار في بعض المواضع وايجاز ، كما ورد في قول الخامسة :« إن دخل فهد ، وإن خرج أسد » ، فإنّها استعارات له في كل واحدة من الحالتين

خلق واحد من هذين الحيوانين ، فجاء كلاهما غاية من الايجاز والاختصار ، ونهاية من المبالغة والبيان ، فإنّ مثال قولها فهد وأسد : إذا دخل تغافل وتناوم ، وإذا خرج صال وشجع ، وليس يقتضي هذا أنّه أبدا في دخوله وخروجه بهذه الأوصاف ، فلمّا استعارت له خلقي هذين السبعين في الحالين اللاّزمين لهما ، المختصين بوصفهما ، أعربت بذلك عن تخلّقه بهما ، والتزامه لوصفيهما ، وعبّرت عن جميع عن ذلك كلّه بكلمة كلمة كلّ واحدة من ثلاثة حروف ، حسنة التركيب ، غير عسيرة مع جمالها في اللّفظ ، ومناسبتها في الوزن ، وسهولتها في النطق »«[357]» .

وبعد ذلك تطرّق الشيخ للحديث عن لون جديد من ألوان البيان وهو ما يعرف بالكناية ، لكنّه اصطلح عليها بمصطلح الاشارة باعتبار أنّ الكناية تتفرّع منها ، كما تتفرع التورية والارداف والتتبيع منها كذلك ، بحسب ما قرّره أئمة البيان في تلك الفترة ، فأشار الشيخ لوقوع هذا النوع في كلام هؤلاء النسوة حيث قال :« ثمّ جاءت بإشارة بديعة عن كرمه وكثرة جوده ، وبذل ما بيده ، وللأخذ بالحزم لجميع أموره ، بقولها : ولا يرفع اليوم لغد ، فإنّ هذا نوع من الاشارة ، وضرب من الكناية ، وهو عندي أدخل في باب التتبيع والارداف ، وكلّه من باب الكنايات والاشارات ، وهو التعبير عن الشيء بأحد توابعه ، كما سنبينه ، وأمّا كناية السادسة بقولها :« لا يولج الكف » على المذهب الصحيح فمن الكنايات الحسنة ، كما قد فسّرناها قبل في شرح كلامها ، وكذلك

---

[355]ـ سورة الإسراء : الآية 24

[356]ـ بغية الرائدلما تضمنّه حديث أم زرع من الفوائد : ،ص 202

[357]ـ المصدر نفسه: ص 203 ـ 204 .

قوله : «وإذا هجع التف » من هذا الباب ، وهو داخل في باب التتبيع والارداف ، لأنّها عبّرت بقولها :«التف » واكتفت به عن الاعراض عنها ، وقلة الاشتغال بها ...»«[358]».

وبعد فراغه ــ رحمه الله ــ من الحديث عن الاشارة انتقل للكلام عن نوع من أنواع البديع ممّا تضمنّه كلام هاته النسوة ــ ألا وهو التتميم ــ غير أنّ القاضي عياض لم يتعرض له بالتعريف وإنّما اقتصر فحسب على التنبيه بوقوعه في الحديث مبيّنا حسنه وفائدته ، مع تشفيع ذلك بأمثلة من القرآن الكريم وقع فيها التتميم ، فكان نصّ كلامه كالآتي : « وفي هذه الفقرة نفسها نوع آخر من البديع يسمى التتميم ، فإنّها لو اقتصرت على قولها : وأغلبه لما كان مدحا ، ولتخيّل أنّه جبان ضعيف ، فلمّا قالت والنّاس يغلب دلّ على أنّ غلبها إيّاه من حسن عشرته ، وكرم سجاياه، فتمّمت بهذه الكلمة قصدها ، وأبانت جهد ما عندها ، ومثله قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾«[359]» ، وقوله : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾»«[360]» ...»«[361]»، ليعود بعد ذلك ، ويتكلم عن الكناية ، لكن هذه المرّة تحت مصطلح الارداف والتتبيع ، وهو في ذلك يتوافق مع الأئمة الأوائل في جعل كلّ نوع من هذه الأنواع أي الاشارة والارداف والتتبيع من الكناية ،وهو عند المتأخرين من أئمة هذه الصناعة كناية ، ولقد استهل الحديث عنه بالتنويه على قدره وفضله ومنزلته من ألوان البديع الأخرى نظرا لما يضيفه على الكلام من حلاوة ، ثمّ قام بتعريفه ، مع التمثيل له بنصوص من القرآن ، وممّا قاله ما يلي : « وفي قول التاسعة سوى ما ذكرنا من المناسبة والاستعارة نوع من البلاغة يسمى الارداف والتتبيع ، وهو من أجلى وجوه البلاغة ، وأرّق أنفاس البديع ، وله من الايجاز والاختصار المكان الرفيع ، وهو لاحق بأبواب الاشارة والوحي والكناية ، وموضوعه أن يقصد الابانة عن معنى فيترك اللفظ الخاص به ، الموضوع له ، ويعبّر عنه بلفظ من توابع معناه اللاّزمة ، وأسبابه المتعلقة ، وأردافه المتضمنة ، وهو نوع يسميه البلغاء بالارداف ، وبعضهم بالتتبيع ، وفي الوصف به والتعبير مع ايجازه نوع من المبالغة ، ومنه قوله تعالى :﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾«[362]» ، فإنّه عبّر بهذه اللفظة الواحدة الوجيزة ، والكلمة

---

[358] ــبغية الرائد لما تضمنّه حديث أمّزرع من الفوائد : ص 204

[359] ــ سورة الأنبياء : الآية 69

[360] ــ سورة طه : الآية 22

[361] ــ بغية الرائد لما تضمنّه حديث أمّزرع من الفوائد ، ص206

[362] ــ سورة الرحمان : الآية 64

المفردة البليغة ، عن نعمة هذه الجنة ، ونضارة ثمارها ، وكثرة ريها ، وجمال منظرها ، وتمام حسن أشجارها ورونق نباتها بتابع من توابعها ، وهي دهمة خضرتها ، التي لا تكون إلاّ مع تناهي الري ، وشباب النبات وعدم الآفات »«[363]» . ليشير بعدها إلى قاعدة مهمة في هذا الباب وهو أنّه قد تتداخل صور الوحي والاشارة والكناية والتعريض والتتبيع والارداف في بعضها البعض باعتبار أنّ الغرض منها جميعا هو المبالغة في الوصف والايجاز ، ولذا فما يجده المطالع لكتب أئمة هذا الشأن من اطلاق البعض منهم تسميات على تلك الأشياء بخلاف ما يسميه الآخر أو إدخال بعض الشواهد في قسم والآخر يدخلها في قسم آخر ، فكلّ ذلك مبني على تعددّ الألقاب وتغليب بعضها على بعض ، وإلاّ فالجميع يصب في غرض واحد ، ثمّ قام بتحليل الكنايات التي تضمنّها الحديث مبيّنا وجه الحسن فيها ، فممّا قاله :« ... فكذلك قول هذه طويل النجاد من توابع الطول ولوازمه ، فلن يطول نجاد أحد إلاّ إذا كان طويلا ، وكذلك قولها عظيم الرماد من توابع الكرم وروادفه ، لأنّه لا يكثر رماده إلاّ لكثرة وقوده النيران للضيفان ، وكذلك قولها قريب البيت من النادي ، من التتبيع البديع أيضا ، إذ العادة أنّه لا ينزل قرب النادي إلاّ المنتصب للضيفان ، فكان ردفا لجوده وكرمه ، وكان قولها طويل النجاد أكمل وأبلغ من قولها : طويلا ، إذ ثمّ طول دون طول ، فلمّا عبّرت عنه بما هو من توابعه بقولها : طويل النجاد ، بالغت في طوله ، وكأنّها أظهرت طوله للسامع صورة يراها ، مع ما في هذه الصيغة من طلاوة اللفظ مع الايجاز ...»«[364]» ، ثمّ يقول معلّقا على الكنايات التي جاءت في الحديث ما نصّه :« وتحت هذه الألفاظ الوجيزة جمل كثيرة ، أعربت هذه الكنايات اللطيفة والاشارات الخفيفة عنها ، وأينها في البلاغة من قولها لو قالت : زوجي كريم كثير الضيفان ، أو أكرم الناس وأكثرهم ضيفانا ؟ ، فإنّ واحدا من هذه الأوصاف على كثرة ألفاظها ، ومبالغة أوصافها ، لا ينتهي منتهى واحد من قولها عظيم الرماد ، أو قريب البيت من النادي»«[365]» .

وبعد فراغه ـ رحمه الله ـ من الكلام عن الارداف والتتبيع انتقل للحديث عن السّجع ، حيث أشار إلى وقوعه في كلام هؤلاء النسوة ، وأشاد بحسنه في كلامهن حيث جاء طبيعة دونما تكلف أو مشقة ، كما هو الحال في كلام البعض ممّن يتكلف فيه ، فيخرج به عن حدّ الطبّع ويفسد

[363] ـ بغية الرائد لما تضمنه حديث أمّ زرع من الفوائد : ص 206 ـ 207.

[364] ـ المصدر نفسه : ص 210

[365] ـ المصدر نفسه : ص 210

الكلام أكثر ممّا ينفعه ، مع وضعه كذلك لضابط يعرف به السّجع الحسن من السّجع القبيح ، بإخباره أنّ الأسجاع تحتاج إلى تقدير ، وأنّه يكره فيها التطويل ، وأنّ ما كان في أول فقرة من الفقرتين كان عيّا ، وخرج عن حدّ البلاغة ، وتخاذل به الكلام ، في حين أنّ الذي يجئ في آخر الفقرتين ليس بمعيب ، بل يكون حسنا سيّما إذا توالت الفقر على سجع واحد ، وممّا قاله مشيدا بسجع هاته النّسوة ما نصّه :« وفي كلام أمّ زرع من البديع حسن التسجيع ، وكذلك في كلام هذه التاسعة ، بل كلّهن حسن الأسجاع ، متفقات الطّباع غريبات الابداع ، غير مستكرهات الألفاظ ، ولا ملفقات القوافي ، ولا قلقات الفواصل ، لا سيّما هذه التاسعة ، فلا شيء أسلس من كلامها ، ولا أربط من نظامها ، ولا أطبع من سجعها ، ولا أعرب من طبعها ، وكأنّ فقرها مفرّغة في قالب واحد ، ومحذوة على مثال متوارد ...»«[366]».

وبعد حديثه عن التسجيع تعرّض الشيخ إلى موضوع من مواضع علم المعاني يتعلق خصوصا بالإطناب وقسم من قسمه ألا وهو التكرار ، حيث أشار إلى تكرير أمّ زرع لفظة «أبو زرع ما أبو زرع » فقد يظنّه البعض من التكرار المعيب وليس كذلك ، بل هو من التكرار الجيد المتضمن لأغراض فنية قيمة ، مبيّنا خصائص التكرار المعيب ومواطنه ، وممّا قاله : « وأمّا تكرير أمّ زرع اسم أبي زرع في كلامها ، وتصريحها به في أوّل فصولها ، فليس من عيب الكلام ، ولا من باب التكرار ، لأنّ التكرار المعيب إنّما يكون إذا كان في جملة واحدة ، وأمّا مع اختلاف الجمل وبعد ما بينها فليس بعيب ، ولكنّه منه ما يكون محتملا ، ومنه ما يكون حسنا ، من باب البلاغة كقولها : «أبو زرع ، فما أبو زرع » ، فإنّ التصريح هنا أبلغ من الكناية لما فيه من التعظيم والتعجب ، كما قلناه في قول العاشرة : «مالك ، وما مالك» ، وقوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ما الحاقة ﴾ «[367]» ، فقد تقدّم فيه ما أغنى ، وإنّما يقبح إذا كان على غير هذا الوجه ، وكان في جملة واحدة ، وأمّا في جمل مختلفة فليس بقبيح ...»«[368]»

وبهذا أكون قد استعرضت المباحث البلاغية التي تطرّق إليها القاضي عياض ــ رحمه الله ــ في شرحه لحديث أمّ زرع ، وبالنظر فيها يمكن القول بأنّه قد ضرب بحظ وافر في علم البلاغة ، يستشف هذا من خلال المباحث التي أوردها ، كما يلتمس ذلك أيضا من خلال إيراده لأقوال

---

[366] ــ بغية الرائد لما تضمنه حديث أمّ زرع من الفوائد : ص 210

[367] ــ سورة الحاقة : الآيتان 1 ــ 2

[368] ــ بغية الرائد لما تضمنّه حديث أمّ زرع من الفوائد : ص 211

البلاغين والنقاد ومناقشتها وإبداء آرائه في البعض منها تارة بالاستدراك وأخرى بالتعقيب ، كما يدرك ذلك أيضا من خلال عمق التحليل التي تميّز به عند إيراده للشواهد والأمثلة ساعيا إلى تقريب تلك الصور للأذهان ، ويلاحظ على الأسلوب الذي انتهجه في تقرير هذه المباحث أنّه أسلوب أدبي عربي محض في المبنى والمعنى لم تشبه شائبة المنطق الأرسطي أو الفلسفة اليونانية ، بل كانت جلّ المسائل التي أوردها صافية من تلك النزعات الفلسفية ، كما يظهر عليه التأثر بالآراء المشرقية المثتوتة في الكتب التي استقى منها ، وبهذا يتأكد القول المذكور سابقا عن محمد بن شريفة عندما ذكر أنّ مصنف القاضي عياض في شرحه لحديث أمّ زرع يعدّ من ضمن مصادر البلاغة والنقد «[369]»

كما تجدر الاشارة إلى أنّ القرن السادس الهجري عرف مصنفات بلاغية مغربية ، وتحتفظ بعض كتب التراجم بأسماء بعض الكتب ، فمّما ورده ذكره في كتب التراجم والطبقات :

ــ كتاب عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : لمحمد بن طاهر بن علي بن عيسى أبو عبد الله الأنصاري الداني الأندلسي النحوي (ت 519 هـ) «[370]» .

ــ كتاب أجناس التجنيس لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي (ت 598 هـ) «[371]».

المطلب الثالث : الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن السابع هجري :

إذا ما جئنا نتحدث عن البحث البلاغي في المغرب خلال القرن السابع ، فإنّنا نجد أنفسنا ملزمين بالوقوف على عدة شخصيات كان لها الحظ الأكبر والنصيب الأوفر في ازدهار الدرس البلاغي وتطوره بالمنطقة ، وذلك بما خلّفته من مصنفات وثيقة الصلة بالبحث البلاغي ، ومن هذه الشخصيات التي سأتعرض للحديث عنها ولبيان اتجاهها البلاغي في مصنفاتها : الإمام حازم القرطاجني فقد أسهم هذا الإمام في تطوير الدرس البلاغي بالمغرب في عصره ، وهذا ما سأحاول تجليته وكشفه ، وذلك بالتعرض لما كتبه في مجال البلاغة العربية.

---

[369] ــ ينظر: مقدمة التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات ، لأبي المطرّف أحمد بن عميرة ، ص 7

[370] ــ ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، ج 1 ، ص 120

[371] ــ ينظر : البحث البلاغي بالمغرب ، عبد الوهاب الأزدي ، ص 42.

الفرع الأول : حازم القرطاجني واتجاهه البلاغي من خلال كتابه منهاج البلغاء

قبل أن أشرع في بيان اتجاه حازم البلاغي أحببت أن أشير لشيء من سيرته و حياته ، وذلك بغية الوقوف على نشأته وتكوينه العلمي وأهمّ مصنفاته وآثاره العلمية ، فإنّ ذلك يساعد في كشف منهجه واتجاهه البلاغي .

تعرّض لترجمة الإمام حازم القرطاجني كثير من أصحاب التراجم والسير . وممّا قالوه في ذلك :

هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي هنئ الدين ، ولد سنة ثمان وستمائة ، روى عن جماعة يقاربون ألفا ، وأخذ عنه جماعة منهم أبو حيّان الأندلسي ، القائل فيه :هو أوحد زمانه في النّظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان«[372]».

وروى عنه كذللك بن رشيد السبتي وذكره في رحلته فقال : «حبر البلغاء ، وبحر الأدباء ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحدا ممّن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم ، من منقول ومبتدع ، وأمّا البلاغة فهو بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايتها ، أميرا في الشرق والغرب ، وأمّا حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها ، فهو عماد روايتها ، وحمال أوراقها ، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط ، ويضرب بسهم في العقليات والدراية أغلب عليه من الرواية »«[373]».

توفي حازم ـ رحمه الله ـ سنة أربع وثمانين وستمائة ليلة السبت لأربع عشر خلون من رمضان «[374]».

تشيد كتب التراجم بمكانة حازم العلمية ، والمنزلة التي تبوأها في علم اللّسان العربي ، وممّا يؤكد ذلك ويبيّنه آثاره ومصنفاته ، فقد حفظت لنا كتب التراجم التي تعرّضت له بالترجمة بعض المصنفات المنسوبة إليه ، فممّا ذكروه :

---

[372] ـ ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، السيوطي ، ج 1 ، ص 491

[373] ـ الرحلة : ابن رشيد السبتي، نقلا من كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : ج 1، ص 491 ، ذكر محقق كتاب منهاج البلغاء الحبيب بن خوجة أنّ الجزء الذي ترجم فيه ابن رشيد لحازم مفقود انظر: المنهاج ، ص 33

[374] ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ج 1 ، ص 491

القصيدة الموسومة بالمقصورة : وهي قصيدة وضعها في مدح أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو عبد الله محمد الحفصي ، وهي من بحر الرجز أراد أن يعارض بها مقصورة ابن دريد ، وقد نالت هذه القصيدة اهتمام كثير من الأدباء فتعرّضوا لها بالشروح والتعليق ، فممّن عمل عليها شرحا :

ـ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي (ت 760) وسمّاه رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة «[375]»

ـ أبو محمد عبد الله التجاني ت ( ) وضع عليها شرحا سمّاه أداء اللازم نحو مقصورة حازم .

وقد تعرّض لبيان ما تضمنته هذه المقصورة بصورة تحليلية الأستاذ الحبيب بن خوجة في معرض تحقيقة لكتاب منهاج البلغاء وكلامه عن آثاره العلمية ، كما نبّه على اعتناء كثير من معاصريه بها إمّا تحقيقا لها أو إبرازا لجوانبها الأدبية والفنية ، فأشار إلى تحقيق الدكتور محمد علام لها ، ودراسة المستشرق قارسيا قوميز لها تحت عنوان :« ملاحظات عامة على القصيدة المقصورة لأبي الحسن القرطاجني»«[376]»

ـ مجموعة من الأشعار طبعت أخيرا في ديوان متوسط الحجم حققه عثمان الكعاك مع المقصورة «[377]».

وقد أشار الحبيب بن خوجة إلى احتواء مكتبة الإسكوريال على مخطوطتين لحازم فيهما مجموعة من القصائد إضافة إلى المقصورة «[378]»، وفي الأرجح أن تكون هي التي قام عثمان الكعاك بتحقيقها.

ـ القصيدة الميمية في النحو ، عدد أبياتها مائتين وتسعة عشر بيتا ، ذكرها ابن العماد الحنبلي«[379]» ، وأشار السيوطي إلى نقل ابن هشام منها في كتابه مغني اللبيب عند ذكره للمسألة الزنبورية «[380]»

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[375]ـ نفح الطيب ، ج 5 ، ص 189

[376]ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، ط 3 ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ،بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ ، 1986م ، ص 85 .

[377]ـينظر: مقدمة المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السجلماسي ، ط 1 ، تحقيق علال الغازي ، ـ الرباط ـ ، مكتبة المعارف ، 1401 هـ ـ 1908 م ، ص 62 .

[378]ـ مقدمة منهاج البلغاء ، ص 73

[379]ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : د ط ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، د ت ، ج 5 ، ص 386

[380]ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، ج 1 ، ص 491

ــ شدّ الزنار على جحفلة الحمار ، كتاب وضعه للردّ على ابن عصفور في كتابه :(المقرب في النحو) «[381]».

ــ كتاب التجنيس ، ذكره السيوطي في معرض ترجمته لابن رشيد السبتي مشيرا إلى أنّ هذا الأخير وضع شرحا عليه .«[382]»

ــ كتاب في العروض ،ذكره حازم في المنهاج وأحال عليه ، دون التصريح باسمه «[383]»

ــ كتاب القوافي ، ذكره السيوطي «[384]»، وأخبر المقري أنّ ابن رشيد السبتي وضع شرحا عليه سمّاه : « وصل القوادم بالخوافي في شرح كتاب القوافي »«[385]»، والذي وصل إلينا من كتاب حازم ثلاث ورقات فحسب .

ــ كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، وهو الذي سنتكلم عنه لنستبين من خلاله منهجه البلاغي .

إنّ الحديث عن جهد حازم البلاغي وبيان اتجاهه ، يكون من خلال مصّنفه منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، فقد شاع هذا الكتاب عند النقاد والبلاغين ، وأجمعوا على أنّه أعظم موروث بلاغي بالمغرب ، ولذا فإنّي سأحاول بيان منهج حازم البلاغي واتجاهه من خلال هذا الكتاب ، والكلام عن ذلك سيكون في محورين رئيسين :

الأول : في تقسيم الكتاب وبيان موضوعه

الثاني : بيان اتجاه حازم البلاغي

تقسيم الكتاب وموضوعه

قبل الشروع في بيان تقسيم حازم للكتاب تجدر الإشارة إلى أنّ ثمّة جزء منه مفقود، وما وصل إلينا من كتابه فهو يضم ثلاثة أقسام فحسب ، وباحتساب الجزء المفقود منه يكون محتويا على أربعة أقسام ، وقد ذهب إلى هذا الرأي محقق الكتاب ، وتبعه في ذلك جلّ من تناول حازم بالدراسة أو تناول كتابه منهاج البلغاء بالدراسة ، وحجة المحقق في ذلك هو إشارات حازم المتعددة والمتكررة إلى موضوعات هذا القسم المفقود ، وهذه الإشارات تتركز بالبحث عن القول وأجزاءه ، والأداء

---

[381] ــينظر: نفح الطيب ، ج 4 ، ص 148

[382] ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ج 1 ، ص 200.

[383] ــ منهاج البلغاء : ص 259

[384] ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 1 ، ص 491

[385] ــ نفح الطيب :ج 5 ، ص 481

وطرقه ، كما استند إلى نقولات كل من الإمامين السبكي والزركشي عن حازم ، الأوّل في كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، والثاني في كتابه البرهان في علوم القرآن ، فنقل السبكي عن حازم يلفى فيه عنايته بالبحث عن الضرائر ، وبما قصر ، أو طال من العبارات كما يلفى فيه الحديث عن الغرابة والابتذال والتشبيه وشروطه ، ونقل الزركشي عنه ما كان في السجع والحكم والأمثال ، وعن التشبيه وأدواته وأشكاله وصوره ، وعن الاحتياط في استعمال بعض الألفاظ وتقدير الاستعمال ، وعن الزيادة والقلب والالتفات والترتيب في المعاني والأغراض «[386]».

وقد خالف محقق الكتاب ومن وافقه في رأيه من الباحثين والدّارسين الدكتور عمر إدريس عبد المطلب حيث نفى أن يكون كتاب حازم من أربعة أقسام وأنّ منه جزء مفقودا ، بل هو من ثلاثة أقسام فحسب ، وحجته في ذلك أنّه لو كان هناك قسم آخر خاص بالألفاظ كما يدّعيه محقق الكتاب ما كان ثمّة داعي يدعو حازم لتكرير مباحث ذلك القسم دون بقية الأقسام ، كما أنّ هذه الموضوعات الموجودة في القسم الأول المفقود مبثوتة في أماكن متفرقة من الكتاب ، كما افترض ابتداء حازم للكتاب بالمعاني مباشرة بدون مقدمة رغبة منه في زيادة التعمية ، كما عضّد ما ذهب إليه ببيان تأثر حازم بالخفاجي ، حيث نقل عنه كلامه في المعاني وضمّنه كتابه ، كما قام بدمج القسم الخاص بالألفاظ بقسم المعاني ، كما بيّن تأثره ــ أي حازم ــ به في الأسلوب والمنهجية من توخي السهولة وتجنب الوحشية ، وتحاشي كثرة التمثيل ، إضافة إلى إدراجه لمباحث البديع من جناس وطباق تحت دائرة المعاني في حين بحثها الخفاجي تحت دائرة الألفاظ ، فلو كان ثمّة قسم خاص بالألفاظ لبحثها فيه مثلما فعل الخفاجي تأثرا به .«[387]»

هذا فيما تعلّق بالقسم الأول ، وأمّا القسم الثاني من الكتاب فقد خصّصه حازم لبحث المعاني ، وليس المراد بالمعاني ذلك القسم الذي تقرّر عند المتأخرين من أئمة البلاغة الذي يبحث فيه عن مدى مطابقة اللفظ العربي لمقتضى الحال ، بل المعاني عنده يبحث فيها عن حقائق ذاتها وأحوالها ، وطرق استحضارها وانتظامها في الذهن وأساليب عرضها وصور التعبير عنها « [388] ».

[386] ــ مقدمة تحقيق منهاج البلغاء وسراج الأدباء : محمد الحبيب بن خوجة ، ص 94 ـ 95 بتصرف .

[387] ــ حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي ، د ط ، ـ الأردن ـ ، دار الجنادرية للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 153 ـ 162 . بتصرف

[388] ـ ينظر: مقدمة تحقيق منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، محمد الحبيب بن خوجة ، ص 96

وقد تناول هذا القسم في أربعة مناهج :

المنهج الأول : عقده للإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها والتعريف بضروب هيئاتها ، وجهات التصرف فيها ، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

المنهج الثاني : عقده للإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها ، وبناء بعضها على بعض ، وما تعتبر بها أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

المنهج الثالث : عقده للإبانة عمّا تتقوم به صنعتا الشعر والخطابة من التخييل والاقناع ، والتعريف بأنحاء النظر في كلتا الصنعتين ، من جهة ما به تقوّمت ، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها ، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

المنهج الرابع : عقده للإبانة عن الأحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها من الكلام ، فتوجد بها ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

وأمّا القسم الثالث فقد خصّصه للكلام عن النظم وبيان ما تعرف به أحواله من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافر لها ، وقد تناوله كذلك في أربعة مناهج :

ـ المنهج الأول : عقده للإبانة قواعد الصناعة النظمية والمآخذ التي هي مداخل إليها ، وما تعتبر به أحوال الصنعة في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

ـ المنهج الثاني : عقده للإبانة عن أنماط الأوزان في التناسب ، والتنبيه على كيفيات مباني الكلام وعلى القوافي وما يليق بكل وزن منها من الأغراض ، والإشارة إلى طرف من أحوال القوافي وكيفية بناء الكلام عليها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس ، أو منافر لها .

ـ المنهج الثالث : عقده للإبانة عمّا يجب في تقدير الفصول وترتيبها ووصل بعضها ببعض وتحسين هيئاتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها .

ـ المنهج الرابع : عقده للإبانة عن كيفية العمل في إحكام مباني القصائد وتحسين هيئاتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها .

، وأمّا القسم الرابع فقد خصّصه للحديث عن الطرق الشعرية وبيان ما تنقسم إليه وما ينحى بها نحوه من الأساليب ، والتعريف بمآخذ الشعراء في جميع ذلك ، وما تعتبر أحوال الكلام المخيل المقفى الموزون في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها من القوانين البلاغية ، وقد تناوله كذلك في أربعة مناهج وهي :

ــ المنهج الأول : عقده للإبانة عن طرق الشعر من حيث تقسيمها إلى جد وهزل ، وما تعتبر به أحوالها في كل ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

ــ المنهج الثاني : عقده للإبانة عن طرق الشعر من حيث تقسيمها إلى فنون الأغراض ، وما تعتبر به أحوال الشعر في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

ــ المنهج الثالث : عقده للإبانة عن الأساليب الشعرية وأنحاء الاعتمادات فيها ، وما يجب أن تعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

ــ المنهج الرابع : عقده للإبانة عن المنازع الشعرية وأنحائها وطرق المفاضلة بين الشعراء في ذلك ، وغيره من أنحاء التصاريف في هذه الصناعة وما يعتبر به أحوال الكلام وأحوال القائلين في جميع ذلك .

إذن هذه هي مباحث كتاب منهاج البلغاء لحازم ، وتبيّن أنّه تعرّض في كتابه هذا لأربع كليات كبرى من علم البلاغة ، وهي الألفاظ ــ المعاني ــ النظم ــ الأسلوب .

موضوع الكتاب

إنّ كتاب حازم كتاب محض في البلاغة ، وذلك بالاستناد إلى كتب الطبقات والتراجم التي ترجمت له ، وأشارت إلى كتابه ، بيد أنّ كتابه هذا يختلف عن الكتب الموضوعة في علم البلاغة من حيث المضمون ، وطريقة الطرح ، والمنهج والأسلوب ، حيث كانت تلك الكتب الموضوعة قبله تبحث في موضوعات معينة من البلاغة انتهى تقسيمها إلى أقسام ثلاثة علوم المعاني ، وعلوم البيان ، وعلوم البديع كما صبغت هذه الكتب بالصبغة الأدبية المتشربة من المصادر العربية الأصيلة غير متأثرة بالأبحاث المنطقية والفلسفية إلاّ في القليل منها عند المتأخرين ، وإذا رجعنا إلى كتاب حازم ، وجدناه لا يبحث في تلك المقررات المألوفة عند أئمة البلاغة بتلك الطريقة ، وبذلك الطرح ، ولا بذلك المضمون ، ممّا دفع بالبعض إلى تصنيف كتابه تحت دائرة فلسفة البلاغة ، أو أصول

البلاغة «[389]» باعتباره قد تجاوز الظواهر الجزئية التي أشبع أئمة هذا الفن القول فيها والبحث عنها ، ونعني بالظواهر الجزئية الكلام عن المباحث البلاغية المنطوي تحتها تلك الأقسام بطريقة التحليل والشرح على الطريقة التعليمية التلقينية ، فحازم لم يتعرض لذلك ، ولم يتناوله ، وقد

أفصح هو عن ذلك قائلا : « قد سلكت في التكلم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه ، وتوعر سبيل الوصول إليه ، هذا على أنّه روح الصنعة ، وعمدة البلاغة ... ، فإنّي رأيت الناس لم يتكلموا إلاّ في بعض ظواهر ما اشتملت عليه ، فتجاوزت أنا تلك الظواهر ، بعد التكلم في جمل مقنعة ممّا تعلّق بها إلى التكلم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها »«[390]».

فهذا النّص من حازم يصرح فيه عن تجاوزه للموضوعات المدروسة في كتب أئمة البلاغة السابقين ، وتفضيله الحديث عن دقائق هذه الصناعة ، و مقصوده بدقائق الصناعة هو دراسة العلل الموجبة لحسن الأدب وتذوقه ، وآثاره في السلوك البشري ، أي ببساطة البحث في طبيعة الأدب ووظيفته «[391]»

إنّ غرض حازم وهدفه من هذا الكتاب هو التنظير والتأصيل لعلم البلاغة بطريقة فلسفية منطقية حكمية ، وقد اختار لتحقيق هذا الهدف فنّا من الفنون الأدبية وهو فنّ الشعر ، حيث سلك في هذا الاتجاه مسلك مخالفا لما كان الأمر عليه عند كثير من البلاغيين ، فقد كانت مباحث البلاغة عندهم تطرق من باب الإعجاز القرآني وبعض الأنواع والفنون الأدبية الأخرى ، غير أنّ حازم أراد أن يتحدث عن البلاغة من باب الشعر ليحقق بذلك هدفا ظلّ يناشده دائما وهو وضع قوانين كلية تعين على العلم بالشعر والإحاطة به والاقتدار على قوله ، وتكمن أهمية هذا العلم الذي أراد حازم أن يؤصله بصبغة فلسفية فنية في : «تمكين الشاعر من إجادة النظمّ ، والناقد من امتلاك الأدوات الصحيحة لحكمه وتقييمه ، وهو بذلك يحوم حول العناصر الأساسية المكونة للعملية الشعرية التي هي : الشاعر ، النّص الشعري ثمّ المتلقي . وخلاصة الأمر هو : هو وضع قوانين كلية للعلم بالشعر .

---

[389] ــ ينظر: مقدمة تحقيق منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، محمد الفاضل بن عاشور ،ص 10 .

[390] ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص 17

[391] ــ ينظر : البحث البلاغي في المغرب : عبد الوهاب الأزدي ، ص 64

وفي سعيه لتحقيق هذا الغرض تعرّض في كتابه منهاج البلغاء لجملة من المباحث البلاغية وموضوعات وثيقة الصلة بالدرس البلاغي ، ويرى بعض الباحثين أن الموضوعات والمباحث التي تعرض لها حازم في كتابه مبنية في الأصل على كتاب لأحد أعمدة البلاغة . ألا وهو سر الفصاحة لصاحبه ابن سنان الخفاجي ، وعلى حدّ قول من تبنى هذا الرأي فإنّ حازما أقدم على كتابه فقدّم فيه وأخر ، وقام بتناول المصطلحات التي تناولها ابن سنان في كتابه وأعاد بلورت الأفكار العامة التي تبناها ابن سنان وأعاد ترتيبها وفق ما يتماشى مع منطق تأليفه ، فما أصّله ابن سنان مثلا في مباحث الألفاظ تبناه حازم وأدخل عليه بعض المصطلحات المنطقية ولم يفرده بقسم خاص ، بل تناوله من خلال قضايا المعاني والمباني والأسلوب . وفي هذه القضايا تكمن مباحث الإمام الخفاجي . وكلام حازم عن المعاني هو نفس كلام الإمام الخفاجي .

وقد تناول حازم أيضا بعض مباحث علم البيان كالتشبيه الذي بحثه في إطار حديثه عن نظرية المحاكاة في الشعر ، وخصّص له معلما من كتابه للعلم بما يخص المحاكاة التشبيهية من الأحكام . وقد أخلط بينهما فتناولهما على أنّهما شيء واحد ، كما تناول بعض فنون البديع كالطباق والمقابلة والتقسيم والتفسير والتفريع ، وهو في ذلك كله مجار للإمام الخفاجي فيما أودعه في كتابه مع تغيير في الترتيب والتبويب يتماشى مع منهجه في كتابه وغرضه الذي يرمي إليه .

إنّ أبرز القضايا إن لم نقل لبّها وأصلها التي تناولها حازم في المنهاج هي عرضه لنظرية التخيل الشعري ونظرية المحاكاة ، حيث جعلا هذان الأمران هما حقيقة الشعر ، فقال : « فأمّا بالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ما انفرد به الخاصة دون العامة وبين ما شاركوهم فيه ، ولا ميزة بين ما اشتدت علاقته بالأغراض المألوفة وبين ما ليس له كبير علاقة إذا كان التخييل في جميع ذلك على حدّ واحد ، إذ المعتبر في حقيقة الشعر هو إنّما هو التخييل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك »«[392]».

وفي حديثه عن حقيقة الشعر وعلاقته بالتخيل يقول : « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب على النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها ...»«[393]».

---

[392]ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص 19

[393]ــ المصدر نفسه : ص 63

وسعيا في تدليله للطرق التي يعرف بها الأشياء المخيلة في الشعر والمناحي التي يقع بها التخيل أفرد لذلك معلما ممّا جاء فيه قوله : « الشعر كلام مخيل موزون ، مختص في لسان العرب بزيادة التفقيه إلى ذلك ، والتئامه من مقدمات مخيلة ، صادقة كانت أو كاذبة لا يشترط فيها ــ بما هي شعر ــ غير التخييل ، ... والتخييل في الشعر يقع من أربعة أنحاء من جهة المعنى ، ومن جهة الأسلوب ، ومن جهة اللفظ ومن جهة النّظم والوزن »«[394]» وقسّم التخيل في الشعر إلى تخيل ضروري وغير ضروري ، كما تحدّث عن طرق وقوع التخييل في النفس مخبرا أنّها إمّا أن تكون بأن يتصور شيء في الذهن من طريق الفطر أو من خطرات البال ، أو بأن تشاهد شيئا فتتذكر شيئا آخر ، أو بأن يحاكى لها الشيء بتصوير نحتي أو خطي أو ما يجري مجرى ذلك ، أو يحاكى له صوته أو فعله أو هيأته أو بما يشبه ذلك من صوت أو فعل أو هيأة ، أو بأن يحاكى لها معنى بقول يخيله لها أو بأن يوضع لها علامة من الخط تدل على القول المخيل أو بأن تفهم ذلك من الإشارة «[395]»

هذا فيما يتعلق بحديثه عن التخييل الشعري ، وفي حديثه عن المحاكاة الذي يعتبره البعض مصطلحا يونانيا استقاه حازم وتشربه من كتب الفلاسفة لا سيما كتب أرسطو«[396]»، فقد تطرّق إليها وتحدّث عنها في قسم المعاني وأدخلها في التشبيه متأسيا بالإمام الخفاجي الذي تكلم عن التشبيه ضمن المعاني ، وقد قسم المحاكاة إلى تقسيمات عديدة وباعتبارات مختلفة متأثرا في ذلك بتقسيمات ابن سينا كما صرّح هو بذلك قائلا : « وقد ذكر هذا أبو علي بن سينا ، وقسّم المحاكيات هذه القسمة » فمن التقسيمات التي ذكرها : محاكاة الموجود بالموجود ، وهذه بدورها تنقسم إلى محاكاة شيء بما هو من جنسه ، ومحاكاة شيء بما ليس من جنسه، ومحاكاة محسوس بغير محسوس ، أو غير محسوس بمحسوس ، أو مدرك بغير الحس بمثله في الإدراك ، أو محاكاة معتاد بمعتاد أو مستغرب بمستغرب ، أو معتاد بمستغرب ، أو مستغرب بمعتاد ، كما قسمها إلى محاكاة تحسين ومحاكاة تقبيح ، ومحاكاة مطابقة إلى غير ما ذكر من تقسيمات شارحا لها وواضعا القوانين عليها ، كما تحدّث عن طرق العلم والمعرفة بأحكام المحاكيات وما يجب أن يعتبر فيها .

وفي عرض حازم لهاتين النظريتين هو متبني لأقوال كثير من النقاد والفلاسفة المسلمين . ويأتي في مقدمتهم ابن سينا وكذلك الفارابي ، فقد أبدى حازم تأثرا ظاهرا بتلخيصاتهما لكتب أرسطو

---

[394] ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص 79

[395] ــ المصدر نفسه : ص 79 ــ 80

[396] ــ ينظر :حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي : عمر إدريس عبد المطلب ، ص 177

الشعرية والفلسفية والمنطقية لا سيما بابن سينا فقد تأثر به حازم أيّما تأثر ، بل يمكن القول أنّ هدف حازم وغرضه من عرض هاتين النظريتين وتناولهما في المنهاج لصياغة القوانين الكلية العلمية للشعر هو إكمال العمل الذي ابتدأه بن سينا في كتبه ، وهو صياغة قوانين للعلم بالشعر ، وقد صرّح هو بذلك عندما قال : « وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنّه من جملة ما أشار إليه أبو علي بن سينا »«[397]» .

والخلاصة أنّ حازما سعى من خلال عمله لوضع قانونان عام وشامل للشعر ، مركزا في هذا الهدف على معالجة نظريتين اثنين هما التخيل والمحاكاة وتبنى في الحديث عنهما تحليل ومعالجة أربعة أشياء في نظره هي المرجع للتخيل والمحاكاة ، وهي : الألفاظ ، والمعاني ، والنظم ، والأسلوب.

بيان اتجاه حازم البلاغي

بعد بيان موضوع كتاب المنهاج سأتحدّث في هذا المطلب عن اتجاه حازم البلاغي من خلال المنهاج ،وقبل تبيان معالم اتجاه حازم البلاغي فإنّه ينبغي الإشارة إلى أمر نبّه عليه كثير من الباحثين في شأن البحث البلاغي بالمغرب و غيره ، وهو أنّ حازما يمثل اتجاها جديدا في التأليف البلاغي . هو ومجموعة من الأدباء سيأتي ذكرهم من بعده ، فحازم يعتبر رائدا في سلوك منهج واتجاه جديد في بحث مسائل البلاغة في تلك الفترة ، والاتجاه الذي تبنّاه حازم ومن سار في دائرته هو محاولة المزج بين التراث اليوناني والتراث العربي في تقرير مسائل البلاغة ، وفي بيان هذا يقول محمد بن شريفة : « ... فإنّ ابن عميرة و القرطاجني و السجلماسي وابن البناء يمثلون اتجاها جديدا في التأليف البلاغي ويقدمون اجتهادا خاصا في التناول ، وهم يجمعون بين المأثور البلاغي العربي والتراث اليوناني الأرسطي ، وذلك بواسطة الفارابي وابن سينا وابن رشد على وجه الخصوص »«[398]». ويعتبر البعض حازما هو رائد الاتجاه اليوناني في منطقة المغرب باعتباره أول من أدخل نظريات أرسطو وتعرض لتطبيقها في كتب البلاغة العربية الخالصة »«[399]».

وعليه فإنّ حازما غلب عليه البحث الفلسفي والمنطقي في معالجة ما عالجه في كتابه المنهاج ، لأنّ طبيعة التأثر بالأفكار الأرسطية والاطلاع على ما ترجمه علماء المسلمين للأدب الأرسطي لا سيما ابن سينا والفارابي يفرض عليه ضرورة السير في هذا الاتجاه وهيمنة أصوله عليه منهجا وأسلوبا .

[397] ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص 61

[398] ـ مقدمة تحقيق : التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات لابن عميرة ، ص 9 .

[399] ـ ينظر : مقدمة تحقيق المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي ، علال الغازي ، ص 62.

وقد أكّد هذا المعنى بعض الباحثين بقوله : « وإذا كنّا نلمس الأثر المنطقي والفلسفي في المؤلفات التي سبق لنا أن عرضناها ، في التعريفات والتقسيمات ، وتبويب المسائل فإنّنا مع حازم نجد أفكار أرسطو في خطابته وشعره ومنطقه وحاضرة في كل مفاصل الكتاب فاستشهد كثيرا بكلام أرسطو معتمدا على ترجمة ابن سينا وتلخيص الفارابي لكتاب الشعر ، وليست المسألة استشهادا فحسب . ولكن منهج الكتابة وأسلوبها هو المنهج الأرسطي في تناول الفنّ الأدبي »«[400]».

وبعد تأكيد هذا الأمر الذي أعطى صورة عامة عن اتجاه الإمام حازم البلاغي ، فإنّه يمكن تجلية هذا الاتجاه وتوضيح معالمه في جملة من النقاط والملاحظات :

ــ الاعتماد على المصادر الأصيلة في التراث اليوناني والاستيقاء منها في تقرير مسائل الكتاب وموضوعاته كالخطابة ، وفنّ الشعر ، والمنطق لأرسطو ، واستمداده كذلك من مؤلفات الفلاسفة المسلمين كالفارابي وبن سينا .

ــ انتهاج الأثر المنطقي والفلسفي في تقرير مسائل الكتاب من خلال التعريفات ، والتقسيمات ، و التبويبات ، والاعتماد في طرح المسائل والموضوعات على المقدمات ثمّ إيراد النتائج .

ــ سعيه في مزج الآثار اليونانية بالبلاغة العربية ، وقد أفضى به إلى اعتماد العنصر اليوناني في جميع أبحاثه البلاغية على حساب العنصر الأدبي ممّا جعل البعض يحكم على بحثه البلاغي بأنّه شديد الغموض «[401]»

ــ الصبغة المنطقية الغالبة على الكتاب وغلبة البحث النظري والفلسفي عليه «[402]».

وفي ختام الحديث عن اتجاه حازم البلاغي يمكن القول بأنّ العمل الذي قام به في المنهاج يعتبر جديدا في طرحه لم يسبق لمثله ، فهو نسق جديد في الدراسات البلاغية خرج به صاحبه عن الدائرة التي كانت تبحث فيها مسائل البلاغة من حيز الإعجاز القرآني والأدب إلى حيّز الشعرية ، كما خرج هو عمّا سمّاه من الظواهر الجزئية المبحوثة في التراث البلاغي إلى البحث عن أصول الصناعة البلاغية وروحها ودقائقها ، أو كما سمّاها البعض فلسفة البلاغة ، بيد أنّ العمل الذي قام به حازم لم يجد ضالته من بعده في أرض المغرب ولا غيرها من المناطق والأماكن فسرعان ما

---

[400] ــ ينظر : البيان العربي ، ص 241 ــ 242

[401] ــ ينظر: حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي : عمر إدريس عبد المطلب ص 92.

[402] ــ ينظر : حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي ، ص 92 ، وينظر: تاريخ النقد الأدبي : ج 2 ، ص 194 .

اضحمل تجديده وتلاشى ، وقد علّل كثير من الباحثين أسباب عدم رواج كتاب المنهاج وأبحاثه في تلك الفترة لعلل كثيرة منهم من أرجعها إلى عدم تناسب مستوى حازم في التأليف مع أبناء عصره ، ومنهم من أرجعها إلى عدم ترحيب المشارقة بتراث المغاربة وعدم تفعالهم معها ، ومنهم من أرجعها إلى طبيعة بحثه المستمدة أفكاره من أصول منطقية وفلسفية تتعارض مع طبيعة البلاغة العربية . وأيّا كان السبب فجهد حازم أصيل وفريد في بابه حاول فيه إعطاء صورة جديدة للبحث البلاغي تحت المنظور الشعري ، ويبقى مجهودا بشريا لا يسلم من طائلة النقد .

المطلب الرابع : الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن الثامن هجري

إذا ما جئنا نتحدث عن البحث البلاغي في المغرب خلال القرن الثامن ، فإنّنا نجد أنفسنا ملزمين بالوقوف على عدة شخصيات كان لها الحظ الأكبر والنصيب الأوفر في ازدهار الدرس البلاغي وتطوره بالمنطقة ، وذلك بما خلّفته من مصنفات وثيقة الصلة بالبحث البلاغي ، ومن هذه الشخصيات التي سأتعرض للحديث عنها وبيان اتجاهها البلاغي في مصنفاتها : الإمام ابن البناء المراكشي والإمام أبو محمد القاسم السجلماسي ، فقد أسهم هذان الإمامان في تطوير الدرس البلاغي بالمغرب في عصرهما ، وهذا ما سأحاول تجليته وكشفه ، وذلك بالتعرض لما كتباه في مجال البلاغة العربية .

الفرع الأول : ابن البنّاء المراكشي واتجاهه البلاغي من خلال كتابه (الروض المريع في صناعة البديع)

قبل أن أشرع في بيان اتجاه ابن البناء البلاغي أحببت أن أشير لشيء من سيرته و حياته ، وذلك بغية الوقوف على نشأته وتكوينه العلمي و أهمّ مصنفاته وآثاره العلمية ، فإنّ ذلك يساعد في كشف منهجه واتجاهه البلاغي .

هو الإمام أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي الشهير بابن البنّاء المراكشي ، لقب بابن البناء لأنّ والده كان يحترف مهنة البناء ، ولد بمراكش بقاعة ابن ناهض منها في تاسع ذي الحجة عام أربع وخمسين وستمائة «[403]».

[403]ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بفاس : أحمد بن القاضي المكناسي ، ط 1 الرباط ـ دار المنصور للطباعة والنشر ، 1973 م ، ص 152.

قرأ الإمام ابن البنّاء القرآن بمدينة مراكش على أبي عبد الله بن مبشر ، وعلى الصالح الأحدي . وتأدب بالعربية على القاضي محمد بن علي بن يحيى الشريف ، قرأ عليه بعض الكتاب ، وقرأ على أبي إسحاق بن عبد السلام الصنهاجي العطار جميع كتاب سيبويه، وأخذ علم العروض عن أبي بكر القللوسي ، وأخذ الحديث عن أبي عبد الله وأخيه ولدي محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي الشهير بالدقاق، وتفقه على أبي عمران الزناتي المراكشي الدار . وغيرهم من المشايخ الأعلام «[404]».

شهد للإمام ابن البناء بعلو المكانة والمنزلة علماء عصره ومن ترجم له ، قال الإمام ابن حجر ــ رحمه الله ــ في حقه :« ... وكان فاضلا عاقلا نبيها انتفع به جماعة في التعليم ...»«[405]».

وقال الإمام ابن القاضي المكناسي :« أخذ من علوم الشريعة حظا وافرا ، وبلغ في العلوم القديمة الغاية القصوى والرتبة العليا »«[406]»

توفي الإمام ابن البناء ــ رحمه الله ــ عشية يوم السبت من رجب عام احدى وعشرين وسبعمائة ، ودفن بخارج باب أغمات عن يسار الخارج منه رحمة الله تعالى عليه .«[407]».

خلّف الإمام ابن البناء ــ رحمه الله ــ ثروة علمية هائلة أشاد بها جميع من تعرّض له بالترجمة بيد أنّ جميعها في عداد المفقود ولم يصل منها غير كتابه الروض المريع في صناعة البديع الذي نحن بصدد الحديث عنه للكشف عن ملامح المنهج والاتجاه البلاغي عنده . ومن جملة ما ذكروا له من المؤلفات :

ــ الاقتضاب والتقريب للطالب اللبيب (في أصول الدين)

ــ كتاب تسمية الحروف وخاصية وجودها في أوائل سور القرآن

ــ شرح تنقيح القرافي (في أصول الفقه)

ــ الكليات في المنطق

ــ كتاب الفصول في الفرائض

ــ رسالة في طبائع الحروف

---

[404] ــجذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بفاس : أحمد بن القاضي المكناسي ، ج1 ، ص 148.

[405] ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : د ط ، بيروت ــ دار إحياء التراث العربي ــ ، د ت ، ج 1 ، ص 278.

[406]ــ جذوة الاقتباس : ج 1 ، ص 148

[407]ــ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 152

ــ التلخيص في الحساب .

إنّ الحديث عن جهد ابن البناء البلاغي وبيان اتجاهه ، يكون من خلال مصّنفه الروض المريع في صناعة البديع ، فقد شاع هذا الكتاب عند النقاد والبلاغين ، وأجمعوا على أنّه من أعظم المصنفات البلاغية ببلاد بالمغرب ، ولذا فإنّي سأحاول بيان منهج ابن البناء البلاغي واتجاهه من خلال هذا الكتاب ، والكلام عن ذلك سيكون في محورين رئيسين :

المحور الأول : داوفع تأليف الكتاب وبيان مضمونه

المحور الثاني :بيان اتجاهه البلاغي وسماته.

دوافع تأليف الكتاب ومضمونه

لقد أفصح الإمام ابن البناء ــ رحمه الله ــ عن داوعي تأليفه لهذا الكتاب وأبان أهدافه ومقاصده المتوخاة من وضعه في مقدمة كتابه ، فذكر أنّه قصد به تقريب مسائل البديع وأصول صناعتها . وما تعلق بها من المسائل البلاغية بتفريعاتها وجزئياتها في أسلوب سهل بسيط غير مخل بالمقصود ولا ممل من المطلوب . وذلك كي يستعان به على فهم الكتاب والسنة ، وقد نبّه على ذلك كله بقوله :« وبعد فغرضي أن أقرب في هذا الكتاب من أصول صناعة البديع ومن أساليبها البلاغية ووجوه التفريع تقريبا غير مخل وتأليفا غير ممل يصغر جرمه . ويكثر علمه ، وسميته بالروض المريع في صناعة البديع . ومنفعته في زيادة المنة »«[408]».

بعد بيان دوافع أهداف الإمام ابن البناء لتأليف هذا الكتاب وإيضاح غرضه وهدفه منه . نتعرض بعدها لبيان مضمون الكتاب .

قسّم الإمام ابن البناء ــ رحمه الله ــ كتابه إلى ثلاثة أبواب . الباب الأول عقده لتوضيح بعض المقدمات البلاغية المهمة لدارسي هذا العلم . وافتتحه بفصل للدلالة ، تطرّق فيه لذكر أقسام الكلام ، فأخبر بأنّه مشتمل على لفظ و معنى ، وكل منهما مركب ومفرد . فانحصرت القسمة بذلك لأربعة أقسام ، ثمّ أوضح بعد وجه الارتباط بين اللفظ والمعنى فذكر أنّه يكون بالدلالة . وهذه الأخيرة ــ الدلالة ـــ تكون دالة على اللفظ بأحد أقسام ثلاث . هي: دلالة المطابقة ، ودلالة التضمين ، ودلالة الالتزام ، وعرّف كل واحدة من أنواع الدلالات مع التمثيل .واستمداده

[408] ـ الروض المريع في صناعة البديع : ط 1 ، تحقيق رضوان بن شقرون ، الرباط ، 1985 م ـ 1405 هـ ، ص 68 ـ 69 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في ذلك كله من كتب أصول الفقه و المنطق ، ليعرج بعدها للحديث عن قسمة أخرى باعتبار جهة التخاطب فجعلها ثلاثة أقسام كذلك هي : دلالة المنطوق ، ودلالة المفهوم ، ودلالة المعقول ، ثمّ تحدّث عن تقسيم آخر للفظ والمعنى باعتبار إفرادهما وتركيبهما فجعلهما على أربعة أقسام لفظ مفرد يدل على معنى مفرد ، ولفظ مفرد يدل على معنى مركب ، ولفظ مركب يدل على معنى مفرد ، ولفظ مركب يدل على معنى مركب ، ثمّ قسّم اللفظ المركب إلى أربعة أقسام أخرى .

وبعد فراغه من ذلك تحدّث عن الاتجاهات أو الطرق التي تعتبر بها المعاني . فذكر أنّها بإحدى ثلاث هي : الأذهان . و الأعيان . أو حقائق من جهة نفس الأمر لا تتعلق بأذهان و لا أعيان . يعود الإمام ابن البناء بعد بيانه لتلك الاتجاهات للحديث عن النسب الممكنة ، فيقسمه إلى أربعة أقسام : إلى ما وقع ، وما لا يقع ، وما سيقع قطعا ، وإلى ما يقدر واقعا لا محالة ، وإلى ما هو مجهول . وبهذا يختم فصله الأول من بابه الأول الذي عقده للمقدمات .

وأمّا الفصل الثاني : فعقده ــ رحمه الله ــ لبيان أقسام الكلام فاستهله بتقسيم الكلام إلى منظوم موزون مقفى وإلى منثور وأخبر أنّ كلاهما يستعمل في المخاطبات ، ثمّ بيّن المجالات والمناحي التي يستعمل فيها كل واحد من النوعين في المخاطبات فذكر أنّها خمسة هي : البرهان ، والجدل ، والخطابة ، والشعر ، والمغالطة مع التعرض لكل نوع بالتعريف . وقد وصف الأنواع الثلاثة بأنّها هي التي تستعمل في طريق الحق . والاثنان الآخران عدّهما خارجين عن باب العلم وداخلين في باب الجهل . ينتقل الإمام ابن البناء بعد ذلك إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز فيستعرض الحالات التي يكونان فيها في المخاطبات ، ويقسم تلك الحالات إلى قسمين :

ــ ما يتعلق به من جهة دلالته على المعنى ويتطرق فيه لموضوعات الإيجاز والاختصار والتكرير والإكثار .

ــ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود . ويعالج فيه الموضوعات التالية :

الخروج من شيء إلى شيء ، وتشبيه شيء بشيء ،و تبديل شيء بشيء، وتفصيل شيء بشيء ، بعد بيان الشيخ للحالات التي يعرض فيها كل من الحقيقة والمجاز ناقش ـ رحمه الله ـ مسألة مهمة تتعلق بأصول البلاغة . وهي مسألة خفاء المعاني و غموضها ، فذكر أنّ الأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على السامع ستة اثنان في اللفظ بانفراده : أحدهما أن تكون الكلمة غريبة والآخر أن تكون من الأسماء المشتركة . واثنان في تأليف الألفاظ : أحدهما فرط الإيجاز ، والآخر الإغلاق في النظم كأبيات المعاني ، واثنان في المعنى :أحدهما أن يكون في نفسه دقيقا غامضا . والآخر أن

يكون يحتاج في فهمه إلى مقدمات إذا تصورت بني عليها ذلك المعنى . وبحديثه عن خفاء المعاني وغموضها ختم الفصل الثاني من هذا الباب الأول.

وأمّا الفصل الثالث من الباب الأول جعله ــ رحمه الله ــ للحديث عن صناعة البديع ، وقد استهله بالكلام عن تعريف البلاغة فعرفها بقوله :« أن يعبر عن المعنى المطلوب عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمكنا من الغرض المقصود »«[409]» وبعد إيراد هذا التعرف ذكر اختلاف أحوال الناس في إدراك الخطاب وفهمه . وبناء على هذا الاختلاف انقسم الخطاب عند البلاغيين إلى ثلاثة أقسام : الإيجاز والمساواة والتطويل .

بعدها تعرّض لتعريف الفصاحة فذكر أنّها مشاكلة اللفظ للمعنى . وأورد شروطا لها بوجودها يعدّ الكلام فصيحا وهي :

سهولة المخارج بالنسبة للألفاظ

عذوبتها في السمع

سهولة تصور معانيها

انتقاء الألفاظ المألوفة في الوضع.

بعدها تعرّض لبيان الفرق بين علم البديع وصناعة البديع إذ هما ليس بشيء و احد ، فذكر أنّ صناعة البديع من حيث هي فائدتها أنّها تعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات المندرجة تحتها ، وأمّا علم البديع من حيث هو فإنّ فائدته تكمن في تمييزه للكليات والجزئيات . ليشير بعد هذا التفريق لمسألة دقيقة وهي بيان مستند علم البديع ومرجعه ، حيث أخبر أنّ صناعة البديع ترجع إلى صناعة القول ومستندها علم البيان الذي ذكر بأنّه موهبة وليس شيئا مكتسبا يمكن صناعته وتطويره وترقيته ، كما فرّق بعدها بين علم البيان وصناعة البيان مخبرا أنّ علم البيان من حيث جهة الدلالة هو راجع إلى وضوح المعاني وغموضها . وصناعة البيان راجعة إلى القول وكيفية تنوعه واختلافه في الدلالة على المقصود والمعنى المراد.

وقد ختم ــ رحمه الله ــ هذا الباب الأول من المقدمات بتنبيهه على اختلاف الأغراض والمقاصد في التنبيه على الخطاب ، وعليه يكون للشيء المعبر عنه أنحاء كثيرة بحسب كل غرض ، لأنّ المعنى قد يكون بليغا بالنسبة إلى غرض وغير بليغ بالنسبة إلى غرض آخر.

---

[409] ــ الروض المريع في صناعة البديع : ص 87.

وقد وسم محقق الكتاب الدكتور رضوان بن شقرون هذه المقدمات التي مهد بها الإمام ابن البنّاء رحمه الله لمقصوده بأنّها تحوي فوائد مهمة وأساسية في الدرس البلاغي ،كما أنّها تعبّر عن نظرة المؤلف البلاغية ، وعن فهمه لأصولها ، وتفريقه بين الحدود والمصطلحات والحدود والمواضيع «[410]».

وباستعراض موضوعات الكتاب تجلت بعض الملاحظات تذكر كاستنتاجات :

ــ إطلاقه مصطلح البديع على جميع موضوعات البلاغة وفنونها دون تقيد بالتقسيمات التي آلت إليها فنون البلاغة ، مع أنّه كان في فترة استقرت فيها تلك التحديدات على يد الإمام السّكاكي في مفتاح العلوم ومن حذا حذوه كالإمام القزويني وشراح تلخيصه على المفتاح ، فقد تطرق في كتابه للحديث عن موضوعات ومباحث البلاغة الثلاث علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ، وبحثها تحت مسمى صناعة البديع وهي نظرة يضاهي فيها البلاغيين الأوائل .

ــ تنبيهه على الفروقات بين علم البديع وصناعته . وبين علم البيان وصناعة .فهذه مسألة دقيقة ، فالعلم دوره تمييز الكليات والجزئيات ، والصناعة هي إعطاء القوانين الكلية التي تنضبط بها الأمور الجزئية ، وفائدة هذا التفريق تعود إلى التمييز بين من هو بلاغي يمكنه صناعة البلاغة بأسلوبه وبين من تعلم قواعد البلاغة تدريسا وتنظيرا فكان مدرسا لها دون إمكانية أن يكون بلاغيا بالصناعة .

ــ اضطلاعه بكثير من العلوم والمعارف العقلية والرياضية والفلسفية جعله يستعرض تلك الموضوعات التي ضمنها في مؤلفه بطريقة مغايرة وغير مألوفة لما كان عليه الأمر في صياغة موضوعات البلاغة في تلك الفترة لا سيما بالمشرق ، فقد اختلفت طريقة عرضه لتلك الموضوعات اختلافا بيّنا على ما عهد في مصنفاتهم ، فقد استطاع أن يعلم بعرض وطرح تلك الفنون وفق نظرته العقلية التي تتسم بالعمق والقوة في الطرح والعرض والتقرير والاستنتاج .

[410] ــ الروض المريع : مقدمة المحقق ، ص 31.

وأمّا الباب الثاني فقد خصصه ابن البناء للحديث عن أقسام مواجهة اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود ، وقد جعل الحديث عنه في فقرات أربع هي بمثابة فصول كما قال : محقق الكتاب«[411]». وعليه يكون هذا الباب مكونا من أربعة فصول .

عقد الفصل الأول للحديث عن الخروج من شيء إلى شيء ، فذكر جملة من الألوان المندرجة تحته معرّفا إياها مع إيراد الشواهد والأمثلة المضحة والمقربة لها ، فبدأ بالحديث عن الخروج الصريح وذكر نوعا منه ومثّل له دون أن يعرفه ثمّ أشار إلى عبارة تومئ إلى أنّه يقصد به فنّ التخلص عندما قال «[412]»:« ومن بديعة التخلص قوله تعالى :﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴾«[413]» .فخرج من وصف المخلصين وما أعدّ لهم إلى وصف الظالمين وما أعدّ لهم »«[414]» ثمّ أشار إلى الإدماج ، والتفريع ، والاستطراد ،والتجريد ، والاستدراك ، والاعتراض ، والالتفات ، والاعتماد ، وذكر بعد الاستدراك نوعا لم يصطلح على تسميته واكتفى بتعريفه فقال «[415]»: « أو يخرج من ذكر شيء إلى ما يكون في المعنى متقدما عليه كقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ «[416]».

وأمّا الفصل الثاني فتكلم فيه عن تشبيه شيء بشيء واستهله بالحديث عن وجه الارتباط بين طرفي التشبيه ووجه الشبه مخبرا أنّ المشبه به ينبغي أن يكون وجه الشبه فيه له مزيد اعتبار بأي وجه من وجوه الاعتبار السبق أو الدوام أو الشرف على المشبه ، والمعنى أنّ وجه الشبّه أوقى في المشبه به من المشبه ، ثمّ ذكر أنّه إذا تكافأ أي المشبه والمشبه به في القوة بأي صفة من الصفات جاز عكس التشبيه فيهما بالسوية ، وهذا الذي يسمى عند البلاغيين التشبيه المعكوس والمقلوب . وهو

---

[411] ـ الروض المريع : مقدمة المحقق رضوان بنشقرون : ص 31

[412] ـ المصدر نفسه : ص 32.

[413] ـ سورة الصافات : الآيتان 62 ـ 63

[414] ـ الروض المريع : ابن البناء ،ص 95.

[415] ـ المصدر نفسه : ص 97

[416] ـ سورة البقرة : الآية 124

الذي يجعل فيه المشبه مشبها به ويجعل المشبه به مشبها وهو الذي يسمى غلبة الفروع على الأصول «[417]».

عالج الإمام ابن البناء بعد ذلك مسألة الصدق والكذب في الشعر الذي يكون متضمنا للتشبيهات ، فأخبر أنّ الكذب والغلو يكون في الشعر لا في الحكمة لأنّه مبني على المحاكاة والتخييل لا على التحقيق ، ثمّ وضع قانونا للمحاكاة والتخيل ينبغي أن ينتهجه ويعتمده الشاعر وهو أن يحاكي ما هو موجود ، لأنّه إذا حاكى ما ليس موجود عدّ مخترعا لا محاكيا ومن ثمّت يتطرق إليه الكذب ، ليذكر بعدها أنّ التشبيه ينبغي أن يكون شريفا لا سوقيا عاميا .

بعد فراغه من ذلك تطرّق لتقسيم التشبيه فقسّمه باعتبار أداته إلى تشبيه بحرف وبغير حرف . والأول داخل في تبديل شيء بشيء ، والذي بغير حرف ذكر منه أنواع كالتشبيه المفرد ، والمركب ، والمناسبة وقد استطرد في تفصيلها فعدّ منها المقابلة ، وردّ الأعجاز على الصدور ، واللف والمكافأة ، ثمّ ذكر الطباق ، والتلاؤم .

وفي الفصل الثالث خصصه للحديث عن تبديل شيء بشيء وما يندرج تحته من فنون بلاغية فذكر أن تبديل شيء بشيء يعود كله إلى المجاز . وأنّ منه ما يعود إلى التناسب ومنه ما يعود إلى التداخل .والأول أدخل في الاستعارة والمشابهة والكناية ، والتتبيع ، والتمثيل ، والتعريض ، والثاني أدرج فيه إبدال الكلي مكان الجزئي ، وإبدال الجزئي مكان الكلي ، وإبدال الكل مكان الجزء ، وإبدال الجزء مكان الكل ، وإبدال المسبب مكان السبب ، وإبدال السبب مكان المسبب ، وإبدال المجاز مكان الحقيقية ، وإبدال الواجب بصورة الممكن ، وإبدال صورة المدح بصورة الذم، وإبدال الذم بصورة المدح، وإبدال الطلب بصورة الخبر ، وإبدال الخبر بصورة الطلب ، وإبدال التّأنيث بالتذكير ، وإبدال التذكير بالتأنيث ، وإبدال المثال الأول بالمشتق ، وإبدال المفرد والمثنى والجمع بعضها ببعض ، والإيماء، والمحاجاة ، واللغوز ، والتورية.

وأمّا الفصل الرابع من هذا الباب فخصصه للكلام عن تفصيل شيء بشيء وتكلم عن جملة من الفنون جعلها تحت دائراته ، فتطرق للتقسيم ، والتشكيك ، والتجاهل ، والاتساع ، والتضمين والتوضيح.

[417] ـ ينظر : الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، د ط ، تحقيق محمد على النجار ، بيروت ، دار عالم الكتب ، د ت ، ج 1 ، ص 302

وأمّا الباب الثالث فقد خصصه ابن البناء للحديث عن أقسام اللفظ من جهة دلالته المعنى ، وقد جعل الحديث عنه في فقرات ثلاث هي بمثابة فصول كما قال : محقق الكتاب«[418]» وعليه يكون هذا الباب مكونا من ثلاثة فصول .

في الفصل الأول تحدّث عن الإيجاز والاختصار . وأدرج نوعين فيه هما الاكتفاء و الحذف ، حيث عرّف الأول بأنّه الاكتفاء بأحد المتلازمين عن الآخر ومثّل له بنصوص من القرآن ، وعرّف الثاني بأنّه : ما يقتصر فيه على عمدة الكلام ويحذف ما هو منه فضلة ، أو كالفضلة لدلالة السياق عليه . ومثّل له أيضا بنصوص من القرآن .

وفي الفصل الثاني تكلم عن الإكثار ، فذكر من أنواعه الاستظهار ، والتذييل ، والتتميم ، والتسوير ، والمرادفة . ومثل لجميع هذه الصور والأنواع بشواهد من القرآن مع الشرح و التحليل .

وأمّا الفصل الثالث فخصصه للحديث عن التكرار وقسمه إلى قسمين :

قسم يكون التكرار في اللفظ والمعنى واحد وهذا يسمى المواطأة ، وقسم يكون التكرار في اللفظ والمعنى مختلف ويسمى المشاركة ، ثمّ ذكر أنّ قسم المواطأة منه ما يحسن ومنه ما يقبح . وعدّد لما يحسن منه أنواعا فذكر منها البناء ، و التقرير ، والتأكيد ، والعكس والتبديل ، ومثلّ لهذه الأنواع كلها بأمثلة وشواهد من القرآن والشعر . وفي كلامه عن قسم المشاركة ذكر له أنواعا أربع . وهي : المشترك حقيقة ، والمنقول ، والمجاز ، والتجنيس . وقد فصلّ في هذه الأنواع وأطال الكلام فيها .

وقبل أن يسدل الإمام ابن البناء الستار على ما عرضه من موضوعات وفنون بلاغية ختم مؤلفه بخاتمة ذكر في قضايا بلاغية مهمة تعين في فهم قواعد هذا العلم وتميط اللثام عن كثير من قضاياه المتداخلة .

فمن جملة ما قرّره في خاتمة كتابه تبيينه لمسألة تداخل موضوعات البديع والتفافها بعضها بعض ممّا يجعلها متركبة ومتدخلة ، و هذا التداخل أفضى بكثير من البلاغيين إلى الاختلاف في التمثيل على تلك الفنون والموضوعات فبعضهم يدخلها في نوع وآخر يدخلها في نوع آخر،. كما أدّى هذا التداخل إلى الاختلاف في إطلا ق التسميات على تلك الموضوعات إلاّ أنّ ذلك كله لا يخل بصناعة البديع .

[418]ــ الروض المريع : مقدمة المحقق ، رضوان بنشقرون، ص 31

تنبيهه على أنّ المستحسن من الأساليب البلاغية ما لا يظهر فيه التكلف والتصنع و التعسف . وما كان مبنيا على الصدق القام على الحجة والبرهان ، كما يشترط فيها ــ الأساليب ــ أن تكون مراعية لمقتضى أحوال المخاطبين ، مع مراعاة الألفاظ السهلة القريبة المأخذ.

بيان اتجاه البلاغي وسماته:

بعد استعراض موضوعات الكتاب نتجه للحديث عن اتجاه الإمام ابن البناء البلاغي فيه وأهم سماته و ملامحه ، وهذا ما نسعى لتوضيحه في هذا المطلب .

من خلال الحديث عن حياة الإمام ابن البناء وبسط موضوعات الكتاب تبيّن واتضح أنّه كان ملما بكثير من العلوم والمعارف العقلية من رياضيات ومنطق وفلسفة ، وهذا الإلمام جعله يوظف تلك المعارف ويستثمرها في تقرير المسائل البلاغية وطريقة طرحها وعرضها وبيانها، وهذا يحدد بشكل كبير معالم اتجاه ابن البناء البلاغي .

لقد أكّد كثير من الباحثين أنّ الإمام ابن البناء يندرج في سلك الاتجاه الفلسفي المنطقي لدراسة البلاغة «[419]» الذي بدأت دعائمه تتأسس وأفكاره تتبلور في بلاد المغرب على يد الإمام حازم القرطاجني ، فكان الإمام ابن البناء امتداد لتلك المدرسة بروحه الفلسفية ونزعته العقلية ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور رضوان بنشقرون : « إنّ الروض المريع ثمرة من ثمرات فكر ابن البناء ونظرياته وآرائه . وإنّ فيه لجوانب رحبة ممّا قرأه المؤلف واستوعبه وتمكن منه . وإنّه لصورة للبلاغة العربية في إطارها الفلسفي الذي عرف في المغرب على يد الثالوث المبدع حازم القرطاجني وابن البناء العددي والسجلماسي ، فهؤلاء يمثلون الوجه الثاني للصورة التي مثّل وجهها الأول اللغويون والمتأدبون أمثال ابن رشيق وأبي القاسم الشريف السبتي وابن أبي القاسم الثعالبي »«[420]».

كما أكّد الدكتور عزّة حسن هذا الكلام بقوله : « وإذا نظرنا إلى مجموع هذه الكتب نظرة عامة ، وتدبرنا مرامي أصحابها . وطرائقهم في تأليفها وتبيّنا طبيعة تفكيرهم فيها ، عرفنا أنّهم ينطلقون من منطلق واحد . وأدركنا أنّهم أبناء مدرسة واحدة يستقون من منابع و احدة . ويسيرون في ابداعاتهم لبلوغ غاية واحدة وقد امتزج في تفكيرهم وكتبهم آثار تراث العربية وآدابها بآثار التراث اليوناني المتمثل في كتب أرسطو خاصة . ولا سيما كتبه في المنطق والنقد...»«[421]».

---

[419]ــ ينظر: البحث البلاغي بالمغرب : عبد الوهاب الأزدي ، ص 117 .

[420]ــالروض المريع : مقدمة المحقق ، ص 48

[421]ــ تقديم الروض المريع : حسن عزة ، ص 8

كما نبّه على هذا أيضا الدكتور عبد الوهاب الأزدي قائلا : «يعتبر كتاب الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي العددي حلقة من سلسلة الدراسات البلاغية التي تنتمي إلى التقليد الدائر حول المحور الفلسفي في الغرب الإسلامي ...»«[422]».

هذا وقد تحدّدت معالم ذلك الاتجاه وتبينت في انتهاجه لجملة من المسالك الآتية :

ــ استعمال المصطلحات الفلسفية والمنطقية وأساليب المتكلمين والمنطقيين والأصوليين بكثرة و وضوح ، كمصطلحات (التقسيم بالقوة) و(التقسيم بالفعل)، (والسبر والتقسيم) و(المقدم والتالي) ، و(الممكن والواجب) موظفا إيّاها بما يتماشى مع الغرض البلاغي الذي يعنى به «[423]».

ــ الإفادة من كتب الفلاسفة والمنطقيين المتقدمين كابن سينا ، والغزالي ، والرازي . والنقل من كتبهم الملخصة للتراث اليوناني «[424]».

ــ تأثره بهم في طرح النظريات وطريقة التحليلات . وكذلك اتباع مناهجهم في التفكير والتقسيم والاستدلال والتمثيل واستعمال المصطلحات «[425]».

ــ ادخال الجزئيات تحت قاعدة كلية عامة «[426]». ومثال ذلك ذكره لها عند اعتذاره عمّا وقع من التدخل في تقسيم فنون البلاغة موضحا أنّه إذا وقع الاتفاق على الصور الجزئية الشخصية التي فيها ، فلا يضر الاختلاف في ادراجها تحت أي كلي كان»«[427]».

ــ الاعتماد على القسمة المنطقية . ومن ذلك تقسيمه للفظ والمعنى إلى أربعة أقسام من حيث الإفراد والتركيب ، وتقسيمه الممكن إلى ما يقع وإلى ما لا يقع ، وما سيقع ، وما يقدّر واقعا ، وما هو مجهول الحال «[428]».

---

[422] ــ البحث البلاغي بالمغرب : ص 84.

[423] ــ الروض المريع : مقدمة المحقق رضوان بنشقرون ، ص 46.

[424] ــ المصدر نفسه : ص 42.

[425] ــ المصدر نفسه: ص 42

[426] ــ ينظر : المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي : رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد : من إعداد الطالبة سعاد فريح صالح الثقفي ، تحت إشراف :حامد صالح الربيعي ، جامعة أمّ القرى ــ كلية اللغة العربية ـ 1423 هـ ــ 1424 هـ ، ص21

[427] ــ الروض المريع : ص 173

[428] ــ ينظر : المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي ، سعاد فريح صالح الثقفي ، ص 22.

ـ اكتفاؤه من الشاهد بموضع الاستشهاد «[429]» فمثلا يكتفي بذكر كلمتين أو ثلاث من الآية القرآنية ، وبشطر البيت من الشاهد الشعري ، وفي بعض الأحيان بجزء منه ، فمن ذلك اكتفاؤه بقوله تعالى :﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾«[430]» على الحذف ، وقوله تعالى أيضا: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ «[431]» . ومن اكتفاءه بشطر من البيت عند كلامه عن تبديل شيء بشيء . وإبدال السبب مكان المسبب استشهد بقول الناظم :

تعلّى الندى في متنه وتحدّرا »«[432]».

ـ وجود الأمثلة المصنوعة في كتابه «[433]» ، ففي حديثه عن التناسب مثّل بمثال : الإيمان نور ، والكفر ظلمة .

فهذه المعالم تعدّ من أهم وأبرز الاتجاه الفلسفي في كتاب الروض المريع للإمام ابن البناء ، غير أنّها لا تعني انعدام الاتجاه الأدبي . وإن طغت هي عليه ، فعلى الرغم من انتهاج تلك المسالك فهذا لا يعني غياب الاتجاه الأدبي في الكتاب لأنّ طبيعة البلاغة العربية ومباحثها تقتضي ذلك وتستلزمه فوجود الاتجاه الأدبي وملامحه في الكتاب موجودة بيد أنّها قليلة إذا ما قورنت بالاتجاه الفلسفي لأنّ ميول ابن البناء للمعارف العقلية ونزعته الفلسفية هي التي تحكمت في منهجه في الصياغة والتأليف .

وبهذا أكون قد بيّنت اتجاه الإمام ابن البناء البلاغي من خلال عرض موضوعات الكتاب والإشارة إلى سمات وملامح منهجه في العرض و الطرح ، وخلصت إلى أنّه يمثل سلسلة من سلاسل الاتجاه الهيليني الفلسفي المنطقي الذي ظهر في بلاد المغرب على أيادي النقاد البلاغيين يترأسهم في ذلك الإمام حازم القرطاجني ، فابن البناء منتظم في سلكه ودائر في فلكه .

---

[429] ـ ينظر : المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي ، سعاد فريح صالح الثقفي : ص 22

[430] ـ سورة الأحزاب : الآية 6

[431] ـ سورة البقرة : الآية 2

[432] ـ الروض المريع : ص 119

[433] ـ ينظر : المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي ، سعاد فريح صالح الثقفي ، ص 22.

الفرع الثاني : أبو محمد القاسم السجلماسي وبيان اتجاهه البلاغي من خلال كتابه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع)

إنّ الحديث عن جهد الإمام السجلماسي البلاغي وبيان اتجاهه ، يكون من خلال مصّنفه المنزع البديع في صناعة البديع ، فقد شاع هذا الكتاب عند النقاد والبلاغين ، وأجمعوا على أنّه من أعظم المصنفات البلاغية ببلاد بالمغرب ، ولذا فإنّي سأحاول بيان منهج ابن البناء البلاغي واتجاهه من خلال هذا الكتاب .

وقبل الولوج في ذلك أحببت أن أعطي صورة عن حياة الإمام أبي القاسم محمد السجلماسي للوقوف فيها عن نشأته وبيان مراحله التعليمية بذكر شيوخه وتلامذته ، وأهم آثاره العلمية ، فهي تساعد على تحديد ملامح المنهج والاتجاه البلاغي له ، غير أنّي قوبلت بشح المصادر وقلة المراجع فيما يتعلق بالحديث عن حياته وترجمته ، وهذا ما اعترى محقق الكتاب فأكّده بقوله :« تتبعت ما ما وقفت عليه من كتب التراجم والنقد والبلاغة والفلسفة و المنطق وما ظننت أنّ به وجودا للسجلماسي من قريب أو من بعيد انطلاقا من عناصر ثقافته ، فما وجدت شيئا يشفي الغليل »«[434]» .

وبالرغم من تأكيده على هذا فإنّه اجتهد في إعطاء صورة تقريبية عن حياته ، وذلك باستقراء وتتبع بعض الدارسات القديمة والحديثة التي أشارت إليه ، فذكر أنّه اعتمد على نسخة كتاب المنزع الأصلية ، وكتاب درة الحجال لابن القاضي ، والذيل والتكملة للمراكشي ، وملحق بروكلمان ، ومقال لسعيد اعراب بعنوان : «أبو محمد السجلماسي وكتابه المنزع » ، وكتاب الحياة العقلية المغربية على عهد المرنيين والوطاسيين » لمحمد بن شقرون .

ـ أفاد محقق الكتاب من النسخة الخطية للمنزع اسم المؤلف وهو : أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي ، كما أفاد منها تحديد عصر المؤلف والمدة الزمنية التي عاش فيها . وزمن الفراغ من تأليف الكتاب ، حيث قال السجلماسي في خاتمة كتابه : « قال الإمام أبو محمد مؤلفه ــ رضي الله عنه ــ كمل هذا الوضع وفرغ من إملائه وتأليفه بحمد الله في الحادي والعشرين لصفر سنة أربع وسبعمائة » .

[434] ـ مقدمة تحقيق المنزع البديع :محمد أبو القاسم السجلماسي ، علال الغازي ، ص 45.

ــ أكّد محقق الكتاب من خلال النسخة الخطية الكنية الصحيحة للمؤلف بأنّها أبو محمد على خلاف ما أورده بروكلمان من أنّ كنيته أبو القاسم.

ــ أفاد من كتاب درة الحجال لابن القاضي تأكيد التسمية ونسبة الكتاب له عندما ذكر أنّه ترجم لأحد شيوخ المغرب وهو ابن ليون التجيبي ، وذكر من مؤلفاته «ملخص علم البديع للسجلماسي ».

ــ أفاد محقق الكتاب من كتاب الذيل والتكملة للمراكشي تأكيد الفترة الزمنية التي عاش فيها المؤلف عندما أورد اسمه في كتابه . والمراكشي توفي سنة 703 ، و السجلماسي صرّح بأنّه فرغ من تأليف الكتاب سنة 704 ، ممّا يؤكد أنّه عاش في القرن السابع«[435]»

ــ نقله عن سعيد اعراب محاولة اعطاء صورة تقريبية لترجمة السجلماسي ، حيث قال سعيد اعراب : « وأبو محمد من العائلات الأنصارية التي وردت على المغرب في فترات تاريخية . وهي منتشرة بكثرة في الأوساط المغربية والأندلسية ، ويوجد مكتوبا على ظهر الورقة الأولى من المخطوطة ــ أ ــ في زاوية إلى اليسار بخط خفي : الأنصاري النجار السجلماسي الدار، ويبدوا ممّا جاء عرضا في درة الحجال أنّ النسبة الأصلية تونسيت وتنوسي معها أنّ أبا محمد ولد ونشأ بسجلماسة ورحل إلى فاس للأخذ عن علمائها ، وجلس للتدريس بها ، وهناك ومن أحد القرويين أملى على تلاميذه كتابه (المنزع البديع) وفرغ من إملائه أواخر صفر عام أربع وسبعمائة . وممّن تلمذ له إبراهيم بن محمد الغساني الشهير بالوزير »«[436]»

وهذا النّص من سعيد اعراب يضيف نسبة جديدة للسجلماسي وهي «الأنصاري» ، كما يضبف معلومة جديدة . وهي ذكر تلميذ من تلامذته .

وخلاصة القول أنّ محقق الكتاب اجتهد في ضوء ما توفر لديه من مصادر ومراجع في إعطاء صورة ولو بنسبة قليلة عن ترجمة الإمام السجلماسي بيّن فيها اسمه وكنيته ونسبه ، والعصر الذي عاش فيه ، وتوثيق نسبة الكتاب إليه . وهي محاولة جادة في ظل شح المصادر .

بعد الفراغ من الحديث عن ترجمة وسيرة الإمام السجلماسي أنتقل للحديث عن مقصود هذا الفرع وهو بيان اتجاهه البلاغي ، والحديث عن ذلك سيكون ضمن محورين رئيسين

---

[435] ــ مقدمة تحقيق المنزع البديع : حمد أبو القاسم السجلماسي ، علال الغازي : ص 47 ـ 48

[436] ــ مقال سعيد اعراب : مجلة دعوة الحق ، العدد 10 ، 1960 م ، ص 67 . نقلا من مقدمة تحقيق المنزع البديع لعلال الغازي ، ص 46.

دواعي تأليف الكتاب ومضمونه

بيان اتجاهه البلاغي وسماته

دواعي تأليف الكتاب وبيان مضمونه

لقد أفصح الإمام السجلماسي عن دواعي تأليفه للكتاب وأبان عن مضمونه في مقدمة كتابه ، حيث قال : « وبعد : فقصدنا في هذا الكتاب الملقب بكتاب «المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » إحصاء قوانين أساليب النظوم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعة لعلم البيان وأساليب البديع ، وتجنيسها في التصنيف ، وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف على جهة الجنس والنوع وتمهيد الأصل من ذلك للفرع ، وتحرير تلك القوانين الكلية وتجريدها من المواد الجزئية بقدر الطاقة وجهد الاستطاعة »«[437] »

فهذه المقدمة منه أوضحت غرضه من وضع الكتاب وأبانت عن مقصوده منها ، بعدها حدّد الشيخ معالم بحثه وموضوعات تصنيفه ، فقال : « إنّ هذه الصناعة الملقبة بعلم البيان ، وصنعة البلاغة والبديع ، مشتملة على عشرة أجناس عالية ، وهي : الإيجاز ، والتخييل ، والإشارة والمبالغة ، والرصف والمظاهرة ، والتوضيح ، والاتساع ، والانثناء ، والتكرير »

وبعد بيانه لمباحث الكتاب العشرة التي سمّاها أجناس شرع في تناولها ، حيث فرّع على كل جنس مجموعة من الجزئيات بمثابة عناوين لتلك الأجناس ، فتناولها تحت ذلك المنظور ، فتناول على سبيل المثال في الجنس الأول الذي سمّاه الإيجاز مجموعة من العناوين الجزئية : مثل المساواة ، والمفاضلة ، والاختزال ، والاصطلام ، والاكتفاء ، والحذف والإطلاق ، والاخترام ، والإهمال ، والانتهاك ، وفي الجنس الثاني الذي سمّاه التخييل تناول فيه مجموعة من العناوين الجزئية مثل: التشبيه ، والاستعارة ، والتمثيل ، والمجاز ، وفي الجنس الثالث الذي سمّاه الإشارة تناول فيه مجموعة من العناوين الجزئية مثل : الاقتضاب ، والابهام ، والتنويه ، والتعمية ، وفي الجنس الرابع الذي سمّاه المبالغة تناول فيه مجموعة من العناوين الجزئية مثل : الإغراق ، والتجاهل ، والتجريد ، وفي الجنس الخامس الذي سمّاه الرصف تناول فيه من العناوين الجزئية مثل : المزايلة ، والإرصاد ، والتحليل ، وفي الجنس السادس الذي اصطلح عليه باسم المظاهرة تناول فيه : المباينة ، و الموطأة ، والمحاذاة ،

---

[437]ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : ص 181

والمناظرة ، وسمّى الجنس السابع بالتوضيح وتناول فيه البيان ، والتفسير ، وسمى الجنس الثامن ، بالاتساع وتناول فيه الاتساع الأكثري ، والاتساع الأقلي ، وسمى الجنس التاسع بالانثناء وتناول فيه الانفتال ، والعدول ، وفي الجنس العاشر الذي سمّا التكرير تناول فيه المشاكلة والتجنيس ، كما أنّه قسّم تلك الأنواع إلى أنواع جزئية أخرى متفرعة عنها وتندرج فيها تعرَّض لجميعها بالتعريف والتحليل والتدليل والتقريب بالشواهد والأمثلة القرآنية والشعرية والأدبية، فأفرز بتلك القسمة ما يبلغ زهاء «تسعة وثمانين ومائة مصطلح بلاغي «[438]

وباستعراض الموضوعات التي جاءت في كتابه اتضح أنّ الإمام السجلماسي ــ رحمه الله ــ استعمل مصطلح البديع الذي عنون به لكتابه بمعناه الشمولي ومدلوله الاصطلاحي الواسع ، فالذي ينظر في عنوانه يتبادر إلى ذهنه أنّه يتناول ويعالج موضوعات فنّ البديع الذي صار قسما من أقسام البلاغة الثلاث عند المتأخرين ، لأنّ صياغ هذه العناوين وعنونة الكتب بها في تلك الفترة كانت مقصورة ومتجهة لموضوعات فنّ البديع الذي يعنى بوجوه تحسين الكلام ، غير أنّ الإمام السجلماسي أطلق هذا المصطلح مريدا به فنون البلاغة جميعها متأسيا ومقتديا بالبلاغيين الأوائل الذين أطلقوا مصطلح البيان والبديع على جميع موضوعات البلاغة كالجاحظ وغيره ، فهو بذلك غير متقيد بالتقسيمات التي ظهرت في عصره وراجت في أواسط الدارسين لعلم البلاغة ، فأعطى بذلك نظرة جديدة للبحث البلاغي في تلك الفترة . وهو في ذلك يتماشى مع الإمام ابن البناء المراكشي في هذه الفكرة . كما سبق بيان ذلك عند الحديث عن اتجاهه البلاغي .

بيان اتجاهه البلاغي وسماته

لقد سبق القول عند الحديث عن اتجاه ابن البناء البلاغي أنّ الإمام السجلماسي منخرط ومندرج في سلك المدرسة الفلسفية المغربية التي تناولت قضايا البلاغة ومباحثها في أطر فلسفي ومنطقي وأنّ دعائم هذه المدرسة قامت على يد الثالوث المشهور والمعروف في تلك المنطقة ، وهم حازم القرطاجني ، وابن البناء المراكشي ، وأبو القاسم السجلماسي .

لقد عرف الإمام السجلماسي بموسوعيته العلمية شأنه شأن سابقيه من أقطاب هذه المدرسة . فقد كان ملما بجملة من المعارف العقلية من رياضيات وفلسفة ومنطق إضافة إلى غيرها من العلوم

---

[438]ــ مصطلح التخييل في نظرية النقد الأدبي عند السجلماسي : علال الغازي ، مجلة كلية الآداب فاس ، عدد 4 ، 1988 م ، ص 287

الشرعية والأدبية ، ولا شك ولا ريب أنّ تضلعه بتلك العلوم العقلية من منطق ورياضيات وفلسفة تفرض عليها توظيفها في منهجه وأسلوبه العلمي سواء تدريسا أو تصنيفا . وهو ما بدا واضحا وجليا في كتاب المنزع البديع. فصبغة الاتجاه الفلسفي حاكمة عليه . ويمكن إبراز جوانب هذا الاتجاه في جملة من النقاط :

ــ الاعتماد على المنطق والرياضيات والفلسفة في تناول القضايا البلاغية وطرحها أسلوبا ومنهجا. وذلك من خلال الارتكاز والاستناد على المصطلحات والمفاهيم النظرية قبل مناقشتها عند التطبيق .

ــ الرجوع إلى المصادر الأصيلة في التراث اليوناني والاستيقاء منها في تقرير مسائل الكتاب وموضوعاته كالخطابة ، وفنّ الشعر ، والمنطق لأرسطو ، ورسائل الأسكندر الأفروديسي ، واستمداده كذلك من مؤلفات الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا .«[439]»

ــ تجريد المادة البلاغية من كتب النقاد البلاغيين المتقدمين ، ثمّ صياغتها صياغة مقولية أرسطية بحسب ما تسعف به الصناعة النظرية .

ــ تناول موضوعات الكتاب من خلال مصطلحات وقيسات منطقية صارمة وتحليلات فلسفية

ــ التخطيط الذي انتهجه في بناء المادة العلمية . وذلك من خلال الانطلاق من الكليات بوصفها أجناسا عالية ، ثمّ تفريع ما يتصل بها من أنواع تنازليا . «[440]».

ــ الاعتماد على المنطق والفلسفة في تحديد مفهوم المصطلح وتطوره الدلالي

ــ استعمال المصطلحات الفلسفية والمنطقية ، حيث ترددت في الكتاب وأكثر منها منوعا في توظيفها ، مثل : «اسم الإشارة ، أصل الأصل ، ألف التأليف ، ألي الآلة ، برهن البرهان ، بسط البسيط ، جرد التجريد ، جزأ الجزأ ، جنس الجنس ، حق الحقيقة ، حال الحال ، حس الحس » وغيرها من المصطلحات .

إنّ طغيان الاتجاه الفلسفي في كتاب الإمام السجلماسي وغلبته عليه لا يعني البتة انعدام الاتجاه الأدبي الذي تقتضيه وتفرضه روح البلاغة العربية وطبيعتها ، فمهما تعلق أي من العلماء بتلك

---

[439]. ــ ينظر : مقدمة تحقيق المنزع البديع : علال الغازي : ص 51 ، والبحث البلاغي بالمغرب : عبد الوهاب الأزدي ، ص 89.

[440]ــ ينظر: مقدمة تحقيق المنزع البديع : علال الغازي ، ص 52.

النزعات والميولات الفلسفية فإنّه لا يعني انسلاخه وتجرده من روح البلاغة ، كما أنّ الاتجاه الفلسفي لا يعنى القطيعة مع الاتجاه الأدبي البياني . وذلك لأنّه يبقى مشدودا للذي رسمته مؤلفات البلاغيين المتقدمين «[441]» . وهذا القول يصدق على الإمام السجلماسي فإنّه بقي متصلا بالاتجاه البياني الأدبي . وظهر عليه ذلك جليا في أسلوبه ويمكن تجلية هذا المنزع والميول في جملة من النقاط :

ـــ التحليل الأدبي الذي يظهر في دراسته لبعض الصور والشواهد من القرآن والحديث والشعر وأقوال الأدباء والبلغاء .

ـــالاهتمام البالغ بالأدباء والشعراء والدارسين من النقاد والفلاسفة في اختيار الصور الفنية . والفهم العميق لما خفي من أسرار تلك الصور ودلالتها الفنية والفكرية .

ـــ اهتمامه بإيراد الجلسات والمناظرات الأدبية والشعرية المتنوعة لتوضيح الاشكالات العارضة واستنتاج القوانين النقدية الهامة .

ـ اهتمامه بإيراد آراء النقاد العرب ومناقشتها وتحليلها مع اختيار الراجح الذي استقر عنده منها .

وفي ختام الحديث عن اتجاه السجلماسي البلاغي يمكن القول بأنّه أسهم ـ رحمه الله ــ في إثراء الدرس البلاغي بالمغرب بنظرة فلسفية منطقية ممتدة لمن سبقه من النقاد والبلاغيين المغاربة كحازم وابن البناء . كما أنّه استطاع تطويع الدرس البلاغي وتحليله في أسلوب فلسفي منطقي من خلال توظيف المعارف العقلية المتشبع بها . فأخرج البلاغة من الطريقة التعليمية إلى الطريقة التنظيرية .

وفي ختام ما تقدّم ذكره في هذا المبحث عن اتجاهات البلاغة في بلاد المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري يتضح ظهور اتجاهين بلاغيين بارزين في المنطقة هما الاتجاه الأدبي والاتجاه الفلسفي .

أمّا الاتجاه الأدبي فيمثله الإمامان ابن رشيق القيرواني والقاضي عياض ، ففي عرض أعمالهما البلاغية تبيّن أن مشاربهما البلاغية أدبية محضة لم يشبها التأثير الفلسفي ولم يطغ عليها الطابع المنطقي ، وهذا ناتج عن تأثير التراث المشرقي عليهما في منهجهما البلاغي .

وأمّا الاتجاه الفلسفي فيمثله الإمام حازم القرطاجني ، والإمام ابن البناء العددي ، وأبو القاسم السجلماسي ، فهؤلاء الثلاثة شكلوا اتجاها بلاغيا جديدا في المنطقة . وهو الاتجاه الفلسفي الهيليني

[441] ـ البحث البلاغي في المغرب : عبد الوهاب الأزدي ، ص 122.

المتأثر بالأبحاث الأرسطية في الخطابة والشعر والمنطق ، و قد قادهم إلى ذلك وساعدهم على هذا الميل تمكنهم وإلمامهم بجملة من المعارف العقلية والفلسفية والرياضية، فوظفوا تلك العلوم في الدرس البلاغي . وهم في ذلك متأثرون بجماعة من فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي ، فهذه هي إذن أهم معالم الدرس البلاغي واتجاهاته في تلك الحقبة الزمنية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

جهود المفسرين المغاربة في تناول علم المعاني

المبحث الأول : مفهوم المعاني في اللغة ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة :

إنّ الحديث عن علم المعاني كقسم من أقسام البلاغة الثلاث يستدعينا للبحث عن أصل كلمة معاني في اللغة ، كما يستوقفنا للحديث عن نشأة و تطور هذا المصطلح في علم البلاغة العربية . وهذا ما سأسعى لبيانه في هذا المبحث قبل الولوج للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم المعاني.

المطلب الأول : مفهوم المعاني في اللغة

جاء في لسان العرب :« أنّ معنى كل شيء محنته وحاله التي يصير إليها ، وروى الأزهري عن أحمد بن يحيى قال : المعنى والتفسير والتأويل واحد ، وعنيت بالقول كذا أردت ومعنى كل كلام ومعْناتُه ومعْنيّتهُ مقصده والاسم العناء يقال عرفت ذلك في معنى كلامه ومعناة كلامه ومعني كلامه ...» «[442]».

وقال الإمام الزبيدي ــ رحمه الله ــ: « ... وعنى بالقول كذا يعني أردا وقصد، قال الزمخشري : ومنه المعني ، وعنى الكلام ومعنيه بكسر النون مع تشديد الياء ، ومعنْاتُه ومعْنيّتُه واحد ، أي فحواه ومقصده واحد ، والاسم العناء ...» «[443]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى القصد والإرادة أي المقصود والمراد من أي شيء .

[442] ــ ابن منظور ، ج 15 ، ص 101 ، باب (عنا)

[443] ــ تاج العروس من جواهر القاموس ، ج 39 ، ص 122 باب (عني)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : مراحل تطور مصطلح المعاني في علم البلاغة

بعد ضبط مصطلح المعاني في اللغة أسعى في هذا المطلب للحديث عن مراحل نشأة وتطور هذا المصطلحفي الدراسات البلاغية .

والذي يبتدأ بذكرهفي هذا المقام هو التنبيه على أنّ علم البلاغة لم يشهد التقسيم الذي استقر عليه الآن ، إلاّ على أيدي المتأخرين ، فقد كانت مباحث هذا العلم متداخلة في بعضها البعض تطرق وتبحث في إطار واحد من غير تمييز وتحديد لبعض المواضع عن بعض ، ولا أدّل على ذلك من كتب البلاغيين المتقدمين ، فقد كانوا يتناولون تلك المباحث في كتبهم ممتزجة ومختلطة ببعضها البعض ، ويعزي البعض سبب ذلك إلى عدم اكتمال علوم البلاغة اكتمالا كاملا ، إضافة إلى عدم استقلال هذا العلم عن بقية العلوم الأخرى ، فيقول أحدهم موضحا ذلك :«... ولقد وضح في هذه المرحلة المبكرة عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة أو استقلال بعضها عن بعض ، ذلك أنّ علوم البلاغة لم تكن قد كملت كعلم أو استقلت عن سواها من العلوم الأخرى التي نشأت على هامشها ، فعلى الرغم من أنّ علماء تلك المرحلة قد اكتشفوا كثيرا من الأساليب البلاغية ، وأشاروا ولو بشكل مجمل إلى كثير من الفنون التي أصبحت فيما بعد من الركائز التي نهض عليها كل علم من علوم البلاغة الثلاثة ، فإنّ تصنيف هذه الفنون وهذه الأساليب إلى ثلاث مجموعات يمثل كل منها فرعا من فروع البلاغة مسألة لم تطرح في مؤلفات هذه المرحلة ...»«[444] » ، ومصطلح علم المعاني الذي صار أحد أقسام البلاغة الثلاثة لم ترد الإشارة إليه في كتب المتقدمين حتّى عصر الإمام السّكاكي فهو من أشار إليه ونبّه عليه من جهة التسمية ، وأمّا المتقدمون فقد تناولوا هذا اللفظ واستعملوه في دراستهم القرآنية والأدبية ، فكانوا يسمون الكتب التي تبحث في تفسير القرآن وشرح الأشعار بمعاني القرآن ، مثل معاني القرآن للفرّاء ، ومعاني القرآن للأخفش ، وغيرها ، وأمّا إطلاق مصطلح علم المعاني بمعناه القريب من البلاغة والأدب ،

---

[444] ـــينظر : المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتّى القرن السابع الهجري ، أحمد جمال العمري ، د ط ، ـ القاهرة ـ مكتبة الخانجي ، 1410 هـ ـ 1990 م ، ص 81.

فيذهب البعض «[445]» إلى أنّ أول إشارة إليه كانت في عبارة معاني النحو التي وردت في المناظرة التي جرت بين الإمام السيرافي ، وأبي بشر متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات ، حيث أورد الإمام السيرافي عبارة معاني النحو قائلا : « معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ في ذلك وإن زاغ شيء عن النعت ، فإنّه لا يخلوا أن يكون غير سائغ بالاستعمال الناذر والتأويل البعيد أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم ...»«[446]».

ففي هذه العبارة من الإمام السيرافي إشارة إلى بعض أصول البلاغة التي تبلورت فيما بعض تحت قواعد ومباحث ، حيث أشار إلى تعريف البلاغة في عبارة «وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها » فالبلاغة على تعريفها عند المتأخرين هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما أشار إلى مبحث من علم المعاني وهو التقديم والتأخير وذلك في قوله :« وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير».

كما تردّدت كلمة المعاني بمعناها القريب من البلاغة على يد بعض اللغويين منهم الإمام ابن فارس الذي أشار إلى أقسام الكلام وتناوله تحت عنوان عريض سمّاه معاني الكلام ، فقال : « باب معاني الكلام و هي عند بعض أهل العلم عشرة : خبر واستخبار ، وأمر ونهي ، ودعاء وطلب وعرض وتحضيض ، وتمن وتعجب »«[447]».

---

[445] ــ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، ط 2 . ، بيروت ــ مكتبة لبنان ناشرون ــ 1966 م . ص 631.

[446] ــ الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيّان التوحيدي ، تصحيح أحمد أمين ـ أحمد الزين ، د ط . بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، د ت ، ج 1 ، ص 121

[447] ــ الصاحبي في فقه اللغة : ط 1 ، تحقيق عمر فاروق الطبّاع ، بيروت ، دار المعارف ، 1414 هـ ــ 1993 م ، ص 183

فهذا الكلام من الإمام ابن فارس يؤصل به إلى مبحث مهم من مباحث علم المعاني ، وهو مبحث الخبر والإنشاء ، فالأقسام التي أوردها ـ رحمه الله ـ صارت تبحث وتدرس تحت هذا المبحث المهم من مباحث علم المعاني.

وقد ظلّ الأمر على ما هو عليه حتّى جاء القرن الخامس فلاح في الأفق نجم عالم كان له الأثر الأكبر في بلورة علم المعاني وتحديده وضبطه بما هو عليه الآن ، بفضل نظريته التي وضعها وسماها بنظرية النظم ألا وهو الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فقد عمد في كتابه دلائل الإعجاز إلى تأصيل هذه النظرية وتقنينها وتطبيقها ، والنظم عند الإمام عبد القاهر هو توخي معاني النحو ، وقد شرح مفهوم هذه النظرية بقوله :« اعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخلّ بشيء منها »«[448]»، ولتقريب هذه النظرية وتوضحيها يبيّن الإمام عبد القاهر معناها وفحواها بالتمثيل لها والتطبيق عليها ، فيقول :« وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : زيد منطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق ، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك إن تخرج أخرج وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ،... وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ، ثمّ ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه ، نحو أن يجئ بما في نفي الحال ، ب لا إذا أراد نفي الاستقبال ، وب إن فيما يترجح بين أن يكون و أن لا يكون ، وب إذا فيما علم أنّه كائن ، وينظر في الجمل التي تسرد ، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثمّ يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثمّ ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ، ويتصرف

---

448 ـينظر : دلائل الإعجاز ،ط 3 ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مصر ، مطبعة المدني ،1413 هـ ـ 1992 م ص 81 .

في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار ، والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وما ينبغي له »«[449]».

من خلال هذا الكلام من الإمام عبد القاهر الجرجاني يمكن القول بأنّ موضوعات النظم أو معاني النحو عنده هي الخبر والجملة وما يتعلق بأحوال المسند والمسند إليه ، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير والحذف والتكرار ، والإضمار والإظهار ، ولا شك ولا ريب أنّ هذه المباحث هي التي بنى عليها الإمام السكاكي علم المعاني في تقسيمه الجديد لعلوم البلاغة في كتابه المفتاح ، وهي التي انتهجها الناس من بعده

وقد جاء في القرن السادس الإمام الزمخشري فضرب بسهم وافر في علم البلاغة وأفاد من كتب سابقيه من أساطين هذا العلم من أمثال الإمام عبد القاهر وغيره ، وتعرّض لنظرية النظم وردّد هذا المصطلح كثيرا في تفسيره ، ويريد به بيان الروابط والعلاقات بين الجمل وكيف يدعو الكلام بعضه بعضا ، وكيف يأخذ بعضه بحجرة بعض ... وعلم النظم عنده هو الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن ، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام «[450]» ، كما أنّه تعرّض لمصطلح المعاني وردّده كثيرا في كتبه ، والأمر عنده ليس كما يدعي البعض بأنّ مفهومه عنده لم يكن محددا «[451]» بل على العكس من ذلك ، فإنّ مفهوم هذا الاصطلاح ومضمونه كان قارا في نفسه وواضحا في إدراكه وأنّه لم يقع في مقدمة التفسير عفوا وانسياقا وراء الكلام «[452]» ، ولقد تتبع بعض الباحثين مدلول هذا المصطلح عنده من خلال كتبه التي ردد فيها كثيرا ، فخلص إلى نتيجة مفادها أنّه يريد به جملة من الأمور على النحو التالي :

---

[449]ــ دلائل الإعجاز ،: ص 81 ـ 82

[450] ــ ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، محمد حسين أبو موسى ، د ط ، ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ، د ت ، ص 188 ـ 189.

[451] ـ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، ص 632 .

[452] ــ ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، ص 199

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــ يطلقها على العلماء فيقول علماء المعاني ويعني بهم العلماء القادرين على استخراج المعاني بفهم ونفاد ، وذلك باستنباطهم لهذه النصوص وتغلغلهم فيها فهم قوم قد راضوا أذهانهم على هذا النوع من النظر .

ــ يطلقها على العلم ــ علم المعاني ــ ويريد به العلم الذي يرشد إلى ما تحمله النصوص الأدبية من دقيق المعاني ، وخفي الإيحاءات وذلك بدراسة هذه النصوص وتقليب دلالتها على وجوه مختلفة و توضيح ما يعطيه متن النص أو جانبه .

ــ يطلق علم المعاني أو مصطلح علماء المعاني ويريد به العلم الذي ينظر في فنون الشعر ويحدد معاني كل فن .

يطلق مصطلح علماء المعاني ويريد به العلماء الذين ينظرون في المعاني ويدرسونها أو يتبينون ما فيها من الصواب والاستقامة أو من الخطأ والتناقض والإحالة .«[453]»

هذه هي إذن معاني هذا المصطلح ودلالته عند الإمام الزمخشري ، وممّا يلاحظ على الإمام الزمخشري ويتم تدوينه عليه أنّه كثير ما يذكر مصطلح علم البيان وعلم البديع في كشافه على كثير من المباحث البلاغية التي ينبه عليها عند شرحه للآيات ، غير أنّ لا يريد به تحديد هذه المباحث وتقسيمها وتصنيفها كما استقر الأمر عليه من بعده ، فيذكر على سبيل المثال الإستئناف الذي هو من متعلقات مبحث الفصل والوصل ويقول هو من علم البيان ، وهذا أمر فطن إليه الإمام السبكي ونصّ عليه قائلا : « إنّه كثيرا ما يقع في كلامه الكشاف تسمية علمي البيان و البديع بعلم البيان ، وقد يسمي علوم البلاغة الثلاثة بعلم البديع »«[454]».

ومن بعد الإمام الزمخشري أتى الإمام فخر الدين الرازي فضرب بسهم وافر في هذا العلم واطلع على ما كتبه سابقوه ، غير أنّ جهده وشغله كان منصب على كتابي الإمام عبد القاهر الجرجاني(

---

[453] ــينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية : بتصرف ص 200 ــ 202

[454] ــ عروس الأفراح : ط 1 ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1423هـ ــ 2003 م ، ج 1، ص 95

أسرار البلاغة)(ودلائل الإعجاز) فعمد إلى تلخيصهما في كتاب سمّاه : «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» ، وقد قام بتقنين المصطلحات البلاغية وتقريرها ، فكان عمله كما يرى البعض محاولة منهجية لدراسة البلاغة في إطار المفردة والتركيب ، كما أنّ عمله يعتبر الأساس الذي بنى عليه السّكاكي وغيره منهج تقسيم البلاغة «[455]».

وجاء بعد الإمام الرّازي الإمام أبو يعقوب السّكاكي (ت 626 هـ)، فأفاد من كتب من سبقه لا سيّما الإمام الجرجاني والرّازي ، فألّف كتابه مفتاح العلوم الذي جعله في أربعة أقسام قسم في علم الصرف ، وقسم في علم النحو ، وقسم في البلاغة ، وقسم في الشعر ، والذي يهمنا من كتابه هو القسم الذي خصّصه للحديث عن البلاغة ، حيث كان عمله فيه بمثابة التقرير لما ذكره الإمام عبد القاهر الجرجاني غيّر أنّه انفرد بشيء جديد يكمن في تمييزه وتقسيمه لعلوم البلاغة ، حيث جعلها على ثلاثة أقسام :(المعاني ـ البيان ـ البديع) ، فأطلق اسم علم المعاني على الموضوعات والمباحث التي قرّرها الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ، غير أنّ منهجه وطريقته في العرض لم ترق كثيرا من العلماء فطالته ألسنتهم بالنقد والتعليق ، وجملة ما عابوا عليه في ذلك أنّه تأثر بنزعته المنطقية في كتابه ، فجعل مسائل البلاغة على حدّ تعبير بعضهم مجرّد علم له قواعد ونظريات لكنّه لا يخرّج البلغاء «[456]» ، كما أنّ أسلوبه في كتابه لم يكن أسلوب البليغ الممتاز مثل عبد القاهر ، لأنّ العجمة كانت غالبة على أسلوبه ، وكان الأسلوب التقريري الذي لا يعنى إلاّ بتقرير القواعد غالبا عليه ، فكان في أسلوبه كثير من الغموض والتعقيد وضعف التأليف ، ومثل

[455] ــ ينظر : فخر الدين الرازي بلاغيا : ماهر مهدي هلال ، ط 1 ، بغداد ــ دار الحرية للطباعة ــ ، د ت ، ص 257 ــ 258 .

[456] ــ ينظر : علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، د ط ، ـ القاهرة ـ دار الآفاق العربية ، 1424 هـ ـ 2004م ، ص 21

هذا قد يفيد الناظر فيه علما ، ولا يفيده أسلوبا بليغا ، بل يفسد فيه ملكة البلاغة ، وبهذا يكون ضرره أكبر من نفعه .«[457]»

وقد لقي كتاب المفتاح للإمام السّكاكي رواجا وقبولا عند العلماء عامة والمعتنيين بالبلاغة خاصة فراحوا يشرحونه ويلخصونه ، ومن أشهر من شرحه :

ــ الإمام قطب الدين محمود الشيرازي (ت 710 هـ) شرحه في كتاب سمّاه مفتاح المفتاح

ــ السيد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ) شرحه في كتاب سمّاه شرح المفتاح .

وممّن عنوا بتلخيصه :

ــ الإمام بدر الدين ابن مالك (ت 668 هـ) اختصره في كتاب سمّاه المصباح في اختصار المفتاح .

ــ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان القزويني (ت 739 هـ) اختصره في كتاب سمّاه تلخيص المفتاح .

أمّا كتاب المصباح للإمام بن مالك ، فيرى البعض بأنّه لم يهذب فيه صاحبه كثيرا من مفتاح السّكاكي في علم البلاغة ، لأنّ ملكة النحو كانت غالبة عليه ، وكان هذا سببا في إعراض المتأخرين عن كتابه .

وأمّا تلخيص المفتاح للإمام القزويني فيرى البعض أنّه هذّب كثيرا من مفتاح السّكاكي ، وزاد عليه ما تجب زيادته من كتب البلاغة ، وكان أسلوبه فيه أوضح من أسلوب السكاكي ، ولكنّه جعله أسلوبا تقريريا لا يعنى إلاّ بجمع القواعد في أوجز لفظ «[458]».

---

[457] ــ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع : عبد المتعال الصعيدي ط 18 ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1430 هـ ــ 2009 م ، ص 5.

[458] ــ المصدر نفسه، ص 5 ــ 6 .

ومن خلال ما قرّرناه وذكرناه يتضح بجلاء أنّ مصطلح علم المعاني بموضوعاته ومباحثه المؤصلة في زماننا الحاضر يعود تمييزه وتحديده إلى الإمام السّكاكي ــ رحمه الله ــ وأنّ منهجه هذا في التقسيم قد سيطر على البلاغيين من بعد ، فجميعهم حذا حذوه في ذلك .

ــ المبحث الثاني : تعريف علم المعاني وبيان أثره في البلاغة

المطلب الأول : تعريف علم المعاني

سبقت الإشارة إلى أنّ أوّل من ميّز مصطلح علم المعاني وأطلقه على موضوعات ومباحث معينة من موضوعات ومباحث البلاغة هو الإمام السّكاكي وأنّ البلاغين من بعده اقتفوا أثره وساروا على منهجه في ذلك ، لذا نوّد أن نقف على حدّ وتعريف بعضهم لهذا العلم والقسم من أقسام البلاغة .

إنّ أشهر تعريف لعلم المعاني هو لمن ابتكر هذا التقسم والتحديد ألا وهو الإمام السّكاكي ، فقد عرّفه بقوله :« إنّه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره »« [459]»

وقد شرح تعريفه وبيّن محترزاته وقيوده فقال : « وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصّادرة عمّن له فضل تمييز ومعرفة ، وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمّن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بسبب ما يتفق ، وأعني بخاصية التراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللزوم له ، لكونه صادر عن البليغ ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو ، أو لا زما له هو هو حينا ، وأعني بالفهم فهم ذي الفطر السليمة ».

وقد حصر علم المعاني في ثمانية أ بواب كالتالي :

[459] ــ مفتاح العلوم : ص 161 .

1 ـ الخبر والطلب

2 ــ الإسناد الخبري واختلافه باختلاف السامع من حيث خلو الذهن ، أو الشك أو الإنكار .

3 ــ الإسناد وبيان أحوال المسند إليه و المسند :

4 ــ الفعل ومتعلقاته

5 ــ الفصل والوصل

6 ــ الإيجاز والإطناب

7 ــ القصر

8 ــ الطلب

ومن بين التعريفات المهمة لعلم المعاني تعريف الإمام القزويني ، حيث عرّفه قائلا : « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال »«[460]»

والمراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة بطرفيها من الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة وما يشمل أحوال كل من طرفيها كالذكر والحذف والتقديم والتأخير وغيرها وما يشمل أحوال الإسناد كالتأكيد والقصر وغيرهما، وقد خرج بذلك علم البديع لأنّه يرجع إلى المحسنات ، وكذا علم البيان لأنّ أحوال اللفظ الذي تذكر فيه من المجاز والكناية وغيرهما لا تذكر فيه لبيان ما يقتضيه الحال منها ، وإنّما تذكر فيه لبيان ما يحترز فيه عن التعقيد المعنوي فيها «[461]»

وقد انحصرت موضوعات علم المعاني عنده في ثمانية أبواب على النحو التالي :

---

460 ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 16

461 ــ البلاغة العالية علم المعاني : عبد المتعالي الصعيدي ، ط 2 ، القاهرة ـ مكتبة الآداب ـ ، 1411 هـ ــ 1991 م ، ص 38 .

ــ الأول : أحوال الإسناد الخبري

ــ الثاني : أحوال المسند إليه

ــ الثالث : أحوال المسند .

ــ الرابع : أحوال متعلقات الفعل .

ــ الخامس : القصر .

ــ السادس : الإنشاء .

ــ السابع : الفصل والوصل .

ــ الثامن : الإيجاز والإطناب .

وقد عللّ الإمام القزويني وجه هذا الحصر فقال : « ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر وإمّا إنشاء ، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول : الخبر ، والثاني : الإنشاء ، ثمّ الخبر لا بدّ له من إسناد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ، ثمّ المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا ، أو متصلا به ، أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ، ثمّ الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إمّا بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس ، والإنشاء هو الباب السادس ، ثمّ الجملة إذا قرنت بأخرى ، فتكون إمّا معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع .»«[462]».

وبهذا أكون قد بيّنت المقصود من مصطلح علم المعاني عند أئمة البلاغة ، وذلك بما أوردته من تعريفات بعضهم ، خلصت فيها إلى أنّ المقصود به هو وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما أشرت إلى المباحث التي انحصرت فيها موضوعات علم المعاني ، وقد ظلّ هذا التعريف لعلم المعاني وهذا الحصر لمباحثة مسيطرا على منهج البلاغيين بعد الإمام السّكاكي والإمام القزويني .

[462] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 17

المطلب الثاني : أثر علم المعاني في البلاغة

بعد بيان حدّ علم المعاني ، وحصر موضوعاته التي يبحث عنها في ضوءه ، أنتقل في هذا المطلب للحديث عن بلاغة هذا الفن من فنون البلاغة الثلاث ، وبيان مدى أثره ومزيته في تحسين الكلام .أقول : إنّ فائدة علم المعاني وأثره في بلاغة الكلمة يستمد لأوّل وهلة من تعريفه ، فمن التعريف تتضح نقطتين رئيسيتين يرتكز عليهما علم المعاني ، ويتضح بهما الهدف الذي من أجله وضع هذا العلم ، وهما :

وجوب مطابقة الكلام لأحوال السامعين .

بيان ما يستفاد من الكلام بمعية القرائن «[463]»

ولتوضيح الأمر الأول وتجليته لا بدّ من ضرب مثال على ذلك من موضوعات علم المعاني ، ولنأخذ على سبيل المثال مبحث الخبر ، فالمخبر بالخبر غرضه إفادة المخاطب أحد الأمرين ـ ثبوت شيء أو عدمه ـــ ، فإنّ المخبر لا بدّ أن يقتصر في التركيب على احدى الحالات بحسب الحاجة ، فمثلا : إن كان المخبر خالي الذهن من الحكم المخبر به ، فوجب على المخبر عند ذلك أن يلقي الخبر خاليا من المؤكدات حتّى يكون الكلام مطابقا لحال السامع ، وإذا كان المخاطب مترددا في الخبر الملقى إليه أي شاكا فيه ففي هذه الحالة وجب على المخبر أن يؤكد خبره بمؤكد ليزيل تردده وشكه ، وإذا كان المخاطب منكرا للحكم وجاحدا له وجب على المخبر توكيد خبره وتأكيده بحسب درجة المخاطب في الإنكار ، فلو أنّ المخبر لم يراع حال المخاطبين في هذه الأحوال الثلاثة لم يكن كلامه مطابقا للحال ولم يكن أسلوبه بليغا ، وقد تفطّن لضرورة مراعاة أحوال المخاطبين عند الكلام أئمة اللغة الأوائل ، فهذا الإمام ابن المبرّد يجيب عن تساؤل رفعه إليه الإمام الكندي عندما قال له متحيرا: «إنيّ لأجد في كلام العرب حشوا ، يقولون عبد الله قائم ، وإنّ عبد الله قائم ، وإنّ عبد الله لقائم ـــ ، والمعنى واحد ،فأجابه : بل المعاني مختلفة ، فعبد الله

[463] ـ ينظر : علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص 29 .

إخبار عن قيامه ، وإنّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإنّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر ...»«[464]»

وأمّا بالنسبة للأمر الثاني وهو دراسة ما يستفاد من الكلام بمعية القرائن ، فمعناه أنّ الكلام إذا أطلق يراد به معناه الأصلي على الحقيقية ، ولكن في بعض الأحيان يخرج عن ذلك إلى أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام وبعض القرائن ، وإذا تتبعنا مباحث علم المعاني وجدنا فيها كثرا من هذا الأمر ، ففي مبحث الخبر مثلا : عهد عند البلاغيين أن الغرض من إلقاء الخبر يرجع إلى أصلين اثنين أحدهما: فائدة الخبر أي أنّ المخبر يقصد بخبره إفادة المخاطب نفس الحكم كقولهم زيد قائم لمن لا يعلم أنّه قائم ، والثاني لازم فائدة الخبر أي أنّ المخبر يقصد بخبره إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم كقول أحدهم لمن زيد عنده ولا يعلم المخاطب أنّ المتكلم عنده زيد عندك «[465]» ، غير أنّ إلقاء الخبر قد يخرج عن هذا الغرض إلى أغراض أخرى تفهم من السياق و القرائن ، فمن الأغراض التي يخرج إليها الخبر وتدرك بالسياق وقرائن الأحوال :

ـــ التهكم : فقد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى التهكم مجازا حسب السياق ، فمن ذلك قول الله تعالى :﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾«[466]» فهذا أسلوب خبري حمله كثير من المفسرين على معنى التهكم والاستهزاء ، فهذا الإمام السمين الحلبي يؤكد ذلك ويقرره إذ يقول في تفسير هذه الآية ما نصّه «[467]»: « وهذا الكلام على سبيل التهكم وهو أغيظ للمستهزئ به ، ومثله قول جرير لشاعر تسمى زهرة اليمن :

---

[464] ـــ ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 315 .

[465] ـــ الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 22

[466] ـــ سورة الجاثية : الآية 49 .

[467] ـــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : د ط ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دمشق ، دار القلم ، د ت ، ج 9 ، ص 629 .

ألم تكن في وسوم قد وسمت   من كان موعظة يا زهرة اليمن «[468]»

وكان هذا الشاعر قد قال : أبلغ كليبا وأبلغ عنك شاعرها   إنّي الأعزّ وإني زهرة اليمن »«[469]»، ومن الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر :

الأمر : فقد يرد الخبر بمعنى الأمر ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾«[470]» فهذه الآية خبرية واقعة موقع الأمر ، وهو ما قال به جمهور المفسرين كالإمام ابن جزي«[471]» وأبي حيان«[472]» وغيرهم ، إضافة إلى أغراض أخرى يخرج إليها الخبر كإظهار الضعف والاسترحام والتبعيض والنهي والتعجب والفخر . ستذكر لاحقا عند بيان جهود المفسرين المغاربة في تناول مبحث الخبر و الإنشاء .

وبهذا اتضحت بجلاء وظيفة علم المعاني وتبيّنت مزيته في بلاغة الكلام وأثره في ذلك ، وإن كان التمثيل والتدليل على ذلك قليلا ، لأنّ المقام لا يسع استعراض جميع موضوعات هذا العلم وبيان قيمتها ووظيفتها في بلاغة الكلمة .

هذا وبعد ما قرّرته وأوردته عن علم المعاني من حيث نشأة هذا المصطلح وتعريفه وبيان مدى أثره في تحسين الكلام ، أشرع الآن في بيان تناول جهود المفسرين المغاربة في إثراء موضوعات علم المعاني من خلال تفاسيرهم ، وقد ارتأيت الحديث عن المباحث التالية :

الخبر والإنشاء ــ التقديم والتأخير ـ أسلوب الحذف ــ الفصل والوصل ــ الإيجاز والإطناب ـ الالتفات .

---

[468] ـ ينظر: الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، ج 2 ، ص 461

[469] ـ البيت لزهرة اليمن ، ينظر : الخصائص ، ابن جني ، ج 2 ، ص 461 .

[470] ـ سورة البقرة : الآية 228

[471] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 115

[472] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 196

المبحث الثالث : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الخبر والإنشاء

لقد تعدّدت آراء العلماء وتباينت أقوالهم في أقسام الكلام ، فذهب بعضهم إلى أنّ أقسام أو معاني الكلام هي عند أهل العلم عشرة خبر واستخبار ، وأمر ، ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض ، وتحضيض وتمّن وتعجب »«[473]» ، وذهب البعض إلى أنّه تسعة بإسقاط الاستفهام وجعله في المسألة ــ أي الدّعاء ــ ، وذهب بعضهم إلى أنّه ثمانية فقط بإسقاط التشفع وإدخاله في المسألة ، وقال بعضهم إنّه سبعة بإسقاط الشك أي ــ الاستخبار ــ لأنّه من قسم الخبر ، وذهب الأخفش إلى أنّها ستة خبر واستخبار وأمر ونهي ونداء وتمن ، وذهب البعض إلى أنّها خمسة خبر وأمر وتصريح وطلب ونداء ، وقال بعضهم : إنّها أربعة خبر واستخبار وطلب ونداء ، وذهب كثيرون إلى أنّه ثلاثة خبر وطلب وانشاء ، غير أنّ الحذّاق من النحاة وأهل البيان قاطبة مجمعون على انحصار الكلام في الخبر والانشاء وأنّه ليس ثمّت قسم ثالث «[474]».

المطلب الأول : تعريف الخبر

جاء في لسان العرب لابن منظور :« وخبرت بالأمر أي علمته وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته ، وقوله تعالى :﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾«[475]» أي اسأل عنه خبيرا يخبر والخبر بالتحريك واحد الأخبار ، والخبر ما أتاك من نبأ عمّن تستخبره ...والخبر النبأ والجمع أخبار وأخابير ، ... وأخبره نبأه »«[476]».

وقال الإمام الزبيدي : « الخبر محرّكة النبأ هكذا في المحكم ، وفي التهذيب : الخبر ما أتاك من نبأ عمّن تستخبره ... وأنّ النبأ خبر مقيد بكونه عن أمر عظيم كما قيّد به الراغب وغيره من أئمة

---

[473] ــ ينظر: الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ، ص 183 .

[474] ــ الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، د ط ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، د ت ، ج 2 ، ص 75 ــ 76 .

[475] ــ سورة الفرقان : الآية 59

[476] ــ مادة (خبر) ،ج 4 ، ص 266

الاشتقاق والنظر في أصول العربية ، ثمّ إنّ أعلام اللغة والاصطلاح قالوا : الخبر عرفا ولغة ما ينقل عن الغير ، وزاد فيه أهل العربية ما احتمل الصدق والكذب لذاته »«[477]»

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى العلم والمعرفة بالشيء .

هذا في اللغة ، وأمّا في الاصطلاح ، فقد ادّعى البعض عدم حدّه لعسرة ذلك ، أو لأنّه من العلم الضروري ، فالإنسان يفرّق بين الخبر والإنشاء ، وهذا ما جنح إليه الإمام الرازي في المحصول ، وذهب جمهور العلماء إلى حدّه وهو الصحيح ، وقد تنوعت اصطلاحاتهم في تعريفه ، فممّن عرّفه أئمة المتكلمين واللغويين ، وإن كان أصحاب الكلام هم السابقون في التطرق إليه ، فقد حدّه إمام المعتزلة إبراهيم بن يسار النّظام بأنّه :« الكلام الذي يدخله الصدق والكذب »، وبنفس الحدّ كذلك عرّفه القاضي أبو بكر الباقلاني من الأشاعرة ، لكنّ صدق الخبر عند الإمام النّظام يكمن في مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو كذبا ، وكذبه يكمن في عدم مطابقة حكمه له «[478]» ، وأنكر الإمام الجاحظ انحصار الخبر في الصدق والكذب ، وزعم أنّ الخبر على ثلاثة أقسام صادق وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، فالصادق عنده ما طابق الواقع مع اعتقاد المخبر له ، أو عدم اعتقاده له ، والكاذب عنده هو غير المطابق للواقع مع الاعتقاد أنّه غير مطابق ، والخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب عنده أربعة أنواع :

ـــ الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنّه غير مطابق .

ـــ الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا .

ـــ الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنّه مطابق .

---

477 ـــ تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (خبر) ، ج 11 ، ص 125

478 ـــ ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص 18 ـ 17 .

ـــ الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد «[479]».

وممّن تعرّض له وتناوله بالتعريف من أئمة اللغة الإمام ابن قتيبة الدينوري ، حيث أخبر أنّ أقسام الكلام أربعة فقال :« ... والكلام أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب ، وواحد يدخله الصدق والكذب »«[480]» ، فالإمام ابن قتيبة يعرف الخبر بالتفريق بينه وبين الأقسام الأخرى بأنّه ما جاز على قائله الصدق والكذب ، وكذلك عرّفه الإمام المبرّد «قائلا : «الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب »«[481]». وبنفس الحدّ حدّه الإمام ابن فارس غير أنّه فرّق بين تعريف اللغويين و، بيّن أهل النظر على حدّ تعبيره فقال :« أمّا أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنّه إعلام ، تقول : أخبرته أخبره والخبر العلم ، وأهل النظر : يقولون الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من الزمن أو مستقبل أو دائم »«[482]» .

وللخبر أثر كبير في فصاحة الكلمة ، فلذا وجب الاهتمام به والاعتناء به في صياغة الأساليب وإنشائها ،و توظيفه بحسب المقاصد والأغراض ، وهذا ما دفع بالإمام عبد القاهر الجرجاني إلى التنويه على ذلك والتأكيد عليه ، إذا يقول في كلام نفيس ما نصّه :« ... وجملة الأمر أنّ الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ، ويصرّفها في فكره ، ويناجي بها قلبه ، ويراجع فيها عقله ، وتوصف بأنّها مقاصد وأغراض ، وأعظمها شأنا الخبر ، فهو الذي يتصور

[479] ـــ ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص 19 ، وينظر : علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص 34

[480] ـــ أدب الكاتب : ط 4 ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مصر ، المكتبة التجارية ، 1963 م ، ص 4

[481] ـــ المقتضب : ط 3 ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1415 هـ ـــ 1994 م، ج 3 ، ص 89 .

[482] ـــ الصاحبي في فقه اللغة : ص 183

بالصور الكثيرة ، وتقع فيه الصناعات العجيبة ، وفيه تكون المزايا التي يقع بها التفاضل في الفصاحة على ما شرحنا »«[483]».

هذا وبعد تعريف الخبر لغة واصطلاحا وبيان أهميته في تحسين معاني الكلام ، فإنّي سأعرّض الآن إلى بيان جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الخبر ، وإشارتهم إلى الأغراض البلاغية التي يؤديها هذا الأسلوب وبيان أثر ذلك في فصاحة الكلمة القرآنية .

المطلب الثاني : الخبر في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي

لقد أشار الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في تفسيره إلى كثير من الأساليب الخبرية الواقعة في القرآن الكريم ، ونبّه على الأغراض التي تخرج إليها في ضوء السياق القرآني، ومن جملة تلك الإشارات :

ـ الخبر المراد به الأمر والإلزام :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾«[484]» قال ـ رحمه الله ـ :« ومعنى يوصيكم يفرض عليكم ، فلفظه لفظ الخبر ، ومعناه الإلزام ... وقيل معناه : يعهد إليكم إذا مات منكم ميت وخلّف أولادا أن يقسم عليهم كذا وكذا »«[485]» ، فالإمام مكي يشير إلى أنّ هذه الآية لفظها لفظ الخبر وأنّ هذا الخبر أفاد الوجوب والإلزام ، وقد حمل كثير من المفسرين هذه الآية على هذا المعنى منهم الإمام ابن عطية ، حيث قال في تفسيره : « يوصيكم يتضمن الفرض والوجوب كما تتضمنه لفظة أمر كيفما تصرّفت ...»«[486]» ، وكذلك الإمام الرّازي فيما نقله عن الزّجاج قائلا : « قال الزّجاج معنى قوله ههنا : « يوصيكم » أي يفرض عليكم ، لأنّ الوصية من الله إيجاب ، والدليل عليه قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي

[483] ـ دلائل الإعجاز : ص 543 .
[484] ـ سورة النساء : الآية 11
[485] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 1237 .
[486] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 12 ، ص 18 .

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾«[487]»، ولا شك في كون ذلك واجبا علينا »«[488]»
.

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾«[489]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « وهذا فيه معنى الأمر بقتلهم وأخذهم ، أي هذا حكمهم إذ قاموا على النفاق والإرجاف في المدينة وهو مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : «خمس يقتلن في الحرم»«[490]» ففيه معنى الأمر ولفظه الخبر »«[491]».

فالإمام مكي ـ رحمه الله ـ يشير إلى أنّ هذه الآية لفظها لفظ الخبر وأنّ هذا الخبر أفاد معنى الأمر ، أي الأمر بقتل المنافقين والمرجفين في المدينة ما داموا مقيمين على ذلك ، وقد حمل الإمام القرطبي الآية على هذا المعنى فقال : « .. فهذا فيه معنى الأمر بقتلهم و أخذهم ، أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على الإرجاف والنفاق ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :« خمس يقتلن في الحلّ والحرم »، فهذا فيه معنى الأمر كالآية سواء»«[492]».

---

[487] ـ سورة الأنعام : الآية 151

[488] ـ مفاتيح الغيب : ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1421 هـ ـ 2000م ، ج 9 ، ص 165 ـ 166 .

[489] ـ سورة الأحزاب : الآية 61

[490] ـ أخرجه البخاري ، كتاب الحج ، باب ما يقتل المحرم من الدواب ، رقم 1732 ، ج 2 ، ص 650 ، عن عائشة رضي الله عنها

[491] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 9 ، ص 5871 .

[492] ـ الجامع لأحكام القرآن : د ط ، تحقيق هشام سمير البخاري ، الرياض ، دار عالم الكتب ، 1423 هـ ـ 2003 م ، ج 14 ، ص 215

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًاۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾«[493]» قال ـــ رحمه الله ـ « أي إذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكنا على حاله حين دخلته ، هذا لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر »«[494]».

فالإمام مكي ـــ رحمه الله ـــ يشير إلى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن معنى الأمر ، حيث أمر سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يترك البحر ساكنا مفتوحا عند مجاوزته إيّاه ، حتّى يدخل فيه القبط ، فإذا دخلوا فيه أخذهم الله تعالى بالغرق .

ـــ الخبر المراد به النفي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ﴾«[495]» قال ـ رحمه الله ـــ :« ولفظه لفظ الخبر ومعناه النفي أي لم يشرك بالله ، دليله الشرك الذي بعده »«[496]».

فالإمام مكي ـ رحمه الله ـــ يشير إلى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المفيد للنفي ، حيث أنّ يوسف عليه السلام نفى على لسان المولى جلّ نسبة الشرك له ولآبائه من قبله يعقوب وإبراهيم عليهما السلام فهو نبي بن نبي بن نبي ، وفي ذلك بيان لتطهير المولى جلّ وعلا لمعاشر الأنبياء من الشرك ونفيه عنهم ، فهم الأخيار الذين ارتضاهم سبحانه وتعالى لتبليغ رسالته ، فيستحيل الشرك في حقهم .

493 ـ سورة الدخان : الآية 24

494 ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 10 ، ص 6734 .

495 ـــ سورة يوسف : الآية 38 .

496 ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 5 ، ص 3566 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــــ الخبر المراد به التقرير :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾«[497]».

قال ـ رحمه الله ــ هل في هذا الموضع خبر لا جحد وفي الكلام معنى التقرير كأنّه قال : قد أتى على الإنسان زمن طويل لم يكن شيئا مذكورا ، وهذا كما تقول للرجل تقريرا هل أكرمتك ؟ قد أكرمه ...»«[498]».

فالإمام مكي ـ رحمه الله ـ يشير إلى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المفيد للتقرير وأنّ هل هنا بمعنى قد الخبرية ، وليست للاستفهام المحض ، وهذه الآية ممّا وقع فيها خلاف بين المفسرين واللغويين فمنهم من جعلها خبرية كالإمام الكسائي والفرّاء وأبو عبيدة ، وفيما حكي عن سيبويه ، ومنهم من جعلها إنشائية جاءت على أصلها للاستفهام المحض المفيد للتقرير كالإمام بن كيسان ، وممّن حمل هذه الآية على الخبر الإمام الرّازي ، حيث قال : « اتفقوا على أنّ هل هاهنا وفي قوله :«﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾«[499]»، بمعنى قد كما تقول : هل رأيت صنيع فلان و قد علمت أنّه قد رآه ، وتقول : هل وعظتك ، هل أعطيتك ، ومقصودك أنّ تقرّره بأنّك قد أعطيته ، ووعظته ، وقد تجئ بمعنى الجحد ، تقول : وهل يقدر أحد على مثل هذا ، وأمّا أنّها تجئ بمعنى الاستفهام فظاهر ، والدّليل على أنّها هاهنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان الأول : ما روي أنّ الصديق رضي الله عنه لما سمع هذه الآية قال :يا ليتها كانت تمّت فلا نبتلى ، ولو كان ذلك استفهاما لما قال يا ليتها تمت ، لأنّ الاستفهام إنّما يجاب بلا أو بنعم ، فإذا كانا المراد هو الخبر ، فحينئذ يحسن ذلك الجواب الثاني : أنّ الاستفهام على الله تعالى محال ، فلا بدّ ممن حمله على الخبر »«[500]» ، فالإمام الرّازي يستبعد كون هل استفهامية ويؤكد أنّها خبرية بمعنى قد تفيد التقرير

---

[497] ــ سورة الإنسان : الآية 1

[498] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12 ، ص 7091

[499] ــ سورة الغاشية : الآية 1

[500] ــ مفاتيح الغيب : ج 30 ، ص 743 .

، وذلك بما أورده من أثر عن أبي بكر رضي الله عنه ، وباستبعاده الاستفهام على الله تعالى لكون ذلك محالا .

فهذه هي إذن جملة الإشارات التي أشار إليها الإمام مكي ابن أبي طالب القيسي فيما تعلّق بالأساليب الخبرية الواردة في الآيات القرآنية ، وهي تبرز اهتمامه بمبحث الخبر وذلك في حرصه على بيان الأغراض التي يخرج إليها الأسلوب الخبري ويؤديها بحسب السياق القرآني ، وهو في ذلك يتلاقى مع آراء كثير من المفسرين يتوافقون معه فيما اختاره وذهب إليه .

ـــ المطلب الثالث : الخبر في تفسير الإمام ابن عطية

لقد أشار الإمام ابن عطية في تفسيره إلى كثير من الأساليب الخبرية الواقعة في القرآن الكريم ، ونبّه على الأغراض التي تخرج إليها في ضوء السياق القرآني ، ومن جملة تلك الإشارات :

ـــ الخبر المراد به الأمر :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ ﴾«[501]».

قال رحمه الله ـــ « لفظ خبر يتضمن الأمر أي فلا تركن إلى شيء من ذلك »«[502]».

فالإمام ابن عطية رحمه الله ـــ يشير إلى أنّ لفظة وما أنت بتابع قبلتهم جاءت في أسلوب الخبر المتضمن الأمر ، أي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باستقبال الكعبة ، وتحذيره من الركون إلى الكفار فيتبع بذلك قبلتهم ، فيكون عاصيا ومخالفا لما أمره الله به ، وقد حمل كثير من المفسرين الآية على معنى الخبر المتضمن الأمر منهم الإمام القرطبي ، حيث قال في تفسيرها : « وما أنت بتابع قبلتهم : لفظ خبر ويتضمن الأمر ، أي فلا تركن إلى شيء من ذلك »«[503]» ، وعلى نفس المعنى حمل الآية الإمام الطاهر بن عاشور ، فقال : « وفائدة هذا العطف بعد الإخبار بأنّه

[501] ـ سورة البقرة : الآية 145

[502] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 209

[503] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 161

لا يتبع قبلتهم زيادة تأكيد الأمر باستقبال الكعبة والتحذير من التهاون في ذلك بحيث يفرض على وجه الاحتمال أنّه لو اتبع أهواء أهل الكتاب في ذلك لكان كذا وكذا ...»«[504]» وحمل الإمام ابن جزي الآية على الخبر المتضمن النهي فقال :«خبر يتضمن النهي »«[505]» أي النهي عن اتباع قبلتهم ، وكيفما كان التقدير فالنهي عن الشيء أمر بضده ، فنهي عن اتباع قبلتهم ، فيكون مأمورا باتباع ما أمره الله باتباعه والمداومة عليه

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾«[506]».

قال ــ رحمه الله ــ :« يرضعن أولداهن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات ، والأمر على جهة الندب والتخيير لبعضهن »«[507]».

فالإمام ابن عطية يشير في كلامه هذا إلى أنّ عبارة يرضعن أولداهن جاءت في سياق الخبر ، وهذا الخبر يتضمن الوجوب في بعض الحالات ،كما يتضمن الندب في حالات أخرى ، بحسب أوضاع النساء فمنهن من يتعين ويتأكد عليها إرضاع الصبي ومنهن من يكون ذلك مندوبا في حقها ، وهذا أمر مفصل في كتب الفقه ، وقد بيّنه الإمام ابن عطية في تفسيره كذلك ، فبعض إيراده لهذا الكلام قال : « فأمّا المرأة التي في العصمة فعليها الإرضاع ، وهو عرف يلزم إذ قد صار كالشرط ، إلاّ أن تكون شريفة ذات ترفه فعرفها أن لا ترضع ، وذلك كالشرط ، فإن مات الأب ، ولا مال للصبي ، فمذهب مالك في المدونة أنّ الرضاع لازم الأم بخلاف النفقة ، وفي كتاب ابن الجلاب رضاعه في بيت المال ، وقال عبد الوهاب من فقراء المسلمين ، وأمّا المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها والرضاع على الزوج إلاّ أن تشاء فهي أحق بأجرة المثل هذا إمّتع يسر الزوج ، فإن كان

---

[504] ــ التحرير والتنوير : د ط ، تونس ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، 1997 م ، ج 2، ص 37 .

[505] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 91 .

[506] ــ سورة البقرة : الآية 233

[507] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 300

معدما لم يلزمها الرضاع ، إلاّ أن يكون المولود لا يقبل غيرها ، فتجبر حينئذ على الرضاع ولها أجر مثلها في يسر الزوج ، وكل ما يلزمها الإرضاع ، فإن أصابها عذر يمنعها منه عاد الإرضاع على الأب »«[508]».

وقد حمل كثير من المفسرين تلك العبارة على أسلوب الخبر المتضمن للأمر أو الندب ، وممن ذهب إلى ذلك الإمام البيضاوي ــ رحمه الله ــ حيث قال : « والوالدات يرضعن أولداهن أمر عبرّ عنه بالخبر للمبالغة ، ومعناه الندب أو الوجوب ...»«[509]» ، وعلى نفس المعنى حمل العبارة الإمام القرطبي والإمام ابن جزي ـ رحمهما الله ــ إذ قال الأول ما نصّه : «يرضعن أولداهن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات ، وعلى جهة الندب لبعضهن على ما يأتي »«[510]» : وقال الثاني :« ... خبر بمعنى الأمر »«[511]»

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾«[512]» قال ــ رحمه الله ــ :« المعنى في هذه الآية : إنّما يعمر مساجد الله بالحق لهم والواجب ، ولفظ هذه الآية الخبر ، وفي ضمنها أمر المؤمنين بعمارة المساجد ...»«[513]» .

فالإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ يخبر في هذه العبارة بأنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للأمر أي أمر المؤمنين بعمارة بيوت الله والمداومة على ذلك بشتى أنواع العمارة ، وقد حمل الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ـ الآية على هذا المعنى ، حيث قال : « وفي ضمن هذا الخبر أمر المؤمنين بعمارة المساجد ، ويتناول عمارتها رمّ ما تهدّم منها ، وتنظيفها وتنويرها ، وتعظيمها ،

---

[508]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 300

[509] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمان المرعشلي ، ط 1 بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت ج 1، ص 144

[510]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 3 ، ص 160

[511] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 118

[512] ــ سورة التوبة : الآية 18

[513] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 17

واعتيادها للعبادة والذكر ، ومن الذكر درس العلم بل هو أجلّه ، وصونها عمّا لم تبن له من الخوض في أحوال الدنيا»«[514]»

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾«[515]» قال ــ رحمه الله ــ « خبر في ضمنه أمر بالتقوى ووعد عليها بالنصر والتأييد »«[516]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ جملة واعلموا أنّ الله مع المتقين جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للأمر ــ أي الأمر بالتقوى ــ فيترتب على الإتيان بها نصر الله وتأييده ، وعلى نفس المعنى حمل الإمام أبو حيان هذه الجملة من الآية ، حيث قال في تفسيره : « والمعية بالنصر والتأييد ، وفي ضمنه الأمر بالتقوى والحث عليها »«[517]».

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾«[518]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : فليلقه اليم خبر خرج في صيغة الأمر ، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « قوموا فلأصل لكم »«[519]» فأخبر الخبر في صيغة الأمر لنفسه مبالغة ، وهذا كثير ومن خرج الفعل مخرج الأمر حسن جوابه »«[520]».

فالإمام ابن عطية يشير إلى أنّ هذه الجملة جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للأمر ، أي أمر أمّ موسى عليه السلام بإلقائه في اليم ، ثمّ علّل خروج الخبر في صيغة الأمر ، بأنّه ــ أي الأمر آكد

---

[514] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 21
[515] ــ سورة التوبة : الآية 36
[516] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 3 ، ص 36
[517] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 35 .
[518] ــ سورة طه : الآية 39
[519] ــ أخرجه البخاري :كتاب الصلاة ، باب الصلاة على الحصير ، رقم 373 ، ج 1 ، ص 149 .
[520] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 56 .

الأفعال وأقطعها ، فجيء به هنا مبالغة للتأكيد ، وعلى نفس المعنى حمل الآية الإمامان أبو حيان ، والألوسي ، حيث قال الأول في تفسيره ما نصه : « وفليلقه ، أمر معناه الخبر ، وجاء بصيغة الأمر مبالغة ، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « قوموا فلأصل لكم» ، أخرج الخبر في صيغة الأمر لنفسه مبالغة ، ومن حيث خرج الفعل مخرج الأمر حسن جوابه كذلك ...»«[521]».

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾«[522]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : «تؤمنون» ، لفظه الخبر ومعناه الأمر أي آمنوا »«[523]» فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ لفظة تؤمنون وإن جاءت في سياق الخبر فالمراد منها الأمر ـــ أي الأمر بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع المجاهدة في سبيله ، ويؤكد مجيئ لفظة تؤمنون في سياق الخبر المفيد للأمر ، وقوع الفعل يغفر لكم مجزوما فهو جواب للأمر الواقع في لفظة تؤمنون ، التي هي بمثابة آمنوا ، وهذا ما أكّده أكثر من واحد من المفسرين منهم الإمام القرطبي الذي قال في تفسيره ما نصّه : « وتؤمنون عند المبرد والزجاج في معنى آمنوا ، ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على أنّه جواب الأمر وفي قراءة ابن عبد الله آمنوا بالله »«[524]» ، وعلى نفس المعنى حمل اللفظة الإمام ابن جزي ـــ رحمه الله ــ حيث قال : « جزم في جواب تؤمنون لأنّه بمعنى الأمر »«[525]» ، وهو ما أكّده كذلك الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « ومجيئ يغفر مجزوما تنبيها على أنّ

---

[521] ـــتفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 226 .

[522] ــ سورة الصف : الآية 11

[523] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 279

[524] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 18 ، ص 86.

[525] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 414 .

تؤمنون ، وتجاهدون ، وإن جاءا في صيغة الخبر فالمراد الأمر ، لأنّ الجزم إنّما يكون في جواب الطلب ، لا في جواب الخبر ، قاله المبرد والزمخشري »«[526]» .

ــ الخبر المراد به به الوعيد و الزجر

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾«[527]».

قال ــ رحمه الله ــ :« وقوله تعالى : «والله عليم بالظالمين »، ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد ، لأنّ الله عليم بالظالمين وغيرهم ، وفائدة تخصيصهم حصول الوعيد »«[528]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ جملة والله عليم بالظالمين جاءت في ظاهر السياق على الأسلوب الخبري ، وهذا الخبر تضمن الوعيد أي وعيد للظالمين بأنّه سبحانه وتعالى ما دام عالما بظلمهم وطغيانهم فهو قادر على عقابهم وأخذهم ، فلا يفوتونه ولا يعجزونه في شيء ،وقد أكّد ما ذكره الإمام ابن عطية الإمام أبو حيّان ، حيث قال :« والله عليم بالظالمين : جملة خبرية ، ومعناها التهديد والوعيد ، وعلم الله متعلق بالظالم ، وغير الظالم ، فالاقتصار على ذكر الظالم يدل على حصول الوعيد »«[529]»، فالإمام أبو حيّان يقرر بأنّ القرينة التي جعلت هذا الأسلوب الخبري متضمن للوعيد ، وهو تخصيص الله تعالى هنا العلم بالظالمين دون غيرهم ، فيكون في ضمن هذا تهديد ووعيد، وقد ذكر الإمام ابن عاشور بأنّ هذه الجلمة استعملت في الخبر المراد به التهديد ، فقال : « وقوله : والله عليم بالظالمين خبر مستعمل في التهديد ، لأنّ القدير إذا علم بظلم الظالم لم يتأخر عن معاقبته »«[530]».

[526] ــ التحرير والتنوير : ج 28 ، ص 149 .

[527] ــ سورة البقرة : الآية 95

[528] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 164

[529] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 481

[530] ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 166 .

في تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾«[531]».

قال ــ رحمه الله ــ : « خبر في ضمنه توعد ، ومعناه محيط علمه وقدرته »«[532]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ هذه اللفظة جاءت في سياق الخبر المتضمن للوعيد ، أي توعد المولى جلّ وعلا للكافرين والمكذبين لشعيب عليه السلام بالعقاب ، لأنّه أحاط بهم علما قبل أن يخلقهم ، وقد أخبر الإمام أبو حيّان بأنّ هذه اللفظة في ضمنها توعد وتهديد ، ولكنّه لم يصرّح بأنّها خبرية ، فقال : « محيط أحاط بأعمالكم ، فلا يخفى عليه شيء منها ، وفي ضمنه توعد وتهديد »«[533]».

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾«[534]».

قال ــ رحمه الله ــ :« وقوله تعالى : إنّه عليم بذات الصدور خبر مضمنه وعيد »«[535]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ هذه الجملة جاءت في سياق الخبر المتضمن للوعيد أي وعيد لهؤلاء المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيما ينسبون إليه من الافتراء على الله تعالى والكذب عليه ، مع التأكيد بأنّه جلّ وعلا عالم بما في صدورهم وصدره صلى الله عليه وسلم .

---

531 ــ سورة هود : الآية 92

532 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 217

533 ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 257

534 ــ سورة الشورى : الآية 24

535 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5، ص 31

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾«[536]».

قال ــ رحمه الله ــ « وقالت فرقة من المفسرين أولى رفع بالابتداء ، وطاعة خبره ، فهذا هو المشهور من استعمال أولى ، وقالت فرقة من المفسرين أولى لهم ابتداء وخبر معناه الزجر والتوعد »«[537]»

فالإمام ابن عطية يورد رأيا لبعض المفسرين في إعراب فأولى لهم طاعة مخبرا أنّ منهم من أعرب أولى مبتدأ وطاعة خبره ، وهذا مروي في كثير من كتب التفسير كالجامع لأحكام القرآن ، والتسهيل لعلوم التنزيل والبحر المحيط ، والتحرير والتنوير ، ثمّ أورد قولا آخر وهو أنّ أولى لهم ابتداء وخبر ، وهذا كذلك ذكره كثير من أئمة التفسير ، ثمّ بعد ذلك بيّن الإمام ابن عطية غرض هذه الجملة المتكونة من مبتدأ وخبر وهو الزجر والتوعد ، أي التوعد للمنافقين الذين يتمنوا نزول سورة ، فإذا أنزلت هذه السورة وتضمنت الفرائض والأوامر شق عليهم امتثالها واتباعها ، وقد ذكر ما أورده الإمام ابن عطية كثير من أئمة التفسير منهم الشيخ الطاهر ابن عاشور ، حيث قال : « ويجوز أن يكون فأولى لهم مستعملا في التهديد والوعيد ، وهو الذي اقتصر عليه الزمخشري ، ومعناه أنّ الله أخبر عن توعده إيّاهم »«[538]».

---

[536] ـ سورة محمد : الآيتان 20 ـ 21

[537] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 103 .

[538] ــ التحرير والتنوير : ج 26 ، ص 109 .

ـــ الخبر المراد به التحذير :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ «[539]».

قال ــ رحمه الله ــ « وقوله تعالى : «يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون » خبر في ضمنه تحذير وزجر »«[540]».

فالإمام ابن عطية يشير في كلامه إلى أنّ هذه الآية جاءت في سياق الخبر المتضمن للحذير والزجر ، أي تحذير الكفار والمشركين من إنكار المعاد ويوم البعث ومن الاستهزاء به سبحانه وتعالى ، والتشكيك في كمال قدرته وإحاطته بكل شيء علما ، وقد أشار إلى ما أشار إليه الإمام ابن عطية الإمام أبو حيان : حيث قال : « وفي قوله : يعلم سرّكم إلى آخره خبر في ضمنه تحذير وزجر »«[541]».

ــــالخبر المراد به التحسر والتلهف :

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾«[542]».

قال ــ رحمه الله ــ « وقولها :«ربيّ إنّي وضعتها أنثى» لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلهف ، وبيّن الله ذلك بقوله : «وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ »«[543]».

---

[539]ــ سورة الأنعام : الآية 3

[540]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 314

[541]ــ البحر المحيط : ج 4 ، ص 77

[542]ــ سورة آل عمران : الآية 36

[543]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 1 ، ص 431

فالإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ يخبر بأنّ جملة إنّي وضعتها أنثى الواردة من مريم عليها السلام جاءت في سياق الخبر المتضمن للتحسر والتلهف ، والمراد بالتحسر هنا ، تأسفها على ما كانت ترجوا من مجيئ المولود ذكرا كي تحرّره لخدمة الكنيسة إذ كانت العادة أنّ الرجال هم من يقومون بذلك ، وليس النساء ، فلذلك تحسّرت على ما فاتها من تمنيها ورجائها ، وهذا المعنى ذكره كثير من أئمة التفسير منهم الإمام ابن جزي الذي أخبر أنّ المعنى من هذه الجملة هو التحسر والتلهف ، فقال : ««إنّي وضعتها أنثى » تحسّرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت »«[544]»، كما ذكر الإمام الطاهر ابن عاشور نفس الأمر وأكّد أنّ جملة إنّي وضعتها أنثى جملة خبرية وقد تضمنت عدّة معان والتي منها التحسر فقال : « وقولها : «إنّي وضعتها أنثى » خبر مستعمل في إنشاء التحذير لظهور كون المخاطب عليما بكل شيء ، وتأكيد الخبر بأنّ مراعاة لأصل الخبرية ، تحقيقا لكون المولود أنثى ، إذ هو بوقوعه على خلاف المترقب لها بحيث تشك في كونه أنثى ، وتخاطب نفسها بنفسها بطريق التأكيد ، فلذا أكّدته ثمّ استعملت هذا الخبر في الإنشاء استعملته برّمته على طريقة المجاز المركب المرسل ، ومعلوم أنّ المركب يكون مجازا بمجموعه لا بأجزائه ومفرداته ، وهذا التركيب بما اشتمل عليه من الخصوصيات يحكي ما تضمنه كلامها في لغتها من المعاني ، وهي الروعة والكراهية لولادتها أنثى ، ومحاولاتها مخالطة نفسها في الإذعان لهذا الحكم ، ثمّ تحقيقا ذلك لنفسها وتطمينا بها ، ثمّ التنقل إلى التحسير على ذلك ، فلذلك أودع حكاية كلامها خصوصيات من العربية تعبّر عن معان كثيرة قصدتها في مناجاتها بلغتها »«[545]» .

---

[544] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 146 .

[545] ــ التحرير والتنوير : ج 3 ، ص 232 ـ 233

ــ الخبر المراد به التوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾« [546] ».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : «**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ**» الآية توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ، ثمّ هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم »« [547] ». فالإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ يخبر بأنّ جملة «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا» جاءت في سياق الخبر المتضمن للتوبيخ أي توبيخ أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كتموا الدلائل الدّالة على نبوته صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، وكان الميثاق والعهد قد أخذ عليهم أن يبينوها للناس إذا سئلوا عنها ، ثمّ ذكر أنّ الخطاب وإن كان المقصود به معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فهو عام لمن يأتي بعدهم ممّن سئل عن علم أو شيء من شرع الله فكتمه ، فالخطاب كذلك يشملهم ، وقد نقل الإمام القرطبي كلام الإمام ابن عطية في تفسيره فقال : « ... هذا متصل بذكر باليهود ، فإنّهم أمروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره ، فكتموا نعته ، فالآية توبيخ لهم ، ثمّ مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم »« [548] ».

546 ــ سورة آل عمران : الآية 187

547 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 587

548 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 4 ، ص 304 .

ـــ الخبر المراد به التعجب :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾«[549]» قال ـ رحمه الله ـ : « وكفى به إثما مبينا خبر في مضمنه تعجب وتعجيب من الأمر ، ولذلك دخلت الباء لتدّل على معنى الأمر بالتعجب ، وأن يكتفي لهم بهذا الكذب إثما ولا يطلب لهم غيره إذ هو موبق ومهلك »«[550]» .

فالإمام ابن عطية يشير إلى أنّ و«كفى به إثما مبينا» جاءت في سياق الخبر المتضمن للتعجب والتعجيب أي التعجيب من حال هؤلاء الذين يزكون أنفسهم فهم بذلك يفترون على الكذب ، وكفى بهذا الزعم إثما عظيما عند الله من بين آثامهم ، وقد نقل الإمام أبو حيّان عن الإمام ابن عطية كلامه هذا في تفسيره «[551]».

ـــ الخبر المراد به الوعد والحض :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾«[552]».

قال ـــ رحمه الله ـــ « وقوله : «والله مع الصابرين » لفظ خبر في ضمنه وعد وحض على الصبر ، ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر »«[553]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ جملة والله مع الصابرين جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للحض والوعد أي حضّ المؤمنين بالثبات والصبر عند مجابهة الأعداء حتّى يتحقق لهم النصر والغلبة ، وفي

ـــــــــــــــــــ

[549]ـ سورة النساء : لآية 50

[550]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 77

[551]ـتفسير البحر المحيط : ج 3 ، 283

[552]ـ سورة الأنفال : الآية 66

[553]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 630

ضمنه كذلك وعيد لمن لم يصبر ، وحمل الإمام أبو حيّان هذه الجملة على نفس المعنى الذي أشار إليه الإمام ابن عطية ، حيث قال : « وفي قوله : «والله مع الصابرين » ترغيب في الثبات للقاء العدو وتبشير بالنصر والغلبة ، لأنّ من كان الله معه هو الغالب »«[554]» .

ومن خلال ما تقدّم عرضه أستخلص أنّ الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ اعتنى كثيرا بمبحث الخبر في تفسيره ، حيث حرص على إبراز الأساليب الخبرية الواردة في الآيات القرآن ، وذلك بالإشارة إلى الأغراض التي يخرج إليها الخبر في ضوء السياق القرآني ، وهي أغراض كثيرة ومتنوعة لها أثر كبير في إيضاح معاني القرآن الكريم ، كما أنّ إشاراته تتلاقى مع إشارات كثير من المفسرين وتتوافق معهم ، بل كان له تأثير فيمن بعده من المفسرين حيث قرّروا كثيرا مما أورده في تفسيره فيما يتعلق بمبحث الخبر .

المطلب الرابع : الخبر في تفسير الإمام ابن جزي

لقد أشار الإمام ابن جزي في تفسيره إلى بعض الأساليب الخبرية الواقعة في القرآن الكريم ، ونبّه على الأغراض التي تخرج إليها وتؤديها بسب السياق القرآن ، ومن جملة تلك الإشارات :

ــــ الخبر المراد به الأمر :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ ﴾«[555]»

قال ــ رحمه الله ــــ :««ما أنت بتابع قبلتهم » ، خبر يتضمن النهي ووحدّت قبلتهم ، وإن كانت جهتين لاتحادهم في البطلان »«[556]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للنهي أي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع قبلة المشركين ، وأمره باستقبال القبلة التي ارتضاها له سبحانه وتعالى ،

[554] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 512 .

[555]ــ سورة البقرة : الآية 145.

[556]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 91

وهي جهة الكعبة ، وقد حمل كثير من المفسرين الآية على معنى الخبر المتضمن للأمر أي أمره عليه الصلاة والسلام بعدم الركون للمشركين ، لأنّه يلزم من ذلك اتباعه صلى الله عليه وسلم لقبلتهم ، وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن عطية والإمام القرطبي ، حيث قال الأول ما نصّه : « ...لفظ خبر يتضمن الأمر ، أي فلا تركن إلى شيء من ذلك »«[557]» ، وقال الثاني : « لفظ خبر ويتضمن الأمر ، أي فلا تركن إلى شيء من ذلك »«[558]» ، وكيفما كان التقدير فإنّ الأمر بالشيء نهي عن ضدّه ، فإذ نهي صلى الله عن الركون إليهم ، فقد أمر باستقبال البيت الحرام .

ـــ الخبر المراد به الأمر :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾«[559]»

قال ـــ رحمه الله ـــ « ويتربصن خبر بمعن الأمر »«[560]».

فالإمام ابن جزي يرى أنّ جملة والمطلقات يتربصن جاءت في سياق الخبر المتضمن للأمر أي أمر المطلقات بالعدة وهي ثلاثة أشهر وذلك استبراء للأرحام محافظة على الأنساب ، وقد حمل كثير من المفسرين هذه الجملة على أنّها خبرية جاءت في سياق الأمر منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال :« يتربصن : خبر بمعنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والإشعار بأنّه ممّا يجب أن يسار إلى امتثاله ، وكأنّ المخاطب قصد أن يمتثل الأمر ، فيخبر عنه كقولك في الدّعاء : رحمك الله ، وبناءه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد: «بأنفسهن » تهييج وبعث لهن على التربص ، فإنّ نفوس النساء طوامح إلى الرجال ، فأمرن بأن يقمعنها ، ويحملنها على التربص »«[561]» ، وهذا ما أكّده

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[557] ـــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 209

[558] ـــ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، 162

[559] ـــ سورة البقرة : الآية 228

[560] ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص115

[561] ـــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1 ، ص 141.

كذلك الإمام الرّازي«[562]» ، فيما نقله عن الإمام الزمخشري ، حيث أخبر هذا الأخير ذكر بأنّ مجيء الأمر بصيغة الخبر يفيد تأكيد الأمر إشعارا بأنّه ممّا يجب أن يتعلق بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنّهن امتثلن الأمر بالتربص ، فهو يخبر عنه موجودا ، ونظيره قولهم في الدعاء : رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة كأنّها وجدت الرحمة ، فهو يخبر عنها »«[563]».

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ﴾»«[564]»

قال ــ رحمه الله ــ :« والوالدات يرضعن أولداهن خبر بمعنى الأمر »«[565]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ هذه الجملة جاءت في سياق الخبر المتضمن للأمر أي أمر الوالدات بإرضاع أولداهن ، ثمّ إنّ هذا الأمر قد يقتضى الوجوب تارة والندب تارة أخرى بحسب أحوال الوالدات من حيث البقاء في العصمة أو الطلاق ، أو غير ذلك من الحالات كما هو مفصّل في كتب الفقه ، وقد ذكر ما أورده الإمام ابن جزي في تفسيره كثير من أئمة التفسير منهم الإمام ابن عطية«[566]» ، والإمام البيضاوي«[567]» ، والإمام القرطبي «[568]»، والإمام أبو حيان «[569]»، وغيرهم من أئمة التفسير .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[562] ــ تفسير الفخر الرّازي : ج 6 ، ص 433.

[563] ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : ط ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ج 1، ص 298

[564] ــ سورة البقرة : الآية 233

[565] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 118

[566] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1 ، ص 300

[567] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج 1 ، ص 144

[568] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج3 ، ص 160

[569] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 2، ص 222

ـــ الخبر المراد به الترغيب :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾«[570]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « يقبض ويبصط » إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق »«[571]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ عبارة « يقبض ويبصط » جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للترغيب في الإنفاق ، وقريبا من هذا المعنى فسرّ الإمام الطاهر بن عاشور هذه العبارة ، حيث قال :« ... وفيه تعرض بالوعد بالتوسعة على المنفق في سبيل الله ، والتقتير على البخيل »«[572]» .

ـــ الخبر المراد به الامتنان والوعد :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾«[573]».

قال ـــ رحمه الله ـــ :« ويعلمكم الله إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأنّ من اتقى علّمه الله وألهمه ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية لا يعطيه ، لأنّه لو كان كذلك لجزم يعلمكم في جواب اتقوا ». «[574]»

فالإمام ابن جزي يرى أنّ جملة ويعلمكم الله جاءت في سياق الخبر المتضمن للامتنان أي امتنان الله عزّ وجل على عباده بالتقوى المؤدية إلى العلم ومعرفته سبحانه وتعالى حق المعرفة ، وذلك بتطبيق أحكامه وشرائعه ، ثمّ أورد رأيا آخر مفاده أنّ الآية قد تضمنت غرضا آخر وهو الوعد ،

---

570 ــ سورة البقرة : الآية 245

571 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 123

572 ــ التحرير والتنوير : ج 2، ص 483 .

573 ــ سورة البقرة : الآية 282

574 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 136 .

أي وعده سبحانه وتعالى لمن اتقاه بأن يعلمه من علمه ، فتكون التقوى بذلك ضمانا للعلم ، وقد استصوب هذا الرأي من جهة المعنى ، لكنّه رأى أنّ ألفاظ الآية لا تؤدي ذلك على مقتضى الصناعة النحوية ، لأنّه إذا كانت التقوى شرطا لحصول العلم لزم جزم الفعل «ويعلمكم الله» ،لأنّه يكون عند ذلك جوابا لفعل الشرط الذي هو « واتّقوا الله » ، وقد حمل بعض المفسرين جملة «واتقوا الله ويعلمكم الله »على معنى الوعد منهم الإمام القرطبي ، حيث قال في تفسيرها : « وعد من الله تعالى بأنّ من اتقاه علّمه ، أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه ...»«[575]» ، كما ذكر الإمام أبو حيّان أنّ بعض المفسرين حمل الآية على معنى الوعد ، فقال :« وقيل : معنى الآية الوعد ، فإنّ من اتقى علّمه الله ...»«[576]» .

ـــ الخبر المراد به التهديد :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾«[577]».

قال ــ رحمه الله ــ :« إخبار يتضمن تهديدا لقريش »«[578]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ جملة «كم أهلكنا من قبلهم من قرن » جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للتهديد ، أي تهديد كفار قريش بنزول العذاب بهم ، كما نزل على الأمم السابقة من قبلهم ، فنادوا عند وقوع الهلاك بهم لعلّهم يجيدون مغيثا فلم يجدوا ، وقد حمل الإمام ابن عطية الجملة على معنى الوعيد ، حيث قال : «« وكم » للتكثير ، وهي خبر فيه مثال ووعيد »«[579]»

---

[575]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 3 ، ص 406

[576]ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 371

[577] ــ سورة ص : الآية 3

[578]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 227

[579]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 561.

وعلى نفس المعنى حمل الجملة الإمام البيضاوي ، فقال : «"كم أهلكنا ..." وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا »«[580]» .

ــــ الخبر المراد به الوعظ والتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾«[581]».

قال ــ رحمه الله ــ :«"ألهاكم التكاثر" هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ »«[582]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للوعظ والتوبيخ ، أي توبيخ المتفاخرين من أبناء الدنيا في الأموال والأولاد ، وغيرها من حطام الدنيا حتّى شغلتهم هذه المباهاة عن اليوم الموعود فبغتهم الموت فجأة حتّى ألفوا أنفسهم من سكان المقابر ، فحذّرت الآية من سلوك طريق هؤلاء ، وقد أكّد هذا المعنى الإمام ابن عطية في تفسيره ، فقال : « ألهى معناه شغل بلذاته ، ومنه لهو الحديث والأصوات واللهو بالنساء ، وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ وتحسر ...»«[583]» .

فهذه هي إذن جملة الإشارات التي أشار إليها الإمام ابن جزي فيما تعلقّ بالأساليب الخبرية الواردة في الآيات القرآنية ، وهي تبرز اهتمامه بمبحث الخبر وذلك في حرصه على بيان الأغراض التي يخرج إليها الأسلوب الخبري ويؤديها بحسب السياق القرآني ، وهو في ذلك يتلاقى مع آراء كثير من المفسرين يتوافقون معه فيما اختاره وذهب إليه .

---

[580] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5، ص 23

[581] ــ سورة التكاثر : الآية 1

[582] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 563 .

[583] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 488.

ـــ المطلب الخامس : الخبر في تفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي

لقد أشار الإمام أبو حيّان في تفسيره إلى بعض الأساليب الخبرية الواقعة في القرآن الكريم ، ونبّه على الأغراض التي تخرج إليها وتؤديها بحسب السياق القرآن ، ومن جملة تلك الإشارات :

ـــ الخبر المراد به التهديد :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾«[584]» قال ــ رحمه الله ــ : «« والله عليم بالظالمين » جملة خبرية ، ومعناها التهديد والوعيد ، وعلم الله تعالى متعلق بالظالم وغير الظالم ، فالاقتصار على ذكر الظالم يدل على حصول الوعيد »«[585]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للتهديد والوعيد ، أي تهديد اليهود الظالمين ، لما زعموه وادّعوه من أمور باطلة كقولهم : بأنّ الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، وزعمهم أنّهم لن تمسّهم النار إلاّ أيّاما معدودات ، وادّعاءهم أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه ، فأراد الله جلّ وعلا أن يكذّبهم ويلزمهم الحجة ، فطلب منهم تمني الموت إن كانوا صادقين ، لأنّه إذا كانت هذه هي حالهم لزم أن يتعجّلوا الدارة الآخرة حتّى يذوقوا نعيمها ، لكنّهم كاذبون فيما زعموا ، فإنّهم لن يتمنوا الموت أبدا ، وقد علم الله تعالى بذلك قبل أن يخلقهم ، فلذلك أكّده بقوله :«وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا » ، ثمّ بيّن العلة المانعة من ذلك ، وهي قبح أعمالهم وسوء أفعالهم ، فجاءت إذن جملة والله عليم بالظالمين تتوعدهم وتخبرهم بأنّ الله عالم بهم ،وقد حمل هذه الجملة على معنى التهديد والوعيد الإمام ابن عطية ، حيث قال في تفسيره : « وقوله تعالى : «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد ، لأنّ الله عليم بالظالمين وغيرهم ، ففائدة

ــ[584] سورة البقرة : الآية 95

ــ[585] تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 480 .

تخصيصهم حصول الوعيد »«[586]» ، وعلى نفس المعنى حملها الشيخ الطاهر بن عاشور فقال : « ...خبر مستعمل في التهديد ، لأنّ القدير إذا علم بظلم الظالم لم يتأخر عن معاقبته »«[587]»

ــــ الخبر المراد به النهي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ ﴾«[588]» قال ــ رحمه الله ــ : ««وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ »: هذه جملة خبرية ، قيل ومعناها النهي : أي لا تتبع قبلتهم ، ومعناها الدوام على ما أنت عليه ...»«[589]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للنهي أي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع قبلة المشركين ، وأمره باستقبال القبلة التي ارتضاها له سبحانه وتعالى ، وهي جهة الكعبة ، وقد سبق القول بأنّ كثيرا من المفسرين حمل الآية على معنى النهي كالإمام ابن جزي ، ومنهم من حملها على معنى الأمر أي أمره صلى الله عليه وسلم باتباع القبلة التي ارتضاه الله تعالى له ، كالإمام ابن عطية «[590]»، والإمام القرطبي«[591]» ، والأمر بالشيء نهي عن ضدّه ، فكما أمر باستقبال جهة البيت ، فهو منهي عن اتباع قبلة المشركين .

[586] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 164 .

[587] ــ التحرير والتنوير : ج 1، ص 616

[588] ــ سورة البقرة : الآية 145

[589] ــ البحر المحيط : ج 1 ، ص 606

[590] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1، ص 209

[591] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 2، ص 162

ــــ الخبر المراد به التوبيخ والتقريع :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾«[592]».

قال ـــ رحمه الله ـ : «« إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » ظاهر هذه الجملة أنّها من كلام عيسى لاحتفافها بكلامه من قبلها ومن بعدها ، حكاه الله عنه ، وقيل : هو من كلام الله تعالى ، استئناف صيغته صيغة الخبر ، ومعناه التوبيخ والتقريع ، وأشير بذلك إلى ما تقدّم من جعل الطين طائرا ، والإبراء والإحياء والإنباء »«[593]».

فالإمام أبو حيّان يحكي قولين في جملة «إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» ، الأول : افتراض كون هذه الجملة من كلام عيسى عليه السلام لأنّها متعلقة بما سبقها من كلام الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام ، والثاني : افتراض كونها ابتدائية استئنافية ، وعليه فتكون من كلام الباري تعالى ، وتكون عند ذلك جملة خبرية متضمنة للتوبيخ والتقريع ، أي توبيخ النصارى في عدم إيمانهم به عليه السلام بالرغم ممّا جاء به من الآيات والمعجزات من إحياء الأموات وشفاء المرضى والإخبار بالمغيبات ، فهذه الآيات كفيلة بإيمانهم وإقرارهم بنبوته عليه السلام ، والذي يظهر والله أعلم أنّ القول الثاني القاضي بأنّ هذه الجملة استئنافية هو الصحيح ، لأنّ أداة التوكيد إنّ لا تكسر إلاّ في ابتداء الكلام ، فتكون الجملة بذلك ابتدائية من كلام الله تعالى متضمنة لمعنى التوبيخ والتقريع .

---

592 ــ سورة آل عمران : الآية 49

593 ــــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 490

ـــ الخبر المراد به التخويف والتنبيه :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾«[594]»

قال ـــ رحمه الله ـــ : ««وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » جملة خبرية تتضمن التنبيه والتخويف لمن ترك امتثال ما أمر به من الإسلام والصلاة واتقاء الله ، وإنّما تظهر ثمرات فعل هذه الأعمال وحسرات تركها يوم الحشر والقيامة »«[595]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ قوله تعالى : «وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ »«[596]» جاء في سياق الخبر المتضمن للتنبيه والتخويف ، أي تنبيه المؤمنين بضرورة امتثال ما أمرهم الله به من إقامة الصلاة واتقاءه ، وأمّا التخويف فهو يشملهم ويشمل منكري الحشر من المشركين ، فالجملة جاءت لإثبات ما أنكره هؤلاء من كونهم لا يرجعون لا يحشرون ، وقد أكّد هذا المعنى الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال في تفسيره ما نصّه : « وجملة : «وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » إمّا عطف على جملة « اتقوه » عطف الخبر على الإنشاء ، فتكون من جملة القول المأمور به بقوله : « قل إنّ هدى الله » ، أي وقل لهم : وهو الذي إليه تحشرون ، أو عطف على قل ، فيكون من غير المقول ، وفي هذا إثبات للحشر على منكريه ، وتذكير به للمؤمنين به تحريضا على إقامة الصلاة والتقوى »«[597]» .

[594] ــ سورة الأنعام : الآية 72

[595] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 164

[596] ــ سورة الأنعام : الآية 72

[597] ــ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 306.

ــ الخبر المراد به الدّعاء :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾«[598]».

قال ــ رحمه الله ــ :« صرف الله قلوبهم صيغته خبر ، وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عمّا في قلوب أهل الإيمان ، قاله الفرّاء »«[599]».

، فالإمام أبو حيان ينقل عن الإمام الفرّاء أنّ جملة : «صرف الله قلوبهم » جاءت في سياق الخبر المتضمن للدّعاء ، أي الدعاء على المنافقين الذين ينصرفون من المجالس عند نزول الوحي وهم يتغامزون ، ويضحكون ، فدعا الله عزّ وجلّ عليهم بصرف الإيمان عن قلوبهم جزاء انصرافهم ، عند نزول الوحي ، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى احتمال الآية لمعنيين ، فهي إمّا أن تكون خبرية ، فحسب ، وإمّا أن تكون دعائية أي متضمنة للدّعاء فحسب دون الإخبار ، وممّن قال بهذا الإمام ابن عطية حيث أورد في تفسيره ما نصّه : « وقوله : «صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم »«[600]»يحتمل أن يكون دعاء عليهم ، ويحتمل أن يكون خبرا أي استوجبوا ذلك »«[601]» ، كما اختار هذا القول الإمام البيضاوي فقال :« صرف الله قلوبهم عن الإيمان ، وهو يحتمل الدّعاء والإخبار »«[602]».

---

[598] ــ سورة التوبة : الآية 127

[599] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 120.

[600] ــ سورة التوبة : الآية 127

[601] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 113 .

[602] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج3 ، ص 103.

ـــ الخبر المراد به الأمر :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾«[603]»

قال ــ رحمه الله ـــ : « و«فليلقه» أمر معناه الخبر ، وجاء بصيغة الأمر مبالغة ، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «قوموا فلأصلّ لكم» ، أخرج الخبر في صيغة الأمر لنفسه مبالغة ، ومن حيث خرج الفعل مخرج الأمر حسن جوابه كذلك ، وهو قوله : يأخذه »«[604]».

فالإمام أبو حيّان يرى أنّ جملة «فليلقه اليم بالسّاحل» جملة خبرية خرجت مخرج الأمر ، أي أمر أمّ موسى عليه السلام بإلقائه في اليّم ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا في المطلب الخاص بتناول الإمام ابن عطية لأسلوب الخبر، ويلحظ من كلام الإمام أبي حيّان هذا نقله عن الإمام بن عطيّة ، فهو بحذافيره في تفسيره ، ممّا يؤكد اقتباسه منه ، ونقله عنه .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾«[605]».

قال ـ رحمه الله ـــ :« ... وقيل لفظه خبر ، ومعناه الأمر ، تقديره : فاكرهوه ، ولذلك عطف عليه واتّقوا الله »«[606]».

فالإمام أبو حيّان يحكي قولا بصيغة التمريض مفاده : أنّ لفظة فكرهتموه خبرية جاءت في سياق الأمر ، أي أمر المؤمنين بكراهية الغيبة وبغضها كما تكرهون أكل لحوم إخوانكم ميتة ، فإذا اشمئززتم من ذلك واستقذرتموه ، فاكرهوا الغيبة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي الإمام القرطبي ، حيث

603 ـــ سورة طه : الآية 39

604 ـــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 226 .

605 ـــ سورة الحجرات : الآية 12

606 ـــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 114 .

قال في تفسيره : ««فكرهتموه » وفيه وجهان : أحدهما : فكرهتم أكل الميتة ، فكذلك فاكرهوا الغيبة ، روي معناه عن مجاهد ، الثاني : فكرهتم أن يغتابكم الناس ، فاكرهوا غيبة الناس ، وقال الفرّاء : أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه ، وقيل : لفظه خبر ومعناه أمر ، أي اكرهوه »«[607]» ،كما أورد هذا الرأي الإمام ابن جزي ، فقال : « ... وقيل : فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير ، كأنّه لم قرّرهم قال : هل يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتا أجابوا فقالوا : لا نحبّ ذلك فقال لهم : فكرهتموه ، وبعد هذا محذوف تقديره : فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه ، وحذف هذا لدلالة الكلام عليه »«[608]» .

وممّا سبق عرضه يمكن القول بأنّ الإمام أبا حيّان قد احتفى واعتنى بمبحث الخبر في تفسيره ، وذلك بإشارته لبعض الأغراض التي يخرج إليها الخبر ويؤديها ، وقد تنوعت مظاهر إشارته له ، فمنها ما انفرد به ، ومنها ما نقله عمّن سبقه من المفسّرين ، وفي كلتا الحالتين فإشارته تتوافق وتتلاقى مع إشارات كثير من المفسّرين ، ويتفق معهم في بيان الأغراض ، وتحليل الأساليب .

ــــ المطلب السادس : الخبر في تفسير الإمام ابن عرفة

وردت الإشارة في تفسير الإمام ابن عرفة لبعض الأساليب الخبرية الواردة في الآيات القرآنية ، غير أنّها لم تكن كثيرة ، بل كانت إشارات محدودة لا تتجاوز ثلاثة مواضع فحسب في تفسيره كلّه ، وسأعرض لهذه الإشارات في هذا المطلب .

الخبر المراد به الأمر :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾«[609]» .

---

[607] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 16 ، 335

[608] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 333

[609] ــ سورة آل عمران : الآية 119

قال ــ رحمه الله ــ : «﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾»«[610]» : قيل : إنّه خبر كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾«[611]» ، وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾«[612]» ، هو أمر مراد به الخبر ، وقيل إنّه دعاء ، والظاهر إنّه خبر ، لأنّه مستقبل أي يموتون بغيظكم ، وليس الموت من فعلهم حتّى يؤمرون »«[613]»

فالإمام ابن عرفة يورد قولا في معنى جملة «قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ»بصيغة التمريض مفاده أنّها جملة خبرية في معنى الأمر شبيهة بقوله تعالى : « فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ » وقوله تعالى :« فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا»«[614]» ، ثمّ أورد قولا آخر في الجملة بأنّها دعائية ، ليخلص بعدها لترجيح كونها خبرية محتجا لذلك بكون صيغة الكلام جاءت في المستقبل ، وقد ذهب كثير من المفسّرين إلى أنّها دعائية ، أي أمر مراد به الدّعاء عليهم ، في حين حكى الإمامان القرطبي وأبو حيّان قولان في معناها مثلما حكاه الإمام ابن عرفة ، لكن دون ترجيح منها ، حيث قال الإمام القرطبي ما نصّه «[615]»: « إن قيل : كيف لم يموتوا ، والله تعالى إذا قال لشيء كن فيكون ، قيل عنه جوابان :

أحدهما : قال فيه الطبري وكثير من المفسّرين : هو دعاء عليهم ، أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا ، فعلى هذا يتجه أن يدعوا عليهم بهذا مواجهة ، وغير مواجهة بخلاف اللعنة .

الثاني : إنّ المعنى أخبرهم أنّهم لا يدركون ما يأملون ، فإنّ الموت دون ذلك ، فعلى هذا المعنى زال معنى الدّعاء ، وبقي معنى التقريع والإغاظة ، ويجري هذا المعنى مع قول مسافر بن أبي عمرو :

---

[610] ــ سورة آل عمران : الآية 119

[611] ــ سورة الحج : الآية 15

[612] ــ سورة مريم : الآية 75

[613] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص404

[614] ــ سورة مريم : الآية 75

[615] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 4 ، ص 182.

ويتمنى في أورمتنا ونفقأ عين من حسدا «[616]» ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾«[617]» ،

ونفس ما ذكره الإمام القرطبي أورده الإمام أبو حيّان قائلا :« ... ظاهره أنّه صلى الله عليه وسلم أمر بأن يقول لهم ذلك ، وهي صيغة أمر ومعناها الدّعاء ، أي أذن الله لنبيه أن يدعو عليهم لما يئس من إيمانهم هذا قول الطبري ، وكثير من المفسرين قالوا : فله أن يدعو مواجهة ، وقيل : أمر هو وأمته أن يواجهوهم بهذا ، فعلى هذا زال معنى الدعاء ، وبقي معنى التقريع ، قاله : ابن عطية ، وقيل: صورتّه أمر ومعناه الخبر ، والباء للحال أي تموتون ومعكم الغيظ على جهة الذم على قبيح ما عملوه »«[618]»

فهذان القولان عن الإمامين القرطبي وأبي حيّان يوافقان قول الإمام ابن عرفة ، غير أنّه انفرد عنهما بترجيح كون الجملة خبرية ، وليست خبرية ، فيكون هذا من اختياراته وترجيحاته .

ــــ في تفسير قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾«[619]».

قال ــــ رحمه الله ــــ : « هذا خبر في معنى الأمر ، وإن كان حقيقة لزم عليه أحد الأمرين إمّا الخلف في الخبر ، لأنّ بعض المؤمنين يقاتل ليأخذ الغنيمة ، ويقاتل للحمية ، وإظهار القوّة والشجاعة والانتقام من عدّوه ، وإمّا مذهب المعتزلة وهو أنّ من قاتل ولم يخلص النية في قتاله لله يكون غير مؤمن ، فالصّواب أنّه خبر في معنى الأمر ، وهذه الآية احتراز لأنّ قبلها ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ

---

[616] ــ ينظر: الأغاني ، الأصفهاني ، ج 9 ، ص 68 . وفيه «وزمزم من أورمتنا» بدل «ويتمنى في أورمتنها »

[617] ــ سورة الحج : الآية 15

[618] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 44

[619] ــ سورة النساء : الآية 76

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ﴾«[620]» ، لأنّه لم يتعين من هم فيقولون المنافقون نحن هم »«[621]».

فالإمام ابن عرفة يخبر بأنّ جملة «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ» جاءت في سياق الخبر المتضمن للأمر ، أي أمر المؤمنين بضرورة قتال المشركين والكفار وتحريضهم على ذلك ، فهم أولياء الشيطان وحزبه ، وقد ذكر كثير من المفسرين أنّ مقصود الآية هو تقوية قلوب المؤمنين وتحريضهم على القتال ، لكنّهم لم ينّصوا على أنّها خبر ، إلاّ إشارة من الإمام ابن جزي ذكر فيها أنّ جملة «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ »وما بعدها من الآية بمثابة إخبار قصد تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم ، فقال : « الذين آمنوا ... وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال »«[622]».

الخبر المراد به التهديد:

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾«[623]».

قال ــ رحمه الله ــ :« هذا خبر في معنى الأمر الوارد للتهديد، لأنّها إنذار لمن شاء الإيمان إن لم يؤمن »«[624]».

فالإمام ابن عرفة يرى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الخبر المتضمن للتهديد ، أي تهديد وتوعد من تأخر عن الإيمان بالكفر ، وعن الطاعة بالمعصية ، وعن تصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، بالتكذيب به ، وقد ذكر الإمام القرطبي أنّ هذه الآية تضمنت وعيدا وتهديدا ، وإن خرجت مخرج

---

[620]ــ سورة النساء : الآية 74

[621] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 40 .

[622]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 200

[623] ــ سورة المدّثر : الآية 37

[624] ــ تفسير ابن عرفة : ج 4 ، ص 321 .

الخبر ، وذلك فيما نقله عن الحسن رضي الله عنه ، فقال : « قوله تعالى : «لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ»«[625]» ... قال الحسن : هذا وعيد وتهديد ، وإن خرج مخرج الخبر ...»«[626]» .

وأستخلص ممّا سقته من نماذج عن هؤلاء المفسرين أنّهم قد اهتموا بمبحث الخبر واحتفوا به في تفاسيرهم ، على تفاوت بينهم في كثرة الإشارة ، وحسن التحليل والإيضاح في بيان الأغراض التي تخرج إليها ، كما أنّ منهم من كان له تأثير فيمن بعده من المفسرين كالإمام مكي وابن عطية اللّذين تردّدت أقوالهما في كتب كثير من المفسرين من بعدهما كالإمام ابن جزي وأبي حيّان ، وهي بالجملة تعطي تصورا لا بأس به عن قيمة هذا الأسلوب في نظرهم ، وذلك بالتنبيه على الأغراض التي يخرج إليها وبيان أثرها في إيضاح معاني القرآن الكريم .

المطلب السابع : تعريف الإنشاء

قبل التعرض لتعريف الإنشاء عند البلاغيين وجب الوقوف على مدلول هذا المصطلح في اللغة ، وهذا ما أسعى لبيانه من خلال النظر في كتب المعاجم والقواميس لتمدّنا بمدلول هذا المصطلح ، فالتعريف اللغوي ، له أثر في بيان المعنى الاصطلاحي .

جاء في لسان العرب لابن منظور ما نصّه : « أنشأه الله خلقه ، ونشأ ينشأ نشئا ونشواء ونشاء ونشأة ونشاءة حيي ، وأنشاء الله الخلق ، أي ابتدأ خلقهم »«[627]».

وقال الإمام الزبيدي رحمه الله :« وأنشأه الله خلقه ، ونشأه وأنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم »«[628]»

---

[625]ــ سورة المدثر : الآية 37

[626] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 19 ، ص 86 .

[627]ــ مادة نشأ ، ج 1 ، ص 170

[628] ــ تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة نشأ ، ج 1 ، ص 463

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى الخلق والابتداء ، هذا في اللغة ، أمّا في الاصطلاح فإنّه بالنظر لما سطّره البلاغيون في حدّه نجد أنّه ليس ثمّت تلازم أو علاقة بين ما ورد في كتب المعاجم والقواميس وما جاء في كلامهم ، فهم يعرّفونه بأنّه كلّ كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقعخارجي يطابقه أو لا يطابقه »«[629]» ، وعلى هذا الأساس عرّفه المتقدّمون فقال الإمام الجرجاني : « الانشاء قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه »«[630]».

هذا والإنشاء عندهم قسمان : طلبي وغير طلبي

فأمّا الطلبي فحدّوه بأنّه «ما استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، لامتناع تحصيل الحاصل »«[631]» ، وأقسامه خمسة ، وهي : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء .

وغير الطلبي : هو ما لا يستدعي مطلوبا وقت الطلب ، وله صيغ كثيرة ، كالمدح والذّم ، والتعجب ، والقسم ،والرجاء وصيغ العقود.

والذي يبحث فيه البلاغيون ، ويتكلمون فيه هو الإنشاء الطلبي ، لذلك قال الإمام القزويني بعد تعريفه : «وهو المقصود بالنظر ههنا »«[632]» ، وإنّما كان هو المعني بالبحث دون الآخر لأنّ أساليبه تخرج إلى أغراض كثيرة ومتنوعة لها أثر في تحسين الكلام وتقريبه .

وأمّا الغير الطلبي فالبلاغيون لا يهتمون به ولا يبحثون فيه ، لأنّهم يرون أنّ الأغراض التي تخرج إليها هذه الأساليب قليلة مقارنه بأساليب الإنشاء الطلبي ، إضافة لكون أساليب الإنشاء غير الطلبي في أغلبها أخبار نقلت إلى الإنشاء ، وفي صدد هذا يقول الإمام التفتازاني : « فالإنشاء إن لم يكن طلبا كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذّم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك ، فلا

[629] ــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، ص 195

[630] ــ التعريفات : ط 1 ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1405 هـ ، ص 56.

[631] ــ الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، ص 130

[632] ــ المصدر نفسه : ص 130

يبحث عنها ههنا ، لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها ، أو لأنّ أكثرها في الأصل أخبارا نقلت إلى معنى الإنشاء »«[633]» ، ولذا فإنّ بحثي لأسلوب الإنشاء عند المفسرين المغاربة سيقتصر على الإنشاء الطلبي .

وبعد هذه التوطئة لمبحث الإنشاء ببيان حدّه وذكر أقسامه ، أنتقل لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول هذا الأسلوب ، وذلك بغية الوقوف على مدى اعتناءهم به من خلال إشاراتهم له في الآيات القرآنية المتضمنة له ، وبيانهم للمقاصد والأغراض التي يؤديها ، وسأقتصر على نوعين فحسب من أنواع الأسلوب الإنشائي وهما : الأمر والاستفهام ، وذلك لكثرة دورانهما وترددهما في تفاسيرهم مقارنة بالأنواع الأخرى ، إذ تكاد تخلوا من الذكر والورود .

المطلب الثامن : أسلوب الإنشاء في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي (الهداية إلى بلوغ النهاية)

لقد أشار الإمام مكي رحمه الله في تفسيره إلى أسلوبي الأمر والاستفهام اللّذين هما من الأساليب الإنشائية، ونبّه على الأغراض التي يخرجان إليها في ضوء السياق القرآني، وسأورد بعض النماذج التي تبرز احتفائه واعتناءه بهما:

الفرع الأول : الأمر :

الأمر في اللغة نقيض النهي أمره به وأمرهُ الأخيرة عن كراع ، وأمره إيّاه على حذف الحرف يأمره أمرا وإمارا ، فأْتمر أي قبل أمره «[634]» .

هذا في اللغة ، وأمّا في البلاغة ، فقدّ حدّه بعضهم بقوله : « هو صيغة تستدعي الفعل ، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء »«[635]» ، وله صيغ أربعة وهي :

---

633 ــمختصر المعاني : ط 1 ، بيروت ، دار الفكر ، 1411 هـ ، ص 121 .

634 ــ لسان العرب : ابن منظور ، ج 4 ، ص 26 (مادة أمر)

635 ــ ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، د ط ، القاهرة ، 1374هـ ــ 1954 م ، : ج 3، ص 281 .

ـ فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾«[636]»

ـ المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾«[637]»

ـ اسم فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾«[638]»

ـ المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾«[639]»«[640]» ، غير أنّ أظهر صيغ الأمر هي الفعل المضارع المقرون باللاّم ، فهي موضوعة لطلب الفعل استعلاء لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ، وتوقف ما سواه على القرينة «[641]»

هذا وقد يخرج الأمر من صيغته الأصلية التي تقتضي طلب الفعل من جهة الأعلى إلى الأدنى إلى أغراض أخرى حسبما يقتضيه سياق الكلام ، ومن جملة الأغراض التي نبّه عليه الإمام مكي في تفسيره وبيّنها ما يلي :

[636] ـ سورة النور : الآية 56

[637] ـ سورة الطلاق : الآية 7

[638] ـ سورة المائدة : الآية 105

[639] ـ سورة الأنعام : الآية 151

[640] ـ النّظم القرآني في تفسير الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون : عقيد خالد حمودي يحيى العزّاوي ، ط 1 ، دمشق ـ دار العصماء ، 1433 هـ ـ 2012 م ، ص 24

[641] ـ ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ص 141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــــ الأمر المراد به التهديد والوعيد :

وقد نصّ ابن قتيبة على مجيئ الأمر للتهديد فقال : « ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد ، كقوله تعالى: «﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾»[642] «[643]» ، ومن إشارة الإمام مكي له في تفسيره في المواضع الآتية :

ــــ في تفسير قوله تعالى :﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾«[644]» قال ــ رحمه الله ــ : « معنى ذلك التهديد والوعيد للمشركين »«[645]».

فالإمام مكي ــ رحمه الله ــ يرى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الأمر المتضمن للتهديد والوعيد ، أي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يترك الكفار يأكلوا ويتمتعوا ويأخذوا نصيبهم من الدنيا وحظهم منها فهذا مبلغهم من العلم ، وفي ضمن هذا الأمر تهديد وتوعد للكفار والمشركين المكذبين بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار إلى هذا المعنى كثير من المفسرين الإمام ابن عطية ، حيث قال :« وقوله : « ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ »«[646]» وعيد وتهديد ، وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف ، وقوله : «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » وعيد ثان»«[647]» ، كما أشار إلى ذلك الإمام أبو حيّان فقال : « ... ثمّ أمر تعالى نبيّه بأن يذرهم وهو وعيد لهم وتهديد ، أي ليسوا ممّن يرعوي عن ما هو فيه من الكفر والتكذيب ، ولا ممّن تنفعه النصيحة والتذكير ، فهم إنّما حظّهم حظّ

---

[642] ــ تأويل مشكل القرآن : ، ط 2 ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار التراث 1393هـ ــ 1973 م ص 280.

[643] ــ سورة فصّلت : الآية 40

[644] ــ سورة الحجر : الآية 3

[645] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 6 ، ص 3862

[646] ــ سورة الحجر : الآية 3

[647] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 348

البهائم من الأكل والتمتع بالحياة الدنيا ، والأمل في تحصيلها هو الذي يلهيهم ويشغلهم عن الإيمان بالله ورسوله »«[648]» .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾«[649]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : «فليؤمن» و «فليكفر» لفظه لفظ الأمر ، ومعناه التهدد والوعيد »«[650]».

فالإمام مكي يرى أنّ هذه الجملة جاءت في أسلوب الأمر المتضمن للتهديد والوعيد ، وفيها تخيير بن الإيمان والكفر ، فكلّ إنسان يختار ما يشاء بتوفيق الله ، فمنهم من يختار الإيمان فينجيه ، ومنهم من يختار الكفر فيهلكه ، وقد أشار إلى تضمن هذه الآية معنى التهديد والوعيد كثير من المفسرين منهم الإمام ابن عطية ،فقال : « ... الآية توعد وتهديد ، أي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله »«[651]»، كما أشار إلى ذلك الإمام أبو حيّان فقال : « ... وهذا الذي لفظه لفظ الأمر معناه التهديد والوعيد ... »«[652]» .

---

[648]ــتفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 432 .

[649]ــ سورة الكهف : الآية 29

[650]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 6 ، ص 4368

[651]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 537 .

[652] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 90.

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[653]»

قال ــ رحمه الله ــ «[654]» :« معنى الكلام التهدد والوعيد ، أي اعملوا على تمكنكم من العمل الذي تعملونه مثل قوله : «فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ »«[655]».

فالإمام مكي يرى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الأمر المتضمن للتهديد والوعيد ، وذلك بأمرهم أن يعملوا ــ أي الكفار ـ على الحالة التي هم عليها من القوة والشدّة والبطش وأنا عامل على حالتي من تبليغ دين الله ، فسوف نرى من يصيبه العذاب ، وقد نبّه على تضمن الأمر في هذه الآية معنى التهديد والوعيد كثير من أئمة التفسير منهم الإمام ابن عادل فقال : « وهذا أمر تهديد أي أنّكم تعتقدون في أنفسكم أنّكم في نهاية القوة والشدّة ، فاجتهدوا في أنواع مكركم ، وكيدكم فإنّي عامل في تقرير ديني فسوف تعلمون أنّ العذاب والخزي يصيبني أو يصيبكم »«[656]»، كما أشار إلى ذلك الإمام ابن عطية«[657]» والإمام الرّازي «[658]» ، وابن جزي«[659]»

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾«[660]».

قال ــ رحمه الله ــ « هذا وعيد وتهديد وليس بإباحة لهم أن يعملوا ما يريدون ، إنّما هو تواعد و إعلام أنّ الله عزّ وجلّ ذو خبر وعلم بما يعملون لا يخفى عليه شيء »«[661]».

---

[653] ــ سورة الزمر : الآية 39

[654] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، ص 6344 .

[655] ــ سورة الكهف : الآية 29

[656] ــ اللباب في علوم الكتاب : ط 1 ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1419 هـ ـ 1998 م ، ج 16 ، ص 518.

[657] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3، ص 217

[658] ــ مفاتح الغيب : ج 18، ص 416

[659] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 369

[660] ــ سورة فصّلت : الآية 40

[661] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، ص 6533 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالإمام مكي يخبر بأنّ هذه الآية : جاءت في صيغة الأمر المستعمل للتهديد وليس للإباحة مع تضمنّها كذلك للوعيد أي توعد المولى جلّ وعلا للمشركين بمجازاتهم على أعمالهم ، فأخبر وأكدّ بأنّه تعالى عالم ومحيط بهم لا يخفى عليه منهم شيء .

ـــ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾«[662]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : ««فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ» هذا تهدد ووعيد أي فسوف تلقون ما يسؤوكم إن تماديتم على كفركم »«[663]» .

فالإمام مكي يخبر بأنّ لفظة فسوف يعلمون جاءت في أسلوب الأمر المتضمن للتهديد والوعيد أي تهديد الكفار والمشركين وتوعدّهم إن هم بقوا على ما هم عليه من الشرك والكفر فسوف يلحقهم العذاب وينزل بهم .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾«[664]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا تهديد ووعيد لكفار قريش ومن كان على دينهم ، أي دع يا محمد هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين و عن الشمال عزين يخوضوا في باطلاهم ويلعبوا في هذه الدنيا حتّى يلاقوا يوم القيامة الذي وعدوا به ».«[665]»

فالإمام مكي يرى أنّ هذه الآية جاءت في أسلوب الأمر المتضمن للتهديد والوعيد ، أي أمره صلى الله عليه وسلم بأن يترك المشركين على حالهم ولا يكترث لما هم عليه من الكفر واغترارهم

---

[662] ـــ سورة الزخرف : الآية 89

[663] ـــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، ص 6715

[664] ـــ سورة المعارج : الآية 42.

[665] ـــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12 ، ص 7723.

بالحياة الدنيا فإنّ لهم يوم يلاقونه فيحل بهم ما يوعدون ، ففيه ـ أي هذا الأمر ـ معنى الوعيد ، وقد أشار إلى تضمنه معنى الوعيد الإمام ابن عطية«[666]» وابن جزي«[667]» وأبو حيّان«[668]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾«[669]».

قال ـ رحمه الله ـ :« هذا وعيد وتهديد للمشركين المكذبين بما ذكره الله في هذه السورة وغيرها من مجازاته للمتقين وانتقامه من المكذبين ، أي كلوا في بقية آجالكم أيّها المكذبون ، وتمتعوا بقية أعماركم ...»«[670]»

فالإمام مكي يخبر بأنّ قوله تعالى : «كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ» فيه معنى الوعيد والتهديد للمشركين المكذبين بما ذكره الله تعالى في الآيات السابقة من جزاء المتقين ، فقد أمرهم بأن يأكلوا ويتمتعوا في هذه الحياة الدنيا لأنّ ذلك هو مبلغهم منها ، ثمّ في الآخرة يحيق بهم العذاب بسبب شركهم وكفرهم فلا يجدون لهم وليا ولا نصيرا ، وقد ذكر خروج هذا الأمر منه سبحانه وتعالى مخرج التهديد والوعيد الإمام ابن عطية فقال : « وقوله تعالى : «كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ» مخاطبة لقريش على معنى قل لهم يا محمد ، وهذه صيغة أمر معناها التهديد والوعيد ، وقد بيّن ذلك قوله : «قليلا » ، ثمّ قرّر لهم الإجرام الموجب لتعذيبهم »«[671]» ، كما أشار إلى ذلك الإمام القرطبي«[672]» وابن جزي «[673]» وأبو حيّان«[674]» والسمين الحلبي «[675]».

---

[666] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 5 ، ص 343.

[667] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 459.

[668] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 330.

[669] ـ سورة المرسلات : الآية 46.

[670] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12 ، ص 7977.

[671] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 394 .

[672] ـ الجامع لأحكام القرآن :ج 19، ص 168.

[673] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 492 .

[674] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 399 .

ـــ الأمر المراد به التقريع والتبكيت :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَسَـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ ﴾«[676]» قال ــ رحمه الله ــ :« وسؤاله صلى الله عليه وسلم إيّاهم كان على التقرير والتبكيت لهم ، ويذكرهم بقديم كفرهم وفسقهم ، وقد كان الله عزّ وجلّ أعلمه بأمر القرية »«[677]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ أمر المولى جلّ وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم بسؤال بني إسرائيل عن أمر القرية يراد منه التقريع والتبكيت لبني إسرائيل ، وليس المراد منه الاستفادة والزيادة عن حالهم ، فإنّ الله جلّ وعلا أطلعه من وحيه على أخبارهم وقصصهم ، وما هم عليه من قديم الكفر والعصيان والفسق ، فتكذيبهم له ليس بأمر جديد عليهم فهذا هو ديدنهم مع سائر الأنبياء والرسل ، وقد ذكر كثير من أئمة التفسير أنّ غرض هذا السؤال هو التقرير والتقريع منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال : « وسألهم : للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم ، والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلاّ بتعليم أو وحي ليكون ذلك معجزة عليهم »«[678]» ، كما أشار إلى ذلك الإمام القرطبي«[679]» وابن جزي«[680]» والشيخ الطّاهر بن عاشور «[681]».

[676] ــ سورة الأعراف : الآية 163.

[677] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 2599.

[678] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 39

[679] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج7 ، ص 304.

[680] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1، ص 320.

[681] ــ التحرير والتنوير :ج 9، ص 147.

ــ الأمر المراد به التقريع والتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾«[682]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وهذا كلام معناه التقريع والتوبيخ ، وليس بمدح له ، إنّما هو على طريق الحكاية لما كان يدّعي في الحياة الدنيا من العزّة والكرم ، إذ كان يقول : أنا العزيز الحكيم ، فقرع به عند حلول العذاب به ، إذ صار في ذلة وهوان ، فكأنّه قيل له : ذق العذاب إنّك كنت تقول : أنا العزيز الكريم ، فأنت الذليل المهان ، فأين ما كنت تقول في الدنيا ، وذلك أشدّ لنكاله وحسرته »«[683]».

فالإمام مكي يرى أنّ هذا الأمر الوارد في هذه المخاطبة جاري على أسلوب التقرير والتوبيخ ، والمقصود به به الاستخفاف والانتقاص فيمن ادّعى العزّة والكرامة في الحياة الدنيا وهو أبو جهل ، فقد روي أنّ الآية نزلت فيه لما قال: والله ما بين جبليها أعزّ مني ولا أكرم ، فأجابه الله تعالى بنقيض ذلك فقال له : ذق إنّك أنت الذليل المهان غدا يوم القيامة ، وقد أشار إلى هذا المعنى هذا كثير من أئمة التفسير منهم الإمام ابن عطية« [684] » والقرطبي « [685]»، وابن جزي « [686]» وأبو حيّان«[687]» .

---

[682] ــ سورة الدخان : الآية 49 .

[683] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، ص 6755

[684] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 68

[685]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 16، ص 151

[686]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 301.

[687]ــ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 40

ــــ الأمر المراد به الخبر :

في تفسير قوله تعالى :﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾«[688]».

قال ــ رحمه الله ــ « وخرج قوله : « أنفقوا » مخرج الأمر ، ومعناه الخبر ، وإنّما تفعل العرب ذلك في الموضع الذي يحسن فيه «إن» التي للجزاء ، ومنه قوله تعالى : «ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الجزاء ، والجزاء خبر ، ومنه قول كثير :

أسيئ بنا أو أحسني لا ملومة   لدينا ولا مقليّةً إن تقلّت «[689]».

فالمعنى إن تنفقوا طائعين أو كارهين فلن يقبل منكم ، وجاز أن يقع لفظ الأمر بمعنى الخبر ، كما جاز أن يقع لفظ الخبر بمعنى الطلب والأمر ، تقول: غفر الله لزيد ، معناه : الطلب والدّعاء ، ولفظه لفظ الخبر ، والمعنى اللهم اغفر لزيد »«[690]».

فالإمام مكي يرى أنّ لفظة أنفقوا خرجت مخرج الأمر المراد به الخبر ، أي إخبار المنافقين بأنّهم لن تقبل منهم نفقاتهم في كلتا الحالتين سواء أنفقوا طوعا أو كرها ، وفي هذا مبالغة في عدم قبول نفقاتهم وعدم نفعها لهم ، لأنّهم قوم فاسقون كما عللّ الله ذلك بقوله : «إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ » ، ثمّ بينّ الإمام مكي أنّ هذا النوع من الأسلوب تستعمله العرب ويكثر في الجزاء أو الشرط ، ومثّل لذلك بقوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾«[691]» فلفظة استعفر لهم واقعة في أسلوب الأمر المراد به الخبر ،

[688] ــ سورة التوبة : الآية 53.

[689] ــ ينظر : خزانة الأدب : الحموي ، ج 5 ، ص 212 .

[690] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 3024.

[691] ــ سورة التوبة : الآية 80

والدليل على ذلك وقوع إن الشرطية بعدها في لفظة : «إن تستغفر » ، ثمّ مثّل له ببيت كثير عزّة ومعناه كما ذكر أبو حيّان :« ولا نلومك أحسنت إلينا أو أسأت »«[692]» ، هذا وقد ذكر الإمام الزمخشري هذا المعنى في تفسيره ، وأشار إلى مجيئ لفظة أنفقوا في معنى الأمر المراد به الخبر ، فقال : « ... فإن قلت : كيف أمرهم بالإنفاق ، ثمّ قال : « لن يتقبّل منكم ؟ قلت : هو أمر في معنى الخبر ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾«[693]» ، ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ، ونحوه قوله تعالى : «ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ »«[694]» ، وقوله : أسيئ بنا أو أحسني لا ملومة ، أي لن يغفر الله لهم ، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، ولا نلومك أسات إلينا أم أحسنت ، فإن قلت : متى يجوز نحو هذا ، قلت : إذا دلّ عليه الكلام كما جاز عكسه في قولك : رحم الله زيدا وغفر له ، فإن قلت لما فعل ذلك ، قلت : لنكتة فيه ، وهي أنّ كثيرا كأنّه يقول لعزّة : امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك ، وعامليني بالإساءة والإحسان ، وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة ....وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم ، واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم »«[695]» ، كما حمل الأمر في هذه اللفظة على هذا المعنى كثير من المفسّرين منهم الإمام القرطبي«[696]» وابن جزي «[697]» .

---

692 ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 54

693 ـ سورة مريم : الآية 75

694ـ سورة التوبة : الآية 80

695 ـ الكشاف : ج 2 ، ص 266

696 ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج 8، ص 161

697 ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2 ، ص 353

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾«[698]».

قال ــ رحمه الله ــ « ... ثمّ قال لنبيّه عليه السّلام استغفر لهؤلاء المنافقين ، أي ادع لهم بالمغفرة لهم أو لا تدع لهم بذلك ، فلفظه لفظ الأمر ، ومعناه الجزاء ، والجزاء خبر ، والمعنى إن استغفرت لهم ، أولم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم »«[699]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ لفظة استغفر لهم خرجت مخرج الأمر المراد به الخبر ، وإن تضمن معنى الشرط الذي يعبر عنه هو بالجزاء ، وهذا ما ذهب إليه كثير من أئمة التفسير منهم الإمام الزمخشري«[700]» ، وذهب بعضهم إلى أنّ المقصود منه هو التخيير والتسوية ، وممّن قال بذلك الإمام ابن عطية«[701]» ورجّحه وكذلك الإمام ابن جزي«[702]» والشيخ الطاهر بن عاشور «[703]»، وذكر القولين الإمام القرطبي«[704]» والإمام أبو حيّان«[705]» واعتبر الراجح هو التخيير .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا ﴾«[706]» قال ــ رحمه الله ــ : « أي قل يا محمد لهؤلاء القائلين إذا تتلى عليهم آياتنا بينات أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا من كان منّا ومنكم في الضلالة فليمدد له الرحمان مدّا ، فهو لفظ أمر ، ومعناه الخبر ، جعل الله جزاء ضلالته أن يطول فيها ، ويمد له كما قال تعالى : ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ

---

[698] ــ سورة التوبة : الآية 80

[699] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 3090

[700] ــ الكشاف : ج 2، ص 281

[701] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 3، ص 72

[702] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج1 ،ص 385

[703] ــ التحرير والتنوير ، ج 10، ص 277

[704] ــ الجامع لأحكام القرآن ، ج 8،ص 219 ـ 220

[705] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 5، ص 77.

[706] ــ سورة مريم : الآية 75 .

﴾«[707]»، لأنّ لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر ،كأنّ المتكلم يلزمه نفسه ، كأنّه يقول : أفعل ذلك وآمر نفسي به ، فهو أبلغ ، فلذلك أتى به على الخبر ، ومعناه : فليعش ما شاء ، وليوسع لنفسه في الأمر ، فإنّ مصيره إلى الموت والعذاب »«[708]»

فالإمام مكي يخبر بأنّ قوله تعالى «فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا»«[709]» خرج مخرج الأمر المراد به الخبر ، أي قصد به الإخبار عن حال هؤلاء الضلال كيف يمد الله لهم في العمر ويفسح لهم في الآجال ويملي لهم ويزّين لهم أعمالهم استدراجا لهم ، حتّى تقوم عليهم الحجة وتنقطع معاذيرهم فيلحقهم أشدّ العذاب ، وقد ذكر هذا الرأي الإمام الزمخشري «[710]»، والإمام الرّازي «[711]»، في حين أورد الإمام ابن عطية «[712]»والإمام القرطبي «[713]» وابن جزي «[714]» وأبو حيّان «[715]» قولان تحتملهما العبارة ، فإمّا أن تكون أمر في معنى الخبر ، أو تكون بمعنى الدّعاء .

ولقد اتضح وتبيّن من خلال هذه النماذج الموردة اهتمام الإمام مكي بأسلوب الأمر واعتناءه به ، وذلك ببيانه ــ رحمه الله ــ للأغراض التي يخرج إليها مصرّحا تارة بأسلوب الأمر وتارة ببيان المعنى فحسب ، وهي إشارات ذكرها كثير من المفسرين وردّدوها في كتبهم ، وفيها ما نقل أو اقتبس عنه ، وبالجملة فهي تبرز مدى اهتمامه بهذا الأسلوب في تفسيره للقرآن الكريم .

---

707 ــ سورة الأعراف : الآية 186 .

708 ــ الهداية إلى بلوغ النهاية :ج 7 ، ص 4581

709 ــ سورة مريم : الآية 75

710 ــ الكشاف : ج 3 ، ص 39

711 ــ مفاتح الغيب : ج 21، ص 541

712 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 4، ص 37

713 ــ الجامع لأحكام القرآن ، ج 11، ص 144

714 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 515

715 ــ تفسير البحر المحيط : ج 6، ص 199

الفرع الثاني : الاستفهام

الاستفهام في اللغة مصدر من الفعل فهم ، وجاء في لسان العرب لابن منظور :« الفهم في اللغة معرفتك الشيء بالقلب فهمه فهْما وفَهَمَا وفهامة علمه ...وفهِمت الشيء عقلته وعرفته ، وفهَّمت فلانا وأفهمته وتفهّم الكلام فهِمه شيئا بعد شيء ، ورجل فهِمٍ سريع الفهم ... وأفهمه الأمر وفهَّمه إيّاه جعله يفهمه ، واستفهمه سأله أن يفهمه ، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهَّمته تفهيما »«[716]».

فهذه المادة المعجمية تفيدنا بأنّ مدلول الكلمة يرجع إلى معنى المعرفة بالشيء ، وهذا في اللغة أمّا في اصطلاح البلاغيين فقد حدّوه بحدود كثير جلّها متقاربة ، فممّا ذكر في تعريفه قول الإمام ابن فارس : « الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر ، وهو الاستفهام ، وذكر ناس أنّ بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق ، قالوا و ذلك أن أولى الحالين الاستخبار ، لأن تستخبر فتجاب بشيء ، فربّما فهمته وربّما لم تفهمه ، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم ، تقول أفهمني ما قلته لي »«[717]».

فالإمام ابن فارس جعل الاستخبار هو عين الاستفهام ، ثمّ ذكر فارقا بينهما حكاه البعض ، وهو أنّ السؤال الأول يسمى استخبار وهو ما لم يفهم جيدا، فإذا سئل ثانية سمي استفهاما .

والذائع في اصطلاح البلاغيين هو الاستفهام لا الاستخبار ، وقد عرّفه كذلك الإمام السّكاكي بقوله : «والاستفهام لطلب الحصول في الذهن ، والمطلوب حصوله في الذهن إمّا أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون ، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين ، والثاني هو التصور ، ولا يمتنع انفكاكه من التصديق »«[718]».

---

[716] ـ مادة فهم : ج19 ، ص 459

[717] ـ الصاحبي في فقه اللغة : ص 186

[718] ـ مفتاح العلوم : ص 300 .

وعرّفه ابن القيم بقوله : «هو أن يستفهم عن شيء لم يتقدّم له به علم حتّى يحصل له به علم »«[719]».

إذن فالاستفهام من خلال هذه التعاريفات : هو طلب العلم بالشيء الذي لم يسبق لعلمه ومعرفته

هذا ولا بدّ للاستفهام من أدوات مخصوصة تقوم به ، فالألفاظ الموضوعة له كما ذكرها الإمام القزويني «[720]» هي :« الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنّى ، ومتى ، وأيّان ».

وإن كان الاستفهام هو طلب العلم بالشيء الذي كان مجهولا ، فإنّ له أغراضا ومعان بلاغية أخرى يخرج إليها ويؤديها بحسب السياق والقرائن ، وهذه هي التي يبحث فيها البلاغيون ويتكلمون عنها ، وهذا هو مقصودي منه ، ولذا فإنيّ سأشير إلى اعتناء الإمام مكي وبقية المفسرين المدروسين به .

وقد أشار الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في تفسيره إلى بعض الاستفهامات وبيّن أغراضها المجازية التي تخرج إليها ، ومن جملة تلك الإشارات ما يلي :

ــ الاستفهام المراد به التسوية :

ذكر البلاغيون أنّ من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام التسوية ، ومعناها : «الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلّها »«[721]» ، ومن ذكر الإمام مكي له :

[719] ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت ، ص 160.

[720] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : 131.

[721] ــ البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 337 .

ــ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾«[722]».

قال ــ رحمه الله ــ :« ومعنى لفظ الاستفهام في أأنذرتهم للتسوية ، وهو في المعنى خبر ، لكنّ التسوية تجري في اللفظ مجرى لفظ الاستفهام ، والمعنى الخبر ، تقول سواء أعلي أقمت أم قعدت ، وإنّما صار لفظ التسوية مثل لفظ الاستفهام للمضارعة التي بينهما ، وذلك أنّك إذا قلت : «قد علمت أزيد في الدار أم عمرو » ، فقد سويت علم المخاطب فيهما ، فلا يدري أيّهما في الدار ، وقد استوى علمك في الدار ، وتدري أحدهما في الدار ولا تدريه بعينه ، وتقول في الاستفهام : «أزيد في الدار أم عمرو ؟» ، فأنت لا تدري أيّهما في الدار ، وقد استوى علمك في ذلك ، وتدري أنّ أحدهما في الدار ، ولا تدري عينه منهما ، فقد صار الاستفهام كالتسوية في عواقب الأمور ، غير أنّ التسوية إبهام عند المخاطب وعلم يقين عند المتكلم ، والاستفهام إبهام على المتكلم ، ويجوز أن يكون المخاطب متل المتكلم في ذلك ، ويجوز أن يكون عنده يقين ما سئل عنه فاعرف الفرق بينهما »«[723]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة أأنذرتهم أفاد معنى التسوية ، بمعنى أنّ الإنذار عندهم أو تركه سواء ، ومعنى الاستواء كما ذكر الإمام الزّركشي هو استواؤهما أي ــ الإنذار وعدمه ــ في علم المستفهم لأنّه قد علم أنّه أحد الأمرين كائن ، إمّا الإنذار وعدمه ولكن لا يعنيه ، وكلاهما معلوم بعلم غير معين »«[724]» ، وقد ذكر الإمام مكي أنّ أصل هذا الاستفهام الخبر ، وإنّما جرى فيه الاستفهام لأنّ فيه التسوية التي للاستفهام ، وهذا النوع سمّاه أبو عبيدة استفهام الاستخبار ، هذا وقد ذكر خروج الاستفهام في لفظة أأنذرتهم لمعنى الاستفهام الإمام ابن عطية ، حيث قال : « وقوله تعالى : « أأنذرتهم » لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر ، وإنّما جرى عليه

---

722 ــ سورة البقرة : الآية 6

723 ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 141 .

724 ــ البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 337 .

لفظ الاستفهام ، لأنّ فيه التسوية التي هي في الاستفهام ، ألا ترى أنّك إذا قلت مخبرا سواء أعلي أقعدت أم ذهبت ، وإذا قلت مستفهما : أخرج زيد أم قام فقد استوى الأمران عندك هذا في الخبر ، وهذا في الاستفهام ، وعدم علم أحدهما بعينه فلمّا عمّتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إيّاه في الابهام وكل استفهام تسوية ، وإن لم تكن كل تسوية استفهاما »«[725]» كما أشار إلى ذلك الإمام القرطبي«[726]» وأبو حيّان «[727]» .

الاستفهام للاسترشاد :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾«[728]».

قال ــ رحمه الله ــ :« روى كثير من المفسرين أنّ الملائكة علمت بفساد من سكن الأرض من الجن وسفكهم الدماء ، فقالوا على طريق الاسترشاد وطلب الفائدة : «أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا» ، أي أيكونون مثل أولئك الذين أفسدوا ؟ فسألوا مسترشدين لا منكرين ، إذ لا علم عندهم بما يكون من أمر الخليفة التي علمهم الله أنّه خالقها ، وقيل إنّهم قالوا ذلك على طريق التعجب ،كما تقول العرب : أتحسن إلى فلان وهو يسئ إليك ، وقيل :إنّ الله جلّ وعلا أذن لهم في السؤال عن ذلك ....فالألف في أتجعل لفظها لفظ الاستفهام ومعناها الاسترشاد أو التعجب على قول من رأى ذلك مما ذكرنا »«[729]».

فالإمام مكي ـ رحمه الله ـ يخبر بأنّ استفهام الملائكة في لفظة «أتجعل فيها» قصد به الاسترشاد أي أنّهم طلبوا منه سبحانه وتعالى إيضاحا وتفسيرا لكيفية جعل الخليفة ممّن يفسد في الأرض ويسفك في الدّماء فسألوا عن ذلك حتّى يزول الشك والتحير الذي في أنفسهم من ذلك ،

---

[725] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 77.

[726] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 184 .

[727] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1، ص 174.

[728] ـ سورة البقرة : الآية 30.

[729] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 216.

كما جوّز وقوع هذا الاستفهام على معنى التعجب أي أنّ الملائكة سألت ربّها متعجبة من أمره كيف يجعل خليفة أرضه ممّن يفسد فيها ويسفك فيها الدّماء ، وقد ذكر الإمام ابن عطية أقوالا عن بعض المفسرين في معنى هذا الاستفهام فمنهم من قال إنّه جاء على طريق التعجب أو الاستعظام ، ثمّ ذكر قولا عن بعضهم خلص فيه إلى أنّ الاستفهام معناه الاسترشاد والاستعلام ، فقال : « وقال آخرون : كان الله تعالى قد أعلم الملائكة أنّه يخلق في الأرض خلقا يفسدون ويسفكون الدّماء فلمّا قال لهم بعد ذلك : «إنّي جاعل »: قالوا :« أتجعل فيها » الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام هل هذا هو الخليفة الذي كان أعلمهم به من قبل أو غيره »«[730]» ، وقد ذكر الإمام الزركشي كذلك احتمال هذا الاستفهام للاسترشاد أو التعجب فقال : لما تحدّث عن الاستفهام الذي يكون للاسترشاد ما نصّه : « والظاهر أنّهم استفهموا مسترشدين ، وإنّما فرّق بين العبارتين أدبا ، وقيل : هي هنا : للتعجب »«[731]» ، ونفس الكلام نقله عنه الإمام السيوطي«[732]» .

ـــ الاستفهام للإنكار :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام الإنكار ، ومفهومه النفي و أنّ ما بعد الأداة منفي ، ولذلك تصحبه إلاّ ، كقوله تعالى : ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾«[733]» ، وقوله تعالى : ﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾«[734]» ، ويعطف عليه المنفي كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾«[735]» أي لا يهدي ، وهو كثير «[736]» .

---

[730] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 102 .

[731] ــ البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 338 .

[732] ــ الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 215 .

[733] ــ سورة الأحقاف : الآية 35 .

[734] ــ سورة سبأ : الآية 17.

[735] ــ سورة الروم : الآية 29

[736] ــ الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، ج 2 ، ص 328.

ومن الإشارات التي أشار إليها الإمام مكي في تفسيره الاستفهام الانكاري :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾«[737]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله : أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، يخاطب المؤمنين بمحمد ، والذين لا يؤمنون هم اليهود أعداء الله ، وهو استفهام فيه معنى الإنكار ، فأيأسهم من إيمان اليهود ، ثمّ أخبر عن أسلافهم وما كانوا يفعلون كأنّه يقول تعالى : إن كفر فلهم سابقة في ذلك ، وهو أنّ فريقا منهم كانوا يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه يريد به أسلافهم وما فعلوا على عهد موسى صلى الله عليه وسلم »«[738]» ، فالإمام مكي يخبر بأنّ الخطاب في لفظة :أفتطمعون أن يؤمنوا لكم لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متضمن لمعنى الاستفهام الإنكاري ، ومقصوده تأييس المؤمنين من الطمع في إيمان اليهود وإبطال هذا الحرص منهم ، ثمّ بيّن لهم جلّ وعلا علة ذلك ، فأخبرهم بأنّ أسلافهم كذّبوا رسل الله وأنبياء فهم تبع لهم ، وهذا تعليل للإنكار والتأييس ، وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام معنى الإنكار الإمام القرطبي فقال : « هذا استفهام فيه معنى الإنكار ، كأنّه أيأسه من إيمان هذه الفرقة من اليهود ، أي إن كفروا فلهم سابقة في ذلك ، والخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ...»«[739]». ويظهر من كلام الإمام القرطبي نقله عن الإمام مكي ففيه تطابق ، وجوز الشيخ الطاهر ابن عاشور احتمال هذا الاستفهام لمعنى الإنكار والتعجب ، حيث قال : «والفاء لتفريع الاستفهام الانكاري أو التعجيبي على جملة «ثمّ قست » أو على مجموع الجمل السابقة لأنّ جميعها ممّا يقتضي اليأس من إيمانهم بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فكأنّه قيل : فلا تطمعوا أن يؤمنوا لكم أو فاعجبوا من طمعكم »«[740]»،

---

[737] ــ سورة البقرة : الآية 75

[738] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، 315 .

[739] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 1

[740] ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 566

وذهب ابن عطية إلى القول بتضمن هذا الاستفهام معنى التقرير «[741]» ، في حين حكى الإمام أبو حيّان رأيان في معناه ، فهو إمّا أن يكون للتقرير ، أو للإنكار «[742]» .

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾«[743]».

قال ــ رحمه الله ــ :« ... ثمّ ابتدأ بالاستفهام على طريق الإنكار : أي ما جعلنا آلهة تعبد من دون الله »«[744]» فالإمام مكي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة :« أجعلنا» أفاد معنى الإنكار ، أي إنكار أن يكون سبحانه وتعالى حكم وقضى بعبادة غيره ، فإنّه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى هل وجدوا من شيء في مللهم يأمرهم بعبادة غيره تعالى ، وذلك للرّد على المشركين المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أمرهم به من توحيده وتعالى وعبادة ونهيهم عن عبادة غيره ، فكأنّهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يأمر بذلك وحده ، وقد ذكر تضمن الآية لمعنى الاستفهام الانكاري الإمام القرطبي والشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال هذا الأخير : « وجملة أجعلنا بدل من جملة وسأل ، والهمزة للاستفهام وهو إنكاري ، وهو المقصود من الخبر ، وهو ردّ على المشركين في قولهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾«[745]» أي ليس آباءكم بأهدى من الرسل الأولين إن كنتم تزعمون تكذيب رسولنا لأنّه أمركم بإفراد الله بالعبادة »«[746]».

---

[741] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 148.

[742] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 435 .

[743] ــ سورة الزخرف : الآية 45

[744] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، س 6668 .

[745] ــ سورة الزخرف : الآية 23 .

[746] ــ التحرير والتنوير : ج 25، ص 222 .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾«[747]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ومن قرأه بالاستفهام فهو إنكار وتوبيخ لمن يطيعه أيضا والمعنى ألا إن كان هذا الحلاّف المهين الهماز المشاء بنميم المناع للخير المعتدي الأثيم ذا مال وبنين تطيعه ، ويحتمل أن يكون توبيخا ، ويحتمل أن يكون توبيخا وتقريعا لهذا الحلاّف المهين ...»«[748]».

، فالإمام مكي يرى بأنّ قراءة من قرأ أن كان ذا مال وبنين بالاستفهام أفادت معنى الإنكار ، والمقصود الإنكار على من وصفه سبحانه وتعالى بالزنيم والحلاّف المهين ومن أطاعه من أبنائه ،لأنّه ادّعى بأنّ ما أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم من القرآن أساطير من أساطير الأولين ، وقد بيّن سبحانه وتعالى الحامل والدّاعي له على قول ذلك ، وهو كونه ذا مال وبنين ، ثمّ ذكر احتمال هذا الاستفهام لمعنى التوبيخ والتقريع ، أي توبيخ وتقريع من وصفه سبحانه وتعالى بتلك الأوصاف ، وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام معنى الإنكار الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال : « وقرأ الجمهور : أن كان ذا مال بهمزة واحدة على أنّه خبر ، وقرأه حمزة وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر بهمزتين مخففتين فهو استفهام إنكاري ، وقرأه ابن عامر بهمزة واحدة » ، وقد ذهب الإمام القرطبي إلى تضمن هذا الاستفهام معنى التوبيخ ، وكذلك الإمام أبو حيّان وأضاف إليه معنى التوبيخ «[749]» .

---

[747]ــ سورة القلم : الآية 14 .

[748] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : 12 ، ص 7630.

[749] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 305.

ــ الاستفهام للتوبيخ :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام التوبيخ ، وقد جعله بعضهم من قبيل الإنكار ، إلاّ أنّ الأول إنكار إبطال ، وهذا الإنكار توبيخ والمعنى أنّ ما بعده واقع جدير بأن ينفى ، فالنفي هنا قصدي والإثبات قصدي ، ويعبرّ عن ذلك بالتقريع أيضا «[750]» ، ومن إشارة الإمام مكي له في تفسيره:

ــ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾«[751]».

قال ــ رحمه الله ــ « ... وفي لفظ الاستفهام تقديم وتأخير ، وذلك أنّهم إنّما وبّخوا وعذلوا على الانقلاب على العقبين ، فهم لم ينكروا موت محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقع عليه لفظ الاستفهام الذي يدّل على التوبيخ ، ولا أنكر عليهم ذلك ، وإنّما أنكر عليهم انقلابهم ، فحق الاستفهام الذي للتوبيخ أن يقع على ما أنكر عليهم ، ومثله : ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾«[752]» لم يستفهم عن الموت وإنّما استفهم عن خلودهم بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم أيكون أم لا ؟ ، فيكون حق الاستفهام أن يقع عليهم ، فيكون : أفهم الخالدون إن مت ؟،

وكذلك هذا حقه أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل ، ففيه اتساع معروف في كلام العرب مشهور قد علم معناه »«[753]».

---

[750] ــ معترك الأقران : جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي ، ط 1 ، بيروت ، ــ دار الكتب العلمية ، 1408 هـ ــ ج 1 ، ص 329

[751] ــ سورة آل عمران : الآية 144

[752] ــ سورة الأنبياء : الآية 34

[753] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 1139 .

فالإمام مكي يرى بأنّ الاستفهام في لفظة : «أفإن »كان حقه التأخير أي تأخير الهمزة وتقديم حرف العطف الذي هو الفاء لأنّ جملة : «أفإن مات أو قتل»معطوفة على جملة : «وما محمد إلاّ رسول الله» ، وتقدير الكلام على ذلك : فأإن مات ، ثمّ بين أنّ هذا الاستفهام أفاد معنى التوبيخ ، أي توبيخ هؤلاء المنافقين لانقلابهم وارتدادهم عن الإسلام بسب قتله أو موته صلى الله عليه وسلم ، ثمّ ذكر أنّ التقديم والتأخير من بلاغة العرب وأنّهم يستعملونه اتساعا في الكلام ، إضافة إلى اعتنائهم بتقديم ما هو أهم ، وهذه المسألة ـ تقديم الاستفهام على حرف العطف ممّا تنازع فيها المفسرون واختلفوا فيها ، فذهب الزمخشري إلى القول بأنّ :«الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبب والهمزة لإنكار أن يجعلوا إن خلوا الرسل قبله وبقاء دينه متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عليه »«[754]» وعلى مقتضى كلامه لا تكون الهمزة إذا مقدمة على الفاء ، بل هي داخلة على الفاء ، ومعنى كلامه أنّ الإنكار يكون بجعلهم خلو الرسل من قبله سببا لانقلابه ، وقد ردّ كلامه هذا الإمام أبو حيّان ، وقال بأنّ جلّ المفسرين قالوا أنّ ألف الاستفهام دخلت في غير موضعها ، لأنّ الغرض إنّما هو : أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد »«[755]» ، وأمّا عن إفادة هذا الاستفهام معنى التوبيخ ، فقد ذكر كثير من المفسرين من أمثال: الإمام الزمخشري«[756]» ، والإمام البيضاوي «[757]» ، والإمام أبي السعود «[758]»، والشيخ الطاهر بن عاشور«[759]» أنّه تضمن معنى الإنكار ، وكيفما كان التقدير فقد ذكرنا سابقا عن البلاغيين أنّ التوبيخ جنس من الإنكار ، إلاّ أنّه ثمّت فرق بينهما.

---

[754] ـ الكشاف : ج1 ، ص 450

[755] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 75

[756] ـ الكشاف : ج 1 ، ص 450

[757] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 2 ، ص 41.

[758] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، د ط ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت ج 2، ص 92 .

[759] ـ التحرير والتنوير ، ج 4 ، ص 111

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾« ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[760]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وهو خطاب وتوبيخ لهؤلاء لليهود الذين لم يرضوا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ وبّخهم أيضا فقال : «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أيّها اليهود عند من كان يؤمن بالله ، فأي حكم أحسن من حكم الله ؟ »«[761]».

فالإمام يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة :« أفحكم » تضمن معنى التوبيخ لليهود لأنّهم أعرضوا عن حكم الله تعالى ولم يرضوا به واستبدلوه بحكم الجاهلية الصادر عن الهوى والجهل فكانوا يقيمون على الحدود على الوضعاء والفقراء دون الأغنياء و الشرفاء، ثمّ وبخهم كذلك على طريقة الاستفهام قائلا : من أحسن حكما من الله عند الموقنين الذين يتدبرون الآيات ويعقلونها أيها اليهود ، وقد أشار إلى تضمن الاستفهام الأول معنى التوبيخ الإمام ابن جزي«[762]» ،في حين ذهب الإمام البيضاوي«[763]» وأبو حيّان«[764]» والشيخ الطاهر بن عاشور «[765]» إلى تضمنه معنى الإنكار ، وقرّر الإمام أبو السعود«[766]» تضمنه معنى الإنكار والتعجيب والتوبيخ ، وأمّا الاستفهام الثاني فقد ذكر ابن عطية«[767]» وأبو حيّان«[768]» أنّه في معنى التقرير ، وذهب أبو

---

[760] ــ سورة المائدة : الآية 50

[761]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، ص 1774 .

[762] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 239

[763] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 2، ص 130.

[764] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 3 ، ص 516

[765] ــ التحرير والتنوير ، ج 6 ، ص 227

[766]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج3 ،ص 47

[767]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 2، ص 236

[768] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 3، ص 516 .

السعود«[769]» والطاهر ابن عاشور «[770]» إلى تضمنه معنى الإنكار ، ولا خلاف بين القولين ، لأنّ استفهام التقرير يتضمن الإنكار كما ذكر ذلك أئمة البلاغة .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ﴾«[771]».

قال ـ رحمه الله ـ :« هذا على التوبيخ لهم ، ثمّ قال لنبيه قل يا محمد لا أشهد بما تشهدون ، إنّما هو إله واحد وإنّني بريء ممّا من إشراككم بربّكم »«[772]».

فالإمام مكي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «أئنكم »تضمن معنى التوبيخ للمشركين في عبادتهم الأصنام أو عبادة غيره تعالى ، وقد ذكر الإمام الزمخشري«[773]» والإمام البيضاوي«[774]» تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير والإنكار والاستبعاد ، وذكر القرطبي«[775]» تضمنه التوبيخ والإنكار ، وحمله ابن جزي «[776]»على معنى التقرير ، وذكر أبو حيّان «[777]» معنى التقريع والتوبيخ والإنكار ، وقال الشيخ الطاهر بن عاشور بتضمنه معنى الإنكار«[778]» .

---

[769] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 3، ص 47

[770] ـ التحرير والتنوير ، ج 6، ص 227

[771] ـ سورة الأنعام : الآية 19

[772] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، ص 1980 .

[773] ـ الكشاف : ج 2 ، ص 13 .

[774] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 2 ، ص 157

[775] ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج 6، ص 399 ـ 400 .

[776] ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1، ص 264 .

[777] ـ تفسير البحر المحيط ، ج 4 ص 96

[778] ـ التحرير والتنوير ، ج 7 ، ص 169

ــ الاستفهام التقريري :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام التقرير ، ومعناه : «حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده »«[779]» ومن إشارة الإمام مكي له في تفسيره :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾«[780]»
قال ــ رحمه الله ــ : « أفهم يؤمنون : استفهام معناه التقرير ، أي فهؤلاء المكذبون محمد السائلون الآية ، يؤمنون إن جاءهم آية ، فلم يبعث الله إليهم آية لعلمه أنّهم يكذبون بها فيجب عليهم حلول العذاب ، وقد تعلم في علمه أنّ ميعادهم الساعة »«[781]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة :« أفهم يؤمنون » أفاد معنى التقرير ، أي تقرير حال المشركين وذلك بادّعائهم الإيمان إذا جاءتهم المعجزات ، فذكرهم ربّهم بحال من قبلهم الأمم وكيف طلبوا ذلك فلمّا جاءتهم عيانا ازدادوا عتوا وكفرا فأخذهم الله ، ولو أرسل الله معجزاته لهؤلاء المشركين في زمنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا وكانوا على نهج أسلافهم في التكذيب والكفر ، فرحمهم الله تعالى بعدم الإرسال حتّى لا يستأصلهم ويهلكهم بالعذاب ، وقد ذكر الإمام أبو حيّان«[782]» والإمام الألوسي تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار ، حيث قال هذا الأخير : « والهمزة في قوله سبحانه : «أفهم يؤمنون » لإنكار الوقوع والفاء للعطف إمّا على مقدّر دخلته الهمزة فأفادت إنكار وقوع إيمانهم ، ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنّه لم يؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أعطوا ما اقترحوه ، أي مع أنّهم أعتى وأطغى كما يفهم بمعونة السياق والعدول عن فهم لا يؤمنون أيضا ، وأمّا على

---

[779] ــ البرهان في علوم القرآن : الزركشي ،ج 2 ، ص 328 .
[780] ــ سورة الأنبياء : الآية 6 .
[781] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 7 ، ص 4730 .
[782] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 6، ص 277.

ما آمنت على أنّ الفاء متقدّمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب إنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين ، وإنّما قدّمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدّارة »«[783]»

كما أشار الإمام مكي ـ رحمه الله ـ إلى اجتماع التقرير مع التوبيخ في كثير من الاستفهامات القرآنية ، ومن أمثلة ذلك :

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾«[784]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ألف أتتخذ : ألف تقرير وتوبيخ ، لأنّه كان قد علم أنّه يتخذها ». «[785]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ ألف همزة أتتخذ همزة استفهام أفادت معنى التقرير والتوبيخ ، أي توبيخ إبراهيم عليه السلاّم لأبيه آزر ، لاتخاذه أصناما صنعها لنفسه وجعلها آلهة تعبد من دون الله ، وكان إبراهيم عليه السلام قد استقر في علمه وثبت أنّ أباه اتخذها آلهة من دون الله ، وقد أشار الإمام البيضاوي إلى تضمن هذا الاستفهام معنى التقرير ، فقال : ««أتتخذ أصناما آلهة »تفسيرا وتقريرا ويدل عليه أنّه قرئ أزرا تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها »«[786]» ، فالقرينة التي استند إليها الإمام البيضاوي لكون هذا الاستفهام للتقرير ورود قراءة للفظة آزر بالفتح والكسر ، وقد ذكر الإمام القرطبي«[787]» والإمام أبو حيّان «[788]» تضمن هذا الاستفهام لمعنى الانكار ، وذهب

---

[783] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: ط1، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت ، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م ، ج 9 ، ص 13

[784] ـ سورة الأنعام : الآية 74.

[785] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، ص 2072

[786] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 169 .

[787] ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج 7 ، ص 23 .

[788] ـ تفسير البحر المحيط ، ج 4 ، ص 169 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشيخ الطاهر بن عاشور إلى القول بأنّه أفاد معنى الإنكار و التوبيخ «[789]»، ولا تعارض بين هذه الأقوال ، فإنّه يجتمع في الاستفهام الواحد أكثر من معنى ، فيجتمع التقرير مع الإنكار ، والإنكار مع التوبيخ ،كما هو مبسوط في كتب البلاغة .

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾«[790]»

قال ـ رحمه الله ـ : « أتخشونهم : ألف تقرير وتوبيخ ... أي تخافونهم على أنفسكم »«[791]» فالإمام مكي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة أتخشونهم تضمن معنى التقرير والتوبيخ ،والتقرير معناه بيان السبب الذي من أجله ترك به المؤمنون قتال المشركين وهو الخوف ، والتوبيخ ، هو توبيخهم على ترك قتالهم خشية أن يصيبهم منهم أذى ، وقد ذكر الإمام ابن عطية تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير والتوبيخ ، فقال : « وقوله :« أتخشونهم » استفهام على معنى التقرير والتوبيخ »«[792]»، وقد حمل الإمام أبو حيّان «[793]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[794]» هذا الاستفهام على معنى التقرير أو التوبيخ ، وحمله الإمامان النسفي«[795]» وأبو السعود «[796]»على معنى التوبيخ

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾«[797]» قال ـ رحمه الله ـ : « هذا تقرير وتوبيخ للكفار من قريش وغيرهم ، ومعناه : أفلم يسر هؤلاء المكذبون

---

[789] ـ التحرير والتنوير ، ج 7، ص 312 .

[790] ـ سورة التوبة : الآية 13.

[791] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 2942.

[792] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 15 .

[793] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 15.

[794] ـ التحرير والتنوير ، ج 10، ص 134 .

[795] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط 1 ، تحقيق مروان محمد الشعار ، بيروت ، دار النفائس ، 2005 م، ج2 ، ص 172 .

[796] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 4، ص 48.

[797] ـ سورة الحج : الآية 46 .

بك يا محمد ، فينظروا إلى مصارع أشباههم من الأمم المكذبة للرسل قبلهم ، فيخافوا أن يحّل عليهم مثل ذلك بتكذيبهم لك ، فيرجعوا عن التكذيب إلى الإقرار والتصديق لك ، ويفهموا ذلك بقلوبهم ، ويسمعوا بآذانهم »«[798]».

فالإمام مكي يرى أنّ الاستفهام الوارد في لفظة : «أفلم يسيروا» أفاد معنى الإنكار والتوبيخ ، أي الإنكار والتوبيخ على مشركي أمته ومن كذّب به صلى الله عليه وسلم ، لأنّهم لم يسافروا ويضربوا في الأرض فينظروا مصارع من قبلهم من الأمم المكذبة لأنبيائهم كيف أخذوا ولم يعجزوا الله في شيء ، ولعلّ في ذلك ارتداع لهم ورجوع للإيمان بك ، وقد جوّز الإمام الألوسي احتمال هذا الاستفهام لمعنى الإنكار أو التقرير«[799]» ، وحمله الإمام ابن عاشور على الاستفهام التعجبي ، بتقدير أنّ منهم من سافر فلم يعتبر ، أو من سافر يكون قد أخبر من قعد ولكن لم يحصل الاتعاظ والارتداع ،قال ــ رحمه الله ــ «والاستفهام تعجيبي من حالهم في عدم الاعتبار بمصارع الأمم المكذبة لأنبيائها ، والتعجب متعلق بمن سافروا منهم ورأوا شيئا من تلك القرى المهلكة ، وبمن لم يسافروا ، فإنّ شأن المسافرين أن يخبروا القاعدين بعجائب ما شاهدوه في أسفارهم ...فالمقصود بالتعجيب هو حال الذين ساروا في الأرض ، ولكن جعل الاستفهام داخلا على نفي السير ، لأنّ سير السائرين منهم لم يفدهم عبرة وذكرى جعل كالعدم ، فكان التعجيب من انتفائه ، فالكلام جاري على خلاف مقتضى الظاهر »«[800]» .

[798]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 7 ، ص 4908 .

[799]ــ روح المعاني والسبع المثاني ، ج 9 ، ص 159

[800]ــ التحرير والتنوير ، ج 17، ص 287

ــ الاستفهام للتنبيه :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام التنبيه ، أي تنبيه المخاطب إلى أمر ما كي يعيه ويفهمه ، وقد ذكر الزركشي أنّه من أقسام الأمر «[801]» ، وقد أشار إليه مرّتين في تفسيره ، احداهما مع تضمنه معنى التثبيت والتقرير ، والثاني مع تضمنه معنى التقريع

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾«[802]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ما لفظها لفظ الاستفهام ، ومعناها معنى التنبيه والتثبيت و التقرير لما يريد الله تعالى منها من إحالتها عمّا هي عليه ، فإذا نبّهه وقرّره على حقيقتها لم يقدر بعد استحالتها ،وكونها حية أن تقول : كذا كانت »«[803]».

فالإمام مكي ــ يخبر ــ رحمه الله ــ بأنّ الاستفهام في لفظة ما أفاد معنى التنبيه والتثبيت والتقرير ، والمقصود تنبيه موسى عليه السلام إلى ما سئل عنه من أمر العصا ليظهر له بعد ذلك عظيم قدرته تعالى في تحويلها إلى هذه الآيات المعجزة التي ذكرها ، كما تضمن تقرير وتثبيت حقيقة المسؤول عنه وهو العصا ، فلا يتعجب عندما يراها تتحول إلى تلك الآيات ، وقد ذكر الإمام ابن عطية تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير والتنبيه ، فقال : « وقوله عزّ وجل «**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**» تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس لتلقي ما يورد عليها ، وإلاّ فقد علم الله ما هي في الأزل ...»«[804]».

---

801 ــ البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 340

802 ــ سورة طه : الآية 17.

803 ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 7 ، ص 4625 .

362 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 50

فهذا الكلام من الإمام ابن عطية قريب من كلام الإمام مكي ويؤكد ما ذكره هو بتفاوت في العبارة ، وقد ذكر الإمام أبو حيّان نفس ما ذكره الإمام بن عطية ونقل كلامه «[805]».

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾«[806]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أي أ عبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض ، فهو مردود على ما قبله على المعنى الذي تقدّم ذكره ، وفيه معنى التوبيخ ، والتقريع لهم ، وفيه أيضا معنى التنبيه على قدرة الله ، وعجز آلهتهم ، وكذلك معنى ما بعده في قوله : «أمّن»« أمّن» هو كلّه مردود على الله : ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾«[807]» ، وفيه من المعاني ما ذكرنا من التوبيخ ، والتقريع ، والتنبيه فافهمه كلّه »«[808]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أمّن » تضمّن معنى التوبيخ والتقريع والتنبيه ، والمقصود بالتوبيخ والتقريع، هو توبيخ المشركين على اتخاذهم آلهة من دون الله يعبدونها ، وهم يرون بديع صنعه من خلق للسموات والأرض ، ورزق للعباد بإنزال المطر وإنبات الحدائق والبساتين التي فيها معاشهم ، أفبعد هذا كلّ كلّه يتخذون إلها غيره ، فإنّ المستحق للعبادة هو القادر على فعل مثل هذه الأشياء ، وأمّا التنبيه ، فهو تنبيههم على كمال قدرته في الخلق والرزق والتدبير .

وقد ذكر الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ تضمن هذا الاستفهام لمعنى التوبيخ والتنبيه وأورد كلاما قريبا من كلام الإمام مكي ، فيحتمل نقله عنه ، حيث قال : « ... وقيل : المعنى أعبادة ما تعبدون

[805] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 216 .
[806] ــ سورة النمل : الآية 60.
[807] ــ سورة النمل : الآية 59
[808] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 8 ، ص 5453

من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ فهو مردود على ما قبله من المعنى ، وفيه معنى التوبيخ لهم ، والتنبيه على قدرة الله عزّ وجل ، وعجز آلهتهم »«[809]»

وأشار الإمام النسفي إلى تضمنه معنى التقرير«[810]» ، وهو ما ذهب إليه الشيخ الطّاهر بن عاشور ، فأخبر أنّه جاء لتقرير وإثبات أنّ الله تعالى هو الخالق لكونه تعالى منفردا بهذه الأفعال من الخلق والرزق وغيرها ، وأضاف إليه معنى التوبيخ ، فقال : « ...فالاستفهام تقرير كما دلّ عليه قوله في نهايته : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾«[811]» ، فهو تقرير لإثبات أنّ الخالق والمنبت والرّازق هو الله ، وهو مشوب بتوبيخ ... »«[812]» .

فهذه إذن هي بعض أقوال الأئمة في بيان غرض هذا الاستفهام ، وهي بالجملة لا تتعارض فالتقرير حقيقته إنكار ، والتوبيخ من قبيل الإنكار ، فما أكّده مكي يلتقي مع أورده هؤلاء الأئمة

ــ الاستفهام للأمر :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام الأمر ، وذكره الإمام الزّركشي أنّه من قبيل استفهام الإنشاء «[813]» ، وقد مثّل له بآيات كثيرة من القرآن الكريم ، وقد أشار إليه الإمام ــ مكي رحمه الله ــ مرّة واحدة في تفسيره ، وذلك : ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾«[814]» قال ــ رحمه الله ــ : « أأسلمتم : أي : أأقررتم بالتوحيد ،« فإن أسلموا» أي انقادوا وخضعوا لله ولدينه فقد اهتدوا ، والكلام يراد به الأمر وأخرج مخرج الاستفهام ، والمعنى

---

[809] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 13 ، ص 219

[810] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج 3، ص 176 .

[811] ــ سورة النمل : الآية 60 .

[812] ــ التحرير والتنوير ، ج 20، ص 10 ــ 11 .

[813] ــ البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 340 .

[814] ــ سورة آل عمران : الآية 20.

قل لهم أسلموا ، ولذلك دخلت الفاء في الجواب ، وهي مثل قوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾«[815]» ، أي : انتهوا »«[816]».

فالإمام يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «أأسلمتم» تضمن معنى الأمر ، والخطاب موجه ليهود زمانه صلى الله عليه وسلم وللمشركين من العرب ، فإنّه جاءهم بالآيات البينات والمعجزات الباهرات ، ومع ذلك لم يسلموا ويذعنوا ، فجاء هذا الاستفهام في صيغة الأمر ، ومعناه إذا رأيتم تلك الآيات فأسلموا، ثمّ ذكر أنّ هذا الاستفهام نظيره قوله تعالى : «فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ» أي انتهوا ، وقد ذكر خروج هذا الاستفهام لمعنى الأمر من أئمة التفسير الإمام الرّازي ، حيث قال : « ثمّ قال الله تعالى : «ءَأَسْلَمْتُمْ»«[817]» فهو استفهام في معنى التقرير ، والمقصود منه الأمر قال النحويون : إنّما جاء بالأمر في منزلة الاستفهام ، لأنّه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء إليه ، إلاّ أنّ في التعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة زائدة ، وهي التعبير بكون المخاطب بعيدا عن الانصاف ، لأنّ المنصف ظهرت له الحجة لم يتوقف بل في الحال يقبل ، ونظيره لمن لخصت له المسألة في غاية التلخيص والكشف والبيان ، هل فهمتها ، فإنّ فيه الإشارة إلى كون المخاطب بليدا قليل الفهم ، وقال الله تعالى في آية الخمر «فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ» ، وفيه إشارة إلى التقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي »«[818]» .

وذكر الإمام الزمخشري هذا الكلام دون التصريح بكون الاستفهام خرج لمعنى الأمر ، وقال هو استفهام استقصار ، وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف«[819]» ، وقد ذكر خروج الاستفهام هنا لمعنى

---

[815] ـ سورة المائدة : الآية 91 .

[816] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 981 .

[817] ـ سورة آل عمران : الآية 20

[818] ـ مفاتيح الغيب : ج 7 ، ص 174

[819] ـ الكشاف : ج 1 ، ص 375

الأمر ونقل كلام الإمام الزمخشري كل من الإمامين النسفي«[820]» و السمين الحلبي«[821]» ، ونقل الإمام ابن عطية عن الإمام الطبري قوله : بأنّ الاستفهام للتقرير متضمن لمعنى الأمر ، وقال بأنّ هذا ظاهر وبيّن ، ثمّ رجّح قولا للزجاج أخبر فيه أنّ للاستفهام للتهديد «[822]».

ونقل الإمام القرطبي قول الإمام ابن عطية «[823]» ، واكتفى ابن جزي بالنص على إفادته التقرير لإقامة الحجة عليهم «[824]» .

واختار الشيخ الطّاهر بن عاشور استعماله في معنى الاستبطاء والتحضيض على الإسلام ، حيث قال : « والاستفهام مستعمل في الاستبطاء والتحضيض ، كما في قوله تعالى : «**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** »«[825]» ، وجيء بصيغة الماضي في قوله :« أأسلمتم» دون أن يقول : أتسلمون على خلاف مقتضى الظاهر ، للتنبيه على أنّه يرجوا تحقق إسلامهم »«[826]»

والذي يظهر من هذه الأقوال أنّ هذا الاستفهام للأمر ، وهو الذي جنح ومال إليه غالبية المفسرين على تفاوت واختلاف بينهم في التعبير . وأمّا القول بالاستبطاء والتحضيض فليس هناك ما يدّل عليه ، لأنّ النبي صلى الله عليه لم يستبطأ من اليهود والمشركين الإسلام ، ولم يطلب منهم ذلك برفق ، لأنّ كلا الأسلوبين لهما حرفين من حروف الاستفهام مخصوصين بهما ،فللأول «متى »، والثاني : «ألا »

---

[820] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج 1، ص 152

[821] ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ج 3 ، ص 93

[822] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 1 ،ص 419

[823] ـ الجامع لأحكام القرآن : 4 ، ص 45

[824] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 144

[825] ـ سورة المائدة : الآية 91

[826] ـ التحرير والتنوير ، ج3 ، ص 202 .

ـــ الاستفهام للتذكير :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام التذكير ، ومعناه تذكير المخاطب بأمر بدر منه أو أمر هو حاصل عنده وموجود ، وقد أشار إليه الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في تفسيره في موضع واحده وسماه بالاستفهام التوقيفي ، وذلك :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾«[827]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذه ألف استفهام في اللفظ ، ومعناها التوقيف على النعم والآلاء ، والمعنى : ألم نلين لك يا محمد صدرك ، ونوسع لك الهدى ووعي الحكمة وقبول الإيمان ؟ »«[828]».

فالإمام مكي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة : «ألم نشرح » أفاد معنى التذكير الذي عبّر عنه هو بالتوقيف ، أي توقيفه وتذكيره صلى الله عليه وسلم بنعمة الله عليه ، كيف نقى قلبه من الأمراض والأحقاد ، وليّنها ورققها ، حتّى جعلها قابلة لما يتنزل عليه من أنوار القرآن ، وفيوضات الوحي ، فجاء هذا الاستفهام ليذكره بهذه النعم إذا ضاق صدره بما تعرّض إليه من أذى المشركين .

ولقد أشار الشيخ الطاهر بن عاشور إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى التذكير بنعمة الله على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « استفهام تقريري على النفي والمقصود التقرير على إثبات المنفي ، كما تقدّم غير مرة ، وهذا التقرير مقصود به التذكير ، لأجل أن يراعي هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدر ممّا يلقاه من أذى قوم يريد صلاحهم وإنقاذهم من النار ، ورفع شأنهم بين الأمم ، ليدوم على دعوته العظيمة نشيطا غير ذي أسف ولا كمد »«[829]» ، وقول الشيخ الطاهر بن

[827] ــ سورة الانشراح : الآية 1.

[828] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : 12 ،ص 8331.

[829] ــ التحرير والتنوير : ج 30، ص 408

عاشور إنّ الاستفهام تقريري ، لأنّ همزة الاستفهام دخلت على النفي في لم فأفادت الإثبات ، أي إثبات النعمة المذكورة ، فصار هذا تقريرا .

وقد ذكر الإمام أبو حيّان أنّ هذا الاستفهام أفاد التقرير لهذه النعمة«[830]» ، وتبعه على هذا القول الإمام السمين الحلبي «[831]».

وذهب الإمام البيضاوي «[832]» والنسفي«[833]» وأبو السعود«[834]» إلى القول بتضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار ، أي إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته أي شرح صدره صلى الله عليه وسلم ، ومعنى قولهم هذا أنّ الاستفهام أفاد معنى التقرير والإثبات ، لأنّ حقيقة استفهام التقرير أنّه استفهام إنكار ، والإنكار نفي ، وإذا دخل النفي على النفي صار إثباتا .

فيكون ملخص هذه الأقوال أنّ هذا الاستفهام استفهام تقريري أفاد معنى التذكير والاثبات ، والإمام مكي عبّر عنه بالتوقيف .

ـــ الاستفهام للتعظيم والتعجب :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام التعظيم والتعجب ، وقد ذكرهما الإمامان الزركشي والسيوطي ، ومثّلا للأول بقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ «[835]»، وللثاني بقوله تعالى : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾«[836]» ، وقوله تعالى :﴿ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ

[830]ـ تفسير البحر المحيط ، ج 8 ، ص 483

[831]ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، ج 11 ، ص 42.

[832]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 5، ص 321.

[833]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج 4 ، ص 279

[834]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 9 ، ص 172

[835]ـ سورة البقرة : الآية 255

[836]ـ سورة البقرة : الآية 28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴾«[837]» ، وقد أشار الإمام مكي إلى موضع واحد من مواضع الاستفهام المتضمنة لمعنى التعظيم والتعجب ، وذلك :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾«[838]».

قال ــ رحمه الله ــ :« وقوله : «ما القارعة » : ما استفهام فيه معنى : التعظيم والتعجب من هولها ، يعجب سبحانه عباده من عظم هولها ، المعنى أي شيء القارعة يا محمد ؟ ما أعظمها وأفظعها وأهولها »«[839]».

فالإمام مكي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة : «ما القارعة » أفاد معنى التعظيم والتعجيب ، أي تعظيم شأن يوم القيامة وتفخيمه قصد التخويف منه ، وذلك لعظم هوله وما يحدث فيه من حساب وعقاب .

وقد ذكر الإمام أبو حيّان إفادة هذا الاستفهام لمعنى التعظيم والتعجب ، فقال : « القارعة ما القارعة ، بالرفع ، فما استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب ، وهو مبتدأ ، والقارعة خبره »«[840]» ، وأشار الإمامان ابن عطية «[841]» وابن جزي«[842]» إلى تضمنه معنى التعظيم ، وقال القرطبي بإفادته لمعنى التعظيم والتفخيم «[843]».

[837] ــ سورة النمل : الآية 20

[838] ــ سورة القارعة : الآية 1 ــ 2

[839] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12 ، ص 8409 .

[840] ــ البحر المحيط : ج 8 ، ص 503

[841] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 5، ص 487

[842] ــ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 2 ، ص 561

[843] ــ الجامع لأحكام القرآن ، ج 20 ، ص 146

واختار الشيخ الطاهر بن عاشور إفادة هذا الاستفهام لمعنى التهويل والتخويف ، حيث قال : « وما استفهامية ، والاستفهام مستعمل في التهويل على طريقة المجاز المرسل المركب ، لأنّ هول الشيء يستلزم تساؤل الناس عنه »«[844]» .

وقد ذكر السيوطي كذلك إفادته لمعنى التهويل «[845]».

فهذه الأقوال عن المفسرين تبيّن اختلاف عباراتهم في بيان معنى الاستفهام ، لكنّ الذي يظهر والله أعلم أنّها متقاربة ولا تضاد بينها ، لأنّ التعظيم والتفخيم لا يكون إلاّ في الشيء الذي له هول كبير ، كما أنّ التهويل لا يكون إلاّ في الأشياء العظيمة ، واليوم الآخر لاشك ولا ريب أنّه كما وصفه ربّنا شيء عظيم .

وفي ختام الحديث عن هذه النماذج تبيّن أنّ الإمام مكي اعتنى بأسلوب الاستفهام في تفسيره ، حيث أكثر من الإشارة إليه . وحرص على بيان الأغراض التي يخرج إليها مع شرحها وتحليلها وهي متنوعة ومتعددة ، كما أنّ ما أشار إليه من الاستفهامات والأغراض التي تؤديها ذكرها كثير من المفسرين فهو يتوافق معهم في كثير من الأغراض . ويظهر كذلك تأثيره فيمن بعده من المفسرين الذين ينقلون عنه بعض آرائه .

المطلب التاسع : أسلوب الإنشاء في تفسير الإمام ابن عطية

لقد أشار الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في تفسيره إلى أسلوبي الأمر والاستفهام اللّذين هما من الأساليب الإنشائية، ونبّه على الأغراض التي يخرجان إليها في ضوء السياق القرآني، وسأورد بعض النماذج التي تبرز احتفائه واعتناءه بهما:

---

[844] ـ التحرير والتنوير : ج 30، ص 510

[845] ـ ينظر : معترك الأقران ، ص 331

ـــ الفرع الأول : الأمر

كثرت الإشارة إلى أسلوب الأمر في تفسير الإمام ابن عطية ، ونبّه على كثير من الأغراض التي يخرج إليها في ضوء السياق السياق القرآني ، ومن جملة تلك الإشارات :

ــ الأمر للوعيد :

من الأغراض التي يفيدها الأمر ويخرج إليها الوعيد ، وقد نصّ على ذلك أئمة اللغة الأوائل ، فالإمام المبرّد يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾«[846]» ، قيل : «مخرجه من الله عزّ وجل على الوعيد »«[847]» ، وقال الإمام ابن فارس : « ويكون أمرا والمعنى وعيد »«[848]».

ومن إشارة الإمام ابن عطية له في تفسيره :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾«[849]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : « وقل اعملوا » ، الآية صيغة أمر مضمنها الوعيد ، وقال الطبري : المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا ، قال القاضي أبو محمد : والظاهر أنّ المراد بها الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعدون ...»«[850]».

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الأمر الوارد في الآية متضمّن لمعنى الوعيد ، ثمّ بيّن المعنيّين بهذا الوعيد فيما نقله عن الإمام الطبري بأنّهم الذين اعتذروا من المخلفين يوم تبوك ولم يتوبوا ، غير أنّه رجّح عناية الخطاب المعتذرين الذين لم يتوبوا فهم المتوعدون من قبله تعالى ، وقد أورد الإمام أبو

846_ سورة الحجر : الآية 3

847_ المقتضب ، ج 2 ، ص 84

848 ـ الصّاحبي في فقه اللغة : ص 190

849 ــ سورة التوبة : الآية 105

850 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 3 ، ص 89 .

حيّان كلام الإمام ابن عطية في تفسيره وأخبر أنّ الأمر في الآية مستعمل لمعنى الوعيد ، لكنّه رجّح تخصيص المعتذرين التائبين بالخطاب ، فقال : « صيغة أمر مضمنها الوعيد ، والمعتذرون التائبون من المتخلفين ، هم المخاطبون ، وقيل : هم المعتذرون الذين لم يتوبوا ، وقيل المؤمنون والمنافقون ... وإذا كان الضمير للمعتذرين للخالطين التائبين ، وهو الظاهر فقد أبرزوا بقوله : «فسيرى الله عملكم ، إبراز المنافقين الذين قيل لهم : قد نبأنا الله من إخباركم »«[851]»

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى تضمن الأمر هنا لمعنى الترغيب والتحضيض منهم الإمام الرازي «[852]» الإمام أبو السعود«[853]» والشيخ الطّاهر بن عاشور «[854]».

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾«[855]».

قال ـ رحمه الله ـ «[856]» : « وقوله : « اعملوا » تهديد ووعيد ، وهو نحو قوله : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾«[857]».

فالإمام ابن عطيّة يخبر بأنّ الأمر في لفظة «اعملوا» مستعمل في معنى التهديد والوعيد، والمقصود تهديد شعيب عليه السلام لقومه بأمرهم أن يعملوا على الحالة التي هم عليها من الترف والعزّ فسوف يرون من يحل عليه العذاب فيخزيه ويرديه ، وقد ذكر أئمة التفسير إفادة هذا الأمر لمعنى التهديد ، وممّن أشار إلى ذلك الإمام الرّازي ، حيث قال : « وقوله :«ٱعۡمَلُواْ » وإن كان صيغته

---

[851] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 100 .
[852] ـ مفاتح الغيب ، ج 16 ، ص 144 .
[853] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 4، ص 100 .
[854] ـ التحرير والتنوير ، ج 11، ص 25 .
[855] ـ سورة هود : الآية 93 .
[856] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 217 .
[857] ـ سورة فصّلت : الآية 40 .

صيغة الأمر ، إلاّ أنّ المراد منها التهديد »«[858]» كما أشار إلى ذلك الإمام القرطبي «[859]» والإمام ابن جزي«[860]» والإمام أبو حيّان«[861]» ، والشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال هذا الأخير : « ... والأمر للتهديد ، والمعنى : اعملوا متمكنين من مكانتكم ، أي حاكم التي أنتم عليها ، أي اعملوا ما تحبّون أن تعملوه بي »«[862]»

وبهذا الإجماع من أئمة التفسير يكون معنى هذا الأمر هو التهديد .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[863]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وأمّا قوله تعالى : «فَتَمَتَّعُواْ» فأمر على جهة الوعيد ، والتقدير : قل لهم يا محمد « فتمتعوا »«[864]».

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الأمر في لفظة : «فتمتعوا» مستعمل في معنى الوعيد ، والمعني بهذا الخطاب هم مشركو زمانه صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل هذا الأمر على معنى الوعيد الإمام النسفي ، فقال : « فتمتعوا بكفركم قليلا أمر وعيد »«[865]» ، وذكر الإمام القرطبي تضمنه معنى

---

[858] ــ مفاتح الغيب ، ج18 ، ص 416.
[859] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج9 ، ص 92 .
[860] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 396 .
[861] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 5 ، ص 257 .
[862] ــ التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 152 .
[863] ــ سورة الروم : الآية 34 .
[864] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 391 .
[865] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج 3، ص 218

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التهديد والوعيد«[866]» ، والسمين الحلبي إفادته معنى التهديد«[867]» ، في حين ذهب الإمام الطاهر بن عاشور إلى القول بأنّه مستعمل في معنى التهديد والتوبيخ«[868]»

ونلحظ ممّا ذكرناه عن هؤلاء الأئمة في معنى هذا الأمر أنّ منهم من جعله مستعملا في الوعيد ومنهم من جعله للتهديد ، ولا فرق بينهما لأنّ التهديد والوعيد بمعنى واحد ، وهذا ما نشهده في كلام الأئمة الأوائل من أمثال أبي عبيدة وابن قتيبة وابن فارس فبعضهم يطلق معنى الوعيد على آية معينة ، وآخر يصرّح بإفادتها معنى التهديد .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾«[869]» قال رحمه الله ــ « وقوله تعالى : «ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ» وعيد في صيغة الأمر بإجماع من أهل العلم ، و دليل الوعيد ومبيّنه قوله : «إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»«[870]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الأمر في لفظة «اعملوا» مستعمل في معنى الوعيد ، والقرينة الدّالة عليه هي قوله تعالى : «إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» فهو رقيب عليكم يجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشر ، وقد ذكر الإمام ابن كثير تضمن هذا الاستفهام لمعنى الوعيد فيما نقله عن أئمة التابعين ، حيث قال : « ... قال مجاهد ، والضحاك ، وعطاء الخراساني : اعملوا ما شئتم وعيد ، أي من خير أو شر ، إنّه عليم بكم وبصير بأعمالكم ...»«[871]» وذكر الإمامان أبو حيّان وابن عادل أنّه أفاد معنى التهديد و الوعيد ، فقال أبو حيّان : « وعيد وتهديد

[866]ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج 14 ، ص 33

[867]ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، ج 5 ، ص 379

[868]ـ التحرير والتنوير ، ج 21 ، ص 98

[869] ـ سورة فصّلت : الآية 40

[870] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 17 .

[871] ـ تفسير القرآن العظيم ، ط 2 ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1420 هـ ـ1999 م، ج 7 ، ص 183 .

بصيغة الأمر ، ولذا جاء إنّه بما تعملون بصير ، فيجازيكم بأعمالكم »«[872]» ، وقال ابن عادل : « وهذا أمر تهديد ووعيد أيضا »«[873] ، وذهب كثير من الأئمة إلى القول بأنّه مستعمل في معنى التهديد ، ومن هؤلاء الإمام الرّازي«[874]» ، والإمام القرطبي«[875]» ، والإمام ابن جزي«[876]» ، والإمام أبو السعود«[877]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[878]».

والذي يخلص إليه في هذه الأقوال بين أئمة التفسير أنّه لا فرق بين معنى الوعيد والتهديد ، فكلاهما بمعنى واحد ، وقد سبق القول بأنّ الكثير من الأئمة يطلقهما على غرض واحد .

ــ الأمر للتحقير :

من المعاني التي يخرج إليها الأمر التحقير ، أو الاحتقار ، وقد مثّل له القزويني والسيوطي «[879]» بقوله تعالى :﴿ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾«[880]» ، وجعله البعض قريبا من الاهانة أو هما بمعنى واحد «[881]».

وقد أشار إلى هذا النوع من الأمر الإمام ابن عطية مرّة واحدة في تفسيره ، وذلك :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾«[882]» .

---

[872] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 470 .

[873] ــ اللباب في علوم الكتاب ، ج17 ، ص 145

[874] ــ مفاتح الغيب ، ج 27: ص 575

[875] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 15، ص 366

[876] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :، ج 2، ص 272

[877] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8 ، ص 15

[878] ــ التحرير والتنوير ، ج24 ، ص 305

[879] ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن : ج 1 ، ص 336 .

[880] ــ سورة يونس : الآية 80

[881] ــ بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : عبد المتعال الصعيدي ، ج 2 ، ص 127

[882] ــ سورة البقرة : الآية 150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : « **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي** » الآية تحقير لشأنهم ، وأمر باطّراح أمرهم ومراعاة أمره »«[883]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الأمر الوارد في لفظة : «فلا تخشوهم » مستعمل في معنى التحقير ، أي تحقير شأن اليهود بعدم اتباع أمرهم وتركهم ، وعدم الخوف منهم بشأن مخالفتكم لهم في القبلة ، والواجب خشيته هو سبحانه وتعالى ، فهو المستحق وحده للخشية .

وقد ذكر تضمن الأمر هنا لمعنى التحقير من أئمة التفسير الإمام القرطبي ، فقال : « ومعنى الآية التحقير ، والأمر باطراح أمرهم ومراعاة أمر الله تعالى »«[884]» ، كما نبّه على ذلك وأشار إليه الإمام أبو حيّان فقال : ««فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي» هذا فيه تحقير لشأنهم ، وأمر باطّراحهم ، ومراعاة لأمره تعالى »«[885]» ، وما ذكر الإمام أبو حيّان نقله عنه الإمام ابن عادل في تفسيره«[886]» .

ويظهر من هذه الأقوال أنّهم نقلوها عن الإمام ابن عطيّة ، فهو أوّل من أشار إلى ذلك من المفسرين ، وعليه فالأمر في نظره ونظر هؤلاء المفسرين هو للتحقير .

---

[883] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 211 .

[884] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 170 .

[885] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 616 .

[886] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 3 ، ص 70

ــ الأمر للتغبيط :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾« [887] ».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : «وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ» أمر في ضمنه التغبيط للمؤمنين بمثل ما فعله بنو حارثة وبنو سلمة من المسير مع النبي صلى الله عليه وسلم »« [888] »

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الأمر في لفظة : « فليتوكل » متضمن معنى التغبيط كما عبّر هو عنه ، والمقصود بالتغبيط هو الحض والتحريض ، أي حضّ المؤمنين وتحريضهم على ضرورة التوكل عليه وعدم الفشل تأسيا بقبيلة بني سلمة وبني الحارث فهم من نزلت فيهم الآية بعد أن كادوا أن يفشلوا عن القتال ، فأيّدهم الله وتولاهم بسبب توكلهم عليه ، ففي هذا الأمر حض على ضرورة التوكل على الله والاستبشار بما وعد به المتوكلين عليه .

وقد ذكر الإمام أبو حيّان وحده من بين المفسرين ما أورده الإمام ابن عطية في تفسيره ، ويكون في هذا مقتبسا هذا المعنى منه ، حيث قال : «... وفي هذا الأمر تحريض على التغبيط بما فعلته الطائفتان من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسير معه »« [889] » .

وبهذا يكون الإمام ابن عطية قد انفرد من بين المفسرين في القول بأنّ هذا الأمر متضمن لمعنى التغبيط ، وأبو حيّان ، في حين ذهب جلّ المفسرين إلى تفسير التوكل ، وبيان سببه في الآية فحسب والعلّة الدّاعية إليه .

887 ــ سورة آل عمران : الآية 122.

888 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 527 .

889 ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 51

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــ الأمر للإباحة :

من المعاني التي يخرج إليها الأمر الإباحة ، ومعناه الإذن في فعل أمر من الأمور ، أو القيام بشيء من الأشياء ، وقد أشار إلى هذا النوع من الأغراض أئمة اللغة الأوائل ، فهذا الإمام ابن قتيبة يذكره فيقول «[890]» : « وعلى لفظ الأمر وهو إباحة قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾«[891]» ، وقوله : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾«[892]» ، كما نبّه عليه الإمام المبرّد قائلا : « وقد يكون لها موضع آخر معناه الاباحة ، وذلك قولك : « جالس الحسن أو ابن سيرين » ، وائت المسجد أو السوق » أي قد أذنت لك في مجالسة هذا الضرب من الناس ، وفي إتيان هذا الضرب من المواضع »«[893]»

وقد أشار الإمام ابن عطية إلى هذا النوع من الأمر مرتين في تفسيره ، وذلك :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾«[894]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : «فَاصْطَادُوا» صيغة أمر ومعناه الإباحة بإجماع من الناس »«[895]» .

فالإمام ان عطية يخبر بأنّ الأمر في لفظة فاصطادوا للإباحة ، أي إباحة الصيد للمحرم إذا تحللّ من إحرامه إذا أحرم بأحد النسكين حجا أو عمرة ، وقد أجمع المفسرون على خروج الأمر هنا لمعنى الإباحة ، وممّن صرّ ح بذلك الإمام الرّازي«[896]» ، والقرطبي «[897]» ، وابن جزي«[898]» ،

---

[890] ــ تأويل مشكل القرآن : ص 316

[891] ــ سورة النور: الآية 33

[892] ــ سورة الجمعة : الآية 10

[893] ــ المقتضب : ج 1، ص 149

[894] ــ سورة المائدة : الآية 2

[895] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 172 .

[896] ــ مفاتح الغيب : ج 11 ، ص 279

[897] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6، ص 44

والنسفي «[899]»، وأبو حيّان «[900]» ، وأبو السعود «[901]» ، والشيخ الطاهر بن عاشور «[902]» ، وقد ذكر الإمام ابن كثير «[903]» أن الأمر في هذه الآية هو من قبيل الأمر الوارد بعد النهي فيرجع ذلك الشيء إلى ما كان عليه قبل النهي فإن واجبا فهو واجب ، وإن كان مندوبا فهو مندوب ، وإن كان مباحا فهو مباح ، وهذا أمر مذكور في كتب الأصول ، وقد ردّ الشيخ الطاّهر بن عاشور هذا القول ، وذكر بأنّ الأمر في الآية ليس من قبيل الأمر الوارد بعد النهي ، لأنّ ذلك يتعلق بالشيء المنهي عنه نهيا مستمرا ، والنهي عن الصيد هنا موقت بالإحرام فحسب ، فإذا أحلّ المحرم رجع الصيد إلى إباحته الأصلية ، ونصّ كلامه كالآتي : ««**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**»«[904]» تصريح بقوله : غير محلي الصيد وأنتم حرم لقصد تأكيد الإباحة ، فالأمر فيه للإباحة ، وليس هذا من الأمر الوارد بعد النهي ، لأنّ تلك المسألة مفروضة في النهي عن الشيء نهيا مستمرا ، ثمّ الأمر به كذلك ، وما هنا إنّما هو نهي موقت وأمر في بقية الأوقات ، فلا يجري هنا ما ذكر في أصول الفقه من الخلاف في مدلول صيغة الأمر الوارد بعد حظر »«[905]»

---

[898] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 223

[899] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 255

[900] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3، ص 436

[901] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3، ص 4

[902] ـ التحرير والتنوير : ج 6 ، ص 85

[903] ـ تفسير القرآن العظيم : ج 2، ص 12

[904] ـ سورة المائدة : الآية 2 .

[905] ـ التحرير والتنوير : ج 6، ص 85

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾«[906]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وقوله : «فَٱنتَشِرُواْ » أجمع النّاس على أنّ مقتضى هذا الأمر للإباحة ، وكذلك قوله تعالى : «وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ » أنّه الإباحة في طلب المعاش ، وإنّ ذلك مثل قوله تعالى : «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ»«[907]» ، إلاّ ما روي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « ذلك الفضل المبتغى هو عيادة مرض ، أو صلة صديق ، أو اتباع جنازة »«[908]»

فالإمام ابن عطية يقرّر بأنّ المفسرين أجمعوا على أنّ الأمران في لفظتي «فانتشروا وابتغوا » للإباحة ، أي إباحة طلب المعاش والسعي في الكسب ، وقد قال بهذا أئمة التفسير من أمثال الإمام البيضاوي«[909]» ، والرّازي«[910]» ، والقرطبي «[911]» ، والنسفي«[912]» ، وابن جزي«[913]» ، وابن عادل «[914]»، وأبي السعود«[915]» ، والطّاهر بن عاشور«[916]» .

وأمّا قوله بأنّ هذا الفضل المبتغى قد ورد فيه أثر روي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم : « وهو عيادة مريض ، أو صلة صديق ، أو اتباع جنازة » ، فهذا الأثر ذكره

---

[906] ـ سورة الجمعة : الآية 10 .
[907] ـ سورة المائدة : الآية 2 .
[908] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 284 .
[909] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5 ، ص 212
[910] ـ مفاتح الغيب : ج 30، ص 545
[911] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 18، ص 108
[912] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4، ص 201
[913] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 417
[914] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 19، ص 91
[915] ـ إرشاد العقل لسليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8، ص 250
[916] ـ التحرير والتنوير : ج28 ، ص 227

الإمام ابن جرير الطبري مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم عن أنس«[917]» ، وقد قال فيه الإمام ابن جزي : « وإن صحّ الحديث لم يحمل على سواه »«[918]».

ـــ الأمر للخبر :

وقد أشار الإمام ابن عطية إلى هذا النوع من الأمر في تفسيره مرّة واحدة

ـــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾«[919]» قال ـــ رحمه الله ـــ : « لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر عن صورة الحال كما تقول : إذا وصفت حربا لمن تخاطبه لقينا القوم وهزمناهم فاضرب بسيفك حيث شئت واقتل واخذ أسيرك أي هذه كانت صفة الحال »«[920]»

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الأمر في لفظة «فاضربوا » هو في معنى الخبر ، أي الإخبار عن حال هؤلاء الذين هم في المعركة سواء كان الصحابة هم المعنيون بهذا الأمر أو الملائكة ، فقد وقع الخلاف بين المفسرين في المقصود بالخطاب ، فمنهم من قال أنّه أمر للملائكة ، ومنهم من قال إنّه خطاب للصّحابة ، وكيفما كان الأمر ، فالإمام ابن عطية يرى بأنّ الأمر أفاد معنى الإخبار عن هؤلاء المقاتلين داخل المعركة كيف نالوا من المشركين ، وبالغوا في قتلهم ، ولم أجد من المفسرين من أشار إلى غرض هذا الأمر ، فجلّهم راح يبحث عن المقصود بالخطاب وعن معنى فوق الأعناق والبنان ، إلاّ أنّ الإمام أبا حيّان نقل كلام الإمام ابن عطية في تفسيره وساقه بنصّه ، فقال : « ... ثمّ يجئ قوله : فاضربوا فوق الأعناق ، لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر عن صورة الحال ،

---

[917] ـــ جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ص 23 ، ص 385 .

[918] ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 417

[919] ـــ سورة الأنفال : الآية 12

[920] ـــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 581 .

كما تقول : إذا وصفت لمن تخاطبه لقينا القوم وهزمناهم فاضرب بسيفك حيث شئت ، واقتل واخذ أسيرك ، أي هذه كانت صفة الحال ...»«[921]».

ـــ الأمر للتهديد :

من المعاني التي يخرج إليها الأمر التهديد . وهو قريب من معنى الوعيد ، وقد أشار الإمام ابن عطية إلى هذا النوع من الأمر :

عند تفسير قوله تعالى :﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾«[922]».

قال ـ رحمه الله ـ « وقوله : «فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ» صيغة أمر على جهة التهديد ، كنحو قوله تعالى : «ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ »«[923]»، وقوله : ﴿ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ ﴾«[924]» ، وهو كثير »«[925]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الأمر في لفظة : «فاعبدوا» مستعمل في معنى التهديد للمشركين الذين أشركوا به ، وقد ذكر كثير من أئمة التفسير هذا المعنى للأمر ، وممّن صرّح بذلك الإمام البيضاوي«[926]» ، والإمام ابن جزي«[927]» ، والإمام النسفي«[928]» ، والإمام ابن كثير«[929]» والإمام أبو حيّان «[930]»، وذكر الإمامان القرطبي«[931]» وابن عادل«[932]» أنّه تضمن معنى

---

[921] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 464 .
[922] ـ سورة الزمر : الآية 15
[923] ـ سورة فصلت : الآية 40
[924] ـ سورة الزمر : الآية 8
[925] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 549.
[926] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5، ص 39
[927] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 246
[928] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4 ، ص 43
[929] ـ تفسير القرآن العظيم : ج 7، ص 90
[930] ـ تفسير البحر المحيط : ج 7، ص 403
[931] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 15، ص 243

التهديد والتوبيخ ، ورأى الشيخ الطاهر بن عاشور أنّ الأمر هنا للتسوية«[933]» ، أي التخيير في عبادة أي شيء

ولا شكّ أنّ ما ذهب إليه جمهور المفسرين هو الرّاجح ، فالأمر مستعمل لمعنى التهديد والوعيد للمشركين .

ـ الأمر للتعجيز :

من المعاني التي يخرج إليها الأمر التعجيز ، ومعناه طلب أمر من المخاطب لا يقدر عليه قصد تعجيزه وإظهار ضعفه، وقد ذكر هذا النوع من أغراض الأمر الإمام ابن فارس والسبكي والسيوطي«[934]» ، وقد أشار إليه الإمام ابن عطية مرّة واحدة في تفسيره ، وذلك :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾«[935]».

قال ــ رحمه الله ــ « وقوله : « فانفذوا » صيغة الأمر ، ومعناه التعجيز »«[936]».

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الأمر في لفظة «فانفذوا» تضمن معنى التعجيز ، والخطاب للجنّ والإنس فإنّه يطلب منهم عند معاينة العذاب أن يفروا ويهربوا من أقطار السموات والأرض وأرجائهما إن كانت لهم قوة ، وأنّى لهم ذلك مع قوّة الله تعالى ، وقد أجمع أئمة التفسير على أنّ هذا الأمر مستعمل في معنى التعجيز ، وممّن قال بذلك الإمام الرّازي«[937]» ، والإمام القرطبي

---

[932] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 16، ص 490

[933] ــ التحرير والتنوير : ج 29، ص 359

[934] ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن : ج ص 319

[935] ــ سورة الرحمان : الآية 33

[936] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 210

[937] ــ مفاتح الغيب : ج 29، ص 367

«[938]»، والإمام ابن جزي«[939]»، والإمام أبو حيّان«[940]» ، والإمام السمين الحلبي «[941]» ، والإمام ابن عادل«[942]» .

ـ الفرع الثاني : الاستفهام

لقد أشار الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في تفسيره إلى بعض الاستفهامات وبيّن أغراضها المجازية التي تخرج إليها ، ومن جملة تلك الإشارات ما يلي :

ــ الاستفهام التقريري :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾«[943]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الخطاب للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنّ الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم ، ومعنى هذا الخطاب التقرير على أمر فيه بعد إذ قد سلفت لأسلاف هؤلاء اليهود أفاعيل سوء ، وهؤلاء على ذلك السنن »«[944]» .

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة : « أفتطمعون » جاء لمعنى التقرير ، فهو يقرر حال اليهود للمؤمنين ويذكرهم بأنّهم لا ينبغي لهم الطمع في إيمان من هذه حالته وعادته في تكذيب أنبياء الله ورسله ، وقد جاءتهم رسل الله بالآيات البينة والمعجزات الظاهرة ، فما زادهم

---

938 ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 17، ص 170

939 ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 368

940 ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 193

941 ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 6 ،ص 243

942 ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 18، ص 331

943 ـ سورة البقرة : الآية 76

944 ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج1 ، ص 148.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ذلك إلاّ استكبارا وإعراضا ، وإذا تقرّر أنّ هذه هي عادتهم وديدنهم فلا ينبغي أن يطمع إيمانهم وإسلامهم .

وقد نقل الإمام أبو حيّان هذا القول عن الإمام ابن عطية ، مع ذكره لاحتمال آخر ، وهو أن يكون هذا الاستفهام للإنكار ، أي الإنكار على المؤمنين في رغبتهم إيمان اليهود فقال : « والهمزة في أفتطمعون للاستفهام ، وفيها معنى التقرير ، كأنّه قال : قد طمعتم في إيمان هؤلاء وحالهم ما ذكر ، وقيل : فيه ضرب من النكير على الرغبة في إيمان من شواهد امتناعه قائمة ، واستبعد إيمانهم ، لأنّهم كفروا بموسى مع ما شاهدوا من الخوارق على يديه ، ولأنّهم ما اعترفوا بالحق مع علمهم ، ولأنّهم لا يصلحون للنظر والاستدلال »«[945]» .

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ هذا الاستفهام للإنكار ، منهم الإمام الرّازي«[946]» ، والإمام القرطبي«[947]» ، والإمام ابن عادل«[948]» ، والإمام أبو السعود«[949]» ، وذكر الشيخ الطاهر بن عاشور أنّه للإنكار والتعجيب «[950]» .

وقد سبق القول أنّ حقيقة استفهام التقرير أنّه إنكار ، وبالتالي لا يكون خلاف بين ما ذهب إليه ابن عطية من أنّ الاستفهام للتقرير ، وما ذكره بقية المفسرين من أنّه للإنكار .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾«[951]»قال ـــ رحمه الله ـــ :

« وقوله : «أَلَمْ تَعْلَمْ» ظاهره الاستفهام ومعناه التقرير ، والتقرير محتاج إلى معادل كالاستفهام المحض ، فالمعادل هنا على قول جماعة « أم تريدون» ، وقال قوم : أم هنا منقطعة فالمعادل على

---

945 ـ البحر المحيط : ج 1 ، ص 434 .

946 ـ مفاتح الغيب : ج 3، ص 558

947 ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 2، ص 1

948 ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 2، ص 191

949 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج1 ، ص 116

950 ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 566

951 ـ سورة البقرة : الآية 106

قومهم محذوف تقديره أم علمتم ، وهذا كلّه على أنّ القصد بمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة أمته ، وأمّا إن كان هو المخاطب وحده فالمعادل محذوف لا غير ، وكلا القولين مروي »[952] .

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « ألم » متضمن لمعنى التقرير ، أي أنّ الله تعالى أردا أن يقول لنبيه أو للمؤمنين إنّكم تعلمون أنّي خالق السموات والأرض والمتصرف فيهما ، وأنّي قادر على كل شيء أفعل ما أريد ، ومن ذلك إبدال الآيات وإثباتها ، فأنا القادر على ذلك لا غير .

وقد أكّد كثير من المفسرين مجيء هذا الاستفهام لمعنى التقرير منهم الإمام أبو حيّان الذي نقل ما ذكره ابن عطيّة وثبته ، فقال : « ... قال ابن عطية ظاهره الاستفهام المحض ، فالمعادل هنا على قول جماعة : أم تريدون ، وقال قوم : أم هنا منقطعة ، فالمعادل على قولهم محذوف تقديره : أم علمتم ، وهذا كلّه على أنّ القصد بمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة أمته ، وأمّا إن كان هو المخاطب وحده ، فالمعادل محذوف لا غير ، وكلا القولين مروي ، انتهى كلامه ونقله ، وما قالوه ليس بجيد ، بل هذا استفهام معناه التقرير ، فلا يحتاج إلى معادل البتة ، والأولى أن يكون المخاطب السّامع ، والاستفهام بمعنى التقرير كثير في كلامهم جدا ، خصوصا إذا دخل على النفي ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[953]»﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾«[954]»﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾«[955]»﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾«[956]» فهذا كلّه استفهام لا يحتاج فيه إلى معادل ، لأنّه إنّما يراد به التقرير ، والمعنى قد علمت أيّها المخاطب أنّ

952 ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 179 .

953 ـ سورة العنكبوت : الآية 10 .

954 ـ سورة التين : الآية 8 .

955 ـ سورة الضحى : الآية 9 .

956 ـ سورة الشرح : الآية 1 .

الله قادر على كلّ شيء ، فله التصرف في تكاليف عباده بمحو وإثبات وإبدال حكم بحكم ، وبأن يأتي بالأخير لكم وبالمماثل »«[957]»

ومن المفسرين الذين أكّدوا بأنّ الاستفهام للتقرير الإمام ابن عادل«[958]» ، وأبو السّعود «[959]»، والإمام ابن عاشور«[960]» .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾«[961]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « وقوله تعالى : «قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ» أمره الله تعالى أن يستفهم على جهة التقرير على موضع الحجة »«[962]»

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة : « قل من أنزل» مستعمل في معنى التقرير ، والمقصود إقرار الحجة وإثباتها على اليهود على القول بأنّ الخطاب يخصهم ، فهم قد أنكروا نبوّته صلى الله عليه وسلم ، وأنكروا نزول الوحي عليه ، وفيهم من أنكر نزول التوراة على موسى عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾«[963]» ، فذكرهم الله تعالى ملزما إيّاهم الحجة بنزول الكتاب على موسى وتلاوته بينهم ، وإذا كان سبحانه تعالى خصّ موسى بالوحي ، فما الذي يمنع أن يخص رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك .

---

[957] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، 514 .
[958] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 2 ، ص 383
[959] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 143
[960] ـ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 477
[961] ـ سورة الأنعام: الآية 91
[962] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 378
[963] ـ سورة الأنعام : الآية 91

وقد أشار الشيخ الطّاهر بن عاشور إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير ، فقال : « ... والمراد بشيء هنا شيء من الوحي ، ولذلك أمر الله نبيه بأن يفحمهم باستفهام تقرير وإلجاء بقوله : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ... »«[964]»

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾«[965]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : «وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا» الآية ما استفهام يتضمن التقرير ، وتقدير الكلام أي شيء لكم في أن لا تأكلوا»«[966]» .

فالإمام ابن عطية يقرّ بأنّ الاستفهام في لفظة : « وما لكم » متضمن للتقرير ، والمقصود من الكلام الموجه إليهم هو بيان علة امتناعهم عن الأكل ممّا ذكروا اسم الله عليه ، وقد بيّن لهم الحلال والحرام ، فالمعنى على هذا ما هو الغرض والهدف من عدم أكلكم ممّا ذكرتم اسمي عليه ، وقد نصّ الإمام القرطبي على تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير ، فقال : « ما استفهام يتضمن التقرير ، وتقدير الكلام : وأي شيء لكم في ألاّ تأكلوا »«[967]» .

وحمل الإمام أبو حيّان والألوسي هذا الاستفهام على معنى الإنكار ، حيث قال الأول : « أي ، وأي غرض لكم في الامتناع من أكل ما ذكر اسم الله عليه ، وهو استفهام يتضمن الإنكار على من امتنع من ذلك أي لا شيء يمنع من ذلك»«[968]»

وقال الثاني : « ... إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر اسم الله تعالى عليه ، فما للاستفهام الإنكاري ، وليست نافية كما قيل »«[969]»

---

[964]ــ التحرير والتنوير : ج 7، ص 363

[965] ــ سورة الأنعام : الآية 119

[966] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 399 .

[967] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 7 ، ص 73

[968] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 207 .

[969]ــ روح المعاني والسبع المثاني : ج 4 ، ص 259

ولا تعارض بين ما ذكره الإمام ابن عطية ، وما قرّره هذان الإمامان ، فقد أسلفت القول بأنّ حقيقة الاستفهام التقريري هو استفهام إنكاري .

واختار الشيخ الطّاهر بن عاشور ورود هذا الاستفهام لمعنى النفي ، فقال : « وما للاستفهام ، وهو مستعمل في معنى النفي أي لا يثبت لكم عدم الأكل ممّا ذكر اسم الله عليه ، أي كلوا ممّا ذكر اسم الله عليه »[970].

كما أشار الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ إلى الاستفهام التقريري المقرون بغرض كالتوبيخ في مواضع كثيرة من تفسيره ، ومن أمثلة ذلك :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[971].

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : «كَيْفَ تَكْفُرُونَ» لفظه الاستفهام وليس به بل هو تقرير وتوبيخ أي كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه »[972]

فالإمام ابن عطية يقرّر بأنّ الاستفهام في لفظة «كيف»خرج مخرج التقرير والتوبيخ ، أي الاقرار بكفر المشركين وتوبيخهم بعد تعريفهم بحقيقة حالهم قبل الوجود ، فهو الذي خلقهم من عدم وهو الذي يتوفاهم بعد خلقهم ، وهو الذي يبعثهم من قبورهم إلى يوم البعث ، ومع ذلك كفروا بمن قدرته أعجزت الخلائق وأبهتهم ، فلا يليق بمن هذه قدرته أن يكفر به .

هذا وقد ذكر الإمام القرطبي تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير والتوبيخ ، فقال : « وقيل : كيف لفظه لفظ الاستفهام وليس به ، بل هو تقرير وتوبيخ ، أي تكفرون نعمة الله عليكم و قدرته

---

[970] ــ التحرير والتنوير : ج 8 ، ص 33

[971] ــ سورة البقرة : الآية 28

[972] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 99

هذه»«[973]» ، وأخبر الإمام ابن جزي أنّ هذا الاستفهام مستعمل في معنى الإنكار والتوبيخ ، فقال : ««كيف » موضعها الاستفهام ، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ »«[974]»

وأقرّ الإمام أبو حيّان إمكانية احتمال هذا الاستفهام لمعنيين أحدهما : التقرير والتوبيخ ، والثاني : الإنكار والتعجب ، فروى القولين في تفسيره «[975]».

و نصّ كثير من المفسرين على أنّ الاستفهام هنا للإنكار والتعجيب وممّن قال بذلك الإمام الزمخشري«[976]» ، والبيضاوي«[977]» ، وأبو السّعود «[978]» ، والشيخ الطاهر بن عاشور«[979]» .

وبهذا يتضح تباين عبارات المفسرين في بيان ماهية هذا الاستفهام وحقيقة ما يخرج إليه ، فابن عطية يؤكد أنّه للتقرير والتوبيخ ،والقرطبي يوافقه ويؤيده ، وابن جزي ينص على الإنكار مع التوبيخ ، وهو في هذا يلتقي مع ابن عطية فيما ذهب إليه لأنّ التقرير أصله إنكار ، وبقية المفسرين يتفقون مع ابن عطية في الانكار على اعتبار أنّ أصل استفهام التقرير إنكار ، لكنّهم يختلفون معه في إفادته للتعجب .

---

973 ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص248 .

974 ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 67 .

975 ـ تفسير البحر المحيط : ج 1، ص 295

976 ـ الكشاف : ج 1 ، ص 150

977ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 65

978ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ،ص 77

979ـ التحرير والتنوير : ج 1 ،ص 374 .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾«[980]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « وقوله تعالى : «أَكَفَرْتُم » تقرير وتوبيخ محذوف تقديره فيقال لهم أكفرتم ...»«[981]»

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أكفرتم» متضمن لمعنى الإنكار ، أي الإنكار على هؤلاء الذين ارتدوا بعد إيمانهم ،سواء كان الخطاب لأهل الكتاب وبالخصوص اليهود الذين آمنوا به قبل مبعثه ، فلمّا ظهر عليهم كفروا به حسدا من عند أنفسهم ، أو كان الخطاب لمن ارتدّ من المشركين بعد إيمانهم ، ومعاينتهم للدلائل .

هذا وقد ذهب بعض المفسرين إلى حمل هذا الاستفهام على معنى التوبيخ والتعجب منهم الإمام البيضاوي«[982]» ، والنسفي«[983]» ، وأبو السعود«[984]» ، وحمله الإمام الرّازي على الإنكار«[985]» ، وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور إمكانية احتماله للتعجب ، أو الإنكار والتغليط ، فقال : « فالاستفهام على حقيقته مع كنايته عن معنى التعجب ، ويحتمل أنّه يقول تعالى لهم ، فالاستفهام مجاز عن الإنكار والتغليط»«[986]» .

فهذه هي إذن بعض أقوال المفسرين في بيان حقيقة ما يخرج إليه هذا الاستفهام ، فمن قال بأنّه للإنكار أو التوبيخ ، فهو يوافق ما ذكره الإمام ابن عطيّة ، فإنّ البلاغيين جعلوا حقيقة استفهام التقرير إنكار ، كما أنّ التوبيخ من قبيل الإنكار ، ومن قال بالتعجب فهو معنى آخر أضافه لأنّه

---

[980]ـ سورة آل عمران : الآية 106

[981] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 510

[982] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2، ص 32

[983]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 173

[984]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :ج 2، ص 69

[985]ـ مفاتح الغيب : ج 8 ، ص 308

[986]ـ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 45

رأى أنّ المعنى يقتضيه ويحتمله ، فعبارات المفسرين في بيان المعاني المجازية يحكمها الاجتهاد على المعنى ، وبالتالي يكون ما مثلّ له البلاغيون من أمثلة عن بعض المعاني المجازية للاستفهام اجتهادا ، وإلاّ فإنّ الاستفهام قد يدّل على أكثر من غرض .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾«[987]»
قال ــ رحمه الله ــ « وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ »«[988]»

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة : « فيم كنتم» مستعمل في معنى التقرير و التوبيخ ، والمعنى توبيخ من أسلم ولم يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وبقي في مكة حتّى فتنهم المشركون في دينهم فارتدوا وماتوا على الكفار ، فتسألهم الملائكة عن حالهم ، فيجيبون بهذا الجواب الذي لا يقبل به عذرهم عند الله تعالى .

هذا وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقرير والتوبيخ الإمام الطاهر بن عاشور ، فقال : « والاستفهام في قوله : «فيم كنتم » مستعمل للتقرير والتوبيخ »«[989]»، وحمله الإمامان القرطبي«[990]» وابن عادل«[991] على التقريع والتوبيخ ، واختار كل من الرّازي «[992]» و ابن جزي «[993]» والنسفي«[994]» تضمنه لمعنى التوبيخ .

[987] ــ سورة النساء : الآية 97
[988] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 118 .
[989] ــ التحرير والتنوير : ج 5، ص 175
[990] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 346
[991] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6، ص 590
[992] ــ مفاتيح الغيب : ج 11 ، ص 195
[993] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1 ، ص 207
[994] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل :ج 1 ، ص 235

وهذه الأقوال متقاربة ولا يوجد فيها شيء من التعارض ، فجّلهم يتفق على التوبيخ ، وقلت سابقا أنّ التوبيخ جعله البلاغيون من الإنكار، كما أنّ التقرير حقيقته إنكار ، وعليه فكلام ابن عطية يوافق ما ذهب إليه هؤلاء جميعا .

ـ عند تفسير قوله تعالى :﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾«[995]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وقرأ جمهور الناس أصطفى بالهمزة وهو ألف استفهام وهذا على جهة التقرير والتوبيخ على نسبتهم إليه اختيار الأدنى عندهم »«[996]» .

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى :«أَصۡطَفَى» مستعمل في معنى التقرير والتوبيخ ، أي تقرير ما ذهب إليه المشركون من الكذب والافتراء عليه سبحانه وتعالى من أنّه اختار الملائكة بنات على البنين ، فوبّخهم الله تعالى بعد أن أكدّ كلامهم .

وقد نصّ الإمام ابن جزي على تضمنه لهذا المعنى فقال : « أصطفى دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل»«[997]» ، وذكر كلّ من الإمام البيضاوي«[998]» ، وأبي حيّان«[999]» أنّه مستعمل في معنى الإنكار والاستبعاد ، وحمله الإمامان السمين الحلبي «[1000]» وابن عادل «[1001]» على معنى الإنكار والتقريع ، وذكر الإمام الرّازي أنّه للإنكار والتوبيخ «[1002]»، واختار الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه للإنكار والتعجب«[1003]» .

---

[995] ـ سورة الصافات : الآية 153.

[996] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 558 .

[997] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 224

[998] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5 ، ص 19

[999] ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 361

[1000] ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 5 ، ص 514.

[1001] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 16، ص 350

[1002] ـ مفاتح الغيب : ج 26، ص 365

[1003] ـ التحرير والتنوير : ج 23 ، ص 183

فهذه أقوال بعض المفسرين في معنى هذا الاستفهام ، فكل واحد منهم عبّر عن المعنى الذي يخرج إليه الاستفهام بما رآه من سياق الكلام ومعناه ، وأغلبهم متفق على الإنكار مع ذكر معنى آخر معه ، ويمكن أنّ يكون الإمام ابن عطية قد ذكر التقرير ويريد به الإنكار باعتبار أنّ الإنكار تقرير ، ومن ذكر التقريع فهو موافق لمعنى التوبيخ ، وأمّا من قال بالاستبعاد ، فإنّه أراد استبعاد وقوع هذا منه سبحانه وتعالى ، ومن قال بالتعجب ، فأراد التعجيب من حالهم فيما ادّعوه وقالوه ، وهذه المعاني جلّها يحتملها هذا الاستفهام .

ـــ الاستفهام التوبيخي :

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ ﴾«[1004]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « الآية استفهام على جهة التوبيخ إذ لم يبق لهم الادّعاء المحال والتقول أنّهم شاهدوا وصية الله لهم بهذا »«[1005]»

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أم» متضمن لمعنى التوبيخ ، أي توبيخ المشركين على ما قاموا به من تحريم بعض الأنعام التي أحلّها الله لهم ، وبالغ في التوبيخ عندما سألهم هل كنتم حاضرين أو شاهدين يوم أن أعلمتكم بهذا ووصيّتكم ففيه من التوبيخ والتهكم ما يدفع زعمهم ويبطله .

هذا وقد حمل بعض المفسرين الاستفهام هنا على معنى التهكم ، وممّن قال بذلك الإمام الزمخشري«[1006]» والنسفي«[1007]» والألوسي «[1008]» ، وحمله الإمام أبو السعود على الإنكار و

[1004] ـ سورة الأنعام : الآية 144.

[1005] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 418 .

[1006] ـ الكشاف : ج 2، ص 70

[1007] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2، ص 36

[1008] ـ روح المعاني والسبع المثاني : ج 4 ، ص 285

التوبيخ «[1009]»، وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه للتقرير والإنكار «[1010]» ، والذي يظهر من هذا الاستفهام أنّه للإنكار بطريقة التوبيخ والتهكم مبالغة في إبطال ما ادّعوه .

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾«[1011]» قال ـــ رحمه الله ـــ : « وقوله : أفغير توبيخ ولفظ استفهام ونصب غير ب تتقون ، لأنّه فعل لم يعمل في سوى في غير المذكورة والواو في قوله : «وما بكم » يجوز أن تكون واو ابتداء ويجوز أن تكون واو الحال ، ويكون الكلام متصلا بقوله : «أفغير الله تتقون» كأنّه يقال : على جهة التوبيخ أتتقون غير الله وما منعم عليكم سواه »«[1012]»

فالإمام ابن عطية يرى بأنّ الاستفهام في لفظة «أفغير» مستعمل في التوبيخ ، والمقصود توبيخ المشركين على خوفهم وخشيتهم غيره سبحانه وتعالى ، وقد تبيّن لهم أنّ ما بهم من نعم فمن عنده سبحانه وتعالى ، فقال لهم موبخا ما يحق وما ينبغي لكم أن تخشوا غيري .

وقد ذكر الشيخ الطّاهر ابن عاشور تضمنه لمعنى التوبيخ «[1013]»، وحمله الإمام أبو حيّان على التوبيخ ، والتعجب فقال : « أفغير استفهام تضمن التوبيخ والتعجب أي : بعدما عرفتم و حدانيته وأنّ ما سواه له ومحتاج إليه كيف تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضرّ يقدر عليه »«[1014]» ، وذهب الإمام ابن عادل«[1015]» وأبو السعود«[1016]» للقول بأنّه للإنكار .

[1009]ـ إرشاد العقل السليم إلى نزايا الكتاب الكريم : ج 3، ص 193

[1010] ـ التحرير والتنوير : ج 8، ص 130

[1011] ـ سورة النحل : الآية 52

[1012] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 400

[1013]ـ التحرير والتنوير : ج 14 ، ص 176

[1014] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 484 .

[1015]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 12، ص 81

[1016]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5، ص 120

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا تعارض بين التوبيخ والإنكار ، فكلاهما إنكار واحد ، وبهذا يكون الشيخ الطّاهر بن عاشور موافقا له فيما ذهب إليه من أنّ معنى هذا الاستفهام هو التوبيخ

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾«[1017]».

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا أيضا توبيخ المعنى ألم يعرفونه صادقا مدة عمره ، ولم يقع منهم إنكار قط لمعرفة وجه محمد صلى الله عليه وسلم وإنّما أنكروا صدقه ، وقوله : «أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ» توبيخ أيضا لأنّ الفرق بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جاء به وبين كلام ذي الجنة لا يخفى على ذي فطرة »«[1018]»

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى «أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ » جاء في معنى التوبيخ أي توبيخ المشركين على إنكارهم لمعرفته صلى الله عليه وسلم وما اشتهر به من الصدق والأمانة وحسن الحديث بين أظهرهم ، فهم أنكروا هذه الأوصاف لما بعث نبيا إليهم فحسدوه على ذلك ، فأنكروا ما عرف به .

هذا و قد ذكر الإمام أبو حيّان تضمن هذا الاستفهام لمعنى التوبيخ ، فقال : « وبّخهم ثالثا بأنّهم يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بأنّه خير فتيان قريش ، وكفى بخطبة أبي طالب حين تزّوج خديجة ، وأنّها احتوت على صفات له صلى الله عليه وسلم طرقت آذان قريش فلم تنكر منها شيئا ، أي قد سبقت معرفتهم له جملة وتفصيلا ، فلا يمكن إنكار شيء من أوصافه »«[1019]» ، وعلى نفس المعنى

[1017] ـ سورة المؤمنون : الآية 69 ـ 70

[1018] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 184

[1019] ـ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 381 .

حمل الاستفهام الإمام أبو السعود «[1020]»، واختار الإمام القرطبي القول بأنّ مقتضى هذا الاستفهام وغرضه هو التوقيف والتقبيح ، فقال : « هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح ، فيقولون : الخير أحبّ إليك أم الشّر ، أي قد أخبرت الشّر فتجنبه ، وقد عرفوا رسولهم وأنّه من أهل الصدق والأمانة ، ففي اتباعه الخير والنجاة لولا العنت »«[1021]»

والذي يظهر لي والله أعلم أنّ حمله على التوبيخ أرجح وأسلم وهو ما ذهب إليه الإمام ابن عطية و وافقه عليه الإمامان أبو حيّان وأبو السعود ، لأنّ قرينة الكلام والسياق يقتضي توبيخا على شيء سبق لهم الإقرار والاعتراف به ، ثمّ أنكروه حسدا واستكبار ، فلذا وبّخوا على فعلهم هذا .

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾«[1022]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وخاطبهم هود عليه السلام بمثل مخاطبة سائر الرسل ، ثمّ كلّمهم فيما انفردوا به من الأفعال التي اقتضتها أحوالهم فقال : «أتبنون» على جهة التوبيخ »«[1023]»

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «أتبنون» متضمن لمعنى التوبيخ ، أي توبيخ قوم عاد لما قاموا به من تشيد المباني العالية ، والقصور الطويلة لغرض العبث واللهو والفساد المقرون بالتباهي والافتخار على الخلق ، فلمّا كان هذا هو مقصدهم من البناء وبّخوا عليه .

ولم أجد من المفسرين من تناول معنى هذا الاستفهام إلاّ الشيخ الطّاهر بن عاشور ، فقد ذكر أنّه للإنكار ، فقال : « ولما صار أثر البناء شاغلا عن المقصد النافع للحياة في الآخرة نزّل فعلهم المفضي إلى العبث منزلة الفعل الذي أريد منه العبث عند الشروع فيه فأنكر عليهم البناء ، بإدخال همزة الإنكار على فعل تبنون ...»«[1024]»

[1020] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 6، ص 143

[1021] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 12 ، ص 139 .

[1022] ــ سورة الشعراء : الآية 128

[1023] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 285 .

[1024] ــ التحرير والتنوير : ج 19 ، ص 169

ولا تعارض بين الإنكار والتوبيخ فأصلهما واحد وهو الإنكار .

ـــ الاستفهام للإنكار :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾«[1025]».

قال ــ رحمه الله ــ « ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ الاستفهام »«[1026]».

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «ماذا» مستعمل في الإنكار ، والمقصود إنكار المشركين أن يضرب الله الأمثلة بالأمور المحقرة من البعوض وغيرها ، فهم أنكروا مثل هذا النوع من ضرب المثل واستحقروه ، فأكّد سبحانه تعالى بأنّ الغرض من المثل هو بيان الحقيقة والله لا يستحي من أن يضرب مثلا بأي شيء من مخلوقاته ما دام يريد بذلك إيصال شيء من الحقائق وإظهاره .

هذا وقد أشار كلّ من الإمام القرطبي والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1027]» إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار ، حيث قال الإمام القرطبي ما نصّه : « اختلف النحويون في ماذا فقيل : هي بمنزلة اسم واحد بمعنى أي شيء أردا الله ، فيكون في موضع نصب ب أردا ، قال ابن كيسان : وهو الجيد ، وقيل : ما اسم تام في موضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذي وهو خبر الابتداء ، ويكون التقدير : ما الذي أراده الله بهذا مثلا ، ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ الاستفهام »«[1028]» .

1025 ــ سورة البقرة : الآية 26

1026 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 98

1027 ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 364

1028 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 244 .

وحمل الإمام ابن جزي الاستفهام هنا على معنى الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب «[1029]»، بمعنى أن المشركين استبعدوا أن يضرب المثل بهذه المخلوقات واستهزئوا من ذلك ، وهذا يدخل في معنى الإنكار لا شك لأنّ الاستبعاد يعني الإنكار .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾«[1030]»

قال ــ رحمه الله ــ : «أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ : وقف على جهة التوبيخ والإنكار لحالهم ورأيهم »«[1031]»

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « أم » متضمن لمعنى الإنكار ، أي إنكار أن ينال الإنسان كل ما يتمناه ، ورأى البعض أنّه خاص بإنكار أن يحصل الكفار على الشفاعة ، وجعله البعض عاما ، وقد ذكر كل من البيضاوي «[1032]» وابن جزي «[1033]» و النسفي«[1034]» وأبو السعود«[1035]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1036]» أنّ الاستفهام هنا للإنكار .

ــ الاستفهام للتعجب :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾«[1037]»

[1029] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 67

[1030] ــ سورة النجم : الآية 24

[1031] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 183

[1032] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5 ، ص 159

[1033] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2، ص 356

[1034] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4 ، ص 156

[1035] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8 ، ص 159

[1036] ــ التحرير والتنوير : ج 27، ص 111

[1037] ــ سورة آل عمران : الآية 47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال ــ رحمه الله ــ : « وقول مريم : «ربّ أنّى يكون لي ولد» استفهام عن جهة حملها واستغراب للحمل على حال بكارتها »«[1038]» .

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة«أنّى» جاء في معنى التعجب ، أي تعجب مريم عليها السلام من حملها دونما زواج سابق، فهذا أمر خارج عن المألوف والمعروف ، فتعجبت من هذا الحمل مع أنّها لم يسق لها وأن تزوجت ولا أن كانت بغيا كما وصف ربّنا ، فهذا شيء حقيق بأن يتعجب منه .

هذا وقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام على معنى التعجب ، فالإمام البيضاوي«[1039]» وابن عادل«[1040]» والإمام الألوسي «[1041]» ذكروا بأنّه للتعجب والاستبعاد ، و جعله الإمام أبو حيّان للتعجب «[1042]»، والشيخ الطّاهر بن عاشور على معنى الإنكار والتعجب«[1043]» .

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾«[1044]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الآية لفظ استفهام وهو على جهة التعجب والاستبعاد أي على أيّ وجه يكون للمشركين عهد ، وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي ...»«[1045]».

[1038] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 1 ، ص 448 .
[1039] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 17
[1040] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 5 ، ص 233
[1041] ــ روح المعاني والسبع المثاني : ج 2 ، ص 157
[1042] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2، ص 483
[1043] ــ التحرير والتنوير : ج 3 ، ص 248
[1044] ــ سورة التوبة : الآية 7
[1045] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 10.

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة : «كيف» متضمن لمعنى التعجب ، أي تعجيب المؤمنين من حال المشركين في العهود والمواثيق مخبرا إيّاهم بأنّهم لا ذمم لهم في العهود والمواثيق فقد نقضوها وأخلفوها في كم موطن وموضع .

هذا وقد حمل الاستفهام على معنى التعجب الإمام القرطبي ، حيث قال : « كيف هنا للتعجب ، كما تقول : كيف يسبقني فلان ، أي لا ينبغي أن يسبقني ...» «[1046]»و حمل كلّ من الإمامين البيضاوي «[1047]» وابن جزي«[1048]» الاستفهام على معنى الإنكار والاستبعاد ، وجعله الإمام أبو حيّان على معنى التعجب والاستنكار والاستبعاد«[1049]»، في حين رأى الإمام ابن عادل أنّه للنفي«[1050]» ، وذهب الشيخ الطّاهر بن عاشور للقول بأنّه للإنكار والنفي«[1051]» .

فهذه هي إذن أراء المفسرين في مقتضى هذا الاستفهام وهي متقاربة ليس بينها تعارض ، والذي يظهر لي والله أعلم أنّ أقربها هو قول من قال بأنّه للإنكار والتعجب والاستبعاد ، فالغرض إنكار رجاء الوفاء بالعهد منهم واستبعاد ذلك منهم ، مع تعجيب المؤمنين من حالهم اتجاه العهود والمواثيق .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ** ﴾«[1052]» قال ــ رحمه الله ــ : « فبم تبشرون تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما أو على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرّة الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر »«[1053]»

[1046] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 8 ، ص 77 .
[1047]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 172
[1048]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 345
[1049]ــ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 14
[1050] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10، ص 21
[1051] ــ التحرير والتنوير : ج 10 ، ص 121
[1052] ــ سورة الحجر : الآية 54
[1053] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 362 .

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «فبم» متضمن التعجب والاستبعاد ، أي تعجب إبراهيم عليه السلام من تبشيره بولد واستبعاد أن يكون ذلك منه على هذه السن وفي هذه الحالة من امرأة عجوز ، فهذا شيء غريبيتعجب منه .

وقد أشار إلى تضمن الاستفهام هنا لمعنى التعجب والاستبعاد كل من الإمام ابن جزي«[1054]» وأبو حيّان الذي يقول في تفسيره ما نصّه : « وفبم تبشرون تأكيد استبعاد وتعجب ، وكأنّه لم يعلم أنّهم ملائكة رسل الله إليه ، فلذلك استفهم واستنكر »«[1055]»

وذكر كلّ من الإمام الرّازي «[1056]» والنسفي«[1057]» ، وأبي السّعود «[1058]»والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1059]» أنّ الاستفهام هنا للتعجب .

فهذه الآراء تجمع على أنّ الغرض الرئيسي لهذا الاستفهام هو معنى التعجب .

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾«[1060]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : «فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» تعجيب وتعظيم وليس باستفهام عن كيفية وقوع الأمر »«[1061]».

[1054] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1، ص 440

[1055] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 447 .

[1056] ــ مفاتح الغيب : ج 19، ص 151

[1057] ــ مدراك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 229

[1058] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج5، ص 81

[1059] ــ التحرير والتنوير : ج 14 ، ص 59

[1060] ــ سورة غافر : الآية 5

[1061] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 614 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالإمام ابن عطية ينصّ على أنّ الاستفهام في لفظة فكيف مستعمل في معنى التعجب ، والمعنى التعجيب من كيفية عقابهم عندما همّوا بأخذ الرسل وإيذائهم ، فأخذهم الله بالعقاب والعذاب ، وجعل مساكنهم آية وعبرة للمعتبر يمرون عليها كقوم عاد وثمود .

وقد أكّد الإمام أبو حيّان ما أورده الإمام ابن عطية من أنّ هذا الاستفهام للتعجب والاستعظام ، فقال : « ... استفهام تعجيب من استئصالهم ، واستعظام لما حلّ بهم ، وليس استفهاما عن كيفية عقابهم »«[1062]»

وحمل الإمام البيضاوي الاستفهام على التقرير والتعجب «[1063]» وكذلك الإمام النسفي «[1064]» ،والشيخ الطاهر بن عاشور على التعجب «[1065]».

ــ عند تفسير قوله تعالى :﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾«[1066]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله تعالى : «أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ» توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة في تكذيب الأنبياء على تفرق أزمانهم أي أنّهم لم يتواصوا ، لكنّهم فعلوا فعل من يتواصى ، والعلّة في ذلك أنّ جميعهم طاغ»«[1067]» .

فالإمام ابن عطية يقول بأنّ الاستفهام في لفظة : «أتواصوا به» مستعمل في معنى التوقيف والتعجب ، والمعنى التعجيب من حال هؤلاء المكذبين للرسل ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كيف تواطؤا واتفقوا على كلمة واحده رموا به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قولهم :ساحر أو

[1062] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 432 .
[1063] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5، ص 52
[1064] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4، ص 57
[1065] ــ التحرير والتنوير : ج24 ، ص 87
[1066] ــ سورة الذاريات: الآية 53 .
[1067] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 164 .

مجنون ، فهذا شيء يتعجب منه لأنّهم اتفقوا على تهمة دون أن يكونوا قد التقوا أو عاصروا بعضهم بعضا .

وقد أكّد ابن جزي ما قاله الإمام ابن عطية ، عندما قال في تفسيره : « أتواصوا به : توقيف سؤال وتعجيب أيّ هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك»«[1068]»، وقال بنفس الأمر كذلك الإمام أبو حيّان «[1069]» ، فيكونان قد اقتبس الكلام من الإمام ابن عطية ، وذكر الإمام الرّازي«[1070]» أنّه للتعجيب وكذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور«[1071]» ، وقال القرطبي بأنّه للتوبيخ والتعجيب«[1072]» .

فهذه الأقوال من هؤلاء المفسرين تؤيد بأنّ الاستفهام هنا للتعجب .

ــ الاستفهام للتوقيف :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾«[1073]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا الاستفهام هو توقيف ومضمنه تنبيه النفس إلى استماع ما يورد عليها ، وهذا كما تبدأ الرجل إذا أردت إخباره بأمر غريب ، فتقول : أعلمت كذا وكذا ، ثمّ تخبره ، والعامل في إذ ما تضمنه قوله : «حديث» من معنى الفعل وتقديره : وهل أتاك ما فعل موسى إذ رأى نارا أو نحوى هذا »«[1074]» .

[1068] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 346
[1069] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 140
[1070] ــ مفاتح الغيب : ج 28، ص 188
[1071] ــ التحرير والتنوير : ج 27 ، ص 22
[1072] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 17، ص 54
[1073] ــ سورة طه : الآية 9
[1074] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 48 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «هل» مستعمل في معنى التوقيف ومقصوده بالتوقيف التنبيه ، أي تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يلقى إليه من خبر موسى عليه السلام ، ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الإمام ابن جزي أنّ هذا الاستفهام للتنبيه ، فقال : « وهل أتاك : لفظ استفهام والمراد به التنبيه »«[1075]» ، وقد كان لبقية المفسرين رأي في معنى هذا الاستفهام ، فالإمام القرطبي ذكر بأنّه للإثبات والإيجاب أي التأكيد«[1076]» ، وذكر أبو حيّان معنين يحتملهما ،إمّا التقرير ، وإمّا النفي «[1077]»، واختار كلّ من ابن عادل «[1078]» وأبي السعود«[1079]» القول بأنّه للتقرير ، ورأى الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه مستعمل في معنى التشويق «[1080]»

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾«[1081]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله تعالى : «هل أنبئكم » معناه : قل لهم يا محمد هل أخبركم على من تنزل الشياطين ، وهذا استفهام توقيف وتقرير »«[1082]» .

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «هل» مستعمل في معنى التقرير والتوقيف ، والمعنى إثبات أنّ الشياطين لا تتنزل بالشعر والسحر والكهانة إلاّ على الكذّاب والأفاك الأثيم ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم ليس منهم بل هو من الصّادقين وتنزّل عليه الوحي من ربّ العالمين .

[1075] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 6 .
[1076] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 11 ، ص 271
[1077] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 215
[1078] ــ اللباب في علوم الكتاب :ج 13، ص 183
[1079] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6 ، ص 6
[1080] ــ التحرير والتنوير : ج 16 ، ص 193
[1081] ــ سورة الشعراء : الآية 221
[1082] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 294 .

هذا وقد أيّد الإمام أبو حيّان ما ذكره الإمام ابن عطية من أنّ هذا الاستفهام للتوقيف والتقرير فقال : « ... أي قل لهم يا محمد : هل أخبركم ، وهذا استفهام توقيف وتقرير »«[1083]»

ـ الاستفهام للإبعاد واليأس :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام الاستبعاد ، والمراد به تأييس المخاطب من حدوث أمر واستبعاد وقوعه على تلك الجهة أو الحالة ، وقد ذكره الإمامان الزّركشي«[1084]»والسيوطي«[1085]» ، ومثّل له بقوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾«[1086]» ، وقد أشار الإمام ابن عطية إلى هذا النوع من الاستفهام مرّة واحدة في كتابه وذلك :

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾«[1087]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « وقوله :« أتريدون » استفهام معناه الإبعاد واليأس ممّا أرادوه ، والمعنى أتريدون أيّها المؤمنون القائلون بأنّ أولئك المنافقين مؤمنين أن تسموا بالهدى من قد يسّره الله للضلالة وحتّمها عليه ...»«[1088]»

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام الذي تضمنته لفظة «أتريدون» مستعمل في معنى الاستبعاد والإياس ، أي استبعاد هداية أولئك المنافقين ، وتأييس المؤمنين من ذلك ، لأنّ الله تعالى حكم عليهم بالضلالة ، ولم يوفقهم للهدى .

وقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام هنا على الإنكار والاستبعاد منهم الإمام الرّازي«[1089]» ، والإمام ابن عادل «[1090]»، وحمله أبو حيّان على الإنكار وحده«[1091]» ، وذكر الإمام أبو

[1083] ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 45 .

[1084]ـ انظر : البرهان في علوم القرآن ، ج 2، ص 344

[1085]ـ انظر : الاتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 216

[1086] ـ سورة الجاثية : الآية 13.

[1087] ـ سورة النساء : الآية 88

[1088]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 206 .

[1089] ـ مفاتح الغيب :ج 10 ، ص 168

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السّعود أنّه للإنكار والتوبيخ «[1092]»، وجعله الشيخ الطّاهر بن عاشور على معنى التعجب واللوم «[1093]».

ـــ استفهام للاستهزاء :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾«[1094]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « وقولهم : «أتعلمون » استفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف ، فأجاب المؤمنون بالتصديق والصّرامة في دين الله ، فحملت الأنفة الإشراف على مناقضة المؤمنين في مقالتهم واستمروا على كفرهم »«[1095]».

فالإمام ابن عطية يخبر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى : «أَتَعْلَمُونَ » مستعمل في معنى الاستهزاء ، والمعنى استهزاء قوم ثمود بمن آمن بصالح عليه السلام من الضعفاء ، فقالوا لهم لمار رأوهم آمنوا على وجه الاستهزاء والاستخفاف : أتعلمون أنّ صالحا مرسل من ربّه .

هذا وقد حمل الاستفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف الإمام البيضاوي«[1096]» ،والإمام أبو حيّان«[1097]» ، وجعله الإمام النسفي للسخرية «[1098]»، وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه للتشكيك والإنكار«[1099]» .

[1090] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 6، ص 549

[1091] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 327

[1092] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 2، ص 212

[1093] ـ التحرير والتنوير : ج 5 ، ص 149

[1094] ـ سورة الأعراف : الآية 75

[1095] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 490

[1096] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3، ص 21

[1097] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 333

[1098] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 56 .

[1099] ـ التحرير والتنوير : ج 8، ص 223 .

والذي يظهر والله أعلم هو أنّه للاستهزاء والاستخفاف أقرب منه للإنكار والتشكيك ، لأنّهم على علم بأنّهم آمنوا بصالح عليه السلام ، فلوكان ذلك قبل الإيمان يكون المعنى للتشكيك والله أعلم .

ــ الاستفهام للتعظيم :

ــ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾«[1100]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وكيف تعظيم للأمر ، وليست استفهاما مجرّدا ، وفي هذا تهديد لقريش أي أنّهم معرضون لنكير مثله »«[1101]»

فالإمام ابن عطية يذكر بأنّ الاستفهام الذي تضمنته لفظة «فكيف» مستعمل في معنى التعظيم ، والمقصود تعظيم ما ينتظر هؤلاء المشركين من العذاب والعقاب الذي عبّر عنه بالنكير جرّاء تكذيبهم ، وقد حمل الإمام أبو حيّان الاستفهام على هذا المعنى وساق كلام الإمام ابن عطية بنصّه في تفسيره ، فقال : « و «فكيف »: تعظيم للأمر وليس استفهاما مجرّدا ، وفيه تهديد لقريش أي : أنّهم معرّضون لنكير مثله »«[1102]»

وقد جعل الشيخ الطاهر بن عاشور هذا الاستفهام للتقرير التفظيعي ، فقال : « ... وبني عليه الاستفهام التقريري والتفظيعي »«[1103]» والمعنى إثبات لحوق العذاب بهم والتفظيع يراد تعظيم هذا العقاب وبيان شدّة هوله ، فيكون قريبا من معنى التعظيم الذي قرّره ابن عطية ووافقه فيه الإمام أبو حيّان .

[1100] ــ سورة سبأ : الآية 45 .

[1101] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 489 .

[1102] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 276 .

[1103] ــ التحرير والتنوير : ج 22، ص 230

فهذه النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن عطية تؤكد مدى اهتمامه ــ رحمه الله ــ بأسلوب الاستفهام واعتناؤه به . وذلك في حرصه على التنبيه عليه وذكر الأغراض التي تخرج بحسب السياق القرآني مع قيامه بشرحها وتفسيرها وتحليلها . وهي غزيرة وكثيرة ، وكانت أقواله وآراءه في هذا المبحث مرجعا لكثير من المفسرين من بعده فقد ظهر تأثر الكثير منهم به ، وذلك في نقلهم لهذه الآراء عنه كالقرطبي وابن جزي وأبي حيّان ، كما أنّ أقواله يظهر فيها اتفاق مع كثيرمن المفسرين . وهذا يؤكد إلمامه بهذا الفنّ.

ــ المطلب العاشر: أسلوب الإنشاء في ملاك التأويل للإمام أبو جعفر بن الزبير الغرناطي

لقد أشار الإمام ابن الزبير ــ رحمه الله ــ في كتابه ملاك التأويل إلى أسلوبي الأمر والاستفهام اللّذين هما من الأساليب الإنشائية، ونبّه على الأغراض التي يخرجان إليها في ضوء السياق القرآني، وسأورد بعض النماذج التي تبرز احتفائه واعتناءه بهما

ــ الفرع الأول : الأمر :

لم تكثر الإشارة إلى أسلوب الأمر في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير ، فكان جملة ما تردّد في كتابه من هذا الأسلوب ثلاث إشارات فحسب نبّه فيها على الأغراض البلاغية التي تضمنها الأمر ، وهي :

ــ الأمر للإباحة :

ذكره الإمام أبو جعفر بن الزبير في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا

عَادٍ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾«[1104]»مع قوله تعالى : في سورة المائدة : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ «[1105]» ، وقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾«[1106]» وقوله تعالى في سورة النحل : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾«[1107]»

وقد أورد سؤالات على هذه الآيات الأربع فقال : « ويتعلق بهذه الآي الأربع خمس سؤالات : أحدها : تقديم المجرور الذي هو به في سورة البقرة ، وتأخيره فيما سواها ... »

وفي إجابته عن هذا السؤال الأول قال ــ رحمه الله ــ : « وآية البقرة قد تقدّم قبلها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾«[1108]»وقوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ » ، فورد تعريفهم بذكر ما أبيح لهم ، وورد ما يقصد إيجابه وندبيته ، وإن كان إنّما يراد بها هنا الإباحة مفتتحا بنداء المخاطبين ومعقبا فيه ما أعملوا بإباحته لهم بالأمر

[1104] ــ سورة البقرة : الآيتان 72 ــ 73

[1105] ــ سورة المائدة : الآية 3

[1106] ــ سورة الأنعام : الآية 145

[1107] ــ سورة النحل : الآيتان114 ــ 115

[1108] ــ سورة البقرة : الآية 168

بالشكر الجليل لتلك النعمة وعظيم التوسعة فيها من قوله تعالى :«مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ »«[1109]» وقوله : «كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ»«[1110]» فلتوسعة الإحسان والإنعام ما أمروا بالشكر . »«[1111]»

فمن هذا الكلام يفهم أنّ الإمام ابن الزبير جعل الأمر في قوله تعالى :«كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ» للإباحة ، فالمعنى أنّ الله عزّ وجلّ أباح لهم أن يأكلوا ممّا جعله في الأرض من النعم والخيرات .

وقد ذكر تضمن هذا الأمر للإباحة الإمام الرّازي فقال : « اعلم : الأكل قد يكون واجبا ، وذلك عند دفع الضرر على النفس ، وقد يكون مندوبا ، وذلك أنّ الضيف قد يمتنع عن الأكل إذا انفرد وينبسط في ذلك إذا سوعد ، فهذا الأكل مندوب ، وقد يكون مباحا إذا خلا عن هذه العوارض ، فلا جرم كان مسمى الأكل مباحا ، وإذا كان الأمر كذلك كان قوله : «كلوا »في هذا الموضع لا يفيد الإيجاب والندب بل الإباحة »«[1112]»

كما نبّه إلى ذلك الإمام أبو حيّان «[1113]»، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1114]».

[1109]ـ سورة البقرة : الآية 168

[1110]ـ سورة البقرة : الآية 172

[1111]ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، ط 1 تحقيق سعيد الفلاح ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ ، 1403 هـ ، ج 1، ص 250

[1112]ـ مفاتح الغيب : ج 5، ص 190

[1113]ـ تفسير البحر المحيط : ج1 ، ص 659

[1114]ـ التحرير والتنوير : ج 2، ص 114

ــ الأمر للتهديد :

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[1115]» مع قوله تعالى في سورة الروم :﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[1116]» وقوله تعالى في سورة العنكبوت : «﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾«[1117]»

أورد ــ رحمه الله ــ تساؤلا حول السّر في تكرر اللاّم في سورة العنكبوت وعدم تكرّرها في سورة النحل والروم ، فقال : « للسّائل أن يسأل عن وجه تكرر اللاّم في قوله : «وليتمتعوا » في سورة العنكبوت ولم يتكرر في الآيتين الأخيرتين ؟»«[1118]» ، ثمّ أجاب عن هذا التساؤل بقوله«[1119]» : « والجواب أنّ هذه اللاّم في قوله تعالى: « ليكفروا »«وليتمتعوا » لام مقصود به التهديد

[1115]ـ سورة النحل : الآيات 53 ـ 54 ـ 55 .

[1116]ـ سورة الروم : الآيتان 33 ـ 34

[1117]ـ سورة العنكبوت : الآيتان 65 ـ 66

[1118]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 298

[1119]ـ المصدر نفسه : ج 1، ص 299

والوعيد كقوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾«[1120]»﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾«[1121]» ، وقوله :﴿ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾«[1122]»

فالإمام ابن الزبير يشير إلى أنّ اللاّم في لفظتي «ليكفروا »«وليتمتعوا » للأمر ، وهذا الأمر مستعمل في معنى التهديد والوعيد والكلام خاصّ بالمشركين ، وقد ذكر أئمة التفسير احتمال أن تكون اللام في لفظة «ليكفروا» هي لام كي ، وعطفت عليها لام« ليتمتعوا » أو أن تكون الّلامان للأمر المتضمن للتهديد والوعيد ، وممّن قال بذلك الإمام الرّازي ، والإمام القرطبي«[1123]» ، والإمام أبو حيّان حيث قال هذا الأخير ما نصّه : «والظاهر في «ليكفروا » أنها لام كي ، وعطف عليه « وَلِيَتَمَتَّعُواْ » في قراءة من كسر اللام وهم : العربيان ونافع وعاصم ، والمعنى : عادوا إلى شركهم .« ليكفروا » : أي الحامل لهم على الشرك هو كفرهم بما أعطاهم الله تعالى ، وتلذذهم بما متعوا به من عرض الدنيا ، بخلاف المؤمنين ، فإنهم إذا نجوا من مثل تلك الشدة ، كان ذلك جالب شكر الله تعالى ، وطاعة له مزدادة . وقيل : اللام في : « ليكفروا » ، « وَلِيَتَمَتَّعُواْ » ، لام الأمر ، ويؤيده قراءة من سكن لام وليتمتعوا وهم : ابن كثير ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ؛ وهذا الأمر على سبيل التهديد ...»«[1124]».

وقد جوّز الإمام ابن جزي في لام «ليكفروا» أن تكون للتهديد أوالتخلية «[1125]» ، بينما جعل الشيخ الطّاهر بن عاشور اللاّم في ليكفروا لام كي ،وفي «وليتمتعوا» للأمر المتضمن للتهديد«[1126]»

وبالجملة فالإمام ابن الزبير يكون موافقا لما ذهب إليه المفسرون من أنّ اللاّم في الكلمتين محتملة لمعنى الأمر المستعمل في التهديد والوعيد .

[1120] ـ سورة فصلت : الآية 40

[1121] ـ سورة هود : الآية 121

[1122] ـ سورة الكهف : الآية 29

[1123]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 13، ص 363

[1124]ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 155

[1125]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 145

[1126] ـالتحرير والتنوير : ج 21، ص 33

ـــ الأمر للتهكم :

ـــ في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾«[1127]» مع قوله تعالى في سورة المطففين: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾«[1128]» أورد تساؤلا عن السّر الذي أدّى إلى فصل الآيات من بداية سورة المرسلات إلى الآية ستة وأربعين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾«[1129]» ، ثمّ عاد إلى قوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾«[1130]» فقال ـــ رحمه الله ـــ : « فإن قلت لما فصل بين ما جرى من الآي المتقدمة وبين هاتين الآيتين من قوله :«وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ» مع أنّ جميها راجع إلى مقصد واحد من تقريع المكذبين ووصف أحوالهم لم فصل بين ذلك بذكر المتقين وأحوالهم ؟، قلت : بدأ أولاً بتوبيخهم في عدم اعتبارهم بما ذكروا به من إهلاك من تقدّمهم ممّن كذب ، وبدأ خلقهم من ماء مهين ، وجعل الأرض تكفت أحياءهم وموتاهم ، ثمّ عرّفوا بجزائهم الأخروي وما يشاهدون ويقال لهم عند مصيرهم إلى العذاب ووصف جهنّم ، ثمّ أعقب بذكر الضّد من حال المتقين ليكون زائدا ومحركا لندم المكذبين حين لا ينفع الندم ، وتمّ هذا المقصد على أتمّ مناسبة ، ثمّ رجع إلى الضرب الآخر المتقدّم من التوبيخ بذكر حالهم الدنيوي في تنعمهم وتمتعهم وأورد ذلك بصيغة الأمر تهكما بهم ، وقيل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ

[1127] ـ سورة المرسلات : الآية 15

[1128] ـ سورة المطففين : الآية 10

[1129] ـ سورة المرسلات : الآيات 41 ـ 44

[1130] ـ سورة المرسلات : الآيتان 45 ـ 46

﴾«[1131]» ، فلم يكن الوارد في هاتين الآيتين ليناسب ما تقدّم من توبيخهم ، ففصل عنهم «[1132]»

فالإمام ابن الزبير يشير في قوله : « وأورد صيغة الأمر تهكما بهم »يشير إلى أنّ الأمر في قوله تعالى : «﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾»«[1133]» مستعمل في معنى التهكم بالمشركين والكفار ، حيث أمروا أن يأكلوا ويتمتعوا مدّة قصيرة ، فإنّ ما ينتظرهم أكبر وهو جهنّم التي كانوا قد وعدوا بها من قبل .

ولقد حمل كثير من المفسرين الأمر هنا على معنى الوعيد والتهديد ، وممّن قال بذلك الإمام ابن عطية «[1134]»، والقرطبي«[1135]» ، وابن جزي«[1136]» ، وأبو حيّان«[1137]» ، والنسفي«[1138]» ،وابن عادل«[1139]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1140]» .

وما أورده هؤلاء الأئمة من خروج الأمر للوعيد والتهديد ، لا يتعارض مع ما أورده الإمام ابن الزبير ، فإنّه يصح ورود الأمر للوعيد والتهديد بصيغة التهكم ، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن كثير«[1141]» عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾«[1142]» ، حيث قال : « وهذا

[1131] ـ سورة المرسلات : الآية 48

[1132] ـ ملاك التأويل : ج 2، ص 498 ـ 499

[1133] ـ سورة المرسلات : الآية 46

[1134] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5، ص 394

[1135] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج19 ، ص 168

[1136] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 492

[1137] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 399

[1138] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4، ص 251

[1139] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 20 ، ص 87

[1140] ـ التحرير والتنوير : ج 29، ص 445

[1141] ـ تفسير القرآن العظيم : ج 8، ص 282 ـ 283

[1142] ـ سورة القيامة : الآية 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته ، أي يحق لك أن تمشي هكذا ، وقد كفرت بي بخالقك ، وبارئك ، كما يقال : في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾«[1143]» ، وكقوله«كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ »«[1144]» ، فهذا الكلام من الإمام ابن كثير يجعل فيه الأمر في قوله : «كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ» وارد على سبيل التهكم .

فهذه هي إذن جملة الإشارات لأسلوب الأمر في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير ، وهي كما أسلفت القول سابقا أنّها قليلة ، والسبب في ذلك والله أعلم ، أنّ كتاب ملاك التأويل ليس كتاب تفسير محض ، وإنّما هو كتاب توجيه للمتشابه اللفظي ، ولذلك لم يتعرض للآيات الحاوية للأساليب الخبرية ، فهو يتناول ما يقع فيه التشابه فحسب ، فهذا هو سبب ذلك والله أعلم .

ـــ الفرع الثاني : الاستفهام

لقد أشار الإمام ابن الزبير ـــ رحمه الله ـــ في كتابه ملاك التأويل إلى بعض الاستفهامات وبيّن أغراضها المجازية التي تخرج إليها ، ومن جملة تلك الإشارات ما يلي :

ـــ الاستفهام التقريعي والتوبيخي :

ـ عند حديثه عن المتشابه من قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ﴾«[1145]» مع المتشابه في سورة هود : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾«[1146]».

[1143] ـ سورة الدخان : الآية 49

[1144] ـ سورة المرسلات : الآية 46

[1145] ـ سورة الأنعام : الآية 50

[1146] ـ سورة هود : الآية 31

أورد ــ رحمه الله ــ تساؤلا عن السّر الذي من أجله كرّر الضمير المجرور «لكم » في سورة الأنعام ، ولم يتكرر في سورة هود ، وفي معرض إجابته عن ذلك قال : « ... فتكرّر فيها قوله : «لكم» تأكيدا يفهم التعنيف ، ويناسب التوبيخ والتقريع ، ونظيره هذا وإن خالفه في تخصيص المخاطب بمقصود الكلام ، وإنّما قصد به التعنيف ممّن لم يخاطب ، فهو من قولهم : إيّاك أعني واسمعي يا جارة ، وقوله تعالى في خطاب عليه السلام : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾«[1147]» ، فتأمل تكرار قوله : «بإذني» ، وما يتضمن من توبيخ من جعل عيسى عليه السّلام إلها واتخذّه معبودا ، فخوطب عيسى عليه السلام وهو المحفوظ المعصوم من توهم استبداد دلّ قدره صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ولكن هذا كما قيل له صلى الله عليه وسلم :﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴾«[1148]» ، والمراد بذلك تقريع من اتخذه عليه السلام إلها ...»«[1149]»

ففي قول الإمام ابن الزبير : « ولكن هذا كما قيل له صلى الله عليه وسلم : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، والمراد بذلك تقريع من اتّخذه عليه السلام إلها » يدرك منه أنّه يجعل الاستفهام في لفظة «أأنت »متضمنا لمعنى التقريع والتوبيخ ، وإن كان المقصود بالخطاب هم قومه من اليهود والنصارى ، وليس هو ، فهم من اتّخذوه إلها وغالوا فيه فهو لم يأمرهم بذلك ، فلذلك وبّخوا واستحقوا هذا التقريع .

وقد أشار الإمام القرطبي إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقريع والتوبيخ ، فقال : «واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس هو باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين :

[1147] ــ سورة المائدة : الآية 110

[1148] ــ سورة المائدة : الآية 116

[1149] ــ ملاك التأويل : ج1 ، ص 226 ـ 227

أحدهما : أنه سأله عن ذلك توبيخا لمن ادعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع الثاني : قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيروا بعده ، وادعوا عليه ما لم يقل فإن قيل فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها فكيف قال ذلك فيهم ؟ فقيل : لما كان من قولهم أنها لم تلد بشرا وإنما ولدت إلها لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته ، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائلين له»«[1150]»

كما أشار الشيخ الطّاهر بن عاشور إلى تضمنه معنى التقريع للنصارى«[1151]» ، وجعله الإمام البيضاوي مستعملا في معنى التوبيخ والتبكيت«[1152]».

وبهذا يكون الاستفهام في هذه الآية مستعمل في معنى التقريع والتوبيخ للنّصارى وعدم إسناد الخطاب لهم مباشرة مبالغة في التقريع والتوبيخ .

ـــ في معرض حديثه عن قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾«[1153]» وبيان حذف معمول القول منه قال ــ رحمه الله ــ « ... ويمكن عندي فيه وجه آخر ، وهو أن يكون قوله : «**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ**» كلاما مستقلا محذوفا منه معمول القول ، وكأنّه في تقدير : ألم أقل لك ما قلت ، ثمّ استأنف المقالة فقال :«**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**» على هذا ليس معمولا للقول من قوله : «ألم أقل لك» إنّما معمول «ألم أقل لك» محذوف مقدّر كما حذف معمول القول من قوله تعالى ﴿ **قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ** ﴾«[1154]» ، ومعمول القول محذوف تقديره : أتقولون للحقّ لما جاءكم سحر مبين ، ثمّ قال لهم تقريعا وتوبيخا «**أَسِحْرٌ هَٰذَا**» فسحر مبين معمول للقول ، وهو من

[1150] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 374 .

[1151] ــ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 112

[1152] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 151

[1153] ــ سورة الكهف : الآية 75 .

[1154] ــ سورة يونس : الآية 77

قولهم ، وقوله : « أَسِحْرٌ هَٰذَا » من قول موسى عليه السلام توبيخا لهم كما ذكرنا ...»«[1155]».

فالإمام ابن الزبير يشير إلى أنّ الاستفهام في لفظة «أسحر هذا » الذي هو من كلام موسى على لسان الله تعالى متضمن للتقريع والتوبيخ ، والمعنى توبيخ موسى عليه السلام لفرعون وقومه لجعلهم ما رأوا من الآيات والمعجزات التي أيّده الله بها سحرا، مخبرا إيّاهم أنّ السّحر وأهله لا يفلحون ، وفي ضمن هذا تنقيص وحط من شأنهم .

هذا وقد ذكر أئمة التفسير غرض الاستفهام هنا ، فأخبر الإمام ابن عطية«[1156]» أنّه للتوبيخ ، وذكر الإمام ابن جزي أنّه للتقرير والتوبيخ ونقل هذا المعنى المذكور في ملاك التأويل ، فقال : « أسحر هذا » قيل : إنّه معمول أتقولون ، فهو من كلام قوم فرعون ، وهذا ضعيف لأنّهم كانوا يصمّمون على أنّه سحر لقولهم : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾«[1157]» فكيف يستفهمون ، وقيل : إنّه كلام موسى عليه السلام تقريرا وتوبيخا فيوقف على قوله : أتقولون للحق لما جاءكم ، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره : أتقولون للحقّ لما جاءكم إنّه لسحر مبين ، ويدّل على هذا المحذوف ما حكي عنهم من قولهم : إنّ هذا لسحر مبين ، فلمّا تمّ الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله : «أسحر هذا ولا يفلح السّاحرون ؟ ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله »«[1158]»

[1155]ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 323

[1156] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص151.

[1157] ـ سورة يونس : الآية 76

[1158]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 379

وجوّز أبو حيّان احتمال كونه للتعظيم والتعجيب أو الإنكار«[1159]» ، واختار الإمام ابن عادل القول بأنّه للإنكار «[1160]»، وذهب الإمام أبو السعود«[1161]» و الشيخ الطّاهر بن عاشور إلى القول بأنّه للإنكار والتوبيخ ، فقال هذا الأخير : « وجملة :أسحر هذا مستأنفة للتوبيخ والإنكار ، أنكر عليهم موسى وصفهم الآيات الحق أنّها سحر ... »«[1162]».

والظّاهر من هذه الأقوال أنّ الاستفهام هنا مسوق في معنى الإنكار والتوبيخ ، وما ذكره ابن الزبير من التقريع لا يتعارض مع ما ذكره هؤلاء الأئمة القائلين بالتقرير والتوبيخ ، أو الإنكار والتوبيخ ، وذلك لأنّ التوبيخ يعبّر عنه عند البلاغيين بالتقريع أيضا ، كما أنّ التوبيخ من قبيل الإنكار، والتقرير حقيقته إنكار ، فيحتمل أن يكون الإمام ابن الزبير قد عبّر عن الإنكار بالتقريع ، أو أنّ له إطلاقا عاما للتقريع على الإنكار والتوبيخ .

ــ في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾«[1163]» مع المتشابه في قوله تعالى في سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾«[1164]».

أورد ــ رحمه الله ــ تساؤلا عن السّر عن زيادة اسم الاشارة في قوله: «مَاذَا تَعۡبُدُونَ » ، وسقوطها في سورة الشعراء ، ثم أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عن ذلك : أنّ قصص الرسل عليهم السلام ، مع أممهم لم تأت في القرآن على نهج واحد في الدّعاء والجواب والمراجعة والمحاورة ،

____

[1159]ــ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 180

[1160]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10، ص 384

[1161]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج4 ، ص 168

[1162]ــ التحرير والتنوير : ج 11، ص 20

[1163] ــ سورة الشعراء : الآيات 69 ــ 71.

[1164]ــ سورة الصافات : الآيات 83 ــ 87 .

ولا يمكن ذلك لاختلاف طباع الأمم وأغراضهم واختلاف الحالات ، ولكلّ مقام مقال ، فمرّة ترد القصة على الدّعاء وإبداء الحجة والتوبيخ من غير ذكر شيء من جواب المدعوين سوى الإخبار بتكذيبهم ، ومرّة يورد من مقالات الأمم لرسلهم اليسير ، ومرّة يمدّ إطناب الكلام في المحاورات بين الرسل والأمم ، فمن الضرب الأول : قول إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات : ما ذا تعبدون إلى آخر القصة ، ولم يرد فيها كلمة واحدة من مراجعتهم له سوى الوارد من قولهم : ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾«[1165]»، وليس هذا بمراجعة ، ولا جوابا على كلامه عليه السلام ، ومن الضرب الثاني آية الشعراء ، فإنّه ذكر فيها جوابهم بقوله تعالى مخبرا عنهم :« قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ » ، ثمّ لما سألهم عليه السلام تقريعا لهم وتوبيخا ، فقال : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾«[1166]» جاوبوا بقولهم : ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾«[1167]» .

ففي قول الإمام ابن الزبير : «ثمّ لما سألهم عليه السلام تقريعا وتوبيخا ، فقال لهم :«هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » يفهم منه أنّه يجعل الاستفهام في لفظة « هل » للتقريع والتوبيخ ، والمعنى توبيخ المشركين على صرفهم العبادة لمن لا يسمعهم عند ندائهم ، وإذا سمعهم ، فإنّه لا يستطيع جلب منفعة لهم أو دفع مضرة عنهم ، فمثل هذا لا يحق أن تصرف له العبادة أو يخصّ بها لأنّه لا يملك نفعا ولا ضرا .

وقد ذكر كلّ من الإمامين القرطبي وابن عادل«[1168]» أنّ مقتضى هذا الاستفهام هو تقرير الحجة عليهم في انتفاء الفائدة المرجوة من عبادة من لا يسمع ولا ينفع ولا يضر ، وفي هذا يقول الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ : « أي هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم ، أو تملك لكم خيرا أو ضر إن

[1165]ــ سورة الصافات : الآية 97

[1166]ــ سورة الشعراء : الآية 72

[1167]ــ سورة الشعراء : الآية 74

[1168]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 15 ، ص 40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عصيتم ؟ وهذا استفهام لتقرير الحجة ، فإذا لم ينفعوكم ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها »«[1169]» .

وفي توجيهه لنفس الآيتين علّق على عدم ورود اسم الاشارة «ذا» عند قوله تعالى: « مَا تَعۡبُدُونَ »«[1170]» وروده في سورة الصافات «مَاذَا تَعۡبُدُونَ»«[1171]» فقال : « فلمّا كان في آية الصافات دعاء إبراهيم عليه السلام لهم مبينا حالهم الشنيع ، وسيء مرتكبهم ممتد الاطناب ، فيما يقطع بهم من قوله : «أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ »«[1172]» ، وقوله : ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾«[1173]»، وعيوا بالجواب ، ولم يحك عنهم غير قولهم : « قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنًا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ »«[1174]» ، ناسب ذلك زيادة اسم الاشارة ، ولما كانت آية الشعراء واردة على غير هذا النهج ناسب سقوط اسم الاشارة ، فقيل : ما تعبدون ، ولم يقل «ما ذا » كما في آية الصافات ، ومن المفهوم عن العرب أنّ المستفهم إذا قصد التقريع والتوبيخ أطال كلامه إدلاء بحجته وتعنيفا لمن يخالفه ، والمقهور أبدا محصور »«[1175]»

فيفهم من قول الإمام ابن الزبير :« ومن المفهوم عن العرب أنّ المستفهم إذا قصد التقريع والتوبيخ أطال كلامه » أنّه يجعل الاستفهام في قوله تعالى : «مَاذَا تَعۡبُدُونَ»«[1176]»بسورة الصافات مستعمل في معنى التقريع والتوبيخ ، والمعنى توبيخ إبراهيم عليه السلام لقومه على ما هم عاكفين عليه من عبادة تلك الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

[1169] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 13 ، ص 108

[1170] ــ سورة الشعراء : الآية 70

[1171] ــ سورة الصافات : الآية 85

[1172] ــ سورة الصافات : الآية 86

[1173] ــ سورة الصافات : الآية 95

[1174] ــ سورة الصافات : الآية 97

[1175] ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 376

[1176] ــ سورة الصافات : الآية 85

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد أشار إلى خروج هذا الاستفهام لمعنى التوبيخ الإمام ابن عادل حيث قال في تفسيره : « وقوله :« ما ذا تعبدون »: استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتقبيحها »«[1177]» ، في حين جعله الإمام الطّاهر بن عاشور للإنكار، فقال: «»وما ذا تعبدون » استفهام إنكاري على أن يعبدوا ما يعبدونه ...»«[1178]»

وما ذكره الإمامان ابن الزبير وابن عادل من ورود الاستفهام هنا للتوبيخ لا يتعارض مع ما ذكره الشيخ الطّاهر بن عاشور ، لأنّ التوبيخ عند البلاغيين معدود من قبيل الإنكار ، والفرق بينهما أنّ الإنكار إنكار إبطال وتكذيب ، والثاني إنكار توبيخ ، ويمكن أن يكون الإمام ابن الزبير قد أطلق لفظ التوبيخ وهو يريد به الإنكار بناء على ما قرّر عند أئمة البلاغة .

ــ عند تعليقه على قوله تعالى :﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾«[1179]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قال تعالى مخاطبا نبيّه صلى الله عليه وسلم ومعلّما بحالهم وتوبيخا لهم وتقريعا مع إبقاء أعظم التلطف وأجلّ الحلم : «أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ » أي جائرة ... »«[1180]»

فقول الإمام ابن الزبير هذا يفهم منه أنّه يجعل الاستفهام في قوله تعالى :«أَلَكُمُ» مستعمل في معنى التقريع والتوبيخ للمشركين الذين جعلوا هذه الأصنام الثلاثة المذكورة في السورة والملائكة بنات للّه تعالى ، واختيارهم لأنفسهم الذكور وهذا من عظيم البهتان والزور عليه سبحانه وتعالى ، فجاء هذا الخطاب المسوق بالتلطف مضمنا معنى التوبيخ والتقريع ,

---

[1177] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 16، ص 322

[1178] ــ التحرير والتنوير : ج 23، ص 138

[1179] ــ سورة النّجم : الآيتان 21 ــ 22

[1180] ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 457

وقد أشار الإمام القرطبي من بين المفسرين إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقريع والتوبيخ ، فقال : « ... ثمّ قال على جهة التقريع والتوبيخ «أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ» ردّا على قولهم : الملائكة بنات الله ، والأصنام بنات الله »«[1181]».

وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى القول بتضمنه معنى الإنكار منهم الإمام ابن جزي«[1182]» والشيخ الطّاهر بن عاشور وزاد معنى التهكم «[1183]».

ــ الاستفهام للتقرير والتوبيخ :

في معرض توجيهه وتعليقه على المتشابه من قوله تعالى في سورة طه : ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾«[1184]» ، وقوله تعالى في سورة السجّدة : ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ ﴾«[1185]» قال ــ رحمه الله ــ : « فلحقت همزة الاستفهام الواردة هنا تقرير وتوبيخا حرف العطف متقدمة قبله كما يجب ، واختلف حرف العطف ... »«[1186]»

فهذا الكلام من الإمام ابن الزبير يفهم منه أنّ الاستفهام الوارد في لفظتي : «أولم يهد »، و« أفلم يهد » خرج مخرج التقرير والتوبيخ ، والمعنى توبيخ قريش ،فإنّ الضمير كما ذكر المفسرون يرجع إليهم ، والمعنى ألم يتضح ويظهر لهم كم أهلكنا قبلهم من الأمم المتقدمة التي عاينوا

[1181] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 17 ، ص 102

[1182] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 356

[1183] ــ التحرير والتنوير : ج 27، ص 103

[1184] ــ سورة طه : الآية 128.

[1185] ــ سورة السجدة : الآية 26

[1186] ــ ملاك التأويل : ج 2، ص 342

مساكنها ومشوا عليها ورأوها رأي العين كمساكن عاد وثمود ، مع ذلك لا يخافون أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن قبلهم من الأمم .

هذا وقد أشار الإمام أبو السعود إلى تضمن الاستفهام الأول في سورة طه معنى التقرير والإنكار والتوبيخ ، فقال : « ... كلام مستأنف لتقرير ما قبله من قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾«[1187]» ، والهمزة للإنكار التوبيخي ...»«[1188]» و حمله الإمام ابن عطية على معنى التذكير والتوبيخ «[1189]»، وهذا قريب من التقرير والتوبيخ ، لأنّ حقيقة التقرير يندرج فيها ويدخل في ضمنها التذكير بالشيء قصد إثباته ، واختار الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه للإنكار والتعجيب«[1190]» .

وأمّا الاستفهام الثاني في سورة السجدة فقد ذكر كلّ من أبي السّعود«[1191]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1192]» أنّه للإنكار، و لا تعارض بين الإنكار ، والتقرير والتوبيخ ، فالتقرير في حقيقته إنكار، والإنكار إمّا إبطال ، وإمّا توبيخ ، فيكون ما ذكره الإمام ابن الزبير يوافق ما أورده هذان الإمامان .

ــ الاستفهام التقرير والتعجيزي :

في معرض تساؤله عن السّر الذي من أجله تكرّر قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾«[1193]» احدى وثلاثين مرّة قال ــ رحمه الله ــ : معلقا على وروده بعد الآيات الثلاث عشر

[1187] ــ سورة طه : الآية 127

[1188] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6، ص 48

[1189] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج4 ، ص 86

[1190] ــ التحرير والتنوير : ج 16 ، ص 334

[1191] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 7، ص 87

[1192] ــ التحرير والتنوير : ج 21، ص 239

[1193] ــ سورة الرحمان : الآية 13

الأولى«[1194]»« ولما كانت هذه النعم مشاهدة للخلائق ، ولا طمع لأحد في نسبتها لغيره سبحانه ، قد شهدت العقول وعرفت انفراده سبحانه بإيجادها واختراعها ، أتبع ذلك بتقرير الثقلين ، وتعجيز الفريقين ، فقال لهما :«فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ »

فالإمام ابن الزبير يرى أنّ ورود لفظة «فبأي » الدالة على الاستفهام جاءت لغرض التقرير والتعجيز ، والمقصود تقرير وتأكيد وإثبات الحجة على الخلق بأنّ هذه النعم من عنده سبحانه وتعالى وحده ، وجب شكره عليها لا كفرها وتكذيبها ، كما تضمنت تعجيز الإنس والجنّ على الإتيان بمثلها أو القيام بها فهي من صنعه تعالى وحده .

هذا وقد كان للمفسرين آراء في سرّ هذا التكرار المسوغ بالاستفهام ، فذكر الإمام ابن عطية أنّ الغرض منه هو التأكيد والتنبيه قصد تحريك النفوس«[1195]» ، وذكر الإمام القرطبي أنّ الغرض منه هو التنبيه والتقرير «[1196]»،ورأى الإمام ابن عادل أنّ القصد منه هوالمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليه بتوقيفهم على هذه النعم «[1197]»، ورأى الإمام أبو السعود أنّه قصد به الإنكار وتأكيد التوبيخ«[1198]» .

والملاحظ على هذه الآراء أنّها اجتهادات لهؤلاء الأئمة أدّاهم إليها فهمهم ، فكلّ واحد رأى في هذا الاستفهام المكرر معنى من المعاني لاحظه من السياق ، وبالتالي لا يمكن الجزم بغرض معين ، فلو أمعنا النظر فيها جميعا لوجدنا الكلام يقتضيها ويدّل عليها ، وبالتالي لا ينكر على كلّ واحد الفهم الذي فهمه والرأي الذي جنح إليه ، ومع ذلك فهي جميعها متقاربة في المعنى المقصود ــ

1194ــ ملاك التأويل : ج2 ، ص 464

1195ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5، ص 206

1196 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 17، ص 159

1197 ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 18 ، ص 311

1198ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج8 ، ص 178

الاستفهام للتعجب :

ـ في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾«[1199]» مع قوله تعالى في سورة السجدّة : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾«[1200]» تساءل ـ رحمه الله ـ عن السّر في تعقيب آيات الكهف بالفاء فقال : «فأعرض »، وفي سورة السّجدة ب ثمّ المقتضية للمهلة ، فقال :« ثمّ » وفي تعليقه على آية السّجدة قال «[1201]»: « وأمّا آية السّجدة ، وإن كانت مكية أيضا ، فإنّ الآية عامة في حق العرب وغيرهم ، والإخبار فيها إنّما هو عن جميع من شاهد آية بيّنة وكذّب ، ودليل هذا ما تقدّمه ممّا هو على إطلاقهم في العرب وغيره من قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾«[1202]» هذا عام في المكلفين ، ثمّ فصل حالهم فيما بعد ، ثمّ قال معلّما بحال الجميع على ما توروده العرب عند التعجب ، ليباعد بين الأحوال : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ »«[1203]» .

فهذا الكلام من ابن الزبير يفهم منه أنّه يجعل الاستفهام في لفظة : « ومن أظلم » مستعملا في معنى التعجب ، والمعنى التعجيب من حال هؤلاء الذين ذكّروا بآيات الله تعالى ، ولم ينتفعوا بها ، فأعرضوا وأدبروا عمّا فيها من الهدى والحق بالتكذيب والظلم .

[1199] ـ سورة الكهف : الآية 57

[1200] ـ سورة السجدة : الآية 22

[1201] ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 320

[1202] ـ سورة السجدة : الآية 18

[1203] ـ سورة السجدة : الآية 22

وقد ذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّ الاستفهام هنا للإنكار ، فقال : « ومن للاستفهام الإنكاري ، كقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ** ﴾«[1204]» ، أي لا أحد أظلم منه ، لأنّه ظلم نفسه بحرمانها من التأمل فيه فيما نفعه ، وظلم الآيات بتعطيل نفعها في بعض من أريد انتفاعهم بها ، وظلم الرسول عليه الصلاة والسلام بتكذيبه والاعراض عنه ، وظلم حق ربّه ، إذ لم يمتثل ما أراد منه»«[1205]».

ـــ في معرض تساؤله عن السّر الذي من أجله تكّرر قوله تعالى في سورة المدّثر: ﴿ **إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** ﴾«[1206]» ثلاث مرّات ، علّق على قوله تعالى : «**فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** » قائلا : « وقوله : فقتل كيف قدّر تعجب من إصابته في نفي الجنون والتكهن والشعر عنه صلى الله عيه وسلم في قوله : لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ ، فصدق تقديره في هذا لو أتمّ الله له الأمر ، فالأول إخبار أعنى قوله :«**إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** »«[1207]» ، والثاني : تعجب عن إصابة تقديره بعد الفكر ، وهو قوله : «**فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**»«[1208]» ، والثالث : وهو قوله : «**ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** »«[1209]» تأكيد للتعجب ...»«[1210]»

فهذا الكلام من ابن الزبير يفهم منه أنّه يجعل الاستفهام في لفظة «كيف» في الآيتين مستعملا في معنى التعجب ، والمعنى التعجيب من حالة الوليد بن المغيرة في حكمه على

[1204] ـ سورة البقرة : الآية 114

[1205] ـ التحرير والتنوير : ج 21، ص 234

[1206] ـ سورة المدثر : الآيات 18 ـ 20.

[1207] ـ سورة المدثر : الآية 18

[1208] ـ سورة المدثر : الآية 19

[1209] ـ سورة المدثر : الآية 20

[1210] ـ ملاك التأويل :ج 2 ، ص 493

القرآن الكريم عند سماعه له وتردّده في بيان حقيقته ، فقد أقرّ بالحقيقة وقال الصواب في شأنه ، لكنّه رجع عن ذلك وقال إنّه سحر لما عنّفته قريش واستهجنت رأيه فيه عندما قال لهم : «لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى»

هذا وقد ذكر كثير من أئمة التفسير خروج الاستفهام هنا لمعنى التعجب منهم الإمام القرطبي«[1211]» وأبو حيّان«[1212]» وابن عادل«[1213]» ، وجعله الطّاهر بن عاشور تعجبا مشوبا بالإنكار ، فقال : « وكيف قدّر في الموضعين متحد المعنى ، وهو استفهام دال على الحالة التي يبينها متعلق كيف ، والاستفهام موجه إلى سامع غير معين يستفهم المتكلم سامعه استفهاما عن حالة تقديره ، وهو استفهام مستعمل في التعجيب المشوب بالإنكار على وجه المجاز المرسل »«[1214]».

ومن خلال هذه الأقوال لأئمة التفسير يكون الإمام ابن الزبير موافقا لهم فيما ذكره من معنى هذا الاستفهام .

ــ الاستفهام للتعظيم :

ـ في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾«[1215]» قال ـ رحمه الله ـ : « ... كما أنّ ما الاستفهامية حيث يقصد الابهام تعظيما للأمر وتفخيما ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَاقَّةُ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾«[1216]» ، وقوله :﴿ ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ

[1211]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 19، ص 75

[1212] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 366

[1213]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج19 ، ص 512

[1214]ـ التحرير والتنوير : ج 29، ص 309

[1215] ـ سورة الزمر : الآية 47

[1216] ـ سورة الحاقة : الآيتان 1 ـ 2

﴾«[1217]»تحرّز لإبهامها من عظيم أمر الحاقة ، والإبهام مقصود في التعظيم والتفخيم للأمر المعبّر بها عنه ...»«[1218]»

فمن هذا الكلام من الإمام ابن الزبير يدرك يفهم أنّه يجعل الاستفهام في لفظتي : «ما الحاقة ، ما القارعة » للتعظيم والتفخيم ، والمعنى تعظيم شأن يوم القيامة ، وتفخيمه لشدّة هوله ، وما يحدث فيه من أمور يشيب لها الولدان .

وقد ذكر الإمام الرّازي«[1219]» والقرطبي«[1220]» أنّ الاستفهام في «ما الحاقة » متضمن لمعنى التعظيم والتفخيم ، وجعله الإمام البيضاوي للتعظيم والتهويل «[1221]»، وكذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور «[1222]»، وذكر ابن جزي«[1223]» وأبو حيّان«[1224]» أنّه مستعمل في التعظيم .

وأمّا الاستفهام الثاني في سورة القارعة فقد ذكر القرطبي أنّه للتعظيم والتفخيم«[1225]» ،وذكر ابن جزي أنّه للتعظيم«[1226]» ، وحمله أبو حيّان على الاستعظام والتعجب«[1227]» ، وذكر أبو السعود أنّه للتفخيم والتهويل «[1228]»، واكتفى الشيخ الطّاهر بن عاشور بالتهويل «[1229]».

1217 ـ سورة القارعة : الآيتان 1 ـ 2
1218 ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 428
1219 ـ مفاتح الغيب : ج 30 ، ص 621
1220ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 18، ص 257
1221 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج ، ص
1222ـ التحرير والتنوير : ج 19 ، ص 113
1223ـ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 2 ، ص 449
1224 ـ تفسير البحر المحيط : ج8 ، ص 315
1225ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 20 ، ص 164
1226ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2 ، ص 561
1227ـ تفسير البحر المحيط : ج 20 ، ص164
1228ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج9 ، ص 192
1229ـ التحرير والتنوير : ج 30، ص 510

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذا وقد أورد كل من الإمامين الزّركشي والسيوطي هذين الآيتين نموذجا للاستفهام المستعمل في التهويل ، فيظهر من خلال هذه الراء لأئمة التفسير أنّهم متفقون على أنّهما للتعظيم والتفخيم والتهويل ، ولا تعارض بين التهويل والتعظيم ، فهما بمعنى واحد ، فالتهويل لا يكون إلاّ في الأمور العظيمة ، ولا شكّ أنّ هذا المقام يقتضيهما معا .

فهذه إذن هي جملة التنبيهات والإشارات من الإمام ابن الزبير إلى أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، وقد لوحظ اعتناؤه ببيان الأغراض التي تخرج إليها ، فذكر كثيرا من هذه المقاصد بحسب ما أدّاه إليه فهمه واستنباطه لتلك الأغراض من خلال السياق العام للآية ، وفيها ما وافق الأئمة في التعبير عنها ، وفيها ما انفرد به وخالفهم ، وهي بالنظر لغرضه العام من الكتاب الذي وضعه لتوجيه المتشابه من الآيات فهي إشارات وتنبيهات لا بأس بها .

ـ المطلب الحادي عشر : أسلوب الإنشاء في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الغرناطي

لقد أشار الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل إلى أسلوبي الأمر والاستفهام اللّذين هما من الأساليب الإنشائية، ونبّه على الأغراض التي يخرجان إليها في ضوء السياق القرآني، وسأورد بعض النماذج التي تبرز احتفائه واعتناؤه بهما

ــ الفرع الأول : الأمر :

كثرت الإشارة من الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ إلى أسلوب الأمر ونبّه عليه في كثير من المواضع ، مع بيان الأغراض التي تضمنها وأفادها في ضوء السياق القرآني ، وقد كانت هذه الإشارات منحصرة تحت هذه المعاني والأغراض :

ــ الأمر للتعجيز :

تردّدت الإشارة من ابن جزي لهذا النوع من الأمر ، فذكره في كم موضع من تفسيره ، بلغت ثمانية عشر تنبيها ، منها :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾«[1230]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أنبئوني أمر على وجه التعجيز»«[1231]»

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الأمر في لفظة أنبئوني مفيد لمعنى التعجيز ، أي قصد إظهار عجز الملائكة عن العلم بما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه من أمور الغيب ، وقد صرّح بإفادة الأمر هنا معنى التعجيز الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « أنبئوني أمر تعجيز لا تكليف »«[1232]» ، وتبعه في ذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور ، فقال : « والأمر في قوله : أنبئوني أمر تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أنّ الآمر عالم بذلك ، فليس هذا من التكليف بالمحال ، كما ظنّه بعض المفسرين ، واستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجاز ، ثمّ إنّ ذلك المعنى المجازي يستلزم علم الآمر بعجز المأمور ، وذلك يستلزم علم الآمر بالمأمور به »«[1233]»

هذا وقد جعله كلّ من الإمام النسفي«[1234]» وأبي السّعود«[1235]» مفيدا لمعنى التبكيت المقتضي للتنبيه على عجز الملائكة ، وبالنظر لما أورداه فإنّه لا يوجد ثمّت تعارض بين ما ذكره ابن جزي وأكّده أبو حيّان والشيخ الطّاهر بن عاشور ، فالغرض العام هو إظهار العجز .

[1230] ــ سورة البقرة : الآية 31

[1231] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 69

[1232] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 295

[1233] ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 412

[1234] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 58

[1235] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج1 ، ص 84

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾«[1236]».

قال ـ رحمه الله ـ : « فتمنوا الموت بالقلب أ واللسان ، أو باللسان خاصة ، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت ، لأنّه من علم أنّه من أهل الجنة اشتاق إليها »«[1237]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الأمر في قوله : «فتمنوا» مستعمل في معنى التعجيز والتبكيت ، والمقصود إظهار كذب اليهود في زعمهم وتحدّيهم على ما ادّعوه من كون الدّار الآخرة لهم دون النّاس فأمرهم سبحانه وتعالى بتمني الموت إن كانوا صادقين لأنّ عادة من علم أنّ مستقره إلى الجنّة اشتاق إليها فطالبهم بتمني الموت واستعجاله دليلا على صدقهم ، لكنّهم كما أخبر جلّ وعلا لن يقوموا بذلك لأنّه أعلم بحقيقة كذبهم وطوية سريرتهم وإنّما قصد إقامة الحجة عليهم بإظهار كذبهم .

وممّن تعرّض لبيان غرض هذا الأمر من المفسرين الإمام الرّازي الذي رأى أنّه استعمل لغرض التحدّي وإظهار الكذب ، فقال : « هذا أمر معلّق على شرط مفقود وهو كونهم صادقين فلا يكون الأمر موجودا والغرض منه التحدي وإظهار كذبهم في دعواهم »«[1238]» ، وقد ذكر كلامه وقرّره الإمام أبو حيّان حيث قال : « وعلّق تمنيهم على شرط مفقود ، وهو كونهم صادقين ، وليسوا بصادقين في أنّ الجنة خالصة لهم دون النّاس ، فلا يقع التمني ، والمقصود من ذلك التحدّي وإظهار كذبهم ...»«[1239]»

والتحدّي يقصد به كذلك الإعجاز فمعناهما واحد ، وبالتالي يكون ما ذكره الإمام ابن جزي عن معنى الأمر صائبا وموافقا لما قرّره هذان الإمامان

[1236] ـ سورة البقرة : الآية 94 .

[1237] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص81 ـ 82 .

[1238] ـ مفاتح الغيب : ج 1، ص 518

[1239] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 478

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾«[1240]»

قال ــ رحمه الله ــ :« تعجيز لليهود ، وإقامة حجة عليهم ، وروي أنّهم لم يجسروا على إخراج التوراة »«[1241]»

فالإمام ابن جزي يرى بأنّ الأمر في قوله تعالى : « فأتوا » مستعمل في معنى التعجيز ، والقصد تعجيز اليهود ومحاجتهم بكتابهم للوقوف على صحة ما ادّعوه من تحريم بعض الأشياء عليهم وأنّ ذلك مقرّر في كتابهم ، فطلب منهم إحضار التوراة وتلاوتها للوقوف على صحة ذلك لكنّهم لن يقوموا بذلك لأنّهم كاذبون ، وقد أكّد الشيخ الطّاهر بن عاشور خروج الأمر هنا للتعجيز حيث قال : « وقوله : «قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ» أي في زعمكم أنّ الأمر ليس كما قلناه أوإن كنتم صادقين في جميع ما تقدّم من قولكم : إنّ إبراهيم كان على دين اليهودية ، وهو أمر تعجيز ، إذ قد علم أنّهم لا يأتون بها إذا استدلوا على الصدق »«[1242]»

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾«[1243]».

قال رحمه الله ــ : «نبئوني بعلم» تعجيز وتوبيخ »«[1244]».

فالإمام ابن جزي يجعل الأمر في لفظة «نبئوني» مستعملا في معنى التعجيز والتوبيخ ، أي تعجيز المشركين وتوبيخهم على ما نسبوه إلى الله تعالى من التحريم المذكور ، فأمر الله تعالى نبيه أن يسألهم عن مصدر تحريمهم ومن أين أخذوه ، مع علمه سبحانه وتعالى بافترائهم وكذبهم ، لكنّه

1240 ــ سورة آل عمران : الآية 93 .

1241 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 157 .

1242 ــ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 9

1243 ــ سورة الأنعام : الآية 143

1244 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 286 .

جيء بالسؤال للغرض المذكور وهو بيان كذبهم وعجزهم ، وقد ذكر الإمام أبو حيّان معنى الأمر الوارد في هذه الجملة المعترضة « نبئوني بعلم إن كنتم صادقين» وهو التقريع والتوبيخ ، فقال : ««نبئوني بعلم إن كنتم صادقين » أي إن كنتم صادقين في نسبة ذلك التحريم إلى الله ، فأخبروني عن الله بعلم لا بافتراء ولا تخرص وأنتم لا علم لكم بذلك إذ لم يأتكم بذلك وحي من الله تعالى ، فلا يمكن منكم تنبئة ذلك ، وفصل بهذه الجملة المعترضة بين المتعاطفين على سبيل التقريع لهم والتوبيخ ، حيث لم يستندوا في تحريمهم إلاّ على الكذب البحث والافتراء »«[1245]».

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾«[1246]» . قال ــ رحمه الله ــ : « فادعوهم فليستجيبوا أمر على جهة التعجيز »«[1247]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الأمر في لفظتي : «فادعوهم ـ فليستجيبوا » ، متضمن لمعنى التعجيز ، أي قصد به تعجيز المشركين وآلهتهم ، وإظهار أنّها لا تملك جلب نفع ولا دفع ضر ، وإن كنتم صادقين فيما تدّعونه من عبادتها والتقرب إليها ، فادعوها كي تستجيب لكم ، وقد أشار الإمام الرّازي إلى خروج الأمر في لفظة فليستجيبوا لمعنى التعجيز فقال : « واللام في قوله : «فليستجيبوا» لام الأمر على معنى التعجيز ، والمعنى أنّه ظهر لكلّ عاقل أنّها لا تقدر على الإجابة ظهر أنّها لا تصلح للمعبودية »«[1248]» كما نبّه على ذلك أيضا الإمام أبو حيّان«[1249]» ، وأشار الشيخ الطّاهر بن عاشور لتضمن الأمرين هنا لمعنى التعجيز ، فقال : « ... وفرّع على المماثلة أمر التعجيز بقوله : «فادعوهم» فإنّه مستعمل في التعجيز باعتبار ما تفرّع عليه من قوله :« فليستجيبوا لكم» المضمن إجابة الأصنام إيّاهم ، لأنّ نفس الدّعاء ممكن ،ولكنّ استجابتهم ليست ممكنة ، فإذا دعوهم فلم يستجيبوا لهم تبيّن عجز الآلهة عن الاستجابة لهم ، وعجز

[1245] ـ تفسير البحر المحيط :ج 4 ، ص 242

[1246] ـ سورة الأعراف : الآية 194

[1247] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 327 .

[1248] ـ مفاتح الغيب : ج 15 ، ص 432

[1249] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 441

المشركين عن تحصيلها مع حرصهم على تحصيلها لانهاض حجتهم فئال ظهور عجز الأصنام عن الاستجابة لعبادها إلى إثبات عجز المشركين عن نهوض حجتهم لتلازم العجزين »«[1250]».

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾«[1251]».

قال ــ رحمه الله ــ : « فأتوا بسورة تعجيز وإقامة حجة عليهم »«[1252]»

فالإمام ابن جزي يرى أنّ الأمر في لفظة « فأتوا » متضمن لمعنى التعجيز ، والمعنى أنّ الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يطلب منهم الإتيان بسورة من القرآن الذين يدّعون افتراءه له ، وفي هذا تحدّي لهم وإظهار لعجزهم عن النظم على منواله والإتيان بمثله ، وقد نبّه على خروج هذا الأمر لمعنى التعجيز الشيخ الطّاهر حيث علّق عليه قائلا : « وقد أمر الله نبيه أن يجيبهم عن دعوى الافتراء بتعجيزهم ، وأن يقطع الاستدلال عليهم ، فأمرهم بأن يأتوا بسورة مثله والأمر تعجيز »«[1253]»

الأمر للتهديد :

من المعاني التي يخرج إليها الأمر ونبّه عليها الإمام ابن جزي التهديد ، ومن جملة تلك الإشارات :

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾«[1254]».

قال ــ رحمه الله ــ :« فتربصّوا تهديد »«[1255]»

[1250] ـ التحرير والتنوير : ج 9 ، ص 221

[1251] ـ سورة يونس : الآية 38 .

[1252] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 374

[1253] ـ التحرير والتنوير : ج 11، ص 170

[1254] ــ سورة التوبة 52 .

[1255] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 352.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الأمر في قوله تعالى : « فتربّصوا » مفيد لمعنى التهديد ، والخطاب موجه للمنافقين الذين كانوا ينتظرون هلاكه صلى الله عليه وسلم ، فجاء هذا الأمر لقصد تهديدهم ، وقد ذكر تضمن هذا الأمر لمعنى التهديد الإمام الفخر الرّازي فقال : « وقوله : فتربّصوا ، وإن كان بصيغة الأمر ، إلاّ أنّ المراد منه التهديد كما في قوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾«[1256]» والله أعلم «[1257]» ، وحمله الإمام القرطبي كذلك على معنى التهديد والوعيد فقال : « فتربّصوا تهديد ووعيد أي انتظروا مواعيد الشيطان إنّا منتظرون مواعيد الله »«[1258]» ، وعلى نفس المعنى حمله الإمام ابن عطية«[1259]» والإمام أبو حيّان «[1260]».

وقد ذهب الشيخ الطّاهر بن عاشور إلى جعله من باب التحضيض المجازي المقتضي قلة الاكتراث بتربصهم وعدم المبالاة بهم«[1261]» ، إلاّ أنّ حمله على التهديد والوعيد هو الذي جنح إليه أكثر المفسرين لأنّ قرينة السياق تدّل عليه .

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾«[1262]».

قال ـ رحمه الله ـ : « اعملوا على مكانتكم تهديد ، ومعنى مكانتكم تمكنكم في الدنيا وعزّتكم فيها »«[1263]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الأمر في لفظة «اعملوا» متضمن لمعنى التهديد ، أي تهديد شعيب عليه السلام لقومه ، وذلك بأمرهم أن يعملوا على ما هم عليه من حالة المنعة والتمكن في إيذائه ،

[1256]ـ سورة الدخان : الآية 49 .
[1257]ـ مفاتح الغيب : ج 16 ، ص 68
[1258]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 8 ، ص 160 .
[1259]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3، ص 20
[1260]ـ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 53
[1261]ـ التحرير والتنوير : ج 10، ص 225
[1262] ـ سورة هود : الآية 93
[1263] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 396 .

فهو كذلك عامل على مكانته ، وقد نبّه على خروج هذا الأمر لمعنى التهديد والوعيد الإمام القرطبي ، فقال : « تهديد ووعيد ، وقد تقدّم في الأنعام »«[1264]»كما نصّ على ذلك أيضا الشيخ الطّاهر بن عاشور قائلا : « والأمر للتهديد ، والمعنى متمكنين من مكانتكم ، أي حالكم التي أنتم عليها ، أي اعملوا ما تحبّون أن تعملوه بي »«[1265]».

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴾«[1266]».

قال ــ رحمه الله ــ :« وارتقبوا تهديد »«[1267]»

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الأمر في لفظة « وارتقبوا » متضمن لمعنى التهديد ، والمعنى تهديد شعيب عليه السّلام لقومه لما كذّبوه ، وقد ذكر الإمام ابن عطية تضمن هذا الأمر لمعنى التهديد ، فقال: «وقوله : «وارتقبوا » كذلك تهديد أيضا »«[1268]»

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾«[1269]».

قال ــ رحمه الله ــ : « اعملوا وانتظروا تهديد وإقامة حجة عليهم »«[1270]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الأمر في لفظة « اعملوا » مستعمل في معنى التهديد ، وقد أخبر بتضمن الأمر هنا لمعنى التهديد كلّ من الإمام الرّازي والقرطبي ، فقال الأول : « وقوله:

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1264 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 9 ، ص 93 .

1459 ـ التحرير والتنوير : ج 12 ، ص 152

1266 ــ سورة هود : الآية 93 .

1267 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 396 .

1268 ــ المحرر الوجيز : ج 3 ، ص 217 .

1269 ــ سورة هود : الآيتان 121 ـ 122.

1270 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 398 .

«اعملوا» وإن كانت صيغته صيغة الأمر ، إلاّ أنّ المراد منها التهديد »«[1271]» ، وقال الثاني :

««وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ »«[1272]» تهديد ووعيد »«[1273]»

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[1274]».

قال ــ رحمه الله ــ : « اللاّم لام أمر على وجه التهديد لقوله بعد : فسوف تعلمون ، فعلى هذا يبتدئ بها ...« فتمتعوا» يريد به التمتع في الدنيا ، وذلك أمر على وجه التهديد »«[1275]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الأمر في لفظة «فتمتعوا » مستعمل في معنى التهديد ، والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تمتعوا بهذه الحياة الدّنيا الفانية ، فإنّكم ستعلمون عاقبة ذلك اللهو والتمتع ، وقد ذكر تضمن هذا الأمر لمعنى التهديد الإمام البيضاوي الذي قال: « فتمتعوا أمر تهديد »«[1276]»، وكذلك الإمام القرطبي الذي يقول : « فتمتعوا أمر تهديد »«[1277]» ، وعلى نفس المعنى حمله الإمام النّسفي حيث قال:« فتمتعوا فسوف تعلمون عدول إلى الخطاب على التهديد »«[1278]».

[1271]ــ مفاتح الغيب : ج 18، ص 463 .

[1272]ــ سورة هود : الآية 121

[1273]ــ الجامع لأحكام القرآن :ج 9 ، ص 117 .

[1274] ــ سورة النحل : الآية 55 .

[1275] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 451 .

[1276] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل :ج 3 ، ص 230.

[1277] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 10 ، ص 115

[1278]ــ مدارك التنزيل : ج2 ، ص 241

ـــ الأمر للتوبيخ :

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾«[1279]».

قال ــ رحمه الله ــ : « سل بني إسرائيل على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم »«[1280]» .

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الأمر في لفظة «سل» متضمن لمعنى التوبيخ ، والقصد أنّه صلى الله عليه وسلم أمر أن يسأل بني إسرائيل عن الآيات التي أرسلها الله إليهم ومع ذلك لم يعتبروا ويتعظوا ، والمقصود توبيخهم على عدم الانتفاع بهذه الآيات المرسلة ، وقد أشار إلى استعمال هذا الأمر في معنى التوبيخ : الإمام ابن عطية ، حيث قال : « وقوله تعالى : «سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ » الآية الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه إباحة السّؤال لمن شاء من أمته ، ومعنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينة »«[1281]» ، وجعله الإمام القرطبي على معنى التقريع والتوبيخ«[1282]» وكذلك الإمام أبو حيّان«[1283]» ، وحمله الإمام البيضاوي على معنى التقريع ،فقال : « أمر للرّسول صلى الله عليه وسلم أو لكلّ أحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم »«[1284]» ، وكذلك الإمام الطّاهر بن عاشور«[1285]» .

والذي يظهر أنّ الإمام ابن جزي أفاد في بيان الغرض الذي يخرج إليه هذا الأمر من تفسير الإمام ابن عطية ، كما أنّه لا يوجد ثمّت تعارض بين التوبيخ والتقريع لأنّ البلاغيين يعبرون عن التوبيخ بالتقريع .

1279 ــ سورة البقرة : الآية 211 .

1280 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 110 .

1281 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، 269

1282 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 3 ، ص 28

1283 ــ تفسير البحر المحيط : ج 2، ص 135

1284 ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1 ، ص 134

1285 ــ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 288

ــ الأمر للتقريع :

ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾«[1286]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««قل موتوا بغيظكم » تقريع وإغاظة ، وقيل : دعاء »«[1287]» .

فالإمام ابن جزي ، يشير إلى احتمال الأمر في لفظة «موتوا » لمعنيين هما : التقريع ، أو الدّعاء ، والمقصود بالتقريع توبيخ المشركين ، والمراد بالدّعاء دعاءه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على المشركين بأن يزيدهم الله إغاظة على إغاظة بسبب عدم إيمانهم ، وقد سبق الإمام ابن جزي إلى ذكر القولين كلّ من الإمام ابن عطية والقرطبي وأبي حيّان ، حيث قال ابن عطية : ««قل موتوا بغيظكم» قال فيه الطّبري و كثير من المفسرين : هو دعاء عليهم ، قال القاضي أبو محمد فعلى هذا يتجه أن يدعى عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة ، قال قوم : بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمّته أن يواجهوهم بهذا ، قال القاضي أبو محمد : فعلى هذا زال معنى الدّعاء ، وبقي معنى التقريع والإغاظة ...»«[1288]» ، وتبع الإمامان القرطبي«[1289]» وأبو حيّان«[1290]» ابن عطية فيما ذكره ، ويفهم كذلك من كلام ابن جزي أنّه أخذه من تفسير ابن عطية ، وقد ذهبت طائفة من المفسرين يتقدّمهم الإمام الزّمخشري«[1291]» ويتبعه البيضاوي والنّسفي«[1292]» وأبو السّعود«[1293]» إلى قصر هذا الأمر على معنى الدّعاء المراد به زيادة غيظهم حتّى يهلكوا ،

[1286] ــ سورة آل عمران : الآية 119 .

[1287] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 160

[1288] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 325

[1289] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 4 ، ص 183

[1290] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 44

[1291] ــ الكشاف : ج 1 ، ص 435

[1292] ــ مدراك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، 176

[1293] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص 76

وغيظهم عندهم يكون بما يظهر من عزّة الإسلام وقوة أهله ، وفي هذا يقول الإمام البيضاوي : « دعاء عليهم بدوام الغيظ ، وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله ، حتّى يهلكوا بأمره »«[1294]» .

وبالنّظر في المعنيين نجد أنّ التأويل يحتملهما معا ، غير أنّ أقرب القولين لسياق الكلام واتساع لغة العرب جعله من قبيل الأمر المراد به التوبيخ والتقريع ، وليس الدّعاء ، وقد ذكر أبو حيّان ترجيحا لأحد شيوخه على كون المقصود بهذا الأمر التقريع والتوبيخ ، فقال : « وقال بعض شيوخنا : هذا ليس بأمر جازم ، لأنّه لو كان أمرا لماتوا من فورهم كما جاء فقال لهم الله موتوا ، وليس بدعاء ، لأنّه لو أمره بالدّعاء لماتوا جميعهم على هذه الصفة ، فإنّ دعوته لا ترد ، وقد آمن منهم بعد هذه الآية كثير ، وليس بخبر لأنّه لو كان خبر لوقع على حكم ما أخبر به يعني ولم يؤمن أحد بعد ، وإنّما هو أمر معناه التوبيخ والتقريع ...»«[1295]».

ــ الأمر للتحرز :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾«[1296]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« فأشهدوا عليهم» أمر بالتحرز والحرز فهو ندب ، وقيل فرض »«[1297]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ المعنى العام المقصود من الأمر في لفظة «فأشهدوا » هو التحرز ومعناه الاحتياط ، فالوصي يشهد عند دفعه لليتيم ماله ، حتّى ينفي عن نفسه شبهة أخذ ماله أو أكله ،أو أن يدّعي عليه اليتيم عدم إعطائه له ، فجيء بهذا الإشهاد من باب الاحتياط ، وأمّا عمّا تضمنه الأمر من حكم في حق المكلف ، فإنّ ابن جزي لم يذكره ، ولقد ذكر الإمام الرّازي معنى هذا الأمر وهو الاحتياط ، وأشار إلى حكمه ، وهو الوجوب ، فقال : « واعلم أنّ الأمة مجمعة

[1294] ــ أنوار التنزيل وحقائق التأويل : ج 2، ص 35

[1295] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 43 ـ 44 .

[1296] ــ سورة النساء : الآية 6

[1297] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 178 .

على أنّ الوصي إذا دفع المال إلى اليتيم بعد صيرورته بالغا ، فإنّ الأولى و الأحوط أن يشهد عليه ... فإنّ قوله : «فأشهدوا عليهم » ،أمر وظاهر الأمر الوجوب »«[1298]». ، وقد جوّز الشيخ الطّاهر ابن عاشور اقتضاء الأمر للحكمين أي الوجوب والندب ، بحسب مراعاة الحقوق والمقاصد ، فجعله مندوبا إذا روعي فيه حق الوصي ، وجعله واجبا إذا روعي به مقصد الشارع ، فقال : « والأمر هنا يحتمل الوجوب ويحتمل الندب ، وبكلّ قالت طائفة من العلماء لم يسمّ أصحابها : فإن لوحظ ما فيه من الاحتياط لحق الوصي كان الإشهاد مندوبا لأنّه حقه فله أن لا يفعله ، وإن لوحظ ما فيه من تحقيق مقصد الشريعة من رفع التهارج ووقع الخصومات كان الإشهاد واجبا ...»«[1299]» .

وذكر الشيخ أنّ ما احتج به الفخر من كون الأمر للوجوب واه ، وأنّ الحكم بالأمر على أنّه للوجوب لبيان ما يترتب عليه من ثواب أو عقاب وهذا من خطاب التكليف ، ولا أثر له في ترتب حكم الضمان لأنّ هذا الأخير من خطاب الوضع ، فقال : « إلاّ أنّ الفخر احتّج بأنّ ظاهر الأمر للوجوب ، وهو احتجاج واه لأنّه لا أثر لكون الأمر للوجوب أو النّدب في ترتب حكم الضمان ، إذ الضمان من آثار خطاب الوضع ، وسببه هو انتفاء الإشهاد ، وأمّا الوجوب والنّدب فمن خطاب التكليف ، وأثرهما العقاب والثواب »«[1300]» .

والذي نخلص إليه أنّ ابن جزي عبّر عن المقصد والمعنى العام للأمر وهو التحفظ والاحتياط ، وهو في ذلك يتفق مع ما ذكره الإمامان ، لكنّه لم يتطّرق إلى ما تضمنه هذا الأمر من حكم يتعلق بالمكلف .

[1298]ـ مفاتح الغيب :ج9 ، ص 491

[1299]ـ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 246 ـ 247

[1300]ـ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 247

ـــ الأمر للإباحة :

عند تفسير قوله تعالى :﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُوا۟ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾«[1301]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « الأمر هنا للإباحة »«[1302]».

فالإمام ابن جزي رحمه الله يخبر بأنّ الأمر في لفظة «فكلوا» متضمن الإباحة ، أي إباحة أكل الصيد إذا أكل الجارح منه على تفصيل في كتب الفقه ، وقد ذكر الإمام أبو حيّان إفادة هذا الأمر لمعنى الإباحة ، حيث قال : ««فكلوا ممّا أمسكن عليكم» هذا أمر إباحة »«[1303]»، كما حمل الشيخ الطّاهر بن عاشور الآية على معنى الإباحة فقال : « ومعنى الآية إباحة أكل ما صاده الجوارح ، من كلاب ، وفهود ، وسباع طير : كالبزاة ، والصّقور إذا كانت معلمة ، وأمسكت بعد إرسال الصّائد ، وهذا مقدار اتفق علماء الأمة عليه ، وإنّما اختلفوا في تحقيق هذه القيود ...»«[1304]».

ـــ الأمر للحضّ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلۡ سِيرُوا۟ فِى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾«[1305]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « قل سيروا في الأرض الآية حضّ على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا من قبلهم »«[1306]» .

[1301] ـــ سورة المائدة : الآية 4

[1302] ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 225

[1303] ـــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 445

[1304] ـــ التحرير والتنوير : ج 6 ، ص 116

[1305] ـــ سورة الأنعام : الآية 11

[1306] ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 262.

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الأمر في لفظة «سيروا » مستعمل للحض على السير من أجل الاعتبار ، والمخاطب بذلك هم المشركون أمروا بأن يسيروا فينظروا في مصارع من سبقهم من الأمم المكذبة كيف أهلكها الله تعالى لعلّهم يعتبروا ويتعظوا ، وقد تعرّض الإمام الزّمخشري لبيان المراد بالأمر في الآية ، وذكر بأنّ فيها أمران أحدهما متسبب عن الآخر ، فالنظر متسبب عن السير ، وفرّق بين معنييهما ، فجعل السير للإباحة ، والنظر للوجوب ، فقال : « فإن قلت أي فرق بين قوله : «فانظروا » وبين قوله : «ثمّ انظروا » ؟ قلت : جعل النظر مسببا السير في قوله : «فانظروا » ، فكأنّه قيل سيروا لأجل النّظر ، ولا تسيروا سير الغافلين ، وأمّا قوله : « سيروا في الأرض ثمّ انظروا » فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين ، ونبّه على ذلك بثمّ لتباعد ما بين الواجب والمباح »«[1307]» وقد تبع الإمام أبو السعود«[1308]» الإمام الزّمخشري فيما ذكره ، غير أنّ الإمام أبا حيّان اعترض على ما قرّره الزّمخشري وبيّن أنّ فيه نوعا من التناقض ، فقال : « وما ذكره أوّلا متناقض لأنّه جعل النّظر متسببا عن السير ، فكان السير سببا للنظر ، ثمّ قال : فكأنّما قيل : سيروا لأجل النّظر فجعل السير معلولا بالنّظر فالنظر سبب له فتناقضا ، ودعوى أنّ الفاء تكون سببية لا دليل عليها ، وإنّما معناها التعقيب فقط ، وأمّا مثل: ضربت زيدا فبكى ، وزنى ماعز فرجم ، فالتسبيب فهم من مضمون الجملة لأنّ الفاء موضوعة له ، وإنّما يفيد تعقيب الضرب بالبكاء وتعقيب الزنا بالرجم فقط ، وعلى التسليم أنّ الفاء تفيد التسبيب ، فلم كان السير هنا سير إباحة ، وفي غيره سير واجب ، فيحتاج ذلك إلى فرق بين هذا الموضع ، وبين تلك المواضع »«[1309]» ، وقد حمل الإمام القرطبي الأمر هنا على النّدب : فقال : « وهذا السّفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديّار »«[1310]» .

[1307] ـ الكشاف : ج 2 ، ص 10

[1308] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج3 ، ص 114

[1309] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 85 .

[1310] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 394

وما ذكره ابن جزي من معنى الحض فإنّه يقصد به الأمر دون تحديد ما يخرج إليه الأمر من الوجوب أو الندب ، أو الإباحة ، وإن كان كلام القرطبي أقرب للصواب في جعله الأمر للندب لأنّه يبعد أن يكون هذا الخطاب الموجه للمشركين مقصود به الوجوب الحقيقي .

ـــ الأمر للشرط :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾«[1311]»

قال ــ رحمه الله ــ : « تضمّن الأمر هنا معنى الشرط ، فاحتاج إلى جواب ، والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها ، والطوع والكره عموم في الإنفاق أي : لن يتقبل على كلّ حال »«[1312]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الأمر في لفظة « أنفقوا » متضمن معنى الشرط ، والمقصود من هذا الشرط في تعبير غيره من المفسرين هو الخبر ، فيكون المعنى إخبار عن حال هؤلاء ، فإنفاقهم أو عدم إنفاقهم سواء ، وهذا بمثابة إخبار عن وضعيتهم ، وقد ذكر هذا المعنى الإمام مكي ـــ رحمه الله ــ فقال : « في تفسير قوله تعالى :« قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ » قال ــ رحمه الله ــ « وخرج قوله :« أنفقوا » مخرج الأمر ، ومعناه الخبر ، وإنّما تفعل العرب ذلك في الموضع الذي يحسن فيه «إن» التي للجزاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾«[1313]» لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الجزاء ، والجزاء خبر ، ... فالمعنى إن تنفقوا طائعين أو كارهين فلن يقبل منكم ، وجاز أن يقع لفظ الأمر بمعنى الخبر ، كما جاز أن يقع لفظ الخبر بمعنى الطلب والأمر ، تقول: غفر الله لزيد ، معناه : الطلب والدّعاء ، ولفظه لفظ الخبر ، والمعنى

[1311] ــ سورة التوبة : الآية 53 .

[1312] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 352

[1313] ــ سورة التوبة : الآية 80

اللهم اغفر لزيد »«[1314]» وعلى نفس المعنى حمل الآية كلّ من الإمام الزّمخشري«[1315]» والقرطبي«[1316]» ، ويكون ابن جزي عبّر عن الخبر بالشرط ، لأنّ الشرط أو الجزاء هو الخبر كما ذكر ذلك الإمام مكي .

وبعرض هذه الأمثلة من تفسير الإمام ابن جزي يتأكد اهتمامه بهذا الأسلوب من أساليب الإنشاء . فقد أشار إلى أغراض كثيرة يخرج إليها في ضوء سياق الآيات القرآنية . وقد كان منهجه قائما على التصريح بفائدة الأمر والمعنى الذي يخرج إليه على وجه الإيجاز والاختصار دون الافاضة في الشرح والتحليل وهذا منهج غالب على الكتاب كله ، كما يظهر عليه كثرة نقله لتلك الآراء الواردة في بيان المعاني التي يخرج إليها الأمر عن الإمامين الزمخشري وابن عطية دون التصريح بذلك . وبالجملة فالذي يقال عن جهده في تناول أسلوب الأمر أنّه معتبر وينمي عن تصور واضح وبيّن لأثر هذا النوع في إيضاح معاني القرآن عنده .

ــ الفرع الثاني : الاستفهام

لقد أشار الإمام ابن جزي ــرحمه الله ــ في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل إلى كثير من الاستفهامات الواردة في القرآن وبيّن أغراضها المجازية التي تخرج إليها ، ومن جملة تلك الإشارات ما يلي :

ــ الاستفهام للتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾«[1317]».

قال ــ رحمه الله ــ : « توبيخ لهم على قلة فهمهم »«[1318]».

[1314] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4، ص 3025
[1315] ــ الكشاف : ج2 ، ص 266
[1316] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 8 ، ص 161
[1317] ــ سورة النساء : الآية 78 .
[1318] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 200

يلاحظ من هذا النّص المنقول عن الإمام ابن جزي أنّه حمل الاستفهام في لفظة «فمال» على معنى التوبيخ ، والمعنى توبيخ اليهود والمنافقين الذين كانوا يتطيرون بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمدينة ، فقد كانوا إذا أصابهم خير نسبوه للهّ تعالى ، وإن أصابهم شر نسبوه إلى ذاته صلى الله عليه وسلم ، فوبّخهم الله تعالى على هذا الاعتقاد الفاسد المبني على قلة فقههم بأنّ الخير من عند الله ، والشّر من أنفسهم ، وممّن تطرّق إلى هذا الاستفهام الإمام أبو حيان ، فأخبر أنّه مستعمل في معنى التعجب والإنكار ، حيث قال : « هذا استفهام معناه التعجب من هذه المقالة ، وكيف ينسب ما هو من عند الله لغير الله ؟ أي إنّ هؤلاء كان ينبغي لهم أن يكونوا ممّن يتفهم الأشياء ، ويتوقفون عمّا يريدون أن يقولوا حتّى يعرضوه على عقولهم ، وبالغ في قلّة فهمهم وتعلقهم ، حتّى نفى مقاربة الفقه ، ونفي المقاربة أبلغ من نفي الفعل ، وهذا النوع من الاستفهام يتضمن انكار ما استفهم عن علته ، وأنّه ينبغي أن يوجد مقابله ، فإذا قيل : ما لك قائما ، فهو إنكار للقيام ومتضمن أن يوجد مقابله ، وإذا قيل : مالك لا تقوم ، فهو إنكار لترك القيام ، متضمن أن يوجد مقابله »«[1319]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾«[1320]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ما استفهامية بمعنى التوبيخ ، والخطاب للمسلمين »«[1321]» .

فالإمام ابن جزي يرى بأنّ الاستفهام في لفظة «فما» مستعمل في معنى التوبيخ ، المقصود به توبيخ طائفة المؤمنين على انقسامهم في شأن المنافقين إلى طائفتين بين مكفّر لهم وبين مبرر ومعتذر لهم ، والمعنى أنّه لا ينبغي لكم أيّها المؤمنون أن تختلفوا في شأنهم فهم منافقون أركسهم الله إلى الكفر وأضلهم عن سبيله ، وقد نقل القول بتضمن الاستفهام هنا لمعنى التوبيخ الإمام ابن عطية فقال : « وقوله :«فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ» الآية الخطاب للمؤمنين ، وهذا ظاهره الاستفهام

1319 ــ تفسير البحر المحيط :ج 3، ص 312

1320 ــ سورة النساء : الآية 88

1321 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 203 .

والمقصد منه التوبيخ »«[1322]» وقد أخرجه مخرج الإنكار كلّ من الإمام أبو حيّان«[1323]» وأبي السّعود«[1324]» والشيخ الطّاهر بن عاشور «[1325]»وزاد هذا الأخير معنى التعجب واللوم ، ولا تعارض بين التوبيخ والإنكار لأنّ التوبيخ من قبيل الإنكار .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾«[1326]».

قال ــ رحمه الله ــ : « توبيخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبارا عنهم ، وبالتاء خطابا لهم »«[1327]»

فهذا الكلام من الإمام ابن جزي يفهم منه أنّه يجعل الاستفهام في لفظة : «أفحكم» خارجا مخرج التوبيخ ، أي توبيخ اليهود على عدم رضاهم بحكم رسول الله فيما شجر بينهم لأنّه لا يخدم مصلحة فريق منهم ، فوبّخهم الله تعالى على ذلك وقد ذكر الإمام أبو حيّان تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار فقال : « هذا استفهام معناه الإنكار على اليهود ، حيث هم أهل كتاب وتحليل وتحريم من الله تعالى ، ومع ذلك يعرضون عن حكم الله ويختارون عليه حكم الجاهلية ...»«[1328]» ، وعلى نفس المقتضى حمله الشيخ الطّاهر بن عاشور«[1329]» ، ورأى الإمام أبو السّعود أنّه مشتمل على معنى التعجب والإنكار والتوبيخ «[1330]» ، وهي أقوال يحتملها هذا الاستفهام ولا تعارض بين ما قرّره كل واحد منهم ، فكلّ عبّر عن معنى الاستفهام بما فهمه من السياق ، كما أنّ الإنكار و التوبيخ شيء واحد .

[1322] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 105 .

[1323] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 326

[1324] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :ج 2، ص 212

[1325] ــ التحرير والتنوير : ج 5 ، ص 149

[1326] ــ سورة المائدة : الآية 50

[1327] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 239 .

[1328] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 516 .

[1329] ــ التحرير والتنوير : ج 6، ص 227

[1330] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾«[1331]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والهمزة في قولهم : ألهم للاستفهام مع التوبيخ »«[1332]» .

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «ألهم» مستعمل في التوبيخ ، والقصد به توبيخ المشركين على تخصيصهم لتلك الأصنام التي لا تملك الأعضاء التي تكون دائما معبّرة عن القدرة والقوة ، فإذا لم تكن هذه الجوارح فأنتم خير منهم لأنّكم تملكونها فيكف تعبدونهم ، وقد ارتأى الإمام أبو حيان جعل هذا الاستفهام مفيدا لمعنى الإنكار والتعجيب ، فقال : « هذا استفهام إنكار وتعجيب وتبين أنّهم جماد لا حراك لهم ، وأنّهم فاقدون لهذه الأعضاء ومنافعها التي خلقت لأجلها ، فأنتم أفضل من هذه الأصنام »«[1333]» .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾«[1334]».

قال ــ رحمه الله ــ : « توقيف سؤال يراد به التوبيخ ، وكذلك ما بعده »«[1335]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « أفي » متضمن لمعنى التوبيخ ، أي توبيخ المشركين والمنافقين الذين أعرضوا عن حكم الله ورسوله بسبب ما في قلوبهم من الشك والارتياب والخوف ، وقد جعل الإمام أبو السّعود الاستفهام هنا متضمنا لمعنى الإنكار«[1336]» ، واختار الشيخ الطّاهر بن عاشور خروجه لمعنى التنبيه«[1337]» ، وإن كان الظّاهر والله أعلم أنّ الإنكار

[1331] ــ سورة الأعراف : الآية 195 .

[1332] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 327 .

[1333] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 441 .

[1334] ــ سورة النور : الآية 50

[1335] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص83

[1336] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،: ج 6 ، ص 187

[1337] ــ التحرير والتنوير : ج 18 ، ص 272

أقرب من التنبيه ، وهو أليق بالسياق لأنّ هذه الآية جاءت في سياق الذّم ، وتعبير الإمام ابن جزي بالتوبيخ يستلزم ويفيد معنى الإنكار كذلك .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾«[1338]».

قال ـرحمه الله ـ : ««مالكم » هذا استفهام معناه التوبيخ »«[1339]» .

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى : «ما لكم » وارد مورد التوبيخ للمشركين في نسبتهم البنين لأنفسهم والبنات للّه تعالى كذبا وافتراء عليه سبحانه وتعالى ، وقد حمل الإمام أبو حيان الاستفهام هنا على معنى التقريع والتوبيخ ، حيث قال : «« ما لكم كيف تحكمون » تقريع وتوبيخ واستفهام عن الحجة والبرهان »«[1340]». وذكر الإمام ابن عادل أنّ الاستفهام متضمن لمعنى الإنكار«[1341]» ، وجعله الشيخ الطّاهر بن عاشور مقتضيا للإنكار والتعجيب«[1342]» ، والتقريع والإنكار والتوبيخ شيء واحد عند البلاغيين ، وأمّا التعجيب فهو غرض منفصل عن الإنكار والشيخ الطّاهر بن عاشور حمله على التعجب ، لأنّه رأى أنّ المقصود من الاستفهام هو التعجيب من حالهم في كيفية نسبة البنات لله تعالى ، وتخصيصهم أنفسهم بالبنين ، فهذا أمر يستحق أن يتعجب منه .

[1338] ــ سورة الصافات : الآية 154

[1339] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 224 .

[1340] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 361.

[1341] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 16 ، ص 351

[1342] ــ التحرير والتنوير : ج 23 ، ص 183

ـــ الاستفهام للانكار :

أشار الإمام ابن جزي إلى كثير من الاستفهامات التي تضمنت هذا الغرض ، ومن تلك الإشارات :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾«[1343]».

قال ــ رحمه الله ــ : «﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ الهمزة للاستفهام مع الانكار »«[1344]» . فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أم» خارج مخرج الإنكار ، والمعنى الإنكار على اليهود أن يكون لهم نصيب من الملك ، لأنّهم لو كان لهم نصيب من الملك لبخلوا على النّاس مقدار نقير في ظهر النوارة ، وقد ذكر تضمن الاستفهام هنا معنى الإنكار كلّ من الإمام أبي حيّان القائل : « أم هنا منقطعة التقدير : بل ألهم نصيب من الملك انتقل من الكلام إلى كلام تام ، واستفهم على الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك »«[1345]» والإمام القرطبي«[1346]» والرّازي«[1347]» وأبو السّعود«[1348]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1349]» .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾«[1350]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الهمزة للإنكار أي : أتريد أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، وليس ذلك إليك إنّما هو بيد الله ...»«[1351]».

[1343] ــ سورة النساء : الآية 53

[1344] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 196 .

[1345] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 284

[1346] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 249

[1347] ــ مفاتح الغيب : ج 10، ص 102

[1348] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص 189

[1349] ــ التحرير والتنوير : ج 5 ، ص 88

[1350] ــ سورة يونس : الآية 99 .

[1351] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1 ، ص 381

فمن خلال هذا الكلام من الإمام ابن جزي يفهم أنه يجعل الاستفهام في لفظة : «أفأنت» متضمنا لمعنى الإنكار ، أي إنكار المولى جلّ وعلا على النبي صلى الله عليه وسلم إكراه المشركين على الإيمان ، فإنّه عليه الصلاة والسلام يحرص كلّ الحرص على إسلام النّاس بكل وسيلة ، فبينّ له المولى جلّ وعلا أنّ الهداية إلى الإيمان من عند الله تعالى وتوفيقه والغواية والضلال بيده كذلك .

وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار الشيخ الطّاهر ابن عاشور ، فقال : « والاستفهام في أفانت تكره النّاس إنكاري ، فنزّل النبي صلى الله عليه وسلم لحرصه على إيمان أهل مكة وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلة صالحة منزلة من يحاول إكراههم على الإيمان حتّى ترتب على ذلك التنزيل إنكاره عليه »«[1352]».

وحمله الإمام النّسفي على النفي «[1353]»، ويجوز إرادته بالنفي الإنكار ، لأنّ استفهام الإنكار في حقيقته نفي .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾«[1354]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أم هنا للإضراب عمّا قبلها ، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها »«[1355]».

فالإمام ابن جزي يجعل الاستفهام في لفظة « أم »خارجا مخرج الإنكار على المشركين الذين اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها ينشرون الموتى أي يحيونهم بعد موتهم ، وفي الحقيقة أنّهم لا يستطيعون ذلك لأنّ الذي يقدر على الإحياء بعد الإماتة هو الله وحده ، لكنّهم لما صرفوا لهم العبادة التي هي من خصائص الألوهية كان لزاما أن يعتقدوا فيهم الإحياء بعد الإماتة لأنّ الذي يستحق الألوهية هو

[1352] ــ التحرير والتنوير : ج 11، ص 293
[1353] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 152
[1354] ــ سورة الأنبياء : الآية 21
[1355] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 2 ، ص 22

الذي يملك ذلك ، وقد ذكر تضمن الاستفهام هنا لمعنى الإنكار الإمام الزّمخشري ، حيث قال : « هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل ، والهمزة قد آذنت بالإضراب عمّا قبلها والإنكار لما بعدها ، والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض هم ينشرون الموتى ، ولعمري أنّ من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعد الموات ، فإن قلت : كيف أنكر عليهم اتخاذهم آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم ، وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدّعوى ، وذلك أنّهم كانوا مع إقرارهم للّه عزّ وجل بأنّه خالق السموات والأرض ...، وبأنّه القادر على المقدورات كلّها وعلى النّشأة الأولى منكرين البعث ويقولون : من يحي العظام وهي رميم ، وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر عن ثاني القديم ، فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا ؟ قلت : الأمر كما ذكرت ، ولكن بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار ، لأنّه لا يستحق هذا الاسم إلاّ القادر على كلّ مقدور ، والإنشار من جملة المقدورات ».

وقد أشار الإمام ابن جزي إلى تضمن الاستفهام للإنكار مع غرض آخر ، ومن ذلك :

ـــ الاستفهام للإنكار والتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾«[1356]»
قال ـــ رحمه الله ـــ : ««كيف تكفرون » موضعها الاستفهام ، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ »«[1357]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة كيف مستعمل في معنى الإنكار والتوبيخ ، والقصد به إنكار وتوبيخ على من يكفر بالله تعالى و نعمه تترى عليه ، فهذا يستحق التوبيخ والإنكار عليه ، وقد جنح كثير من المفسرين لجعل الاستفهام هنا متضمن للإنكار والتعجيب منهم الإمام البيضاوي«[1358]» والنّسفي«[1359]» وأبو حيان«[1360]» مع ذكره لمعنى التقرير والتوبيخ ، وجنح كلّ

[1356] ـــ سورة البقرة : الآية 28

[1357] ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 67 .

[1358] ـــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 56

[1359] ـــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 56

من الإمام ابن عطية«[1361]» والقرطبي «[1362]» إلى القول بتضمنه معنى التقرير والتوبيخ ، فيظهر من هذه الأقوال تباين بعض الأقوال بين المفسرين في حقيقة ما يخرج إليه هذا الاستفهام إلاّ أنّ معنى التوبيخ أو الإنكار ثابت في كلّ الأقوال ، وعليه فإنّه لا يمكن الجزم بخروج الاستفهام لمعنى واحد فقد تتعدد الأغراض في الاستفهام الواحد ، ويشير كل واحد من المفسرين إلى الأغراض التي اقتضاها هذا الاستفهام بما يجعل القول بأنّ هذه المعاني تمتاز بالسعة يتحكم فيها الفهم المبني على تتبع قرينة السياق .

ــ الاستفهام للإنكار والاستبعاد :

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾«[1363]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« وكيف تكفرون » إنكار واستبعاد »«[1364]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة : «وكيف » مستعمل في معنى الإنكار والاستبعاد ، والمعنى إنكار واستبعاد وقوع الكفر منهم على هذه الحالة ، كونهم يتنزل عليهم القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فإنّ هذا أدعى للإيمان لا للكفر ، والإمام ابن جزي جمع بين غرضين في هذا الاستفهام ، فالإنكار عند البلاغيين شيء والاستبعاد شيء آخر ، لكنّه لما رأى المعنى يحتملهما أوردهما ، وقد ذكر كثير من المفسرين غرضين لهذا الاستفهام ، فحمله الإمام البيضاوي على معنى الإنكار والتعجب«[1365]» ، وحمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على معنى

[1360]ــ تفسير البحر المحيط : ج1 ، ص 275

[1361]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج1 ، ص 99

[1362]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 248

[1363]ــ سورة آل عمران : الآية 101

[1364]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 158 .

[1365]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 31.

الاستبعاد والنفي«[1366]» ، والإمام أبو السّعود حمله على الإنكار والاستبعاد«[1367]» ، وحمله الإمام الرّازي«[1368]» والقرطبي«[1369]» وابن عادل«[1370]» على التعجب ، وحمله الإمام أبو حيان على الاستبعاد «[1371]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦ ﴾«[1372]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« كيف يكون للمشركين عهد» لفظ استفهام ، ومعناه استنكار واستبعاد »«[1373]».

فهذا النّص من الإمام ابن جزي يفهم منه أنّه يجعل الاستفهام في لفظة «كيف» خارجا مخرج الاستبعاد والاستنكار ، والمقصود به استبعاد واستنكار أن يكون للمشركين ثبات على العهود والمواثيق وقد جبلوا على الغدر والخيانة ، وقد نوّه بخروج الاستفهام هنا لمعنى الاستنكار والاستبعاد الإمام الزّمخشري«[1374]» والإمام أبو حيّان مع زيادة هذا الأخير لمعنى التعجب «[1375]»، وحمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على الاستبعاد والنفي«[1376]» ، وحمله الإمام الرّازي«[1377]» و ابن

[1366]ـ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 28

[1367]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص 65

[1368]ـ مفاتح الغيب : ج 8 ، ص 308

[1369]ـ الجامع لأحكام القرآن :ج 4 ، ص 165

[1370]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 5 ، ص 426

[1371]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 17

[1372]ـ سورة التوبة : الآية 7

[1373] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 345.

[1374] ـ الكشاف : ج 2، ص 236

[1375]ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 14

[1376] ـ التحرير والتنوير : ج 10 ، ص 121

[1377]ـ مفاتح الغيب : ج 15 ، ص 531

عادل«[1378]» على الانكار ، وبالتالي فيكون ما أورده الإمام ابن جزي من معنى الإنكار والاستبعاد موافق لأقوال كثير من المفسرين .

ـــ الاستفهام للإنكار والنفي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾«[1379]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « ... وأم هنا للاستفهام ، والمعنى الانكار والنفي ، وذلك أنّه لما سألهم عمّن يكلؤهم : أخبر بعد ذلك أنّ آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ...»«[1380]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «أم» متضمن معنى الإنكار والنفي ، أي إنكار ونفي أن تكون لهؤلاء المشركين آلهة تحفظهم وترعاهم وتمنع عنهم الضر والسوء ، وقد أشار الإمام أبو السّعود إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار والنفي «[1381]»، وحمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على معنى الإنكار والتقريع«[1382]» والغرضان لا تعارض بينهما ، فالتقريع من الإنكار والإنكار حقيقته نفي .

[1378] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج10 ، ص 22

[1379] ـــ سورة الأنبياء : الآية 43 .

[1380] ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 25 .

[1381] ـــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6 ، ص 69

[1382] ـــ التحرير والتنوير : ج 17 ، ص 74

ــ الاستفهام للتقرير :

أشار الإمام ابن جزي ـــ رحمه الله ــ إلى كثير من الاستفهامات القرآنية التي تضمنت معنى التقرير ، ومن جملة ذلك :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾«[1383]» قال ــ رحمه الله ــ : ««ألن يكفيكم » تقرير ، جوابه بلى »«[1384]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « ألن » جاء لغرض التقرير ، والمعنى إقرار كفاية هذا العدد من الملائكة المنزلين من عند الله تعالى ليعينوا المؤمنين على المشركين فإنّهم يكفون لهذه المهمة ، هذا وقد ذكر تضمن الاستفهام هنا لمعنى التقرير الإمام ابن عطية ، حيث قال : « وقوله تعالى :« ألن يكفيكم » تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد من الملائكة ، ومن حيث كان الأمر بيّنا في نفسه أنّ الملائكة كافية بادر المتكلم إلى الجواب ليبني ما يستأنف ممّن قوله عليه فقال : بلى »«[1385]» ، وقد ذكر هذا المعنى كذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور«[1386]» ، وقد حمله الإمام الزّمخشري«[1387]» والرّازي«[1388]» على معنى الإنكار ، أي إنكار ألا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف ، ولا فرق عند البلاغيين بين الإنكار والتقرير ، فحقيقة التقرير إنكار ، ويحتمل أن يكون الإمام ابن جزي قد أفاد معنى التقرير من هذا الاستفهام عن الإمام ابن عطية .

[1383] ــ سورة آل عمران : الآية 124

[1384] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 126 .

[1385] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 530.

[1386] ــ التحرير والتنوير : ج 4، ص 73

[1387] ــ الكشاف : ج 1، ص 439

[1388] ــ مفاتح الغيب : ج 8 ، ص 308

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ ﴾«[1389]».

قال ــ رحمه الله ــ : « استفهام بمعنى التقرير »«[1390]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة :«أفمن» متضمن معنى التقرير ، والقصد تقرير حقيقة أنّ من أسّس وأصلّ دينه على تقوى الله فهو على أساس متين أفضل وأحسن ممّن أسّس دينه على الكفر والباطل ، وقد ذكر خروج الاستفهام لمعنى التقرير هنا الإمام ابن عطية ، فقال : وقوله : «أفمن أسّس» الآية استفهام بمعنى تقرير »«[1391]» وتبع الإمام ابن عطية على خروج الاستفهام هنا للتقرير الإمام القرطبي«[1392]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1393]» ، فيحتمل أن يكون هؤلاء بمن فيهم الإمام ابن جزي قد أخذوا القول بالتقرير عن الإمام ابن عطية والله أعلم .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾«[1394]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أفمن يعلم تقرير ، والمعنى أسواء من آمن ومن لم يؤمن »«[1395]»

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أفمن» مستعمل في التقرير ، والمقصود تقرير حقيقة عدم استواء المشبهين في هذا المثل المضروب ، أي لا يستوي من آمن بالقرآن فكان بصيرا به ، كمن كذّب به ، فكان من العميان ، وقد أكّد الإمام ابن عطية اقتضاء هذا الاستفهام

1389 ــ سورة التوبة : الآية 109

1390 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص423 .

1391 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 3 ، ص 95 .

1392 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج8 ، ص 263

1393 ــ التحرير والتنوير : ج 11، ص 34

1394 ــ سورة الرعد : الآية 19 .

1395 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 19 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للتقرير فقال : « وقوله : أفمن يعلم استفهام بمعنى التقرير ، والمعنى أسواء من هداه الله فصدق نبوتك ومن آمن بك ومن لم يهتد ولا رزق بصيرة وبقي على كفره فمثّل الله عزّ وجل ذلك بالعمى»«[1396]» .

وقد حمله كلّ من الإمام النّسفي«[1397]» وأبو حيّان«[1398]» وأبو السّعود«[1399]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1400]» على الإنكار أي إنكار استواء الفريقين ،و لا تعارض كما ذكرنا في كم موضع بين الإنكار والتقرير ، ويظهر من نصّ الإمام ابن جزي في تفسيره أنّه أفاده من الإمام ابن عطية .

كما نبّه ــ رحمه الله ــ إلى اجتماع التقرير مع التوبيخ في كثير من المواضع ، منها :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ﴾«[1401]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« قال أليس هذا بالحق » تقرير وتوبيخ لهم »«[1402]»

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أليس» متضمن معنى التقرير والتوبيخ ، والمعنى إقرار حقيقة وقوع البعث ، وتوبيخ المشركين على تكذيبهم به في الحياة الدّنيا بعد أن رأوه حقيقة في ذلك اليوم ، وقد ذكر معنى التقرير والتوبيخ في الاستفهام الإمام القرطبي ، حيث قال : « أليس هذا بالحق » تقرير وتوبيخ ، أي أليس هذا البعث كائنا موجودا؟ »«[1403]» ، وحمله على

[1396]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3، ص 313

[1397] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 206

[1398] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 375

[1399] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5 ، ص 16

[1400] ــ التحرير والتنوير : ج 13 ، ص 123

[1401] ــ سورة الأنعام : الآية 30

[1402] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 266.

[1403]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 411

التقرير المحض الشيخ الطّاهر بن عاشور «[1404]»، وجعله أبو السّعود للتقريع«[1405]» ، والبلاغيون يعبّرون عن التوبيخ بالتقريع ، وبالتالي فلا تعارض بين التوبيخ والتقريع .

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ﴾«[1406]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««قل أغير الله أبغي ربّا »تقرير وتوبيخ للكفار ، وسببها أنّهم دعوه لعبادة آلهتهم »«[1407]» .

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «أغير» مقتضي لمعنى التقرير والتوبيخ ، أي تقرير عدم عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وتوبيخ المشركين والكفار على دعواهم له صلى الله عليه وسلم للإيمان بآلهتهم والاعتراف بربوبيتها ، فوبّخوا على ذلك ، هذا وقد ذكر الإمام القرطبي خروج الاستفهام هنا لمعنى التقرير والتوبيخ حيث قال : « روي أنّ الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ، ونحن نتكفل لك بكلّ تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك ، فنزلت هذه الآية ، وهي استفهام يقتضي التقرير والتوبيخ »«[1408]» وحمله الإمام أبو حيان على التقرير و الإنكار «[1409]»، وهو نفس معنى التقرير والتوبيخ ، وجعله الشيخ الطّاهر بن عاشور للإنكار فحسب«[1410]» .

[1404]ــ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 188

[1405] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 124

[1406] ــ سورة الأنعام : الآية 164.

[1407]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 291

[1408]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 7 ، ص 156

[1409]ــ تفسير البحر المحيط : ج 4، ص 263

[1410] ــ التحرير والتنوير : ج 8 ، ص 14

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾«[1411]».

قال ــ رحمه الله ــ : « المعنى أفي وجود الله شك أو أفي إلهيته شك ، وقيل في وحدانيته ، والهمزة للتقرير والتوبيخ ، لأنّه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة »«[1412]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « أفي » متضمن معنى التقرير والتوبيخ ، أي تقرير حقيقة وجود الله وتفرده سبحانه وتعالى بالوحدانية لقيام الأدلة والبراهين على ذلك ، وفي المقابل توبيخ من يشك في ذلك ، وقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام هنا على معنى الإنكار، أي إنكار أن يكون في وجود الله شك ، منهم الفخر الرّازي «[1413]»، والإمام القرطبي«[1414]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1415]» ، ولا تعارض بين الإنكار والتقرير والتوبيخ كما ذكرنا مرار عند البلاغيين .

ــ الاستفهام للحض والطلب :

من معاني الاستفهام التي أشار إليها الإمام ابن جزي الحض والطلب ، وذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ «[1416]».

قال ــ رحمه الله ــ :« استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق »«[1417]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « من ذا » متضمن معنى التحضيض على فعل الخير والإنفاق في سبيل الله تعالى ، وقد أشار إلى تضمن الاستفهام هنا معنى الحض والتحضيض

[1411] ــ سورة إبراهيم : الآية 10

[1412] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 429

[1413] ــ مفاتح الغيب : ج 19 ، ص 74

[1414] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 9 ، ص 346

[1415] ــ التحرير والتنوير : ج 13 ، ص 198

[1416] ــ سورة البقرة : الآية 245

[1417] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 123

الإمام القرطبي«[1418]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1419]» ، وأشار الإمام أبو حيان إلى تضمنه معنى الطلب ، فقال : « ... فأتى بهذه الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى الطلب »«[1420]» وهذه الآراء موافقة لما ذكره الإمام ابن جزي .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾«[1421]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« أفلا يتدبرون القرآن » حضّ على التفكر في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه »«[1422]»

فالإمام ابن جزي يرى بأنّ الاستفهام في لفظة «أفلا» مستعمل في الحض على تدبّر القرآن وفهم معانيه ، وقد حمل أغلب المفسرين الاستفهام هنا على الإنكار منهم الإمام البيضاوي«[1423]»، والإمام أبو حيّان«[1424]» ، وحمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على الإنكار والتوبيخ والتعجيب«[1425]»، ومعنى الإنكار عند هؤلاء هو الإنكار على عدم تدبر القرآن مع وجود دواعي التدبر والفهم ، وقد ذهب الإمام ابن عطية إلى القول بأنّه متضمن معنى الأمر بالنظر والاستدلال«[1426]».

[1418]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 3 ، ص 237

[1419]ــ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 481

[1420]ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ،ص 261 .

[1421] ــ سورة النساء : الآية 82

[1422] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 201.

[1423]ــ أنوار التنزيل وأسارا التأويل : ج 2 ، ص 86

[1424]ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 317

[1425] ــ التحرير والتنوير : ج 5 ، ص 137

[1426] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والذي يظهر والله أعلم أنّ حمله على الإنكار أولى لأنّ الخطاب السابق في الآية التي قبل هذه كان موجها للمنافقين وهذا الكلام كذلك مخصص لهم ، فهم المعنيون بهذا الإنكار ، فالحامل لهم على الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم هو عدم النّظر فيما جاء به وفيما تنزّل عليه ومن كلام الله تعالى فلو نظروا فيه وتأملوه لأحجموا عن الوقوع فيما وقعوا فيه .

ـ الاستفهام للتعظيم :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام وأشار إليها الإمام ابن جزي التعظيم ، وذلك :

عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾«[1427]».

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا تعظيم لها ، قال بعضهم : كل ما قال فيه : ما أدراك فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم ، وما قال فيه : وما يدريك فإنّه لا يعلمه »«[1428]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «وما أدراك » قصد به تعظيم شأن ليلة القدر ، وقد ذكر قصد التفخيم والتعظيم بهذه الكلمة في الآية الشيخ الطّاهر بن عاشور ، فقال : « وكلمة ما أدراك ما كذا كلمة تقال في تفخيم الشيء وتعظيمه ، والمعنى أي شيء يعّرفك ما هي ليلة القدر ، أي يعسر على شيء أن يعرّفك مقدارها »«[1429]» ، كما ذكر الإمام ابن عطية «[1430]» والإمام أبو السّعود«[1431]» معنى التفخيم في هذا الاستفهام .

[1427] ـ سورة القدر : الآية 2

[1428] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 552.

[1429] ـ التحرير والتنوير : ج 30، ص 458

[1430] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5، ص 476

[1431] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 9، ص 12

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾«[1432]».

قال ــ رحمه الله ــ : « مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة ، والمراد به تعظيم شأنها ، كذلك »«[1433]» .

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «وما » قصد به تعظيم شأن يوم القيامة ، وبيان شدّة هولها ، وهو مرادف لقوله تعالى في سورة الحاقة «مَا ٱلْحَآقَّةُ»«[1434]»، وقد ذكر قصد التعظيم بهذا الاستفهام الإمام ابن عطية فقال : « وما أدراك تعظيم لأمرها وقد تقدم مثله »«[1435]» ، كما ذكر ذلك أيضا الإمام القرطبي«[1436]» ، وحمله الإمام الطّاهر بن عاشور على معنى التهويل «[1437]» وهو موافق للتعظيم ، لأنّ التهويل من شيء يستلزم ضرورة تعظيمه .

كما أشار ــ رحمه الله ــ إلى اجتماع التهويل والتفخيم مع التعظيم ، وذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾«[1438]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أي كيف يكون حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لما أعدّ لهم »«[1439]»

فالإمام بن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة « فكيف » خارج مخرج التعظيم والتهويل ، والمقصود تعظيم وتهويل الجزاء الذي ينتظر هؤلاء اليهود المعرضين عن التحاكم لكتاب الله بسبب

[1432] ــ سورة القارعة : الآية 2

[1433] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 561

[1434] ــ سورة الحاقة : الآية 2

[1435] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج ، ج5 ، ص 487 .

[1436] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 20 ، ص 164

[1437] ــ التحرير والتنوير :ج 30 ،ص 11

[1438] ــ سورة آل عمران : الآية 25 .

[1439] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 144.

زعمهم أنّهم لن يمسهم العذاب إلاّ أياما قلائل ، وقد ذكر هذا المعنى قبل الإمام ابن جزي الإمام الزمخشري ، حيث قال : « فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعدّ لهم وتهويل لهم »«[1440]» وحمله الإمام القرطبي على التوقيف والتعجيب من حالهم «[1441]»، وجعله الإمام أبو حيّان للتعجيب والاستعظام«[1442]» ،وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه للتفجيع والتعجيب«[1443]» ، والتفجيع قريب من التهويل ، فهذه الأقوال من المفسرين في معنى هذا الاستفهام متقاربة ، ويظهر جليّا أنّ الإمام ابن جزي أفاد هذا المعنى من الإمام الزّمخشري .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾«[1444]».

قال ــ رحمه الله ــ : « المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل »«[1445]»

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ لاستفهام في لفظة «هل أتاك » متضمن لمعنى التفخيم والتهويل ، والمقصود بالتفخيم ، هنا تفخيم شأن قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة ليتشوق السامع إلى تلقيها فهي من الأخبار المهمة التي تسترعي الانتباه، وقد ذكر بعض المفسرين تضمن هذا الاستفهام لمعنى التفخيم منهم الإمام الزّمخشري«[1446]»،والإمام أبو السّعود «[1447]»، والشيخ الطّاهر بن عاشور «[1448]»، وحمله الإمام ابن عطية على معنى التقرير لتجتمع نفس المخاطب على الحديث«[1449]» ، وتبعه على ذلك الإمام أبو حيّان وزاد معنى التفخيم«[1450]».

[1440]ــ الكشاف : ج 1 ، ص 377

[1441]ــ الجامع لأحكام القرآن :ج 4 ، ص 51

[1442]ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 435

[1443]ــ التحرير والتنوير : ج 3 ، ص 211

[1444]ــ سورة الذاريات : الآية 24

[1445]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 344

[1446]ــ الكشاف : ج 4 ، ص 404

[1447]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8 ، ص 139

[1448]ــ التحرير والتنوير : ج 26 ، ص 357

[1449]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 159

[1450] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 137

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبهذا يكون ما أورده الإمام ابن جزي موافقا لما ذهب إليه بعض المفسرين في معنى هذا الاستفهام ، وفيه احتمال كبير أن يكون الإمام ابن جزي قد أخذ هذا المعنى من الإمام الزّمخشري فهو الذي سبق هؤلاء المفسرين المذكورين لهذا المعنى .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾«[1451]».

قال ــ رحمه الله ــ : « لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل »«[1452]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في «وما أدراك » مستعمل في التعظيم والتهويل ، أي تعظيم شأن يوم القيامة لشدّة كربه وعظيم هوله ، وقد حمل الإمام أبو حيّان هذا الاستفهام على التهويل«[1453]»، وتبعه في ذلك الإمام أبو السّعود «[1454]»، وجعله الإمام القرطبي مستعملا في التفخيم«[1455]» ، أي تفخيم شأن يوم القيامة ، والقولان صحيحان بحاصل المعنى ، لأنّ التفخيم حقيقته تعظيم .

ــ الاستفهام للاستبعاد :

من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام ، وذكرها الإمام ابن جزي الاستبعاد ، غير أنّه ذكره مقرونا بغرض آخر من أغراض الاستفهام ، وذلك في موضعين ، الأول ذكر معه الاستهزاء والتكذيب ، والثاني مع الاستنكار ، وذلك :

[1451] ــ سورة الحاقة : الآية 3

[1452]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 49

[1453]ــ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 315

[1454]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج9 ، ص 21

[1455]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج18 ، ص 257

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾«[1456]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««ماذا أراد الله بهذا مثلا » لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب »«[1457]» .

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة « ماذا » متضمن لمعنى الاستبعاد والاستهزاء و التكذيب ، أي استبعاد المشركين لهذا المثل الذي ضربه الله تعالى واستهزائهم به لكونه يهدي به طائفة ، ويضل به أخرى ، وقد حمل بعض المفسرين الاستفهام هنا على معنى الإنكار يتقدمهم الإمام ابن عطية ، حيث قال : « ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ الاستفهام »«[1458]» ، وقد تبع الإمام القرطبي الإمام ابن عطية على ما ذهب إليه ، فنقل كلامه في تفسيره بنّصه «[1459]». وعليه فيكون ما ذكره ابن جزي من معنى الاستبعاد والاستهزاء في الاستفهام محتملا وممكنا ، كما يمكن أن يكون الإمام ابن جزي عبّر عن الإنكار بلفظ الاستبعاد .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾«[1460]».

قال ــ رحمه الله ــ : « يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار »«[1461]» .

فالإمام ابن جزي يجوز أن تكون ما في لفظة «فما» أن تكون نافية أو استفهامية ، وعلى القول بأنّها استفهامية فإنّ هذا الاستفهام مستعمل في معنى الاستبعاد والإنكار ، أي استبعاد انتفاعهم

[1456] ــ سورة البقرة : الآية 26

[1457] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص67 .

[1458] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 98

[1459] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 244

[1460] ــ سورة القمر : الآية 5

[1461] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص361.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالنذر وإنكار أن ينتفعوا بها بسبب عنادهم وإصرارهم على كفرهم ، وقد ذكر بعض المفسرين احتمال أن تكون ما للنفي أو الاستفهام ، وعلى تقدير الاستفهام فقد حملوه على الإنكار وممّن قال بذلك ، الإمام الألوسي«[1462]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1463]» ، وحمله الإمام القرطبي على التوبيخ«[1464]» ، وهو والإنكار بمعنى واحد ، وحمله الإمام ابن عطية على التقرير«[1465]» ، وحقيقة التقرير إنكار ، وعليه فيكون ما قدّره الإمام ابن جزي موافقا لما ذكره هؤلاء الأئمة.

ــ الاستفهام للاستدعاء :

أشار الإمام ابن جزي في تفسيره إلى هذا النوع من الاستفهام في موضعين ، وذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾«[1466]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« فهل أنتم مسلمون » لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن»«[1467]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «فهل » متضمن معنى الاستدعاء ، ومقصود الإمام ابن جزي بالاستدعاء الأمر ، وعليه فيكون المعنى أسلموا وانقادوا لدين الله بعد إلزامكم الحجة التي قضت بأنّ الإسلام هو دين الله الحق الذي ارتضاه لعباده ، وأنّ ما سواه من الأديان باطل ومردود .

[1462] ــ روح المعاني والسبع المثاني : ج 14، ص 78
[1463] ــ التحرير والتنوير : ج 27، ص 125
[1464] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 17، ص 129
[1465] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 193
[1466] ــ سورة هود : الآية 14
[1467] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 385

ولقد ذكر بعض المفسرين غرض هذا الاستفهام فممّن أشار إليه وحمله على معنى الأمر الإمام القرطبي ، حيث قال : ««فهل أنتم مسلمون » استفهام معناه الأمر ...»«[1468]» ، كما حمله على معنى الأمر أيضا الإمام السّمين الحلبي فقال : «« فهل أنتم مسلمون » استفهام معناه الأمر بمعنى أسلموا ، كقوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾«[1469]» ، أي انتهوا »«[1470]» وذهب بعض المفسرين إلى ذكر أغراض مندرجة ضمن مفهوم الأمر ، فالإمام أبو حيّان جعله مستعملا في معنى التحريض«[1471]» ،و الشيخ الطّاهر ابن عاشور جعله مستعملا في الحث«[1472]» ، ولا شك أنّ جميعها يندرج تحت الأمر على اختلاف في درجات الأمر ومراتبه ، وعليه فيكون الإمام ابن جزي عبّر بمعنى الاستدعاء عن الأمر ، وهو بذلك يوافق كثيرا من الأئمة في غرض هذا الاستفهام

ـــ الاستفهام للعرض :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾«[1473]».

قال ــ رحمه الله ــ :« هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة »«[1474]».

فالإمام ابن جزي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «فهل » مستعمل في العرض المنوط بترغيب ، أي عرض هذه الطائفة على ذي القرنيين أن يجعلوا له خراجا ليجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدّ منيعا فلا يصلون إليهم ، ولقد أشار الإمام أبو السّعود«[1475]» لتضمنه معنى العرض وكذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور الذي قال :« والاستفهام في قوله : «فهل نجعل لك خرجا» مستعمل

[1468] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 9 ، ص 12 .

[1469]ـ سورة المائدة : الآية 91

[1470]ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 1 ، ص 3448 .

[1471]ـ تفسير البحر المحيط : ج 4، ص 18

[1472]ـ التحرير والتنوير : ج 7، ص 22

[1473]ـ سورة الكهف : الآية 94 .

[1474]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج ، ص 1 503 .

[1475]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5 ، 245

في معنى العرض »«[1476]» ، وذكر الإمام ابن عطية«[1477]» وتبعه الإمام القرطبي «[1478]»أنّه استفهام على جهة حسن الأدب ولم يبينوا غرضه ومضمونه فإنّ عبارة على جهة حسن الأدب واردة مورد الإبهام لم يتضح بها مقتضى هذا الاستفهام ، وجعله الإمام أبو حيّان على معنى الاستدعاء المرفوق بحسن الأدب«[1479]» ، وهو قريب ممّا ذكره ابن عطية والقرطبي ، والظّاهر أنّ هذا الاستفهام خارج مخرج العرض لأنّ سياق الكلام يدّل عليه دلالة واضحة .

ـــ الاستفهام للتنبيه والتفخيم :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾«[1480]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر »«[1481]».

فالإمام ابن جزي يرى أنّ الاستفهام في لفظة «هل» خارج مخرج التفخيم والتنبيه ، والمعنى تفخيم شأن يوم القيامة ، والتنبيه على أهواله وأحواله وأخباره ، وقد رأى ثلة من المفسرين أنّ الاستفهام هنا للتشويق منهم ابن عادل«[1482]» و الإمام أبو السّعود«[1483]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1484]». وقال الإمام أبو حيّان إنّه توقيف يراد به تحريك السامع إلى تلقي الخبر«[1485]» وهذا قريب معنى التشويق الذي ذكره الأئمة السابقون ، فيظهر من هذا إطباق الأئمة على خروجه مخرج التشويق ، ويكون الإمام ابن جزي منفردا بمعنى التنبيه والتفخيم .

[1476]ـ التحرير والتنوير : ج 16 ، ص 34
[1477]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 573
[1478]ـ الجامع لأحكام القرآن : 11 ، ص 59
[1479]ـ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 154
[1480]ـ سورة الغاشية : الآية 1
[1481] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 527
[1482]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 20، ص 289
[1483]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 9، ص 148
[1484]ـ التحرير والتنوير : ج 30، ص 294
[1485]ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 547

ــ الاستفهام للتعجب :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾«[1486]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أرأيت في الموضوع الذي قبله والذي بعده بمعنى : أخبرني ، فكأنّه سؤال يفتقر إلى جواب ، وفيها معنى التعجيب والتوقيف »«[1487]».

فالإمام ابن جزي يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « أرأيت » متضمن معنى التعجب ، والمعنى التعجيب من حالة أبي جهل كيف ينهى من هو على الهدى والتقوى عن الصّلاة ، وهو غارق في الضلالة والعماية عن الحق ، وقد نقل كثير من أئمة التفسير منهم الإمام القرطبي«[1488]» وابن عادل«[1489]» وأبو حيّان«[1490]» عن الفرّاء قوله بأنّ الاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ ، وجعله الشيخ الطّاهر بن عاشور مستعملا في التعجيب«[1491]» وبهذا يكون مؤيدا لما ذكره الإمام ابن جزي في معنى هذا الاستفهام ، والاختلاف بينهم في بيان حقيقة ما يخرج إليه الاستفهام هنا مبني على الفهم الذي فهمه كل واحد منهم من سياق الكلام ، وهو أمر واسع لا ينبغي تضيقه أو التحجير فيه ، فالمعاني واسعة .

وبعرض هذه النماذج يتبيّن اهتمام واعتناء الإمام ابن جزي بأسلوب الاستفهام في تفسير، فقد نبّه عليه في كثير من الآيات القرآنية وذكر كثيرا من الأغراض التي يخرج إليها في ضوء سياق الآيات . وهذا يؤكد إدراكه لأهمية هذا الأسلوب في توضيح المعاني وزيادة تقريرها ، وكان منهجه قائما على الإشارة لنوع الاستفهام مع ذكر الغرض الذي يخرج إليه بإيجاز واختصار دون إفاضة في الشرح والتحليل وهذا كان نقطة سلبية في منهجه ، فإعراضه عن شرح تلك الأساليب أفقدها زيادة البيان

[1486] ـ سورة العلق : الآية 11 .

[1487] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 549 .

[1488] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 20، ص 124 .

[1489] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 20، ص 420 .

[1490] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 490 .

[1491] ـ التحرير والتنوير : ج 30، ص 447 .

والتوضيح . وكان من منهجه نقل هذه الأغراض عن بعض الأئمة اختصارا دون التصريح بذلك سيّما الإمام الزمخشري وابن عطية ، كما أنّ لأغراض التي يذكرها وينبه عليها يوافقه فيها كثير من المفسرين . وبالجملة فهو جهد معتبر وقيم في بيان هذا الأسلوب من أساليب الإنشاء .

ــ المطلب الثاني عشر : أسلوب الإنشاء في كتاب البحر المحيط للإمام أبي حيّان الأندلسي

لقد أشار الإمام أبوحيّان ــ رحمه الله ــ في كتابه البحر المحيط إلى أسلوبي الأمر والاستفهام اللّذين هما من الأساليب الإنشائية، ونبّه على الأغراض التي يخرجان إليها في ضوء السياق القرآني، وسأورد بعض النماذج التي تبرز احتفائه واعتناءه بهما :

ــ الفرع الأول : الأمر :

أشار الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ إلى أسلوب الأمر ونبّه عليه في بعض المواضع ، مع بيان الأغراض التي تضمنها وأفادها في ضوء السياق القرآني ، وقد كانت هذه الإشارات منحصرة تحت هذه المعاني والأغراض :

الأمر للتحقير :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾«[1492]» قال ــ رحمه الله ــ : «« فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي » هذا فيه تحقير لشأنهم ، وأمر باطّراحهم ، ومراعاة لأمر الله تعالى »«[1493]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الأمر في لفظة «فلا تخشوهم» أفاد معنى التحقير ، والمقصود تحقير شأن اليهود ومن على شاكلتهم من المشركين في عدم المبالاة والاعتباء بهم ، بل وجب مراعاة أمر الله

[1492]ــ سورة البقرة : الآية 150

[1493]ــ البحر المحيط : ج 1 ، ص 616 .

تعالى وتعظيم حدوده ، وقد أخرج هذا الأمر الوارد في الآية مخرج التحقير الإمام ابن عطية ، فقال : « ....الآية تحقير لشأنهم وأمر باطّراح أمرهم ، ومراعاة أمره »«[1494]» ، وقد تبع الإمام ابن عطية في هذا القول الإمام القرطبي«[1495]» ، وهذا يقوي القول بأنّ الإمام أبو حيّان قد أفاد هذا المعنى للأمر من الإمام ابن عطية ونقله من تفسيره دون عزوه .

الأمر للتهديد:

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾«[1496]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وتضمنت هذه الآية ضروبا من البديع منها ... التهديد بقوله : فاحذروه »«[1497]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر أنّ هذه الآية تضمنت ضروبا من البديع منها التهديد في لفظة « فاحذروه » ، وهو يريد بالتهديد هنا أسلوب الأمر المتضمن للتهديد في قوله تعالى :«فاحذروه » ، ومعنى الآية تهديد لمن يعزم على عقد النكاح في العدة بإخباره تعالى أنّه يعلم ما في النفوس ويعلم السر والعلن ، وقد أشار الإمام الرّازي إلى وجود معنى التهديد في الآية حيث قال : « ثمّ إنّه تعالى ختم الآية بالتهديد ، فقال : « واعلموا أنّ الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، وهو تنبيه على أنّه تعالى لما كان عالما بالسّر والعلانية ، وجب الحذر في كل ما يفعله الإنسان في السّر والعلانية ...»«[1498]» وجعل الإمام ابن عطية«[1499]» و الإمام القرطبي«[1500]» الأمر هنا للتحذير ، وهو

[1494] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج ، 1 ، ص 211
[1495] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج2 ، ص 170
[1496] ــ سورة البقرة : الآية 235
[1497] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 239
[1498] ــ مفاتح الغيب : ج 6 ، ص 469
[1499] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1، ص 309
[1500] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 3 ، ص 196

موافق لمعنى التهديد ، ولا تعارض بينهما لأنّ حقيقة التحذير من شيء يقتضي التهديد على الوقوع فيه .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾«[1501]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««اعملوا » صيغة أمر معناه التهديد والوعيد »«[1502]»

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الأمر في لفظة «اعملوا» متضمن معنى التهديد والوعيد ، والمعنى أنّ الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها من التمكن فإنّي عامل كذلك ، وفي ضمن هذا الكلام تهديد وتوعد للمشركين ، وقد تقدّم نظائر هذا الأمر في كثير من آيات القرآن الكريم منها ما ورد في سورة الأنعام ، وفي سورة هود على لسان شعيب عليه السلام ، وقد أشار إلى تضمن هذا الأمر معنى التهديد الإمام الرّازي فقال : « وقوله :« اعملوا » وإن كانت صيغته صيغة الأمر ، إلاّ أنّ المراد منها التهديد ...»«[1503]» ونقل قول الإمام الرّازي هذا الإمام ابن عادل«[1504]» ، كما ذكر غرض التهديد لهذا الأمر الإمام القرطبي ، حيث قال : « قوله تعالى : «وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ » تهديد ووعيد »«[1505]».

[1501] ــ سورة هود : الآية 121 ــ 122

[1502] ــ البحر المحيط : ج 5 ، ص 273

[1503] ــ مفاتح الغيب : ج 18، ص 416

[1504] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10 ، ص 604

[1505] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 9 ، ص 117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى :﴿ اَعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾«[1506]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««اعملوا ما شئتم» وعيد وتهديد بصيغة الأمر ، ولذا جاء إنّه بما تعملون بصير فيجازكم بأعمالكم »«[1507]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الأمر في لفظة «اعملوا » مستعمل في معنى التهديد والوعيد ، والتهديد كامن في لفظة اعملوا ، وأمّا الوعيد فإنّه دلّ عليه قوله تعالى : «إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ» ، وقد حمل كثير من المفسرين الأمر هنا على معنى التهديد منهم الإمام الرّازي«[1508]» ، والنّسفي«[1509]» ، وابن جزي«[1510]» ، وابن عادل«[1511]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1512]» ، وحمله الإمام ابن عطية على معنى الوعيد«[1513]» ، وهو والتهديد شيء واحد ، وبهذا يكون شبه إجماع من المفسرين على ورود هذا الأمر مورد التهديد .

الأمر للتوبيخ والتقريع :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ ﴾«[1514]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ظاهره أنّه صلى الله عليه وسلم أمر بأن يقول لهم ذلك ، وهي صيغة أمر ومعناها الدعاء ، أي أذن الله لنبيه أن يدعوا عليهم لما يئس من قولهم ، هذا قول الطبري ، وكثير من المفسرين قالوا : فله أن يدعو مواجهة ، وقيل : أمر هو وأمته أن يوجهوهم بهذا ، فعلى هذا

[1506] ــ سورة فصلت : الآية 40

[1507] ــ البحر المحيط : ج 7 ، ص 478

[1508] ــ مفاتح الغيب : ج 27، ص 575

[1509] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4، ص 77

[1510] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 272

[1511] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 17، ص 145 .

[1512] ــ التحرير والتنوير : ج 24، ص 305 .

[1513] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5، ص 17.

[1514] ــ سورة آل عمران : الآية 119 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

زال معنى الدّعاء ، وبقي معنى التقريع قاله ابن عطية ، وقيل صورته ، ومعناه الخبر ، والباء للحال أي تموتون ومعكم الغيظ ، وهو على جهة الذّم على قبيح ما عملوه ، وقال الزّمخشري : دعا عليهم بأن يزداد غيظهم حتّى يهلكوا به ، والمراد بغيظهم ما يغيظهم من قوة الإسلام وعزّة أهله ، وما لهم في ذلك من الذّل والخزي والتبار ، انتهى كلامه .... قال : بعض شيوخنا هذا ليس بأمر جازم ، لأنّه لو كان أمرا لماتوا من فورهم ، كما جاء فقال لهم الله موتوا ، وليس بدعاء ، لأنّه لو أمره بالدّعاء لماتوا جميعهم ، فإنّ دعوته لا ترد ، وقد آمن منهم بعد هذه الآية كثير ، وليس بخبر لأنّه لو كان خبر لوقع على حكم ما أخبر به ، بعني ولم يؤمن أحد بعد ، وإنّما هو أمر معناه التوبيخ والتقريع ...»«[1515]»

الأمر للتوبيخ والتهديد :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾«[1516]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... ولا يتعين ما ذكره المفسرون والمعربون من أنّ اللام في « وليقولوا » لام كي أو لام الصيرورة ، بل الظاهر أنّها لام الأمر ، والفعل مجزوم بها لا منصوب بإضمار أن ويؤيده قراءة من سكّن اللام والمعنى عليه متمكن ، كأنّه قيل : ومثل ذلك نصرّف الآيات وليقولوا هم ما يقولون من كونك درستها وتعلمتها ، أو درست هي أي بليت وقدمت ، فإنّه لا يحفل بهم ولا يلتفت إلى قولهم ، وهو أمر معناه الوعيد والتهديد ، وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون في الآيات ...»«[1517]»

[1515] ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 44 ـ 45 .

[1516] ــ سورة الأنعام : الآية 105

[1517] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 200

ــ الأمر للتعجيز :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾«[1518]».

قال ــ رحمه الله ــ : « لما أنكر تعالى عليهم عبادة الأصنام ، وحقّر شأنها ، وأظهر كونها جمادا عارية عن شيء من القدرة أمر تعالى نبيه أن يقول لهم ذلك ، أي لا مبالاة بكم ولا بشركائكم فاصنعوا ما تشاؤون ، وهو أمر تعجيز أي لا يمكن أن يقع منكم دعاء لأصنامكم ولا كيد لي ، وكانوا قد خوّفوه آلهتهم »«[1519]» .

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الأمر في لفظة :« قل ادعوا » متضمن لمعنى التعجيز ، والمقصود أنّ الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطلب من المشركين دعوة آلهتهم التي كانوا يخوفونه بها ليلحقوا به الأذى والضرر ، فهي لا تقدر على إلحاق الأذى به صلى الله عليه وسلم ، وفي ضمن هذا تعجيز وتبكيت لآلهتهم وإظهار لضعف معبوداتهم ، وقد أشار الإمام ابن جزي رحمه الله لمقصد هذا الأمر والغرض منه فقال : « ومقصد الآية الرّد عليهم ببيان عجز أصنام وعدم قدرتها على المضرة »«[1520]» . وهذا النّص من الإمام ابن جزي قريب ممّا أورده الإمام أبو حيّان، وعليه يتقوى القول بأنّ غرض هذا الأمر هو التعجيز

ــ عند تفسير قوله تعالى :﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ «[1521]».

قال ــ رحمه الله ــ : « إشارة إلى قول أبي جهل ، وما بالوادي أكبر ناديا مني ، والمراد أهل النادي ، وقال جرير:

لهم مجلس صهب السبال أدلة «[1522]»

[1518] ــ سورة الأعراف : الآية 195.

[1519] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 441 .

[1520] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص327

[1521] ــ سورة العلق : الآية 17

أي أهل المجلس ، وهو أمر تعجيزي أي لا يقدره الله على ذلك لو دعا ناديه لأخذته الملائكة عيانا »«[1523]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الأمر في قوله تعالى : «فليدع » مستعمل في التعجيز ، أي تعجيز أبي جهل في دعواه ناديه ، وذلك أنّه تباهى على النبي صلى الله بكثرة عشيرته عندما أغلظ عليه صلى الله عليه وسلم في القول ، فقال له أبو جهل : تهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطلب منه دعوة ناديه وعشيرته إن كانوا يغنوا عنه شيئا من أمر الله ولن يقدروا على شيء .

هذا وقد حمل الأمر على معنى التعجيز الإمام ابن جزي حيث قال : « النادي والندي المجلس الذي يجتمع فيه الناس ، وكان أبو جهل قد قال : أيتوعدني محمد فو الله ما بالوادي أعظم ناديا مني ، فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له ، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ...»«[1524]» ، كما حمل الأمر هنا كذلك على معنى التعجيز الإمام الألوسي الذي قد عزاه للإمام أبي حيّان في البحر فقال : « والأمر على ما في البحر للتعجيز والإشارة إلى أنّه لا يقدر على شيء »«[1525]» ، كما ذكر معنى التعجيز في هذا الأمر الشيخ الطّاهر بن عاشور«[1526]» .

[1522]ــ ينظر : الصناعتين في الكتابة والشعر : أبو هلال العسكري ، ج 1 ، ص 181

[1523]ـ البحر المحيط : ج 8 ، ص 491

[1524] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 550

[1525]ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج ، ص

[1526] ــ التحرير والتنوير : ج 30، ص 453

الأمر للتخيير :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾«[1527]».

قال ـ رحمه الله ـ : «والخطاب بالأمر للرسول ، والظاهر أنّ المراد بهذا الكلام التخيير ، وهو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له عمر : كيف تستغفر لعدو الله وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ما نهاني ولكنه خيرني »«[1528]» فكأنه قال له عليه السلام : إن شئت فاستغفر ، وإن شئت فلا تستغفر ، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة ، وقيل : لفظه أمر ومعناه الشرط ، بمعنى إنْ استغفرت أو لم تستغفر لن يغفر الله ، فيكون مثل قوله : ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ ﴾«[1529]» ، وبمنزلة قول الشاعر:

أسيء بنا أو أحسني لا ملومةلدينا ولا مقلية إن تقلت

ومر الكلام في هذا في قوله : « قل أنفقوا طوعا أو كرها » وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره ، وهو اختيار الزمخشري قال : وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل : لن يغفر الله لهم استغفرت أم لم تستغفر ، وإن فيه معنى الشرط ، وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر انتهى»«[1530]»

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ ظاهر الأمر في لفظة «استغفر له » هو التخيير مستدلا على ذلك بالحديث الذي ساقه من رواية عمر رضي الله عنه عندما قال له صلى الله عليه وسلم «ما نهاني ولكنّه خيّرني » ، ثمّ ذكر قولا آخر منسوبا للإمام الطبري ، والزمخشري مفاده أنّ هذا الأمر

[1527] ـ سورة التوبة : الآية 80

[1528] ـ أخرجه البخاري : كتاب التفسير ،باب سورة التوبة براءة ، باب «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ، رقم 4393 ، ج 4 ، ص 1715

[1529] ـ سورة التوبة : الآية 53.

[1530] ـ البحر المحيط : ج 5 ، ص 78

مستعمل في معنى الخبر ، وقد سبقت الإشارة عند الحديث عن جهود الإمام مكي في تناول أسلوب الأمر لهذا الأمر الوارد في هذه اللفظة وذكرنا أنّ كثيرا من أئمة التفسير ذهبوا للقول بأنّه أفاد معنى الخبر منهم الإمام الطبري ، و الإمام الزمخشري ، والإمام الرازي ، وذهب بعضهم إلى أنّ المقصود منه هو التخيير والتسوية ، وممّن قال بذلك الإمام ابن عطية ورجّحه وكذلك الإمام ابن جزي والشيخ الطاهر بن عاشور ، وذكر القولين الإمام القرطبي والإمام أبو حيّان واعتبر الراجح هو التخيير ، وبهذا يتضح أنّ الإمام أبا حيّان أخذ القول بالتخيير ورجّحه عن الإمام ابن عطية رحمه الله .

الأمر للوعيد :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ﴾«[1531]».

قال ــ رحمه الله ــ : « صيغة أمر ضمنها الوعيد »«[1532]»

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الأمر في لفظة «وقل اعملوا » متضمن معنى الوعيد ، وقد نقل هذا المعنى عن الإمام ابن عطية ، فقد سبقت الإشارة إليه عند الكلام على جهود الإمام ابن عطية في تناول أسلوب الأمر ، وذكرنا أنّ الإمام ابن عطية قد جعل هذا الأمر خارجا مخرج الوعيد ، كما سبق وأن قلت بأنّ الإمام الرّازي أشار إلى تضمن هذا الأمر معنى التهديد ، وذهب كثير من المفسرين إلى تضمن الأمر هنا لمعنى الترغيب والتحضيض منهم الإمام أبو السعود والشيخ الطّاهر بن عاشور .

فهذه الأمثلة تؤكد اعتناء الإمام أبي حيّان بأسلوب الأمر وحرصه على ذكر الأغراض المجازية التي يخرج إليها في ضوء السياق القرآني مع عمق التحليل والشرح الذي يتقرب ويتضح به غرض الأمر

[1531] ــ سورة التوبة : الآية 105

[1532] ــ البحر المحيط : ج 5 ، ص 100.

. وهذا كله يؤكد إدراكه لهذا المبحث من مباحث المعاني وما ينطوي تحته من فوائد وأسرار لها الأثر البالغ في بيان معاني القرآن وإيضاحه .

ـ الفرع الثاني : الاستفهام

لقد أشار الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ في كتابه البحر المحيط إلى كثير من الاستفهامات الواردة في القرآن وبيّن أغراضها المجازية التي تخرج إليها ، ومن جملة تلك الإشارات ما يلي :

ـ الاستفهام للإنكار :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾«[1533]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ... والمراد بهذا الاستفهام الإنكار ، وإعظام ما يقدمون عليه من تكرر عهودهم ونقضها »«[1534]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة « أو كلّما » مستعمل في الإنكار ، والمعنى الإنكار على اليهود فيما يقدمون عليه من نقد العهود ونبذها وعدم وفائهم بها وإصرارهم على هذا الخلق الذميم حتّى صار فيهم ديدنا وعادة ، وقد ذكر تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار الإمام الرّازي ، فقال : « المقصود من هذا الاستفهام ، الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه ...»«[1535]» ، وتبعه على هذا القول الإمام ابن عادل«[1536]» والإمام أبو السّعود«[1537]» ، وحمله الشيخ الطّاهر بن

[1533]ـ سورة البقرة : الآية 100

[1534] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 492

[1535] ـ مفاتح الغيب : ج 3، ص 615

[1536]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 2 ، ص 320

[1537] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 135

عاشور على التوبيخ«[1538]» ، والتوبيخ حقيقته إنكار ، ويظهر من نصّ الإمام أبي حيّان نقله عن الإمام الرّازي من دون عزوه ،كما يظهر متابعة كثير من المفسرين الرّازي على هذا القول .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾«[1539]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والهمزة في أفغير للإنكار ، والتنبيه على الخطأ في التولي والإعراض »«[1540]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ » مستعمل في الإنكار ، والمعنى الإنكار على أهل الكتاب ابتغاءهم غير الإسلام الذي هو دين الله ، وقد ذكر خروج هذا الاستفهام لمعنى الإنكار كثير من أئمة التفسير منهم الإمام الزّمخشري «[1541]»، و الإمام ابن عادل«[1542]» ، والإمام النّسفي«[1543]» ، والإمام أبو السّعود«[1544]» ، وذكر الإمام الرّازي احتماله للإنكار والتقرير«[1545]» ، ولا تعارض بينهما ، وحمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على التوبيخ والتحذير«[1546]» ، والتوبيخ موافق للإنكار ولا تعارض بينهما ، فهذه هي إذن بعض أقوال المفسرين في حقيقة هذا الاستفهام ، ويكون رأي الإمام أبو حيّان موافقا لهم ،كما يحتمل أن يكون أخذ هذا القول عن الإمام الزّمخشري ، فجلّ المفسرين من بعد الإمام الزّمخشري نقلوا عنه هذا القول .

[1538] ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 625

[1539] ــ سورة آل عمران : الآية 83

[1540] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 537

[1541] ــ الكشاف : ج 1، ص 407

[1542] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 5 ، ص 366

[1543] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 167

[1544] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص 54

[1545] ــ مفاتح الغيب : ج 8، ص 255

[1546] ــ التحرير والتنوير :ج 3، ص 300

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾«[1547]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أم هنا منقطعة التقدير : بل ألهم نصيب من الملك ، انتقل من الكلام إلى كلام تام ، واستفهم على الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك »«[1548]» .

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « أم لهم » متضمن لمعنى الإنكار ، والمقصود به الإنكار على اليهود أن يكون لهم نصيب وحظ من الملك لأنّهم زعموا أنّ الملك كائن وصائر إليهم ، فكذّب الله زعمهم بنفي الملك عنهم ، وقد ذكر جمّ غفير من المفسرين تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار منهم الإمام الزّمخشري«[1549]» ، والإمام الرّازي«[1550]» ، والإمام القرطبي«[1551]» ، والإمام النّسفي«[1552]» ، والإمام ابن عادل«[1553]» ، والإمام أبو السّعود«[1554]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1555]» .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾«[1556]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أم أيضا منقطعة فتقدر ببل ، والهمزة قبل للانتقال من كلام إلى كلام ، والهمزة للاستفهام الذي يصحبه الإنكار ، أنكر عليهم أوّلا البخل ثمّ ثانيا الحسد »«[1557]» .

[1547] ــ سورة النساء : الآية 53

[1548] ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 284

[1549] ــ الكشاف : ج 1، ص 554

[1550] ــ مفاتح الغيب : ج 10، ص 102

[1551] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 249

[1552] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 222

[1553] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6، ص 423

[1554] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2، ص 189

[1555] ــ التحرير والتنوير : ج 5، ص 88

[1556] ــ سورة النساء : الآية 54

[1557] ــ تفسير البحر المحيط : ج ، ص 284

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة : « أم » تضمن معنى الإنكار ، أي الإنكار على اليهود حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم على النبوة ، والمؤمنين على الإيمان به واتّباعه كما جاء في تفسير ابن عبّاس رضي الله عنه ، وقد حمل الاستفهام على الإنكار الإمام الزّمخشري «[1558]»، والإمام النّسفي«[1559]» ، والإمام أبو السّعود«[1560]»، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1561]» .

ــ الاستفهام للتقرير :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾«[1562]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قال ابن عطية ظاهره الاستفهام المحض ، فالمعادل هنا على قول جماعة أم تريدون ، وقال قوم : أم هنا منقطعة ، فالمعادل على قولهم محذوف تقديره : أم علمتم ، وهذا كلّه على أنّ القصد بمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة أمته ، وأمّا إن كان هو المخاطب وحده فالمعادل محذوف لا غير ، وكلا القولين مروي ، انتهى كلامه ونقله ، وما قالوه ليس بجيد ، بل هذا استفهام معناه التقرير ، فلا يحتاج إلى معادل ألبتة ، والأولى أن يكون المخاطب السامع ، والاستفهام بمعنى التقرير كثير في كلامهم جدا ، خصوصا إذا دخل على النفي ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[1563]»﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾«[1564]»«ألم نربّك فينا وليدا »﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾«[1565]»﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾«[1566]»، فهذا كلّه

[1558] ــ الكشاف : ج 1، ص 554

[1559] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل :ج 1، ص 222

[1560] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2، ص 190

[1561] ــ التحرير والتنوير : ج 5، ص 88

[1562] ــ سورة البقرة : الآية 106

[1563] ــ سورة العنكبوت : الآية 10

[1564] ــ سورة التين : الآية 8

[1565] ــ سورة الضحى : الآية 6

[1566] ــ سورة الشرح : الآية 1

استفهام لا يحتاج فيه إلى معادل ، لأنّه إنّما يراد به التقرير ، والمعنى قد علمت أيّها المخاطب أنّ الله قادر على كلّ شيء ، فله التصرف في تكاليف عباده بمحو وإثبات وإبدال حكم بحكم »«[1567]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «ألم تعلم» قصد به التقرير ، أي تقرير حقيقة أن الله قادر على كلّ شيء ، بما في ذلك التصرف في الخلق والتغير في الأحكام كيفما شاء ، وقد أكدّ ــ رحمه الله ــ كثرة مجيئ الاستفهام للتقرير إذا دخل عليه النفي ، وقد ذكر معنى التقرير الإمام ابن عطية لكنّ اشترط وجود المعادل فهو عنده كالاستفهام المحض ، وقد ردّ هذا الإمام أبو حيّان كما هو بيّن في كلامه ، كما أشار إلى معنى التقرير الإمام ابن عرفة ، وردّ كلام ابن عطية«[1568]» ، وتبع ابن عادل الإمام أبا حيّان على رأيه فأورد كلامه في تفسيره«[1569]» ، وذكر التقرير كذلك كلّ من الإمام أبي السّعود«[1570]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1571]» ، وعليه فيكون ما ذكره أبو حيان موافقا عليه من قبل كثير من المفسرين .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾«[1572]». قال ــ رحمه الله ــ : « أي لا أحد أحسن من الله حكما ، وتقدّم : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾«[1573]» فجاءت هذه الآية مشيرة لهذا المعنى ، والمعنى أنّ حكم الله هو

1567 ــ البحر المحيط : ج 1 ، ص 514

1568 ــ تفسير ابن عرفة : ج 1، ص 393

1569 ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 2، ص 383

1570 ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج1 ، ص 143

1571 ــ التحرير والتنوير : ج 1، ص 665

1572 ــ سورة المائدة : الآية 50

1573 ــ سورة المائدة : الآية 49.

الغاية في الحسن وفي العدل ، وهو استفهام معناه التقرير ، ويتضمن شيئا من التكبر عليهم »«[1574]» .

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «ومن أحسن» متضمن معنى التقرير ، أي إقرار أنّ الله أحسن الحاكمين ، وأنّه سبحانه وتعالى لا أحد أحسن منه حكما ، وقد أخرج هذا الاستفهام مخرج التقرير الإمام ابن عطية فقال : « ومن أحسن من الله حكما » تقرير أي لا أحد أحسن منه حكما تبارك وتعالى »«[1575]» ، ويحتمل أن يكون الإمام أبو حيّان قد أخذ هذا القول من الإمام ابن عطية ، وقد ذهب الإمام القرطبي للقول بأنّ هذا الاستفهام تضمن معنى الإنكار ، فقال : « هذا استفهام على جهة الإنكار ، بمعنى لا أحد أحسن »«[1576]»، وما ذكره القرطبي قرّره الشيخ الطّاهر بن عاشور كذلك «[1577]»، ولا تعارض بين الإنكار والتقرير ، لأنّه قد سبق وأن قلنا بأنّ استفهام التقرير عند البلاغيين حقيقته إنكار .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾«[1578]».

قال ــ رحمه الله ــ : «« أليس الله أعلم بالشاكرين » هذا استفهام معناه التقرير والرّد على أولئك القائلين أي الله أعلم بمن يشكر فيضع فيه هدايته دون من يكفر فلا يهديه »«[1579]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة « أليس » مستعمل في التقرير ، أي تقرير حقيقة أنّ الله عالم بالشاكرين فيوفقهم للإيمان ، وعالم بالجاحدين والكافرين فيخذلهم عنه .

1574 ــ تفسيرالبحر المحيط : ج3 ، ص 516

1575 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 236

1576 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج6 ، ص216 .

1577 ــ التحرير والتنوير : ج 6، ص 227

1578 ــ سورة الأنعام : الآية 53

1579 ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 142

وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام معنى التقرير الإمام القرطبي والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1580]» ، حيث قال الأول: « ... وهذا استفهام تقرير ...»«[1581]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ﴾«[1582]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الظّاهر أنّ ما استفهامية أي : أيّ شيء لهم في انتفاء العذاب ، وهو استفهام معناه التقرير ، أي كيف لا يعذّبون وهم متصفون بهذه الحالة المقتضية للعذاب ، وهي صدّهم المؤمنين عن المسجد الحرام ، وليسوا ولاّة البيت ولا متأهلين لولايته ...»«[1583]»

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ «ما» في الآية ظاهرها الاستفهام ، وإذا كانت كذلك فإنّ هذا الاستفهام يفيد معنى التقرير ، والمقصود بحقيقة هذا التقرير هو بيان عدم نجاة هؤلاء المشركين من العذاب وهم على تلك الحال من صدهم عن المسجد الحرم ، وقد قال بقول الإمام أبي حيّان الإمام السّمين الحلبي فقال : « والظّاهر أنّ ما في قوله : «وما لهم » استفهامية ، وهو استفهام معناه التقرير ، أي كيف لا يعذّبون وهم متصفون بهذه الحال ...»«[1584]» ، كما ذكر هذا القول الإمام ابن عادل«[1585]» ، وحمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على الإنكار ، فقال : « وما استفهامية ، والاستفهام إنكاري ... والتقدير ما الذي ثبت لهم حتّى ينتفي لهم العذاب ، فكلمة «ما» اسم استفهام إنكاري ، والمعنى لم يثبت لهم شيء »«[1586]» ، وهو لا يعارض معنى التقرير

[1580]ــ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 256

[1581] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 434 .

[1582]ــ سورة الأنفال : الآية 34

[1583]ــ البحر المحيط : ج 4 ، ص 484 .

[1584]ــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 5 ، ص 599

[1585]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 9 ، ص 508

[1586]ــ التحرير والتنوير : ج 9، ص 335

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فكلاهما بمعنى واحد والله أعلم ، ويظهر جليا من النّصين السابقين عن الإمامين السمين وابن عادل نقلهما عن الإمام أبي حيّان .

ــ الاستفهام للتعجب :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾«[1587]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا تعجيب من حالهم ، واستعظام لعظم مقالتهم حين اختلفت مطامعهم ، وظهر كذب دعواهم ، إذ صاروا إلى عذاب ما لهم حيلة في دفعه »«[1588]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة « فكيف » مستعمل في التعجيب والاستعظام ، والمعنى التعجيب من حالهم التي يصيرون إليها غدا يوم القيامة عندما يعاينون العذاب ، وكذلك استعظام مقالتهم التي زعموا فيها بأنّهم لن يمسهم العذاب إلاّ أياما معدودات ، وقد تباينت آراء بعض المفسرين في بيان غرض هذا الاستفهام ، فذكر الإمام البيضاوي أنّه لاستعظام حالهم ، فقال : « استعظام لما يحيق بهم في الآخرة ، وتكذيب لقولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾«[1589]» ، وحمله الإمام ابن جزي على التهويل والاستعظام ، فقال : « أي كيف يكون حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لما أعدّ لهم»«[1590]» ، وجعله الإمام القرطبي للتوقيف والتعجيب فقال : « خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته على جهة التوقف والتعجب ، أي فكيف يكون حالهم أو كيف يصنعون إذا حشروا يوم القيامة ، واضمحلت عنهم

[1587]ــ سورة آل عمران : الآية 23

[1588] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 435

[1589] ــ سورة آل عمران : الآية 24

[1590]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 144

تلكم الزخارف التي ادعوها في الدنيا »«[1591]» ، وجعله الشيخ الطّاهر بن عاشور للتعجيب والتفظيع«[1592]»

فهذه هي آراء بعض المفسرين الذين تعرّضوا لغرض هذا الاستفهام ، وهي تبدوا بالجملة متقاربة لا تعارض بينها والله أعلم .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾«[1593]».

قال ــ رحمه الله ــ : « لما أخبرتها الملائكة أنّ الله بشّرها بالمسيح نادت ربّها ، وهو الله مستفهمة على طريق التعجب من حدوث الولد من غير أب ، إذ ذاك من الأمور الموجبة للتعجب »«[1594]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة« أنّى» متضمن معنى التعجب ، والمقصود به تعجب مريم عليها السّلام من حصول الولد لها من غير زواج سابق ولا أب ، فأمر كهذا حقيق أن يتعجب ويستغرب منه لأنّه مخالف للفطرة .

هذا وقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام على معنى التعجب ، فالإمام ابن عادل«[1595]» ذكر بأنّه للتعجب والاستبعاد ، و جعله الإمام ابن عطية للاستغراب وهو قريب من التعجب «[1596]»، و حمله الشيخ الطّاهر بن عاشور على معنى الإنكار والتعجب«[1597]» .

[1591] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 4 ، ص 51 .

[1592]ــ التحرير والتنوير : ج 3، ص 211

[1593] ــ سورة آل عمران : الآية 47.

[1594] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 483

[1595]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 5، ص 232

[1596]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1، ص 448

[1597]ــ التحرير والتنوير : ج 3، ص 241

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾«[1598]».

قال ــ رحمه الله ــ : « و تضمنت هذه الجملة أنواعا من الفصاحة والبديع ... والاستفهام المراد به التعجب في ألم تر الذين يزعمون »«[1599]»

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « ألم تر » مستعمل في التعجب ، والمعنى التعجيب من حال المنافقين كيف يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد نهوا عن ذلك وأمروا أن يكفروا به ، وقد أشار إلى معنى التعجب في هذا الاستفهام الإمام الرّازي فقال : « ... إنّ قوله تعالى في أوّل الآية صريح في إظهار التعجب من أنّهم كيف تحاكموا إلى الطاغوت مع أنّهم قد أمروا أن يكفروا به »«[1600]» ، كما أشار الإمام أبو السّعود إلى تضمن هذا الاستفهام معنى التعجب«[1601]» .

ــ الاستفهام للنفي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾«[1602]».

قال رحمه الله ــ : « هذا الاستفهام معناه النفي ، أي : ليس من اتبع رضوان الله فامتثل أوامره واجتنب مناهيه كمن عصاه فباء بسخطه »«[1603]»

[1598] ــ سورة النساء : الآية 60

[1599] ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 287

[1600] ــ مفاتح الغيب :ج 10، ص 119

[1601] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص194

[1602] ــ سورة آل عمران : الآية 162 .

[1603] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 107

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «أفمن »مستعمل في النفي ، أي نفي المماثلة بين الفريقين ، بين من اتبع رضوان وبين من باء بسخط منه عنده ، وقد قال الإمام ابن عادل بقول الإمام أبي حيّان وضمنه في تفسيره«[1604]» ، وحمل الإمام أبو السّعود الاستفهام هنا على الإنكار«[1605]» ، أي إنكار المماثلة بينهما ، وتبعه على ذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور«[1606]» ، ولا تعارض بين النفي والإنكار ، لأنّ أصل الإنكار نفي ، وعليه فيكون ما ذهب إليه أبو حيّان في بيان غرض هذا الاستفهام صحيحا والله أعلم .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾«[1607]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««أفغير الله أبتغي حكما» وهذا استفهام معناه النفي أي لا أبتغي حكما غير الله »«[1608]»

فهذا الكلام من الإمام أبي حيّان يبين فيه أنّ الاستفهام في لفظة «أفغير» تضمن معنى النفي ، أي نفي النبي صلى الله عليه وسلم أن يرتضي حكما وقاضيا غير الله تعالى عندما طلب منه المشركون منه أن يجعلوا بينه وبينهم أحدا من الأحبار والرهبان يحكم بينهم في شأنه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره أئمة التفسير ، ولقد ارتأى من الإمام أبي السعود«[1609]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1610]» حمل هذا الاستفهام على الإنكار ، أي إنكاره عليه الصلاة والسلام أن يتخذ حكما غير الله تعالى ، وكما أسلفت القول في النموذج السابق أنّه لا تعارض بين النفي والإنكار ، فيكون المعنى إذن واحد والله أعلم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1604] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6 ، ص 29

[1605] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص 107

[1606] ــ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 157

[1607] ــ سورة الأنعام : الآية 114

[1608] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 211

[1609] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج3 ، ص 177

[1610] ــ التحرير والتنوير : ج 8 ، ص 14

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾«[1611]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««هل تحس » استفهام معناه النفي أي لا تحس »«[1612]».

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة « هل » ، أفاد معنى النفي ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، أي ما تحس بأحد منهم ولا تشعر به ، وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّه للنفي«[1613]» ، أي ما تشعر بأحد منهم ، وهو مقابل للنفي .

ــ الاستفهام للتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾«[1614]».

قال ــ رحمه الله ــ : « و أفتأتون السحر استفهام معناه التوبيخ »«[1615]»

فهذا النّص من الإمام أبي حيّان يبين فيه أنّ الاستفهام في قوله تعالى : « أَفَتَأْتُونَ » مستعمل في التوبيخ ، والمعنى أنّ بعض المشركين قالوا لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، أتتبعونه وتصدقونه فيما يقول وأنتم تعلمون أنّه ساحر يسحر بكلامه ، فإنّكم إذا ضللتم على بصيرة ، وقد ذكر معنى التوبيخ في هذا الاستفهام الإمام ابن عطية ، حيث قال : « ثمّ قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ « أفتأتون السحر » ، أي ما يقوله : شبهوه بالسحر ، والمعنى أفتتبعون السحر وأنتم تبصرون ، أي تدركون أنّه سحر ، وتعلمون ذلك ، كأنّهم قالوا تضلون على بينة ، ومعرفة »«[1616]» ، ويحتمل أن يكون الإمام أبو حيّان قد نقل هذا المعنى عن الإمام ابن عطية ، وقد

[1611] ــ سورة مريم : الآية 98

[1612] ــ البحر المحيط : ج 6 ، ص 209 .

[1613] ــ التحرير والتنوير : ج 16 ، ص 178

[1614] ــ سورة الأنبياء : الآية 3

[1615] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 276

[1616] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4، ص 90

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ذهب كثير من المفسرين إلى حمل هذا الاستفهام على الإنكار منهم الإمام النّسفي«[1617]» وأبو السّعود«[1618]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1619]» ، والإنكار لا يعارض التوبيخ ، فإنّ البلاغيين يجعلون استفهام التوبيخ من قبيل الإنكار ويمكن أن يكون الإمام أبو حيّان عبّر عن الإنكار بالتوبيخ لأنّه يراهما بمعنى واحد أوّ لأنّ هذه الألفاظ تمتاز بالسعة والمرونة ، لا يمكن فيها الجزم برأي معين والله أعلم .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾«[1620]».

قال ــ رحمه الله ــ : « معناه أخبروني عن الذين تدعون من دون الله ، وهي الأصنام أروني ما ذا خلقوا من الأرض استفهام توبيخ »«[1621]»

فالإمام أبو حيّان يذكر أنّ الاستفهام في لفظة «ماذا» تضمن معنى التوبيخ ، أي توبيخ المشركين على عبادتهم لأصنام بسؤاله تعالى لهم عن المخلوقات التي خلقها هؤلاء ، لأنّ من صرفت له الألوهية والربوبية لا بدّ أنّ يختص بالخلق ، ففي ضمن هذا السؤال منه سبحانه وتعالى توبيخ للمشركين ، ولم أقف على كلام للمفسرين بيّنوا فيه غرض هذا الاستفهام إلاّ نصا من الشيخ الطّاهر بن عاشور أخبر فيه أنّ الاستفهام للإنكار ، حيث قال : « والاستفهام في «ما ذا» خلقوا إنكاري »«[1622]» ، وقد قلت سابقا إنّ البلاغيين يجعلون التوبيخ من قبيل الإنكار ، وبالتالي فإنّه لا تعارض بين القولين والله أعلم .

[1617] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3 ، ص 65

[1618] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6 ، ص 56

[1619] ــ التحرير والتنوير : ج 17، ص 14

[1620] ــ سورة الأحقاف : الآية 4

[1621] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 55

[1622] ــ التحرير والتنوير : ج 26 ، ص 9

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾«[1623]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أيحسب استفهام تقرير وتوبيخ ، حيث ينكر قدرة الله تعالى على إعادة المعدوم »«[1624]» .

فهذا الكلام من أبي حيّان ينّص فيه على أنّ الاستفهام في لفظة «أيحسب» متضمن لمعنى التوبيخ ، أي توبيخ الإنسان على ظنه الذي ظنّ فيه أنّه لن يبعث غدا يوم القيامة ولا يحاسب فيجازى على صنيع عمله ، والقول بالتوبيخ في هذا الاستفهام أشار إليه الإمام ابن عطية «[1625]» وكذا الإمام ابن جزي«[1626]» ، وهنا يظهر احتمال أن يكون كل من ابن جزي وأبي حيّان نقلا عن الإمام ابن عطية هذا القول ، وقد ارتأى الإمام الألوسي«[1627]» والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1628]» حمله على الإنكار ، وهو في معنى التوبيخ والله أعلم .

الاستفهام للنصح :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾«[1629]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ثمّ عرض عليه ما يلقى بقوله : هل أدّلك على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح ويؤثر قبول من يخاطبه كقول موسى : « هل لك إلى أن تزّكى ، وهو عرض فيه مناصحة ... »«[1630]» .

[1623] ــ سورة القيامة : الآية 36

[1624] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 3

[1625] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 379

[1626] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 483

[1627] ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج 15، ص 165.

[1628] ــ التحرير والتنوير : ج 29، ص 364

[1629] ــ سورة طه : الآية 120

[1630] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 64 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « هل » متضمن معنى النّصح ، والمعنى أن إبليس عليه لعنة الله قصد بهذا الاستفهام نصح آدم ليأكل من الشجرة حتّى يغويه ويخرجه من الجنة ، ثمّ ذكر أنّ نظير هذا الاستفهام قول الله تعالى على لسان موسى ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾«[1631]» مبيّنا أنّ هذا الاستفهام من قبيل العرض الذي فيه مناصحة ، وقد ذكر الإمام الألوسي أنّ هذا الاستفهام يشعر بالنصح«[1632]» ، ويحتمل أن يكون أخذ هذا من الإمام أبي حيّان ، وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور خروج هذا الاستفهام لمعنى العرض «[1633]».

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾«[1634]».

قال ـ رحمه الله ـ : « و ما لهذا استفهام يصحبه استهزاء أي مال هذا الذي يزعم أنّه رسول أنكروا عليه ما هو عادة للرسل ....»«[1635]»

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «ما لهذا» فيه نوع من الاستهزاء بذات النبي صلى الله عليه وسلم إذ عيّروه بأنّه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وأنكروا عليه أن يكون رسولا ونبيا من عند الله وهو على هذه الصفة ، لكنّ الله جلّ ردّ عليهم ذلك في كم موضع من كتابه ، وقد أشار الإمام البيضاوي إلى وجود نوع من التهكم والاستهانة ، حيث قال : « ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم »«[1636]» .

[1631] ـ سورة النازعات : الآية 18

[1632] ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني :ج 8 ، ص 582.

[1633] ـ التحرير والتنوير : ج 16 ، ص 325

[1634] ـ سورة الفرقان : الآية 7

[1635] ـ البحر المحيط : ج 6 ، ص 439

[1636] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4 ، ص 118

وأخبر الإمام النّسفي أنّ تسميته بالرسول هنا فيه نوع من السّخرية فقال :« وتسميتهم إيّاه بالرسول سخرية منهم كأنّهم قالوا : أي شيء لهذا الزّاعم أنّه رسول »«[1637]» . وما ذكره هذان الإمامان قريب ممّا أورده الإمام أبو حيّان من معنى الاستهزاء والله أعلم .

ــ الاستفهام للأمر :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾«[1638]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ » استفهام يتضمن الأمر ، أي اشكروا الله على ما أنعم به عليكم كقوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾«[1639]»، أي انتهوا عمّا حرّم الله »«[1640]» .

فالإمام أبو حيان يذكر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى : « فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ» متضمن معنى الأمر ، والمقصود به أمر الله سبحانه وتعالى قوم داود عليه السلام بالشكر لما امتنّ عليهم بهذه الصنعة التي ذكرهم الله بفوائدها ، وقد أخرج الاستفهام هنا مخرج الأمر الإمام البيضاوي ، فقال : « ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع »«[1641]» ، وكذلك الإمام النّسفي«[1642]» ، والإمام أبي السّعود «[1643]»، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1644]» ، وبهذا يكون الإمام أبو حيّان موافقا لما أورده هؤلاء الأئمة في بيان غرض هذا الاستفهام .

[1637]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3، ص 132

[1638] ــ سورة الأنبياء : الآية 80

[1639]ــ سورة المائدة : الآية 91

[1640] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 308.

[1641]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4، ص 57

[1642]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3، ص 76

[1643]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6، ص 80

[1644]ــ التحرير والتنوير : ج 17، ص 122

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ «[1645]».

قال ــ رحمه الله ــ : ««فهل أنتم مسلمون» استفهام يتضمن الأمر بإخلاص التوحيد و الانقياد للّه تعالى »«[1646]»

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في قوله تعالى : «فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ » مستعمل في معنى الأمر ، أي الأمر بإخلاص التوحيد لله تعالى ، وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى الأمر الإمام السّمين الحلبي فقال : « قوله : «فهل أنتم مسلمون » استفهام معناه الأمر بمعنى أسلموا ، كقوله : «فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ »«[1647]» ، أي انتهوا »«[1648]» كما أشار إليه أيضا الإمام ابن عادل«[1649]» ، كما يفهم أيضا من مضمون كلام الإمام القرطبي القائل : «فهل أنتم مسلمون أي منقادون لتوحيد الله تعالى ؛ أي فأسلموا ؛ كقوله تعالى : «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» ، أي انتهوا»«[1650]» ، فيفهم من كلامه القول بأنّ الاستفهام للأمر ، وجعل الشيخ الطّاهر بن عاشور هذا الاستفهام للتحريض«[1651]» ، أي التحريض على الإسلام ونبذ الشرك ، والتحريض نوع من الأمر ، وبهذا يكون ما ذكره الإمام أبو حيّان موافق لما أورده هؤلاء الأئمة والله أعلم .

ــ الاستفهام للتبكيت :

[1645] ــ سورة الأنبياء : الآية 108.

[1646] ــ البحر المحيط : ج 6 ، ص 318

[1647] ــ سورة المائدة : الآية 91

[1648] ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج 5، ص 118

[1649] ــ اللباب في علوم الكتاب :ج 13 ، ص 624

[1650] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 11 ، ص 350

[1651] ــ التحرير والتنوير : ج 17 ، ص 172

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾«[1652]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وسؤاله تعالى ، وهو عالم بالمسؤول عنه ليجيبوا بما أجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم إيّاهم فيزيد حسرتهم ويسّر المؤمنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك »«[1653]» .

فهذا النّص من الإمام أبي حيّان يخبر فيه بأنّ فائدة سؤال الله تعالى للمعبودين من الأصنام وغيرها قصد به تبكيت من عبدهم من بني آدم ليزيد في عذابهم ونكدهم وتحسرهم ، وفي المقابل يفرح المؤمنون عند نجاتهم من حال هؤلاء ، وهذا الكلام الذي أورده الإمام أبو حيّان نقله عن الإمام الزّمخشري في كشافه فهو من قال بهذا المعنى وتبعه عليه كثير من المفسرين ، حيث قال : « فإن قلت : فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول علمه عنه ، فما فائدة هذا السؤال ؟ قلت : فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به ، حتّى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إيّاهم ، فيبهتوا ، وينخذلوا وتزيد حسرتهم »«[1654]» ، وممّن قال بقول الإمام الزّمخشري من المفسرين الإمام البيضاوي«[1655]» ، والإمام النّسفي«[1656]» ، وحمل الإمامان القرطبي«[1657]» وابن جزي«[1658]» هذا الاستفهام على التوبيخ ، أي توبيخ الكفار والعبدة الذين عبدوا تلك الآلهة ، وحمله الشيخ الطاهر بن عاشور على معنى التقرير للاستنطاق والاستشهاد«[1659]» ، أي انطاق المعبودات ، وهذا فيه نوع من بعد لأنّ الشيخ حمل السؤال على ظاهره ،وهذا في علم الله سابق، والله عزّ وجل لا يستفهم عن حقيقة شيء

[1652]ـ سورة الفرقان : الآية 17.
[1653] ـ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 447 .
[1654]ـ الكشاف : ج 3 ، ص 273
[1655]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4 ، ص 120
[1656]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3 ، ص 134
[1657]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 13، ص 110
[1658]ـ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 2، ص 90
[1659]ـ التحرير والتنوير : ج 18 ، ص 373

سبق في علمه إلاّ ليريد به سبحانه شيء آخر لزيادة إيضاح أو تأكيد ، والغرض هنا والله أعلم هو التبكيت والتقريع، فحمله على ما ذكره الزّمخشري وتبعه عليه البيضاوي والنسفي وأبو حيّان أرجح وأولى .

ــ الاستفهام للحث والتحريض :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾«[1660]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا الاستفهام فيه حثّ وتحريض على الجهاد في سبيل الله وعلى تخليص المستضعفين »«[1661]»

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة «وما لكم» متضمن لمعنى الحث والتحريض ، أي الحث على الجهاد ، والتحريض على القتال في سبيل الله ، وقد ذكر هذا المعنى من المفسرين الإمام القرطبي«[1662]» ، وابن جزي«[1663]» ، وجعل الإمام الرّازي«[1664]» ، والنّسفي«[1665]» ، وأبو السعود«[1666]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور «[1667]» الاستفهام هنا للإنكار، أي إنكار ترك القتال عليهم ، إلاّ أنّ الشيخ الطّاهر بن عاشور بيّن أنّ فيه نوعا من الأمر يستلزمه المعنى ، والذي يظهر أنّ كلا القولين صحيح ، لكنّ الذي ينبغي أن يوضح :هو أنّ أصل الاستفهام أولا للإنكار ، ثمّ إنّ هذا الاستفهام شابه ولازمه معنى الحض والحث على القتال والأمر بذلك ، والله أعلم .

[1660]ــ سورة النساء : الآية 75 .

[1661] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 307

[1662]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 279

[1663]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 200

[1664]ــ مفاتح الغيب : ج 10، ص 140

[1665]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 27

[1666]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2، ص 201

[1667]ــ التحرير والتنوير : ج 5، ص 122

ـــ الاستفهام للتعظيم و التهويل :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَاقَّةُ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾«[1668]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وما استفهام لا يراد حقيقته بل التعظيم ، وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ إذا أريد ، يعني التعظيم والتهويل »«[1669]» .

فالإمام أبو حيّان يذكر بأنّ الاستفهام في لفظة « ما الحاقة » مستعمل في التعظيم والتهويل ، والمعنى تعظيم شأن يوم القيامة وبيان هول ذلك الموقف ، مبيّنا أنّ هذا النوع من الاستفهام يكثر عندما يكرر المبتدأ ، وقد ذكر الإمام البيضاوي أنّ هذا الاستفهام متضمن لمعنى التعظيم والتهويل ، وكذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور ، وجعله الإمامان الرّازي والقرطبي متضمنا لمعنى التعظيم والتفخيم ، ، وذكر ابن جزي أنّه مستعمل في التعظيم ، وقد سبق الحديث عن هذا الاستفهام عند الحديث عن أسلوب الاستفهام عند الإمام ابن الزبير .

ـــ الاستفهام للاستعظام و التعجب :

في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾«[1670]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « وقرأ الجمهور القارعة ما القارعة بالرفع ، فما استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب ، وهو مبتدأ ، والقارعة خبره ...»«[1671]» .

فالإمام أبو حيّان يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة «مَا ٱلْقَارِعَةُ»«[1672]» مستعمل في معنى الاستعظام والتعجب ، والمقصود تعظيم شأن يوم والتعجيب من شأنه وحاله ،و قد تحدّثنا عن

[1668] ـ سورة الحاقة : الآيتان 1 ـ 2

[1669] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص315

[1670] ـ سورة القارعة : الآيتان 1 ـ 2.

[1671] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 503

[1672] ـ سورة القارعة : الآية 2

هذا الاستفهام عند الكلام عن أسلوب الاستفهام عند الإمامين ابن الزبير وابن جزي ، وذكرنا أنّ الإمام القرطبي حمله على التعظيم والتفخيم وابن جزي على التفخيم ، وأبو السّعود على التفخيم والتهويل واكتفى الشيخ الطّاهر بن عاشور بمعنى التهويل ، وقلنا إنّ التعظيم والتهويل بمعنى واحد فلا تعارض بينهما والله أعلم .

ــ المطلب الثالث عشر : أسلوب الإنشاء في تفسير الإمام ابن عرفة

لقد أشار الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في تفسيره إلى أسلوبي الأمر والاستفهام اللّذان هما من الأساليب الإنشائية، ونبّه على الأغراض التي يخرجان إليها في ضوء السياق القرآني، وسأورد بعض النماذج التي تبرز احتفائه واعتناءه بهما

ــ الفرع الأول : الأمر :

أشار الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ إلى أسلوب الأمر ونبّه عليه في بعض المواضع ، مع بيان الأغراض التي تضمنها وأفادها في ضوء السياق القرآني ، وقد كانت هذه الإشارات منحصرة تحت هذه المعاني والأغراض :

ــ الأمر للامتنان :

من المعاني التي يخرج إليها الأمر ونبّه عليه الإمام ابن عرفة الامتنان ، وهذا النوع من الأمر اعتبره الإمام السبكي من الإباحة فقال : « والظّاهر أنّه قسم من الإباحة وإن كان معه امتنان»«[1673]» ، وقد أشار إليه الإمام ابن عرفة في موضعين :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾«[1674]».

[1673]ــ عروس الأفراح : ج 1 ، ص 467

[1674]ــ سورة البقرة : الآية 35

قال ــ رحمه الله ــ : « .... والأمر هنا للامتنان ، وعبّر عنه ابن عطية بالإذن ، وقال الفخر : إمّا للندب ، أو للإباحة ، والظاهر ما قلناه »«[1675]».

فالإمام ابن عرفة يذكر بأنّ الأمر في لفظة « اسكن » مستعمل في معنى الامتنان على آدام عليه السلام بالسّماح له وتمكينه من الأكل من نعيمها ، وقد ذكر معنى الامتنان الشيخ الطّاهر بن عاشور فقال : « والأمر بقوله اسكن مستعمل في الامتنان بالتمكين والتخويل ، وليس أمرا له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة ، إذ لا قدرة له على ذلك السّعي فلا يكلف به »«[1676]» ، وحمله الإمام ابن عطية على معنى الإذن فيكون المقصود به إباحة«[1677]» ، وقد ذكر الإمام الرّازي اختلاف العلماء في مقصود هذا الأمر ، ثمّ ذكر أنّه يحتمل معنيين هما التكليف والإباحة«[1678]» ، وقد لوحظ من كلام الشيخ الطّاهر بن عاشور استبعاده لأن يكون هذا الأمر مقصودا به التكليف ، وذكر الإمام أبو حيّان المعنيين ورجّحهما ، فقال : « امتنّ عليه بأن أسكنه الجنة التي هي دار النّعيم ، أباح له جميع ما فيها إلاّ الشّجرة ... وقيل : هو أمر وجوب وتكليف ، لأنّه أمر بسكون الجنة وأن يأكل منها ، ونهاه عن شجرة واحدة ، والأصّح أنّ الأمر بالسّكنى وما بعده مشتمل على ما هو إباحة ، وهو الانتفاع بجميع نعيم الجنة ، وعلى ما هو تكليف ، وهو منعه من تناول ما نهى عنه »«[1679]».

والذي يظهر والله أعلم أنّ الامتنان كما ذكر الإمام السّبكي قسم ونوع من الاباحة لا غير ، فحمل هذا الأمر على الإباحة أكمل وأجمع .

[1675] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 103 .
[1676] ــ التحرير والتنوير : ج 1، ص 428
[1677] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 110
[1678] ــ مفاتح الغيب : ج 3، ص 427
[1679] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 306

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾«[1680]» قال ــ رحمه الله ــ : ««كلوا » إمّا للامتنان أو الإباحة »«[1681]» .

فالإمام ابن عرفة يذكر بأنّ الأمر في لفظة «كلوا » يحتمل أن يكون للامتنان أو الاباحة ، وقد ذكر الإمام الرّازي«[1682]» وتبعه في ذلك الإمام ابن عادل«[1683]» أنّ هذا الأمر الظاهر فيه الإباحة ، أي إباحة الأكل للمؤمنين من الطيبات ، وهو رأي الإمام أبي حيان كذلك كما يفهم من كلامه«[1684]» ، وحمله الإمام ابن عاشور على الإباحة والامتنان ، حيث قال : « وقوله : اشكروا لله معطوف على الأمر بأكل الطيّبات الدّال على الاباحة والامتنان »«[1685]» .

ــ الأمر للإباحة :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾«[1686]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا الأمر إمّا للوجوب أي أوجب الله علينا الأكل ، لأنّ به قوام الأجسام أو لوجوب الأكل من الحلال ، وإمّا للندب أو للإباحة وفيه دليل على أنّ الأشياء على الحظر أو الإباحة ، وهو أظهر لنا لأنّا إن قلنا : أنّ الأشياء كانت على الحظر فيلزم عليه الإجمال في هذا لأنّ جملة ما في الأرض النبات والسّباع وغير ذلك »«[1687]».

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ يجوز فيه رحمه الله احتمال أن يكون الأمر في لفظة «كلوا» مرادا به الوجوب على اعتبار أنّ الإنسان واجب عليه أن يأكل حتّى يستمر

[1680] ــ سورة البقرة : الآية 172

[1681] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 205

[1682] ــ مفاتح الغيب : ج 5 ، ص190

[1683] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 3، ص 168

[1684] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1، ص 659

[1685] ــ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 114

[1686] ــ سورة البقرة : الآية 168

[1687] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 202

وجوده فوجب عليه أن يأكل ليقيم جسمه ويحفظه مع احتمال أن يكون الوجوب منصرفا للأمر بالأكل من الحلال وترك الحرام ، أو أن يكون المراد من الأمر بالأكل الإباحة . وقد حمل الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ الأمر هنا على الإباحة ، حيث قال : « كلو : أمر إباحة وتسويغ ، لأنه تعالى هو الموجد للأشياء فهو المتصرف فيها على ما يريد »«[1688]» كما ذكر ذلك أيضا الإمام النسفي «[1689]». وجعله الشيخ الطاهر بن عاشور مستعملا في التوبيخ «[1690]».

ـــ الأمر للذّم و السخرية والاستهزاء :

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴾«[1691]».

قال رحمه الله ـــ : «... وأتى في الثالث بلفظ الأمر المقتضي للذّم والسخرية و الاستهزاء ، كقولك لمن يقصد السّخرية به : اقعد مع النساء ، فهذا أبلغ في الذّم من قولك : أنت تقعد مع النّساء »«[1692]» .

فالإمام ابن عرفة يخبر بأنّ الأمر في لفظة: « فاقعدوا » قصد به الاستهزاء والسخرية من المنافقين وذمّهم ومنعهم من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سيستقبله من الغزوات ، كما أخبر الإمام ابن عرفة أنّ لفظة القعود تطلق على النّساء ، ولم أجد من المفسرين من تعرّض لغرض هذا الأمر إلاّ إشارة من الإمام الرّازي يفهم منها أنّه يحمل هذا الأمر على الإذلال والاهانة والسّخرية ، حيث قال : « اعلم أنّه تعالى أمر رسوله بأن يسعى في تخذيلهم وإهانتهم وإذلالهم ،

[1688]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1، ص 652

[1689]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 99 .

[1690]ـ التحرير : ج 2 ، ص 101

[1691]ـ سورة التوبة : الآية 83

[1692] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 322

فالذي سبق في الآية الأولى ، وهو منعهم من الخروج معه إلى الغزوات سبب قوي من أسباب إذلالهم وإهانتهم ...»«[1693]». وارتضى الإمام ابن عادل«[1694]» كلام الرّازي هذا وضمنه في كتابه.

ـــ الأمر للإهانة أو التعجيز :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾«[1695]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « صيغة افعل هنا إمّا للإهانة أو التعجيز وهو الظاهر »«[1696]»

فالإمام ابن عرفة يخبر بأنّ الأمر في لفظتي «ارجعوا » و« فالتمسوا » يحتمل أن يكون للإهانة أو التعجيز ، مع ترجيح الثاني ، فيكون المعنى : تعجيز المنفاقين عن امتثال هذين الأمرين برجوعهم وراءاهم والتماسهم للنور ، فإنّهم لا يقدرون على ذلك ، وقد جعل الإمام ابن جزي الأمر في فالتمسوا مستعملا في التهكم والتخييب«[1697]» وذكر الإمام أبو السّعود معنى التخييب«[1698]» ، أي التأييس ، وهذا قريب من التعجيز ، فإنّ المرء إذ يئس من شيء عجز عنه ، وذكر الإمام ابن عطية أنّ المقصود بالأمر في فالتمسوا هو التوبيخ ، وجعل الإمام ابن عطية الأمر الأول للتوبيخ ، والثاني للإقناط«[1699]».

[1693]ـــ مفاتح الغيب : ج 16، ص 117

[1694]ـــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10، ص 162

[1695]ـــ سورة الحديد : الآية 13

[1696]ـــ تفسير ابن عرفة :ج 4 ، ص 160

[1697]ـــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج ، 2 ،ص 384

[1698]ـــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 7 ، ص 208

[1699]ـــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 237

وذكر الإمام الألوسي أنّ الغرض من الأمر في «فالتمسوا » التهكم والاستهزاء«[1700]» ، والذي يظهر والله أعلم احتمال هذه المعاني جميعها ، فالأمر يقتضيها ، ومثل هذه الأغراض لا ينبغي الجزم فيها بغرض معين ، بل وجب إجراءها على السّعة.

وبهذا يتجلى اعتناء الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ بأسلوب الأمر في تفسيره ، فقد نصّ عليه في كثير من الآيات وبين الأغراض التي يخرج إليها في كل موضع مع شرحها و تحليلها ، فعدّد من الأغراض الإباحة والامتنان والذم والسخرية و التعجيز . وعليه يمكن القول أنّ الإمام ابن عرفة اهتم بأسلوب الأمر وعني بإبرازه في تفسيره .

الفرع الثاني : الاستفهام

لقد أشار الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في تفسيره إلى كثير من الاستفهامات الواردة في القرآن وبيّن أغراضها المجازية التي تخرج إليها ، ومن جملة تلك الإشارات ما يلي :

ــ الاستفهام للتسوية :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾«[1701]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقال أبو حيّان : وأنذرتهم استفهام في معنى الخبر أو بمعنى المصدر ، أي إنذارك وعدم إنذارك سواء سواء ، قال : وسواء ابتداء و «أأنذرتهم » إمّا فاعل به ، وإمّا خبره ويصّح أن يكون مبتدأ لأنّه يكون الخبر أفاد غير ما أفاده المبتدأ ، فلا فائدة فيه ، وردّه ابن عرفة بأنّه يفيد التسوية إذ لعلّ المراد إنذارك وعدم إنذارك مختلفان »«[1702]».

[1700] ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج 14، ص 177

[1701] ــ سورة البقرة : الآية 6

[1702] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 46

فهذا النّص من الإمام ابن عرفة يصرّح فيه بأنّ الاستفهام في لفظة «أأنذرتهم»متضمن لمعنى التسوية بخلاف ما ذكره أبو حيّان من أنّه مستعمل في معنى الخبر ، ومقصود ابن عرفة بالتسوية ، أنّ إنذاره صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الكفار أو عدم إنذاره لهم شيء واحد لكونهم غير منتفعين بهذا الإنذار ، وقد ذكر معنى التسوية في هذا الاستفهام الإمام السمين الحلبي ، حيث قال: « والهمزة في أأنذرتهم للاستفهام ، وهو هنا غير مراد ، إذ المراد التسوية ...»«[1703]» ، كما أشار إلى ذلك أيضا الإمام ابن عادل «[1704]»، وما ذكره الإمام ابن عرفة عن الإمام أبي حيان من أنّ لفظة «أأنذرتهم » للاستفهام ومعناها الخبر ، قد سبقه إليه الإمام ابن عطية «[1705]»وأبو حيّان حكى هذا القول عنه ، وقبل الإمام ابن عطية أشار إلى ذلك الإمام مكي وأكّده بقوله : « ومعنى لفظ الاستفهام في أأنذرتهم للتسوية ، وهو في المعنى خبر ، لكنّ التسوية تجري في اللفظ مجرى لفظ الاستفهام ، والمعنى الخبر ، تقول سواء أعلي أقمت أم قعدت ، وإنّما صار لفظ التسوية مثل لفظ الاستفهام للمضارعة التي بينهما ، وذلك أنّك إذا قلت : «قد علمت أزيد في الدار أم عمرو » ، فقد سويت علم المخاطب فيهما ، فلا يدري أيّهما في الدار ، وقد استوى علمك في الدار ، وتدري أحدهما في الدار ولا تدريه بعينه ، وتقول في الاستفهام : «أزيد في الدار أم عمرو ؟» ، فأنت لا تدري أيّهما في الدار ، وقد استوى علمك في ذلك ، وتدري أنّ أحدهما في الدار ، ولا تدري عينه منهما ، فقد صار الاستفهام كالتسوية في عواقب الأمور ، غير أنّ التسوية إبهام عند المخاطب و علم يقين عند المتكلم ، والاستفهام إبهام على المتكلم ، ويجوز أن يكون المخاطب متل المتكلم في ذلك ، ويجوز أن يكون عنده يقين ما سئل عنه فاعرف الفرق بينهما »«[1706]» . فالإمام مكي يخبر بأنّ الاستفهام في لفظة أأنذرتهم أفاد معنى التسوية ، بمعنى أنّ الإنذار عندهم أو تركه سواء ، ومعنى الاستواء كما ذكر الإمام الزّركشي هو استواؤهما أي ــ الإنذار وعدمه ــ في علم المستفهم لأنّه قد علم أنّه أحد الأمرين كائن ، إمّا الإنذار وعدمه ولكن لا يعنيه ، وكلاهما

[1703]ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج 1، ص 105
[1704] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 1 ، ص 309
[1705]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 77
[1706] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 141 .

معلوم بعلم غير معين »«[1707]» ، وقد ذكر الإمام مكي أنّ أصل هذا الاستفهام الخبر ، وإنّما جرى فيه الاستفهام لأنّ فيه التسوية التي للاستفهام ، وهذا النوع سمّاه أبو عبيدة استفهام الاستخبار ، وعليه فإنّ ما اعترض به ابن عرفة على أبي حيّان ليس بوجيه ، لأنّ أبا حيّان نقل قول الإمام ابن عطية المأخوذ عن الإمام مكي ، والذي جاء فيه أنّ لفظة أأنذرتهم للاستفهام المراد به التسوية الواقع في موقع الخبر .

ـ الاستفهام للإنكار والاستهزاء والاحتقار :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ ﴾«[1708]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ابن عطية : ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ الاستفهام ، وقال الزّمخشري في قولهم : ما ذا استهزاء واستحقار »«[1709]».

فالإمام ابن عرفة ينقل عن الإمام ابن عطية أنّ الاستفهام في قوله تعالى : « ماذا » مستعمل في الإنكار ، والمقصود إنكار المشركين أن يضرب الله الأمثلة بالأمور المحقرة من البعوض وغيرها ، فهم أنكروا مثل هذا النوع من ضرب المثل واستحقروه أي إنكار الكفار للمثل الذي ضربه الله تعالى ، ثمّ نقل غرضا لهذا الاستفهام عن الإمام الزّمخشري أخبر فيه أنّه مستعمل في الاستهزاء والاحتقار بمعنى أن المشركين استبعدوا أن يضرب المثل بهذه المخلوقات واستهزئوا من ذلك واحتقروا هذا النّوع من التمثيل ، وهذا يدخل في معنى الإنكار لا شك لأنّ الاستبعاد يعني الإنكار ، وقد أشار إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى الإنكار الإمام القرطبي«[1710]» والشيخ الطّاهر بن

[1707] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 337 .

[1708] ـ سورة البقرة : الآية 26

[1709] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 82

[1710] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 244

عاشور«[1711]»، وأشار إلى معنى الاستهزاء الإمام ابن جزي «[1712]» ، وإلى معنى الاحتقار الإمام النّسفي«[1713]» وأبو السّعود«[1714]» .

ــ الاستفهام للاستغراب والإنكار :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾«[1715]».

قال ــ رحمه الله ــ : « استفهام على سبيل الاستغراب فيتناول النبي صلى الله عليه وسلم ، أو على سبيل الإنكار فيتناول المؤمنين »«[1716]».

فالإمام ابن عرفة يذكر في كلامه هذا أنّ الاستفهام في لفظة : « أفتطمعون » يحتمل أن يكون للاستغراب وذلك إذا كان الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل الإنكار إذا كان الخطاب موجها للمؤمنين ، وما ذكره في تعيين المخصوص بالخطاب قد أشار إليه كثير من المفسرين فقد ذكروا أنّ الخطاب في هذه الآية يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أو للصحابة والمؤمنين ، وأمّا فيما يتعلق بغرض هذا الاستفهام فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ هذا الاستفهام للإنكار ، منهم الإمام الرّازي«[1717]» ، والإمام القرطبي«[1718]» ، والإمام ابن عادل«[1719]» ، والإمام أبو السعود«[1720]» ، وحمله الإمام ابن عطية على التقرير«[1721]»وتبعه

[1711]ــ التحرير والتنوير : ج 1، ص 365

[1712]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 67

[1713]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 54

[1714]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 74

[1715]ــ سورة البقرة : الآية 75

[1716] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 133.

[1717]ــ مفاتح الغيب : ج 3 ، ص 558

[1718]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 1

[1719]ــ اللباب في علوم الكتاب :ج 2 ، ص 191

[1720]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 116

[1721]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج1 ، ص 148

على ذلك الإمام أبو حيّان وزاد معنى الإنكار«[1722]» ، وذكر الشيخ الطاهر بن عاشور أنّه للإنكار والتعجيب«[1723]» .

وبهذا يكون ما أورده ابن عرفة من معنى هذا الاستفهام موافقا لما نبّه وأشار إليه كثير من المفسرين

ـــ الاستفهام للتقريع و التوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾«[1724]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « قوله تعالى : «أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ» استفهام معناه التقريع والتوبيخ ...»«[1725]».

فهذا الكلام من الإمام ابن عرفة يخبر فيه أنّ الاستفهام في لفظة «أتأمرون» مستعمل في معنى التقريع والتوبيخ لليهود ، وذلك أنّهم يحرصون على حمل النّاس على أمور البر والامتثال و الانقياذ للطاعات وأمور الخير ، وهم بعيدون عنها كل البعد ، فحالة كهذه تستدعي توبيخ وتقريع أصحابها ، وقد كان للمفسرين آراء في بيان حقيقة ما يخرج إليه هذا الاستفهام فذكر الإمام الرّازي «[1726]»، والنّسفي«[1727]» ، وأبو السّعود«[1728]» أنّه للتقرير والتقريع والتعجيب ، وحمله الإمام ابن عطية«[1729]» و القرطبي«[1730]» على التوبيخ ، وابن جزي «[1731]» وأبو حيّان«[1732]» على

[1722]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 438

[1723]ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 566

[1724] ـ سورة البقرة : الآية 44

[1725] ـ تفسير ابن عرفة :ج 1 ، ص 107

[1726]ـ مفاتح الغيب : ج 3 ، ص 485

[1727]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 62

[1728]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 97

[1729]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 119

[1730]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 365

[1731] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التقريع والتوبيخ ، والسمين الحلبي على الإنكار والتوبيخ والتعجب«[1733]» ، وجعله الشيخ الطّاهر بن عاشور للتوبيخ المشوب بنوع من التعجب«[1734]».

ويلاحظ على هذه الأقوال أنّها متقاربة وأغلبهم أجمع على معنى التوبيخ ، وإن كان الإمام ابن جزي وأبو حيّان أقرب موافقه لما ذكره ابن عرفة .

ـ الاستفهام للتلطف :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ﴾«[1735]».

قال ـ رحمه الله ـ : « قال الزّمخشري : هل استفهام في معنى الإنكار عليهم والتقدم ، مثل :﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾»«[1736]» ، قال ابن عرفة ، ويظهر لي أنّه استفهام على بابه ، وأنّه تأكيد في التلطف في الخطاب لما وبّخهم على العصيان تلطّف في العبارة عنه بأمرين :

أحدهما : ذكره بلفظ الرجاء ومعاودة العصيان دون التحقيق .

الثاني : لفظ الاستفهام دون الخبر »«[1737]» .

[1732] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 338

[1733] ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :ج 1 ، ص 327

[1734] ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 474 ـ 475

[1735] ـ سورة البقرة : الآية 246 .

[1736] ـ سورة الإنسان : الآية 1

[1737] ـ تفسير ابن عرفة :ج 1 ، ص 296

فالإمام ابن عرفة يذكر في كلامه هذا أنّ الاستفهام في قوله تعالى : « هل عسيتم » أريد به التلطف في الخطاب ، وقد ذكر قبل رأيه هذا أنّ الإمام الزمخشري أخرج هذا الاستفهام مخرج الإنكار ، والذي وجد في تفسير الإمام الزمخشري أنّه حمله على التقرير وليس الإنكار ، حيث قال : « وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أنّ المتوقع كائن ، وأنّه صائب في توقعه ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ معناه التقرير»«[1738]» ، ويمكن القول بأنّ الإمام ابن عرفة عبّر عن التقرير بالإنكار ، لأنّه يراهما شيء واحد ، وممّن قال بمعنى التقرير في هذا الاستفهام الإمام ابن عطية«[1739]».

ولقد جارى الإمام الزمخشري فيما جنح إليه كثير من المفسرين منهم الإمام الرّازي«[1740]» ،والإمام النسفي«[1741]» ، والإمام أبي السّعود«[1742]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1743]»، ولم أجد من المفسرين من أشار إلى معنى التلطف في هذا الاستفهام فهي من انفرادات الإمام ابن عرفة والله أعلم .

ــ الاستفهام للإنكار والتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾«[1744]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قيل : لابن عرفة : قلتم إنّ الاستفهام هذا للإنكار والتوبيخ ، وأنّه يتنزل منزلة النفي ، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخصّ ، والتوبيخ على الأدنى يستلزم التوبيخ على ما فوقه

[1738] ــ الكشاف : ج 1، ص 319
[1739] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1، ص 324
[1740] ــ مفاتح الغيب : ج 6 ، ص 501
[1741] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 130
[1742] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، 239
[1743] ــ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 485
[1744] ــ سورة آل عمران : الآية 99

، فوبّخوا أوّلا على معصية قاصرة وهو كفرهم في أنفسهم ، فلا فائدة في توبيخهم على تسببهم في كفر غيرهم ، فقال : التوبيخ مسود هنا بالنفي عليهم بأفعالهم القبيحة ، ولا شكّ أنّ قولك للشخصّ : لم تسرق أخفّ من قولك : لم تسرق ولم تزني ، لأنّ الثاني أبلغ في القبح »«[1745]».

في مضمون هذا النّص المنقول عن الإمام ابن عرفة يظهر فيه أنّه يرى الاستفهام في هذه الآية وبالضبط في لفظة «لم »متضمن لمعنى الإنكار والتوبيخ ، أي الإنكار على أهل الكتاب كفرهم وتوبيخهم على ذلك مع الإنكار عليهم تسببهم في كفر غيرهم وذلك بصدهم عن دين الله وعن صراطه ، فاستحقوا الإنكار والتوبيخ مرتين بسبب كفرهم في أنفسهم وتسببهم في كفر الآخرين . وقد ذكر غرض الإنكار في هذا الاستفهام من المفسرين الإمام أبو حيّان ، حيث قال :« وذكروا في هذه الآيات من فنون البلاغة والفصاحة الاستفهام الذي يراد به الإنكار في ... لم تصدون »«[1746]» ، كما أشار إلى غرض الإنكار الإمام ابن عادل «[1747]». وذكر التوبيخ والإنكار معا الشيخ الطاهر بن عاشور فقال : « توبيخ ثان وإنكار على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم »«[1748]» . فهذا الكلام من الشيخ الطاهر بن عاشور يوافق ما ذكره الإمام ابن عرفة ويؤكد ما ذكره .

[1745] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 389

[1746] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 18

[1747] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 5 ، ص 421

[1748] ــ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 25

ـــ الاستفهام للتعجب :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾«[1749]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الاستفهام على سبيل التعجب من مدلوله ، وهو تزكيتهم أنفسهم »«[1750]» .

فالإمام ابن عرفة يذكر بانّ الاستفهام في لفظة « ألم تر » مستعمل في معنى التعجب ، أي التعجيب من حال اليهود في تزكيتهم أنفسهم بقولهم مرّة ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾«[1751]» ، وقولهم في أخرى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾«[1752]» فهذا حري أن يتعجب منه ، وقد ألمح لمعنى التعجب الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « ولما خاطبه أوّلا بقوله : «ألم تر » أي لا تعجب لهؤلاء اليهود الذين يزكون أنفسهم ...»«[1753]» ،كما نبّه على معنى التعجب الشيخ الطّاهر بن عاشور فقال : « تعجيب من حال اليهود إذ يقولون : «نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ »«[1754]» ، وقالوا : «وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا » ، وذلك ذلك : من إذلالهم الكاذب »«[1755]».

[1749] ــ سورة النساء : الآية 49.

[1750] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 30

[1751] ــ سورة المائدة : الآية 18

[1752] ــ سورة البقرة : الآية 111

[1753] ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 282

[1754] ــ سورة المائدة : الآية 18

[1755] ــ التحرير والتنوير : ج 5 ، ص 84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــ الاستفهام للتوبيخ :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾«[1756]».

قال ــ رحمه الله ــ : « إن كان هذا القول في الآخرة فهو توبيخ للكفار ، وإن كان في الدنيا فهو استنطاق له لينطق بالتبرئة بمحضر الملائكة ، والقول إمّا مباشرة أو على لسان ملك ، وفرّق البيانيون بين قولك : أنت قلت هذا القول ، وبين قولك : قلت أنت هذا القول ، فإذا دخل الاستفهام على الفعل يكون إنكارا للفعل ، فإذا دخل على الاسم يكون إنكارا للنسبة أي لنسبة الفعل إلى من أسند إليه ، فالمقالة هنا واقعة لكن الإنكار إنّما تسلط على نسبتها إليه ...»«[1757]» .

فالإمام ابن عرفة ينص على أنّ الاستفهام في لفظة « أأنت » إن كان مقولا لليوم الآخر ، فهو مستعمل في التوبيخ ، أي توبيخ النّصارى في افترائهم على عيسى عليه السلام وادّعائهم أنّه ابن الله ، وإن كان مقولا في الحياة الدنيا فهو متضمن معنى الاستنطاق من أجل تبرئة المسيح عليه السلام ممّا نسب إليه .

هذا وقد أشار الإمام القرطبي إلى تضمن هذا الاستفهام لمعنى التقريع والتوبيخ ، فقال : «واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس هو باستفهام وإن خرجَ مخرج الاستفهام على قولين : أحدهما : أنه سأله عن ذلك توبيخا لمن ادعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع ، الثاني : قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيروا بعده ، وادعوا عليه ما لم يقل فإن قيل فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها فكيف قال ذلك فيهم ؟ فقيل : لما

[1756] ــ سورة المائدة : الآية 116

[1757] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 137 .

كان من قولهم أنها لم تلد بشرا وإنما ولدت إلها لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته ، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائلين له»«[1758]»

كما أشار الشيخ الطّاهر بن عاشور إلى تضمنه معنى التقريع للنصارى«[1759]» ،وبهذا يكون الاستفهام في هذه الآية مستعمل في معنى التقريع والتوبيخ للنّصارى وعدم إسناد الخطاب لهم مباشرة مبالغة في التقريع والتوبيخ وهو على هذا مقول في اليوم الآخر والله أعلم .

ــ إيراده دون بيان الغرض منه :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾«[1760]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ليس باستفهام عن الإهلاك ، لأنّه قد وقع والواقع لا يسئل عنه ، وإنّما هو استفهام عن الجواز الحكمي ، معناه : أيجوز في حكمك أن تمتلك البريء بما فعل العاصي ، وهذا جائز عند أهل السنة فإنّه يجوز عندهم أن يعذّب الله الطائع ويعذّب العاصي ، وأفعال الله غير معللة وكلّها بالنسبة إليه حسن »«[1761]».

فالإمام ابن عرفة يذكر في كلامه هذا أنّ الاستفهام في لفظة : « أتهلكنا » ليس المراد به الاستفهام عن الفعل الذي هو الإهلاك لأنّه واقع وكائن لا محالة إذا أراده الله ، وإنّما المراد بهذا الاستفهام هو السؤال عن جواز وقوع ذلك منه سبحانه وتعالى ، أي أن يهلك قوما بسبب فساد آخرين ، ثمّ أجاب بأن ذلك جائز عند أهل السّنة ، وهذا صحيح ، والدليل عليه ما روته أمّ المؤمنين سلمة رضي الله عنها أنّ قالت : « يا رسول الله أنهلك وفينا الصّالحون قال : نعم إذا كثر الخبث »«[1762]» هذا ، وقد أشار بعض المفسرين للمقصود بهذا الاستفهام ، فذكر الإمام الرّازي

[1758]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 374 .

[1759]ــ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 112

[1760]ــ سورة الأعراف : الآية 155

[1761]ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 259 .

[1762]ــ أخرجه الترمذي : باب ما يكون من الفتن ، الخسف ، رقم 2185 ، ج 4 ، ص 479.

أنّه يحتمل معنيين إمّا الجحد أو الاستعطاف فقال : « ...فقال أهل العلم : أنّه لا يجوز أن يظنّ موسى عليه السلام أنّ الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ، فيجب تأويل الآية ، وفيه بحثان : الأول : أنّه استفهام بمعنى الجحد ، وأراد أنّك لا تفعل ذلك ، كما تقول : أتهين من يخدمك ؟ أي لا تفعل ذلك ، الثاني : قال المبّرد : هو استفهام استعطاف ، أي لا تهلكنا »«[1763]» ، وذكر الإمام القرطبي احتمال أن يكون هذا الاستفهام للجحد أو الاستعطاف ، أو بمعنى الدّعاء والطلب«[1764]» ، وأشار الإمام ابن عطية«[1765]» و ابن جزي«[1766]»، وأبو حيّان«[1767]» ، وابن عادل إلى معنى الاستعطاف ، وجوّز الإمام أبو السّعود احتمال أن يكون الاستفهام متضمنا معنى الإنكار ، أي إنكار وقوع الإهلاك منه سبحانه وتعالى ثقة بلطفه تعالى ، ونسب هذا القول للإمام ابن الأنباري ، كما جوّز احتمال أن يكون للاستعطاف وعزاه للمبرّد «[1768]».

وكان للشيخ الطّاهر بن عاشور رأي آخر مخالف لما جنح إليه أغلبية المفسرين ، فحمل هذا الاستفهام على التفجع«[1769]» ، والذي يظهر والله أنّ أقرب الأقوال والمعاني التي يضمنها ويخرج إليها هذا الاستفهام هو الاستعطاف أوّلا ، ثمّ الجحد .

الاستفهام للتقرير :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾«[1770]» قال ــ رحمه الله ــ : « الاستفهام هنا للتقرير دليل على وقوع ذلك »«[1771]»

[1763]ــ مفاتح الغيب : ج 15 ، ص 378

[1764]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 7، ص 295

[1765]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 529

[1766]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 312

[1767]ــ تفسير البحر المحيط : ج 4، ص 399

[1768]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3، ص 277

[1769]ـ التحرير والتنوير : ج 9، ص 126

[1770]ــ سورة الحشر : الآية 11

[1771]ــ تفسير ابن عرفة :ج 4 ، ص 197

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهذا النّص من الإمام ابن عرفة يبين فيه أنّ الاستفهام في لفظة :« ألم» أفاد التقرير ، والمعنى تقرير وإثبات حقيقة وقوع ذلك الشيء من المنافقين ، فقد وعدوا إخوانهم في الكفر من اليهود ــــ من بين النضير ــ أن يكونوا معهم ولا يخذلونهم ، ولكنّهم أخلفوا وعدهم كما حكى الله عنهم ذلك ، وقد حمل أغلب المفسرين الاستفهام هنا على التعجب، أي التعجب من حال المنافقين ، أو التعجيب من حال اليهود في اغترارهم بوعود المنافقين ، وممّن ذكر ذلك الإمام القرطبي«[1772]» وتبعه عليه الإمام ابن عادل«[1773]» ، كما نبّه على ذلك الإمام أبو السّعود«[1774]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[1775]» ، وبالنظر في الآية نجد والله أعلم أنّ الاستفهام يقتضي المعنيين معا ، فما حكاه ابن عرفة صحيح وظاهر ، ونظائر الاستفهام للتقرير على هذا الشكل كثيرة في القرآن الكريم ، كما أنّ معنى التعجيب محتمل وله نظائر كذلك على الشكل والنحو ، فكل عبّر عمّا رآه راجحا وقويا عنده في الدلالة والله أعلم .

ومن خلال ما تقدّم بسطه وعرضه يتأكد اهتمام الإمام ابن عرفة بأسلوب الاستفهام . وذلك بكثرة إشاراته للاستفهامات الواقعة في القرآنية وشرحها وتحليلها مع بيانه للأغراض المجازية التي تخرج إليها . و قد أورد عددا كبيرا من الأغراض كالتوبيخ والتقرير والتعجب والإنكار والتلطف.

[1772]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 18 ، ص 34

[1773]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 18 ، ص 598

[1774]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8 ، ص 230

[1775]ــ التحرير والتنوير :ج 28 ، ص 98

ـ المبحث الرابع : التقديم والتأخير :

عقدت هذا المبحث لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب التقديم والتأخير الذي هو أحد الأساليب العربية الدقيقة المسلك والكثيرة الفوائد. وذلك لما انطوى عليه من أسرار بديعة تدل على عظيم موقعه في بلاغة العرب، فأسعى في هذا المبحث للوقوف على مدى إسهاماتهم في إثراء هذا الأسلوب من أساليب العربية وبيان منهجهم في تناوله والتطرق إليه .

المطلب الأول :التقديم والتأخير لغة واصلاحا

قبل الخوض والولوج في الحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول هذا الأسلوب أحببت التقديم لذلك ببيان معنى التقديم والتأخير في اللغة ، وفي اصطلاح البلاغيين لأنّ هذا أدعى لتجلية تلك الظاهرة وتوضيحها ممّا يساعد على فهم جزئياتها عند الإشارة إليها في كتب المفسرين المغاربة.

ـ الفرع الأول : التقديم لغة

قبل بيان معنى التقديم والتأخير عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاّ الوقوف على المدلول اللغوي لهذين المصطلحين ، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم المعاني ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذين المصطلحين لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

ورد في لسان العرب : « التقديم من قدّم ، أي وضعه أمام غيره ، وتقدّم ، كقدّم ، وقدّم واستقدم : تقدّم ، ويقال : قدم فلان فلانا إذا تقدّمه ، ومن أسماء الله تعالى المقدّم و هو الذي يقدّم الأشياء ويضعها في موضعها ، فمن استحق التقديم قدّمه ، والتأخر ضدّ التقدّم ، والتأخير ضدّ التقديم ، ومؤخر كل شيء خلاف مقدّمه »«[1776]» .

[1776] ـ لسان العرب : مادة (قدّم ـ أخّر) ج 4 ، ص 11 ، ج 12 ، ص 465 .

فالمادة اللغوية من هذا المعجم تفيدنا أنّ مدلول اللفظين وأصلهما يرجع لمعنى النقل والتحريك ، وذلك لأنّ تقديم شيء أو تأخيره يقتضي نقله وتحويله من مكان إلى مكان ، وبالنّظر في المعنى اللغوي المستفاد من المعاجم نجد أنّ البلاغين قد اشتقوا هذا المعنى اللغوي ووضعوه علما على هذه الظاهرة البلاغية ، ووجه ذلك كما يقول الدكتور علي أبو القاسم عون أنّه :« لما وجد علماء المعاني شيئا من النقل والتحريك بين مكونات العبارة في اللغة العربية ، أخذوا هذا الثنائي التقديم والتأخير ، وجعلوه مصطلحا لأحد تقنيات النّظم »«[1777]» .

ـــ الفرع الثاني : التقديم والتأخير اصطلاحا

بعد بيان معنى التقديم والتأخير في اللغة والخلوص إلى أنّ مدلوله يفيد معنى النقل والتحرك ، بقيت الإشارة للمعنى الاصطلاحي لهذا المبحث البلاغي ، والكشف عن حقيقته وماهيته يستدعي الحديث عن البوادر والإشارات الأولى لهذا الموضوع حتّى نقف حقيقة على مقصود المتقدمين منه ، وندرك كيفية تطور البحث في أسراره وأغراضه ، وكيف انتهى واستقر عند البلاغيين في الأخير بحصر حدوده وأنواعه وأغراضه .

تكاد تجمع البحوث على أنّ البوادر الأولى لظاهرة التقديم والتأخير كانت على يد إمام النّحاة سيبويه ــ رحمه الله ــ فقد تعرّض له في كثير من بحوثه النحوية في كتابه الموسوم بالكتاب ، ومن تلك المواطن التي تحدّث فيها عن ظاهرة التقديم والتأخير عند تطرقه لباب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعوله قال ــ رحمه الله ــ : « هذا باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعول ، وذلك قولك ضرب عبدُ الله زيدًا ، فعبد الله ارتفع هاهنا ، كما ارتفع في ذهبت وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب ، وانتصب زيد لأنّه مفعول تعدّى إليه فعل الفاعل ، فإن قدّمت المفعول وأخرّت الفاعل جرى اللفظ في الأول ، كما جرى في الأول ، وذلك قولك : ضرب زيدا عبد الله لأنّك إنّما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدّما ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه ، وإن كان مؤخرا في اللفظ

[1777] ــ بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ط 1 ، بنغازي ـ ليبيا ـ دار الكتب الوطنية ـ ، 2006 م ، ج 1 ، ص 42.

، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّما ، وهو عربي جيد كثير ، كأنّه إنّما يقدّمون الذي ببيانه أهم له وهم ببيانه أعنى ، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم »«[1778]» .

فالإمام سيبويه يوضح في هذه الفقرة أنّ العرب قد تقدّم ما رتبته التأخير لغرض الاهتمام والعناية ، كما هو الحال في تقديم المفعول به على الفاعل ، فسيبويه يعدّ أولّ من أشار إلى هذه الظاهرة البلاغية في بحوثه النحوية واللغوية ، ثمّ تتابع النّاس بعده في تقرير ما نبّه عليه لا سيّما شرّاح كتابه من النّحاة ، ومن هؤلاء الإمام أبو سعيد السيرافي الذي شرح ما أورده سيبويه من إشارات لهذا البحث وشفعها بالأمثلة الموضحة والمؤكدة على عمق ودقة هذا الفنّ ، وزاد على ذلك بعقده لباب تطرّق فيه للتقديم والتأخير مبيّنا مظاهره وأقسامه ، ومن النحويين الذين تعرّضوا لظاهرة التقديم والتأخير وتوسّعوا فيها بشيء من التفصيل عن متقدميه الإمام ابن جنّي ، فقد تحدّث في كتابه الخصائص عن ظاهرة التقديم والتأخير ، وذلك في الفصل الذي عقده تحت : « باب في شجاعة العربية » ، وقد استهل الكلام عنه بتقسيمه إلى ضربين : ضرب يقبله القياس ، والثاني : يسهله الاضطرار ، ثمّ شرع في سرد ما يندرج تحت كلّ قسم من أنواع وصور التقديم والتأخير مبيّنا الجائز منها والمستحيل معضدا ومشفعا ذلك كلّه بالأمثلة التي تزيد البحث تقريبا ووضوحا «[1779]»، وذكر في موضع آخر من كتابه أنّ تقديم المفعول على الفاعل شائع وكثير في كلام الله والكلام الفصيح ، بل هو مطرّد عنهم موضحا ذلك كلّه بالأمثلة فقال :« ... فإنّ هناك طريقا يسوغك غيره ، وذلك أنّ المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل ، حتّى ذلك أبا علي إلى أن قال : إنّ تقديم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، كما أنّ تقدّم الفاعل قسم قائم أيضا برأسه ... ...والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح

[1778] ـ الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ط 3 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ، 1408 هـ ـ 1988 م ، ج 1 ، ص 34.

[1779] ـ الخصائص : ج 1 ، ص 282

الكلام شائع متعالم غير **مستنكر** ... **ولا تستنكر هذا الذي صورته لك ولا يجف عليك ، فإنّه ممّا تقبله هذه اللغة ولا تعافه ولا تتبشعه** »«[1780]» .

ثمّ إنّ من اللغويين من كانت له نظرة أعمق وأوسع من نظرة النحاة لهذا المبحث الجميل من مباحث البلاغة ، ألا وهو إمام الصنّاعة عبد القاهر الجرجاني ، فقد نظر للتقديم والتأخير نظرة مغايرة عن نظرة النّحاة ، فخرج بالتقديم والتأخير من دائرة النحو المحض والصّرف إلى دائرة التحليل اللغوي والبلاغي العميق الكاشف عن الأغراض والمقاصد في أسلوب بديع .

لقد استهل الإمام عبد القاهر حديثه عن التقديم والتأخير ببيان أنّه باب كثير الفوائد وجمّ المحاسن ، فقال : « هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدّم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان »«[1781]»، وبعد تنوهيه بمكانته وأهميته قسمّه إلى قسمين : تقديم على نيّة التأخير ، وتقديم لا على نية التأخير ، مع التمثيل لكلا النوعين ، ليشير بعدها إلى أنّ المتقدمين قد قصروا غرض التقديم والتأخير على عنصري الاهتمام والعناية منبها على أنّه لا ينبغي قصر هذه الظاهرة على هذين الغرضين فحسب ، بل يجب الوقوف عند كل موضع من مواضيع التقديم والتأخير فينظر ما فيه من الأغراض والمقاصد ، كما أنّه لا ينبغي الاكتفاء بمجرّد الاشارة إلى التقديم والتأخير بل يجب البحث عن سرّ العناية وتفسير وجهها ، ليخلص بعدها إلى القول بأنّ قصر أغراض التقديم والتأخير على معنيين فحسب ، أفضى ببعض المنتسبين إلى البلاغة إلى تحقير شأنه وتصغيره هو وغيره من مباحث البلاغة الأخرى التي قصر النظر فيها على مقاصد محدودة دون تعليلها وتفسيرها ، ليعود بعدها ويشير إلى بعض مواضيع التقديم والتأخير كالاستفهام ، والنفي ، والخبر المثبت ، والنكرة محتجا لذلك كله بالقرآن والسنة والشعر ، وفصيح الكلام .

[1780]ــ الخصائص : ج 1 ، ص 298

[1781]ــ دلائل الإعجاز : ص 106

فهذه هي إذن نظرة عبد القاهر ــ رحمه الله ــ لظاهرة التقديم والتأخير ، وكما سبقت القول في البداية إلى أنّ نظرته كانت مميزة خرج بهذه الظاهرة من دائرة النحو المحض والصرف إلى دائرة التحليل اللغوي والبلاغي العميق الكاشف عن الأغراض والمقاصد في أسلوب بديع .

وبمجيئ الإمام السّكاكي الذي قسّم البلاغة إلى علومها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) ، فإنّه أدرج ظاهرة التقديم والتأخير ضمن مباحث علم المعاني ، وتطرقه لها كان تحت مباحث المسند والمسند إليه ، ومتعلقات الفعل ، فأشار إلى أنّ المسند إليه يقدم على المسند إذا كان ذكره أهم ، أو كان في تقديمه تشويقا للسامع إلى الخبر ، أو تقوية له ، أو للتفاؤل ، أو لدفع التوهم ، أو التلذذ ، أو التعظيم أو زيادة تخصيص ، ثمّ أخبر أنّ المسند يقدّم إذا كان متضمنا للاستفهام ، أو أريد به التقرير ، أو قصد تخصيصه بالمسند إليه ، أو أريد التنبيه على موقعه في الجملة ككونه نعتا أو خبرا ، أو أن يكون قلب السامع معقودا به ، أو أنّه صالح للتفاؤل ، أو لكونه أهم عند القائل ، وفي ما يتعلق بالفعل ومتعلقاته أشار إلى أغراض التخصيص والاهتمام والعناية .

ولقد سار على شاكلة الإمام السكاكي في معالجة ظاهرة التقديم والتأخير الخطيب القزويني ، حيث انتهج نهجه في ذلك ، وذلك بتناوله موضوع التقديم في محاور المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل ، وأشار إلى ما ذكره السّكاكي من أغراض ومقاصد تضمنها التقديم والتأخير في هذه المباحث مع شيء من الزيادة والتفصيل ، فأخبر أنّ المسند إليه يقدّم إذا كان ذكره أهم ، أو كان في تقديمه تمكينا للخبر في ذهن السامع ، أو كان تقديمه يقتضي تعجيلا للمسّرة أو المساءة لكونه صالحا للتفاؤل ، أو التطير ، أو لإيهام أنّه لا يزول عنه ، أو لأنّه يستلذ بذكره فلذلك كان أقرب ، أو لكونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر ، أو لكونه يفيد زيادة تخصيص ، ثمّ أشار إلى أنّ التقديم على ضربين : تقديم على نيّة التأخير ، وتقديم لا على نية تأخير ، وهو في هذا ناقل عن الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ثمّ أخبر أنّ تأخير المسند إليه يكون لاقتضاء المقام تقديم المسند ، وفيما يتعلق بالمسند فذكر أنّه يقدّم لتخصيصه بالمسند إليه ، أو للتنبيه على أنّه خبر وليس نعتا ، أو للتفاؤل ، أو التشويق ، وفيما يخص متعلقات الفعل فإنّه ذكر أغراض دفع

الإيهام والخطأ ، والتأكيد والتقرير ، والتخصيص والاهتمام والعناية ، والاحتراز عن الإخلال بالمعنى ، ورعاية الفاصلة .

ولا يخفى على دارس وباحث في البلاغة تأثير كتاب الإيضاح على البلاغيين من بعده ، فمن ناظم وشارح وملخص ومحش عليه ، والجدير بالذكر أنّ جلّ مباحث التقديم والتأخير لا تخرج على ما رسم في المفتاح والإيضاح .

ويظهر على هذه الإشارات من المتقدمين لظاهرة التقديم والتأخير أنّهم لم يعتنوا فيها بتحديد وتعريف مصطلح التقديم والتأخير ، بل كانت إشارتهم موجهة للتحليل وبيان الأغراض والمقاصد ، ومن المتقدمين الذين أشاروا إلى تعريف التقديم والتأخير الإمام الطوفي فقال : « هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة »«[1782]» ، وقد أخبر الدكتور على أبو القاسم عون أنّ الإمام الطوفي اتكأ في تعريفه على قول سيبويه : «كأنّهم إنّما يقدّمون الذي ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم »«[1783]» والدكتور صادق في كلامه فالطوفي أخذ كلام سيبويه وركّب منه تعريف لهذه الظاهرة ، ويرى الدكتور قاسم عون أنّ إعراض المتقدمين من البلاغيين عن وضع تعريف لهذا المبحث راجع لوضوح المصطلح ، وشدة اتصاله بالمعنى اللغوي«[1784]» .

وعليه فإذا كان المتقدمون لم يعنوا بتحديد مصطلح لهذا المبحث ، فإنّ المتأخرين من الباحثين والدّارسين في مجال البلاغة قد ظهر فيهم اهتمام بتحديد مصطلح هذه الظاهرة ، فظهرت تعريفات لكثير منهم ، تباينت آراؤهم في تحديدها ، ولم يسلم الكثير منها من الاعتراضات والمناقشات ، وبعيدا عن ذلك كلّه فإنّه لا يمكننا استعراض جميع تلك التعريفات ومناقشتها ، ولذا فإنّنا سنعرض لتعريف عدّه بعض الباحثين جامعا مانعا ، وهو تعريف الأستاذ إدريس النّاقوري

[1782] ــ الإكسير في علم التفسير : ط 1، تحقيق محمد عثمان ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ، 2009 م ، ص 164

[1783] ــ الكتاب : ج 1 ، ص 34.

[1784] ــ بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ص 43

القائل فيه : « التأخير من الاصطلاحات البلاغية ، ومعناه تركيب الكلام شعرا ، أو نثرا بطريقة يتوخى منها هدف بياني معين يتحقق بتأخير كلمة أو جملة أو معنى في سياق معين ، وهو بهذا يقابل التقديم الذي يفيد دلالة معاكسة ويتوخى هدفا بلاغيا يتحقق في تقديم كلمة أو جملة في تركيب أدبي »«[1785]» .

المطلب الثاني : بلاغة التقديم والتأخير وأهميتهفي اللغة العربية :

إنّ التقديم والتأخير أسلوب من أساليب العرب في الكلام وسنة من سننهم في التعبير عن المعاني ، ولقد أدرك البلاغيون أسراره ، ونبّهوا على عظيم موقعه في لغة العرب ، فهذا إمام البلاغين عبد القاهر يعدّه بابا كثير الفوائد وجمّ المحاسن ، فيقول : « هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدّم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان »«[1786]» .

ولقد عدّ إتيان العرب به وكثرة استعماله لهم في مخاطبتهم دليلا على تمكنهم في العربية ورمزا على تفننهم في أساليب الفصاحة وامتلاكهم لها وحسن تصرفهم فيها ، فهذا الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ يؤكد ذلك بقوله : « ... فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم للكلام وتلعبهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه ، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفي معانيه ثقة بصفاء أذهانهم ، وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزا وبليغا وله في النفوس حسن موقع وعذوبة مذاق »«[1787]» .

[1785] ـ المصطلح النقدي في نقد الشعر ، ط 2 ، ليبيا ـ المنشأة للنشر والتوزيع والإعلان ـ ، 1984 م ، ص 62

[1786] ـ دلائل الإعجاز : ص 106

[1787] ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ص 82

وقد أكدّ الإمام الزّركشي مضمون كلام الإمام ابن القيم ، فأخبر أنّ العرب أتوا به دليلا على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام ، وانقياده لهم ، وذلك لما له من حسن موقع وعذوبة مذاق « [1788] » .

كما عدّ الإعراض عن الغوص في أسرار هذه الظاهرة إهمالا لشؤون البلاغة ، وذلك لما يفوت بالإعراض من إدراك منافع ومحاسن جمّة من شأنها أن تظهر علو البلاغة ، وتزيد من قدرها رفعة ومكانة ، وفي هذا يقول الإمام العلوي : « اعلم أنّ الكلام على أسرار التقديم والتأخير من فنون البلاغة ، وغير خاف على الفطن عظم موقعهما ، وفي محاسن التنزيل ارتفاع قدرهما ، وحسن نفعهما ، فلا جرم كان إهمال النّظر فيهما عزلا للبلاغة عن سلطانها ، وإعراضا عن الإحاطة بعلو شأنهما ، وارتفاع قدرها وسمو مكانها ، وإنّهما لأوسع خطوا وأكثر استعمالا في التنزيل من غيرهما ، ومحاسن آثارهما في الأسرار القرآنية أكثر من أن تعدّ أو تحصى بحدّ ...»« [1789] »

وإذا كانت هذه هي نظرة المتقدمين من البلاغيين لقيمة التقديم والتأخير وأهميته ، فإنّ المتأخرين منهم وقفوا كذلك على أهميته وأشادوا بقيمته لما يضيفه على المعنى من مقاصد وأغراض حسنة ، فهو عندهم دليل على مرونة العربية ، وحريتها في تغيير بنية الكلمة ، والتصرف في الرتب المحفوظة اعتمادا على قرائن متعددة من أهمّها العلامة الإعرابية « [1790] » .

[1788] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 233 .

[1789] ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز ، ط 1 ، تحقيق بن عيسى بالطاهر ، بيروت ـ دار المدار الإسلامي ـ 2007 م ، ص 140

[1790] ـ ينظر: الجملة في الشعر العربي : محمد حماسة عبد اللطيف ، د ط ، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ـ ، 1990 م ، ص 60 ، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، على أبو القاسم عون : ج 1 ، ص 49

وهو عندهم أيضا دليل قوة الأسلوب ، فقوة الأسلوب تعود إلى قوة الصورة وقوة التراكيب ، ومن سبل قوة التراكيب التقديم والتأخير ، فتقديم الكلمة أو تأخيرها بالنسبة إلى موضعها الطبيعي دلالة على القصر أو التفخيم أو حسن الذوق واللياقة أو الأهمية مطلقا «[1791]».

وقد عدّ سيبويه من أوائل من أشار إلى الأبعاد النفسية لظاهرة التقديم والتأخير عند حديثه عن غرضي العناية والاهتمام .

فهذه إذن وقفة مع بلاغة التقديم والتأخير وأهميته في اللغة العربية حاولنا فيها الإشارة إلى بعض الجوانب والمظاهر التي استحقت من أجلها هذه الظاهرة تلك المنزلة بين الأساليب العربية ، وذلك بما أشرنا إليه من تنبيهات وتنويهات لفطاحل البلاغيين واللغويين عن ذلك ، وبعدها نسعى بحول الله تعالى إلى تجلية أغراض ومقاصد تلك الظاهرة ببيان جهود المفسرين المغاربة في تناولها والوقوف على مدى إسهاماتهم في الغوص فيها والكشف عن أسرار مقاصدها ومكنون أغراضها .

ــ المطلب الثالث : أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾«[1792]» قال ــ رحمه الله ــ : « وقدّم الرحمان على الرحيم ، لأنّ الرحمان اسم شريف مبني للمبالغة لا يتسمى به غير الله جلّ ذكره ، والرحيم قد يوصف به الخلق فأخر لذلك ...، وقيل إنّما قدّم الرحمان على الرحيم لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في كتبه باسمك اللهم ، حتّى نزل «﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا ﴾«[1793]» ، فكتب بسم الله ، حتّى نزل : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟

[1791] ــ الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشائب ، ط 7 ، د م ، 1976 م ، ص 197.

[1792] ــ سورة الفاتحة : الآيتان 2ـ 3 .

[1793] ــ سورة هود : الآية 41

ٱلرَّحۡمَٰنَ ﴾«[1794]» فكتب « بسم الله » ، فسبق نزول الرحمان ، ثمّ نزل : ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾«[1795]» ، فكتب ذلك على ترتيب ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم »«[1796]» .

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود تقديم فيها مبيّنا الفائدة منه والعلة في التقديم ، حيث أخبر أنّ اسم الجلالة الرحمان قدّم على الرحيم لكون شريفا مبينا للمبالغة لا يختص به أحد غير المولى جلّ وعلا بخلاف الرحيم فإنّه يمكن أن يوصف به غيره من المخلوقين ، ثمّ روي قولا آخر في علة التقديم مفاده أنّ لفظ الرحمان سبق في نزول القرآن على الرحيم .وقد نبّه في تعليله لهذا التقديم لاعتبارين يكون بهما تقديم المعاني«[1797]»، الأول هو التقديم بالشرف . وذلك في إخباره أنّ اسم الرحمان شريف وضع للمبالغة ، والثاني : هو اعتبار الزمان ، حيث ذكر تقدّم نزول اسم الرحمان على الرحيم في ترتيب نزول القرآن . وقد أشار إلى التقديم في الآية الإمام الزمخشري ـ رحمه الله ـ فقال:« فإن قلت : فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه و القياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، كقولهم: فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض ، قلت : لما قال الرحمان فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف »«[1798]». وقد تابع الإمام الزمخشري فيما علّل به التقديم كثير من المفسرين منهم الإمام أبو حيّان«[1799]»والإمام النّسفي «[1800]»والشيخ الطاهر بن عاشور«[1801]» .

[1794]ـ سورة الاسراء : الآية 110

[1795]ـ سورة النمل : الآية 30

[1796]ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1، ص 96

[1797] ـ الطراز : ص 219 ، معترك الأقران : ج 1، ص131

[1798]ـ الكشاف : ج 1 ، ص 51

[1799]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 128

[1800]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 30

[1801]ـ التحرير والتنوير: ج 1 ، ص 72

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾«[1802]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وإنّما قدّم نعبد على نستعين ، وقد علم أنّ الاستعانة قبل العبادة ، والعمل لا يقوم إلاّ بعون الله ، لأنّ العبادة لا سبيل إليها بالمعونة ، والمعان على العبادة لا يكون إلاّ عابدا ، فكل واحد مرتبط بالآخر : لا عمل إلاّ بمعونة ولا معونة إلاّ تتبعها عبادة »«[1803]».

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها لفظ الاستعانة على العبادة مع العلم بأنّ العبادة لا تتأتى إلاّ بمعونة الله مخبرا أنّه ثمّت ارتباط بين العبادة والإعانة فكل واحد منهما ضروري للآخر ويستلزمه . هذا ما أفصح عنه ظاهر كلامه ، وقد تعرّض الشيخ الطاهر بن عاشور من بين المفسرين لبيان علة التقديم هنا ، فقال ما نصّه :« ووجه تقديم إيّاك نعبد على قوله : وإيّاك نستعين أنّ العبادة تقرّب إلى الخالق فهي أجدر بالتقديم في المناجاة ، وأمّا الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه ، فناسب أن يقدّم المناجي ما هو من عزمه و صنعه على ما يسأله ممّا يعين على ذلك ، ولأنّ الاستعانة بالله تتكون على كونه معبودا للمستعين به ، ولأنّ من جملة ما تطلب الإعانة عليه التقديم . فكانت متقدمة على الاستعانة في التعقل .وقد حصل من ذلك التقسيم أيضا استيفاء فواصل السور المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان »«[1804]».

فالشيخ الطاهر بن عاشور يظهر في هذا النّص علة التقديم فأخبر أنّه قدمت العبادة على الاستعانة باعتبار الشرف والأهمية والارتباط ومراعاة لفواصل آي السورة .

[1802] ـ سورة الفاتحة : الآية 5

[1803] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج1 ، ص 107

[1804] ـ التحرير والتنوير : ج 1، ص 160

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾«[1805]» .

قال ــ رحمه الله ــ : « أي : حالهم حال الأصمّ الأبكم الأعمى ، إذ لا ينتفعون بذلك فيما يدعون إليه ، فالمعنى صمّ عن سماع الحق ، بكم عن قول الحق ، عمي عن النّظر عن الحق ، وإنّما قدّم صمّ في هذا الموضع ، وفي أوّل السورة على ما بعده ، لأنّه أشدّ بلاء ممّا بعده ، لأنّه يذهب به السمع والحق ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾«[1806]» ، فذكر ذهاب السمع مع الصمّ ، وذكر بعده ذهاب البصر مع العمي لا غير »«[1807]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ : في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود تقديم فيها مبيّنا علته ، فأخبر أنّه سبحانه وتعالى قدّم صفة الصمّ على صفة البكم لكون الصمّ أشدّ بلاء وتأثيرا من البكم لأنّه به يفقد الإنسان السمع والانقياد للحق ، وهذا التقديم في المعنى راجع لاعتبار الشرف والتشريف والتأثير، وإن كانت الآية واردة في صيغة الذمّ لهؤلاء الكفار إلاّ أنّ فيها تنويه بقيمة السمع والبصر . وقد قدّم السمع في القرآن الكريم على البصر في مواضع كثيرة منها :﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ ﴾«[1808]».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1805] ــ سورة البقرة : الآية 171

[1806] ــ سورة يونس : الآية 42

[1807] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية :ج1 ، ص 546

[1808] ــ سورة البقرة : الآية 7

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾«[1809]».

قال ـ رحمه الله ـ : « أي : ومن حججه وأدلته على توحيده وقدرته على إحياء الموتى ، أنّه يقدّر الساعات والأوقات ، ويخالف بين الليل والنّهار ، فجعل النهار تبتغون فيه الرزق والمعاش ، وجعل الليل لتسكنوا فيه وتناموا ، وقيل : في الآية تقديم وتأخير ، والتقدير : ومن آياته منامكم بالليل والنّهار وابتغاؤكم من فضله بالنهار ، وحذف حرف الجر من النهار لاتصاله بالليل وعطفه عليه ، والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة ...»«[1810]» .

يذكر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية قولا بصيغة التمريض مفاده أنّ من المفسرين من قال بوجود تقديم وتأخير في الآية ، إذ كان في الأصل أن يكون تقدير الكلام ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله بالنهار ، ووجه من قال بهذا الرأي هو تخصيص الابتغاء في الرزق وطلب المعاش بالنهار . وجعل المنام بالليل والنهار في القيلولة ، وقد أشار إلى هذا القول في التقديم والتأخير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ وضعفه بأنّ لفظ الآية لا يحتمل ذلك ولا يقتضيه فقال :« وقال بعض المفسرين في الكلام تقديم وتأخير وهذا ضعيف وإنّما أراد أن يرتب النوم بالليل والابتغاء للنهار ولفظ الآية لا يعطي ما أراد »«[1811]»،كما نقل قول الإمام مكي ـ رحمه الله ـ الإمام القرطبي دون أن يتعرض له بترجيح أو تضعيف«[1812]» .

[1809] ـ سورة الروم : الآية 23

[1810] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 9، ص 5678

[1811] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 4، ص 386

[1812] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 14 ، ص 18

وحمل بعض المفسرين الآية على اللف النّشر ، فقيل : أراد المنام بالليل والابتغاء بالنهار فلف البعض بالبعض وممّن قال بذلك الإمام الزمخشري «[1813]»وتبعه عليه الإمام البيضاوي«[1814]» والرازي«[1815]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾«[1816]»

قال ــ رحمه الله ــ : « أي ذا سمع وبصر لتقوم عليه الحجة ، وقال الفرّاء : في الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير عنده : إنّا خلقنا الإنسان سميعا بصيرا من نطفة أمشاج لنختبره ، وقد ردّ عليه هذا التقدير ، لأنّ الفاء لا يقع معها التقديم والتأخير ، ولأنّ الكلام تام بغير تقديم و تأخير ، فلا يخرج عن ظاهره لغير علة »«[1817]»

يخبر الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ الإمام الفرّاء قال بأنّ في الآية تقديما في نية التأخير . وتقدير الكلام عنده إنّا خلقنا الإنسان سميعا بصيرا من نطفة أمشاج لنختبره ، ثمّ ذكر الإمام مكي أنّه ردّ عليه في هذا الادّعاء والتقدير واحتج لذلك بأنّ حرف العطف الفاء لا يقع معه تقديم وتأخير إضافة لتمام الكلام بغير تقديم وعليه فلا يمكن أن نخرج بالكلام عن ظاهره من غير سبب يقتضيه ويدّعيه ، وما ذكره الإمام مكي تعرّض له شيخ المفسرين الإمام الطبري دون الإشارة إلى اسم الإمام الفرّاء وضعّف قوله بحجج غير التي أوردها الإمام مكي فقال :« وكان بعض أهل العربية يقول : المعنى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه فهي مقدّمة معناها التأخير ، إنّما المعنى خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، ولا وجه عندي لما قال يصح ، وذلك أنّ الابتلاء إنّما هو

[1813]ــ الكشاف : ج 1 ، ص 480

[1814]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4 ، ص 205

[1815]ــ مفاتح الغيب : ج 25 ، ص 96

[1816]ــ سورة الإنسان : الآية 2

[1817] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج12 ، ص 7906

بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات ، وإن عدم السمع والبصر ، وأمّا إخباره إيّانا بأنّه جعل لنا أسماعا وأبصارا في هذه الآية تذكير منه لنا بنعمه وتنبيه على موضع الشكر ...»«[1818]».

هذا وقد أشار إلى القولين التقديم وعدمه دون ترجيح لذلك الإمام الرازي«[1819]» . ونبّه على قول الفرّاء الذي ذكره الإمام مكي الإمام القرطبي«[1820]» دون اعتراض أو ترجيح .

ـ المطلب الرابع : أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام ابن عطية

أشار الإمام ابن عطية لبعض المواضع التي وقع فيها تقديم وتأخير في رتبة الكلام وقام بتوجيه البعض منها وتعليل سبب التقديم والتأخير وذكر الغرض منها ، ومن جملة المواضع التي ذكرها:

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾«[1821]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وقوله تعالى : « إيّاك نعبد »نطق المؤمن إقرار به بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله إذ سائر النّاس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك ، وقدّم المفعول على الفعل اهتماما ، وشأن العرب تقديم الأهم ، ويذكر أنّ أعرابيا سبّ آخر ، فأعرض المسبوب عنه ، فقال له السّاب إيّاك أعني ، فقال : الآخر ، وعنك أعرض فقدّما الأهم »«[1822]».

يخبر الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو إيّاك على الفعل نستعين لغرض الاهتمام مخبرا أنّ من شأن العرب أن تعتني بتقديم الأهم فالأهم وأورد على ذلك مثالا . وما ذكره من تقديم المفعول للاهتمام صحيح هو أحد أغراض تقديم المفعول به على الفعل التي نبّه عليها البلاغيون من أمثال السكاكي وابن الأثير والقزويني والعلوي والطيبي وغيرهم. غير أنّ تقديمه هنا في هذا الموضع ليس غرضه الاهتمام ابتداء بل غرضه التخصيص فقدم المفعول

[1818] ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن : ج ، 24 ، ص 92 .

[1819] ـ مفاتح الغيب : ج 30، ص 744

[1820] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 19، ص 122

[1821] ـ سورة الفاتحة : الآية 5

[1822] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 64 .

على الفعل للدلالة على تخصيص العبودية به وحده سبحانه وتعالى دون غيره من المخلوقين والمعبودين من دونه ، وهذا ما أكّده أكثر أئمة البلاغة كالسّكاكي« [1823] » والقزويني« [1824] » والعلوي« [1825] » وغيرهم .

وقد أشار إلى غرض الاختصاص في هذا التقديم الإمام البيضاوي« [1826] » والإمام النسفي« [1827] » والإمام ابن عادل« [1828] » والإمام أبو السعود« [1829] ». هذا وقد تبع الإمام ابن عطية فيما ذهب إليه من تقديم المفعول للاهتمام الإمام القرطبي ، فقد أورد كلام الإمام ابن عطية وضمّنه في تفسيره« [1830] » .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ « [1831] ».

قال ــ رحمه الله ــ : « قال القاضي أبو محمد يعني أنّ التمثيل لهم ، « وجعلنا » في هذه الآية بمعنى صيّرنا فهي تتعدّى إلى مفعولين الأول « مجرميها » ، والثاني : « أكابرها » وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره : وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ، وقدّم الأهمّ إذ لعلّة كبرهم أجرموا ...»« [1832] ».

[1823] ــ مفتاح العلوم : ص 233

[1824] ــ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 112

[1825] ــ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ص 221

[1826] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1 ، ص 29

[1827] ــ مداك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 32

[1828] ــ اللباب في علوم الكتاب :ج 1 ، ص 195

[1829] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1، ص 9

[1830] ــ الجامع لأحكام القرآن: ج 1 ، ص 145

[1831] ــ سورة الأنعام : الآية 123

[1832] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 402 .

يخبر الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ الفعل جعل يتعدّى لمفعولين هما: «مجرميها وأكابر » وذكر أنّ في الكلام تقديم وتأخير تقديره : وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر غير أنّه قدّم الأهم وهو أكابر لأنّه هو العلة في إجرامهم ، وفي هذا إفصاح صريح بغرض التقديم وهو الاهتمام مقرونا بالسبب وهو تقدم العلة على معلولها فهم لسبب كبرهم وعلوهم أجرموا. وقد أشار إلى التقديم الإمام البيضاوي«[1833]» والإمام الرازي«[1834]» والقرطبي«[1835]» .وضّعف الإمام أبو حيّان رأي الإمام ابن عطية في تجويزه أن يكون مجرميها مفعول أول وأكابر مفعول ثان ، فقال: «وأجاز أبو البقاء أن يكون مجرميها بدلا من أكابر وأجاز ابن عطية أن يكون مجرميها المفعول الأول وأكابر المفعول الثاني . والتقدير : مجرميها أكابر ، وما أجازاه خطأ وذهول عن قاعدة نحوية وهو أن أفعل التفضيل إذا كان بمن ملفوظا بها أو مقدرة أو مضافة إلى نكرة كان مفردا مذكرا دائما ، سواء كان لمذكر أو مؤنث ، مفرد أو مثنى أو مجموع ، فإذا أنث أو ثني أو جمع طابق ما هو له في ذلك ولزمه أحد أمرين : إمّا الألف واللام أو الإضافة إلى معرفة ، وإذا تقرّر هذا فالقول بأنّ مجرميها بدل من أكابر أو أنّ مجرميها مفعول أول خطأ لالتزامه أن يبقى أكابر مجموعا وليس فيه ألف و لام ولا هو مضاف إلى معرفة وذلك لا يجوز»«[1836]» .

وأشار الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله لغرض التقديم في الآية وهو الاهتمام ، حيث قال :« ويحتمل أن يكون جعلنا بمعنى صيرّنا يتعدى إلى مفعولين هما : «أكابر مجرميها »على أنّ مجرميها المفعول الأول وأكابر مفعول ثان ، أي جعلنا مجرميها أكابر . وقدّم المفعول الثاني للاهتمام لغرابة شأنه ...»«[1837]».

[1833]_ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2، ص 181

[1834] _ مفاتح الغيب : ج 13، ص 135

[1835] _ الجامع لأحكام القرآن : ج 7، ص 79

[1836]_ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 217.

[1837] _ التحرير والتنوير : ج 8، ص 48

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾«[1838]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقدّم المفعول على يظلمون للاهتمام ، وهذا نحو : « إيّاك » وغيره »«[1839]».

يخبر الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو «أنفسهم » على يظلمون لغرض الاهتمام نظير قوله تعالى : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ »«[1840]» فيفهم من هذا أنّ الإمام ابن عطية يصرف مطلق تقديم المفعول للاهتمام ، والغرض من هذا الاهتمام الذي ذكره ابن عطية هو التنبيه على أنّ العذاب كان من قبل أنفسهم فهم من عرّضوها له بالكفر والتكذيب .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾«[1841]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والعامل في إذ فعل تقديره : واذكر إذ ، « وابتلى » معناه اختبر ، وإبراهيم يقال : إنّ تفسيره بالعربية أب رحيم ، وقرأ ابن عامر في جميع سورة البقرة أبراهام ، وقدّم على الفاعل للاهتمام ، إذ كون الرب مبتليا معلوم ، فإنّما يهتم السامع بمن ابتلى ، وكون ضمير المفعول متصلا بالفاعل موجب تقديم المفعول ، فإنّما بني الكلام على هذا الاهتمام »«[1842]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه المعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو «إبراهيم »على الفاعل الذي هو «ربّه» لغرض الاهتمام حيث ذكر أنّ المبتلي وهو الله معلوم وواضح لا

[1838] ــ سورة العنكبوت : الآية 40

[1839] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 370 .

[1840] ــ سورة الفاتحة : الآية 5

[1841] ــ سورة البقرة : الآية 124

[1842] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 191

يحتاج إلى تساؤل عنه بخلاف المبتلى وهو إبراهيم فهو الذي قدّم حتّى يتفطن السامع ويعلم ذلك . وهذا تنويه وتنبيه نفيس منه لهذا الغرض ، وقد أخذ ما قرّره الإمام ابن عطية في هذا المقام الإمام القرطبي وضمنّه تفسير فقال : «... وقدّم على الفاعل للاهتمام . إذ كون الرب تبارك وتعالى مبتليا معلوم ، وكون الضمير المفعول في العربية متصلا بالفاعل موجب تقديم المفعول ، فإنّما بني الكلام على هذا الاهتمام ، فاعلمه »«[1843]».

وحمل الشيخ الطاهر بن عاشور معنى التقديم هنا على التشريف فقال :« وتقديم المفعول وهو لفظ إبراهيم لأنّ المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم رب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز. فلذلك لم يقل : وإذ ابتلى الله إبراهيم »«[1844]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾«[1845]» قال ــ رحمه الله ــ : «« إنّ » إيجاب والخطاب لجماعة المؤمنين والمراد بمنكم المنافقون ، و عبّر عنهم « بمنكم » إذ هم في عداد المؤمنين ومنتحلون دعوتهم ، واللّام الداخلة على من لام تأكيد دخلت على اسم « إنّ » لما كان الخبر متقدما في المجرور ، وذلك مهيع في كلامهم كقولك : إنّ في الدّار لزيدا »«[1846]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها خبر إنّ الذي هو منكم لكونه مجرورا . وما أشار إليه هو أحد المواضع والحالات التي يجوز فيها توسط خبر إنّ وتقدمه على اسمه إذا كان ظرفا أو جار ومجرورا فقدّم هنا لكونه مجرورا . ولم ينبه الإمام ابن عطية عن فائدة التقديم هنا فاكتفى بالإشارة إلى ذلك فحسب ، وتقديم المجرور عند البلاغيين يكون لفائدة

[1843]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 96

[1844] ـ التحرير والتنوير : ج 1، ص 702

[1845]ــ سورة النساء : الآية 72

[1846]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 2 ، ص 92 .

الاهتمام أو العناية . ويحتمل أن يكون غرضه هنا هو الاهتمام بالتنبيه على الطائفة التي تتأخر في الخروج وتبطئ عنه حتّى تحترز طائفة المؤمنين منهم وتحتاط لذلك .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾«[1847]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وقدّم هارون قبل موسى لتستوي رؤوس آي السور فنقل معنى السحرة ، وهذا كقوله عزّ وجلّ : ﴿ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾«[1848]» تأخر شتّى إنّما هو لتستوي رؤوس الآي »«[1849]».

يخبر الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها لفظ هارون على موسى وذلك مراعاة لفواصل الآي . وذكر لهذا التقديم نظيرا آخر في قوله تعالى :«أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ » حيث أخرت شتّى مراعاة لفواصل آي السورة . ومراعاة فواصل السورة أحد أغراض التقديم التي أشار إليها البلاغيون«[1850]». فموسى كان له في التقديم باعتبار الشرف والرتبة لكنّه أخر هنا لأنّ سورة طه جري فيها على نسق واحد في رؤوس آياها فلذلك حوفظ على نظامها في ختم الآيات وقدّم هارون وهو مؤخر في الرتبة والشرف عن موسى مراعاة لذلك ، وقد نبّه على هذا الغرض الإمام البيضاوي فقال :« قدّم هارون لكبر سنّه أو لرؤوس الآي ...»«[1851]».

ونبّه أيضا على ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال :« ووجه تقديم هارون هنا الرعاية على الفاصلة »«[1852]».

[1847] ـ سورة طه : الآية 70

[1848] ـ سورة طه : الآية 53

[1849] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 65 .

[1850] ـ انظر : مفتاح العلوم : ص 239

[1851] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4، ص 33

[1852] ـ التحرير والتنوير : ج 13 ، ص 260

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾«[1853]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقدّم الشّر لأنّ الابتداء به أكثر ، ولأنّ العرب من عادتها أن تقدّم الأقل والأردى ...»«[1854]» .

يشير الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها الشرّ على الخير لاعتبار الابتداء بالشر أكثر من الخير ولاعتبار الغلبة و الكثرة ، فقد أخبر أنّ عادة العرب في الذكر أن تبدأ بالأدنى والأقل ثمّ ترتقي إلى الأعلى . وقد أشار إلى هذا التقديم وعلّته الإمام أبو حيّان حيث أورد قول الإمام ابن عطية في تفسيره فقال :« وقدّم الشرّ لأنّ الابتلاء به أكثر ، ولأنّ العرب تقدم الأقل والأردأ ، ومنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات »«[1855]».

وفي ختام الحديث عن هذه النماذج الموردة من تفسير الإمام ابن عطية تبيّن اعتناؤه ــ رحمه الله ــ بأسلوب التقديم والتأخير في تفسيره كثيرا، فقد ذكر أنواعا من مظاهر التقديم والتأخير يأتي في مقدمتها تقديم المفعول به على الفاعل فهو الذي أكثر من ذكره ، كما ذكر تقديم الخبر . وذكر التقديم باعتبار المعاني وذلك في تقديم بعض الأسماء على بعض كتقديم هارون على موسى وتقديم الشر على الخير ، وكان من منهجه في التنبيه على التقديم والتأخير هو النص على ذلك مع توضيح وتعليل سبب ذلك ، ثمّ إيراد الغرض من ذلك التقديم والتأخير في الغالب ، فقد عدّد جملة من الأغراض منها الاهتمام . والاهتمام لرعاية الفاصلة والتقديم باعتبار الشرف . وإن كان الغالب عليه من الأغراض التي أكثر منها هو التقديم لقصد الاهتمام فهو يجعل تقديم المفعول لمطلق

[1853] ــ سورة الأنبياء : الآية 35.

[1854] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 98 .

[1855] ــ تفسير البحر المحيط : ج6 ، ص 289

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاهتمام. وهو بهذا متأثر بالإمام سيبويه فهو من يذهب إلى ذلك ، وبالجملة فهي تنبيهات تؤكد نضج هذا الأسلوب في ذهن الإمام ابن عطية وتؤكد إلمامه به .

ـ المطلب الخامس : أسلوب التقديم والتأخير في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي

لقد أشار الإمام ابن الزبير لبعض صور التقديم والتأخير عند توجيهه للمتشابه من الآيات القرآنية . ومن جملة الإشارات التي ذكرها :

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[1856]» في سورة الفاتحة ، وقوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[1857]» في سورة الجاثية أورد سؤالا قال فيه :« ما الفرق بين الوارد في أمّ القرآن وما جرى مجراها ممّا افتتح بقوله : « الحمد لله » ، وبين الواقع في سورة الجاثية من قوله : « فلّله الحمد »«[1858]» ، ثمّ أجاب عن هذا التساؤل بقوله : « و الجواب عن السؤال الأول : بعد تمهيده ، وهو أن نقول أنّ قوله سبحانه : «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ» مبتدأ وخبر ، وكذلك قوله :«فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ» وتأخر في هذه الثانية المبتدأ ، والحاصل في الموضعين معنى واحد ، وهو حمده تعالى بما هو أصله ، ومعلوم أنّ التقديم والتأخير فيما بين المبتدأ والخبر إذا لم يقع عارض ممّا يعرض في التركيب ، ككون المبتدأ مما يلزم صدر الكلام ، أو كون الخبر كذلك ، فيلزم تقديم ما له الصدرية ، إلى غير ذلك من العوارض وهي كثيرة ، فما لم يعرض عارض يوجب لأحدهما التقديم أو التأخير ، فتقديم أيّهما كان وتأخير الآخر عربي فصيح ، إلاّ أنّ مرتبة المبتدأ التقديم ليبنى عليه الخبر ، فتقديمه عند عدم العوارض أولى، كما في القرآن ، وإذا وضح هذا فللسائل أن يقول : ما الموجب لتقديم الخبر في سورة الجاثية ؟

[1856] ـ سورة الفاتحة : الآية 2

[1857] ـ سورة الجاثية : الآية 36

[1858] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 151 .

وهل كان يسوغ عكس الواقع ؟ والجواب أنّ العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير وتأخير ما مرتبته التأخير ليست منحصرة في جهة التركيب ، بل قد يعرض من جهة المعنى ، وتقدير الكلام ما يقتضي ذلك ويوجبه ، وإذا تقرّر هذا فنقول : إنّ قوله : «﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾»[1859]»ورد على تقدير الجواب ، بعد إرغام المكذب وقهره ووقوع الأمر مطابقا لأخبار الرسل عليهم السلام ، وظهور ما كذب الجاحد به ، فجاء الجواب على ذلك ، فقيل : فلله الحمد ...ولما كان الحمد في سورة الجاثية لم يتقدّم ذكره ، وإنّما هو مقدّر يدل عليه السياق ، لم يكن بدّ من الافصاح به في الجواب ، فقيل : فللّه الحمد ، ولأجل ما قصد من تقريع المكذبين وتوبيخهم عند انقطاع الدّعاوي ووضوح الأمر ...ولما كان الوارد في أمّ القرآن خطابا للمؤمنين وتعليما للمستجيبين مجردا عما قصد في آية الجاثية من توبيخ المكذبين ورد على ما قدّم من الاكتفاء ، وكل على ما يجب ويناسب »«[1860]» .

يشير الإمام ابن الزبير في توجيهه لهاتين الآيتين أنّ آية سورة الجاثية «﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾» تقدّم فيها الخبر على المبتدأ ، وسورة الفاتحة جاء فيها التركيب على الترتيب ، حيث قدّم المبتدأ ثمّ الخبر :«﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾»[1861]» . وقد ذكر أنّ الأصل في ترتيب الكلام أن يذكر المبتدأ ثمّ الخبر ليبنى عليه الكلام ، غير أنّه قد يعدل عن ذلك لوجود بعض العوارض التي تقتضي تأخير ما حقه التقديم أو العكس ، مع بيان أنّ ذلك كله من فصيح الكلام . وفي هذا الموضع من سورة الجاثية قدّم الخبر وهو الجار ومجرور في لفظة «فلله» على المبتدأ في لفظة «الحمد» . وقد وجّه هذا التأخير بأنّه راجع للسياق ذاكرا أنّ موضع الخبر في سورة الجاثية جاء في سياق جواب مقدّر بعد أن قصد من الكلام تقريع المكذبين وإلزامهم الحجة وظهور كذبهم جيء بالحمد شكرا على ذلك ، بخلاف سورة الفاتحة فإنّ الخطاب فيها موجه لعموم المؤمنين لم يقصد منه ما قصد في سورة

[1859]ـ سورة الجاثية : الآية 36

[1860]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 152 ـ 154 .

[1861]ـ سورة الفاتحة : الآية 2

الجاثية لذلك ورد على الأصل في التقديم ، ويمكن القول بأنّ فائدة تقديم الخبر الذي هو جار ومجرور الإيذان والإعلام بالاختصاص أي تخصيص الحمد لله عزّو جل دون سواه فهو المستحق للحمد كله . وتقديم الجار والمجرور مؤذن في الغالب بالاختصاص ، وقد أشار إلى هذا المعنى من المفسرين الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وتقديم لله لإفادة الاختصاص ، أي الحمد مختص بالله تعالى يعني الحمد الحق الكامل مختص به تعالى ...»«[1862]».

في توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾«[1863]» مع المتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾«[1864]» أورد تساؤلا عن السر الذي من أجله قدّمت الشفاعة في الموضع الأول ، وأخرت في الموضع الثاني فقال : « فأخرّ ذكر الشفاعة في هذه الآية وقدّم في الأولى ، يسأل عن ذلك »، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « ووجه ذلك والله أعلم أنّه لما تقدّم في الآية الأولى قوله تعالى : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾«[1865]» والمأمور بالبر قد يأخذ به ويتمسك بموجبه فيسلم من العصيان وتكون في ذلك نجاته وإذا أمكن هذا فقد وقع الاهتداء بأمر هؤلاء الذين قيل لهم : «أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ» فهو مظنّة عندهم لرجائهم أن ينفع عند مشاهدة الجزاء الإحساني للمأمورين بالبر حين قبلوا وامتثلوا أخذا بظاهر حال الأمرين وإن كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون ، وهذا جار على مألوف طمع اليهود ، وقد ورد في ذكر المنافقين تعلقهم في القيامة بقولهم للمؤمنين : ﴿ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ ﴾«[1866]» فطمع من زاد على كونه مع

[1862] ـ التحرير والتنوير : ج 25 ، ص 377

[1863] ـ سورة البقرة : الآية 48

[1864] ـ سورة البقرة : الآية 123

[1865] ـ سورة البقرة : الآية 44

[1866] ـ سورة النساء : الآية 141

المتعلق به أنّه أمره فاقتدى بأمره واهتدى المأمور لما بخلوصه آخذا بظاهر ما صدر عن الآمر ، وإن كان الآمر يبطن خلاف ما أمر به غيره إلاّ أنّ هذا أمكن من التعلق بالكينونة في الدنيا مع النّاجين وإذا تعلق هؤلاء بمجرد كونهم كانوا مع المأمورين ، وإن كان أمره تظاهرا ورياء أمكن ، إلاّ أن ذلك كلّه لا ينفع ما لم يكن إيمان مخلص ، فلتوهم هؤلاء إمكان الشفاعة من أمرهم بالبر وطمعهم في ذلك كان آكد شيء نفي الشفاعة لهم لإمكان توهمها ، ولم يتقدّم في الآية الأخرى ما يستدعي هذا فقدّم فيها ذكر الفئة التي هي أولى وأحرى في كمال التخلص على ما عهد في الدنيا لو أمكنت والله أعلم بما أراد »«[1867]».

يظهر من كلام الإمام ابن الزبير في توجيه السر الذي من أجله قدّمت لفظة الشفاعة في الآية الأولى وأخرّت في الثاني أنّه يرجع ذلك إلى السياق القرآني ، حيث أخبر أنّ ورودها مقدمة على لفظ العدل في الموضع الأول لأنّه تقدّمها قوله تعالى : «أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ»«[1868]» وهم اليهود . وأمرهم لغيرهم بالبر قد يكون فيه استجابة من بعض المأمورين . والمأمورون قد يطمعون في شفاعة من أمرهم بذلك غدا يوم القيامة ، فنفى الله تعالى ذلك عنهم . بخلاف الموضع الثاني فإنّه لم يسبقه شيء من ذلك ، هذا وقد تعرّض لتوجيه التقديم والتأخير في هذين الموضعين بعض المفسرين منهم الإمام أبو حيّان الذي أرجع ذلك لاختلاف أحوال الناس في طلب النجاة والفكاك والتخلص ، حيث قال : « ولما كان الأمر عند الناس مختلفا في طلب الشفاعة والفدية ، فمن يغلب عليه حب الرياسة قدّم الشفاعة على الفدية ، ومن يغلب عليه حب المال قدّم الفدية على الشفاعة ، جاءت هذه الجمل هنا مقدّما فيها الشفاعة ، وجاءت الفدية مقدمة على الشفاعة في جملة أخرى ليدل ذلك على اختلاف الأمرين . وبدئ هنا بالشفاعة لأنّ ذلك أليق بعلو النفس »«[1869]»

[1867] ـ ملاك التأويل : ج 1 ،ص 196 ـ 197 .

[1868] ـ سورة البقرة : الآية 44

[1869] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 350.

وقد أرجع الشيخ الطاهر بن عاشور ذلك إلى التفنن في الكلام الذي تنتفي به السآمة يدفع به الملل عن السامع «[1870]»

في توجيهه للمتشابه اللفظي من قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾«[1871]» وقوله تعالى : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾«[1872]» أورد تساؤلا عن اختلاف الآيتين ، فقال : « للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف ما اختلف في هاتين الآيتين في التقديم والتأخير من قوله : «وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا» ، وقوله : «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ» مع اجتماعهما في معنى واحد من شهادة الرسل على أممهم وشهادة نبينا صلى الله عليه وسلم على أمته » ؟ «[1873]» ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عن ذلك والله أعلم أنّ آية النحل تقدّمها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾«[1874]» ، فتقدّم اسم الشهيد على المشهود فورد ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته عليه السلام ، على أمته مرتبا على ما تقدّمه من مقتضى النّظم في التناظر والتناسب ، فقيل : وجئنا بك شهيدا على هؤلاء متوازنا مع قوله : شهيدا عليهم ، وذلك على ما يجب والله أعلم ،أمّا آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم اشارة بل في آية النساء داع إلى تقدّم المجرور بعلى ، وهو أنّه لما تقدّم قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

[1870] ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 698

[1871] ـ سورة النساء : الآية 41. .

[1872] ـ سورة النحل : الآية 89

[1873] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 341 .

[1874] ـ سورة النحل :الآية 89

﴾»[1875] ، وذلك من صفات المنافقين ، ناسب هذا تقديم المجرور في قوله : «وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا »«[1876]» حتّى كأنّه بحسب المفهوم لم يقصد به غيرهم ولا شهد على من سواهم ، وقد تقدّم نحو هذا ... وأيضا فإنّ قوله : شهيدا في آية النّساء لم يقع في الفواصل بل أثناءها ، ... واستمرار الآيات على ذلك إلى آخر السورة ، ولم يتخلل فيما اكتنف الآية قبلها وبعدها فيما قرب منها غير ذلك ، فقد تقررت فواصل هذه الآي من سورة النحل ، أمّا آية النّساء فبناء نظمها على فواصل روعي فيها مجيئ المنون المنصوب من غير التزام حرف بعينه واستمرت الآي قبلها ، وقوله : «وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا » فاصلة استدعى ورودها على ذلك ما تقدّمها من الفواصل وما تأخر منها ...»«[1877]».

يظهر من توجيه الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ لتقديم لفظ الشهادة على الجار والمجرور في موضع النحل أنّه يرجع ذلك إلى التناسب في النظم ومراعاة السياق ، حيث أخبر أنّ السّر الذي من أجله قدم لفظ شهيدا وهو الحال على الجار والمجرور في «على هؤلاء » لتقدم ذكر لفظ الشهادة مصرحا به في قوله تعالى : « وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا »«[1878]» فناسب إيقاع شهادته صلى الله عليه وسلم عليهم ليتناسب النظم بذلك ويقع متوازنا ، ولما كانت سورة النساء لم يتقدم فيها ذكر الشهادة أخر لفظ شهيدا على الجار والمجرور ، مع ما في ذلك التأخير من مراعاة الفواصل التي ختمت بها رؤوس الآية في سورة النساء ، حيث ختمت بالمنون المنصوب ومجيئ لفظ شهيدا مؤخرا مراعاة لذلك . وبهذا يظهر أنّ التأخير في سورة النساء يرجع لمراعاة الفواصل .

[1875] ـ سورة النساء : الآية 38

[1876] ـ سورة النساء : الآية 41

[1877] ـ ملاك التأويل : ج 1 ،ص 343 .

[1878] ـ سورة النحل :الآية 89

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾«[1879]»، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾«[1880]» أورد تساؤلا قال فيه : « للسائل أن يسأل فيقول : مقصود الآيتين واحد في الموضعين من حيث المعنى ، وهما لقوم بأعيانهم وهم أهل بدر ، رضي الله عنهم فما وجه زيادة لكم في آية آل عمران ولم تزد في الأخرى ؟ وتقديم القلوب على المجرور هنا وتأخيرها في آية الأنفال ؟ ...»«[1881]» .

ثمّ أجاب عمّا تساءل عنه بقوله: « والجواب عن الأول والثاني ، والله أعلم : أنّ آية آل عمران لما تقدّم فيها قوله تعالى : ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ﴾«[1882]» والإخبار عن عدوهم فاختلط ذكر الطائفتين وضمهما كلام واحد فجردت البشارة لمن هدي منهما وإنّهما لأولياء الله المؤمنين ، فجيئ بضمير خطابهم متصلا بلام الجر المقتضية للاستحقاق فقيل : بشرى لكم ، وبيّن أنّ قلوبهم هي المطمأنة بذلك فقيل : «وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ» فقدّمت القلوب على المجرور اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب ، أمّا آية الأنفال فلم يتقدّم فيها ذكر لغير المؤمنين فلم يحتج إلى الضمير الخطابي في لكم ، وأيضا فإنّ آية الأنفال قد تقدّم قبلها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ

[1879] ـ سورة آل عمران : الآية 126
[1880] ـ سورة الأنفال : الآية 10
[1881] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص314 .
[1882] ـ سورة آل عمران : الآية 125

إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾«[1883] » فأغنى عن عودته فيما بعده اكتفاء بما قد حصل مما تقدم من تخصيصهم بذلك »«[1884]».

يشير الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيه للمتشابه بين هاتين الآيتين أنّ تقديم لفظ القلوب الفاعل على الجار والمجرور «لكم »في سورة آل عمران لغرض الاعتناء ببشارة المؤمنين بذلك وتمييزهم عن عدوهم . بأنّهم هم من يحصل لهم الاطمئنان ، وقد تعرَّض لتوجيه هاتين الآيتين والحديث عن تقديم القلوب على الجار والمجرور في سورة آل عمران الخطيب الإسكافي ، حيث قال : « وأمّا تأخير «به» بعد قوله قلوبكم ، فلأنّه لما أخّر الجار والمجرور في الكلام الأول . وهو قوله : «وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ»«[1885] » ، وعطف الكلام الثاني عليه . وقد وقع فيه جار ومجرور وجب تأخيرهما في اختيار الكلام ليكون الثاني كالأول في تقديم ما الكلام أحوج إليه ، وتأخير ما قد يستغنى عنه ... »«[1886]».

فيظهر من كلام الإمام الإسكافي أنّ تقديم لفظ القلوب على الجار والمجرور « به »كان لمناسبة تأخر الجار والمجرور في الموضع الأول في قوله «بُشْرَىٰ لَكُمْ» فجئ به على هذا النّظم ليناسب الكلام الأول في تقديم ما وجب تقديمه وتأخير ما يستغنى عنه .

[1883]ـ سور الأنفال : الآية 7

[1884]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 315 .

[1885]ـ سورة آل عمران : الآية 126

[1886]. ـدرّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز : الخطيب الإسكافي ، ط 3 ، بيروت ، ـ دار الآفاق الجديدة ـ ، 1979 : ص 144

ــ في توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾«[1887]» وقوله تعالى في قصة صالح عليه السلام ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾«[1888]» أورد تساؤلا جاء فيه ما نصّه : « للسّائل أن يسأل عن مجاوبة كل واحد من هذين النبيين الكريمين لقومه ، لم تقدّم المجرور في قوله صالح عليه السلام «وآتاني منه رحمة» على المفعول الثاني من مفعولي أتى الذي هو رحمة والوجه تأخيره لأنّه فضلة كما تقدّم متأخرا في قول نوح عليه السلام : وآتاني منه رحمة »«[1889]».

ولقد أجاب عن هذا التساؤل بقوله : « والجواب عن ذلك والله أعلم :أنّ قوم صالح عليه السلام بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا :﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴾«[1890]» أي : قد كنت مرجوا أن تسود فينا حتى نقطع عن رأيك ونرجع إليك من أمرنا فرموا مقامه النبوي بحط مرتبته عنهم ، فلمّا بالغوا في إساءة الجواب جاوبهم عليه السلام ردا لمقالهم الشنيع بقوله : «أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ » ولا شك أنّه عليه السلام كذلك ، وأنّه على بصيرة من أمره ، ولكنّه خاطبهم على ما يجري في المناظرة من فرض ما لا يعتقده المناظر على حسب نطقه ، ولكنّه يستنزل بذلك مناظره ليقيم الحجة عليه ، فيقول : هب كذا على ما تقوله ، فعلى هذا جرى قول النبي الكريم «أرأيتم إن كنت على بينة من ربي» ... وأكّد بتقديم المجرور في قوله : وآتاني منه رحمة لما يحرز تقديمه من التأكيد ويعطيه بمفهومه من أنّ الرحمة منه سبحانه لا يشرك فيها غيره ، وهو مخصوص لا يحصل مع تأخيره ، فتقديم هذا الضمير

[1887] ــ سورة هود : الآية 28

[1888] ــ سورة هود الآية 63.

[1889] ــ ملاك التأويل : ج 1 ،ص 652 .

[1890] ــ سورة هود : الآية 62

المجرور كتقديمه في قوله سبحانه : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾»[1891] ... ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب ، لأنّ أقصى المفهوم من قولهم : ما نراك إلاّ بشرا مثلنا إلحاقه بهم ومماثلته إيّاهم ، وكلّهم يقولون لو كنت رسولا لكنت من الملائكة ولم تكن لتماثلنا ، فلم يكن في قول هؤلاء ما في قول قوم صالح ، فجرى جوابه عليه السلام ، على نسبة ذلك فقال :﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾»[1892] فأتى بالمجرور مؤخرا في محلّه على ما يجب ، حيث لا يقصد من إحراز المفهوم ما قصد في الآية الأخرى ، فورد كل على ما يلائم ، والله أعلم »»[1893] .

يشير الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيهه للمتشابه من هاتين الآيتين أنّ تقديم الجار والمجرور في «منه» على المفعول به وهو «رحمة» في قصة نبي الله صالح عليه السلام كان لقصد التأكيد والتخصيص ، أي تأكيد الجواب الذي أجاب به صالح عليه السلام قومه، مع تخصيص الرحمة به سبحانه وتعالى وكونها من عنده لا من أحد سواه ، وأمّا تأخير الجار والمجرور في قصة نوح عليه السلام فورد على الأصل من الترتيب لأنّه لما يقصد منها ما قصد في جواب صالح لقومه ولاختلاف حال كل منهما فيما نسب إليه وقيل له ، هذا وقد تعرّض لتوجيه المتشابه في هذين الموضعين الخطيب الإسكافي ، حيث قال : « ... والجواب أن يقال : إنّ المعنيين واحد في الموضعين ، وقول النبيين سواء لأمتهما ، وإنّما اختلفا بإخبار الله تعالى في موضع خبر قدّم فيه المفعول الثاني على الجار والمجرور ، لإجراء هذا الفعل ومفعوليه على ما جرى عليه الفعل الذي قبله ، وهو : ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾»[1894] ف بشرا مفعول ثاني من نراك ، وقوله : « وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ »»[1895] ف اتبعك في موضع المفعول الثاني من نراك ، ثمّ بعده : «بَلْ

[1891] ـ سورة الإخلاص : الآية 4

[1892] ـ سورة هود : الآية 28

[1893] ـ ملاك التأويل : ج 1 ،ص 653 ـ 654 .

[1894] ـ سورة هود : الآية 27

[1895] ـ سورة هود : الآية 27

نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ »«[1896]» ، فلمّا تقدّمت أفعال ثلاثة كل واحد منها يتعدى إلى مفعولين ، والمفعول الثاني منهما لا يحجزه عن الأول معمول فيه ، كان إجراء هذا الفعل الذي هو «وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ » مجرى تلك الأفعال التي وقعت «آتاني» في جوابها ، وجاءت من كلام نوح عليه السلام في مقابلتها أولى ، وأمّا في قصة صالح عليه السلام فإنّه بإزاء قول قومه له : «يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ »«[1897]» ، فوقع خبر كان الذي هو كالمفعول لها وتقدّمه الجار والمجرور ، فجرى جواب صالح عليه السلام فيما صار عبارة عنه من العربية مجرى الابتداء في هذا المعنى ، فترجح في هذا المكان تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى : «وَءَاتَـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً »«[1898]» على المفعول الثاني ، كما ترجح هناك تقديم المفعول الثاني على الجار والمجرور وكل جائز ...»«[1899]».

فهذا النصّ من الإمام الإسكافي يوضح فيه أنّ مجيء المفعول به الثاني في الموضع الأول من قصة نوح عليه السلام مقدما على الجار والمجرور تماشيا مع النسق الذي سيقت فيه الأفعال الثلاث المتقدمة على فعله ، إذ لم يفصل بين المفعول الأول والثاني من الأفعال الثلاثة فاصل من معمول ونحوه . لهذا السبب ورد مفعول الفعل الثاني «آتاني» وهو «رحمة »على هذا النظم .

فهذه هي إذن جملة المواضع التي صرّح الإمام ابن الزبير بوقوع التقديم والتأخير فيها ، ويظهر منها أنّه أشار إلى أنواع كثيرة من التقديم و التأخير ، منها : تقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الجار والمجرور على المفعول به، وتقديم الجار والمجرور على الفاعل ، وتقديم الجار والمحرور على الحال ، والتقديم باعتبار المعاني . وقد حرص على تحليل مواضع التقديم وشرحها مع بيان الغرض من

[1896] ـ سورة هود : الآية 27
[1897] ـ سورة هود : الآية 62
[1898] ـ سورة هود : الآية 63
[1899] ـ درة التنزيل وغرة التأويل : ص 239

التقديم والتأخير في أغلب المواضع ، فقد أشار لجملة من الأغراض كالعناية والتأكيد والتخصيص ومراعاة الفاصلة ومراعاة السياق . وبالجملة فهي إشارة أصيلة تؤكد وقوف الإمام ابن الزبير على أسرار هذه الظاهرة ودرايته بها .

المطلب السادس : أسلوب التقديم والتأخير في كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل)للإمام ابن جزي

أشار الإمام ابن جزي في تفسيره لبعض أنواع التقديم والتأخير ونبّه عليها في كثير من المواضع . و من جملة التنبيهات التي ذكرها:

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾«[1900]».

قال ــ رحمه الله ــ: « إيّاك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده ، وإنّما قدّم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر ، فاقتضى قول العبد إيّاك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، واقتضى قوله : « وإيّاك نستعين » اعترافا بالعجز والفقر وأنّا لا نستعين إلاّ بالله وحده »«[1901]».

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو «إيّاك » في موضعين على الفعلين الذين من بعده وهما « نعبد» و«نستعين»، ثمّ أعقب هذا التنبيه بفائدة هذا التقديم عندما ذكر أنّه قدّم لإفادة الحصر لأنّ تقديم المعمولات يستلزم الحصر . ويريد بالحصر كما هو ظاهر من عبارته التخصيص ، أي تخصيص العبادة والاستعانة بالله وحده دون سواه من المخلوقين، وقد سبقت الإشارة لفائدة هذا التقديم عند الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ.

[1900] ــ سورة الفاتحة : الآية 5

[1901] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 53 .

في تفسير قوله تعالى:﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾«[1902]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وغير مفعول قدّم للاهتمام به أو للحصر »«[1903]» .

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو «أفغير» على فعله «يبغون » لغرض الاهتمام أو الحصر ولم يفصح عن وجه الاهتمام والحصر فأوجز في الغرض ولم يبينه . وقد أشار الإمام الزمخشري ــ رحمه الله ــ لغرض هذا التقديم فقال : « وقدّم على فعله لأنّه أهم من حيث إنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود الباطل »«[1904]». وتبع الإمام الزمخشري في تقرير هذا الغرض كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي«[1905]» والنسفي«[1906]» وأبو السعود«[1907]».

واعترض الإمام أبو حيّان على ما ذهب إليه الزمخشري في تقرير فائدة هذا التقديم وجعله من باب الاتساع في الكلام ، فقال :« ... ولا تحقيق فيه لأنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة لا يتوجه إلى الذوات ، إنّما يتوجه إلى الأفعال التي تتعلق بالذوات ، فالذي أنكر إنّما هو الابتغاء الذي متعلقه غير دين الله ، وإنّما جاء تقديم المفعول به هنا من باب الاتساع »«[1908]»

[1902]ــ سورة آل عمران : الآية 83

[1903] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 154 .

[1904]ــ الكشاف : ج 1، ص 407

[1905]ــ مفاتح الغيب : ج 8، ص 255

[1906]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 167

[1907]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 2 ، ص 54

[1908] ــ تفسير البحر المحيط : 2 ، ص 538.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى :﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾«[1909]» قال ـ رحمه الله ـ « قدّم هذا المفعول للاختصاص والحصر »«[1910]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو «أنفسهم »على فعله «يظلمون» لغرض الاختصاص والحصر ، بيد أنّه لم يبيّن وجه الاختصاص والحصر ويشرحه . ووجه ذلك والله أعلم أنّهم خصّوا أنفسهم بالظلم دون غيرهم وحصروا به أنفسهم دون سواهم ، أي لم يجاوز الظلم إلاّ أنفسهم ولم يتعدّى غيرهم .وقد بيّن غرض هذا التقديم الإمام الزمخشري«[1911]»والإمام الرازي ، حيث قال هذا الأخير : « ...وأمّا تقديم المفعول فهو للاختصاص كأنّه قيل : وخصّوا أنفسهم بالظلم وما تعدّى أثر ذلك الظلم عنهم إلى غيرهم »«[1912]».

وذكر هذا الغرض أيضا الشيخ الطاهر بن عاشور فقال: «وتقديم المفعول للاختصاص ، أي ما ظلموا إلاّ أنفسهم »«[1913]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾«[1914]».

قال ـ رحمه الله ـ : « فإن قيل : لم قدّم المجرور في قوله : «عليكم شهيدا» ، وأخّره في قوله : « شهداء على النّاس » ؟ فالجواب أنّ تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدّم المجرور في قوله :

[1909] ـ سورة الأعراف : الآية 177

[1910] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، 323 .

[1911] ـ الكشاف : ج 2 ، ص 168

[1912] ـ مفاتح الغيب : ج 15 ، ص 406

[1913] ـ التحرير والتنوير: ج 9 ، ص 180

[1914] ـ سورة البقرة : الآية 143.

«عليكم شهيدا» لاختصاص شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته ، ولم يقدّمه في شهداء على النّاس لأنّه لم يقصد الحصر »«[1915]».

يورد الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في معرض تفسيره لهذه الآية تساؤلا مفاده لما قدّم المجرور هنا في قوله : «عليكم شهيدا» وأخرّ في قوله: «شهداء على الناس » وأجاب عن ذلك بأن تقديم المعمولات يفيد الحصر فقدّم المجرور هنا للدلالة على الاختصاص الذي هو أحد أنواع الحصر والمراد بالتخصيص تخصيص الشهادة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره بخلاف الآية الأخرى فإنّه لم يقصد منها ذلك فلذلك لم تتقدم في الرتبة وجاء على الأصل . وما ذكره ــ رحمه الله ــ صحيح فقد نبّه البلاغيون على أنّ المجرور يقدّم لأغراض كالاهتمام والعناية والاختصاص«[1916]».

ويظهر من النّص الذي أورده الإمام ابن جزي أنّه نقله عن الإمام الزمخشري فهو من أورد هذا التساؤل وأجاب عنه ، حيث قال ــ رحمه الله ــ : « فإن قلت لما أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخر ، قلت : لأنّ الغرض في الأول : إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم »«[1917]» وقلد الإمام الزمخشري في هذا القول كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي «[1918]»والإمام النسفي«[1919]» والإمام أبو السعود«[1920]».

[1915] ــ التسهيل لعلوم النزيل : ج 1 ، ص 90 ــ 91 .

[1916]ــ انظر : معترك الأقران ، السيوطي ، ص 142 ، والإيجاز لأسرار كتاب الطراز ، العلوي ، ص 219

[1917]ــ الكشاف : ج 1، ص 225

[1918]ــ مفاتح الغيب : ج 4 ، ص 83

[1919]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 92

[1920]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ،ص 173

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾«[1921]».

قال ــ رحمه الله ــ : «وله يسجدون قدّم المجرور لمعنى الحصر أي لا يسجدون إلاّ لله »«[1922]» .

يشير الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المجرور به وهو «له» على الفعل« يسجدون» لغرض الحصر المراد به الاختصاص أي تخصيص السجود به لا بأحد سواه . وقد نبّه على هذا الغرض الإمام الزمخشري والظاهر نقل الإمام ابن جزي عنه ، حيث قال : ــ الإمام الزمخشري ــ « وله يسجدون . ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره . وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين »«[1923]».

وقد أشار إلى هذا الغرض أيضا الإمام الرازي«[1924]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[1925]» والإمام أبو حيّان وزاد هذا الأخير غرض مراعاة الفاصلة فقال :« وتقديم المجرور يؤذن بالاختصاص أي لا يسجدون إلاّ له ، والذي يظهر أنّه إنّما قدّم المجرور ليقع الفعل فاصلة فأخره لذلك ليناسب ما قبله من رؤوس الآي»«[1926]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾«[1927]».

قال ــ رحمه الله ــ : «وقدّم المجرمون في منتقمون للمبالغة »«[1928]» .

[1921] ـ سورة الأعراف : الآية 206 .

[1922] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 339 .

[1923] ـ الكشاف : ج 2 ، ص 182

[1924] ـ مفاتح الغيب : ج 15 ، ص 447

[1925] ـ التحرير والتنوير : ج 9 ، ص 244

[1926] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 450

[1927] ـ سورة السجدة : الآية 22

[1928] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 161 .

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المجرور وهو «من المجرمين » على خبر إنّ الذي هو «منتقمون» ذاكرا أنّ القصد من ذلك هو المبالغة . ولم يشرح المقصود بالمبالغة هنا ، وقد بيّن الإمام الزمخشري ــ رحمه الله ــ هذا الغرض الذي ذكره ابن جزي وشرحه ممّا يؤكد نقل هذا الأخير عنه ، فقال : « فإن قلت : هلاّ قيل : إنّا منهم منتقمون ؟ قلت لما جعله أظلم كل ظالم ثمّ توعد المجرمين بالانتقام. فقد دلّ على إصابة الأظلم بالنصيب الأوفر من الانتقام . ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة»«[1929]» ، وعليه يكون الإمام ابن جزي أخذ هذا المعنى من الزمخشري واختصره .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ «[1930]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به ، وبيان أنّه كان الواجب المبادرة إلى إنكار هذا الكلام في أوّل وقت سمعتموه »«[1931]» .

يشير الإمام ابن جزي في تفسيره لهذه الآية أنّه قدّم فيها الظرف وهو «إذ » وكانت رتبته التأخير إلاّ أنّه قدّم لغرض الاعتناء والتنبيه على أنّه كان الواجب على من سمع هذا الكلام أن ينكره لأول وهلة سمعه فيها ، وتقديم الظرف لغرض الاعتناء من الأغراض التي يخرج إليها والتي نبّها عليها البلاغيون . فيكون الإمام ابن جزي قد فهم هذا الغرض من سياق الكلام فلذلك أكّده ونبّه عليه

[1929] ــ الكشاف : ج 3 ، ص 522

[1930] ــ سورة النور : الآية 16

[1931] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 3 ، ص 73 .

وفي ختام الحديث عن هذه النماذج الموردة من تفسير الإمام ابن جزي اتضح اهتمامه وعنايته ـ رحمه الله ـ بأسلوب التقديم و التأخير . وذلك في حرصه على بيان تلك المواضع والنص على التقديم والتأخير فيها مع شرحها وبيان الغرض منها ، ومن أنواع التقديم التي نبّه عليها تقديم المفعول به وتقديم الجار والمجرور وتقديم الظرف . وقد كان ينصّ على الغرض من التقديم والتأخير الوارد في الآية فعدّد جملة من الأغراض كالحصر والاعتناء والمبالغة . وإن كان يكثر من التصريح بغرض الحصر وتعميمه على جميع المواضع التي يحصل فيها التقديم و التأخير ، دون بيان للمقصود من ذلك الحصر . وهو في الغالب يريد به التخصيص لكنّه يطلق لفظ الحصر عليه . ويظهر من منهجه كذلك تأثره الواضح بالزمخشري فأغلب المواضع التي ذكر فيها التقديم والتأخير نقلها عن الزمخشري دون التصريح بذلك ، مع انتهاجه لأسلوب الإيجاز والاختصار في النقل عنه. و بالجملة فهذه المواضع تعطي تصورا واضحا عن عناية الإمام ابن جزي بأسلوب التقديم والتأخير وحرصه على التنبيه والإشارة إليه في العملية التفسير للوقوف على الأغراض والأسرار التي يفيدها.

المطلب السابع : أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي

عني الإمام أبو حيّان بأسلوب التقديم والتأخير في تفسيره . وقد تجلى هذا الاعتناء والاهتمام في حرصه على ذكر المواضع التي وقع فيها تقديم وتأخير في القرآن الكريم ، مع بيانه للأغراض والفوائد المتوقفة على ذلك التقديم والتأخير ، ومن جملة المواضع التي نبّه عليها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾«[1932]».

قال ـ رحمه الله ـ : « إيّاك مفعول مقدّم ، والزمخشري يزعم أنّه لا يقدّم على العامل إلاّ للتخصيص ، فكأنّه قال : ما نعبد إلاّ إيّاك ، وقد تقدّم الردّ عليه في تقديره بسم الله أتلوا ، وذكرنا

[1932] ـ سورة الفاتحة : الآية 5

نصّ سيبويه هناك ، فالتقديم عندنا إنّما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول ، وسبّ أعرابي آخر فأعرض عنه وقال : إيّاك أعني فقال له : وعنك أعرض فقدّما الأهم »«[1933]».

يشير الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ لفظ «إيّاك» مفعول مقدم على فاعله وهو «نعبد» في الموضع الأول «ونستعين» في الموضع الثاني ، ثمّ تطرق لمسألة تتعلق بالمفعول به وهي مسألة تقديمه على الفعل فقد أبدى رأي الزمخشري فيها عندما ذكر أنّه يرى تقديمه لمطلق الاختصاص فحسب ، وقد اعترض على مذهبه هذا ، وبيّن بما نقله عن الإمام سيبويه من أنّ التقديم في مثل هذه الحالة إنّما يكون لغرض الاعتناء والاهتمام بالمفعول فهو الأصل في ذلك . وما ذكره ـ رحمه الله ـ من اعتراض لا وجه فيه لأنّ التقديم في غالب الأمر كما يقول البلاغيون لازم للتخصيص ثمّ بعد التخصيص تندرج مقاصد وأغراض أخرى كالعناية والاهتمام فما اعترض به ليس بوجيه ، و قد سبق وأن قلت أنّ التقديم في هذه الآية أفاد معنى تخصيص العبادة والاستعانة لله وحده وحصرهما فيه. وهذا ما ذهب إليه غالب أئمة التفسير كالإمام النسفي«[1934]» وابن جزي«[1935]» والسمين الحلبي«[1936]» وأبي السعود«[1937]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾«[1938]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ... ومجيئه هنا مقدّما على فعله دليل على الاعتناء بذكر المفعول ، وعند الزمخشري : إنّ تقديمه دليل على الحصر والاختصاص ، ولذلك قال : بل تخصونه بالدّعاء دون

[1933] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 143 .
[1934] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 32
1573. ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 53
[1936] ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج 1 ، ص 73
[1937] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ،ص 17
[1938] ـ سورة الأنعام : الآية 41

الآلهة ، والاختصاص عندنا والحصر فهم من سياق الكلام لا من تقديم المفعول على العامل »«[1939]» .

يشير الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لتقدم المفعول به وهو «إيّاه» على فعله «تدعون » لغرض الاعتناء بالمفعول به . ويعرج على رأي الزمخشري الذي يرى فيه أنّ التقديم أفاد معنى التخصيص أي تخصيص المولى جلّ وعلا بالدعاء دون غيره . وينكر عليه كعادته قوله بإفادة التخصيص ، فالإمام أبو حيّان كما يظهر من كلامه إنكاره على الإمام الزمخشري جعل غرض الاختصاص أصلا في التقديم بل الأصل هو الاهتمام والاعتناء والاختصاص تابع يفهم من سياق الكلام . وهو بقوله هذا يتابع الإمام سيبويه الذي نصّ على ذلك .ويخالف ما ذكره المتّأخرون من أئمة البلاغة في جعل الاختصاص لازما للتقديم والاهتمام والعناية تأتي بعده في الغرض والمقصد ، وقد نحا منحى الإمام الزمخشري في القول بإفادة التقديم هنا الاختصاص الإمام النسفي«[1940]» والإمام الألوسي«[1941]» . وأشار إلى الرأيين أي قول الإمام الزمخشري والإمام أبو حيّان كل من الإمامين السمين الحلبي«[1942]» وابن عادل«[1943]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾«[1944]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وتقديم القلوب على السمع من باب التقديم بالشرف وتقديم الجملة التي انتظمتها على الجملة التي تضمنت الأبصار من هذا الباب أيضا ، وذكر أهل البيان أنّ التقديم يكون باعتبارات خمسة : تقديم العلة والسبب على المعلول والمسبب ، كتقديم الأموال على الأولاد

[1939] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 132

[1940] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2،ص 13

[1941] ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج 4،ص 141

[1942] ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج3 ، ص 61

[1943] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج8 ،ص 143

[1944] ــ سورة البقرة : الآية 7

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾«[1945]» ، فإنّه إنّما يشرع في النكاح عند قدرته على المؤنة ، فهي سبب إلى التزوج ، والنكاح سبب للتناسل ، والعلة ، كتقدم المضيء على الضوء ، وليس تقدّم زمان ، لأنّ جرم الشمس لا ينفك عن الضوء ، وتقدّم بالذات ، كالواحد مع الاثنيين ، وليس الواحد بخلاف القسم الأول ، وتقدّم بالشرف ، كتقدّم الإمام على المأموم ، وتقدّم بالزمان كتقدّم الوالد على الولد بالوجود ، وزاد بعضهم سادس ، وهو التقدّم بالوجود حيث لا زمان »«[1946]» .

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها ذكر القلوب على السمع مراعاة لمرتبة الشرف التي هي أحد أسباب التقديم ، ثمّ أشار إلى مسألة دقيقة وهي ذكره لأسباب والاعتبارات التي يكون بها التقديم فذكر تلك الاعتبارات الخمسة . ويعزي البعض ذكرها وتحديدها للإمام الزملكاني فهو أوّل من قال بذلك«[1947]» ، ثمّ تبعه كثير من أئمة البلاغة في هذه المسألة . وفيما تعرّض له الإمام أبو حيّان دليل على وقوفه على الكتب المصنفة في هذا الفنّ واطلاعه عليها.

في تفسير قوله تعالى :﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾«[1948]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ... وقد فسّروا قوله مسلمون بأقوال متقاربة في المعنى ، فقيل : خاضعون ، وقيل : مطيعون ، وقيل : مذعنون للعبودية ، وقيل : مذعنون لأمره ونهيه عقلا وفعلا ، وقيل :

[1945]ـ سورة التغابن : الآية 15

[1946]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 177 ـ 178 .

[1947]ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : العلوي ، ص 219

[1948]ـ سورة البقرة : الآية 132

منقادون ، وقيل : مخلصون ، وله متعلق بمسلمون ، وتأخر عنه العامل لأجل الفواصل ، أو تقدّم للاعتناء بالعائد على الله تعالى »«[1949]».

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه تأخر فيها الخبر وهو مسلمون وتقدّم الجار والمجرور عليه وهو« له » لغرض الاعتناء بالعائد على الله تعالى وهو الإسلام والخضوع والإخلاص له ، أو تقدّم وتأخر الخبر مراعاة لفواصل السورة والمحافظة على نسق أو اخرها . وكلا الغرضين اللذين ذكرهما صحيحان ووجيهان فهما أحد أغراض التقديم سواء الجار والمجرور أو غيره من المعمولات .

وقد حمل الشيخ محمد رشيد رضا التقديم هنا على الاختصاص فقال : « ونحن له مسلمون» أي والحال أنّنا نحن منقادون مذعنون مستسلمون له وحده دون غيره كما يدل عليه تقديم الظرف «له»»«[1950]» ولا تعارض بين الغرضين والمقصدين فكلاهما يحتملهما التقديم ،إذ ينبغي إجراء هذه الأغراض على السعة والمرونة دون الجزم بغرض بعينه وإنّما يراعى فيها سياق النّص و ما تحتمله الآيات والألفاظ من معاني ودلالات .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾«[1951]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقدّمت ذكر المعاذ به على المعطوف على الضمير للاهتمام به ، ثمّ استدركت بعد ذلك الذكر ذريّتها ، كما يقدّم الإنسان بين يدي مقصوده ما يستنزل به إحسان من يقصده ، ثمّ يأتي بعد ذلك بالمقصود »«[1952]».

[1949]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 185 .

[1950]ـ تفسير المنار : ط 1 ، مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م ، ج 1 ، ص 392

[1951]ـ سورة آل عمران 36

[1952]ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 458

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها الجار والمجرور وهو «بك »على «ذريتها» فجعلها معطوفة عليه لغرض الاهتمام بالجار والمجرور ، فهو دائما ينصّ في تقديم الجار والمجرور أو المفعول به أو غيره من المعمولات على الاهتمام فيجعله هو الأصل في ذلك . وقد ذكر الإمام أبو السعود ــ رحمه الله ــ تقدم الجار والمجرور هنا لغرض العناية به ، فقال :« وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لإبراز كمال العناية به »«[1953]».

وذكر غرض الاهتمام الذي أورده الإمام أبو حيّان الإمام ابن عادل ، فقال: «وقدّم المعاذ به على المعطوف الآتي اهتماما به »«[1954]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾«[1955]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا خطاب عام للمؤمن والكافر ، أعلم فيه أنّ مصير الجميع إليه ، فيجازي كلاًّ بعمله ، هكذا قال بعضهم ، وكأنّه لما رأى الموت والقتل أطلقا ولم يقيدا بذكر سبيل الله ، كما قيدا في الآية ، فهم أنّ ذلك عام ، والظاهر أنّه خطاب للمؤمنين كالخطاب السابق ، ولذلك قدّره الزمخشري : لا إلى الرحيم الواسع الرحمة المميت العظيم الثواب تحشرون ، قال : ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللاّم على الحرف المتصل به سيان ليس بالخفي انتهى ، يشير بذلك لمذهبه من أنّ التقديم يؤذن بالاختصاص ، فكان المعنى عنده ، فإلى الله لا إلى غيره تحشرون ، وهو عندنا لا يدّل بالوضع على ذلك ، وإنّما يدّل التقديم على الاعتناء بالشيء والاهتمام بذكره ، كما ذكر سيبويه ، وزاده حسنا هنا أنّ تأخر الفعل هنا فاصلة ، فلو تأخر المجرور هنا لفات هذا الغرض ... وقدّم الموت هنا على القتل لأنّها آية وعظ بالآخرة وحشر وتزهيد في الدنيا والحياة ، والموت فيها مطلق لم يقيد بشيء ، فإمّا أنّ يكون الخطاب مختصا بمن خوطب قبل أو عاما ، واندرج أولئك فيه ، فقدّم لعمومه ، ولأنّه أغلب في النّاس منه للقتل ،

[1953] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2، ص 29

[1954] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 5، ص 176

[1955] ــ سورة آل عمران : الآية 158

فهذه ثلاثة مواضع ما ماتوا وما قتلوا : فقدّم الموت على القتل لمناسبة ما قبله من قوله : ﴿ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى ﴾«[1956]» ، وتقدّم الموت على القتل بعد لأنّه محلّ تحريض بالجهاد ، فقدّم الأهم والأشرف ، وقدّم الموت هنا لأنّه الأغلب »«[1957]» .

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حصل فيها التقديم في موضعين الأول : عند قوله :« لا إلى الله تحشرون » حيث قدمّ الجار والمجرور «إلى الله »على الفعل تحشرون . ولم يأت الكلام على قوله: «إلى الله تحشرون» ، ثمّ أشار لرأي الإمام الزمخشري ـ رحمه الله ـ في التقديم هنا ، حيث فهم من مضمون كلامه أنّه حمله على التخصيص والحصر . وقد أنكر عليه كعادته هذا المذهب وبيّن مذهب سيبويه الذي يجنح إليه وهو أنّه قدّم لغرض الاهتمام والعناية بالمجرور . وقد تابع الإمام الزمخشري في إفادة هذا التقديم معنى الحصر والتخصيص كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي«[1958]» ، والإمام الرازي الذي قال : « واعلم أنّ في قوله : «لا إلى الله تحشرون» دقائق أحدها : أنّه لم يقل : تحشرون إلى الله ، بل قال : لا إلى الله تحشرون ، وهذا يفيد الحصر ، معناه إلى الله يحشر العالمون لا إلى غيره »«[1959]» و الإمام النسفي«[1960]». والإمام الألوسي الذي أكّد كلام الزمخشري وأنكر على أبي حيّان ما ادّعاه من إرادة الاهتمام والدعاء من هذا التقديم فقال : « وإدخال لام القسم على المعمول المقدم مشعر بتأكيد الحصر والاختصاص بأنّ ألوهيته تعالى هي التي تقتضي ذلك . وادّعى بعضهم أنّ تقديم هذا المعمول لمجرد الاهتمام ويزيده حسنا وقوع ما بعده فاصلة . وما أشرنا إليه أولى »«[1961]»

[1956]ـ سورة آل عمران : الآية 156

[1957]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 103 .

[1958]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 45

[1959]ـ مفاتح الغيب : ج 9 ، ص 397

[1960]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 187

[1961]ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج 2، ص 317

الثاني : عند قوله تعالى : «وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ » فقد ذكر تقدّم الموت هنا على القتل لاعتبار العموم . ولاعتبار الغلبة ، أي غلبة وقوعه في النّاس أكثر من القتل . وقدّم القتل على الموت في الآية التي قبل هذه :﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾«[1962]» لاعتبار الشرف والأهمية . ولكونه واقعا في ابتداء إخبار، وقد نقل الإمام أبو حيّان هذا المعنى عن الإمام ابن عطية فهو من صرح به ، حيث قال :« ... وقدّم الموت في قوله تعالى : « وَلَئِن قُتِلْتُمْ »«[1963]» لأنّه ابتداء إخبار فقدّم الأشرف والأهم . والمعنى : ومتم في سبيل الله فوقع أجركم على الله ، ثمّ قدّم الموت في قوله تعالى : «وَلَئِن مُّتُّمْ »«[1964]» لأنّها آية وعظ بالآخرة والحشر وآية تزهيد في الدنيا والحياة والموت المذكور فيها هو موت على الإطلاق في السبيل وفي المنزل وكيف كان فقدّم لعمومه وأنّه الأغلب في الناس من القتل »«[1965]».

فنقل الإمام أبي حيّان هذا الكلام دليل على ارتضائه له وأنّه وجيه في الاعتبار ويضاف إلى ذلك أنّ تلك الأغراض متعارف عليها عند البلاغيين ومتفق عليها .

وفي ختام الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام أبي حيّان اتضح اهتمامه بأسلوب التقديم و التأخير ، وكان منهجه في التنبيه على مواضع التقديم والتأخير بالتصريح بذلك مع الشرح والتحليل . ومن أنواع التقديم والتأخير الذي ورد في تفسيره تقديم المفعول به ، وتقديم الجار والمجرور ، والتقديم والتأخير الذي يرجع للمعاني . وفي نصّه على ذلك يبيّن الغرض الذي أفاده ذلك التقديم أو التأخير، حيث ذكر غرض الاهتمام والعناية والتخصيص والتقديم باعتبار رتبة الشرف ، كما كان من منهجه في تناول هذا الأسلوب مناقشة غيره من المفسرين لا سيما الزمخشري على

1962 ـ سورة آل عمران : الآية 157

1963 ـ سورة آل عمران : الآية 157

1964 ـ سورة آل عمران : الآية 158

1965 ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج1 ، ص 563

وجه الخصوص فقد ظهر في النماذج التي أوردها كثرة اعتراضه عليه في جعله الغرض العام من تقديم المعمولات هو التخصيص أو الحصر ويورد رأيه الذي يقلد فيه الإمام سيبويه القائل بأنّ الغرض من تقديم المعمولات هو الاهتمام والاعتناء أمّا بقية الأغراض الأخرى فتدرك بحسب السياق . وبالجملة فإنّ الإمام أبا حيّان حرص في تفسيره على الإشارة لأسرار التقديم والتأخير في الآيات القرآنية ممّا يؤكد عنايته بهذا الأسلوب من أساليب العربية .

ـ المطلب الثامن: أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام ابن عرفة

وردت الإشارة لبعض أنواع التقديم والتأخير في تفسير الإمام ابن عرفة ، فقد حرص على التنبيه على وقوع تقديم أو تأخير في الآيات القرآنية متبعا ذلك التنبيه بالشرح والتحليل . ومن جملة المواضع التي نصّ على وقوع التقديم والتأخير فيها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾«[1966]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ... فإن قلت أخرّ المجرور هنا وقدّمه في قوله :﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾«[1967]»﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾«[1968]» ، فالجواب : أنّ المراد نفي الريب بالإطلاق ، فيتناول جميع الكتب من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، فليس نفي الريب خاصا بالقرآن فقط ، بل هو عام بخلاف ما لو قيل : « لا فيه ريب » لأوهم خصوص النفي به وبخلاف « وعلى أبصارهم» ، فإنّ الغشاوة خاصة بأبصارهم دون أبصار المؤمنين »«[1969]» .

[1966] ـ سورة البقرة : الآية 2

[1967] ـ سور الصافات : الآية 47

[1968] ـ سورة البقرة : الآية 7

[1969] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1، ص 113.

يشير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في هذا النّص أنّه تأخر الظرف وهو الجار والمجرور في لفظة «فيه» ولم يقدم على لفظة « لا ريب» بخلاف ما جاء في قوله تعالى : «﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾»[1970]وقوله :«﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾»[1971] لأنّه لو تقدّم لأشعر ذلك بالتخصيص ، أي تخصيص نفي الريب عن كتاب واحد وهو القرآن دون بقية الكتب الأخرى المنزلة فالنفي هنا عام ، وقد أخذ ـ رحمه ـ الله هذا المعنى عن الإمام الزمخشري فهو من تطرق لذلك ، حيث قال في تفسيره :« فإن قلت : فهل قدّم الظرف على الريب كما قدّم على الغول في قوله تعالى : «﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ » ، قلت : لأنّ القصد في إيلاء الريب حرف النفي عنه وإثبات أنّه حق وصدق لا باطل . وكذب كما كان المشركون يدعونه . ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد . وهو أنّ كتابا آ خر فيه الريب كما قصد في قوله : «﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ »...»[1972] وقد تعرّض لرأي الزمخشري الشيخ الطاهر بن عاشور وخالفه فيما ذهب إليه فقال:« وقد ذكر الكشاف أنّ الظرف . وهو قوله : «فيه » لم يقدّم على المسند إليه وهو لا ريب ، أي على احتمال أن يكون خبرا ، كما قدّم الظرف في قوله : «﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾» ، لأنّه لو قدّم الظرف هنا لقصد أنّ كتابا آخر فيه الريب . يعني لأنّ التقديم في مثله يفيد الاختصاص. فيكون مفيدا أنّ نفي الريب عنه مقصور عليه وأنّ غيره من الكتب فيه الريب وهو غير مقصود هنا. وليس الحصر في قوله: «لا ريب فيه» بمقصود لأنّ سياق الخطاب للعرب المتحدين بالقرآن وليسوا من أهل كتاب حتّى يرد عليهم . وإنّما أريد أنّهم لا عذر لهم في إنكارهم أنّه من عند الله إذ هم قد دعوا إلى معارضته فعجزوا.»[1973] .

1970ـ سورة الصافات : الآية 47

1971ـ سورة البقرة : الآية 7

1972ـ الكشاف : ج 1 ، ص 76

1973 ـ التحرير والتنوير : ج 1، ص 224

ورأي الشيخ الطاهر بن عاشور وجيه لأنّه اعتمد في الترجيح على قرينة السياق وهي في الحقيقة موجهة للعرب المشركين ووصف الكتاب بتلك الأوصاف موجه لهم لأنّهم هم الذين عارضوه . فيكون المقصود به القرآن الكريم لا غيره من الكتب والله أعلم .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ «[1974]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقدّم المجرور هنا على المفعول ، والأصل تأخيره عنه ، ولا يقدّم إلاّ لنكتة تتوخى ، والحكمة في ذلك أنّ النّداء إقبال على المنادى ، وتخصيص له ، فلو قيل : وإذ قال موسى يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم لقومه لما كان لقومه فائدة »«[1975]» .

يخبر الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيه الجار والمجرور . وهو «لقومه» على المنادى في قوله :« يا قوم » وهذا لحكمة متوخاة وهي زيادة تخصيص المنادى بالنداء دون غيره ، فتقديم المجرور قوّى التخصيص الذي يفيده النّداء وأكّده . وفي هذا شدّ لانتباه السامع واستحضار له .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾«[1976]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وتقديم يعقوب وهو مفعول للاهتمام ، لأنّ الآية نزلت في معرض إقامة الحجة على الكفار وإقامة الحجة إنّما هي بإسناد الأمر ليعقوب لا الموت »«[1977]».

[1974]ــ سورة البقرة : الآية 54

[1975] ــ تفسير ابن عرفة :ج 1 ، ص 289

[1976] ــ سورة البقرة : الآية 133

[1977]ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 422

يشير الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها المفعول به وهو يعقوب على فاعله وهو الموت لغرض الاهتمام بالمفعول به وهو يعقوب لأنّه وهو الذي أسند إليه الأمر بتوصية أبنائه بالموت على الإسلام و التوحيد ، وما ذكره من غرض الاهتمام صحيح فهو أحد أسراره ومقاصده التي يخرج إليها كما ذكر البلاغيون .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾« [1978] ».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... فإن قلت اشتعال الشيب في الرأس سبب في الوهن ، فهلاّ قدّم عليه ؟ قلت : إنّما يؤكد الأضعف بالأقوى ، والوهن أقوى في الدلالة على الضعف من الشيب ، لأنّ الإنسان قد يشيب صغيرا مؤكدا هنا بالأقوى الأضعف فلا فائدة فيه : قال ابن عرفة ، وعادتهم يجيبون بأنّ الوهن سبب خفي ، والاشتغال بالشيب سبب ظاهر يراه كلّ أحد ، فأخّره ليكون كالدليل عليه ، وأجيب بأنّ الوهن يكون لمرض ، فهو قابل للتداوي والرجوع إلى حالته الأولى ، فلمّا عقبه بالشيب دلّ على أنّه أمر لازم »« [1979] » .

يورد الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ـــ في بيانه لمعنى هذه الآية تساؤلا عن السر الذي من أجله أخر التدليل عن الضعف بشيب الرأس بالتدليل عليه بالوهن فقدّم هذا الأخير عليه في التأكيد على الضعف ، ثمّ أجاب عن ذلك بأنّ العادة في التأكيد أن تكون بالأقوى فالوهن أعظم دلالة على الضعف من الشيب . وبهذا الكلام يكون قد فسّر التقديم باعتبار الرتبة فرتبة القوة في الدلالة مقدّمة على رتبة الضعف بديهة ، ثمّ ذكر بعد ذلك توجيه آخر وهو أنّ الوهن سبب خفي أي باطني والشيب سبب ظاهري فقدّم الخفي على الظاهر . وهذا التقديم على هذا التوجيه يفهم على أنّه عبارة عن ترقي في التدليل وذلك بالتنقل من الأسباب الخفية إلى الأسباب الظاهرة .

[1978] ــ سورة مريم : الآية 4

[1979] ــ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 109 ..

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾«[1980]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الأصل تقدّم النّداء على الأمر ، لكنّه قدّم الأمر هنا ، لأنّ في النّداء إقبالا على المنادى ، فبدأ بالأمر لأنّ المقام مقام خزي لهم وتبكيت وإعراض عنهم »«[1981]»

يذكر الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه قدّم فيها الأمر في قوله تعالى : «وامتازوا » على النداء في قوله«أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ». وكان الأصل يقتضي نقيض ذلك . والعلة في ذلك أنّ سياق الآية سياق تبكيت للمشركين وبيان لهم أنّهم مخزيون فاقتضى الخطاب افتتاح الكلام معهم بأسلوب الأمر لما فيه من ترهيب وترويع يناسب ذلك الخزي الذي هم فيه ، بخلاف ما لو افتتحه بالنداء فإنّ فيه إشعار بالإقبال عليهم لذلك لم يناسب تقديمه في هذا المقام . فالتقديم هنا لمراعاة مقام الكلام وسياق الخطاب .

في تفسير قوله تعالى :﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴾ «[1982]» .

قال ــ رحمه الله ــ : « فإن قلت : قدّم هنا السماء على الجبل ، وعكس في أوّل السورة فقدّم الجبل على السماء ، فالجواب بما أجاب ابن مالك في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾«[1983]» قال : العادة أنّ الإنسان إذا أحسّ بأمر مهول مخوف ، فأول ما ينظر إلى جهة فوق ثمّ ينظر إلى أسفل ، وهذه الآية جرت مجرى التخويف فابتدأ فيها بما إليه الإنسان أولا »«[1984]»

[1980]ــ سورة يسن : الآية 59

[1982] ــ سورة الطور : الآية 9

[1983]ــ سورة الغاشية : الآية 17

[1984] ــ تفسير ابن عرفة : ج 4 ، ص 77 .

يورد الإمام ابن عرفة في بيانه معنى هذه الآية تساؤلا عن السر الذي من أجله قدّمت السماء على الجبال في قوله تعالى : « يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا »«[1985]» وقدّمت الجبال في قوله تعالى : ﴿ وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾«[1986]» فأجاب عن ذلك بما نقله عن الإمام ابن مالك بأنّ الإنسان إذا أفزعه أمر أو هاله نظر إلى السماء ورفع بصره إليها خوفا وبعدها ينظر أسفل منه . وهذه الآية سيقت في مساق التخويف فلذلك ابتدأ بذكر ما يخاف الإنسان منه أولا .وهذا التخريج الذي أورده الإمام ابن عرفة عن الإمام ابن مالك يفيد أنّ التقديم باعتبار رتبة التشريف والتخويف ، فالسماء أشرف في الإيجاد والسبق من الجبال كما أنّ المقام مقام تخويف فلذلك قدّم ما يراعي ذلك . والتشريف والتخويف أحد أنواع التقديم التي نبّه عليها البلاغيون.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾«[1987]».

قال ـ رحمه الله ـ : « قيل : أخر النور هنا ، وقدّمه في سورة التحريم ، أجيب بأنّ المقصود هناك الذوات بخلاف هذه ، فإنّ المقصود فيها بيان شرف المؤمنين ، فناسب الاعتناء بذكر الصفة وغلب الأيمان على الشمائل ، والمراد أنّ نورهم يعم جميع جهاتهم يمينا وشمالا ، أو يقال : أنّ بين أيديهم يعم اليمين والشمال ، وعطف عليه بإيمانهم تشريفا لجهة اليمين بالذكر »«[1988]»

يخبر الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها تأخير ، حيث أخّر لفظ النور في قوله : «يَسْعَىٰ نُورُهُم» بخلاف ما جاء في سورة التحريم فإنّه قدّم فيها النور على السعي . وقد بيّن الفرق بينهما ،فذكر أنّ الواقع في سورة النور قصد به الذوات أي ذات المؤمنين أنفسهم والتي في سورة الحديد قصد بها بيان شرفهم . فهذا التأخير قصد به بيان شرف المؤمنين .

[1985]ـ سورة طه : الآية 9

[1986]ـ سورة الطور : الآيتان 1 ـ 2

[1987]ـ سورة الحديد : الآية 12

[1988]ـ تفسير ابن عرفة : ج 4 ، ص 159 .

هذا وقد تعرّض الإمام ابن الزبير ــ رحمه الله ــ للفرق بين هذين الموضعين وأجاب عن سر التقديم في الأولى والتأخير في الثانية فقال:« ووجه ذلك والله أعلم : أنّ قوله في سورة التحريم :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾«[1989] » يفهم من حيث المعية قرب المنزلة وعلو الحال فتقدم ثبوته ، فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه ، أمّا قوله في سورة الحديد فبشارة للمؤمنين . ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم . فلم يتحصل ممّا يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما تحصل في آية التحريم . إنّما هذه بشارة . فناسبها التجدد والحدوث ، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من المعنى : فقيل : يسعى نورهم بين أيديهم ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء فورد كل على ما يجب ويناسب »«[1990] » .

من خلال هذا النّص الورد عن الإمام ابن الزبير يظهر فيه أنّه جعل التقديم الذي في سورة التحريم لمنزلة القرب فهو تقديم بالرتبة . وأمّا التأخير الذي في سورة الحديد لفقدان القرب والمنزلة . وجاء للبشارة وبيان شرف المؤمنين فتأخرت رتبة الشرف عن رتبة القرب فلذلك لم تقدّم ، وبهذا يكون توجيه الإمام ابن عرفة معتبرا في التفريق بين الموضعين وتعليل التأخير في سورة الحديد.

من هذا العرض استبانت عناية الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ بظاهرة التقديم والتأخير في تفسيره ، فهذه النماذج أكّدت ذلك . وكانت طريقته في عرض تلك المسائل بالنصّ على التقديم والتأخير في الآية مع الشرح والتعليل الذي من أجله قدمت الكلمة أوأخرت . وقد أشار لجملة من أنواع التقديم والتأخير كتقديم الظرف و تأخيره ، وتقديم الجار والمجرور ، وتقديم الفاعل، وتقديم الأمر على النداء ، والتقديم باعتبار المعاني كالتقديم بالرتبة والشرفة والقوة . وهو ينص في كل موضع ذكر فيه التقديم والتأخير على الفائدة والغرض من ذلك، فأورد من الأغراض والأسرار التعميم والتخصيص والاهتمام ومراعاة الشرف والقرب ، وكل هذا يؤكد إدراكه لهذا الأسلوب وعنايته به .

[1989] ــ سورة التحريم :الآية 8

[1990] ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 468

المبحث الخامس : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الحذف

المطلب الأول : مفهوم الحذف لغة واصلاحا

قبل بيان معنى الحذف عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاّ الوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح ، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم المعاني ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

ـ الفرع الأول : الحذف لغة

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

جاء في كتاب العين :« الحذف : قطف الشيء من الطرف ، كما يحذف طرف ذنب الشاة ، والمحذوف الزّق قال الأعشى :

قاعدا حوله النّدامى فما ينفك يؤتى بموكر محذوف .

والحذف الرمي عن جانب ، والضرب عن جانب ، وتقول : حذفني فلان بجائزة أي : وصلني ، وحذفه بالسيف على ما فسّرته من الضرب عن جانب ، والحذف ضرب من الغنم السّود الصّغار واحدها حذفة ... ،قال الشاعر : فأضحت الدّار قفرا لا أنيس لها إلاّ القهاد مع القهي والحذف «[1991]» .

فكتاب العين أفادنا بأنّ لهذه اللفظة أربع مدلولات فهي تطلق ويراد بها القطع مطلقا أومن طرف ، وإن كان الخليل ذكر معنى القطع من طرف فحسب ، أو يراد بها الرمي من جانب ، أو الضرب من جانب ، أو الوصل .

[1991] ـ باب الحاء والذال والفاء معهما ، ج 3 ، ص 201 ـ مادة حذف ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجاء في الصحاح للجوهري : « حذف الشيء إسقاطه ، يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدّابة : أي أخذت »«[1992]» .

فالإمام الجوهري يخبر أنّ الحذف معناه الإسقاط .

وقال ابن منظور : «حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه ، والحجّام يحذف الشعر من ذلك ، والحذافة ما حذف من شيء فطرح ، وخصّ اللحياني به حذافة الأديم الأزهري ، والحذفة القطعة من الثوب ، وقد احتذفه ، وحذف رأسه ، وفي الصّحاح حذف رأسه بالسيف حذفا ضربه فقطع منه قطعة والحذف الرمي عن جانب ، والضرب عن جانب ، تقول حذف يحذف حذفا ، وحذفه حذفا ضربه أ ورماه عن جانب ، وحذفه بالعصا وبالسيف يحذفه حذفا »«[1993]»

فالمادة المعجمية من لسان العرب نرى فيها أنّ ابن منظور ذكر ثلاث معاني للحذف ، وهي القطع ، والضرب ، والرمي

وبالنظر في هذه المعاجم والقواميس نجد أنّ مصطلح الحذف يطلق ويستعمل في عدة معاني منها : القطع ، والضرب ، والرمي ، والوصل ، والإسقاط ، ولعلّ أقرب المعاني صلة بالمعنى الاصطلاحي المعهود والمعروف عند اللغويين والبلاغيين هو معنى القطع و الإسقاط .

الفرع الثاني : الحذف اصطلاحا

بعد بيان معنى الحذف في اللغة والخلوص إلى أنّ مدلوله يفيد معنى القطع والإسقاط ، بقيت الإشارة للمعنى الاصطلاحي لهذا المبحث البلاغي ، والكشف عن حقيقته وماهيته يستدعي الحديث عن البوادر والإشارات الأولى لهذا الموضوع حتّى نقف حقيقة على مقصود المتقدمين منه ، وندرك كيفية تطور البحث في أسراره وأغراضه .

[1992] ـ ج 4 ، ص 27 ـ مادة حذف ـ

[1993] ـ لسان العرب : ابن منظور ، ج 9 ، ص 39 ـ مادة حذف ـ

يرى البعض أنّ أوّل من استعمل مصطلح الحذف استعمالا علميا هو الإمام سيبويه «[1994]» ، وعمدتهم في ذلك هو الاستناد إلى ما وصل إليهم من آثار ومصنفات دون اعتبار ما ضاع أو فقد منها ، وبالرجوع إلى كتاب سيبويه لنقف على إشارته لهذا المصطلح ، ومعرفة حدود المجالات التي أطلقها عليه ، وجدنا أنّه يطلق مصطلح الحذف على إسقاط أي جزء من أجزاء الكلام ، فيطلق الحذف على إسقاط الحركة الإعرابية فمن أمثلة ذلك قوله : « واعلم أنّ الآخر إذا كان يسكن في الرفع حذف في الجزم لئلاّ يكون الجزم بمنزلة الرفع ، فحذفوا كما حذفوا الحركة ونون الاثنيين والجميع »«[1995]» ، كما أنّه يطلق الحذف على إسقاط الحرف من الكلمة ، ومن أمثلة ذلك قوله : « لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم المنون ، ولكن حذفوها كما حذفوها من اللذين واللذين حيث طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر »«[1996]» ، كما أنّه يطلق الحذف على إسقاط الفعل ، ومن ذلك قوله : « كما قال : تا الله رجلا وسبحان الله رجلا ، وإنّما أراد ت الله ما رأيت رجلا ولكنّه يترك الإظهار استغناء لأنّ المخاطب يعلم أنّ هذا الموضع إنّما يضمر فيه هذا الفعل لكثرة استعمالهم إيّاه »«[1997]» ، ويطلق الحذف على إسقاط الاسم ومن ذلك قوله : « هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافا ، وذلك قولك : ليس غير ، وليس إلاّ كأنّه قال : قال: ليس إلاّ ذاك ، وليس غير ذاك »«[1998]».

فهذه الأمثلة وغيرها توضح أنّ مصطلح الحذف عند سيبويه يطلق على حذف عنصر من عناصر الكلام ، كما يلحظ على إشارة سيبويه للحذف أنّه لم يخصّه بتعريف ووضع حدّ ضابط له ، وإنّما اكتفى بالتمثيل ، وقد اعتذر البعض له عن ذلك بأنّ الشواهد والأمثلة تغني عن التعريف

[1994] ـ ينظر : أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز : مصطفى شاهر خلوف ، ط 1، عمّان ـ دار الفكر ـ 1430 هـ ـ 2009 م ، ص 13 .

[1995] ـ الكتاب : ج 1، ص 23

[1996] ـ المصدر نفسه: ج1 ، ص 186

[1997] ـ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 294

[1998] ـ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 344

«[1999]» . وهذا صحيح وهي ديدن وعادة المتقدمين فإنّهم يكتفون في الحدود بالتمثيل الذي هو أحد طرق التعريف .

ومن الملاحظات المسجلة على تنبيهات سيبويه لظاهرة الحذف وجدنا أنّه قد تطرّق كثيرا لأغراض ومقاصد هذه الظاهرة ، فنبه عليها في كم موضع من كتابه ، ومن أمثلة ذلك قوله : « وحذفوا كما قالوا حينئذ الآن ، وإنّما يريد حنئذٍ واسمع إليّ فحذف ، واسمع كما قال تالله ما رأيت كاليوم رجلا ، أي كرجل أراه اليوم رجلا ، وإنّما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا ، ولأنّ المخاطب يعلم ما يعني فجرى بمنزلة المثل كما تقول لا عليك وقد عرف المخاطب ما تعني أنّه لا بأس عليك »«[2000]» .

ومن النحاة الذين تعرّضوا لمصطلح الحذف الإمام ابن السّراج ، فقد تردد هذا المصطلح في كتابه كثيرا ، ومدلوله عنده مشابه لمدلوله عند سيبويه ، فهو يطلق الحذف على إسقاط أي جزء من أجزاء الكلام حركة إعرابية أو حرفا أو اسم أو فعلا ، كما أنّه أشار إلى بعض أغراض الحذف كعلم السامع بالمحذوف ، ودلالة ما قبله عليه ، والاتساع في الكلام ، وطلب التخفيف ، وغيرها من الأغراض ، إلاّ أنّه لم يؤثر عنه تعريف لمصطلح الحذف ، وإنّما اكتفى بالتمثيل والتحليل وبيان مواطن الحذف وأغراضه«[2001]» .

ومن العلماء الذين تعرّضوا لظاهرة الحذف الإمام الرّماني ، وإشارته إليه كان فيه نوع من التطور ، حيث انتقل الحديث عنه من التمثيل بالشواهد والإشارة إلى الأغراض إلى تعريفه ، فقد عرّف الحذف بأنّه :« إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام »«[2002]»،

[1999] ــ أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز : مصطفى شاهر خلوف ، ص 14 .

[2000] ــ الكتاب : ج 1 ، ص 224

[2001] ــ ينظر : الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ، ط 3 ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1988 م ، ج 1 ، ص 67 ــ 68 ، ج 2 ، ص 315 ــ 316 ــ 317

[2002] ــ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني : ط 3 ، تحقيق محمد خلف الله ـ محمد زغلول سلام ، مصر ـ دار المعارف ـ د ت ، ص 76 .

ثمّ مثلّ له ببعض الشواهد من نصوص القرآن ، فقال : « فمن الحذف ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾«[2003]» ومنه ﴿ولكن البرّ لمن اتقى ﴾«[2004]» ومنه ﴿براءة من الله ﴾ومنه ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ ، «[2005]» ومنه حذف الأجوبة ، وهو أبلغ من الذكر ، وما جاء في القرآن منه كثير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾«[2006]» قيل : حصلوا على النّعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير ، وإنّما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأنّ النّفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان ، فحذف الجواب في قولك : لو رأيت عليا بين الصفين أبلغ من الذكر لما بيّناه »«[2007]».

فإشارة الإمام الرّماني فيها نوع من الارتقاء والتطور في الحديث عن الحذف ، وحديثه عنه كان تحت معرض الإشارة إلى مبحث الإيجاز الذي هو عند أحد وجوه البلاغة و أقسامها .

ومن النّحاة الذين تعرّضوا لظاهرة الحذف الإمام ابن جني ، ففي عقده لباب في شجاعة العربية جعل الحذف أوّل مظاهر تلك الشجاعة غير أنّ حديثه عنه لم يكن بوضع تعريف له ، وإنّما كان ببيان المواضع التي يعتريها الحذف ، فذكر أنّ العرب حذفت جميع أجزاء الكلام من الحركة والحرف والمفرد والجملة ، فقال : « قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة والحرف ، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه ، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته »«[2008]».

[2003] ـ سورة يوسف : الآية 82

[2004] ـ سورة البقرة الآية 189

[2005] ـ سورة محمد : الآية 21

[2006] ـ سورة الزمر : الآية 73

[2007] ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 76 ـ 77 .

[2008] ـ الخصائص : ج 2 ، ص 360

فهذا النّص من الإمام ابن جنّي يقرر فيه أنّ الحذف إذا لم يكن له دليل يدل عليه كان ضربا من التكلف المفضي للتعقيد ، ثمّ شرع في التمثيل لمظاهر الحذف في العربية .

ومن العلماء الذين تعرّضوا لمصطلح الحذف الإمام الباقلاني ، فقد ذكره تحت وجه الإيجاز الذي عدّه أحد وجوه البلاغة ، فأخبر أنّ الإيجاز نوعان إيجاز بالحذف وإيجاز بالقصر ، ثمّ عرّف الحذف بقوله : « فالحذف الإسقاط للتخفيف كقوله : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾«[2009]» ، وقوله : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾«[2010]» ، وحذف الجواب كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾«[2011]»، كأنّه قيل لكان هذا القرآن ، والحذف أبلغ من الذكر لأنّ النّفس تذهب معه كلّ مذهب في القصد من الجواب »«[2012]» .

وممّن تعرّض للحذف من البلاغيين بعد الإمام الباقلاني الإمام ابن سنان الخفاجي فقد تناوله تحت دائرة حديثه عن الإيجاز ، وعرّفه بقوله : « إسقاط كلمة لدلالة فحوى الكلام عليها »«[2013]» ،كما قام بالتمثيل لبعض أساليب الحذف ومجالاته من القرآن الكريم .

ولما جاء إمام البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني بنظرية النّظم تناول مبحث الحذف ووصفه بأنّه « باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسّحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمّت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن »«[2014]» . ثمّ أشار إلى بعض مواضعه كحذف المبتدأ ، وحذف

[2009] ــ سورة يوسف : الآية 82

[2010] ــ سورة محمد : الآية 21

[2011] ــ سورة الرعد : الآية 31.

[2012] ــ إعجاز القرآن : ج 1 ، ص 262 .

[2013] ــ سر الفصاحة : ص 211

[2014] ــ دلائل الإعجاز : ص 146 .

الفعل ، وحذف المفعول به ، مع التمثيل لكل ذلك بفصيح الشعر والنثر ، وبيان الأغراض التي تضمنها الحذف في كل موضع .

وبمجيئ الإمام السّكاكي الذي قسّم البلاغة إلى علومها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) ، فإنّه أدرج ظاهرة الحذف ضمن مباحث علم المعاني ، وتطرقه له كان تحت مباحث المسند والمسند إليه ، ومتعلقات الفعل ، فأشار إلى أنّ المسند إليه يحذف ويطوى ذكره إذا كان السّامع مستحضرا له عارفا القصد منه ، أو يحذف لضيق المقام ، أو للاحتراز عن العبث ، أو للتخييل أنّ في تركه تعويلا على شهادة العقل ، أو أنّ في ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، أو لإيهام أنّ في تركه تطهيرا للسان عنه أو تطهيرا له عن لسانك ، أو للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل للإنكار إن مست الحاجة إلى ذلك ، أو لأنّ الخبر لا يصلح إلاّ حقيقة أو لأنّ الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره ، أو لأغراض أخرى بحسب المقامات لا يهتدى إلى أمثالها إلاّ العقل المستقيم والطبع المستقيم «[2015]» ، ثمّ أخبر أنّ المسند يحذف كذلك لأغراض منها الاكتفاء بذكر المسند إليه فيعرف المسند ، أو لتعلق غرض بتركه كاتباع استعمال أو قصد اختصار ، أو احتراز عن عبث ، أو ضيق المقام ، أو للتخييل أنّ العقل عند الترك هو معرفة ،و أنّ اللفظ عند الذكر هو معرفة من حيث الظاهر، أو الخروج إلى ما لا يراد عند ذكره ، أو لاختبار السامع ، أو لتكثير الفائدة بالمذكور من حمله عليه تارة وحمله عليه أخرى «[2016]» .

وعند حديثه عن الفعل و متعلقاته ذكر أنّ الفعل يحذف إذا أغنت قرائن الأحوال عن ذكره قصد الاختصار ، أو اتباع الاستعمال الوارد على تركه ، أو أن يكون مفسرا أي الفعل ، أو أن يكون هناك حرف إضافة ، أو أن يكون الكلام جوابا عن سؤال قد وقع ... إلى آخر ما ذكر من أغراض أخرى ، ثمّ أخبر أنّ المفعول يحذف لقصد التعميم ، أو القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم ذهابا ، أو القصد إلى مجرّد الاختصار لنيابة القرائن عن ذكره أو رعاية الفاصلة

[2015] ـ مفتاح العلوم : ص 176 .

[2016] ـ المصدر نفسه: ص 213 .

، أو استهجان ذكره أو غيرها من الأغراض المناسبة للترك ، ثم أشار إلى إضمار الفعل مبينا أنّه يضمر إذا كان المقام مقام حكاية أو خطاب ، أو إذا كان الفاعل مسبوقا بالذكر أو في حكم المسبوق «[2017]» .

ولقد سار على شاكلة الإمام السكاكي في معالجة ظاهرة الحذف الخطيب القزويني ، حيث انتهج نهجه في ذلك ، وذلك بتناوله موضوع الحذف في محاور المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل ، وأشار إلى ما ذكره السّكاكي من أغراض ومقاصد تضمنها الحذف في هذه المباحث .

وقد تعرّض لظاهرة الحذف بالتعريف والتمثيل بعد الإمام القزويني كثير من أئمة اللغة وعلوم القرآن منهم الإمام الزّركشي الذي خصّص له مبحثا في كتابه البرهان في علوم القرآن ، والذي يهمنا من ذلك هو تعريفه له ، حيث عرّفه بقوله : « الحذف لغة هو الاسقاط ، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه ، واصطلاحا : إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل »«[2018]» .

وبعد هذا العرض لظاهرة الحذف عند اللغويين والبلاغيين خرج كثير من الباحثين المعاصرين بتعريفات ارتأيت أن أذكر منها ما وجدته جامعا ومانعا ، فأوقفني تعريف الدكتور مصطفى شاهر خلوف عندما عرّفه بقوله : « هو إسقاط عنصر من عناصر النّص سواء كان كلمة أو جملة أو أكثر على أن يكون الإسقاط لغرض من الأغراض البيانية مع وجود قرينة تدل على ذلك »«[2019]» .

ففي تعريفه هذا قد أشار إلى جميع تراكيب الكلام التي يشملها الحذف مع تأكيده على ضرورة وجود الغرض البلاغي المقتضي للحذف ووجود القرينة الدالة على المحذوف التي هي أحد شروط الحذف .

[2017] ــ مفتاح العلوم : ص 236 .

[2018] ــ ج 3 ، ص 102 .

[2019] ــ أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز : ص 23 .

المطلب الثاني : بلاغة الحذف في اللغة العربية

إنّ الحذف أسلوب من أساليب العرب في الكلام وسنة من سننهم في التعبير عن المعاني ، ولقد أدرك البلاغيون أسراره ، ونبّهوا على عظيم موقعه في لغة العرب ، فهذا الإمام الرماني يتحدث عن قيمة وفضيلة الإيجاز الذي أحد طرقه الحذف فيقول : « وإذا عرفت الإيجاز ومراتبه ، وتأملت ما جاء في القرآن منه ، عرفت فضيلته على سائر الكلام ، وهو علوّه على غيره من سائر الكلام ، وعلوّه على غيره من أنواع البيان ، والإيجاز تهذيب الكلام بما يحصل به البيان والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن ، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، و الإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير »«[2020]» ، وقد أخبر في موضع آخر عند تمثيله لبعض أساليب الحذف أنّ النّفس تذهب مع الحذف إلى كل مذهب ، فقال : « ... وإنّما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأنّ النّفس تذهب فيه كلّ مذهب »«[2021]» .

وقد أكّد الإمام الباقلاني ما أشار إليه الإمام الرّماني فصرّح بأنّ الحذف أحسن من الذكر فقال : « والحذف أبلغ من الذكر لأنّ النّفس تذهب معه كلّ مذهب في القصد من الجواب »«[2022]» .

كما أكّد الإمام ابن سنان الخفاجي ما سبقه إليه الإمامان الرماني والباقلاني بقوله : « ... وفي هذا الحذف مع الدلالة على المراد فائدة لأنّ النّفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ورد ظاهرا في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة ، كما تقول : لو رأيت عليا بين الصفين ، وتحذف الجواب فيذهب السّامع كلّ مذهب ، ولو قلت : رأيت عليا عليه السلام بين الصفين لرأيت شجاعا أو لرأيت رجلا يقتل الأبطال أو ما يجري هذا المجرى لم

[2020] ـ النكت في إعجاز القرآن: ص 80 .

[2021] ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ص 77

[2022] ـ إعجاز القرآن : ج 1 ، ص 262 .

يكن في العظم عند السامع بمنزلة حذف الجواب لأنّه يذهب مع الحذف كل مذهب ،ولا يعول على نفس ما كان يرد في اللفظ فقط »«[2023] .

ولإمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني وقفات ومحطات مع باب الحذف فقد وسمه بأنّه باب دقيق المسلك ، وأنّ الواقف عند أسراره يجد أنواعا من اللطف والظرف وشيئا شبيها بالسحر لما يضفيه من أغراض ومقاصد تأنس بها النّفس وترتاح لها ، فيقول في إحدى إشاراته عن ذلك : « هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ بيان إذا لم تبن »«[2024].

وكذلك الحال والشأن عند الإمام ابن الأثير حيث تحدّث عن بلاغة الإيجاز بالحذف وأخبر أنّ باب عجيب الأمر شبيه بالسّحر ، لأنّ النّاظر فيه يرى ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وترك النطق أبلغ من النطق ، والمتكلم يكون أبين إذا لم يبن «[2025]».

كما كان للإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ رأي في بلاغة الحذف وقيمته الجمالية ، فذكر أنّ الجهة التي استحق الحذف منها مرتبة الحسن هو طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل «[2026]» .

ثمّ أخبر عن فائدته بقوله : « ... وأمّا الثاني ففائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشدّ وأكثر وكان ذلك أحسن »«[2027]»فهذه إذن وقفة مع بلاغة الحذف وأهميته في اللغة العربية حاولنا فيها الإشارة إلى بعض

[2023] ــ سرّ الفصاحة : ج 1 ، ص 211 .

[2024] ــ دلائل الإعجاز : ص 146 .

[2025] ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، د ط،ت : محي الدين عبد الحمد ، بيروت ــ المكتبة العصرية ، 1995 م، ج 2 ، ص 95 .

[2026] ــ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ص 71 .

[2027] ــ المصدر نفسه : ص 71 .

الجوانب والمظاهر التي استحقت من أجلها هذه الظاهرة تلك المنزلة بين الأساليب العربية ، وذلك بما أشرنا إليه من تنبيهات وتنويهات لفطاحل البلاغيين واللغوين عن ذلك ، وبعدها نسعى بحول الله تعالى إلى تجلية أغراض ومقاصد تلك الظاهرة ببيان جهود المفسرين المغاربة في تناولها والوقوف على مدى إسهاماتهم في الغوص فيها والكشف عن أسرار مقاصدها ومكنون أغراضها .

المطلب الثالث : أسلوب الحذف في تفسير الإمام مكي الهداية إلى بلوغ النهاية

سأسعى في هذا المطلب لبيان جهود الإمام مكي في تناول أسلوب الحذف في تفسيره . وذلك بعرض النماذج والأمثلة صرّح فيها بذلك . وذلك للوقوف على طريقته في عرضها ومنهجه في إيرادها ، ومن جملة المواضع التي نصّ فيها على الحذف :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾«[2028]».

قال ــ رحمه الله ــ : « روي عن ابن عامر « زيّن » بالضم ، و «قتل» بالرفع : اسم ما لم يسم فاعله ، أولادهم بالخفض على الإضافة شركاؤهم بالرفع على إضمار فعل دلّ عليه زيّن كأنّه قيل : زيّنه شركاؤهم ...»«[2029]» .

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه روي فيها قراءة عن الإمام ابن عامر مفادها أنّه قرأ الفعل زيّن بالبناء للمجهول ، ورفع قتل على أنّه نائب فاعل وأولادهم بالخفض على أنّه مضاف إليه ، وشركاؤهم فاعل لفعل محذوف أو مضمر دلّ عليه الفعل الأول زيّن ، وقدّره بقوله: « زيّنه شركاؤهم ». وما نسبه له من هذه القراءة ليس بصحيح ، وإنّما تنسب لصاحبه أبو عبد الملك قاضي الجند ، وقرأ بها أيضا السلمي والحسن . وهذا التخريج الذي خرّجه

[2028]ــ سورة الأنعام :الآية 137

[2029]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، 2196 .

لهذه القراءة ينسب للإمام سيبويه«[2030]» ، فهو من وجهها بهذا التوجيه ، وعليه يكون الشركاء هم المزينون ، وعليه فالإمام مكي يكون ناقلا هذا المعنى عن الإمام سيبويه دون التصريح بذلك .

في تفسير قوله تعالى :﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾«[2031]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وكيف هذه قد حذف الفعل بعدها لدلالة ما تقدّم من الكلام عليه ، قال الأخفش : المعنى كيف لا تقتلونهم ، وقال أبو إسحاق : التقدير كيف يكون لهم عهد ، « وإن يظهروا عليكم » ، وقد حذف هذا الفعل ، لأنّه تقدّم ما يدّل عليه ، ومثله قول الشاعر :

وخبرتماني أنّهما الموت في القوى فكيف وهاتا هضبة وقليب «[2032]»

والمعنى : فيكف يكون الموت في القرى وهاتا هضبة وقليب لا ينجوا فيهما منه أحد »«[2033]». يخبر الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها فعل وكان الأصل وجوده بعد كيف الاستفهامية لكنّه حذف لكونه تقدّم ما يدل عليه ، فهذا إذن نصّ صريح منه في حذف الفعل مع بيان العلة في حذفه . وما ذكره هو سبب من أسباب حذف الفعل فالفعل إذا كان معلوما ومفسرا استغني عن ذكره والفعل هنا دلّ عليه الموضع «الأول كيف يكون للمشركين» فكيف الأولى مفسرة للثانية ، وقد قدّر المحذوف بما نقله عن الإمامين الأخفش وأبو إسحاق. ومثّل لهذا الحذف ببيت من الشعر هذا وقد نصّ على حذف الفعل هنا غالب أئمة التفسير فممّن ذكر ذلك الإمام الزمخشري فقال : « كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد ، وحذف الفعل لكونه معلوما ، كما قال: وخبرتماني أنّما الموت بالقرى فكيف هات هضبة وقليب

[2030]ــ الكتاب : ج 1 ، ص 290

[2031]ــ سورة التوبة : الآية 8

[2032]ــ البيت لكعب بن سعد الغنوي ، ينظر : الحيوان ، الجاحظ ، ج 3 ص 56

[2033]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 2937 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يريد فكيف مات ، أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنّهم »«[2034]» وقد تبع الإمام الزمخشري في هذا القول كثير من المفسرين نقلوه عنه منهم الإمام البيضاوي«[2035]» والرازي«[2036]»، والنسفي«[2037]» ، وابن عادل«[2038]»، وأبو حيّان«[2039]»، و ابن جزي«[2040]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾«[2041]».

قال ــ رحمه الله ــ : « من قرأ بالتاء جعله خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم «[2042]»، و« الذين » مفعول أول «فلا تحسبنهم » مكرر للتأكيد وبمفازة المفعول الثاني لحسب الأول ، وحسب الثاني مع المصدر للتأكيد ، وقيل : إنّه ليس بتأكيد وأنّ « بمفازة » مفعول حسب الثاني محذوف لعلم السامع ، كما تقول : في الكلام ظننت زيدا ذاهبا وظننت عمرا ، يريد ذاهبا ، ثمّ تحذف لدلالة الأول عليه ...»«[2043]».

يذكر الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية قولين في تقدير المفعول الثاني للفعل «لا تحسبّن» الأول ، حيث أخبر أنّ مفعوله الأول هو «الذين » والمفعول الثاني هو بمفازة الواقع بعد الفعل «فلا تحسبنّهم» الثاني ، أو احتمال أن يكون المفعول الثاني لحسب الأول محذوف لدلالة

[2034] ــ الكشاف : ج 2، ص 237

[2035] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3، ص 72

[2036] ــ مفاتح الغيب : ج 15، ص 531

[2037] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 104

[2038] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10، ص 24

[2039] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 15

[2040] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 345

[2041] ــ سورة آل عمران : الآية 188

[2042] ــ قرأ بالتاء عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ، انظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتاح القاضي ، ط 5 ، القاهرة ـ دار السلام ـ ، 1432 هـ ـ 2011 م ،ج 1 ، ص184

[2043] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 1198 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكلام عليه ، ويكون بمفازة هو المفعول الثاني للفعل تحسبّن الثاني بعد الضمير «هم » ، وقد ذكر تخريج هذه المسألة كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري«[2044]» وابن عطية«[2045]» والإمام أبو حيّان«[2046]» وذكروا أقوالا في تقدير المفعول ، لخصّ هذه الأقوال الشيخ الطاهر بن عاشور مبينا بلاغة التركيب على هذا الوجه فقال : « وقد جاء تركيب الآية على نظم بديع ، إذ حذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول لدلالة ما يدل عليه ، وهو مفعول «فلا تحسبنّهم » ، والتقدير : «لا يحسبّن الذين يفرحون ... أنفسهم » ، وأعيد فعل الحسبان في قوله : فلا تحسبنهم مسندا إلى المخاطب على طريقة الاعتراض بالفاء ، وأتى بعده بالمفعول الثاني ، وهو «بمفازة من العذاب » فتنازعه كلا الفعلين ، وعلى قراءة الجمهور :«لا تحسبّن الذين يفرحون» بتاء الخطاب يكون خطابا لغير معين ليعم كل مخاطب ، ويكون قوله : «فلا تحسبنهم » اعتراضا بالفاء أيضا ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما في حذف المفعول الثاني لحسبان الأول ، وهو محل الفائدة من تشويق السامع إلى سماع المنهي عن حسبانه»«[2047]»

فهذا النّص عن الشيخ الطاهر بن عاشور يفهم منه ذكر غرض لحذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول ، هما : دلالة الكلام عليه أي دلالة مفعول الحسبان الثاني عليه ، والثاني : تشويق نفس السامع لاكتشاف وسماع المنهي عنه وهو الحسبان .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾«[2048]»قال ـ رحمه الله ـ : « ومن قرأ شركاء فقد منعه الأخفش ، وقال : كان يجب أن يقرأ على هذه القراءة : جعلا لغيره شركا ، وهو إبليس لأنّ الأصل له ، والشرك لغيره ، فإنّما جعلا الشرك لغيره ، والقراءة عند غيره جائزة ، ومعناها جعلا له ذا شرك ، ثمّ حذف

[2044]ـ الكشاف : ج 1 ، ص 479

[2045]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1، ص 590

[2046]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3، ص 144

[2047]ـ التحرير والتنوير : ج 4، ص 194 ـ 195

[2048]ـ سورة الأعراف : الآية 190

، مثل : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾«[2049]» ، فالشرك على هذه لإبليس وهو المضاف المحذوف ».«[2050]».

يخبر الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ الإمام الأخفش ــ رحمه الله ــ ينكر قراءة من قرأ قوله تعالى : «جعلا له شركا »«[2051]» معللا ذلك بأنّ الشرك ينبغي أن يكون لغير الله وهو هنا الشيطان ، فالله هو الأصل والشرك لغيره ، ونصّ الإمام الأخفش في كتابه هو :« وقال بعضهم « شركا » لأنّ الشرك إنّما هو الشركة ، وكان ينبغي في قول من قال هذا أن يقول : فجعلا لغيره شركا فيما آتاهما »«[2052]» ، ثمّ ذكر أنّ هذه القراءة جائزة عند غيره ، وتقديرها عندهم على حذف مضاف ، أي جعلا له ذا شرك . والمضاف المحذوف هو إبليس ، وبهذا يتضح أنّ الإمام مكي ــ رحمه الله ــ يوجه قراءة من قرأ شركا بكسر الشين وتنوين الكاف . وهي قراءة نافع وأبو بكر عن عاصم من العشرة أنّها على حذف مضاف ، والتقدير : جعلا له ذا شريك ، وهي نظير قوله تعالى : « وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ »«[2053]» أي أهل القرية ، وحذف المضاف صورة من صور الإيجاز بالحذف . وقد قال بهذا القول الذي ذكره الإمام مكي أبو البقاء وبعض النحاة«[2054]» . وهو في الأصل مأخوذ عن الإمام أبي الحسن الزجاج فهو من ذكره ،

[2049] ــ سورة يوسف : الآية 82

[2050] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، 2674 .

[2051] ــ سورة الأعراف : الآية 190

[2052] ــ معاني القرآن : ط 1 ، تقديم وتعليق : إبراهيم شمس الدين ، بيروت ــ دار الكتب العلمية ــ 1423 هـ ــ 2002 ، ص 201 .

[2053] ــ سورة يوسف :الآية 82

[2054] ــ ينظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون : السمين الحلبي ، ج 1 ، ص ، واللباب في علوم الكتاب : ابن عادل ، ج 2 ، ص 599

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حيث قال : «كان ينبغي لمن قرأ شركا » أن يقول المعنى جعلا لغيره شركا فيما آتاهما ، لأنّهما لا ينكران أنّ الأصل لله ، فالشرك إنّما لجعله لغيره »«[2055]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾«[2056]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... فرفع لعمري على الابتداء ، والخبر محذوف كأنّه قال : لعمرك قسمي ، أو ما أقسم به ، وحسن الحذف ، لأنّ باب القسم باب حذف »«[2057]».

يخبر الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها خبر المبتدأ لعمرك المستعمل في القسم ، وقدّر الخبر المحذوف بلفظة قسمي ، ثمّ ذكر أنّ الحذف حسن في هذا الموضع لأنّه باب قسم ، وما ذكره صحيح ، فخبر لعمرك يحذف وجوبا ولزوما عند النحاة ، إذا اقترن لفظ القسم «لعمرك» باللام رفع على الابتداء ، وحذف الخبر وجوبا ويقدّر بقسمي ، ووجه حذفه أنّ جواب القسم دلّ عليه ، وقد أشار إلى الحذف وتقديره كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي ، حيث قال : « قال النحويون : ارتفع قوله لعمرك بالابتداء ، والخبر محذوف ، والمعنى : لعمرك قسمي وحذف الخبر ، لأنّ في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو : بالله لأفعلن ، والمعنى أحلف بالله ، فيحذف لعلم المخاطب بأنّك حالف »«[2058]» ، كما أشار إليه أيضا الإمام القرطبي«[2059]» وابن جزي«[2060]» وأبو حيّان«[2061]» وابن عادل«[2062]»، والشيخ الطاهر بن عاشور الذي قال : « ... وهو في الاستعمال إذا دخلت عليه لام القسم

[2055]ــ معاني القرآن و إعرابه : ط 1 ، د ت ، بيروت ــ عالم الكتب ــ ، 1408 هـ ــ 1988م ، ج2 ص 396

[2056]ــ سورة الحجر : الآية 72

[2057]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 6 ، ص 3914 .

[2058]ــ مفاتح الغيب :ج 19، ص 156

[2059]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 10 ، ص 40

[2060]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 441

[2061]ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 450

[2062]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 11 ، ص 477

رفعوه على الابتداء محذوف الخبر وجوبا . والتقدير لعمرك قسمي ، وهو من المواضع التي يحذف فيها الخبر حذفا لازما اكتفاء بدلالة اللام على معنى القسم »«[2063]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾«[2064]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ثمّ قال تعالى : «قُلْ مَن» وفي الكلام حذف ، أي فإن قالوا لا ندري فقل : الله ، وكذلك كل ما كان مثله قد حذف منه الجواب لدلالة الكلام عليه »«[2065]».

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف منها كلام قبل الجواب الواقع بعد الاستفهام في قوله : «قُلْ مَن يَرْزُقُكُم » فالسؤال هنا موجه للمشركين وكان الأصل هم من يجيبوا عن ذلك غير أنّه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم هو من يجيب عن ذلك ، لأنّهم إن أجابوا إمّا أن يقروا بذلك ، فيذعنوا وينقادوا ، وإمّا أن ينكروا عنادا واستكبار ، وقد بيّن وجه حذف هذا الجواب بأنّ سياق الكلام يدل عليه .

اتضح من خلال هذه الأمثلة عناية الإمام مكي ـ رحمه الله ـ بأسلوب الحذف في تفسيره . وذلك بإشاراته لكثير من صور الحذف وأنواعه من حذف الفعل ، وحذف المفعول ، وحذف المضاف وحذف الأجوبة ،وحذف القسم . وفي نصّه على المحذوف يذكر غالبا العلة من حذفه . وكذلك تقديره في الكلام تارة بما ينقله عن اللغويين كالأخفش والفراء والزجاج وتارة أخرى من أرائه ، غير أنّه لا يشير للفائدة أو الغاية من الحذف .فهذه هي طريقته في عرض هذا المبحث .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2063 ـ التحرير والتنوير : ج 14 ، ص 68

2064 ـ سورة سبأ : الآية 24

2065 ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 9 ، ص 5925 .

المطلب الرابع : أسلوب الحذف في تفسير الإمام ابن عطية

ورد التنبيه لبعض صور الحذف في تفسير الإمام ابن عطية .وتعددت أنواعه عنده، ومن جملة تلك الصور والأنواع التي تعرّض لها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾«[2066]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ومفعول يخشى محذوف لدلالة الكلام وحسن حذفه من حيث يتقدّر فيه التخويف بالله تعالى »«[2067]»

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود حذف ، حيث ذكر أنّ مفعول «وليخشى» حذف في الآية لدلالة الكلام عليه ،كما أنّ الحذف حسن فيه ، لأنّه يتقدر فيه التخويف بالله تعالى . وما أشار إليه من الحذف لدلالة الكلام هو أحد الحالات التي ذكرها البلاغيون لحذف المفعول به . وقد نصّ على حذف المفعول في هذه الآية كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبي ، حيث قال : « ومفعول يخشى محذوف لدلالة الكلام عليه »«[2068]» . ويحتمل من نصّ الإمام القرطبي أن يكون نقله عن الإمام ابن عطية ، كما ذكره أيضا الإمام ابن جزي«[2069]» ، والإمام أبو حيّان«[2070]»

وذهب الشيخ الطاهر بن عاشور إلى القول بأنّ الحذف وقع هنا لتذهب نفس السامع معه كل مذهب ، فقال : « والأظهر أنّ مفعول يخشى حذف لتذهب نفس السامع في تقديره كل مذهب

[2066] ــ سورة النساء : الآية 9

[2067] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 16 .

[2068] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5 ، ص 51

[2069] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 178

[2070] ــ تفسير البحر المحيط : ج ، ص 185

محتمل ، فينظر كل سامع بحسب الأهم عنده ممّا يخشاه أن يصيب ذريته »«[2071]» . وهذا أيضا من فوائد الحذف وأحد أغراضه التي ذكرها البلاغيون . والحذف في مثل هذا الموضع يحتمل المعنيين ، لأنّ هذه الأغراض تفهم بحسب السياق والقرائن والأحوال . وحملها على السعة والمرونة أولى من الجزم فيها بغرض معين .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾«[2072]» قال ــ رحمه الله ــ : « واسألوا يقتضي مفعولا ثانيا ، فهو عند بعض النحويين في قوله : « من فضله » ، التقدير : واسألوا الله فضله ، وسيبويه لا يجيز هذا ، لأنّ فيه حذف من في الواجب ، والمفعول عنده مضمر تقديره : واسألوا الله الجنة أو كثيرا أو حظا من فضله ، قال القاضي أبو محمد : وهذا هو الأصح ، ويحسن عندي أن يقدّر المفعول أمانيكم إذا ما تقدّم يحسن هذا التقدير »«[2073]»

يشير الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود حذف فيها ، حيث حذف المفعول الثاني من الفعل سأل لأنّه يتعدى إلى مفعولين الأول هنا في الآية هو لفظ الجلالة . والثاني محذوف . وقد ذكر أنّ بعض النحويين قال بأنّ من زائدة ، فتقدير الكلام عند ذلك :« وسألوا الله فضله » فيكون فضله هو المفعول الثاني والذي يجيز ذلك هو الإمام الأخفش ، ثمّ أخبر أنّ الإمام سيبويه لا يرتضي ذلك ولا يجيزه .لأنّ من لا يجوز حذفها في الكلام الموجب ، بل تحذف في المنفي . وعليه فالمفعول عنده في هذا الموضع يكون مقدرا بتقدير : «واسألوا الله الجنة أو غير ذلك من وجوه التقديرات» . وقد رجّح هذا الرأي الأخير للإمام سيبويه وصوبه . وزاد على ما ذكر أنّه يحسن تقدير المفعول بلفظة «أمانيكم»، لأنّه تقدّم ما يدّل على هذا التقدير ويحسنه .

[2071] ــ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 252

[2072] ــ سورة النساء : الآية 32

[2073] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ص 55 .

هذا وقد نقل الإمام أبو حيّان هذا النّص عن الإمام ابن عطية ، حيث قال : « وسأل يقتضي مفعولين، والثاني : لقوله: واسألوا هو قوله : من فضله . كما تقول : أطعمت زيدا من اللحم وكسوته من الحرير ، والتقدير: شيئا من فضله ، وشيئا من اللحم وشيئا من الحرير . وقال بعض النحويين : من زائدة والتقدير: واسلوا الله من فضله ، وهذا لا يجوز إلاّ على مذهب الأخفش وقال ابن عطية : ويحسن عندي أن يقدّر المفعول أمانيكم إذ ما تقدّم يحسن هذا المعنى »«[2074]» كما نبّه على الحذف في هذه الآية الإمام بن عادل«[2075]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾«[2076]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ » المعنى قال الله وأضمر الفاعل في هذه الأفعال كلها إيجازا لدلالة معنى الكلام على المراد »«[2077]».

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية إلى أنّه أضمر فيها الفاعل الذي هو لفظ الجلالة . وذلك إيجازا ولدلالة الكلام على ذلك، وقد أشار إلى هذا المعنى باختصار كل من الإمام ابن جزي والإمام أبو حيّان ، حيث قال الأول :« الضمير في قال لله تعالى »«[2078]» . وقال الثاني :« أي قال الله تعالى ، فأضمر في قال »«[2079]».

[2074] ــ تفسير البحر المحيط : ج3 ، ص 246

[2075] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج6 ، ص 353

[2076] ــ سورة المائدة : الآية 26

[2077] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 205 .

[2078] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، 233

[2079] ــ تفسير البحر المحيط :ج 3 ، ص 472

والإضمار خلاف الحذف ، فالإضمار شرطه بقاء أثر المقدر في اللفظ كهذا المثال الوارد في الآية فالقائل هو الله سبحانه وتعالى ، لأنّه بقي ما يدل على ذلك . والحذف هو الإسقاط بالكلية فلا يشترط فيه بقاء أثر المقدر في اللفظ «[2080]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾«[2081]».

قال ــ رحمه الله ــ : « حذف جواب لو إيجازا لدلالة الكلام عليه ، وأبهم قدر العذاب لأنّه أبلغ وأهيب من النّص عليه ، وهذا محذوف نحو قوله تعالى :﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانًا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾«[2082]» ، ويقدّر هذا المحذوف في جواب هذه الآية لما استعجلوه ونحوه »«[2083]».

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب « لو » إيجازا لدلالة الكلام عليه ، مع ما في ذلك من المبالغة المتضمنة لإيهام قدر العذاب حتّى يذهب السامع معها كل مذهب فيتخيلها بذهنه . و لو علم ذلك عند السامع لم يحصل له ذلك التأثر الموجود بالحذف. وهذا هو الأصل في حذف الأجوبة ، ثمّ ذكر أنّ نظير هذا الحذف قوله تعالى : «وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانًا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ» . وذكر أنّ تقدير المحذوف هو لما استعجلوه ، هذا وقد أشار إلى هذا الحذف وتقديره كثير من المفسرين واللغويين منهم الإمام الزجاج حيث قدّره بقوله : «لعلموا صدق الوعد »«[2084]» . وقدّره الزمخشري بقوله : « لما كانوا بتلك الصفة

[2080]ــ ينظر: البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ،ج 3 ، ص 103.

[2081] ــ سورة الأنبياء : الآية 39

[2082]ــ سورة الرعد : الآية 31

[2083]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 101 .

[2084]ــ معاني القرآن : ج 3 ، ص 393

من الكفر والاستهزاء والاستعجال »«[2085]» كما نصّ عليه أيضا الإمام الرازي قائلا : « جواب لو محذوف ... وإنّما حسن حذف الجواب لأنّ ما تقدّم يدل عليه وهذا أبلغ ...»«[2086]»،كما أشار إليه أيضا الإمام القرطبي «[2087]» وابن جزي«[2088]» . و ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور أنّ حذف جواب لو كثير في القرآن ونكتته تهويل جنسه فتذهب نفس السامع كل مذهب «[2089]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾«[2090]».

قال ــ رحمه الله ــ : « اختلف النحاة في إعراب الذين ، فقال بعضهم : هو في موضع رفع على الابتداء ، والخبر عنهم محذوف ، معناه الوعيد والذّم وحذفه على جهة الإبهام كنحو حذف الجواب في قوله تعالى : «وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ»«[2091]» ، وقال بعضهم هم رفع على خبر الابتداء تقديره : هم الذين « يبخلون » ...»«[2092]» .

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه اختلف النحاة في إعراب لفظة الذين ، فمنهم من أعربها مبتدأ وخبرها محذوف وهو معنى الذم ، ثمّ ذكر أنّ حذفه على جهة الإبهام أي لقصد المبالغة . وجعله كنظير قوله تعالى : «وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ»، ثمّ أخبر أنّ منهم من جعله خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هم .

[2085] ــ الكشاف : ج 3 ، ص 119
[2086] ــ مفاتح الغيب : ج 22 ، ص 146
[2087] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 11 ، ص 290
[2088] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 25
[2089] ــ التحرير والتنوير : ج 17 ، ص 70
[2090] ــ سورة الحديد: الآية 24
[2091] ــ سورة الرعد : الآية 31
[2092] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 5 ، ص 243 .

هذا وقد نصّ على الاختلاف في إعراب هذه اللفظة كثير من المفسرين واللغوين فذكر ذلك الإمام الزمخشري والإمام البيضاوي والرازي و القرطبي«[2093]» وابن جزي وأبو حيّان وابن عادل«[2094]» . وعلى تقدير إعرابهم أنّه مبتدأ ذكروا جميعهم أقوالا في تقدير الخبر المحذوف ، فقال الإمام الزمخشري :« الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة »«[2095]» وتبعه على ذلك الإمام الرازي«[2096]» وقدّره الإمام البيضاوي بقوله : «الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به»«[2097]» وقدّره ابن جزي «معذبون»«[2098]» .وقدّره أبو حيّان «كافرون»«[2099]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾«[2100]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : «وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ » هو على حذف مضاف تقديره : وعند الله عقاب مكرهم أو جزاء مكرهم »«[2101]» .

يخبر الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مضاف وذلك عند قوله تعالى : «وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ » ثمّ قدّره بقوله : «عقاب مكرهم أو جزاء مكرهم » وحذف المضاف أحد أنواع الحذف في الكلمة العربية ، وبعضهم يجعله من المجاز وهو داخل في الإيجاز بالحذف . والحذف منه في الغالب لقصد المبالغة .

[2093]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 192

[2094]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6 ، ص 673

[2095]ــ الكشاف : ج 1، ص 542

[2096]ــ مفاتح الغيب : ج 10، ص 75

[2097]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2، ص 74

[2098]ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1 ،ص 191

[2099]ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 257

[2100]ــ سورة إبراهيم : الآية 146 .

[2101]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 3 ، ص 344.

هذا وقد نّص على الحذف في هذا الموضع أغلب المفسرين منهم الإمام الزمخشري الذي قدّره بقوله : « وعند الله مكرهم لا يخلوا إمّا أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول على معنى : وهو مكتوب عند الله مكرهم ، فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه ، أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به ، وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم من حيث لا يحتسبون ولا يشعرون»«[2102]» وتبعه على هذا القول كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي«[2103]» والرازي«[2104]» والنسفي «[2105]» وأبو حيّان .، وذكر الحذف أيضا في هذا الموضع الإمام القرطبي وقدّره بما ذكره ابن الإمام ابن عطية فقال :« وقال القشيري : وعند الله مكرهم ، أي هو عالم بذلك فيجازيهم أو عند الله جزاء مكرهم فحذف المضاف»«[2106]».

من خلال عرض هذه النماذج والأمثلة تبيّن اهتمامه وعنايته ــ ابن عطية ــ بمبحث الحذف في تفسيره ، فالمواضع التي نصّ على الحذف فيها تدلّ على ذلك . وقد تنوعت صور الحذف التي تعرّض لها من حذف للمفعول وحذف للفاعل وحذف للأجوبة وحذف للخبر وحذف للمضاف . وكانت طبيعة منهجه في التنبيه على ذلك بالنص على المحذوف مع بيان سبب الحذف وذكر الغرض في الغالب ، فمن الأغراض التي أوردها الحذف لقصد الإيجاز ،ولدلالة الكلام ، والحذف للعلم بالمحذوف ، والحذف لقصد الإبهام والمبالغة، والحذف لذهاب النفس مع المحذوف كل مذهب . وهذه الأغراض متفق عليها بين البلاغيين ومتداولة عندهم ، وبهذا يكون الإمام ابن عطية قد اهتم بهذا الأسلوب من أساليب العربية في تفسيره .

[2102] ــ الكشاف : ج 2 ،ص 529

[2103] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 203

[2104] ــ مفاتح الغيب : ج 19 ، ص 111

[2105] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 222

[2106] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 9 ،ص 381

المطلب الخامس : أسلوب الحذف في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي

حرص الإمام ابن الزبير على الإشارة لبعض صور حذف أجزاء الكلام عند توجيهه للمتشابه القرآني . وذلك بالتنبيه عليها في المواضع التي وجدت فيها ، ومن أنواع الحذف التي تردد ذكرها في كتابه :

عند توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾«[2107]» وقوله تعالى :﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾«[2108]» أورد تساؤلا عن ثبوت الضمير المفعول في الموضع الأول من لفظة : « وأبصرهم » ، وحذفه في الموضع الثاني من لفظة : « وأبصر » ، وعن وجه التكرار ؟

ثمّ أجاب عن هذا التساؤل قائلا :« والجواب عن ذلك : أنّ التكرار تأكيد وتشديد في الوعيد ، وتناسب ذلك بيّن مألوف في كلام العرب ، وأمّا السقوط في الضمير الثاني فيحرز عموما لهم ولغيرهم في الوعيد ، لأنّ قوله : « وأبصرهم » المراد به أمره عليه السلام بأن يترقب ما ينزل بهم ، ويحل بساحته من الانتقام ، وإعلامه صلى الله عليه وسلم بكفايته إيّاهم.... ثمّ أردف هذا الوعيد بوعيد ثان فيه عموم يشملهم ولا يرجع عن تناول غيرهم ممّن سلك مسلكهم ، ويشعر بحاله هو عليه السلام ، وحال من أذعن واستجاب له ، فقال : « وأبصر » أي ترقب ما أفعل لك من تأييدك ونصرك وجزائك الأخروي وجزاء من آمن بك بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وما أفعل بمن عادك وعاندك ممن باشرك بتمرده وطغيانه أو بعد عنك ، من أخذهم وقطع دابرهم ووبيل جزائهم الأخروي ، هذا مفهوم لا يرجع إطلاق قوله : «وأبصر » عن عطائه وتعميمه »«[2109]» .

2107 ـ سورة الصافات : الآية 175

2108 ـ سورة الصافات : الآية 179.

2109 ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 962 ـ 963 .

يشير الإمام ابن الزبير رحمه الله في توجيهه للمتشابه بين هاتين الآيتين أنّ حذف المفعول وهو الضمير «هم »في الموضع الثاني من الفعل «وأبصر » يفيد العموم ، أي تعميم الوعيد الشديد للكفار والمشركين من قريش ومن سلك مسلكهم في الصد والإعراض عن دين الله وإيذاء رسوله ، كما يحرز حذف المفعول عموما للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الفئة المؤمنة بما وعدهم الله به من النصر والإعانة والتأييد .

هذا وقد أشار بعض المفسرين للغرض من حذف المفعول في الموضع الثاني ، فذكر الإمام ابن جزي أنّ حذفه يحتمل وجهين إمّا أنّه قصد به الاختصار لدلالة الأول عليه أو لقصد العموم ، حيث قال : « ... فإن قيل : لما قال أولاً أبصرهم ، وقال هنا : أبصر فحذف الضمير المفعول ، فالجواب من وجهين : أنّه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا ، والآخر أنّه حذف ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم ، كأنّه قال : أبصر جميع الكفار ن بخلاف الأول فإنّه من قريش خاصة »«[2110]» ، كما أشار إلى حذف المفعول في الموضع الثاني الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « ولم يقيد أمره بالإبصار كما قيده في الأول ، إمّا لاكتفائه به في الأول فحذف اختصارا ، وإمّا لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الإبصار منه من صنوف المساءات »«[2111]».

في توجيهه للمتشابه اللفظي من قوله تعالى :﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾«[2112]» مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾«[2113]» أورد تساؤلا قال فيه : « فيهما سؤلان : قوله في الأولى : «وطبع على

[2110] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 226

[2111] ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 364.

[2112] ـ سورة التوبة : الآية 87

[2113] ـ سورة التوبة : الآية 93

قلوبهم» ببناء الفعل للمفعول مكتفى به ، وفي الثانية «وطبع الله » ببناء الفعل للفاعل على الأصل »«[2114]

ثمّ أجاب عن هذا التساؤل بقوله : « والجواب عن الأول : أنّ مطلع الآية قبلها قوله تعالى : «﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾»[2115] على بناء الفعل للمفعول فجاء قوله : «وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ » على ذلك ونوسب بختام هذه الآية بداءة ما قبلها ، وأمّا الثانية فلم يقع قبلها فعل بني للمفعول وقد ذكر الفاعل فيها فجرى الكلام على ما يجب فقيل : «وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ »«[2116]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيهه للمتشابه بين هاتين الآيتين أنّ بناء الفعل «وطبع »في الآية الأولى للمفعول كان لمناسبة ما قبله إذ سبقه بناء فعل للمفعول في مطلع السورة وهو «أنزلت » فجئ بهذا النظم ليقع التناسب وأمّا الفعل في الآية الثانية صرّح بذكر فاعله وبني للمعلوم لأنّه لم يتقدمه ما تقدّم الفعل الأول في الآية الأولى . وبقوله هذا يكون الفاعل محذوفا في الآية الأولى ، وحذف الفاعل سائغ في مواضع منها إذ بنى الفعل للمفعول . وحذفه في الغالب يكون للعلم به ،هذا وقد تعرّض لتوجيه هذا المتشابه الإمام الخطيب الإسكافي وذكر نفس ما ذكره الإمام ابن الزبير في توجيهه لبناء الفعل في الآية الأولى للمجهول ممّا يؤكد نقل ابن الزبير عنه دون التصريح بذلك . وقد جاء في توجيه الخطيب الإسكافي ما نصّه : « والجواب عن المسألة الأولى أنّ قوله تعالى : «وَطُبِعَ »«[2117]» في آخر آية افتتح بقوله تعالى : « وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ » والمعنى : وإذا أنزل الله سورة ، فلمّا صدرت الآية بفعل علم أنّ فاعله الله فيما لا يقتضي ذكر الفاعل به مزية ، بل يقوم المفعول به مقام ،كان مثل هذا الفعل في الآية محمولا عليه ، لأنّه معلوم

[2114]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 597 .

[2115]ـ سورة التوبة : الآية 86

[2116]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 597 .

[2117]ـ سورة التوبة : الآية 86

أنّ الله تعالى يطبع ، كما علم أنّ الله ينزل ، فكانت التوفقة بين آخر الآية وأولها في ذلك هو الاختيار »«[2118]» .

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾«[2119]»

قال ــ رحمه الله ــ : « فلمّا ذكر سبحانه من حال المنافقين عند نزول سورة محكمة واضحة المقاصد ما ذكر ممّا يشهد بقبح ضمائرهم وسوء سرائرهم أتبعه بالدّعاء عليهم فقال : « فأولى لهم » ، كأنّه قد قال : فأشدّ الويل لهم ، قال سبحانه لنبيه عليه السلام : « طاعة وقول معروف » ، قدّره سيبويه ــ رحمه الله ــ : طاعة وقول معروف أمثل »«[2120]».

ينقل الإمام ابن الزبير عن الإمام سيبويه تقديرا في قوله تعالى : «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ» بقوله : أمثل » وهذا التقدير هو تقدير للخبر المحذوف من الكلام المستأنف الذي هو في محل الابتداء ، أي في قوله تعالى«طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ» وبهذا يكون ثمت خبر محذوف في الآية هو الذي ذكر تقديره ابن الزبير فيما نقله عن الإمام سيبويه ، وقد أشار إلى حذف الخبر وتقديره في هذا الموضع كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي ، حيث قال :«« طاعة قول معروف» كلام مستأنف محذوف الخبر ، تقديره : خير لهم أي أحسن وأمثل »«[2121]» ، كما أشار إلى ذلك أيضا الإمام ابن جزي ، حيث قال : « ويكون طاعة ابتداء كلام ، تقديره طاعة وقول معروف أمثل »«[2122]» . وذكر بعض المفسرين أقوالا في حقيقة المحذوف هل هو المبتدأ أو الخبر ، فمنهم من قال بأنّ المحذوف هو الخبر ومنهم من رأى أنّ المحذوف هو المبتدأ . وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو

[2118] ـ درة التنزيل وغرة التأويل : ج 1، ص 229

[2119] ـ سورة محمد : الآية 21

[2120] ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 1122 .

[2121] ـ مفاتح الغيب : ج 28 ، ص 32

[2122] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 316

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حيّان ، حيث قال : « ... والأكثرون على أنّ طاعة وقول معروف كلام مستقل محذوف منه أحد الجزأين ، إمّا الخبر وتقديره : أمثل ، وهو قول مجاهد ومذهب سيبويه والخليل ؛وإمّا المبتدأ : الأمر أو أمرنا طاعة ...»«[2123]» والظاهر من كلام الإمام ابن الزبير أنّه جنح لقول سيبويه في بيان أنّ المحذوف هو الخبر لذلك نقل تقديره .

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾«[2124]» وقوله تعالى :﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾«[2125]».

أورد ـ رحمه الله ـ جملة من التساؤلات منها تساؤله عن حذف المضاف في الموضع الأول ، والمجيئ بكاف التشبيه في الموضع الثاني ، ولقد أجاب عن هذا التساؤل بقوله : « والجواب عن الثاني أنّ آية آل عمران على حذف المضاف كما تقدّم أي عرضها مثل عرض السموات والأرض ، وقد أفصحت آية الحديد بما يقوم مقام هذا الحذف ويحصل معناه وهو كاف التشبيه إذ معناها معنى مثل ، وحذف المضاف ممّا يكون كثيرا عند قصد المبالغة ، وكذلك جعل الشيء نفس الشيء ، وهو ممّا يتقدم في آية آل عمران... وقوله تعالى : «عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ » يمكن إلحاقه بهذا القبيل وإن ظنّ أنه يباينه والجامع قصد المبالغة كأنّ السموات والأرض إذا أوصل بعضها ببعض مصطفا نفس عرض الجنة ... فلمّا تضمنت آية آل عمران من قصد المبالغة من هذه الجهات والقرائن التي ذكرنا ما لم تتضمن آية الحديد ناسب ذلك جعل العرض نفس السموات

2123 ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 81

2124 ـ سورة آل عمران : الآية 133

2125 ـ سورة الحديد : 21.

والأرض من غير إفصاح بالمضاف المقدّر الذي لابدّ منه عند بيان المعنى على ما تقدّم ، ولما لم يقصد في آية الحديد ذلك أفصح فيها بما يعطي معنى مثل ، وهي كاف التشبيه »«[2126]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيهه للمتشابه بين هاتين الآيتين أنّ حذف المضاف في سورة آل عمران لقصد المبالغة ، أي قصد المبالغة في وصف الجنة بالإخبار أنّ طولها وعرضها مثل السموات والأرض كأنّهما شيء واحد ، هذا وقد نبّه على حذف المضاف في آية آل عمران الإمام القرطبي ، حيث قال : « قوله تعالى : «**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**»«[2127]» تقديره : كعرض فحذف المضاف كقوله :﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ ﴾«[2128]» أي إلاّ كخلق نفس واحدة ...»«[2129]». كما أشار إلى حذف المضاف هنا الإمام الزركشي فقال : « وقد يدّل على المحذوف ذكره في مواضع أخر : ... وقوله في آل عمران : «**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**»«[2130]» ، أي كعرض بدليل التصريح به في آية الحديد »«[2131]».

وبعرض هذه الأمثلة تأكّد اهتمام ابن الزبير بأسلوب الحذف في كتابه فعلى الرغم من كونه كتابا في المتشابه إلاّ أنّ فيه تنبيهات وإشارات على مواضع الحذف في أجزاء الآيات القرآنية ، ومن الصور التي ذكرها حذف المفعول به وحذف الفاعل وحذف الخبر وحذف المضاف . وقد أشار في البعض منها لغرض الحذف كما في حذف المفعول ، حيث ذكر حذفه لقصد العموم . وعند حذف المضاف ذكر قصد المبالغة ولوجود ما يدل عليه ، ونلمس في تنبيهاته حرصا على التحليل والشرح الذي به يتضح أسلوب الحذف ويتبيّن .

[2126] ـ ملاك التأويل : ج 1 ،ص 317 ـ 320 .

[2127] ـ سورة آل عمران : الآية 133

[2128] ـ سورة لقمان : الآية 28

[2129] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 4 ، ص 203

[2130] ـ سورة آل عمران : الآية 133

[2131] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 114.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـــ المطلب السادس : أسلوب الحذف في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي

نصّ الإمام ابن جزي في تفسيره على بعض صور الحذف وأنواعه في الآيات القرآنية ، ومن جملة الصور التي تردّدت في كتابه :

في تفسير قوله تعالى :﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾«[2132]» قال ــ رحمه الله ــ : « كيف تأكيد للأولى ، وحذف الفعل بعدها للعلم به تقديره : كيف يكون لهم عهد »«[2133]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها فعل كان الأصل وجوده بعد كيف الاستفهامية لكنّه حذف لكونه معلوما، فهذا إذن نصّ صريح منه في حذف الفعل مع بيان العلة في حذفه. وما ذكره هو سبب من أسباب حذف الفعل فالفعل إذا كان معلوما ومفسرا استغني عن ذكره والفعل هنا دلّ عليه الموضع الأول : ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾«[2134]» فكيف الأولى مفسرة للثانية ،هذا وقد سبقت الإشارة للحذف في هذا الموضع عند الحديث عن أسلوب الحذف عند الإمام مكي ـ رحمه الله ـ وذكرت أنّه أشار إلى الحذف في هذه الآية كثير من المفسرين يتقدمهم الإمام مكي والإمام الزمخشري والإمام البيضاوي والإمام الرازي والإمام النسفي والإمام أبو حيّان والإمام ابن عادل .

[2132] ــ سورة التوبة : الآية 8

[2133] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 345 .

[2134] ــ سورة التوبة : الآية 7

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾«[2135]».

قال ـ رحمه الله ـ : ««وأنتم تعلمون » حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي : وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق »«[2136]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مفعول «تعلمون» لقصد المبالغة وللبلاغة ، وقدّره : وأنتم تعلمون وحدانيته ، وقد ذكر كثير من المفسرين حذف المفعول به هنا فممّن أشار إليه الإمام الزمخشري«[2137]» والنسفي«[2138]» والإمام أبو السعود الذي جعل الغرض منه تنشيط المخاطبين للانتهاء عمّا نهوا عنه«[2139]» . وذكر الإمام أبو حيّان أنّ المفعول به حذف هنا إمّا لقصد الإثبات ، أي إثبات أنّهم من أهل العلم والمعرفة بحقيقة وحدانية الله ، أو لقصد الاختصار «[2140]» ، وذكر الإمام ابن عادل أنّه حذف هنا لقصد الاختصار«[2141]» . وجعله الإمام الزركشي لغرض التعميم «[2142]».

وهذه الأغراض والمقاصد تقدر وتفهم بحسب القرائن والأحوال لذلك تختلف فيها آراء المفسرين . وهذا الاختلاف في بيان الغرض يجعل باب الحذف يمتاز بالمرونة والسعة . وعليه فالجزم بغرض معين غير ممكن ، لذلك وجب جعل هذا الباب على الاتساع بحسب ما يراه كل مفسر أو بلاغي

[2135]ـ سورة البقرة : الآية 22

[2136]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 64

[2137]ـ الكشاف : ج 1 ، ص 126

[2138]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 49

[2139]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 63

[2140] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 240

[2141]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 1 ، ص 424

[2142]ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 165

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[2143]»

قال ـ رحمه الله ـ : «ما وعدنا ربّنا حقا حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب »«[2144]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مفعول «وعد» الثاني استغناء بمفعول وعدنا الأول لأنّه تقدّم قبله في الذكر وهو مثله ، أو لأنّه قصد به التعميم أي ليعم الوعد الثواب والعقاب . وقد نقل هذا المعنى الإمام الزمخشري فهو من أشار إلى ذلك بقوله :« فإن قلت هلاّ قيل : ما وعدكم ربّكم ، كما قيل : ما وعدنا ربّنا ؟ قلت : حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه . ولقائل أن يقول : أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال يوم القيامة ، لأنّهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ، ولأنّ الموعود كلّه ممّا ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلاّ عذاب لهم فأطلق لذلك »«[2145]». فيظهر من هذا النّص أنّ الإمام ابن جزي نقله عنه باختصار ، كما تابع الإمام الزمخشري على ما ذكره الإمام أبو حيّان«[2146]» وابن عادل«[2147]» ، وذكر الإمام أبو السعود أنّه حذف لغرض إسقاطهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد أو لقصد التعميم«[2148]» .

[2143]ـ سورة الأعراف : الآية 44.

[2144] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 297 .

[2145] ـ الكشاف : ج 2، ص 101 ـ 102

[2146]ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 303

[2147]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 9 ، ص 121

[2148]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 393

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾«[2149]».

قال ـ رحمه الله ـ : « أي : اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثاني للعلم به ، وكذلك حذف من قوله : واتخذ قوم موسى »«[2150]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها المفعول به الثاني من الفعل اتخذا لأنّه يتعدّى لمفعولين . وقد ذكر أنّه حذف لكونه معلوما والعلم به راجع للقرينة العقلية وذلك أنّ اقتناء العجل واتخاذه من قوم موسى لم يكن لغرض الزينة وإنّما كان لغرض العبادة وأن يجعلوه إلها ، وقد ذكر الحذف في هذه الآية ونظائرها من الفعل اتخذ الذي يتعدى إلى مفعولين الإمام الزركشي ، حيث قال : « ... تقديره في الجميع اتخذوه آلهة لأنّ نفس اقتناء العجل لا يلحقه الوعيد الشديد فيتعين تقدير آلهة »«[2151]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾«[2152]».

قال ــ رحمه الله ــ : « جواب لو هنا محذوف ، ...وإنّما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع ، أي : لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا »«[2153]» .

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب لو في قوله تعالى : «ولو ترى » وذكر أنّ القصد من حذفه هو المبالغة حتّى تذهب نفس السامع في تخيل هذا

2149 ـ سورة الأعراف : الآية 148

2150 ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 311 .

2151 ـ البرهان في علوم القرآن : ج 4 ، ص 162 .

2152 ـ سورة الأنعام : الآية 30

2153 ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 265 .

المحذوف كل مذهب ، ثمّ قدّره بقوله :«لرأيت أمرا شنيعا » وما ذكره من الغرض فهو صحيح ، فحذف الأجوبة في الغالب يكون القصد منه التخفيف للدلالة عليه أو لعلم المخاطب به مع قصد التفخيم والتعظيم والمبالغة .وما قدّره فالأمر فيه واسع فكل يقدر بحسب ما يراه ملائما للمعنى والسياق

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ «[2154]»«[2155]» .

قال ــ رحمه الله ــ : « قال موسى هذا الكلام ، وهو سائر أي : لا أبرح أسير حتّى أبلغ مجمع البحرين ، فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه »«[2156]».

يخبر الإمام ابن جزي رحمه الله في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها خبر لا أبرح لغرض الاختصار ولدلالة المعنى عليه ، وقد قدّره بقوله : لا أبرح أسير حتّى أبلغ مجمع البحرين . وهذا الحذف الوارد في الآية تطرّق إليه كثير من المفسرين ونبّهوا عليه فذكر الإمام الزمخشري أنّ خبر لا أبرح محذوف لدلالة الحال والكلام عليه ، فقال: «وقد حذف الخبر لأنّ الحال والكلام معا يدلان عليه ، أمّا الحال فلأنها كانت حال سفر ، وأمّا الكلام فلأنّ قوله :«أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ » غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بدّ أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتّى أبلغ ...»«[2157]» وذكر نفس كلامه الإمام الرازي«[2158]» والإمام أبو حيّان«[2159]». ويحتمل أن يكون الإمام ابن جزي نقل عنه هذا المعنى باختصار ، وذكر الشيخ الطاهر بن عاشور أنّ الحذف كان لغرض

[2154]ــ سورة الكهف : الآية 63

[2155]ــ سورة الكهف : الآية 60 .

[2156] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1 ، ص 499 .

[2157]ــ الكشاف : ج 2 ، ص 682

[2158]ــ مفاتح الغيب : ج 21 ، ص 84

[2159]ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 135

الإيجاز والتشويق فقال : « وحذف ذكر الغرض الذي سار لأجله موسى عليه موسى لأنّه سيذكر بعد ، وهو حذف إيجاز وتشويق ، له موقع عظيم في حكاية القصة لإخراجها عن مطروق القصص في أسلوب بديع الحكم والأمثال قضاء لحق بلاغة الإعجاز »«[2160]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾«[2161]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أي أحسن الخالقين خلقا ، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه »«[2162]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف منها تمييز أفعل التفضيل أحسن لدلالة الكلام عليه . وهو الخالقين ، فيكون التقدير لهذا المحذوف :« أحسن الخالقين خلقا ».هذا وقد نصّ على حذف التمييز لدلالة الكلام عليه الإمام الزمخشري فقال : « ... أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه »«[2163]» . ونقل كلامه كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي«[2164]»، والإمام الرازي«[2165]» ، والإمام النسفي«[2166]»، والإمام أبو حيّان«[2167]» ، وظاهر كلام الإمام ابن جزي يدل على أنّه نقله عنه .

[2160]ــ التحرير والتنوير: ج 3 ، ص 561

[2161]ــ سورة المؤمنون : الآية 14

[2162] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ،ص 57 .

[2163]ــ الكشاف :ج 3، ص 182

[2164]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4 ،ص 84

[2165]ــ مفاتح الغيب : ج 23 ، ص 69

[2166]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3 ، ص 98

[2167]ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 369

فهذه الأمثلة تؤكد عناية الإمام ابن جزي بأسلوب الحذف في تفسيره ، وذلك بإيراده لجملة من أنواع الحذف ، كحذف الفعل والمفعول وحذف الخبر وحذف الأجوبة وحذف التمييز . وقد صحبت هذه الإشارات أغراض كثيرة ذكرها كالحذف لقصد العلم ولكون المحذوف معلوما . وكذلك لقصد الاختصار ولدلالة الكلام على المحذوف وغيرها ، وقد كانت هذه الأقوال منها موافقة لإشارة كثير من المفسرين ، كما بدا تأثره بالإمام الزمخشري فقد أكثر من النقل عنه في هذا المبحث دون تصريح منه بذلك . وقد غلب على سمة ابن جزي في التعرض لهذا الأسلوب التحليل المقتضب والشرح الموجز دون الاستفاضة ولكنّه مع ذلك لم يخل بالمقصود وهو إيضاح أسلوب الحذف في الآيات. وتنبيهاته بالجملة تدل على اهتمامه و إلمامه بهذا الأسلوب من أساليب العربية .

المطلب السابع: أسلوب الحذف في تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي

وردت الإشارة لبعض مظاهر الحذف في تفسير الإمام أبي حيّان ، وقد كانت له وقفات مع هذا الأسلوب من أساليب العربية . وذلك بكثرة التنصيص والإشارة إليه في كثير من الآيات القرآنية التي يفسرها ، ومن بين المواضع التي تطرق فيها لأسلوب الحذف :

في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾«[2168]».

قال ــ رحمه الله ــ : « كيف تأكيد لنفي ثباتهم على العهد ، والظاهر أنّ الفعل المحذوف بعدها هو من جنس أقرب مذكور لها ، وحذف للعلم به في كيف السابقة ، والتقدير كيف لهم عهدهم وحالهم هذه ؟ وقد جاء حذف الفعل بعد كيف لدلالة المعنى عليه ...، وقال الشاعر :

ضع وخبرتماني إنّما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وكثيب

[2168] ــ سورة التوبة : الآية 8

، أي : فكيف مات وليس في قرية ، ... وقدّر أبو البقاء الفعل المحذوف بعد كيف بقوله : كيف تطمئنون إليهم ؟ وقدّره غيره : كيف لا يقتلونهم »«[2169]»

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنه حذف فيها الفعل بعد كيف الاستفهامية وذلك لكونه معلوما . ولدلالة كيف الأولى عليه ، ثمّ قدّره بتقدير: كيف لهم عهدهم وحالهم هذه، ثمّ ذكر أنّ حذف الفعل بعد كيف كثير في القرآن والشعر ومثّل لذلك .

هذا وقد سبقت الإشارة لهذا المثال والتعليق عليه عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمامين مكي و ابن جزي . وذكرت أنّ غالبية المفسرين المتأخرين ومنهم الإمام أبو حيّان قد نقل هذا الكلام عن الإمام الزمخشري فهو من صرّح بذلك في تفسيره .

في تفسير قوله تعالى :﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ** ﴾«[2170]».

قال ـ رحمه الله ــ : « وقرأ حمزة تحسبّن بالتاء ، فتكون الذين أول مفعولين لتحسبّن ، وهو على حذف مضاف ، أي : بخل الذين ، وقرأ السبعة بالياء فإن كان الفعل مسندا إلى الضمير فيكون المفعول الأول محذوفا تقديره : بخلهم ، وحذف لدلالة يبخلون عليه ، وحذفه كما قلنا عزيز جدا عند الجمهور ...»«[2171]» .

يشير الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها المفعول الأول للفعل تحسبّن على قراءة من قرأ بالياء وهي قراءة الجمهور ، ووجه الحذف على هذه القراء أنّ الفعل أسند إلى ما بعده وهو الضمير «هم» الراجع على الذين يبخلون لأنّهم هم الفاعلون ، والمفعول به حذف لدلالة يبخلون عليه ، ويكون تقديره : «ولا يحسبّن الذين يبخلون بخلهم ».

[2169]ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 15 .

[2170]ـ سورة آل عمران : الآية 180

[2171]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ،ص 133 .

هذا وقد تحدّث عن حذف المفعول به الأول لتحسبن في معرض توجيه القراءة الواردة فيها الإمام مكي ــ رحمه الله ــ فقال : « ووجه القراءة بالياء أنّه أضيف الفعل إلى ما بعده وهم الذين يبخلون فهم الفاعلون ، وردّ الفعل على ما قبله من الغيبة ، في قوله : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾«[2172]» . والمفعول الأول ل يحسب محذوف ، والتقدير : ولا يحسبّن الذين يبخلون البخل خيرا لهم فحذف البخل لدلالة يبخلون عليه »«[2173]». وقد أشار الإمام الزمخشري إلى ما ذكره الإمام أبو حيّان ، وفي هذا احتمال كبير أن يكون الإمام أبو حيّان نقل عنه هذا المعنى دون التصريح ، إذ أنّ نص كلامه مطابق لما ذكره الزمخشري ، حيث قال هذا الأخير :« من قرأ ولا تحسبّن قدّر مضافا محذوفا أي ولا تحسبّنّ بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم . وكذلك من قرأ بالياء ، وجعل فاعل يحسبّن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ، ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره : ولا يحسبنّ الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم . والذي سوّغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل »«[2174]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾«[2175]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ومفعول يود محذوف تقديره : تسوية الأرض بهم ، ودلّ عليه قوله : لو تسوى بهم الأرض ، ولو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، وجوابه محذوف تقديره لسروا بذلك ، وحذف لدلالة يودّ عليه »«[2176]» .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[2172]ــ سورة آل عمران : الآية 178

[2173]ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : ط 1 ، تحقيق محمد جمال شرف ، مصر ـ دار الصحابة للتراث والنشر ، 1430 هـ ــ 2009 م ، ج 1 ، ص 318.

[2174]ــ الكشاف : ج 1، ص 474

[2175]ــ سورة النساء : الآية 42

[2176] ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 263 .

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها الحذف في موضعين ، الأول : حذف مفعول يود الذي دلّ عليه قوله تعالى :«لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ»«[2177]» ، فحذف المفعول به هنا لدلالة الكلام عليه ، والثاني : حذف جواب لو التي هي حرف امتناع لوجود . وقدّره بقوله : لسروا بذلك ، ثمّ بيّن غرض حذفه وهو دلالة الكلام عليه . وحذف الأجوبة يكون دائما لقصد الاختصار والايجاز ولدلالة الحال والكلام عليه ، كما يقصد منه المبالغة حتّى تذهب نفس السامع في تخيل ذلك المحذوف كل مذهب ، وقد نقل هذا القول عن الإمام أبي حيّان بعض المفسرين منهم الإمام السمين الحلبي«[2178]» ، وابن عادل«[2179]» ، وأبو السعود«[2180]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾«[2181]» .

قال ــ رحمه الله ــ : « وقراءة الجمهور ، زيّن على بناء الفعل للمفعول ، ولا يحتاج إلى إثبات علامة تأنيث للفصل ، ولكون المؤنث غير حقيقي التأنيث ، وقرأ ابن أبي عبلة زيّنت ، وتوجيهها ظاهر ، لأنّ المسند إليه الفعل مؤنث ، وحذف الفاعل لفهم المعنى ، وهو الله تعالى يؤيد ذلك قراءة مجاهد وحميد بن قيس وأبي حيوة : زيّن ، على البناء للفاعل ، وفاعله ضمير يعود على الله تعالى ...»«[2182]».

[2177] ــ سورة النساء : الآية 42

[2178] ــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 3، ص 657 ـ 685

[2179] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6 ، ص 388

[2180] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :ج 2 ، ص 178

[2181] ــ سورة البقرة : الآية 212

[2182] ــ تفسير البحر المحيط : 2 ، ص 138 .

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها الفاعل لأنّ الفعل بني للمفعول ، أي للمجهول ، وبناء الفعل للمفعول هو أحد المواضع والحالات التي جوّز فيها النحاة حذف الفاعل . وقد ذكر أنّ الفاعل حذف هنا لفهم المعنى أي لكونه مفهوما وللعلم به . وهذا أيضا أحد الأسباب المؤدية لحذفه عند بنائه للمفعول ، فمعلوم من الآية أنّ الله هو الذي يزيّن . وقد ذكر صحة هذا القول الذي أورده الإمام أبو حيّان بعض المفسرين منهم الإمام البيضاوي ،حيث قال : « والمزين في الحقيقة هو الله تعالى إذ ما من شيء إلاّ وهو فاعله ويدل عليه قراءة «زيّن» على البناء للفاعل ، وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الأمور البهية والأشياء الشهية مزين بالعرض »«[2183]» . وذكر نفس هذا المعنى الإمام النسفي«[2184]» وأبو السعود «[2185]»، وقد ذهبت طوائف المعتزلة وبعض اللغويين كالزجاج«[2186]» للقول بأنّ المزين في الحقيقة هو الشيطان. وقد ردّ هذا القول أئمة التفسير كالإمام ابن عطية«[2187]» والقرطبي«[2188]» والرازي«[2189]» الذي وسّع القول فيها ودحض شبهات المعتزلة في هذه المسألة ، وعليه فحذف الفاعل في الآية ببناء للفعل للمفعول إنّما جاء لكونه معلوما ومفهوما بالمعنى .

[2183]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 135

[2184] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 115

[2185]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 213

[2186]ـ معاني القرآن وإعرابه : ج 1 ، ص 281 ـ 282

[2187]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 270

[2188] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 3، ص 28

[2189]ـ مفاتيح الغيب : ج 6، ص 366

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾«[2190]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وزلزلوا أي أزعجوا إزعاجا شديدا ، وبني الفعل للمفعول ، وحذف الفعل للعلم به ، أي وزلزلهم أعداؤهم »«[2191]» .

يخبر الإمام أبو حيان ــ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها الفاعل في لفظة «وزلزلوا ». وذلك ببناء الفعل للمفعول ، وكان تقدير الكلام :«وزلزلهم أعداؤهم »وإنّما حذف الفاعل هنا لكونه معلوما ومفهوما من المعنى ، فإنّ الذي أحدث فيهم الرعب والإزعاج هم الأعداء ، وهذا المثال نظير المثال السابق في بيان الحالة التي يحذف فيها الفاعل والسبب الذي يحذف من أجله.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾«[2192]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ولما قال : فأخرجنا به من كل الثمرات تمّم هذا المعنى بكيفية ما يخرج من النبات من الأرض الكريمة والأرض السبخة ، وتلك عادة الله في إنبات الأرضين ، وفي الكلام حال محذوفة ، أي يخرج نباتا وافيا حسنا ، وحذفت لفهم المعنى ولدلالة : والبلد الطيب عليها ،

2190 ـ سورة البقرة : الآية 214

2191 ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ،ص 149 .

2192 ـ سورة الأعراف : الآية 57 ـ 58

ولمقابلتها بقوله: « إلاّ نكدا » ، ولدلالة بإذن ربّه ، لأنّ ما أذن الله في إخراجه لا يكون إلاّ على أحسن حال »«[2193]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها حال عند قوله تعالى : «يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ»«[2194]» وقدّر هذه الحالة المحذوفة بقوله : «يخرج نباتا حسنا وافيا» . والذي سوّغ حذفها هنا هو كون المعنى مفهوما ، ولوجود قرائن ودلالات دلت عليها . وقد ذكر من هذه الدلالات دلالة جملة والبلد الطيب ، لأنّ البلد الطيب إذا شبّه بالأرض الطيبة الخصبة فمعلوم أنّها لا تنبت إلاّ نباتا حسنا وافيا ، وذكر من الدلالات أيضا قوله تعالى : «إِلَّا نَكِدًا»«[2195]» فأخبر أنّ الحال المحذوفة مقابلة لها . ووجه ذلك أنّه إذا أعربت لفظة نكدا حال ولم تعرب صفة لمصدر محذوف كانت مطابقة للتقدير الذي قدّرت به الحال المحذوفة وهو« نباتا حسنا وافيا » ، ثمّ ذكر من الدلالات أيضا جملة «بإذن ربّه » لأنّها في موضع الحال من نباته .

هذا وقد أشار إلى هذا المعنى الذي ذكره الإمام الألوسي ، فقال : « يخرج نباته بإذن ربّه بمشيئته وتيسيره ، وهو في موضع الحال ، والمراد بذلك أن يكون حسنا وافيا غزير النفع لكونه واقعا في مقابلة قوله : والذي خبث من البلاد السبخة لا يخرج إلاّ نكد أي قليلا لا خير فيه ، ومن ذلك قوله : لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت تافها نكدا ونصبه على الحال »«[2196]» .

[2193]ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 322

[2194]ــ سورة الأعراف : الآية 57

[2195]ــ سورة الأعراف : الآية 58

[2196]ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج 4 ، ص 686.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾«[2197]».

قال ــ رحمه الله ــ : « واثنتي عشرة حال ، وأجاز أبو البقاء أن يكون قطعنا بمعنى صيّرنا ، وأن ينتصب اثنتي عشر على أنّه مفعول ثاني لقطعناهم ، ولم يعد النحويون قطعنا في باب ظننت ، وجزم به الحوفي ، فقال اثنتي عشرة مفعول لقطعناهم ،وتمييز اثنتي عشرة محذوف لفهم المعنى تقديره : اثنتي عشرة فرقة »«[2198]»

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف منها تمييز العدد لكون المعنى مفهوما . وقدّره بقوله : «اثنتي عشرة فرقة » ، فالتمييز محذوف هنا لأنّه وجد ما يدل عليه ويصح أن يكون بدل عنه . وهو لفظة «أمما» . وقد ذهب بعض النحاة والمفسرين إلى القول بأنّ تمييز اثنتي عشر هو «أسباطا» لكنّه مخالف لما عليه النحاة من أنّ تمييز اثنا عشر ونحوه لا يكون إلاّ مفردا . وقد تعرّض لهذه المسألة الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ ، حيث قال : « وأسباطا » بدل من اثنتي ، والتمييز بين العدد محذوف مقدّر اثنتي عشر فرقة أو قطعة أسباطا وإمّا أن يزول عن التمييز ويقدّر وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة ، ثمّ أبدل أسباطا ، والأول أحسن وأبين ، ولا يجوز أن يكون أسباطا تمييزا ، لأنّ التمييز لا يكون إلاّ مفردا نكرة ...»«[2199]» فهذا النّص عن الإمام ابن عطية يؤكد فيه حذف التمييز ويقدّره بلفظة فرقة أو قطعة ، ويستبعد أن تكون أسباطا لأنّها جمع سبط ، وتمييز الاثنا عشر ونحوها ينبغي أن يكون مفردا ، كما ذكر هذا أيضا الإمام ابن عاشور بقوله : « وجيء باسم العدد بصيغة التأنيث في قوله : اثنتي عشرة لأنّ السبط أطلق هنا على الأمة ، فحذف تمييز العدد لدلالة قوله : أمما عليه ، وأسباطا حال من الضمير المنصوب في وقطعناهم ، ولا يجوز كونه تمييزا لأنّ تمييز اثنتي عشرة ونحوه لا يكون إلاّ مفردا »«[2200]»

[2197]ــ سورة الأعراف : الآية 160

[2198] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 405 .

[2199]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 535

[2200]ــ التحرير والتنوير : ج 9، ص 143

وبهذا يتأكد أنّ ما ذكره أبو حيّان من حذف التمييز لدلالة المعنى عليه ذهب إليه أغلب المفسرين و أكّدوه .

وفي ختام الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام أبي حيّان اتضحت عنايته بهذا الأسلوب من أساليب العربية ، حيث نصّ على كثير من أنواعه من حذف للفعل وللمفعول وللفاعل ، وحذف للأجوبة ، وحذف للحال ، وحذف للتمييز معقبا تلك الإشارات جميعا ببيان سبب الحذف والأغراض والمقاصد من الحذف مع شرحها وتحليلها ، فعدّد الحذف لكون المحذوف معلوما ولكونه مفهوما ولوجود ما يدل عليه ولقصد المبالغة ، فهي إذن إشارات تدل على إلمامه ودرايته واهتمامه بهذا الأسلوب .

المطلب الثامن : أسلوب الحذف في تفسير الإمام ابن عرفة

ذكر الإمام ابن عرفة بعضا من أنواع الحذف في تفسيره ، وبيّن بعضا من مقاصده وأغراضه ، ومن جملة المواضع التي نصّ فيها على ذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾«[2201]».

قال ــ رحمه الله ــ : « معطوف على محذوف ، أي : فاضرب فانبجست قيل له : قال ابن عصفور : إنّ المحذوف ضرب ، والفاء المتصلة فا انبجست ، وأمّا الفاء الملفوظ بها فهي داخلة على ضرب مقدّر بين الفاء وبين انبجست ، فقال : ليتنافى ما يعطفه عليه ... قال الزمخشري : فإن قلت : ما فائدة هذا الحذف ؟ فأجاب بأنّه إشعار بسرعة الإنبجاس بنفس الأمر حتّى كأنّه سابق على الضرب ...»«[2202]»

[2201] ــ سورة الأعراف : الآية 160

[2202] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 261

يشير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها معطوف عليه وهو الفعل ضرب ، فانبجست معطوفة على الفعل ضرب ، وهذا النوع من الحذف داخل في الإيجاز بالحذف الذي يحذف فيه السبب نفسه ، فالسبب هنا هو الفعل المحذوف ضرب ،لأنّه سبب في الانبجاس وقد حذف لدلالة الكلام عليه ، وقد نقل الغرض من هذا الحذف عن الإمام الزمخشري ، فذكر أنّه حذف السبب للإشعار والإيماء بسرعة الانبجاس والانفجار ، حتّى كأنّه سابق على الضرب ، ونصّ الإمام الزمخشري في تفسيره هو : « فإن قلت : فهلاّ قيل :فضرب فانبجست ؟ قلت لعدم الإلباس ، وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أنّ الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر، وأنّه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الافصاح به »«[2203]».

هذا وقد نصّ على الحذف في هذا الموضع من أئمة البلاغة الإمام العلوي ، حيث مثّل به للإيجاز بالحذف قائلا : «إيجاز بحذف السبب نفسه ، ومثاله قوله تعالى : « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانبجست » ، لأنّ التقدير فضرب فانفجرت ، فحذف السبب وهو قوله : «فضرب » لدلالة الكلام عليه ، ومن جهة أنّ الفاء أكثر موقعها في المسببات ،فمن أجل ذلك جاز حذف السبب عنها »«[2204]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾«[2205]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله تعالى : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض » هذا القول واقع فيما مضى ، ودائم في المستقبل ، ودوامه محقق ولذلك دخلت عليه إذ لأنّه من باب تغيير المنكر فهو

[2203] ـ الكشاف : ج 2 ، ص 159

[2204] ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ص 209

[2205] ـ سورة البقرة : الآية 11

واجب ، وحذف الفاعل قصدا للعموم والشيوع في القائل ، ولأنّ القائل عظيما أو حقيرا لا يقبلون منه »«[2206]».

يخبر الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها الفاعل من الفعل قيل ، وحذف الفاعل هنا لأنّ الفعل الماضي بني للمجهول ، وهذه الحالة هي أحد الحالات التي يجوز فيها حذف الفاعل ، ثمّ ذكر أنّ القصد والغرض من حذفه هو التعميم ، أي بيان أنّ القائلين لهم هذا القول والناصحين لهم جماعة كبيرة علموا منهم حقيقة الإفساد ، لأنّه لو قاله قائل واحد لم يكن له تأثير ، ولم يذكر الإمام ابن عرفة تقدير الفاعل المحذوف ، وقدّره الإمام الزمخشري ـ رحمه الله ـ بقوله : « فإن قلت كيف صحّ أن يسند قيل إلى «لا تفسدوا وآمنوا » وإسناد الفعل إلى الفعل ممّا لا يصّح ، قلت : الذي لا يصح إنّما هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنّه قيل : وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام ...»«[2207]».

فهذا النّص من الإمام الزمخشري يفهم منه أنّه يقدّر الفاعل بتقدير «هذا القول وهذا الكلام» فتكون جملة ولا تفسدوا في الأرض هي القائمة مقام الفاعل .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾«[2208]».

قال ـ رحمه الله ـ : « حذف الفاعل إمّا تحقيرا له إن كان المزين الشيطان أو تعظيما إن كان المزين الله ، قال ابن القصار : أو حذف للاهتمام حسبما ذكر البيانيون : أنّه إذا كان المقصود

[2206] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1، ص 141

[2207] ـ الكشاف : ج 1، ص 101

[2208] ـ سورة التوبة : الآية 37

بالذات المفعولة يختص بالفاعل من اللفظ ، ويكتفي بذكر المفعول إشارة إلى أنّه هو الله ».«[2209]».

يخبر الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها فاعل « زيّن » وسبب الحذف هو بناء الفعل للمفعول ، ثمّ ذكر أنّ الغرض والقصد من الحذف إمّا أن يكون للتحقير . وذلك بحمل التزيين على الشيطان فهو المزين ، فاستغنى عن ذكره ، وإمّا أن يكون لقصد التعظيم ، وذلك بحمل التزيين على الله فهو المزين ، ثمّ ذكر رأيا آخر عن الإمام ابن القصار مفاده أنّ القصد منه هو الاهتمام . والذي يظهر من هذه الأقوال والله أعلم أنّ حمل التزيين على الشيطان هو الأولى ، ورجّح الإمام أبو حيّان أن يكون المزين هو الشيطان فقال : « والأولى أن يكون المنسوب إليه التزيين الشيطان ، لأنّ ما أخبر به عنهم في سياق المبالغة في معرض الذم »«[2210]» فأبو حيّان يرجح كون المزين هو الشيطان من سياق الكلام . وذكر أنّ المزين في هذا الموضع هو الشيطان الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « ... أي لأنّ الشيطان زيّن لهم سوء أعمالهم فحسّن لهم القبيح »«[2211]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾«[2212]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قيل : المفعول إنّما حذف قصد العموم ، فالمراد وإن تدع أحدا وهو عام في القريب والبعيد ، فما أفاد ولو كان ذا قربى ، وأجيب بأنّه نفي لما قد يوهم قربه فيذب عنه ويرعاه »«[2213]».

[2209] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 306 .
[2210] ــ تفسير البحر المحيط : 5 ، ص 43.
[2211] ــ التحرير والتنوير : ج 10، ص 194
[2212] ــ سورة فاطر : الآية 18
[2213] ــ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 333 .

يشير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مفعول تدع لقصد العموم ، أي ليعم ويشمل جميع من يدعى من القريب والبعيد ، وقدّر هذا المفعول المحذوف بلفظة «أحدا» ، وما ذكره من غرض العموم فصحيح ، إذ هو أحد الأغراض التي يحذف لأجلها المفعول لا سيما إذا كان في سياق النفي ، وهي هنا كذلك ، والظاهر أنّ الإمام ابن عرفة قد أخذ هذا المعنى عن الإمام الزمخشري ، فهو من صرّح بذلك ، حيث قال :« فإن قلت : فلم ترك ذكر المدعو ؟ قلت ليعم ويشمل كل مدعو»«[2214]» وقد أشار إلى حذف المفعول هنا أيضا قصد التعميم الشيخ الطاهر بن عاشور قائلا : « وحذف مفعول تدع لقصد العموم . والتقدير : وإن تدع مثقلة أي مدعو »«[2215]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾«[2216]».

قال ــ رحمه الله ــ : « فإن قلت : فقد قال السّكاكي : في مفعول شاء أنّه يحذف ولا يذكر إلاّ إذا كان مستغربا لقوله : ولو شئت أن أبكي دما لبكيته«[2217]» .

وهذا مستغرب فهل ذكره ؟ فالجواب أنّ الفاعل هو الله تعالى ، ولا يستغرب إلى المخلوق ، وأمّا الخالق فليس شيء عنده بغريب أصلا »«[2218]».

يورد الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية تساؤلا مفاده أنّ الإمام السكّاكي ذكر أنّه مفعول المشيئة أي ــ شاء ـ ويضاف إليه أيضا مفعول الإرادة يحذف ولا يذكر إلاّ في حالة ما

[2214]ــ الكشاف : ج 3 ، ص 616

[2215]ــ التحرير والتنوير : ج 22 ، ص 289

[2216] ــ سورة يسن : الآية 67.

[2217] ــ البيت للخزيمي ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، ط 1 ، تحقيق مفيد قميحة وجماعة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1424 هـ ــ 2004ج 5 ، ص 178

[2218]ــ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 356 .

إذا كان غريبا ، أي إذا كان في تعلق المفعول به غرابة فإنّه يذكر . وهذه أحد الحالات التي يذكر فيها ، إضافة إلى حالة احتياج عود الضمير عليه ، وحالة دفع توهم السامع إرادة الشيء الغير المراد فيقصد لإثباته «[2219]» وهذا الموضع فيه نوع من الغرابة وهو المسخ ، فلماذا لم يذكره ، ثمّ أجاب بأنّ الفاعل حقيقة هو الله تعالى فهو الذي يحدث المسخ . وهذا ليس بغريب عنه، وإنّما يستغرب إذا كان الفاعل هو الإنسان .فهذا ليس مألوفا منه ، وما أجاب به ــ رحمه الله ــ وجيه فأفعال الله لا تستغرب ولذلك لم يذكر المفعول على تلك القاعدة .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾«[2220]».

قال ــ رحمه الله ــ :« قوله : « إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ». الزمخشري : حذف الموصوف بما في إيهامه بالجميع من فخامة فقدّمت مع ذكره ، ابن عرفة : أراد أنّه حذف قصدا للعموم لبقاء اللفظ صالحا لأن يكون المقدّر يهدي الطريق التي هي أقوم أو للملة التي هي أقوم ، ولو ذكر أحدهما لكان خاصا فحذف لقصد صلاحية هدايته للجميع »«[2221]».

ينقل الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية قولا عن الإمام الزمخشري مفاده أنّه حذف فيها الموصوف لقصد التفخيم ، وقد فسّر هذا التفخيم بأنّ المقصود منه التعميم أي تعميم هداية القرآن لكل مكان وزمان ، وحذف الموصوف داخل في الإيجاز بالحذف ، وغالبا ما يحذف لدلالة الصفة عليه والاكتفاء بها عنه ، غير أنّ هذا لا يمنع تضمن حذفه أغراض أخرى ، وكلام الزمخشري الذي ذكره هو : « ... للحالة التي هي أقوم ، للحالات التي هي أقوم الحالات وأسدّها ، أو للملة ، أو للطريقة ، وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف ، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه »«[2222]» وقد ذكر أيضا الشيخ الطاهر

[2219] ــ ينظر: الإيضاح لتلخيص المفتاح : ص 107 ــ 108، والبرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 167

[2220] ــ سورة الإسراء : الآية 9

[2221] ــ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 59

[2222] ــ الكشاف : ج 2، ص 608

بن عاشور هذا القول عن الإمام الزمخشري دون التصريح بذلك ، فقال : « والتي هي أقوم صفة لمحذوف دلّ عليه يهدي أي للطريق التي هي أقوم ، لأنّ الهدايات من ملازمات السير والطريق ، أو للملة الأقوم ، وفي حذف الموصوف من الإيجاز من جهة والتفخيم من جهة أخرى ما رجّح الحذف على الذكر»«[2223]».

وكختام لهذه النماذج الواردة في تفسير الإمام ابن عرفة يمكن القول بأنّه أشار لبعض من صور الحذف وأنواعه. وذلك بنصّه على حذف السبب وهذا داخل في باب الإيجاز بالحذف ، وتصريحه بحذف نائب الفاعل للفعل المبني للمجهول، وحذف المفعول وحذف الموصوف كذلك الذي هو من أنواع الإيجاز بالحذف . وفي تنبيهه على هذه المحذوفات يحرص على توضيحها وشرحها ببيان سبب الحذف وتعليل ذلك مع التصريح بالقصد والغرض من الحذف ، حيث عدّد جملة من الأغراض كالحذف للعلم بالمحذوف ، أو الحذف لقصد العموم ، أو الحذف لقصد التفخيم ،أو الحذف لقصد الاحتقار إلى غير ما ذكر من المقاصد . وهو يستعين في بيان ذلك في الغالب بالنقل عن الإمام الزمخشري تارة بالتصريح باسمه . وفي مواضع من دون ذكره ، ويضاف لذلك أيضا إيراده لبعض مسائل الحذف البلاغية كمسألة حذف مفعول المشيئة ونقله لكلام الإمام السّكاكي فهذا يدل على وقوفه على المكتب المصنفة في هذا الفنّ واطلاعه بمسائله .

[2223]ـ التحرير والتنوير : ج 15 ، ص 40

ـ المبحث السادس : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الفصل والوصل

خصصت المبحث السادس من هذا الفصل لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول ظاهرة من الظواهر البلاغية تميزت بكثرة الأسرار ودقة المسالك ، جعل العلم والاحاطة بها إحاطة بالبلاغة كلها. وذلك لقلة المحكمين لها والبصيرين بها ، ألا وهي ظاهرة الفصل والوصل ، فجاء هذا المبحث ليتعرض لجهود المفسرين المغاربة في معالجة هذه الظاهرة البلاغية

المطلب الأول : مفهوم الفصل والوصل لغة واصلاحا

قبل بيان معنى الفصل والوصل عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاّ الوقوف على المدلول اللغوي لهذين المصطلحين ، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم المعاني ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

ـ الفرع الأول : الفصل والوصل لغة

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذين المصطلح لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

جاء في الصحاح للإمام الجوهري ما نصّه : « الفصل واحد الفصول ، وفصلت الشيء فانفصل ، أي قطعته فانقطع ، وفصل من الناحية ، أي خرج وفصلت الرضيع عن أمّه فصالا ، وافتصلته إذا افتطمته ، وفاصلت شريكي »«[2224]».

فالإمام الجوهري يذكر أنّ معنى الفصل هو القطع .

وقال ابن منظور : « الفصل الحاجز بين الشيئين ، فصل يفصل بينهما فصلا فانفصل ، وفصلت الشيء فصلا فانقطع »«[2225]» .

[2224] ـ مادة فصل : ج 5 ، ص 68 .

[2225] ـ لسان العرب : ج 11 ، ص 521 ـ مادة فصل ـ.

فابن منظور يخبر أنّ معنى الفصل هو القطع .

وقال الإمام الزبيدي : «الفصل الحاجز بين الشيئين ، كما في المحكم ، والمصنفون يترجمون به أثناء الأبواب ، إمّا لأنّه نوع من المسائل مفصول عن غيره ، أو لأنّه ترجمة فاصلة بينه وبين غيره ، فهو بمعنى مفعول أو فاعل ... الفصل القطع وإبانة أحد الشيئين عن الآخر ، وقال الحرّالي : هو اقتطاع بعض من كل ، فصل بينهما يفصل ، بالكسر فصلا في الكلّ مما ذكر »«[2226]»

فالإمام الزبيدي يذكر أنّ الفصل يطلق ويراد به القطع بين الأشياء للتفريق والتمييز بينها .

وبالنظر في هذه المعاجم والقواميس نجد أنّ مصطلح الفصل يطلق ويستعمل في معنى القطع ، وسنرى أنّ هذا المعنى اللغوي هو المقصود والمراد بالمعنى الاصطلاحي .

وأمّا فيما تعلّق بلفظة الوصل فقد ورد في لسان العرب لا بن منظور ما نصّه : « وصل : وصلت الشيء وصلا وصلة والوصل ضد الهجران ابن سيده ، الوصل خلاف الفصل وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصِلة وصُلة »«[2227]»

فالإمام ابن منظور يخبر أنّ الوصل ضد الفصل الذي يعني القطع كما سبق بيان ذلك .

وقال الإمام الزبيدي : « وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصِلة بالكسر والضم ، ووصل الشيء وصل إليه يصل وصولا ووصُلة بضمها وصِلة بالكسر بلغه وانتهى إليه ، ووصله إليه وأوصله أنهاه إليه وأبلغه إيّاه ، واتصلّ الشيء بالشيء لم ينقطع »«[2228]» .

فالإمام الزبيدي يرى أنّ مادة وصل تعني إيصال الشيء وإبلاغه إلى منتهاه ، وكذلك هي نقيض القطع .

[2226] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 30 ، ص 162 ـ مادة وصل ـ .

[2227] ـ ج 11 ، ص 726 ـ مادة وصل ـ

[2228] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 31 ، ص 80 ـ 81 ـ مادة فصل ـ .

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى الاتصال الذي هو ضد القطع .

ــ الفرع الثاني : الفصل والوصل اصطلاحا

يعزو البعض ابتداء الحديث عن هذه الظاهرة البلاغية في كتب اللغة للإمام سيبويه ، وهذا باعتبار ما وصل من كتب النحو واللغة ، وإلاّ فإنّه لا شك أن يكون هناك من تناوله قبله من أئمة اللغة وأساطينها ، وإشارة سيبويه له في كتابه لم تكن دقيقة بمقدار ما استقر عليه هذا المبحث عند المتأخرين ، وإنّما كانت مجرّد إشارات لها اتصال بهذا البحث أو إشارات لها تعلق بجزئيات وحيثيات هذا الموضوع ، ويذكر البعض أنّ الذي أورده سيبويه في كتابه هو ما يفيد شبه كمال الاتصال وإن لم يصرّح باسمه ، كما تحدّث عن كمال الانقطاع بين الجملتين إذا اختلفتا خبرا وإنشاء ، وهذه الإشارات بالجملة لها تعلق بما استقر عليه المبحث عند متأخري البلاغيين .

وبعد الإمام سيبويه كان للإمام الفرّاء إشارات لمبحث الوصل والفصل أكثر وضوحا من سيبويه «[2229]» ، حيث وجد في كتابه معاني القرآن إشارات لهذا المبحث بشيء من الدّقة تارة بالتفريق بين الأسلوبين وذلك في توجيه الآيات التي حوت هذه الظاهرة ، وتارة ببيان الأسباب التي تدفع للفصل والوصل ، ومع ذلك كلة فإنّ إشارته لهذا الفن لم يكن بالاصطلاح المتعاهد عليه الآن في كتب البلاغة ، وإنّما إشارات كجملة غير مضبوطة بتحديد المصطلحات أكثر منها بالتمثيل وإيراد الشواهد مع التحليل والتوضيح .

وبعد الإمام الفرّاء أشار الإمام الجاحظ لهذا المصطلح في كتابه عندما أخبر أنّه « قيل : للفارسي ما البلاغة ، قال : معرفة الفصل من الوصل »«[2230]» ، هذا ما جاء من حديث الجاحظ عن

[2229] ــ ينظر : الفصل والوصل في القرآن الكريم : شكر محمود عبد الله ، ط 1 ، مصر ــ دار دجلة ناشرون وموزعون ، 2009 م ، ص 5 .

[2230] ــ البيان والتبيين : ج 1 ، ص 61 .

الفصل والوصل ، لكنّه لم يبين حقيقته ولم يسق الشواهد كما هي عادته في الحديث عن المباحث الأخرى التي تطرّق إليها في كتابه .

ومن اللغويين الذين أشاروا إلى بعض مباحث الفصل والوصل الإمام المبرّد ، فقد أشار إلى ذلك عند حديثه عن المواضع التي يجوز فيها العطف بالواو ، فقال : « ... ومثل هذا من الجمل مررت برجل أبوه منطلق ،و لو وضعت في موضع رجل معرفة لكانت في موضع حال فعلى هذا تجري الجمل ، وإذا كان في الثانية ما يرجع إلى الأول جاز ألا تعلقه به بحرف العطف وإن علقته به فجيد ، وإذا كان الثاني لا شيء فيه يرجع إلى الأول فلا بدّ من حرف العطف ، وذلك قولك مررت برجل زيد خير منه وجاءني عبد الله أبوه يكلمه ، وإن شئت قلت : وزيد خير منه ، وأبوه يكلمه بالواو ، وهي حرف عطف ، فأمّا إذا قلت مررت بزيد عمرو في الدّار فهو محال إلاّ على قطع خبر واستئناف آخر ، فإن جعلته كلاما واحدا قلت : مررت بزيد وعمرو في الدار ، وهذه الواو التي يسميها النحويون واو الابتداء ومعناها إذ ... »«[2231]».

فهذا الكلام من الإمام المبرّد تعرّض فيه لقضايا الفصل والوصل مثل : «كمال الانقطاع » و« التوسط بين الكمالين »«[2232]».

وممّن تعرّض للفصل والوصل الإمام أبو هلال العسكري ، حيث عقد فصلا في كتابه لذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل ، فنوّه كثيرا بأهمية معرفة الفصل والوصل ، وذلك بما نقله من أخبار اللغويين والشعراء في أهمية تحصيله ومعرفة مواضعه ، ثمّ نقل أخبار عن قوم من الأدباء لم يراعوا موضع الفصل والوصل فأشكل كلامهم ووقع موقع اللبس ، ثمّ أشار إلى المواضع التي يحسن فيها القطع «[2233]».

[2231] ـ المقتضب : ج 4 ، ص125

[2232] ـ الفصل والوصل في القرآن الكريم : شكر محمود عبد الله ، ص 6

[2233] ـ الصناعتين : 438

ولما جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني تعرّض لظاهرة الفصل والوصل بشيء من التدقيق والتأصيل كان مرجعا وعمدة لمن بعده بنوا عليه قواعد وأصول هذا المبحث شأنه شأن غيره من موضوعات المعاني ، فكانت دراسته مؤصلة لقواعده ، وفي معرضّ حديثه عنه استهل الكلام بالإشارة والتنبيه على أهمية الإلمام بقواعد هذا المبحث إذ هو سر من أسرار البلاغة ، كما أنّه لا يخوض فيه ولا يحكم القول فيه إلاّ الأعراب الخلّص الذين أعطوا ذوقا في الكلام .

وقد مهدّ الحديث عن الفصل والوصل في الجملة بالإشارة إلى عطف المفرد وفائدته لينتقل بعدها لموضوع الفصل والوصل في الجمل مدعما وموضحا ذلك كله بالشواهد والأمثلة المقربة للموضوع ، ليخلص في الأخير إلى الجمل من ناحية الفصل والوصل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد ، فلا يكون العطف فيه البتة .

وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله ، إلاّ أنّه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى ، فهذه حقها العطف .

وجملة ليست شيء في الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إيّاه ، ولا مشاركا له في معنى ، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلاّ بأمر ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ، وحق هذاترك العطف البتة «[2234]».

ليقرر في الأخير أنّ الفصل ، أي ترك العطف إمّا أن يكون للاتصال إلى الغاية أو الانفصال الغاية ، والوصل ، أي العطف يكون لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين«[2235]» .

وبمجيئ الإمام السّكاكي الذي قسّم البلاغة إلى علومها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) ، فإنّه أدرج ظاهرة الفصل والوصل ضمن مباحث علم المعاني ، وقد قام بمحاولة وضع حدّ له قائلا : «

[2234] ـ دلائل الإعجاز : ص 243

[2235] ــالمصدر نفسه : ص 243

الفصل : «هو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات ، وكذلك طي الجمل عن البين ولا طيها »«[2236]» ، وقد كان في تقريره لهذا الموضوع متأثر بعبد القاهر وسائرا على خطاه في ذلك ، إلاّ أنّ البعض يرى أنّ بحثه لم يكن واضحا بشيء دقيق وإنّما كان كلام جامعا «[2237]» .

وبعد الإمام السّكاكي قام الإمام الخطيب القزويني بوضع حدّ له فعرّفه بقوله : « الوصل عطف بعد الجمل على بعض والفصل تركه »«[2238]» ، وقد كان في عرضه له مستفيدا ممّا قرّره عبد القاهر و السّكاكي مع شيء من التحليل والتقعيد ، وعلى خطى القزويني صار معظم شراح تلخيصه على المفتاح ، فحصروا البحث فيه تحت تلك الدّائرة .

وقد كان لبعض المعاصرين البلاغيين تعريفات لهذا الموضوع ، وممّن تطرّق إلى ذلك الإمام المراغي حيث عرّفه بقوله : « هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف أو التهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند الحاجة إليها »«[2239]».

المطلب الثاني : بلاغة الفصل والوصل في اللغة العربية

لقد أدرك البلاغيون الأوائل أسرار الفصل والوصل ، ونبّهوا على عظيم موقعه في لغة العرب ، فهذا الإمام الجاحظ يتحدث عن الإمام الفارسي لما سئل ما البلاغة ، فأجاب : «البلاغة معرفة الفصل والوصل»«[2240]» ، فهذا الكلام من الإمام الفارسي يحد فيه البلاغة بأنّها معرفة الفصل والوصل ، وبالتالي فإنّ البليغ لا يكون بليغا إذا لم يكن ملمّا بأصول هذا الأسلوب وعارفا بضوابطه وقواعده ، ومميزا لمواضعه من موانعه .

[2236]ـ مفتاح العلوم : ص 294 .

[2237]ـ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية : أحمد مطلوب ، ص 550 .

[2238]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ج 1 ، ص 45 .

[2239]ـ علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ، ط 10 ، مكة ـ دار إحياء التراث الإسلامي ، 1992 م ، ص 147 ـ 148.

[2240]ـ البيان والتبيين : ص 61

وهذا الإمام أبو هلال العسكري ـ رحمه الله ـــ يعقد بابا في كتابه لذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل أورد فيه مجموعة من الآثار عن أساطين النحو والبلاغة فيها تنويه وتنبيه بقدر الفصل والوصل وبيان عظيم موقعه من الكلام العربي ، فأورد ما ذكره الفارسي لما سئل عن ماهية البلاغة ، فأجاب بأنّها معرفة الفصل والوصل ، ونقل عن المأمون قوله : أنّ البلاغة إذا كانت عارية عن معرفة الفصل والوصل كانت بمثابة اللؤلوء الغير المنتظم ، كما جعل معرفة الفصل والوصل من حلية البلاغة ، ثمّ ذكر بعض الآثار عن بلغاء العرب بيّن فيها اعتنائهم بمواضع الفصل والوصل ، منها قول معاوية رضي الله عنه لأحد جلساءه يا أشدق قم عند قروم العرب وحجاجها فسل لسانك وجل في ميادين البلاغة وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال ، فإنّي شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتابا وكان يتفقد مقاطع الكلام ، كتفقد المصرم صريمته «[2241]» .

وهذا الإمام عبد القاهر الجرجاني يعدّه في الدلائل أحد أسرار البلاغة مخبرا أنّه لا يحكم القول فيه إلاّ الأعراب الخلّص ممّن أتوا مبلغا عظيما من الفصاحة والبلاغة ، فقال : « اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيئ بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، وممّا لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلّص ، وإلاّ قوم طبعوا على البلاغة ، وأتوا فنّا من ذوق الكلام هم بها أفرادا »«[2242]».

وقد أبان عن سبب ذلك لكونه غامضا ولكونه دقيق المسلك ، كما أنّ من أحاط به فقد أحاط بسائر جوانب البلاغة .

وذكر الإمام السّكاكي أنّ الفصل والوصل هو محك البلاغة ، فالملم به يشهد له بالبلاغة العالية ، وأنّ له اليد الطولى في ذلك ، فقال : « وإنّها لمحك البلاغة ، ومنتقد البصيرة ، ومضمار النظار ، ومتفاضل الأنظار ، ومعيار قدر الفهم ، ومسبار غور الخاطر ، ومنجم صوابه وخطائه ، ومعجم

[2241]ـ الصناعتين :ص 439 .

[2242]ـ دلائل الإعجاز : ص 222

جلائه وصدائه ، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى ، وأنّ لك في وشيها اليد الطولى »«[2243]» .

ولنختم الحديث عن بلاغة الفصل والوصل بما ذكره الإمام العلوي ـ رحمه الله ـ في قوله : « وهما من أجلّ قواعد البلاغة وأعلاها ، وأرسخها في الفصاحة عرقا ، وأرفعها وأسماها ، ولقد سئل بعض العلماء عن معنى البلاغة فقال : هي معرفة معاني الفصل والوصل ، فصار مضمارا للخواطر ، ومحكا للأنظار ، معيارا لمقادير الأفهام ، وفيه تتفاضل الهمم ، وتتفاوت القيم »«[2244]».

فهذه إذن وقفة مع بلاغة الفصل والوصل وأهميته في اللغة العربية حاولنا فيها الإشارة إلى بعض الجوانب والمظاهر التي استحقت من أجلها هذه الظاهرة تلك المنزلة بين الأساليب العربية ، وذلك بما أشرنا إليه من تنبيهات وتنويهات لفطاحل البلاغيين واللغوين عن ذلك ، وبعدها نسعى بحول الله تعالى إلى تجلية أغراض ومقاصد تلك الظاهرة ببيان جهود المفسرين المغاربة في تناولها والوقوف على مدى إسهاماتهم في الغوص فيها والكشف عن أسرار مقاصدها ومكنون أغراضها ، وقد قصرت هذا البحث على مفسرين فحسب وهما الإمامان ابن الزبير وأبو حيّان . وذلك لعدم تعرض المفسرين الآخرين لهذه الظاهرة في تفاسيرهم في حد ما وقفت عليه .

[2243] ـ مفتاح العلوم : ص 255 .

[2244] ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ص 239 .

المطلب الثالث : الفصل والوصل في كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي

وردت الإشارة لبعض مواضع الفصل والوصل في كتاب ملاك التأويل . وذلك عند تعرض الإمام ابن الزبير لتوجيه المتشابه من الآيات القرآنية ، حيث حرص على تعليل مواضع الفصل والوصل وإبراز الغرض والفائدة من ذلك ، ومن جملة ما تردد ذكره في كتابه :

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾«[2245]» قال ـ رحمه الله ـ : « ... ونظير الآية في سقوط حرف التشريك «﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ ﴾«[2246]» ومجرى الإعراب في الآية أن يكون قوله : «قالوا» مقدر الاستئناف كأن قد قال قائل لما قال : «وجاء السحرة فرعون» قيل فما فعلوا أو ما قالوا فجووب بهذا المقدار قالوا أئن لنا لأجرا . وهذا الضرب كثير فصيح وموجود حيث يقصد بالإيجاز كهذه الآية »«[2247]».

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن الزبير يخبر فيه أنّ آية الأعراف سقط منها حرف العطف الواو في لفظة «قالوا» فابتدأ بها استئنافا وبالتالي كانت مفصولة عمّا قبلها فلذلك لم تعطف عمّا قبلها بحرف العطف . وقد مثّل لنظير هذا الفصل بآية في سورة يوسف ، ثمّ ختم هذ التوجيه بتعليله للفصل في هذه الآية وعدم وصلها بما قبلها وهو قصد الإيجاز . وقد نصّ على الفصل هنا الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وجملة قالوا إنّ لنا لأجرا استئناف بياني بتقدير سؤال من يسأل : ماذا صدر من السحرة حين مثلوا بين يدي فرعون ...»«[2248]».

[2245]ـ سورة الأعراف : الآية 113

[2246]ـ سورة يوسف : الآيتان 16 ـ 17

[2247]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 306

[2248]ـ التحرير والتنوير : ج 9 ، ص 45

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾«[2249]» مع قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾«[2250]» تساءل عن ثبوت الواو في لفظة «ولتبتغوا» في سورة النحل وسقوطها في سورة فاطر ،ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « فلمّا كان من مقصود الآية تعداد النعم ناسب ذلك عطف بعضها على بعض لأنّه مظنة إطناب وتفصيل ، فقيل : « ولتبتغوا من فضله » . وأمّا آية الملائكة فبنيت على إبداء القدرة وجليل الحكمة ... فتعلق المجرور لتبتغوا باسم الفاعل المجموع أي سخرة للابتغاء من فضله ، فالابتغاء هنا منجر في طي الكلام ، والامتنان مقصود ، ألا ترى أنّ مخر السفن كأنّه ليس لشيء إلاّ للابتغاء فلمّا تعلقت اللام بمواخر من حيث تحمل اللفظ معنى الفعل لم يصح دخول الواو ...»«[2251]»

في هذا النص المنقول عن الإمام ابن الزبير يبين فيه سبب ثبوت الواو في لفظة «ولتبتغوا» وبالتالي تكون موصولة ومعطوفة على ما قبلها ، فذكر أنّ آية النحل جاءت في سياق تعديد النعم المنعم بها على العباد وتفصيلها والابتغاء من فضل الله من جملة تلك النعم المذكورة ، فلذلك وصلت وعطفت على ما قبلها ، بخلاف لفظة «لتبتغوا » في سورة فاطر، فإنّها فصلت ولم تعطف على ما قبلها لأنّها متصلة بما قبلها ، وذلك أنّ العلة من مخر السفن كما قال هو للابتغاء . فكان الابتغاء متعلقا بمخر السفن أي أنّ السفن سخرت للابتغاء من فضل الله. وهذا يدل على الاتصال بين الجملتين فلذلك امتنع الوصل ولم يتحقق إلاّ الفصل، وقد نقل القول الذي ذكره الإمام ابن الزبير الإمام ابن جماعة ووجه به المتشابه من الآيتين ، فقال : « جوابه أنّ آية النحل سيقت لتعداد النعم

[2249] ــ سورة النحل : الآية 14

[2250] ــ سورة فاطر : الآية 12

[2251] ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 295

على الخلق بدليل تقديم قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ ﴾«[2252]» وآية فاطر سيقت لبيان القدرة والحكمة ...»«[2253]»

في معرض تعليقه وتوجيهه لقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾«[2254]» تساءل عن حذف الواو في بدايتها وإثباتها في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾«[2255]».

وقد أجاب عن ذلك بقوله : « ولما لم يتقدّم قبل هذه الآيات فيما اتصل بها مقال من ذكر ممّن حقت عليه كلمة العذاب أتى قوله :« كذلك حقت » فصورة الاستئناف غير معطوفة إذ لم يتقدّم ما يعطف عليه ... أمّا آية غافر ، فإنّه تقدّم قبلها قوله تعالى : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾«[2256]» ، ثمّ أعقب بذكر قوم نوح والأحزاب وهمّ كل أمة منهم برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذهم الله وأهلكهم بما حق عليهم »«[2257]».

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن الزبير يبيّن فيه سبب حذف الواو من آية يونس في لفظة «كذلك» وبالتالي فصل هذه الآية عمّا قبلها لكونها لم تتصل بما قبلها ولم يرد فيها ذكر من حقت عليه كلمت العذاب من قبل فناسب ذلك الاستئناف والفصل ، بخلاف لفظة «كذلك» في سورة غافر الواردة بالواو وبالتالي تكون الآية موصولة ومعطوفة على ما قبلها ، والسبب في ذلك

2252_ سورة النحل : الآية 14

2253_كشف المعاني في المتشابه من المثاني : ط 1 ، تحقيق عبد الجواد خلف ، المنصورة ـ دار الوفاء ـ ، 1410 ـ 1990 م ، ص 225 .

2254_ سورة يونس : الآية 33

2255_ سورة غافر : الآية 6

2256_ سورة غافر : الآية 4

2257_ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 337

على حدّ قوله هو تقدّم ذكر من حقت عليه كلمة العذاب في سورة غافر وهم قوم نوح والأحزاب الذين همّوا بإخراج رسلهم ومجادلتهم بالباطل فصحّ عند ذلك عطف الجملة على ما تقدّم ذكره . فهذه علة الفصل والوصل في الآيتين عند الإمام ابن الزبير وهو في ذلك يراعي السياق للتعليل والتوجيه وهذا هو الأصل في ذلك .

في معرض تعليقه وتوجيهه لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ تساءل عن زيادة الواو في هذه الآية وحذفها من الآية الثانية في قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾«[2258]».

وقد أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عن ذلك أنّ الآية معطوفة على ما قبلها من آيات هي إخبار عمّا يلقاه الإنسان المتقدم ذكره من الأهوال والشدائد في المواقف الأخروية وما بين يديها ، أولها قوله : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾«[2259]» ، ثمّ قال: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾«[2260]» ، ثمّ قال : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ «[2261]» ، فهذه إخبارات عن شدائد بعضها تلو بعض ، فطابق ذلك ورودها معطوفا على بعض . وأمّا قوله :﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾«[2262]» ، فهو إخبار مبتدأ مستأنف معرف بتبرىء قرينه من جملة ما تأبطه واجترحه . ولا طريق لعطف ذلك على ما قبله . ولا طريق لعطف ذلك على ما قبله ، إنّما هو إستئناف إخبار »«[2263]».

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن الزبير يبيّن فيه سبب وصل الآية في الموضع الأول من سورة ق بما قبلها من الجمل . وفصلها في الموضع الثاني ، فأخبر أنّ الآية في الموضع الأول عطفت على ما

[2258]ـ سورة ق : الآية 27

[2259]ـ سورة ق : الآية 19

[2260]ـ سورة ق : الآيتان 20 ـ 21

[2261]ـ سورة ق : الآية 23

[2262]ـ سورة البقرة : الآية 27

[2263]ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 1030

قبلها أي وصلت لأنّها جاءت في سياق الإخبار عن جملة من أهوال يوم القيامة يلقاها الإنسان فتتابع ذكر تلك الأهوال والمواقف . وهذه الآية من جملة تلك الإخبارات فلذلك استحقت وصلها بما قبلها . وعدم فصلها. في حين أنّ الآية في الموضع الثاني جاءت في موضع الابتداء والاستئناف للإخبار عن شيء جديد غير متعلق بتلك الإخبارات فلذلك لم تعطف على ما قبلها ، هذا وقد أشار لتوجيه الفصل والوصل في الآيتين الإمام أبو حيّان حيث قال : « قال قرينه : لم تأت هذه الجملة بالواو ، بخلاف وقال قرينه قبله ، لأنّ هذه استؤنفت كما استؤنفت الجمل في حكاية التقاول في مقاولة موسى وفرعون ، فجرت مقاولة بين الكافر وقرينه ، فكأنّ الكافر قال ربيّ هو أطغاني ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ ﴾«[2264]» وأمّا قوله : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ «[2265]» فعطف لدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول ، أعني مجيء كل نفس مع الملكين »«[2266]» وتوجيه الإمام أبي حيّان يتقارب في المعنى مع توجيه الإمام ابن الزبير .

المطلب الرابع : الفصل والوصل في تفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي (البحر المحيط)

ترددت الإشارة لبعض مواضع الفصل والوصل بين جمل الآيات القرآنية في تفسير الإمام أبي حيّان . وقد قام بتحليل تلك الموضع وشرحها مبينا في بعض الأحيان سبب الفصل والوصل مع ذكر الغرض من الفصل الوصل ، ومن جملة تلك الإشارات التي وردت في تفسيره :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾«[2267]»

قال ـ رحمه الله ـ : « ولا ريب جملة تحتمل الاستئناف ، فلا يكون لها موضع من الاعراب ...»«[2268]»

[2264] ـ سورة البقرة : الآية 27

[2265] ـ سورة ق : الآية 23

[2266] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 125

[2267] ـ سورة البقرة : الآية 2

[2268] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 159

في هذا النّص المنقول عن الإمام أبي حيّان يذهب للقول بأنّ جملة لا ريب تحتمل الاستئناف . وهي لا محل لها من الإعراب ، وتعبير أبي حيّان بالاستئناف يريد به الانفصال عن الجملة السابقة . وهي جملة ذلك الكتاب ، فهذه الجملة عنده فصلت عن سابقتها . وهذه الآية تندرج ضمن أحد المواطن التي يكون فيها الفصل أولى من الوصل وهي حالة ما إذا كان بين الجملتين كمال الاتصال بشكل من أشكال الاتصال وهي أنواع . وهذه الجملة ــ لاريب فيه ــ نازلة من الجملة الأولى منزلة التأكيد المعنوي ، بمعنى أنّها مؤكدة لها وإن اختلفت عنها في المعنى . ووجه ذلك أنّ جملة ذلك الكتاب تضمنت مبتدأ وخبرا وجملة لاريب فيه جاءت مؤكدة للكتاب المخبر عنه بأنّه لا شك فيه . وقد ذكر البلاغيون هذا المثال عند حديثهم عن كمال الاتصال ونصّوا على أنّ جملة لاريب فيه مفصولة عمّن قبلها ، وممّن ذكر ذلك الإمام الخطيب القزويني ، فقال : « وأمّا كمال الاتصال فيكون لأمور ثلاثة : الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط ، وهو قسمان : أحدها : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع اختلاف المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾«[2269]» ، فإنّ وزان «لا ريب فيه » في الآية وزان «نفسه» في قولك : « جاءني الخليفة نفسه» ،فإنّه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ «ذلك» ، وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أنّه ممّا يرمى به جزافا من غير تحقق ، فأتبعه « لا ريب فيه » نفيا لذلك إتباع «الخليفة نفسه » إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنّك في قولك : «جاءني الخليفة» متجوز أو ساه »«[2270]»

وقال في تفسير نفس الآية في موضع آخر : « والأولى جعل كل جملة مستقلة ، فذلك الكتاب جملة ، ولا ريب جملة ، وفيه هدى للمتقين ولم يحتج إلى حرف عطف لأنّ بعضها آخذ بعنق ،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2269ــ سورة البقرة : الآية 2

2270ــ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 149

فالأولى أخبرت بأنّ المشار إليه هو الكتاب الكامل ... والثانية نعت لا يكون شيء ما من ريب . والثالثة أخبرت أنّ الهدى فيه للمتقين »«[2271]».

فالإمام أبو حيّان في هذ النّص يصرح بانفصال هذه الآيات عن بعضها البعض وأنّ الأرجح من الأقوال التي قيلت في إعراب هذه الآية هو جعل كل جملة مستقلة عن الأخرى وعدم عطفها على بعضها البعض . والذي يهمّ من هذه الجمل الثلاث هي الجملة الأخيرة فإنّها تصدق على حالة من حالات الفصل . وهي كون الجملة الثانية نازلة من الأولى منزلة التأكيد اللفظي ، بمعنى أنّ جملة هدى للمتقين جاءت مؤكدة لجملة لا ريب فيه لذلك فصلت عنها . وقد نص على الحذف هنا لكمال الاتصال الخطيب القزويني ، فقال : « أن تنزل الثانية من الألى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى ، كقوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾«[2272]» ، فإنّ «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ » ، معناه أنّه في الهداية بالغ درجة لا يدرك بها كنهها حتّى كأنّه هداية محضة . وهذا معنى قوله : « ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ »«[2273]»، لأنّ معناه كما مرّ الكتاب الكامل ...»«[2274]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾«[2275]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... ولما أخبر عنهم بخبرين مختلفين كرّر أولئك ليقع كل خبر منهما في جملة مستقلة وهو آكد في المدح إذ صار الخبر مبينا على مبتدأ . وهذان الخبران هما نتيجتا الأوصاف السابقة إذ كانت الأوصاف منها ما هو متعلقة أمر الدنيا ، ومنها ما متعلقة أمر الآخرة ، فأخبر عنهم بالتمكن من الهدى في الدنيا وبالفوز بالآخرة . ولما اختلفا الخبران كما ذكرنا ، أتى بحرف العطف في المبتدأ ، ولو كان الخبر الثاني في معنى الأول ، لم يدخل العاطف لأنّ الشيء لا يعطف

[2271]ــ تفسير البحر المحيط : ج1 ، ص 161
[2272]ــ سورة البقرة : الآية 2
[2273] ــ سورة البقرة : الآية 2
[2274]ــ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 149
[2275]ــ سورة البقرة : الآية 5

على نفسه . ألا ترى إلى قوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾«[2276]» بعد قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ كيف جاء بغير عاطف لاتفاق الخبرين اللذين للمبتدأين في المعنى ؟ ويحتمل هم أن يكون فصلا أو بدلا فيكون المفلحون خبرا عن ذلك، أو المبتدأ والمفلحون خبره. والجملة من قوله : هم المفلحون في موضع خبر أولئك ، وأحكام الفصل وحكمة المجيء به مذكور ة في كتب النحو . وقد جمعت أحكام الفصل مجردة من غير دلائل في نحو من ست ورقات . وإدخال هو في مثل هذا التركيب أحسن ، لأنّه محل تأكيد ورفع توهم من يتشكك في المسند إليه الخبر أو ينازع فيه »«[2277]».

في هذا النّص يشير الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ لوقوع وصل بين جملتين هما : «أولئك على هدى من ربهم » و « وأولئك هم المفلحون» . وقد علل الوصل بكون الخبرين في الجملتين مختلفين أي غير متحدين في المعنى ولو كانا بمعنى واحد أو بمنزلة واحدة لما وقع الوصل بينهما . وهذه احدى الحالات التي يقع فيها الوصل بين الجمل عند البلاغيين ويسمونها بالتوسط بين الكمالين ، أي التوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال . وقد أشار لوقوع الوصل هنا بسبب التوسط بين كمال الانقطاع والاتصال الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « ووجه العطف بالواو دون الفصل أنّ بين الجملتين توسطا بين كمالي الاتصال والانقطاع لأنّك إن نظرت إلى اختلاف مفهومها وزمن حصولها ، فإنّ مفهوم احداهما وهو الهدى حاصل في الدنيا ومفهوم الأخرى حاصل في الآخرة كانتا منقطعتين . وإن نظرت إلى تسبب مفهوم احداهما عن مفهوم الأخرى ، وكون كل منهما مقصودا بالوصف كانا متصلين ، فكان التعارض بين كمالي الاتصال والانقطاع منزلا إيّاهما منزلة المتوسطين ، كذا قرّر شراح الكشاف . ومعلوم أنّ حالة التوسط تقتضي العطف كما تقرّر في علم المعاني ...»«[2278]».

[2276] ـ سورة الأعراف : الآية 179

[2277] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 169

[2278] ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 246

كما يظهر في النّص المنقول عن الإمام أبي حيّان اهتمامه بمبحث الفصل والوصل عندما ذكر أنّه جمع أحكام الفصل في ست ورقات. فهذا يدل على عنايته بهذا الموضوع من موضوعات النحو والبلاغة .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾«[2279]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... والذي نختاره هو الاحتمال الأول ، وهو أن تكون الجملة مستأنفة ، كما قررناه ، إذ هذه الجملة والجملتان بعدها هي من تفاصيل الكذب ونتائج التكذيب . ألا ترى قولهم : إنّما نحن مصلحون ، وقولهم : أنؤمن كما آمن السفهاء ، وقولهم عند لقاء المؤمنين ، من كذب محض ، فناسب جعل ذلك جملا مستقلة ذكرت لإظهار كذبهم ونفاقهم ونسبة السفه للمؤمنين واستهزاءهم ، فكثر بهذه الجمل واستقلالها ذمهم والرد عليهم »«[2280]».

في هذ النصّ المنقول عن الإمام أبي حيّان يذهب فيه للقول بأنّ جملة : «وإذا قيل لهم لا تفسدوا » منفصلة عن الجملة الواردة قبلها . وقد ذكر هذا الرأي بعد أن أورد جملة من الوجوه الإعرابية في إعرابها . وهذه الحالة في الآية تصدق قاعدة من قواعد الفصل عند البلاغين . وهي الفصل لعدم الاشتراك في الحكم ، بمعنى أنّ الجملة الثانية لا تشترك مع الأولى في نفس المعنى لذلك وجب الفصل بينهما ، وقد أشار إلى الفصل هنا الخطيب القزويني ، فقال «[2281]» : « الفصل لعدم الاشتراك في الحكم . وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها عليها ... وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾

[2279]ــ سورة البقرة : الآية 11 ــ 12

[2280]ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص196

[2281]ــ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 146

وفي نصّ الإمام أبي حيّان على الفصل في هذه الآية أشار للغرض من ذلك عندما أخبر أنّ القصد من الفصل فيها وفيما بعدها من الجمل هو الرد على الكافرين و المنافقين وإظهار كذبهم

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾«[2282]» .

قال ــ رحمه الله ــ : « يجوز في أنت الابتداء والفصل والتأكيد . وقد تقدّم الكلام في الفصل و فائدته ، وهو من المسائل التي جمعت فيها الكلام في نوع من سبع أوراق أحكاما دون استدلال »«[2283]».

يرى الإمام أبو حيّان في هذا النّص أنّ جملة : إنّك أنت السميع العليم مفصولة ومستقلة عن الجملة التي قبلها . والعلة في ذلك أنّها نازلة منزلة الأولى في التأكيد . وهذا من كمال الاتصال . وهو يؤكد في هذا الموضع مرة أخرى تصنيفه وكتابته في أحكام الفصل .

فهذه إذن بعض النماذج من تفسير الإمام أبي حيّان تبيّن تناوله لبعض أحكام الفصل والوصل في تفسيره ، وقد ظهر من خلال هذه النماذج تعليله لأسباب الفصل والوصل . والإشارة في بعض الأحيان للغرض من ذلك ، كما ظهر من مجموع أقواله اهتمامه بمبحث الفصل والوصل وتصنيفه فيه .

[2282]ــ سورة البقرة : الآية 127

[2283]ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص558

ـ المبحث السابع : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الإيجاز والإطناب

ـ المطلب الأول : تعريف الإيجاز والإطناب لغة واصطلاحا

قبل بيان معنى الإيجاز والإطناب عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاً الوقوف على المدلول اللغوي لهذين المصطلحين ، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم المعاني ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

ـ الفرع الأول : الإيجاز والإطناب لغة

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذين المصطلحين لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

جاء في الصّحاح للإمام الجوهري ما نصّه : « وجز : أوجزت الكلام : قصرته ، وكلام موجز وموجز ، ووجز ووجيز ، وتوجزت الشيء مثل تنجزته »«[2284]».

فالإمام الجوهري يذكر أنّ معنى الإيجاز : هو القصر .

وقال الإمام ابن منظور : « وجز الكلام وجازة ووجزا ، وأوجز قلّ في بلاغة ، وأوجزه اختصره ، يقال : أوجز فلان إيجازا في كل أمر وأمر وجيز ، وكلام وجيز أي خفيف مقتصر ... ، وأو جزت الكلام قصّرته »«[2285]» .

فالإمام ابن منظور يخبر بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يفيد معنى التقليل والتخفيف والتقصير .

وقال الإمام الزبيدي : « أوجز كلامه : قلّله ، وكذلك العطاء ، وهو كلام وجز وعطاء وجز »«[2286]» .

[2284] ــ مادة ــ وجز ــ: ج 3 ، ص 38 .

[2285] ــ لسان العرب : ج 5 ، ص 427 ــ مادة وجز ــ.

[2286] ــ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 15 ، ص 368 ــ مادة وجز ــ .

وبالنظر في هذه المعاجم والقواميس نجد أنّ مصطلح الإيجاز يطلق ويستعمل في معنى التقليل والقصر، وسنرى أنّ هذا المعنى اللغوي هو المقصود والمراد بالمعنى الاصطلاحي .

وأمّا فيما تعلّق بلفظة الإطناب فقد ورد في كتاب الصحاح ما نصّه : « وأطنب في الكلام بالغ فيه ، وأطنبت الإبل إذا اتبع بعضها بعضا في السير »«[2287]» .

فالإمام الجوهري يذكر أنّ معنى الإطناب هو المبالغة في الشيء والتتابع فيه .

وقال الإمام ابن منظور ـ رحمه الله ـ : « والإطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ضمّا ، وأطنب في الكلام بالغ فيه ، والإطناب المبالغة في مدح أو ذمّ والإكثار فيه »«[2288]» .

فالإمام ابن منظور يخبر أنّ أصل الإطناب معناه المبالغة في الشيء .

وقال الإمام الزّبيدي : « وأطنب الرجل في الكلام : أتى بالبلغة في الوصف مدحا كان أو ذمّا ، والإطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذمّا ، وأطنب في الكلام : بالغ فيه ، والإطناب المبالغة في مدح أو ذمّ ، والإكثار فيه ، والمطنب المدّاح لكلّ أحد ، وقال ابن الأنباري: أطنب في الوصف إذا بالغ فيه واجتهد ، وأطنب في عدوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة »«[2289]».

فالإمام الزبيدي يصرّح بأنّ معنى الإطناب يرجع إلى المبالغة في الشيء والاجتهاد فيه .

فالمادة اللغوية من هذه المعاجم الثلاثة تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى المبالغة في الشيء.

[2287] ـ ج 1 ، ص 191 ـ 192 مادة ـ طنب ـ

[2288] ـ لسان العرب : ج 1 ، ص 560 مادة ـ طنب ـ

[2289] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 3 ، ص 280 ـ مادة طنب ـ .

ـ الفرع الثاني : الإيجاز والإطناب اصطلاحا .

بعد بيان معنى الإيجاز والإطناب لغة نسعى في هذا المطلب بإذن الله تعالى لبيان معنييهما في اصطلاح البلاغيين والنّقاد ، مبتدئين أوّلا ببيان معنى الإيجاز ثمّ الإطناب .

الإيجاز من أساليب اللغة التي عني بها العرب لا سيّما البلاغيون منهم وأرباب هذه الصناعة ، ولا شك ولا ريب أنّ هذا الاهتمام سيولد تعريفا لهذه الظاهرة الأسلوبية وحدا تحد به ، حتّى تضبط عن غيرها من الظواهر اللغوية الأخرى .

وإنّ ممّن تعرّض له بالحدّ والتعريف الإمام الرّماني ، حيث قال في ذلك : « الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف »«[2290]» .

ويظهر من تعريف الإمام الرّماني تطابق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي فقد سبق وأن قلنا بأنّ معناه في اللغة هو التقليل ، فلهذا المعنى اللغوي نصيب من المعنى الاصطلاحي .

وممّن تناوله بالتعريف أيضا الإمام الرّازي ـ رحمه الله ـ حيث عرّفه بقوله : « إنّه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال »«[2291]» .

ويلاحظ على تعريف الإمام الرّازي مطابقته للمعنى اللغوي وموافقته للإمام الرّماني ، إلاّ أنّه زاد فيه شرطا ، وهو أن لا يكون فيه إخلال ، وهذا أصل أصيل عند النقاد في الإيجاز الحسن والمستحسن عندهم ، فإنّ الكلام إذا كان موجزا لكنّه أخل بالمعنى وأفسده فهذا مذموم عند أئمّة الفنّ وأساطينه .

ولما جاء الإمام السّكاكي بتقسيمه لعلوم البلاغة أدرج موضوع الإيجاز ضمن مباحث علم المعاني ، وعرّفه قائلا : « هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط »«[2292]» .

[2290] ـ النكت في إعجاز القرآن : ص 70 .

[2291] ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ط 1 ، ت نصر الله حاجي ، بيروت ـ دار صادر ـ ، 1424هـ ـ 2004 م ، ص 145 .

[2292] ـ مفتاح العلوم : ص 277

والذي قيل في تعريف الإمام الرّازي تضمنه كذلك تعريف الإمام القزويني .

ولما اختصر الإمام القزويني كتاب المفتاح ، سار فيه على نهج صاحبة ،فأدرج الإيجاز ضمن مباحث المعاني ، وسار على ذلك سائر شراح التلخيص من بعده .

هذا فيما تعلّق بمعنى الإيجاز اصطلاحا ، وأمّا الإطناب فقد تناوله بالتعريف كثير من أئمة البلاغة المتأخرين منهم الإمام ابن الأثير الذي عرّفه بقوله : « والذي يحدّ به أن يقال : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل ، إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى ، لغير فائدة »«[2293]» .

فيلحظ على تعريف الإمام ابن الأثير أنّه قيده بشرط تمام الفائدة ، حتّى يحترز به عن التطويل الذي هو إخلال وخروج عن المعنى .

وبتقسيم الإمام السّكاكي لمباحث البلاغة أدرج موضوع الإطناب ضمن مباحث المعاني رديفا للإيجاز ، وحدّه بقوله :« هو أداؤه الكلام بأكثر من عبارتهم ، سواء كانت القلة راجعة إلى الجمل أو غير الجمل »«[2294]».

ويلحظ على تعريف الإمام السّكاكي أنّه لم يشترط فيه تمام الفائدة ، كما ذكرها ابن الأثير وإنّما اكتفى فقط بذكر معنى التطويل في التعبير عن الشيء .

وما ذكره الإمام السّكاكي كان له تأثير في تعريف البلاغيين من بعده فقد ساروا على نهجه في ذلك من أمثال الإمام القزويني ، وسائر شرّاح التلخيص على الأغلب في ذلك .

[2293] ــ المثل السائر : ج 2 ، ص 120

[2294] ــ مفتاح العلوم : ص 277

ــ المطلب الثاني : بلاغة الإيجاز و الإطناب في اللغة العربية

إنّ الإيجاز والإطناب أسلوبان من أساليب العرب في الكلام وسنة من سننهم في التعبير عن المعاني ، ولقد أدرك البلاغيون أسرارهما ، ونبّهوا على عظيم موقعهما في لغة العرب ، وإذا ابتدأنا الحديث عن بلاغة الإيجاز ، فإنّ أوّل ما يستوقفنا هو تعظيم الأعراب الخلّص له ، حتّى إنّهم قد جعلوه حدا للبلاغة ، فقد ذكر الجاحظ ــ رحمه الله ــ : أنّ معاوية رضي الله عنه سأل صحار بن عياش ، فقال له : « ما تعدون البلاغة فيكم قال الإيجاز قال له معاوية وما الإيجاز قال له صحار : أن تجيب فلا تبطئ ، وأن تقول فلا تخطئ »«[2295]» ، كما حكى عن ابن الأعرابي أنّ الفضل بن محمد أخبره أنّه سأل أعرابيا فقال له : ما البلاغة ، فأجابه قائلا : الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل ، قال ابن الأعرابي فقلت للمفضل ما الإيجاز عندك قال : جذف الفضول وتقريب البعيد «[2296]» .

وقد ذكر الإمام أبو هلال العسكري أنّ الإيجاز من أدوية الكلام هو والإطناب ، ونقل عن جعفر بن يحيى أنّه أوصى كتابه فقال لهم : إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا «[2297]» ، كما نقل جملة من الآثار عن الأدباء والشعراء الذين انتهجوا الإيجاز في نثرهم وشعرهم ينوهون فيها بحسنه وأثره في الإفهام والإيضاح وعظيم موقعه على السمع .

وقد ذكر الإمام أبو الحسن الرّماني أنّ الإيجاز فيه تهذيب للكلام ، وتصفية للألفاظ ، فقال : « وإذ عرفت الإيجاز ومراتبه ، وتأملت ما جاء في القرآن منه ، عرفت فضيلته على سائر الكلام ، وهو علوّه على غيره من سائر الكلام ، وعلوّه على غيره من أنواع البيان ، والإيجاز تصفية الألفاظ

[2295] ــ البيان والتبيين : ص 66

[2296] ــ المصدر نفسه : ص 67

[2297] ــ الصناعتين : ج 1 ، ص 53 .

من الكدر وتخليصها من الدرن ، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير »«[2298]».

وما قيل في شأن الإيجاز يقال في شأن الإطناب ، فإذا كانت البلاغة عند العرب الأوائل تعني الإيجاز ، فهي كذلك تشمل الإطناب وتخصّه ، وقد سبق إيراد قول الأعرابي :« أنّ البلاغة الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل».

وقد ذكر الإمام الجاحظ ـ رحمه الله ـ أنّ هناك أشياء توجب الإطالة وتستدعيها ، وهي في هذه الحالة ليست بمذمومة ، بل على النقيض من ذلك ، فإنّه إذا كان الأمر يقتضي ذلك ويستلزمه كان بلاغة بشرط عدم مجاوزة الأمر المبتغى والمقصود ، فيقول : « وقد بقيت أبقاك الله تعالى أبواب توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى البغية »«[2299]».

كما أخبر ـ رحمه الله ـ أنّ الألفاظ ينبغي توزيعها على حسب المعاني المعبّر عنها ،فإذا كانت المعاني كثيرة استوجب الأمر إيراد الألفاظ الكثيرة ، والعكس ، وإذا كانت المعاني ظاهرة واضحة استلزمت الألفاظ القليلة ، وإذا كانت مشكلة وملتبسة اقتضت الألفاظ الكثير الموضحة لها ، والبليغ حق البلاغة هو من يستطيع توظيف ذلك ، وفي هذا يقول : « وإنّما الألفاظ على أقدر المعاني فكثيرها لكثيرها و قليلها لقليلها وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها ، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج إلى الألفاظ أقلّ ممّا تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة »«[2300]» .

وأخبر الإمام أبو هلال العسكري ـ رحمه الله ـ أنّ الإطناب يحتاج إليه كما يحتاج إلى الإيجاز ، وأنّه من ذمّ الإطناب والإسهاب مطلقا فقد حاد عن الصواب ، بل لكل واحد منها موضعه

[2298]ـ النكت في إعجاز القرآن : ص 80 .

[2299]ـ الحيوان : ج 6 ، ص 7

[2300]ـ المصدر نفسه : ج 6 ، ص 8 .

وموقعه الذي يكون به بلاغة وليس عيّا أو إخلالا ، فقال ــ رحمه الله ــ : « والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وفي كل نوع منه ، وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ »«[2301]» ، كما نقل عن جعفر بن يحيى إعجابه بالإيجاز لكنّه أنصف عندما أخبر أنّ الإيجاز في موضع الإطناب تقصير ، كما ذكر أبو هلال ــ رحمه الله ــ المواضع التي يستحمد فيها الإطالة في الكتابة ككتب السلاطين والأمراء التي فيها الحث على الطاعة والنهي عن المعصية وغيرها ممّا تعلّق بشؤن الحكم .

وقد أشار الإمام أبو هلال ـ رحمه الله ـ كذلك إلى بعض فوائد الإطناب بما حكاه ونقله عن أئمة اللغة منها الإسماع والإفادة والإفهام ، حيث قال : « وقال الخليل يختصر الكتاب ليحفظ ويبسط ليفهم ، وقيل لأبي عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم كانت العرب تطيل ليسمع منها وتوجز ليحفظ عنها »«[2302]»

ويتلخص ممّا سبق أنّ الإيجاز والإطناب بلاغة ، ولكل منهما موضعه وموقعه ، والبليغ هو من يحسن توظيف كل واحد منهما في المقام الذي يستحقه ويستدعيه ، كما أنّ الإفراط في كل واحد منهما بجعله في غير موضعه وموقعه يعدّ عيبا وخروجا عن دائرة الفصاحة ، وبعد هذا كلّه سأصرف القصد لما أردنا من بيان جهود المفسرين المغاربة في تناول هذين الأسلوبين من أساليب البلاغة .

[2301] ــ الصناعتين : الكتابة والشعر : ص 190

[2302] ــ المصدر نفسه : ص 192

ـ المطلب الثالث : الإيجاز والإطناب في كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي

الفرع الأول : الإيجاز

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾«[2303]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ومن قرأ بالتاء ففي الكلام حذف مضاف دلّ عليه ما يتصل بالمضاف إليه ، تقديره : ولا تحسبّن يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم »«[2304]».

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مضاف على قراءة من قرأ فعل الحسبان بالتاء وهو حمزة ، وهذا الحذف كان لدلالة ما يتصل بالمضاف إليه . وقدّره بقوله : «ولا تحسبّن يا محمد بخل الذين » وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه هو أحد صور الإيجاز بالحذف والغرض منه الإيجاز والاختصار . وغالبا ما يكون لوجود ما يدل على المحذوف من قرينة أو عقل .

هذا وقد أشار إلى وجود حذف مضاف في الآية على هذه القراءة كثير من المفسرين واللغوين ، فممّن أشار إليه الإمام الزجاج«[2305]» .كما نبّه عليه الإمام البيضاوي قائلا : « ومن قرأ بالتاء قدّر مضافا ليتطابق مفعولاه ، أي : ولا تحسبّن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم »«[2306]» وذكره

[2303]ــ سورة آل عمران : الآية 180

[2304] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 1188 .

[2305]ــ معاني القرآن وإعرابه : ج 1 ، ص 493

[2306]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 51

الإمام الرازي بقوله : « ... أمّا قراءة حمزة بالتاء المنقطة من فوق فقال الزجاج : معناه ولا تحسبّن بخل الذين يبخلون خيرا لهم فحذف المضاف لدلالة يبخلون عليه ...»«[2307]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾«[2308]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وعن ابن عباس أنّه خلق معتدلا مقوما ، وليس شيء من الحيوان إلاّ خلق منكبا على وجهه إلاّ الإنسان ، وتقدير الكلام : لقد خلقنا الإنسان في تقويم أحسن تقويم ، ثمّ حذف الموصوف وقامت الصفة مقامه »«[2309]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها موصوف وقامت الصفة مقامه . وذلك في قوله تعالى : «فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ» ، وكان تقدير الكلام : «لقد خلقنا الإنسان في تقويم أحسن تقويم» وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أحد صور الإيجاز بالحذف. فالموصوف قد يطرح ويلغى اكتفاء بذكر الصفة فتكون دالة عليه .والغرض من ذلك كله هو طلب الإيجاز والإختصار ، وقد أشار إلى حذف الموصوف هنا كثير من المفسرين منهم الإمام ابن عطية«[2310]» والإمام أبو حيان«[2311]» والإمام ابن عادل«[2312]».

[2307]ــ مفاتح الغيب : ج 9 ،ص 441

[2308]ــ سورة التين : الآية 4

[2309] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12 ، ص 8343

[2310]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 471

[2311]ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 486

[2312]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 20 ، ص 480

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[2313]»

قال ـ رحمه الله ـ : « فهذا حذف ، و اختصار يدّل عليه جواب فرعون ، وهذا من إعجاز القرآن ، وإتيان اللفظ القليل بالمعاني الكثيرة ، ومثل هذا لا يوجد في كلام الناس : أي قال فرعون ، وأي : شيء ربّ العالمين ، قال موسى »«[2314]».

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها حذف دلّ عليه جواب فرعون وهذا الحذف من إعجاز القرآن ، حيث يعبر باللفظ القليل على المعاني الكثيرة . والحذف الذي ذكره الإمام مكي هو من الإيجاز التقديري ، فجواب فرعون الذي هو في الأصل استفهام استفهم به عن حقيقة الله تعالى مترتب على دعوة من موسى عليه السلام له ليؤمن بربّ العالمين . فأجابه موسى باستفهام تنكيري قائلا له : «ومارب العالمين » فهذا هو التقدير المحذوف من الكلام . ويشهد له من السورة نفسها أنّه سبق أمر المولى جلّ وعلا لموسى وهارون بأن يأتيا فرعون فيدعوانه لتوحيد الله تعالى ولا ريب أنّهما دعواه لذلك فكان الجواب من الذي ذكر ، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الرازي عندما قال : « اعلم أنّ فرعون لم يقل لموسى وما ربّ العالمين إلاّ وقد دعاه موسى إلى طاعة ربّ العالمين ، يبيّن ذلك ما تقدّم من قوله : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[2315]» فلا بدّ عند دخولهما عليه أنّهما قال ذلك . فعند ذلك قال فرعون وما ربّ العالمين »«[2316]»

[2313] ـ سورة الشعراء : الآية 23

[2314] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 5 ، ص 5289 .

[2315] ـ سورة الشعراء : الآية 16

[2316] ـ مفاتح الغيب : ج 24 ، ص 502

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾«[2317]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وقيل : من غير مرض ، وفي الكلام اختصار وحذف ، والتقدير : واجعل يدك في جيبك ، وأخرجها تخرج بيضاء »«[2318]».

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها حذفا لقصد الاختصار مقدرا إيّاه . والحذف هنا هو في حذف معطوفين من الأفعال ، إذ التقدير : وأدخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج ، غير أنّه حذف «تدخل» لدلالة «تخرج » وحذف «وأخرجها» لدلالة «وأدخل» . وقد روى الحذف في هذا الموضع الإمام ابن عادل ، حيث قال : ... « قالوا العرب تستحسن هذا، وهو من بديع كلامها ،ومثله قوله: «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ »«[2319]» تقديره : وأدخل يدك في جيبك ، تدخل وأخرجها تخرج ، فحذف «تدخل» ، لدلالة «تخرج» ، وحذف «وأخرجها» ، لدلالة «وأدخل »«[2320]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾«[2321]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وجواب لما محذوف تقديره : فلمّا أضاءت ما حوله طفئت ، ذهب الله بنورهم »«[2322]».

[2317] ــ سورة النمل : الآية 12

[2318] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 8 ، ص 5379 .

[2319] ــ سورة النمل : الآية 12

[2320] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 3، ص 165

[2321] ــ سورة البقرة : الآية 17

[2322] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية :ج 1، ص172

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب لما . وكان تقدير الكلام :« فلمّا أضاءت ما حوله طفئت ، ذهب الله بنورهم » ولم يذكر الغرض من هذا الحذف . والغالب منه هو الإيجاز وطلب الاختصار . وقد ذكر الإمام الزمخشري في جواب لما قولين أحدهما موجود . والآخر محذوف ، حيث قال : « فإن قلت : أين جواب لما قلت : فيه وجهان احداهما : أنّ جوابه ذهب الله بنورهم . والثاني : أنّه محذوف .. وإنّما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس للدّال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ في اللفظ من أداء المعنى »«[2323]».

وقد نقل هذا المعنى عن الإمام الزمخشري الإمام أبو السّعود«[2324]» . في حين أنكر الإمام أبو حيّان ما ذهب إليه الزمخشري من كون الجواب محذوف لاستطالة الكلام ولأمن الإلباس ، فقال: « قال الزمخشري : وإنّما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس الدّال عليه ، انتهى وقوله : لاستطالة الكلام غير مسلم لأنّه لم يستطل الكلام ، لأنّه قدّره خمدت ، وأي استطالة في قوله : « فلمّا أضاءت ما حوله خمدت ؟ بل هذا لما وجوابها ، فلا استطالة بخلاف قوله : فلمّا ذهبوا به فإنّ الكلام قد طال بذكر المعاطيف التي عطفت على الفعل وذكر متعلقاتها بعد الفعل الذي يلي لما ، فلذلك كان الحذف سائغا لاستطالة الكلام . وقوله : مع أمن الإلباس هذا أيضا غير مسلم ، وأي أمن إلباس في هذا ولا شيء يدل على المحذوف ؟ بل الذي يقتضيه ترتيب الكلام وصحته ووضعه مواضعه أن يكون «**ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ**»«[2325]» هو الجواب ...»«[2326]»

[2323]ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل :ج 1، ص 110

[2324]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 51

[2325]ـ سورة البقرة : الآية 17

[2326]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 213.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[2327]»

قال ــ رحمه الله ــ : « جواب لولا محذوف ، والتقدير : لولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلناك إليهم يا محمد إذا حلّ عليهم العذاب على كفرهم قبل إرسالك إليهم ، هلاّ أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحلّ بنا سخطك ، فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لعاجلهم العذاب »«[2328]».

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها حذف جواب لولا مقدرا إيّاه بما ذكر . والمراد بجواب لولا الأولى لا الثانية ، لأنّ الأولى حرف امتناع لوجود . والثانية للتحضيض وفي تنبيهه على الحذف لم يشر إلى الغرض منه ، والغالب من هذا الحذف أنّه يكون للإيجاز والاختصار لوجود ما يدّل عليه . وقد ذكر حذف جواب لولا الأولى الإمام الزمخشري فقال : « لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف »«[2329]» وتبعه على هذا القول الإمام الرازي«[2330]» ، كما ذكر الإمام القرطبي أنّ جواب لولا الأولى محذوف مع تقديره ، حيث قال: « وجواب لولا محذوف أي لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة فيقولوا ربّنا لولا»«[2331]».

[2327] ــ سورة القصص : الآية 47

[2328] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 8 ، ص 5543 .

[2329] ــ الكشاف ج 3، ص 422

[2330] ــ مفاتح الغيب : ج 25 ، ص 5

[2331] ــ الجامع لأحكام القرآن ج 13 ، ص 293.

الفرع الثاني : الإطناب

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾«[2332]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قال الزجاج :الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره بغير لفظه للتأكيد »«[2333]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية نقلا عن الإمام الزجاج أنّه أعيد وكرّر فيها ذكر الفرقان بتسمية الكتاب فهما شيء واحد واسمان من أسماء القرآن و أوصافه . وهذه الإعادة جاءت لغرض التأكيد ، وهذا الذي ذكره الإمام مكي هو تكرار الذي هو أحد صور الإطناب وأنواعه . والتكرار يأتي لنكات متعددة منها التأكيد وهو المقصود في الآية فكرر لفظ الفرقان للتأكيد على إتيانه لموسى وإنزاله عليه ، وقد ذكر هذا القول الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ ناقلا إيّاه عن الإمام الزجاج ومؤكدا أنّه قول محكي عن الإمام الفرّاء كذلك ، حيث قال: « قال أبو إسحاق الزجاج يكون الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره باسمين تأكيدا وحكي عن الفرّاء »«[2334]» وقد ذكر المفسرون أقوالا في كون الكتاب والفرقان المذكوران في الآية هل هما بمعنى واحد أم أنّهما متغايرين . وقد جنح البعض للقول بأنّهما شيء واحد الإمام الزجاج«[2335]» وجاراه على ذلك الإمام مكي وهو اختيار الزمخشري«[2336]» ويروى عن الإمام الفراء. وذهب الإمام النحاس للتفريق بينهما ذاكرا أنّ الكتاب هو التوراة ، والفرقان ما علمه الله موسى من الفرق بين الحق والباطل ، وذهبت طائفة أخرى إلى القول بأنّ الكتاب هو التوراة والفرقان هو المعجزات التي أيّد بها موسى عليها السلام ، وقال بعضهم إنّ الكتاب هو التوراة . والفرقان ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لا

[2332]ــ سورة البقرة : الآية 53

[2333] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية :ج 1 ، ص 269 .

[2334]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 1 ، ص 399

[2335]ــ معاني القرآن وإعرابه : ج 1 ، ص 134

[2336]ــ الكشاف : ج 1 ، ص 168

يصح حيث استبعده الإمام النحاس«[2337]» وقال: إنّه خطأ من جهة الإعراب والمعنى ، أمّا الإعراب فلأنّ المعطوف على الشيء مثله . وهذا يخالفه . وأمّا المعنى فلقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾«[2338]» وظاهر كلام الإمام أبي حيّان ترجيح القول الذي ذهب إليه الإمام الزجّاج والإمام مكي والزمخشري ، حيث اعتبره من باب عطف الصفات «[2339]».

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾«[2340]» قال ــ رحمه الله ــ : « ووقع التكرير للإفهام ، ولئلّا يصل ذلك إلى بعض دون بعض ، فكرّر الله التأكيد ليصل إلى الجميع »«[2341]».

يخبر الإمام مكي في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه تكرر الأمر فيها باستقبال القبلة ، حيث سبق الأمر بذلك في موضعين متقدمين على هذا الموضع . وقد ذكر أنّ الغرض من هذا التكرار هو الإفهام والتأكيد . وقد سبق القول بأنّ الإطناب يكون بالتكرار لنكتة يفيدها كالتأكيد وغيره . وهذا الموضع من مواضعه . وقد نبّه عليه الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وحصل من تكرير معظم الكلمات تأكيد للحكم ليترتب عليه قوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾وقد تكرر الأمر باستقبال النبي الكعبة ثلاث مرات ، وتكرر الأمر باستقبال المسلمين الكعبة مرتين . وتكرر أنّه الحق ثلاث مرات ، وتكرر تعميم الجهات ثلاث مرات ، والقصد من ذلك كله التنويه

[2337] ــ إعراب القرآن : د ط ، تحقيق زهير زاهد غازي ، بيروت ـ عالم الكتب ـ 1409 هـ ــ 1988 م ، ج 1، ص 225

[2338]ــ سورة الأنبياء : الآية 48

[2339] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 360

[2340]ــ سورة البقرة : الآية 150

[2341]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 506 .

بشأن استقبال الكعبة والتحذير من تطرق التساهل في ذلك تقريرا للحق في نفوس المسلمين ، وزيادة في الرد على المنكرين التأكيد »«[2342]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[2343]» قال ــ رحمه الله ــ : « هذا تكرير فيه تأكيد التهديد والوعيد والتخويف ... »«[2344]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها تكرار لغرض تأكيد معنى التهديد والوعيد والتخويف . وكما أسلفت القول سابقا أنّ التكرار أحد أنواع الإطناب ويؤتى به لإثبات نكات متعددة منها التأكيد ، فالتأكيد وقع هنا بإعادة لفظ العطف ثمّ المشعر بأنّ الإنذار والوعيد والتهديد الثاني أبلغ من الأول . وقد نصّ على هذا المعنى الإمام الخطيب القزويني عند حديثه عن الإطناب وتطرقه للتكرار ، حيث قال: « وإمّا بالتكرير لنكتة ، كتأكيد الإنذار في قوله تعالى : « كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » وفي ثمّ دلالة على أنّ الإنذار الثاني أبلغ وأشدّ »«[2345]» . وأشار للتكرار الذي غرضه التوكيد هنا كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال : « تكرير للتأكيد . وفي ثمّ دلالة على أنّ الثاني أبلغ من الأول »«[2346]».

[2342]ــ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 45.

[2343]ــ سورة التكاثر : الآية 3 ــ 4

[2344] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12، ص 8418.

[2345]ــ الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح : ص 188

[2346]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5 ، ص 334

في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾«[2347]».

قال ـ رحمه الله ـ :« الصلاة الوسطى هي أفضل الصلوات إعادتها بلفظها بعد أن دخلت في جملة الصلوات ، كما قال : « وملائكته » ، ثمّ قال : « وجبريل وميكال » ، وكما قال :﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾«[2348]» ، فأعاد «جبريل وميكال» ، وقد دخلا في جملة الملائكة ، وأعاد «النخل والرمان » وقد دخلا في جملة الفاكهة ، وذلك لفضل فيهما ، فأعيدا للتنبيه على الفضل ، فكذلك الصلاة الوسطى أعيدت لأنّها أفضل الصلوات »«[2349]».

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه أعيد ذكر الصلاة الوسطى بعد دخولها في جملة الصلوات المأمور بالمحافظة عليها ، كما أعيد ذكر جبريل ومكيال بعد دخولهما في جملة الملاكة في قوله تعالى :﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ ﴾«[2350]» كما أعاد ذكر النخل والرمان بعد دخولهما في جملة الفواكه المنبه عليها ، وقد ذكر أنّ الغرض من الإعادة هو التنبيه على فضل الصلاة الوسطى التي هي العصر ، وهذا الذي ذكره الإمام مكي يسمى ذكر الخاص بعد العام وهو أحد صور الإطناب وأنواعه . وقد نّص على وقوعه في هذه الآية كثير من البلاغيين منهم الإمام الخطيب القزويني ، حيث قال «[2351]»: « وإمّا بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتّى كأنّه ليس من جنسه ، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات ، .كقوله تعالى ... وقوله :«حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ » ، كما نبّه على هذا أيضا الإمام العلوي قائلا: « الضرب الثالث : الإطناب بذكر الخاص بعد العام

[2347]ـ سورة البقرة : الآية 238

[2348]ـ سورة الرحمان : الآية 68

[2349]ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : 1 ، ص 803 .

[2350]ـ سورة البقرة : الآية 98

[2351]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 188

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أجل التنبيه على فضله حتّى كأنّه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير في الوصف ، مع الاتفاق في الجنسية بمنزلة التغاير في الذات ، وإعظاما لحاله ، ورفعا من منزلته ، ومثاله قوله تعالى : «حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ »«[2352]» فإنّما ميّزها عمّا تقدّم ذكره من أجل ما ذكرناه من الإطناب إشادة لأمرها وإعظاما لحالها . ورفعا من منزلتها ...»«[2353]».

وقد أشار إلى ذكر الخاص بعد اندراجه في العام من المفسرين الإمام أبو حيّان «[2354]». وبهذا يكون الإمام مكي ـ رحمه الله ـ قد أشار إلى الإطناب في هذه الآية وبيّن الغرض منه وإن لم يصطلح على صورة الإطناب بذكر اسمه. إلاّ أنّ مضمون كلامه ومعناه يصب في المعنى الاصطلاحي لذكر الخاص بعد العام كما عهد وعرف عند البلاغيين .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾«[2355]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ثمّ قال تعالى : «وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ» أي : على حبّهم إيّاه وشهوتهم له »«[2356]»

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ مراد المولى جلّ وعلا من قوله : «وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ » أنّهم ينفقون المال مع حبّهم إيّاه وشهوتهم له . وهذا المعنى واضح من الآية وإنّما جيء بلفظ «على حبّه» مبالغة . ولم يؤت به لرفع إبهام وإزالته أو تفسير شيء مجمل ، إذ أنّ الكلام بدونها يفي بالمقصود . وهذا يسمى التتميم . وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة .

[2352] ـ سورة البقرة : الآية 238

[2353] ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ، ص 283

[2354] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 255

[2355] ـ سورة الإنسان : الآية 8

[2356] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 12 ، ص 7914 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾«[2357]»

قال ـ رحمه الله ـ : «فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ» : أي من لقاء البعث والرجوع إلى الحياة بعد الموت ، فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد به من ينكر البعث ، وقوله تعالى : « فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ » كلام اعترض بين كلامين »«[2358]».

يخبر الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ جملة «فلا تكن من لقائه» جملة اعتراضية اعترض بها بين كلامين وهما قوله تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ .... وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ». والاعتراض فيها كان بحرف الفاء . وهذا الاعتراض هو أحد صور الإطناب وأنواعه وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين من جهة المعنى بكلام لا محل له من الإعراب . والإتيان به بين ثنايا الكلام يكون لأغراض منها التنزيه والتنبيه والدعاء . والمراد منه في هذا الموضع والله أعلم هو تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الشك والريب فيما أوتي من كتاب وفيما ينتظره من تكذيب . نظيره نظير موسى عليه السلام، كما يتناول هذا التنبيه أمته صلى الله عليه وسلم .

[2357] ـ سورة السجدة : الآية 23

[2358] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 9 ، ص 5770.

المطلب الرابع : الإيجاز والإطناب في تفسير الإمام ابن عطية

الفرع الأول : الإيجاز

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾«[2359]»

قال ــ رحمه الله ــ : « واشكروا لي واشكروني بمعنى واحد ، و «لي» أشهر وأفصح مع الشكر، ومعناه نعمي وأيادي وكذلك إذا قلت شكرتك فالمعنى شكرت صنيعك وذكرته ، فحذف المضاف إذ معنى الشكر ذكر اليد وذكر مسديها معا فما حذف من ذلك فهو اختصار لدلالة ما بقي على ما حذف »«[2360]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مضاف تقتضيه لفظة «واشكروا لي » وقدّر هذا المضاف المحذوف بقوله : «نعمي» ، أي اشكروا نعمي ، لأنّ الشكر لا يكون إلاّ على نعمة أو معروف يسدى ، وذكر أنّ هذا الحذف كان لغرض الاختصار مع وجود ما يدل عليه من الكلام . وما ذكره ــ رحمه الله ــ هو صور من صور الإيجاز بالحذف فالمضاف إليه يحذف لغرض الايجاز والاختصار . وبهذا يكون الإمام ابن عطية قد نّص على المحذوف وبيّن الغرض من ذلك ، هذا وقد نقل هذا القول عن الإمام ابن عطية بعض المفسرين منهم الإمام أبو حيّان«[2361]» والإمام ابن عادل «[2362]».

[2359] ــ سورة البقرة : الآية 152

[2360] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 212 .

[2361] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 620 ـ 621

[2362] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 3 ، ص 77

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾«[2363]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ثمّ استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس وغيره ، وهذا مجاز ، والمراد أهله ، وكذلك العير هذا قول الجمهور وهو الصحيح ، وحكى أبو المعالي في التلخيص عن بعض المتكلمين أنّه قال هذا من الحذف وليس من المجاز ، قال : وإنّما المجاز لفظة تستعار لغير ما هي له ، قال القاضي أبو محمد وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازا ، ورجّح أبو المعالي في هذه الآية أنّه مجاز ، وحكى أنّه قول الجمهور ونحو هذا ...»«[2364]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ قوله تعالى : « وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ » مجاز والمراد بالقرية أهلها، لأنّ القرية مباني فيتعذر إجابتها وإنّما يراد بذلك أهلها ، ثمّ حكى قولا عن إمام الحرمين مفاده أنّ بعض المتكلمين جعلوا هذه الكلمة من باب الحذف وليس من المجاز ، لأنّ حقيقة المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له . والحذف ليس من ذلك لأنّ اللفظ استعمل في موضعه ، ليرجح بعدها أنّ حذف المضاف إليه هو عين المجاز ، مخبرا أنّ هذا المذهب هو مذهب الإمام سيبويه وغيره من المحققين من أهل النظر ، مع بيان أنّه ليس كل حذف يدخل في باب المجاز . وما ذكره ــ رحمه الله ـ فيه خلاف بين النحاة في عدّ حذف المضاف من المجاز أو لا . وقد ذكر الإمام الزركشي أنّ المحققين على أنّ حذف المضاف ليس من المجاز فقال : « وذهب المحققون إلاّ أنّ حذف المضاف ليس من المجاز لأنّه استعمال اللفظ فيما وضع له ، ولأنّ الكلمة المحذوفة ليست كذلك . وإنّما التجوز في أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف »«[2365]» . وقال في موضع آخر مبيّنا أقوال العلماء في هذه المسألة مع توجيهه لها

[2363] ــ سورة يوسف : الآية 82

[2364] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 278 .

[2365] ــ البرهان في علوم القرآن : ج 2، ص 274

: «فصل في أنّ الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور . المشهور أنّ المجاز حذف وحكى إمام الحرمين في التلخيص عن بعضهم : أنّ الحذف ليس بمجاز إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه والحذف ليس كذلك . وقال ابن عطية في تفسير سورة يوسف : وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه . وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجاز ، انتهى ، وقال الزنجاني في المعيار : إنّما يكون مجازا إذا تغير بسببه حكم ، فأمّا إذا لم يتغير به حكم كقولك: زيد منطلق وعمرو بحذف الخبر فلا يكون مجازا إذا لم يتغير حكم ما بقي من الكلام . والتحقيق أنّه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك لعدم استعماله . وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره . ــ وهو المجاز العقلي ــ فالحذف كذلك »«[2366]».

وأيّا كان الأمر فإنّ معظم البلاغين أدخلوا حذف المضاف في باب الإيجاز بالحذف . والمضاف المحذوف هنا يقدر ب :« أهل » والغرض من حذفه هو طلب الإيجاز والاختصار .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾«[2367]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقد حذف جواب لو مبالغة لأنّك تدع السامع يسموا به تخيله ، ولو شرحت له لوطنت نفسك إلى ما شرحت »«[2368]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب لو من قوله تعالى : «وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ » . وذكر أنّ الغرض من حذفه هو المبالغة ، حتّى تذهب نفس السامع في تصور هذا المحذوف كل مذهب بخلاف ما لو صرّح به فإنّه لا يحصل ذلك التخيل . وما ذكره ــ رحمه الله ــ صحيح فإنّ الغرض دائما من حذف الأجوبة إضافة إلى الإيجاز والاختصار

[2366]ــ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 104

[2367]ــ سورة البقرة : الآية 165

[2368]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 221.

والتفخيم والتعظيم هو المبالغة في تخيل الجواب المحذوف لتذهب مع نفس السامع أقصى ما يمكن. وقد نصّ على الحذف في هذا كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري«[2369]» والإمام الرازي الذي قال : « فعلى هذا جواب لو محذوف . وهو كثير في التنزيل كقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾«[2370]»﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ «[2371]»﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾«[2372]» ويقولون : لو رأيت فلانا والسياط تأخذ منه ، قالوا : وهذا الحذف أفخم وأعظم لأنّ على هذا التقدير يذهب خاطر المخاطب إلى كل ضرب من الوعيد ، فيكون الخوف على هذا التقدير ممّا إذا كان عيّن له ذلك الوعيد »«[2373]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله : «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ» الجواب محذوف تقديره : لرأيت عجبا أو هولا ونحو هذا ، وحذف هذا الجواب أبلغ من نصّه ، لأنّ السامع إذا لم ينص له الجواب يترك مع غاية تخيله »«[2374]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب لو ، ثمّ ذكر تقديره بقوله : «لرأيت عجبا أو هولا » ، كما نصّ على الغرض من حذفه مخبرا أنّ طرحه أولى من ذكره لأنّ بطرحه وحذفه تذهب معه نفس السامع كل مذهب في تخيله والتفكر في معناه . وما ذكر صحيح فحذف الأجوبة في مثل هذه المواضع يكون لغرض المبالغة مع أغراض أخرى أساسها الإيجاز والإختصار . وبهذا يكون الإمام ابن عطية أشار إلى حذف الجواب مع ذكر الغرض

[2369]ــ الكشاف : ج 1 ، ص 238

[2370]ــ سورة الأنعام : الآية 27

[2371]ــ سورة الأنعام : الآية 93

[2372]ــ سورة الرعد : الآية 31

[2373]ــ مفاتح الغيب : ج 4 ، ص 74

[2374]ــ المحرر الوجيز في تفسير اكتاب العزيز : ج 2 ، ص 381 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المترتب عليه . وقد نصّ على حذف الجواب هنا كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي«[2375]» والإمام القرطبي«[2376]» والإمام النسفي«[2377]» والإمام أبو السعود«[2378]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾«[2379]» قال ــ رحمه الله ــ : « المعنى هذا كتاب لمن أراد التمسك بالإيمان والقربة إلينا ، وفي هذه الآيات اقتضاب وإيجاز بديع حسب إعجاز القرآن العزيز ووصفه بالبركة لأنّ أجمعها فيه لأنّه يورث الجنة وينقذ من النار ويحفظ المرء في حال الحياة الدنيا ويكون سبب رفعة شأنه في الحياة الأخيرة »«[2380]».

يخبر الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها نوعا من الاقتضاب والايجاز البديع الذي يناسب إعجاز القرآن ، حيث حوت هذه الآية كثيرا من المعاني والدلالات عبّر عنها بألفاظ وجيزة قليلة لكنّها موفية بالغرض والمقصود . وهذه هي حقيقة الإيجاز ، وقد ذكر أنّ وصف القرآن بالبركة فيه كثير من المعاني والدلالات المنطوية تحته وعدّد منها صورا وخصالا يفيدها هذا الوصف ، فذكر أنّه يورث الجنّة وينقذ من النار ويحفظ الإنسان في الدنيا والآخرة وأنّ فيه شرفا ورفعة للمؤمن في آخرته ، فلفظ البركة على وجازته حمل هذه المعاني المذكورة . وهذا من الإيجاز الجامع الذي انفرد به القرآن عن باقي الكلام .

[2375] ــ مفاتح الغيب : ج 13 ، ص 26

[2376] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 7 ، ص 41

[2377] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2 ، ص 23

[2378] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 163

[2379] ــ سورة ص : الآية 29

[2380] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 572 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهذه النماذج الموردة من تفسير الإمام ابن عطية يتضح فيها ذكره لبعض أنواع الإيجاز وإشارته لصور منه كحذف المضاف، وحذف الأجوبة ، والإيجاز الجامع . ومنهجه في الإشارة يكون بالتنصيص على الحذف أو الإيجاز مع بيان الغرض منه ، كما أنّ إشاراته كان لها تأثير في المفسرين حيث نقل البعض منهم أقواله في هذا الباب ، كما يظهر فيها ـ آراءه ـ توافق مع آراء المفسرين

الفرع الثاني : الإطناب

ـ التكرار

في تفسير قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾«[2381]».

قال ـ رحمه الله ـ : « كرّرها عن قرب لأنّها تضمنت معنى التهديد والتخويف ، أي إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أحرى فوجب التأكيد فلذلك كرّرها ولترداد ذكرهم في معنى غير الأول »«[2382]».

يخبر الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع تكريرها مع تقدّم نظيرتها عليها لكونها متضمنة لمعنى التهديد و الوعيد . والتكرار هو أحد صور الإطناب التي نصّ عليها البلاغيون ، حيث يؤتى به لنكتة يفيدها ولغرض يترتب عليه يختلف باختلاف السياق . هذا وقد نصّ على التكرار في هذه الآية ونبّه على الغرض منه كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبي القائل : « كرّرها لأنّها تضمنت معنى التهديد والتخويف ، أي إن كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم ، فأنتم أحرى فوجب التأكيد ، فلذلك كرّرها »«[2383]».

[2381]ـ سورة البقرة : الآية 141

[2382]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 203 .

[2383]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 147.

كما نبّه عليه أيضا الإمام البيضاوي بقوله :« تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عمّا استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم ...»«[2384]» . وذكر الشيخ الطّاهر بن عاشور أنّ التكرير هنا كان لغرض تأكيد المعنى في نفوس السامعين ، فقال: « تكرير لنظيره الذي تقدّم آنفا لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين اهتماما بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين فلم يقتنع فيه بمرة واحدة ...»«[2385]» . وبهذا يكون الإمام ابن عطية قد نبّه على موطن التكرار وعلى الغرض والفائدة المرجوة منه.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾«[2386]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وكرّر قوله : « فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » تأكيدا أو تنبيها للنفوس وتحريكا لها وهذه طريقة من الفصاحة معروفة وهي من كتاب الله في مواضع وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفي كلام العرب وذهب قوم منهم ابن قتيبة وغيره إلى أنّ هذا التكرار إنّما هو لما اختلفت النعم المذكورة كرّر التوقيف مع كلّ واحدة منها وهذا حسن »«[2387]»

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها تكرّرت في جميع أجزاء السورة تأكيدا أو تنبيها للنفوس وتحريكا لها ، ذاكرا أنّ التكرار طرق من طرق العرب في الفصاحة ومذهب من مذاهبها . وأنّه واقع بكثرة في القرآن الكريم وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثمّ نقل عن الإمام ابن قتيبة أنّ تكرار هذه الآية بين أجزاء السورة كان لاختلاف النعم المذكورة ، فأعقب كل نعمة بهذا التكرار . وقد ارتضى قوله ووصفه بأنّه حسن . وهذا التكرار كان لتعدد المتعلق ، لأنّ السورة ذكرت جملة من النعم نعمة بعد نعمة . وعليه فكل غرض من التكرار مبني على ما عقب عليه من النعم . هذا وقد نصّ على التكرار في هذا الموضع كثير من البلاغيين واللغويين ،

[2384]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 110

[2385]ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 748

[2386]ــ سورة الرحمان : الآية 16

[2387]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 5 ، ص 206.

فممّن أشار إليه من البلاغيين الخطيب القزويني ، حيث قال :« وقد يكرر لتعدد المتعلق ، كما كرّره الله تعالى من قوله : « فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ »«[2388]» ، لأنّه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقّب كل نعمة بهذا القول . ومعلوم أنّ الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى»«[2389]» .

وذكر الإمام العلوي أنّ التكرار هنا جاء على جهة التقرير ، أي الاستفهام الذي غرضه التقرير ، حيث قال : « وإتيانه يأتي على أوجه في الإطناب : أولها : التقرير كما في سورة الرحمان في قوله تعالى : « فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا» فإنّه لما قرّر النعم وأكّدها وبالغ في ذكرها قرّرها بخروج هذا الاستفهام على جهة التقرير »«[2390]».

وذكر الإمام الرازي أنّ الغرض من هذا التكرار هو التقرير «[2391]». وكذلك الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وفائدة التكرير توكيد التقرير بما لله تعالى من نعم على المخاطبين ، وتعريض بتوبيخهم على إشراكهم بالله أصناما لا نعمة لها على أحد ، وكلّها دلائل على تفرد الإلهية ...»«[2392]».

[2388]_ سورة الرحمان : الآية 16

[2389]_ الإيضاح لتلخيص كتاب المفتاح : ص 188

[2390]_ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ص 283

[2391]_ مفاتح الغيب : ج 29 ، ص 350

[2392]_ التحرير والتنوير : ج 27 ، ص 246

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾«[2393]»

قال ــ رحمه الله ــ«[2394]» : « قوله عزّ وجل : «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » اعتراض مؤكد للمعنى مذكر بأفضال الله منبه على حسن جزائه بين قوله تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ » .

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ جملة «إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا » اعتراضية كان الغرض منها هو تأكيد المعنى والتنبيه على حسن الجزاء منه سبحانه وتعالى لمن آمن وعملا صالحا . والاعتراض كما تقدّم القول هو أحد صور الإطناب وأنواعه يؤتى به بين ثنايا الكلام لإفادة غرض أو نكتة من النكت . وقد نصّ هنا الإمام ابن عطية على أنّ الغرض منه هو التأكيد والتنبيه .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾«[2395]». قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : «إنّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » إلى قوله : «وليتذكر أولو الألباب » اعتراض بين الكلامين من أمر داود وسليمان هو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وعظة لأمته ووعيد للكفرة به »«[2396]».

[2393]ــ سورة الكهف : الآية 30

[2394]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 538 .

[2395]ــ سورة ص : الآية 26

[2396]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 572 .

يخبر الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ جملة : «إنّ الذين يضلون عن سبيل الله » جملة اعتراضية بين الكلام الذي كان موجها لداود عليه السلام ، بمعنى أنّها منفصلة عن الخطاب الأول ومستقلة عنه . وبالتالي فهي استئنافية لكلام جديد . وقد حمله الشيخ على أنّه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته القصد منه الوعظ والوعيد للكفرة، وقد جوّز الشيخ الطاهر بن عاشور احتمال أن تكون هذه الجملة ممّا خوطب به داود عليه السلام ، أو أن تكون كلاما مستقلا ومنفصلا عن سابقه ، فقال : « وجملة : إنّ الذين يضلون عن سبيل الله إلى آخرها يظهر أنّها ممّا خاطب الله بها داود ، وهي عند أصحاب العدد آية واحدة من قوله : يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض إلى يوم الحساب ، فهي في موقع العلة للنهي ، فكانت إنّ مغنية عن فاء التسبب والترتب ، فالشيء الذي يفضي إلى العذاب الشديد خليق بأن ينهى عنه ، وإن كانت الجملة كلاما منفصلا عن خطاب داود كانت معترضة ومستأنفة استئنافا بيانيا لخطر الضلال عن سبيل الله »«[2397]» فيفهم من كلام الشيخ الطاهر بن عاشور أنّه إن جعلت هذه الجملة اعتراضية كان الغرض منها التنبيه والتحذير من خطر الضلال .

في تفسير قوله تعالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾«[2398]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وقوله تعالى : «وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ» اعتراض بين الكلام فيه توبيخ لهم ، لأنّ سرد القول إنّما هو : يتبعون إلاّ الظنّ وما تهوى الأنفس أم للإنسان ما تمنى وقف على جهة التوبيخ والإنكار لحالهم ورأيهم ، ثمّ اعترض بعد بقوله :« وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى »«[2399]».

[2397] ـ التحرير والتنوير : ج 23، ص 245

[2398] ـ سورة النجم : الآية 22 ـ 23

[2399] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج 5 ، ص 183 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يخبر الإمام ابن عطية في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ جملة «ولقد جاءهم من ربهم الهدى » جملة معترضة بين قوله تعالى : «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ»«[2400]»وهذا الاعتراض متضمن معنى التوبيخ لهم على حالهم التي هم عليها من اتباع الظنّ والهوى مع مجيئ الهدى لهم . فهذا إذن نصّ منه على الاعتراض مع ذكر الغرض منه . هذا وقد نقل هذا المعنى عنه الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « ولقد جاءهم من ربّهم الهدى » توبيخ لهم ، والذي هم عليه باطل واعتراض بين الجملتين ، أي يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم فكانوا أولى من يقبله ، ويترك عبادة من لا تجدي عبادته »«[2401]».

ظهر من خلال هذه الأمثلة التي سقتها من تفسير الإمام ابن عطية إشارته لبعض صور الإطناب وبالضبط صورتي التكرار والاعتراض فقد حرص على بيان الغرض في كل ما يذكره ، مع تعقيبه بالشرح والتحليل . وهي بالجملة إشارات صحيحة لها ما يؤيدها ويشهد لها من أقوال المفسرين والبلاغيين .

[2400]ـ سورة النجم : الآية 22

[2401] ـ تفسير البحر المحيط : ج ، ص 161

المطلب الخامس : الإيجاز والإطناب في كتاب ملاك التأويلللإمام ابن الزبير الغرناطي

الفرع الأول : الإيجاز

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾«[2402]».

قال ــ رحمه الله ــ : « إنّ إيجاز الكلام يقتضى حذف ما يفهمه السياق اختصارا ... وعلى هذا حمل سيبويه الآية قال : « لم يشبهوا بما ينعق وإنّما شبّهوا بالمنعوق به » وإنّما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، قال سيبويه : ولكنّه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى »وهذا تقدير معنى الآية ، فإن قلت فكيف تقدير الإعراب ؟ قلت : الأقرب فيه أن يكون على حذف مضاف أي ومثل داعي وعلى هذا حمله أكثر شيوخنا ...»«[2403]»

في هذا النّص يخبر الإمام ابن الزبير من خلال مضمون ما نقله عن الإمام سيبويه أنّ في الآية حذف مضاف لقصد الإيجاز والاختصار وهذا الحذف يفهم من سياق الكلام أصالة وقد قدّره بلفظة « داعي » . وحذف المضاف أحد أنواع وصور الإيجاز بالحذف كما يذكر ذلك البلاغيون . وقد أشار إلى حذف المضاف في هذا الموضع بعض المفسرين منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال : ««ومثل الذين كفروا» على حذف مضاف تقديره : ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي

[2402]ــ سورة البقرة : الآية 171.

[2403]ــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل : ط 1 ، تحقيق عبد الغاني محمد على الفاسي ، بيروت ــ دار الكتب العلمية ، د ت ،ج 1 ، ص26

ينعق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق »«[2404]» كما ذكره الإمام ابن جزي«[2405]» وأبو حيّان«[2406]» .

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾«[2407]» مع قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾«[2408]» تساءل ــ رحمه الله ــ عن سبب زيادة الواو في وفتحت في الآية الثانية وسقوطها في الأولى ؟ ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب في مثل هذا والله أعلم أنّ إذا في مثل هذا الكلام جارية مجرى أدوات الشرط في احتياج الفعل بعدها إلى الجواب ، إلاّ أنّ جوابها في قول البصريين لا ينجزم إلاّ في الشعر وأهل الكوفة يرون أنّها تجزم في الكلام ، وقد اتفقنا في استدعائه الجواب ، فوقع جوابها في الآية الأولى منطوقا به . وهو قوله : «فتحت أبوابها » ، فلا مدخل وأمّا في الآية الثانية فجوابها محذوف مقدر ، وقوله : فتحت أبوابها كلام معطوف على ما قبله كما على عطف عليه ما بعده ، ولو كان جوابا لكان مقتضاه أنّها لا تفتح إلاّ عند مجيئهم ، كالحال في أهل النار ... فإن قيل : فما جواب إذا ؟ قلت : الجواب والله أعلم مقدر بعد يفسره المعنى كأن قد قيل : حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين أنسوا وأمنوا أو ما يرجع إلى ذلك المعنى ويحرزه ...»«[2409]»

فيظهر من خلال كلام ابن الزبير هذا أنّه ينص على حذف جواب مع تقديره ، وحذف الأجوبة أحد صور الإطناب المندرج تحت الإيجاز بالحذف وغالبا ما تحذف الأجوبة لقصد الإيجاز والاختصار .

[2404]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1 ، ص 119

[2405]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 99

[2406]ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 656

[2407]ــ سورة الزمر : الآية 71 .

[2408]ــ سورة الزمر : الآية 73

[2409] ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 428 ــ 429.

هذا وقد أشار الخطيب الإسكافي إلى ما ذكره ابن الزبير وسبقه في التعرض إليه ، حيث قال : « ...وهو أنّ قوله : « فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا »«[2410]» جواب لقوله : « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا » لأنّ في إذا معنى الشرط ، وفي جوابها معنى الجزاء ، وأنت تقول : إذا جئت زيدا فتح لي الباب ، أردت أنّ الباب كان مغلقا ، فتح لمجيئك ، و تقول : إذا جئت زيدا وفتح لي الباب ، فإنّ ما بعد الواو لا يقوم مقام الجزاء ، والمخاطب متوقع عند سماع ذلك ما يتم به الكلام فإن أراد المتكلم إضمار الجزاء ، واكتفى بدلالة الشرط عليه . وذلك إذا كان لفظهما واحد جاز حذف وعطف ما بعده عليه ، فيكون المعنى حتّى إذا جاءوها جاؤوها وفتحت أبوابها فتحذف جاءوها الثانية لدلالة الأولى عليها ...»«[2411]».

ويظهر من هذا الكلام أنّ الخطيب الإسكافي يرى بأنّ جواب إذا حذف لدلالة الشرط عليه بسبب كون لفظهما واحد .

في معرض توجهيه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾«[2412]» وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾«[2413]».

أورد سؤالا عن سبب حذف جواب لولا في الآيتين وما هو تقديرهما ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عنه أنّ التقدير في الآية الأولى : لفصح فاعل ذلك ، أو ما يرجع إلى هذا ، وجوابها في الثانية لعجّل عذاب فاعل ذلك من حيث إشاعة الفاحشة في المؤمنين أو لأهلكهم ، وأمّا مسوغ

[2410] ـ سورة الزمر : الآية 73

[2411] ـ درة التنزيل وغرة التأويل : ص 1120.

[2412] ـ سورة النور : الآية 10

[2413] ـ سورة النور : الآية 20

الحذف فطول الكلام بالمعطوف . والطول داع للحذف ، فحذف ذلك ولدلالة ما تقدّم عليه وذلك كثير في كلامهم »«[2414]»

فهذا نصّ صريح من ابن الزبير في تقدير المحذوف مع بيان العلة التي من أجلها حذف جواب لولا في الموضعين . وهو طلب الاختصار ولوجود ما يدل على المحذوف . وهذا صحيح فمسوغات الحذف عند البلاغيين تكون لقصد الاختصار والتخلص من الطول إضافة لوجود قرينة عقلية أو لفظية تدل على المحذوف ، هذا وقد نصّ على حذف جواب لولا في الموضعين كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري«[2415]» وابن عطية«[2416]» .

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾«[2417]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ومن المعلوم في عوارض التركيب الضرب المسمى بلحن الخطاب ، وهو حذف الكلمة من الجملة مع إرادتها ، ودلالة السياق والمعنى عليها ، كالواقع في قوله تعالى : «أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ» ولا شكّ أنّ المراد فضرب فانفلق ...»«[2418]»

يظهر من خلال هذا النّص أنّ الإمام ابن الزبير ينص على وقوع حذف كلمة من هذه الآية القرآنية . والكلمة المحذوفة في الحقيقة هي فعل فقد قدّره بقوله : «فضرب » وقد جعل هذا النوع من الحذف مندرجا ضمن ما يسمى بلحن الخطاب ، أي ما يعرف بدلالة المنطوق على المسكوت فهذا الفعل المحذوف دلّ عليه سياق الكلام . وفي الحقيقة هذا النوع من الحذف يدخل ضمن حذف السبب الذي هو أحد صور الإيجاز بالحذف ، فالفعل ضرب سبب لانفلاق البحر . وقد جاز حذفه لدلالة الكلام عليه . وكذلك لارتباطه بالفاء التي يكثر دخولها على المسببات ، ونظيره

[2414] ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 372

[2415] ــ الكشاف : ج 3 ، ص 221 ــ 225

[2416] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 203 ـ 208

[2417] ــ سورة الشعراء : الآية 63

[2418] ــ ملاك التأويل : ج 2 ص 333

في القرآن قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾»«[2419]» ، أي فضرب فانفجرت ، هذا وقد نصّ على الحذف في الموضع الذي ذكره ابن الزبير بعض المفسرين منهم الإمام أبو حيّان حيث قال : « فانفلق ثمّ محذوف تقديره : فضرب فانفلق ...»«[2420]».

ومن خلال عرض هذه النماذج من كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير برز اهتمامه بمبحث الإيجاز عند توجيهه للمتشابه من الآيات القرآنية . وذلك في إشارته لبعض صوره المندرجة تحته ، كحذف المضاف ، والأجوبة ، وحذف السبب ، وهي وإن كانت قليلة إلاّ أنّها توضح عنايته بهذا المبحث واهتمامه به ووقوفه على الأغراض التي يفيدها ويؤديها . والتنبيهات التي ذكرها يتفق فيها مع كثير من المفسرين و البلاغيين .

الفرع الثاني : الإطناب

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾«[2421]» مع قوله تعالى : ﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾«[2422]» أورد تساؤلا عن سبب زيادة لفظة «منه» في سورة المائدة ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عن الأول : منها أنّ زيادة منه في آية المائدة زيادة بيان ألا ترى قوله تعالى: «فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ »لا يحصل منه ما يحصل من زيادة «منه» ، واختصت آية المائدة بذلك لتأخرها في الترتيب الثابت عليه المصحف والبيان يتأخر عمّا هو بيان له ، فجاء على ما يجب »«[2423]»

[2419]ـ سورة الأعراف : الآية 160

[2420]ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 19

[2421]ـ سورة النساء : الآية 43

[2422]ـ سورة المائدة : الآية 6

[2423] ـ ملاك التأويل : ج 1، ص 141

يخبر الإمام ابن الزبير في إجابته عن السر الذي من أجله زيدت لفظة منه في سورة المائدة أنّه قصد منها زيادة البيان والإيضاح . وهذا يندرج ضمن التتميم فزيادة كلمة لغرض التوضيح والبيان أحد فوائد التتميم وخصائصه . وقد بيّن سبب اختصاص سورة المائدة بتلك الزيادة دون سورة النساء وهو تأخرها في ترتيب المصحف عليها والبيان من شأنه أن يتأخر عمّا هو بيان له .

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾«[2424]» مع المتشابه من قوله تعالى في سورة فصلت :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾«[2425]» أورد تساؤلا عن زيادة لفظتي : «منّا ومن » في سورة فصلت وسقوطهما في سورة هود ؟

ثمّ أجاب عن هذا التساؤل قائلا : « والجواب عن ذلك والله أعلم أنّه لم يرد في هود ما يستدعي تلك الزيادة وأمّا سورة السجدة فتقدّم فيها قوله :﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾«[2426]» قطعا بهم وتنبيها على سوء مرتكبهم ، وقد عاينوا الحق ، وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل من شركاء الله ، وظنّوا أي أيقنوا وعلموا أنّهم لا محيص لهم ولا مفر ، فلمّا تقدّم ذكر الشركاء قال تعالى : « وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا »فنبّه تعالى بقوله : «منّا » على أن لا شريك له ،ولا معطي غيره ، وأنّه لا يأتي العبد شيء من سواه سبحانه ،ولما لم يتقدّم في سورة هود ذكر لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله : منّا ، وأمّا زيادة : « من » في قوله : «مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ» ، فمناسب

[2424]ـ سورة هود : الآية 10

[2425]ـ سورة فصلت : الآية : 50

[2426] ـ سورة فصلت : الآية 47.

لإطناب هذا الغرض في هذه السورة ، فناسب ذلك الزيادة ، ولإيجاز هذا القصد في سورة هود ناسبه سقوط من ، فجاء كل على ما لا يناسب ويجب ...»«[2427]».

يظهر من إجابة الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ لما تساءل عنه أنّه يرى أنّ السرّ في زيادة لفظة «منّا »في سورة السجدة هو زيادة التنبيه على تفرده سبحانه وتعالى بالوحدانية والألوهية وانتفاء الندية والمثل عنه جلّ وعلا واختصاصه بالعطاء وغيرها من مقتضيات الربوبية والألوهية . وهذا التنبيه الذي أشار إليه يدخل في التتميم الذي هو أحد صور الإطناب . وذلك أن يؤتى في الكلام بلفظة تزيد المعنى وضوحا أو تفسيرا ، وهذا يصدق على لفظة «منّا» الواردة في سورة السجدة فإنّه قصد منها التنبيه على ما ذكر . وكذلك الحال بالنسبة لزيادة من في السورة فإنّ زيادتها تتناسب مع الإطناب الذي تضمنته السورة ، بخلاف سورة هود فإنّ مبناها على الإيجاز لذلك لم ترد بتلك الزيادة .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ ﴾«[2428]».

قال ـ رحمه الله ـ : « فإن قيل : لم كرّر المؤمن نداء قومه مرارا ؟ فالجواب : أنّ ذلك لقصد التنبيه لهم ، وإظهار الملاطفة والنصيحة »«[2429]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في معرض تعليقه على هذه الآية أنّ تكرار النداء فيها من قبل مؤمن فرعون كان لغرض التنبيه لهم مع إبراز جانب الملاطفة والنصيحة لهم ، ومعلوم أنّ التكرار أحد صور الإطناب يؤتى به ليفيد نكتة أو فائدة من الفوائد كالتأكيد والتنبيه وغيرها . وقد أشار إلى غرض التكرار هنا وذكر نفس القصد والمغرض الذي أشار إليه ابن الزبير بعض أئمة البلاغة ،

[2427] ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 647 ـ 648 .

[2428] ـ سورة غافر : الآيتان : 38 ـ 39

[2429] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 261 .

منهم الخطيب القزويني ، حيث قال«[2430]» : « وإمّا بالتكرير ، لنكتة ... وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقي الكلام، كما في قوله تعالى : « وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ »«[2431]» ، كما ذكر هذا الغرض أيضا الإمام الزركشي ، حيث قال : « فوائد التكرار ، وله فوائد ...الثاني : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول . ومنه قوله : « وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ »«[2432]» ، فإنّه كرر فيه النداء لذلك »«[2433]»

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾«[2434]» مع قوله تعالى : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[2435]» تساءل ـ رحمه الله ـ عن وصف الأكل في سورة البقرة بالرغد وعدم وصفه في الأعراف بذلك ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « ... أنّ ورود الرغد في آية البقرة وسقوط ذلك في الأعراف إنّما ذلك لأنّ المعنى من هنا التبعيض ومعناها بما هو تبعيض قد يسبق منه إرادة التقليل وهو غير مراد هنا ، وإنّما مصرف التبعيض هنا إلى المأكول منه ، فإنّ ما اشتملت عليه الجنة من ذلك إذا أكلت منه ذرية آدم بأجمعها ، فإنّما تأكل بعضا ، إذ فيها من كل متنعم به ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاجتمع هنا أنّ البعضية مرادة بالنظر إلى ما انطوت عليه الجنة وإباحة

[2430] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ، ص 188

[2431] ـ سورة غافر : الآيتان 38 ـ 39

[2432] ـ سورة غافر : الآيتان : 38 ـ 39.

[2433] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 14.

[2434] ـ سورة البقرة : الآية 35 .

[2435] ـ سورة الأعراف : الآية 19

التوسعة في أكلها مقصودة وليس ثمّ ما يحرزها فقال تعالى :« رغدا» ليحصل معنى التوسعة » . هذا وقد كان للإمام الإسكافي توجيه آخر ، حيث رأى أنّ السر في ثبوت لفظة رغدا في البقرة وحذفها في الأعراف هو إسناد المولى جلّ وعلا الفعل لنفسه في سورة البقرة فنوسب بذلك ذكر الإنعام الأجسم ، ولما لم يسند الفعل إلى نفسه في الأعراف لم يناسب ذكر الإنعام الأجسم ، حيث قال : « ... لأنّه لما أسند الفعل إلى نفسه تعالى كان اللفظ بالأشرف الأكرم ، فذكر معه الإنعام الأجسم ، وهو أن يأكلوا رغدا ، ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه لم يكن مثل الفعل الذي في سورة البقرة فلم يذكر معه ما ذكر فيها من الإكرام الأوفر ، وإذا تقدّم اسم المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة »«[2436]».

يظهر من خلال هذا النّص أنّ ابن الزبير وجّه سبب زيادة رغدا في البقرة لقصد الاحتراس ممّا يمكن أن يتوهم من التقليل الذي تفيده من التبعيضية ، فحتّى يحترس من ذلك جيء بلفظة «رغدا» لتدل على السعة والتوسع في الأكل ، والاحتراس هو أحد صور الإطناب ، ويعرفونه بقولهم : أن يؤتى بكلام يوهم خلاف المقصود ، ثمّ يؤتى بعده بما يدفع ذلك الوهم . وهذا التعريف صادق على هذا المعنى الذي ذكره الإمام ابن الزبير فلفظة «رغدا» احترس بها عن التقليل الذي يستفاد من «من » التبعيضية .

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾«[2437]» قال ــ رحمه الله ــ : « فأشار قوله سبحانه : « يسومونكم سواء العذاب » إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله من استخدامهم وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم واستحياء نساءهم لذلك وذبح الذكور فلمّا وقعت الاشارة إلى هذه الجملة ممّا كانوا يمتحنونهم به جرّد منها وعيّن بالذكر أشدها وأعظمها امتحانا فجيء به معطوفا

[2436]ــ درة التنزيل وغرة التأويل : ص 105.

[2437] ــ سورة إبراهيم : الآية 6

كما أنّه مغاير لما تقدّمه فقيل : «ويذبحون أبناءكم» فعيّن من الجملة هذا وخصّ بالذكر تعريفا بمكانة وشدّة الأمر فيه ، وهو ممّا أجمل أولا وشمله الكلام المتقدم كما ورد في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ «[2438]» ، ثمّ قال جبريل وميكال ، فخصّهما بالذكر والتعيين إعلاما بمكانهما في الملائكة بعد أن شملهم قوله تعالى : «وملائكته » فالوارد في سورة إبراهيم من هذا القبيل »«[2439]».

في هذا النّص يخبر الإمام ابن الزبير ــ رحمه الله ــ أنّ قوله تعالى : «وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ »«[2440]» من عطف الخاص على العام ، وذلك أنّ الآية ذكرت جملة ما أصاب بني إسرائيل على يد فرعون ، ثمّ أعادت ذكر الذبح على وجه الخصوص فعطف بواو النسق على الأمر العام الذي ذكر . وقد ذكر أنّ الغرض من هذا التخصيص هو التعريف وبيان شدّة الأمر ، وعطف الخاص على العام من صور الإطناب وأنواعه وله أغراض من التشريف والتكريم وبيان المزية والفضل إلى غيرها من الأغراض .

وقد ذكر الشيخ أنّ عطف الخاص على العام في هذه الآية يقابل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾. ووجه ذلك أنّه أعيد ذكر جبريل وميكائل بعد اندراجهما في عموم من ذكر من الملائكة للتشريف والتكريم . وقد ذكر عطف الخاص على العام في هذا المثال الثاني ــ عطف جبريل وميكائل على عموم الملائكة

[2438] ــ سورة البقرة : الآية 98

[2439] ــ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 43

[2440] ــ سورة إبراهيم : الآية 6

ـ كثير من البلاغيين منهم الخطيب القزويني«[2441]» ، كما أشار إليه كثير من المفسرين منهم الإمام مكي«[2442]» والإمام البيضاوي«[2443]» والإمام القرطبي«[2444]» والإمام أبو حيّان«[2445]».

من خلال عرض هذه النماذج اتضح اهتمام الإمام ابن الزبير بأسلوب الإطناب . وذلك بإشارته لبعض الصور المندرجة تحته من تتميم وتكرار واحتراس وعطف خاص على عام ، وهذه الإشارات والتنبيهات منها ما كان تنصيصا ومنها ما كان مفهوم من سياق كلامه . وقد حرص على بيان الغرض في كل ما تطرّق إليه مع الشرح وعمق التحليل ، فالنماذج تبرز جهوده في تناول هذا الأسلوب على الرغم من كونه كتابه موضوعا لتوجيه المتشابه وليس تفسير القرآن الكريم كله .

[2441]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 188

[2442]ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 803

[2443]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 96

[2444]ـ الجامع لأحكام القرآن :ج 2 ، ص 36 ـ 37

[2445]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 490

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ المطلب السادس : الإيجاز والإطناب في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي

ترددت الإشارة لأسلوب الإيجاز والإطناب في تفسير الإمام ابن جزي ، فقد ذكر جملة من الموضوعات والصور المندرجة تحته وتعقبها بالشرح وفي هذا المطلب سنبيّن بعض تلك الصور التي تبرز جهوده في التعرض لهذا الأسلوب

الفرع الأول : الإيجاز

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[2446]»

قال ـ رحمه الله ـ : « جواب لو محذوف هنا ... وإنّما حذف ليكون أبلغ ما يقدّره السامع : أي لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا »«[2447]»

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب لو من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ ﴾«[2448]»

لقصد المبالغة في تقدير السامع لهذا المحذوف ، حيث تذهب معه نفسه كل مذهب في تخيله . وبهذا يكون قد نصّ على المحذوف مع بيان الغرض منه . وقد سبقت الإشارة للحديث عن هذا المثال عند إيراد نماذج الإيجاز من تفسير الإمام ابن عطية وذكرت أنّه أشار إلى حذف الجواب هنا كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري والبيضاوي والرازي وكذلك الإمام ابن عطية .

[2446]ـ سورة الأنعام : الآية 27

[2447]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 265 .

[2448]ـ سورة الأنعام : الآية 27

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾«[2449]»

قال ــ رحمه الله ــ : « لولا أن رءا برهان ربّه » جوابه محذوف تقديره : لولا أن رءا برهان ربّه لخالطها ، وإنّما حذف لأنّ قوله : همّ بها يدّل عليه »«[2450]».

يخبر الإمام ابن جزي الله في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب لو من قوله تعالى :«لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ » مقدّرا هذا المحذوف بقوله : لخالطها ، وناصا على أنّ حذف ــ أي الجواب ــ كان لوجود ما يدل عليه من قرينة وهي لفظة : «همّ بها » وبهذا يكون قد نصّ على المحذوف مع بيان الغرض منه ، هذا وقد اختلف المفسرون في حقيقة جواب لولا هل هو مذكور أو محذوف ، فذهبت طائفة للقول بأنّه محذوف لوجود ما يدل عليه . وذهبت طائفة للقول بأنّه مذكور وهو مقدّم على الشرط لنية الاهتمام به، وممّن قال بأنّه محذوف إضافة للإمام ابن جزي الإمام ابن عطية ، حيث ردّ على من قال بأنه مذكورّ ومقدّم على الشرط قائلا :« وأن في قوله : لولا أن رأى في موضع رفع التقدير لولا رؤيته برهان ربّه . وهذه لولا التي يحذف معها الخبر تقديره : لفعل و لارتكب المعصية ، وذهب قوم إلى أنّ الكلام تمّ في قوله : «ولقد همّت به » وأنّ جواب لولا في قوله : «همّ بها » وأنّ المعنى لولا أن رأى البرهان لهمّ أي فلم يهم عليه السلام . وهذا القول يرده لسان العرب وأقوال السلف ...»«[2451]» كما ذكر حذف الجواب هنا الإمام أبو حيّان«[2452]» ، والإمام الزركشي ، حيث قال هذا الأخير : « وجواب لولا محذوف ، أي لولا أن رأى برهان ربّه لخالطها ، وقيل : لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها ، والوقف على هذا «ولقد همّت به » ، والمعنى أنّه لم يهم بها ، ذكره أبو البقاء والأول للزركشي . ولا يجوز تقديم جواب لو عليها لأنّها في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام»«[2453]» وذهب الإمام الرازي«[2454]» والشيخ

[2449] ــ سورة يوسف : الآية 24

[2450] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 403 .

[2451] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3، ص 246

[2452] ــ تفسير البحر المحيط :ج 5 ، ص 295

[2453] ــ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 185.

[2454] ــ مفاتح الغيب : ج 18، ص 444

الطاهر بن عاشور«[2455]» إلى القول بأنّ جواب لولا مقدّم على الشرط تقديره : «لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها ».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾«[2456]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرّمته علي أي فضلته وأنا خير منه ، فاختصر الكلام بحذف ذلك »«[2457]».

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها حذفا اختصر الكلام به . وقد قدّر المحذوف بقوله :« أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته علي وأنا خير منه » .

والذي يظهر من نصّ الإمام ابن جزي أنّه أخذ هذا المعنى عن الإمام الزمخشري ، إذ هو من أشار إلى ذلك بقوله : « وهذا مفعول به . والمعنى أخبرني عن هذا الذي فضلته علي لم كرمته عليّ وأنا خير منه ، فاختصر الكلام بحذف ذلك »«[2458]». وقد تبع الإمام الزمخشري على هذا القول بعض المفسرين منهم الإمام الرازي«[2459]» . وذكر الإمام القرطبي أنّ الحذف هنا كان لعلم السامع به فقال : « ... وفي الكلام حذف تقديره : أخبرني عن هذا الذي فضلته عليّ لم فضلته علي . وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف لعلم السامع ...»«[2460]».

[2455] ــ التحرير والتنوير : ج 12 ، ص 253

[2456] ــ سورة الإسراء : الآية 62

[2457] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 476

[2458] ــ الكشاف : ج 2 ، ص 632 ــ 633

[2459] ــ مفاتح الغيب : ج 21 ، ص 370

[2460] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 10 ، ص 287.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾«[2461]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قبل هذا الكلام محذوف تقديره : فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته ، ثمّ جمعت أهل ملكها فقالت لهم يأيّها الملأ»«[2462]»

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ قبلها كلاما محذوفا اشتمل على جملة من الأخبار إلاّ أنّه طوي ذكره لأنّ ما جاء بعده من الكلام يدل عليه في الظاهر .

وقد أشار إلى هذا الحذف كثير من المفسرين منهم الإمام ابن عطية ، حيث قال: « في هذا الموضع اختصار لما يدّل ظاهر القول عليه تقديره فألقى الكتاب وقرأته وجمعت له أهل ملكها »«[2463]». كما ذكر ذلك أيضا الإمام القرطبي«[2464]» والشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال هذا الأخير : « طويت أخبار كثيرة دلّ عليها ما بين الخبرين المذكورين من اقتضاء عدّة أحداث ، إذ التقدير : فذهب الهدهد إلى سبأ فرمى بالكتاب فأبلغ الكتاب إلى الملكة ، وهي في مجلس ملكها ، فقرأته قالت :»«[2465]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾«[2466]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام تقديره : ما منّا ملك إلاّ وله ومقام معلوم ، وحذف الموصوف لفهم الكلام »«[2467]»

2461 ــ سورة النمل : الآيتان 29 ــ 30

2462 ــ التسهيل لعلوم التنزيل: ج 2 ، ص 113 .

2463 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4، ص 307

2464 ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 13 ، ص 191

2465 ــ التحرير والتنوير : ج 19، ص 258

2466 ــ سورة الصافات : الآية 164

2467 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 225 .

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها موصوف وأقيمت الصفة مقامه لفهم الكلام . وقد قدّر هذا المحذوف بقوله : «ما منّا إلاّ وله مقام معلوم» وحذف الموصوف وطرحه وإقامة الصفة مقامه أحد صور الإطناب وأنواعه يؤتى به لقصد الإيجاز والاختصار مع وجود ما يدل عليه . والظاهر أنّ الإمام ابن جزي قد أخذ هذا المعنى عن الإمام الزمخشري ، فهو من أشار إلى ذلك بقوله : « وما منّا أحد إلاّ له مقام معلوم ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ...»«[2468]» ، كما نبّه على حذف الموصوف هنا كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبي«[2469]» والإمام النسفي«[2470]» والإمام أبو السعود«[2471]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[2472]» ، وقد عارض الإمام أبو حيّان قول الإمام الزمخشري في ادعاءه حذف الموصوف هنا وبالغ في الإنكار عليه مخبرا أنّ ما ذكره لا يتماشى مع القواعد ، فقال: « وقال الزمخشري وما منّا أحد إلاّ وله مقام معلوم ، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ... انتهى ، وليس هذا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، لأنّ أحدا المحذوف مبتدأ ، وإلاّ له مقام معلوم خبره ، ولأنّه لا ينعقد كلام من قوله : وما منّا أحد ، فقوله : إلاّ له مقام معلوم هو محط الفائدة ، وإن تخيل أنّ إلاّ له مقام معلوم في موضع الصفة ، فقد نصّوا على أنّ إلاّ لا تكون صفة إذا حذف موصوفها ، وأنّها فارقت غير إذا ، كانت صفة في ذلك ، ليتمكن غيره في الوصف وقلة تمكن إلاّ فيه ... وهذا عند النحويين من أقبح الضرورات »«[2473]».

[2468]ـ الكشاف : ج 4 ، ص 68 .

[2469]ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 15 ، ص 137.

[2470]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4 ، ص 27.

[2471] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 7 ، ص 210

[2472]ـ التحرير والتنوير : ج 23 ، ص 191

[2473]ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 363 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[2474]»

قال ــ رحمه الله ــ : « معنى الآية : أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ؟ ثمّ حذف قوله : ألستم ظالمين وهو الجواب ، لأنّه دلّ على أنّ الله لا يهدي القوم الظالمين »«[2475]».

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب الشرط إن ، ثمّ قدّره بقوله :« ألستم ظالمين » وذكر أنّه ساغ حذفه لأنّ قوله تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » دلّ عليه ، والظاهر من هذا النّص أنّ الإمام ابن جزي أخذه عن الإمام الزمخشري إذ أن كلامه يطابق ما ذكره الزمخشري ، حيث قال هذا الأخير : « جواب الشرط محذوف تقديره : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين . ويدل على هذا المحذوف قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[2476]» والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام »«[2477]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾«[2478]».

قال ــ رحمه الله ــ :« وحذف معمول تعلمون ، وتقديره: ما يحلّ بكم ، أو تعلمون أنّ القرآن حق ، أو تعلمون أنّكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا ، وإنّما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله »«[2479]».

[2474] ــ سورة الأحقاف : الآية 10

[2475] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 308

[2476] ــ سورة الأحقاف : الآية 10

[2477] ــ الكشاف : ج 4 ، ص 302

[2478] ــ سورة التكاثر : الآية 3

[2479] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 563 .

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها مفعول « تعلمون » مقدرا إيّاه بما ذكره من تقديرات ، وناصا على أنّ الغرض من حذفه كان لقصد التهويل ، حتّى يقدّر السامع أعظم ما يخطر بباله في تقدير هذا المفعول . وبهذا يكون نصّ على المحذوف مع بيان الغرض ، هذا وقد أشار إلى حذف المعمول هنا كثير من المفسرين منهم الإمام السمين الحلبي ، حيث قال : « ... وحذف متعلق العلم في الأفعال الثلاثة ، لأنّ الغرض الفعل لا متعلقه . وقال الزمخشري : لو تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما تنقلبون إليه ، فقدر له مفعولا واحد ، كأنّه جعله بمعنى عرف »«[2480]» ، كما أشار إلى هذا الحذف الشيخ الطاهر بن عاشور فقال : « وحذف مفعول «تعلمون» لظهور أنّ المراد : تعلمون مغبة لهوكم بالتكاثر عن دعوة الإسلام »«[2481]» فهو ينصّ على أنّ المفعول حذف هنا لكونه معلوما .

فهذه الأمثلة تؤكد عناية ابن جزي ـ رحمه الله ـ بأسلوب الإيجاز في تفسيره . وذلك في تنبيهه على بعض صوره من حذف للأجوبة ، وحذف للموصوف ، وحذف للمفعول ، وللإيجاز الجامع .وكانت هذه التنبيهات مصحوبة بالأغراض التي تؤديها وتخرج إليها . وقد ظهر وبان تأثره بالإمام الزمخشري وذلك بإكثاره من النقل عنه في هذا المبحث .

[2480] ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 6 ، ص 665

[2481] ـ التحرير والتنوير : ج 30 ، ص 521

الفرع الثاني : الإطناب

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾«[2482]».

قال ـ رحمه الله ـ : « ولن تفعلوا اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة »«[2483]»

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ جملة : «ولن تفعلوا » جملة معترضة بين الشرط وجوابه . فيها بلاغة ومبالغة ، والاعتراض أحد صور الاطناب يؤتى به لنكتة يفيدها . والغرض منه هنا هو تأكيد عجزهم عن معارضة القرآن والإتيان بمثلة . وقد نصّ على هذا الغرض من بين المفسرين الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « وجملة : لن تفعلوا جملة اعتراض فلا موضع لها من الإعراب ، وفيها من تأكيد المعنى ما لا يخفى ، لأنّه لما قال : «فإن لم تفعلوا» وكان معناه نفي في المستقبل مخرجا ذلك مخرج الممكن ، أخبر أنّ ذلك لا يقع ، وهو إخبار صدق ، فكان في ذلك تأكيدا أنّهم لا يعارضونه »«[2484]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[2485]»

قال ـ رحمه الله ـ : ««حقا علينا » اعتراض بين العامل ومعموله ، وهما كذلك ، وننج المؤمنين »«[2486]»

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2482ـ سورة البقرة : الآية 24

2483ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 66 .

2484ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 249

2485ـ سورة يونس : الآية 103

2486ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 382 .

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ جملة حقا علينا جملة اعتراضية بين العامل ومعموله : «وهما ننجي المؤمنين» والاعتراض كما سبق القول أحد صور الإطناب .

والإمام ابن جزي لم ينص على فائدته ونكتته في هذا الموضع ، والفائدة منه هي توكيد المعنى وتأكيده في نصر الرسل والمؤمنين وتنجيتهم . وقد نصّ على الاعتراض هنا كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري«[2487]» والإمام الرازي«[2488]» والإمام ابن عادل«[2489]» والإمام أبو حيّان«[2490]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾««[2491]»قال ــ رحمه الله ــ : « وفي تكرار قوله : كفى بالله مبالغة »«[2492]».

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه تكرر فيها الفعل كفى لقصد المبالغة . ومعلوم أنّ التكرار من صور الإطناب يؤتى به لفائدة . وقد ذكر أنّ في تكراره هنا مبالغة. ومقصوده من المبالغة والله أعلم هو توكيد معنى الكفاية بالولاية والنصرة من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين . وعليه فيكون غرض هذا التكرار هو التوكيد.

وفي ختام الحديث عن جهود ابن جزي في تناول أسلوب الإطناب تبيّن لي أنّه لم يكثر من الإشارة منه في تفسيره ، حيث قلّت صوره ــ الإطناب ــ في تفسيره . ولم يرد منها إلاّ ما ذكره من الاعتراض والتكرار ، وقد كانت تنبيهاته متسمة بجانب الاختصار والإيجاز فلم يظهر فيها عنصر الشرح والتحليل المستفيض .

[2487] ــ الكشاف : ج 2 ، ص 355

[2488] ــ مفاتح الغيب : ج 17 ، ص 308

[2489] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10 ، ص 419

[2490] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 194

[2491] ــ سورة النساء : الآية 45

[2492] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 195 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب السابع : الإيجاز والإطناب في تفسير البحر المحيط (لأبي حيّان الأندلسي)

وردت الإشارة لبعض صور الإيجاز والإطناب في تفسير الإمام أبي حيّان ، وقد تعدّدت وتنوعت هذه الإشارات حتّى كادت تستوعب جزءا كبيرا من صور هذه الظاهرة البلاغية . وكان له منهج وطريقة في عرضها وتقريريها . وهذا ما سأحاول بيانه في هذا المطلب :

الفرع الأول : الإيجاز

من صور الإيجاز التي نبّه عليها الإمام أبو حيّان في تفسيره :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾«[2493]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وحذف رغدا هنا على سبيل الاختصار ، وأثبت هناك لأنّ تلك مدنية ، وهذه مكية ، فوفي المعنى هناك باللفظ »«[2494]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف منها المفعول المطلق أو الحال وهو «رغدا» لقصد الاختصار ، بينما أثبت ذكره في سورة البقرة معللا ذلك بأنّ سورة البقرة مدنية وسورة الأعراف مكية . ووجّه ذلك أنّ من خصائص القرآن المكي هو التفصيل والغالب على المكي هو الإجمال ، وقد أشار إلى الحذف هنا بعض المفسرين منهم الإمام ابن عادل ، حيث ذكر أنّ الحذف كان لدلالة الكلام عليه ، فقال : « وقال في البقرة : «رغدا» وهو هنا محذوف لدلالة الكلام عليه »«[2495]».

[2493]ــ سورة الأعراف : الآية 19

[2494]ــ البحر المحيط .: ج 4 ، ص 279 .

[2495]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 9 ، ص 53

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾«[2496]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ولو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، وجوابه محذوف تقديره : لسروا بذلك ، وحذف لدلالة يود عليه »«[2497]»

يخبر الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب «لو» مقدرا إيّاه بقوله : «لسروا بذلك» ومخبرا بأنّ حذفه كان لوجود ما يدل عليه وهو يود ، وحذف الأجوبة كما سبق القول مرارا أحد أنواع الإيجاز بالحذف ، ويأتي لغرض المبالغة بقصد ذهاب السامع في تخيل المحذوف كل مذهب إضافة إلى الاختصار والتفخيم والتعظيم . والإمام أبو حيّان في هذا الموضع نصّ على الحذف مع بيان العلة من حذفه دون أن يشير للغرض منه . وقد أشار إلى حذف الجواب بعض المفسرين منهم الإمام ابن عادل«[2498]» والإمام أبو السعود«[2499]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾«[2500]».

قال ـ رحمه الله ـ «[2501]» : « لو التي ليست شرطا في المستقبل تقلب المضارع للمضي فالمعنى لو رأيت وشاهدت ، وحذف جواب لو جائز بليغ حذفه في مثل هذا لأنّه يدّل على التعظيم ، أي لرأيت أمرا عجيبا وشأنا هائلا... ».

[2496]ــ سورة النساء : الآية 42

[2497]ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 263 .

[2498]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6، ص 388

[2499]ــ تفسير أبي السعود : ج 2 ، ص 178

[2500]ــ سورة الأنفال : الآية 50

[2501]ــتفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 502 .

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب «لو» من قوله تعالى : « ولو ترى إذ يتوفى » مخبرا أنّ في حذفه بلاغة ، حيث قصد منه في هذا الموضع التعظيم . وقد قدّر جوابه هنا بقوله : «لرأيت أمرا عجيبا وشأنا هائلا » ، وبهذا يكون قد نصّ على الحذف مع بيان الغرض منه . وقد نصّ على حذف الجواب هنا كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال : « وجواب لو محذوف لتقطيع الأمر وتهويله »«[2502]» كما نبّه عليه الإمام القرطبي«[2503]» والشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال هذا الأخير : « وجواب لو محذوف تقديره : لرأيت أمرا عجيبا »«[2504]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾«[2505]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وجواب لما محذوف ... وتقديره : اجترأ على الخطاب إذ فطن للمجادلة ، أو قال : كيت وكيت ، ودلّ على ذلك الجملة المستأنفة ، وهي يجادلنا ، قال معناه : الزمخشري ، وقيل : الجواب يجادلنا وضع المضارع موضع الماضي ، أي جادلنا ، وجاز ذلك لوضوح المعنى ، وهذا أقرب الأقوال ، وقيل : يجادلنا حال من إبراهيم ، أو من ضمير في جاءته ، وجواب لما محذوف تقديره : قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا ، واختار هذا التوجيه أبو علي ، وقيل : الجواب محذوف تقديره : ظلّ أو أخذ يجادلنا ، فحذف اختصارا لدلالة ظاهر الكلام عليه »«[2506]».

[2502] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج3، ص 62

[2503] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 8 ، ص 28

[2504] ــ التحرير والتنوير : ج10 ، ص 40

[2505] ــ سورة هود : الآية 74

[2506] ــ البحر المحيط : ج 5 ، ص 245 .

يخبر الإمام أبو حيّان في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها جواب فلمّا من قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾«[2507]» . وقدّر الجواب المحذوف بتقديرات نقلها عن بعض العلماء ، ليقرر في ختام ما ذكر أنّ الجواب حذف لقصد الاختصار مع وجود ما يدل عليه وهو ظاهر الكلام . وهذا هو الأصل في حذف الأجوبة فإنّ الغرض منه في الغالب طلب الإيجاز والاختصار

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾«[2508]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ويعذب المنافقين إن شاء » وعذابهم متحتم ، فكيف يصح تعليقه على المشيئة ، وهو قد شاء تعذيبهم ، إذ وفوا على النفاق ؟ فقال ابن عطية : « تعذيب المنافقين : ثمرته إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم ، والتوبة موازية لتلك الإقامة ، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب ، فهما درجتان إقامة على نفاق أو توبة منه ، وعنهما ثمرتان تعذيب أو رحمة ، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين ، وواحدة من هاتين ، ودلّ ما ذكر على ما ترك ذكره ، ويدلك على أنّ معنى قوله : ليعذب ، أي ليديم على النفاق ... وكان ما ذكر يؤول إلى أنّ التقدير : ليقيموا على النفاق ، فيموتوا عليه ، إن شاء فيعذبهم ، أو يتوب عليهم فيرحمهم ، فحذف سبب التعذيب ، وأثبت المسبب وهو التعذيب ، وأثبت سبب الرحمة والغفران ، وحذف المسبب ، وهو الرحمة والغفران ، وهذا من الإيجاز الحسن »«[2509]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها نوعان من الحذف هما حذف السبب . وحذف المسبب ، وقد بيّن الأوّل أي حذف السبب عندما ذكر أنّه سبحانه وتعالى حذف سبب تعذيب المنافقين وهو إدامتهم وإقامتهم على النفاق وموتهم على ذلك ، وأمّا الثاني

[2507] ــ سورة هود : الآية 74

[2508] ــ سورة الأحزاب : الآية 24

[2509] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 217 .

وهو حذف المسبب فقد بيّنه عندما ذكر أنّه سبحانه وتعالى أثبت سبب رحمة المنافقين وهو توبتهم في حين أنّه لم يصرح بالمسبب وهو الرحمة والمغفرة ، وحذف السبب والمسبب من صور وأوجه الإيجاز بالحذف الذي يقصد به الاختصار .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾«[2510]»

قال ــ رحمه الله ــ : « كرّر الأمر بالتولي ، تأنيسا له عليه الصلاة والسلام ، وتسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد ، ولم يقيد أمره بالإبصار ، كما قيّده في الأول ، إمّا لاكتفائه به في الأول فحذف اختصارا ، وإمّا لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الإبصار منه من صنوف المساءات ، والإبصار منهم من صنوف المساءات »«[2511]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه حذف فيها المفعول به من فعل الأمر «أبصر» في الموضع الثاني، حيث قيد في الموضع الأول الأمر بالإبصار إليهم بينما لم يقيده في الموضع الثاني . وقد علّل ذلك بقصد الاختصار واكتفاء به في الموضع الأول ، أو لما في ترك التقييد بالإبصار من جولان الذهن في تخيله، هذا وقد تعرّض لتوجيه هذه المسألة الإمام ابن الزبير الغرناطي ، حيث أورد سؤلا عن السر في ثبوت ضمير المفعول به في الموضع الأول وسقوطه في الموضع الثاني ، حيث قال : « يسأل عن الضمير المفعول وثبوته أولا في قوله : «وأبصرهم » وسقوطه ثانيا في قوله : « وأبصر » ... وأمّا سقوط الضمير في الثاني فيحرز عموما لهم ولغيرهم في الوعيد »«[2512]».

فهذا الكلام من الإمام ابن الزبير يفهم منه أنّه يرى حذف الضمير «هم »في الموضع الثاني وهو المفعول به لقصد التعميم أي أنّ الوعيد يشمل المشركين بمكة وغيرهم من الكفار والمشركين بخلاف الموضع الأول فإنّ الوعيد موجه لكفار ومشركي مكة .

[2510] ــ سورة الصافات : الآية 78

[2511]ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 364 .

[2512]ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 412

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾«[2513]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ... فأقسم على وقوعه في هذه فقال : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾«[2514]» ، ولما كان المقسوم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها ، وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات »«[2515]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ المولى جلّ وعلا أقسم فيها بجملة من الموصوفات . وهذه الموصوفات حذفت من الكلام وأقيمت صفاتها مقامها . وقد سبق القول بأنّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه نوع من أنواع الإيجاز بالحذف ، فأبو حيّان ينصّ على حذف الموصوفات هنا ، ثمّ يخبر أنّه اختلف في تعيينها وتحديدها . وقد أشار إلى هذا الاختلاف الشيخ الطاهر بن عاشور وذكر جواز مجموعة من الأقوال في تعيينها وتحديدها ، حيث قال: « فيجوز أن يكون المراد بموصوفات هذه الصفات نوعا واحد ، ويجوز أن يكون نوعين أو أكثر من المخلوقات العظيمة . ومشى صاحب الكشاف على أنّ المقسم بها كلهم ملائكة »«[2516]».

فهذه إذن بعض صور الإيجاز التي وردت في تفسير الإمام أبي حيّان ويظهر منها تطرقه لبعض الصور المندرجة تحت الإيجاز بالحذف . كحذف الأجوبة، وحذف السبب والمسبب ،وحذف المفعول ،وحذف الموصوفات . وقد كان غالب منهجه في الحديث عنها بالنصّ على الحذف مع بيان العلة وذكر الغرض تارة وعدم ذكره في بعضها.

[2513] ــ سورة المرسلات : الآيات 1 ــ 5

[2514] ــ سورة المرسلات : الآية 7

[2515] ــ البحر المحيط : ج 8 ، ص 395 .

[2516] ــ التحرير والتنوير : ج 29 ، ص 419

الفرع الثاني : الإطناب

من صور الإطناب وأنواعه التي وردت في تفسير الإمام أبي حيّان :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾»«[2517]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وفي هذه الآيات من ضروب الفصاحة والبديع ... والتفسير بعد الإبهام في من قال : الكتاب مبهم غير معين ، والتوراة والإنجيل تفسير له »«[2518]»

يخبر الإمام أبو حيان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها إيضاحا بعد الإبهام . ووجه ذلك أنّه سبحانه وتعالى ذكر لفظ الكتاب مبهما ومجملا فكان صادقا على جميع الكتب ، غير أنّه أزال هذا الإبهام بلفظتي التوراة والإنجيل فبيّنتا الكتاب الذي علمه سبحانه وتعالى . والإيضاح بعد الإبهام من صور الإطناب التي ذكرها أئمة البلاغة .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾«[2519]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقال الزمخشري : فإن قلت : لي في قوله : «اشرح لي صدري ويسر لي أمري » ما جدواه والكلام بدون مستتب ؟ قلت : قد أبهم الكلام أولا فقال : اشرح لي ويسر لي فعلم أنّ ثمّ مشروحا وميسرا ثمّ رفع الإبهام فذكرهما ، فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الشارح لأنّه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل »«[2520]»

ينقل الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هاتين الآيتين قولا عن الإمام الزمخشري مفاده بأنّ هاتين الآيتين فيهما نوعا من الإيضاح بعد الإبهام أو شرحا بعد الإجمال . ووجه ذلك أنّ

[2517] ــ سورة آل عمران : الآية 48

[2518] ــ البحر المحيط : ج 2 ، ص 492 .

[2519] ــ سورة طه : الآيتان 25 ــ 26

[2520] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 224 .

افتتاحهما بالفعلين «اشرح ويسر » يؤذن ويعلم بوجود شيء يشرح وييسر ، ثمّ بيّن ما يشرح وييسر عقب الفعلين مباشرة وهما لفظتا صدري وأمري ، فهما موضحان للفعلين المبهمين وفي حكم المفسرين لهما . والإيضاح بعد الابهام من صور الإطناب وأنواعه . وقد مثّل له بهاتين الآيتين كثير من البلاغيين منهم الإمام السكاكي«[2521]» والإمام القزويني«[2522]»، ونقل هذا القول عن الإمام الزمخشري إضافة للإمام أبي حيان الإمام ابن عادل«[2523]» كما نبّه على الإطناب في الآيتين الشيخ الطاهر بن عاشور«[2524]» .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾«[2525]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وأبهم أوّلا الأسباب ، ثمّ أبدل منها ما أوضحها ، والإيضاح بعد الإبهام يفيد تفخيم الشيء ، إذ في الإبهام تشوق للمراد ، وتعجب من المقصود ، ثمّ بالتوضيح يتعين المقصود ويتعين»«[2526]».

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها إيضاحا بعد إبهام . وذلك في قوله تعالى : «أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ »«[2527]» حيث أبهم الأسباب في الأول ،ثمّ فسرّها كما نصّ على فائدة الإيضاح بعد الإبهام عندما أخبر أنّه يفيد تفخيم الشيء وفيه أيضا تشويق للسامع بإلقائه مبهما ثمّ يزول ذلك بالإيضاح . وما ذكره من هذه الفوائد والأغراض أشار

[2521]ــ مفتاح العلوم : ص 283

[2522] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 187

[2523]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 13 ، ص 223

[2524]ــ التحرير والتنوير : ج 16 ، ص 211

[2525]ــ سورة غافر : الآيتان 36 ـ 37

[2526]ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 446 .

[2527]ــ سورة غافر : الآية 37

إليها أئمة البلاغة كالخطيب القزويني«[2528]» وغيره . والظاهر من كلام الإمام أبي حيّان أنّه نقله عن الإمام الزمخشري فهو من أشار إلى ذلك بقوله : « فإن قلت : ما فائدة التكرير ؟ ولو قيل : لعلّي أبلغ أسباب السموات لأجزأ ؟ قلت : إذا أبهم الشيء ثمّ أو ضح كان تفخيما لشأنه ، فلمّا أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثمّ أو ضحها ، ولأنّه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ، ليعطيه السامع حقه من التعجب ، فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثمّ أوضحه »«[2529]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾«[2530]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وخصّ جبريل وميكال بالذكر تشريفا لهما وتفضيلا ، وقد ذكرنا عن أستاذنا أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، قدّس الله روحه أنّه كان يسمي لنا هذا النوع بالتجريد ، وهو أن يكون الشيء مندرجا تحت عموم ، ثمّ تفرده بالذكر، وذلك لمعنى مختص به دون أفراد ذلك العام ، فجبريل وميكال جعلا كأنّهما من جنس آخر ، ونزل التغاير في الوصف كالتغاير في الجنس فعطف ، وهذا النوع من العطف ، أعني عطف الخاص على العام على سبيل التفضيل ، هو من الأحكام التي انفردت لها الواو دون غيرها من حروف العطف »«[2531]».

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ تخصيص جبريل وميكال بالذكر بعد اندراجهما في عموم من ذكر من الملائكة كان لقصد تشريفهما وتفضيلهما . ونقل عن شيخه الإمام أبي جعفر بن الزبير الغرناطي أنّ إفراد الشيء بالذكر بعد ذكره في صيغة العموم يسمى التجريد . والذي ذكره هو من عطف الخاص على العام الذي هو أحد صور الإطناب وأنواعه

[2528]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 186

[2529]ـ الكشاف : ج 4 ، ص 172

[2530]ـ سورة البقرة : الآية 98

[2531]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 490 .

يؤتى به لبيان مزيّة وشرف الخاص المعطوف على العام . وما ذكره الإمام أبو حيّان هنا صحيح فإنّ تخصيص جبريل وميكال بعد اندراجهما في عموم من ذكر من الملائكة لبيان فضلهما ولتشريفهما. وقد سبق القول بأنّ عطف الخاص على العام من صور الإطناب وأنواعه يؤتى به لنكتة يفيدها كالتمييز والتشريف والتفضيل ، هذا وقد سبقت الإشارة لهذا المثال عند الحديث عن الإطناب عند الإمامين مكي والإمام أبي جعفر بن الزبير. وذكرت من نبّه عليه من المفسرين والبلاغيين .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾»«[2532]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والجمهور على أنّ التكرير توكيد ، قال الزّمخشري : والتكرير تأكيد للردع والزجر ، وثمّ دلالة على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد »«[2533]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هاتين الآيتين أنّ التكرار الواقع فيهما القصد منه هو التوكيد ، ثمّ نقل عن الإمام الزمخشري أنّ التكرار واقع لتأكيد الردع والزجر . والتكرار كما سبق القول هو أحد صور الإطناب يؤتى ليفيد أغراضا كثيرة حسب السياق والغرض منه هنا هو التوكيد . وبهذا يكون الإمام أبو حيّان قد نصّ على التكرار مع بيان القصد منه .

هذا وقد أشار إلى التكرار هنا لقصد الردع والزجر إضافة للإمام الزمخشري الإمام مكي«[2534]» والإمام البيضاوي«[2535]» ومن البلاغيين الإمام الخطيب القزويني«[2536]» .

[2532] ــ سورة التكاثر : الآيتان 3 ــ 4

[2533] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 506.

[2534] ــ الهداية إلى بلوغ الناهية : ج 12 ، ص 8418

[2535] ــ أنور التنزيل وأسرار التأويل : ج 5، ص 334

[2536] ــ الإيضاح في علوم البلاغة : ، ص 188

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾«[2537]»قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : « مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ » متعلق ببيضاء ، كأنّه قال : ابيضت من غير سوء ، وقال الحوفي : «مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ » في موضع النعت لبيضاء ، والعامل فيه الاستقرار انتهى ، ويقال له : عند أرباب البيان الاحتراس ، لأنّه لو اقتصر على قوله :«بَيْضَآءَ » لأوهم أنّ ذلك من برص أو بهق »«[2538]»

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ لفظة «من غير سوء» احترس بها عمّا يمكن أن يتوهم من قوله تعالى: ﴿ بَيْضَآءَ ﴾«[2539]» ، لأنّ في إطلاقها إيهاما للسامع بأنّ خروجها بيضاء كان من علة البرص أو البهاق ، ثمّ ذكر أنّ هذا النوع يسمى عند البيانين الاحتراس . والاحتراس هو أحد صور الإطناب ، ويعرفونه بقولهم : أن يؤتى بكلام يوهم خلاف المقصود ، ثمّ يؤتى بعده بما يدفع ذلك الوهم . وهذا التعريف صادق على هذا المعنى الذي ذكره الإمام أبو حيّان ، فلفظة : «بيضاء» أو همت أنّ خروجها على تلك الحالة كان بسبب علة البرص ، ولفظة: «من غير سوء» دفعت ذلك المعنى المتوهم . وممّن أشار إلى الاحتراس في هذه الآية من البلاغين الإمام العلوي ، حيث قال: « ومن جيّد ما يقال في الاحتراس قوله تعالى : «وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ» احتراس عن إيهام البياض المكروه »«[2540]».

[2537]ــ سورة طه : الآية 22

[2538] ــ البحر المحيط : 6 ، ص 222.

[2539]ــ سورة طه : الآية 22

[2540] ــ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ص 287 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾«[2541]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وتضمنت هذه الجملة أنواعا من الفصاحة والبديع ... والتتميم وهو أن يكون في الكلام كلمة تزيد المعنى تمكنا وبيانا للمعنى المراد ، وهو في قوله : «بَلِيغٗا » أي يبلغ إلى قلوبهم ألمه أو بالغا في زجرهم »«[2542]».

يخبر الإمام أبو حيّان في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تتميما . وذلك في لفظة: «بليغا » وقد عرّفه بقوله: « وهو أنّ في الكلام كلمة تزيد المعنى تمكنا وبيانا للمعنى المراد » والتتميم هو أحد صور الإطناب وأنواعه يؤتى به لإفادة نكتة أو غرض بحسب السياق . والقصد منه في هذا الموضع هو المبالغة ، أي المبالغة في إيصال الكلام لهم حتّى يستشعروا ألمه وأذاه في قلوبهم .

فهذه النماذج الموردة من تفسير الإمام أبي حيّان تؤكد اعتناءه بأسلوب الإطناب . وذلك في إيراده لمجموعة من صور كالإيضاح بعد الإبهام وعطف الخاص على العام والتكرار والاحتراس والتتميم . وهذه جميعها من أنواع الإطناب المتفق ، ومنهجه في التنبيه عليها يكون بالنصّ عليها باسمها مع تحديدها وشرحها وتحليلها وتفسيرها . وتارة يكون بالتعريف بتلك الصورة من صور الإطناب مع شرحها . وهو في ذلك يستعين بكلام من سبقه من المفسرين كالإمام الزمخشري الذي بدا تأثره به واضحا في هذا الموضوع . وذلك بكثرة نقله عنه .وكذلك الإمام ابن الزبير الذي ذكر اسمه في موضع واحد كما أنّه يحرص على بيان الغرض من الإطناب والغاية منه في الآية إمّا بنقله عن غيره أو من عنده ، وبالجملة فهذه الأمثلة تؤكد نضج هذا المبحث في ذهن الإمام أبي حيّان لذلك اعتنى به في تفسيره .

[2541] ــ سورة النساء : الآية 63

[2542]ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 306.

المطلب الثامن : الإيجاز والإطناب في تفسير الإمام ابن عرفة

أسعى في هذا المطلب للوقوف على جهد الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في تناوله لأسلوب الإيجاز والإطناب الذي هو أحد مباحث علم المعاني . وذلك بعرض الأمثلة التي وردت الإشارة فيها لبعض صور هذه الظاهرة البلاغية في تفسيره. وذلك بغية بيان منهجه في تناولها و عرضها .

الفرع الأول : الإيجاز

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾«[2543]» قال ــ رحمه الله ــ : « قال الأصوليون والبيانيون : وهذه أبلغ من قول العرب القتل أنفى للقتل ، وقدّره ابن مالك في المصباح«[2544]» بأربعة أوجه : أحدها أنّ حروفها عشرة ، وأسقط منها الياء من في ، وألف الوصل من القصاص لسقوطها في النطق وفي التفعيل أعني الأوزان الشعرية ، وحروف القتل أنفى للقتل أربعة عشر ، الثاني :تنافر الحروف في المثل وتناسبها في الآية ، الثالث : لفظ الحياة محبوب ، فالتصريح عنه باسمها أولى من الكناية عنه بنفي القتل ، الرابع : صحة معناه ، لأنّ تنكير الحياة يفيد إمّا حياة عظيمة أو نوعا من الحياة إشارة لحسنه وغرابته ، بخلاف المثل ، فإنّ معناه غير صحيح ، وحقيقته غير مرادة ... ، وذكر الطبري في تأليفه في البيان والجعبري في شرحه للشاطبية الصغرى أنّ الآية تفضله من وجوه : أحدها : إيهامه التناقض لمنافاة الشيء لنفسه أو العموم ، فيكون القتل ظلما أنفى للقتل قصاصا ، والمراد العكس ، بخلاف الآية فإنّها صريحة في معناها من غير احتمال شيء ، الثاني : عدول الآية عن التكرار وعن الإضمار ، بخلاف المثل ، لأنّ تقديره : كراهية القتل أنفى للقتل ، الثالث : سلامة ألفاظها عمّا يوحش السامع ، وتخصيصها بالحياة المرغوب فيها ، وبعدها عن تكرار قلقة القاف للضغط والشدة وتخصيصها بتكرار الصاد المستجلب باستعلائها وإطباقها مع الصفير للفصاحة ، الرابع : فيه الطباق المعنوي بين القصاص والحياة ، وزاد بعضهم عن القاضي ابن عبد السلام أنّ الآية

[2543]ــ سورة البقرة : الآية 179

[2544]ــ المصباح في المعاني والبيان والبديع : ص 76

أعجب لاقتضائها أن الموت سبب في حياة ، ولأنّ دلالة القصاص على الحياة مطابقة ، ودلالة القتل عليها باللزوم »«[2545]».

يخبر الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ البيانيين والأصوليين عدّوها من أبلغ الآيات وأفصحها ، حتّى فضّلوها في البلاغة على قول العرب «القتل أنفى للقتل » وذلك لما اشتملت عليه من أوجه الحسن والإيجاز ، ثمّ شرع في ذكر بعض الأوجه التي ميّزت بها واختصت بها بما نقله عن بعض العلماء . وهذه الآية عند المفسرين والبيانين تعدّ من أمثلة الإيجاز بالقصر والإيجاز الجامع ، الذي يكون فيه اللفظ قليلا لكنّه يحتوي على معاني كثيرة ومتعددة ، وقد أكثر البلاغيون والمفسرون المتقدمون منهم والمتأخرون من التمثيل بها لهذا النوع من الإيجاز وراحوا يتفننون في تعديد أوجه التفاضل التي اختصت بها هذه الآية وذكر أوجه الحسن فيها والمقارنة بينها وبين قول العرب : «القتل أنفى للقتل» فممّن أشار إليها الإمام أبو هلال العسكري«[2546]» وابن سنان الخفاجي«[2547]» ، كما تحدّث عنها الإمام السكاكي«[2548]» والإمام ابن الأثير«[2549]» والخطيب القزويني«[2550]» ، والإمام الزركشي«[2551]» .

[2545] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 524

[2546] ـ الصناعتين : ص 175

[2547] ـ سر الفصاحة : ص 209

[2548] ـ مفتاح العلوم : ص 277

[2549] ـ المثل السائر : ج 2 ، ص 17 ـ 18

[2550] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 175

[2551] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 222

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾«[2552]»

قال ــ رحمه الله ــ : « عندي فيه حذف التقابل : «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار » وله نعيم مقيم ،« وذلك الفوز العظيم »«[2553]».

يخبر الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها حذفا تقابليا . والحذف المتقابل هو أن يكون في الكلام متقابلان يحذف منه أحدهما لمقابلة الآخر له . وقد بيّن هذا التقابل عندما قال : «وله نعيم مقيم وذلك الفوز العظيم » فلفظة نعيم مقيم مقابل لقوله تعالى : «وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ » فحذف الأول لمقابلة الثاني له .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾«[2554]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قال ابن عرفة : وفي الآية حذف التقابل ، لأنّه ذكر قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم ، ولم يذكر ما يقع به الثواب ، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب ولم يذكر الحكم بتعذيبهم ، فالتقدير : لهم مغفرة وأجر عظيم وهم أصحاب الجنة ، والتقدير في الثاني لهم عذاب أليم وهم أصحاب الجحيم »«[2555]»

يخبر الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها حذفا تقابليا ، حيث ذكر أنّ المولى جلّ وعلا ذكر قسمين وفريقين هم المؤمنون والكافرون ، وبيّن أنّ قسم المؤمنين ورد في الآية

[2552] ــ سورة النساء : الآية 13

[2553] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 14.

[2554] ــ سورة المائدة : الآيتان 9 ــ 10

[2555] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 97 .

الحكم بثواب عملهم والأجر عليه غير أنّه لم يذكر ما يحصل به الثواب والأجر ، وفي قسم الكافرين لم يذكر الحكم بتعذيبهم ، لكنّه ذكر ما يحصل به العقاب والعذاب ، وعلى هذه القسمة يكون ثمّت معنيان متقابلان هما الحكم بالثواب وبيان ما يحصل به الثواب ، حذف أحدهما في موضع وأثبت في الآخر ، والعكس صحيح . ووجه ذلك أنّ ما يقع به ثواب المؤمنين حذف لأنّه مقابل لما يقع به ثواب الكافرين المصرح به وهو عكسه ، وفي الثاني لم يذكر الحكم بتعذيبهم لأنّه في مقابلة حكم ثواب المؤمنين وهو عكسه .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾«[2556]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله تعالى : «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » فيه سؤال : وهو ما السّر في العدول عن صريح المقابلة ، فيقال : إمّا شاكرا وإمّا كفورا ، ويقال : إمّا شكورا وإمّا كفورا ؟ و الجواب : أنّه من حذف التقابل حذف شكورا لدلالة كفورا عليه ، وحذف كافر لدلالة شاكر ، والقسمة الممكنة باعتبار التقابل أربعة : شكور كفور ، شاكر كافر ، شاكر كفور ، شكور كفور »«[2557]».

يخبر الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها حذف التقابل . وذلك بين قوله تعالى :﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾«[2558]»، فقد كان الأصل في الكلام أن يكون على تصريف واحد ، بأن يقابل شاكر كافر ، أو كفورا شكورا ، غير أنّه عدل عن ذلك كما أخبر لأنّ هذا من باب التقابل ، فحذف شكورا لأنّ كفورا دلّ عليه وفي مقابله ، كما حذف كافرا لأنّ شاكرا دلّ عليه وفي مقابله .

[2556] ــ سورة الإنسان : الآية 3

[2557] ــ تفسير ابن عرفة : ج 4 ، ص 328 .

[2558] ــ سورة الإنسان : الآية 3

وقد أشار الإمام أبو حيّان للاختلاف في التعبير بين شاكرا وكفورا ، فوجّه ذلك بالقلة والكثرة، بمعنى أنّه لما كان الموصوفون بالشكر قليلون جيئ بالكلمة من دون مبالغة . ولما كان الموصوفون بالكفر كثيرون صيغ بصيغة المبالغة ، فقال: « ولما كان الشكر قلّ من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثر من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر جاء كفورا بصيغة المبالغة »«[2559]».

فهذه هي إذن جملة ما ذكره الإمام ابن عرفة من صور الإطناب في تفسيره ، وهي كما أسلفت القول قليلة إذ ما قورنت بحجم كتاب وضع لتفسير القرآن الكريم كله ، والصور التي ذكرها مندرجة تحت الإيجاز بالقصر والإيجاز بالحذف . وكان منهجه في إيرادها بتحليلها وشرحها تارة بما ينقله عن أئمة التفسير والبلاغة وتارة وهو الغالب من شرحه وتوجيهه.

الفرع الثاني : الإطناب

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾«[2560]».

قال ــ رحمه الله ــ : « كرّر لفظ أولئك تنبيها على أنّ كل وصف من هذه كاف في حصول المدح والثناء لا المجموع »«[2561]».

يشير الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تكرارا في لفظة أولئك ، حيث كرّرت مرتين ، وقد أخبر أنّ تكرارها هنا كان لقصد التنبيه على أنّ من اتصف بوصف من هذه الأوصاف يحصل له المدح والثناء المذكور في الآية وليس بشرط أن يحصل الأوصاف جميعها .

[2559] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 387

[2560] ــ سورة البقرة : الآية 177 .

[2561] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 211 .

والتكرار من صور الإطناب يفيد عدّة أغراض بحسب السياق . والإمام ابن عرفة هنا يرى أنّه قصد منه التنبيه.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾»«[2562]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده » ، ولم يقولوا : أرسلت إلينا ،لأنّهم ينكرون رسالته فهو احتراس منهم ، ونظيره قوله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ »«[2563]» برفع أساطير... »«[2564]».

يذكر الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها نوعا من الاحتراس . وذلك في لفظة : «أجئتنا » فقد احترس بها عن لفظة «أرسلت إلينا » وذلك لأنّهم ينكرون رسالته في الأصل ، فلم يناسب التعبير باللفظ الأخير احتراسا ، ثمّ ذكر لهذا الاحتراس نظير ومثيلا آخر من القرآن الكريم . وذلك في قوله تعالى : «قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ »«[2565]» ، حيث احترس الكفار في التعبير عندما سألوا عن الوحي المنزل من لفظ القرآن إلى لفظ الأساطير والحكايات لأنّهم ينكرون تنزله على النبي صلى الله عليه وسلم وينكرون كونه وحيا من عند الله .

[2562]ــ سورة الأعراف : الآية 70

[2563]ــ سورة النحل : الآية 24

[2564] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 231 .

[2565]ــ سورة النحل : الآية 24

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾«[2566]»

قال ـ رحمه الله ـ : « قال ابن عرفة : هذا احتراس أو تتميم ، أمّا تقرير كونه احتراسا ، فلأنّه لما تقدّمها «لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ»«[2567]»، فقد يتوهم من وصف النحاة في الحدود ، فاحترس من ذلك بما يتضمن أنّ من صفته العدل ، فيجزي كل نفس ما كسبت لا يزيد عليها ولا ينقص ، وأمّا تقدير كونه تتميما ، فلأنّه لما تقدّم اختصاص الله تعالى يومئذ بالملك والقهر والغلبة تمّمه بأنّ السلاطين والجبابرة أذلاء محكومون ، فهو ينصف المظلوم من ظالمه وإن كان جبّارا عنيدا »«[2568]».

يجوّز الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ احتمال أن يكون في الآية نوعا من الاحتراس أو التتميم . وذلك في قوله تعالى : «لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ»«[2569]» . ووجه الاحتراس كما يفهم من كلامه أنّه لما تقدّم قوله تعالى : «لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ»«[2570]» فإنّه قد يفهم من صفة القهار بأنّه يغلب جميع الخلق ويقهرهم بحق أو بغير حق ، كما هو شأن ملوك وجبابرة الدنيا الظالمين ، فاحترس بلفظة «لا ظلم اليوم» عن ذلك ، ووجه التتميم أنّه لما وصف سبحانه وتعالى نفسه بالملك والقهر أكمل هذا المعنى بذكر حال السلاطين وملوك الدنيا في ذلك اليوم ، كيف هم أذلاء مقهورون يقضى بينهم وبين العباد في كل صغيرة وكبيرة ويقتص للمظلوم من كل ظالم وإن كان من جبابرة الدنيا وسلاطينها .

2566 ـ سورة غافر : الآية 17

2567 ـ سورة غافر : الآية 16

2568 ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 393 .

2569 ـ سورة غافر الآية 17

2570 ـ سورة غافر : الآية 16

من عرض هذه الأمثلة والنماذج من تفسير الإمام ابن عرفة تقرّر أنّه لم يعتن كثيرا بأسلوب الإطناب وجملة ما نبّه عليه من صوره هي ثلاثة فحسب موضع ذكر فيه التكرار وموضع ذكر فيه الاحتراس وموضع جوّز احتمال وقوع التتميم أو الاحتراس فيه ، فهي إذن إشارات قليلة . وقد كانت طريقته في عرض هذه الصور بالنصّ عليها مع شرحها وبيان الغرض منها .

المبحث الثامن : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الالتفات

عقدت هذا المبحث الثامنمن الفصل الثاني للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الالتفات الذي هو أحد الأساليب البلاغية العامر بها القرآن الكريم .

_ المطلب الأول : معنى الالتفات لغة و اصطلاحا

قبل بيان معنى الالتفات عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاّ الوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح ، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم المعاني ،كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا

_ الفرع الأول: الالتفات لغة

جاء في الصحاح:« اللّفت:اللّي وفي حديث حذيفة:إنّ من أقرأ الناس للقرآن منافق لا يدع منه واو ولا ألفا يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الحليّ بلسانها ولفت وجهه عنيّ أي صرفه ولفته عن رأيه صرفه....»«[2571]»

وجاء في لسان العرب:« لفت وجهه عن القوم:صرفه والتفت التفاتا ، التفت أكثر منه، وتلفّت إلى الشيء والتفت اليه صرف وجهه إليه،ولفته يلفته لفتا لواه على غير جهته، وقيل اللّيّ هو أن

[2571]_ الجوهري : ج 1 ، ص 286 مادة ـ لفت ـ

ترمي به إلى جانبك ولفته عن الشيء يلفته لفتا صرفه ... ولفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه و منه الالتفات»«[2572]»

فهذه النقول من المعجمين اللّغويين تشير إلى أنّ أصل الكلمة و مرجعها يعود إلى الانصراف و العدول عن الشيء سواء كان قولا أو فعلا.

الفرع الثاني الالتفات اصطلاحا:

لقد عرف البلاغيّون الأوائل الالتفات فهو لم يكن من المباحث المتأخرة اكتشافا، بل كان شائعا و ذائعا على ألسنتهم غير أنّهم اختلفوا في الاصطلاح عليه وتباينت تعاريفهم له فهذا الإمام أبو عبيدة يصطلح عليه بمسمى المجاز و يدرجه تحت قاعدته المبنية على التوسع في المجاز واطلاقه على كثير من المباحث التي استقرت عند المتأخرين في موضوعات خاصة ومن أمثلة نصّه عليه بمسمى المجاز قوله: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع «يخرجكم طفلا»«[2573]»في موضع أطفالا ومن مجاز ما جاء في لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد قال: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾«[2574]»في موضع ظهراء و من مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثمّ تركت وحوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قال اللّه:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾«[2575]» أي بكم »«[2576]»

[2572] ـ ابن منظور : ج2 ، ص 84 ، مادة ـ لفت ـ

[2573] ـ سورة غافر : الآية 67

[2574] ـ سورة التحريم : الآية 4

[2575] ـ سورة يونس : الآية 22

[2576] ـ مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، د ط ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، د ت ، ج 1 ، ص 9 ـ 11

فهذا الكلام المنقول عنه يدل على أنه كان يطلق لفظ المجاز على الالتفات وممّن أطلق لفظ المجاز كذلك على الالتفات الإمام ابن قتيبة حيث أشار في كتابه تأويل مشكل القرآن إليه ناصّا على أنّه باب من أبواب المجاز فقال:«وللعرب مجازات في الكلام و معناها طرق القول و مآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتّقديم والتّأخير والحذف والتّكرار و الإخفاء والإظهار والتّعريض والإفصاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع والجمع خطاب بالاثنين.....»«[2577]».

ويرى بعض الدّارسين أنّ أوّل من اصطلح على هذه الظاهرة البلاغية بمصطلح الالتفات هو الخليفة عبد الله بن المعتز معرفا إيّاه بقوله : «[2578]»«هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ومن الالتفات الانصراف من معنى إلى معنى آخر قال الله جلّ ثناؤه «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم » ثمّ قال:﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾«[2579]» ثمّ قال:﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾«[2580]»

ويرى الدّكتور حسن طبل في تعريف ابن المعتز للالتفات أنّ فيه نوعا من التّضييق حيث قصر الالتفات على صورة واحدة من بين جميع صوره وهي التّنويع بين الضّمائر كما يرى فيه توسيعا من جهة أخرى حيث جعله شاملا للانصراف الكلّي من معنى إلى معنى «[2581]»

ثمّ جاء بعد ابن المعتزّ قدامة بن جعفر ووضع تعريفا للالتفات قائلا فيه«هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنّه يعترضه إمّا شك فيه أو ظنّ بأنّ رادا يردّ عليه قولهأو سائله عن شبيه فيعود راجعا على ما قدّمه فإمّا أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشكّ فيه»«[2582]».

[2577] ـ تأويل مشكل القرآن : ج 1 ، ص 15 ـ 16

[2578] ـ البديع : ص 58 ـ 59

[2579] ـ سورة إبراهيم : الآية 19

[2580] ـ سورة إبراهيم : الآية 21

[2581] ـ أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : د ط ، القاهرة ـ دار الفكر العربي ، 1418 هـ ـ 1999 م ، ص 19

[2582] ـ نقد الشعر : ط 1 ، قسطنطينة ـ دار الجوائب ، 1302 هـ ، ص 53

المطلب الثاني : الأغراض البلاغية للالتفات

لقد عدّد البلاغيّون بعض الأعراض البلاغيّة الّتي يفيدها أسلوب الالتفات في الكلام منثورا و منظوما فممّا اتّفقوا عليه من الأغراض و الفوائد:

تنشيط السّامع وإيقاظه للإصغاء وأوّل من أشار إلى هذا الحسن في الالتفات الامام الزّمخشري حيث قال :« ....لأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريّة لنشاط السّامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائده»«[2583]»

هذا ما ذهب إليه الزّمخشريّ ووافقه عليه كثير من المتأخرين من أمثال السّكاكي والخطيب القزويني حيث أشار كل واحد منهم إلى ما أورده الزّمخشريّ حيث قال السّكاكي:«...والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن نظرية لنشاطه وأملك باستدرار اصغائه وهم أحرياء بذلك...»«[2584]»

كما ذهب الامام الخطيب القزويني إلى تقرير ما ذكره هؤلاء الأئمة وإن بدا متمسكا بقول الزّمخشريّ فقال: « واعلم أنّ الالتفات من محاسن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريّة لنشاط وأكثر ايقاظا للإصغاء إليه من اجرائه على أسلوب واحد»«[2585]»

ـ تعدّد أغراضه بحسب المعنى المقصود من الكلام

يرى بعض البلاغيّين أنّ غرض الالتفات ووظيفته لا يكمن قصره على غرض واحد فحسب و المتمثّل في تنشيط السّامع لقبول الكلام والاصغاء إليه بل يخرج إلى أغراض مختلفة بحسب المقام و المقصود من الكلام وممّن تولّى هذا الرأيّ وتبنّاه الامام ابن الأثير حيث امتعض واعترض على رأي الزمخشري عندما قصر الالتفات على تنشيط السامع فقال معترضا عليه: «وقال الزّمخشريّ ـ رحمه

[2583]ـ الكشاف : ج 1، ص 56
[2584]ـ مفتاح العلوم : ص 199
[2585]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 74

الله ــ : إنّ الرّجوع من الغيبة إلى الخطاب إنّما يستعمل للتّفنّن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطريّة لنشاط السّامع وإيقاظا له للإصغاء وليس الأمر كما ذكره ، لأنّ الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلّا تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء فإنّ ذلك دليل على أنّ السامع يملّ من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح في الكلام لا وصف له....»«[2586]»

وبعد هذا الاعتراض الذي أبداه على قول الزّمخشريّ يدلي برأيه في المقصود من الالتفات فيقول:« والّذي عندي في ذلك أنّ الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلّا لفائدة اقتضته وتلك لفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنّها لا تحد بحدّ ولا تضبط بضابط لكن يشار الى مواضيع منها لقياس عليها غيرها فإنّ قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ، ثمّ رأينا ذلك بعينه وهو ضدّ الأوّل قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أنّ الغرض الموجب لاستعمال هذا النّوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وإنّما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وإنّما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه»«[2587]»

والذي يبدوا والله أعلم أنّه لا وجه لاعتراض ابن الأثير على الامام الزّمخشريّ فقد سبقه هذا الأخير إلى ما قرّره ابن الأثير حيث أشار الى خروج الالتفات الى أغراض أخرى بحسب المقام الذي يقتضي القصد من الكلام و ذلك عندما قال :«وقد تختص مواقعه بفوائد أخرى»«[2588]»

أي أنّ الفائدة العامة للالتفات تنشيط السامع و إيقاظه للإصغاء بينما توجد فوائد خاصة تدرك بحسب السياق و هذا ما دفع بالإمام الزّركشي ــ رحمهالله ــ الى تحديد بعض الفوائد الخاصة

[2586] ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج 2 ، ص 4

[2587] ــالمصدر نفسه : ج 2 ، ص 4

[2588] ــ الكشاف : ج 1 ، ص 56

للالتفات فقال:« وأمّا الخاصة فتختلف باختلاف محاله ومواقع فيه على ما يقصده المتكلّم»«[2589]»

ثمّ ذكر بعض هذه الأغراض و ممّا أشار إليه مايلي:

_ قصد تعظيم شأن المخاطب

_ التّنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه

_ التّتميم لمعنى مقصود المتكلّم

_ قصد المبالغة

_ قصد الدّلالة على الاختصاص

_ قصد الاهتمام

_ قصد التوبيخ

وهذا الرأيّ القائل بأنّ أغراض الالتفات تدرك بحسب المقصود من الكلام هو الأرجح إذ لا يمكن حصر فوائده في فائدة واحدة.

كما تجدر الإشارة إلى وقوع الخلاف بين البلاغيين في تحديد القسم الذي ينطوي تحته الالتفات و يندرج فيه فمنهم من يجعله لصيقا بعلم المعاني ومنهم من يجعله لصيقا بعلم البديع وذهب الآخرون إلى جعله من مباحث البيان فممّن جعله لصيقا بعلم المعاني الامام السكاكي والعلوي وحجتهم في ذلك أنّ ظاهرة الالتفات تسمو تارة فتكون ذات دور حيوي في بلاغة التّعبير أو مطابقة الكلام لمقتض الحال كما أنّ جعل الالتفات من مباحث علم المعاني وجيه باعتبار أنّ المقام قد يقتضي كثرة الإصغاء الى الكلام واستحسانه فيتوصل إلى ذلك بالالتفات وقد يراد مجرّد تحسين الكلام من غير مراعاة المطابقة و على هذا كان الالتفات في نظر هؤلاء من مباحث العلمين من جهتين مختلفتين

[2589]_ البرهان في علوم القرآن : ج 3، ص 326

وأمّا من ذهب إلى عده من مباحث البيان فقد قال بأنّ الالتفات هو خروج عن مقتضى الظاهر والخروج عن الظّاهر من مسائل الكناية الّتي يبحث عنها في علم البيان إذ الكناية عبارة عن إطلاق لفظ يراد منه لازم معناه مع جواز إرادته و التّصريح عليها فهو إيراد اللّفظ ظاهر الدّلالة على شيء معيّن فيكون الالتفات من مباحث الكناية باعتبار أنّه خروج عن مقتضى الظّاهر

هذه هي أقوال البلاغيين في موقع الالتفات من أقسام البلاغة الثلاث والذي بدا لي و الله أعلم أنّ الالتفات ألصق بعلم المعاني من البيان و البديع ، فعلم المعاني يعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال أو هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره وإذا نظرنا للالتفات وجدناه من صور إخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر و ذلك بالعدول عن أسلوب من أساليب الكلام إلى أسلوب آخر لغرض اقتضاه المقام الذي يراد التعبير عنه إمّا تنشيطا أو تخصيصا أو تتميما أو مبالغة إلى غيرها من الأغراض التي يفيدها ذلك العدول وهذا الخروج من أسلوب الى آخر يراعى فيه ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيكون بالتالي أثره على المعاني ، وأمّا من ذهب إلى نسبته لعلم البيان فإنّه لا يستقيم له ذلك لأنّ علم البيان يقصد منه التّعبير عن معنى معيّن بطرق مختلفة تنطوي جميعها تحت دائرة المجاز و الالتفات لا صلة له بالمجاز و قواعده و أمّا من ذهب إلى نسبته لعلم البديع فيردّ عليه كذلك بأنّ موضوع هذا العلم يبحث في القيم الجمالية التي تزيّن بها الألفاظ و الالتفات خارج عن مسائله.

وبعد بيان هذا كله سأنتقل لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول هذه الظاهر البلاغية وكشف منهجهم وطريقتهم في معالجتها والتعرض لها .

المطلب الثالث : الالتفات في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي

تردّدت الإشارة للالتفات في تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي ، وقد تنوعت صور التنويه به عنده ، ويمكن إجمال هذه التنبيهات والإشارات في النقاط التالية :

ـــ الإشارة إليه دون بيان الغرض منه :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾«[2590]».

قال ـــ رحمه الله ـــ «[2591]»قوله :«واسمعوا» : أي : استمعوا ما أمرتم به ، وتقبلوه بالطاعة ، «قَالُوا۟ سَمِعْنَا» : أي : سمعنا قولك وعصينا أمرك، وخرج في هذا من لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة كما قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾«[2592]» ، وقد يخرج من الغيبة إلى الخطاب كما قال تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾«[2593]» ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾«[2594]».

فالإمام مكي يشير إلى وقوع الالتفات في هذه الآية ، ويعبر عنه بالخروج ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله : «وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ »«[2595]» إلى أسلوب الغيبة في قوله : «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ »«[2596]» بيد أنّه

[2590] ـ سورة البقرة : الآيتان 92 ـ 93

[2591] ـ . الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 1 ، ص 352

[2592] ـ سورة يونس : الآية 22

[2593] ـ سورة الفاتحة : لآية 2

[2594] ـ سورة الفاتحة : الآية 5

[2595] ـ سورة البقرة : الآية 92

[2596] ـ سورة البقرة : الآية 93

لم ينصّ على فائدة هذا العدول والانتقال ، وإنّما بيّن نوعه فحسب عندما أخبر بأنّه خروج من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة ، ثمّ مثّل لنقيضه وهو الخروج من الغيبة إلى الخطاب ، بما جاء في سورة الفاتحة ، وقد أشار إلى هذا الالتفات الإمام أبو حيّان الأندلسي ، حيث قال :«قَالُواْ : هذا من الالتفات ، إذ لو جاء على الخطاب لقال : قلتم»«[2597]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾«[2598]».

قال الإمام مكي «[2599]» ــ رحمه الله ــ:«هذا إعذار من الله عز وجل إلى خلقه في طاعة نبيه عليه السلام فإنّه عن الله يأمر وينهى ، وهو ردّ إلى قوله : «وَأَرْسَلْنَاكَ» للناس رسولاً ، ثم قال : ومن يطعك فقد أطاع الله ، لكنه خرج من لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة ، كما قال : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ»«[2600]»، ثم قال : «وَجَرَيۡنَ بِهِم »»«[2601]» .

فالإمام مكي ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ من أسلوب الخطاب في قوله :﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾«[2602]» إلى أسلوب الغيبة في قوله : «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ» ، غير أنّه لم يبين فائدة هذا العدول ، والذي يظهر والله أعلم أنّه قصد به تعظيم شأن النبي وتفخيمه ببيان أنّ طاعته من طاعة الله ، وأنّ ما يبلغ به فهو من وحي الله فينبغي أن يتبع ويطاع طاعة لله تعالى ، وممّن أشار إلى هذا الالتفات من المفسرين الإمام الألوسي ــ رحمه الله ــ ، حيث قال :«والالتفات لتربية المهابة من يطع الرسول فقد أطاع الله بيان لأحكام رسالته صلى الله عليه و سلم إثر بيان تحققها وإنما كان كذلك لأنّ الآمر والناهي

[2597] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 1 ، ص 475

[2598] ــ سورة النساء : الآية 80

[2599] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 2 ، ص 1395

[2600] ــ سورة يونس : الآية 22

[2601] ــ سورة يونس : الآية 22

[2602] ــ سورة النساء : الآية 79

في الحقيقة هو الحق سبحانه والرسول إنما هو مبلغ للأمر والنهي فليست الطاعة له بالذات إنّما هي لمن بلغ عنه »«[2603]».

ـ في تفسيره لنفس الآية ، وبيانه لمعنى قوله تعالى :﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾«[2604]»

قال ــ رحمه الله ــ :« ...«وَمَن تَوَلَّىٰ » أي : من طاعتك يا محمد « فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا »، رجع الكلام إلى الخطاب ولو جرى على الغيبة لقال : «فما أرسلناه »«[2605]». فهذه إشارة من الإمام مكي للالتفات في هذه الآية وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في قوله :«مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ» إلى أسلوب الخطاب في قوله :«فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا » ، وهذه إشارة عابرة منه لم يقف فيها على غرض هذا الالتفات وفائدته ، وممّن أشار إلى وقوع الالتفات في هذه الآية الإمام أبو حيان ،حيث قال : « وتضمنت هذه الآيات من البيان والبديع أنواعا الالتفات في قوله : «فما أرسلناك عليهم حفيظا ...»«[2606]»

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾«[2607]».

قال ـ رحمه الله ـ «[2608]»:«قوله : «وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ » : أي : أحدثنا ، ومعنى الخطاب في الآية في قوله : «لَّكُمۡ» – وقد تقدم ذكر الغيبة في قوله : « أَلَمۡ يَرَوۡاْ » – أنّ

2603ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :ج 3، ص 50.

2604ــ سورة النساء : الآية 80

2605 ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 2 ، ص 1395

2606 ــ البحر المحيط : ج 3 ، ص 317

2607 ــ سورة الأنعام : الآية 6

2608 ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، ص 1962

العرب إذا أخبرت خبراً عن غائب – فأدخلت فيه قوماً – وجهت الخبر أحياناً إلى الغائب وأحياناً إلى المخاطب ، فيقولون : قلت لعبد الله : « ما أكرمه » ، وإن شئت : « ما أكرمك » ، وهو مثل : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ » الآية»«[2609]» ، فالإمام مكي يشير إلى قوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب مخبرا أنّ هذا من عادات العرب ومن طرق تفننها في الكلام ، مع التمثيل له بالالتفات ، لكنّه لم يبيّن فائدة هذا الالتفات ، والمقصود من هذا الالتفات واللهّ أعلم هو تبكيتهم وبيان ضعف حالهم أمام الأمم السابقة ، فبالرغم من قوتها وبطشها ، فقد أخذها الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، فأين أنتم منهم ، وقد أشار إلى هذا الالتفات كثير من أئمة التفسير منهم الإمام القرطبي«[2610]»، والإمام أبو حيّان ، والإمام ابن عادل«[2611]» ، والإمام أبو السّعود«[2612]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور«[2613]» ، وممّا ذكر في غرضه وفائدته ما قاله الإمام أبو حيّان ـــ رحمه الله ـــ: « ولكم خطاب لهم فهو التفات ، والمعنى أنّ القرون المهلكة أعطوا من البسطة في الدّنيا والسّعة في الأموال ما لم يعط هؤلاء الذين حضّوا على الاعتبار بالأمم السّالفة وما جرى لهم ، وفي هذا الالتفات تعريض بقلة تمكين هؤلاء ونقصهم عن أحوال من سبق ومع تمكين أولئك في الأرض ، فقد حلّ بهم الهلاك ، فكيف لا يحلّ بكم على قلّتكم ، وضيق خطّتكم ، فالهلاك إليكم أسرع من الهلاك إليهم »«[2614]» .

[2609] ــ سورة يونس : الآية 22

[2610] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 391

[2611] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 8 ، ص 31

[2612] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 111

[2613] ــ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص183

[2614] ــ تفسير البحر المحيط ، ج 4 ، ص 80

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾«[2615]».

قال ـ رحمه الله ـ :«وقوله : «إِذَا كُنتُمۡ » ، ثم قال : « وَجَرَيۡنَ » فهذا من الرجوع من المخاطبة إلى الإخبار»«[2616]».

فالإمام مكي يشير إلى وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ » إلى أسلوب الغيبة في قوله :«وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ » غير أنّه لم يبيّن فائدة هذا العدول والخروج ، والفائدة المرّجوة من هذا العدول والقصد منه ، كما ذكر بعض المفسّرين هو قصد المبالغة في الإنكار عليهم والتعجيب من حالهم ، وممّن أشار إلى هذا الالتفات الإمام الزّمخشري والإمام ابن عطيّة والإمام البيضاوي القائل في بيان حكمته وفائدته ما نصّه :«حتّى إذا كنتم في الفلك في السفن ، وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنّه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم »«[2617]» ، كما أشار إليه الإمام ابن جزّي«[2618]» ، والإمام أبو حيّان«[2619]» ، والإمام ابن عادل «[2620]»، والإمام أبو السّعود القائل في بيان غرضه مانصّه، : «وجرين» أي السّفن « بهم» باللذين فيها ، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم ، كأنّه يذكر لغيرهم مساوي أحوالهم ، ويستدعي منه الإنكار والتقبيح ...»«[2621]».

[2615] ـ سورة يونس : الآية 22

[2616] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 5 ، ص 3242

[2617] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 3 ، ص 109

[2618] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 372

[2619] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 142

[2620] ـ اللباب في علوم الكتاب :ج 10 ،ص 92

[2621] ـ إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 134

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾«[2622]».

قال ــ رحمه الله ــ «قرأ :يتخذوا بالياء ، فأما من قرأ بالتاء ، فذرية نصب على النداء أو على البدل من وكيل وفيه بعد في المعنى. والمعنى : سبحان الذي أسرى بعبده وأتى موسى الكتاب وهو التوراة ، لكنه خرج من الغيبة إلى الإخبار وذلك كثير في القرآن وفي كلام العرب»«[2623]».

فالإمام مكي يشير إلى وقوع الالتفات فهي هذه الآية على قراءة من قرأ ألاّ تتخذوا بالتاء بدل الياء ، وذلك بعدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في قوله :« وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ...» إلى أسلوب الخطاب في قوله : « وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ » ، لكنّه لم يبيّن فائدة هذا العدول ، والغرض من هذا الالتفات والله أعلم هو قصد المبالغة في النهي عن اتخاذ ندّ له جلّ وعلا ، فيكل الخلق إليه أمورهم دونه سبحانه وتعالى ، وفي قراءة من قرأ بالتاء إشعار بأنّ هذا من خصوصيته سبحانه وتعالى وحده لا ينبغي أن يشاركه فيها أحد ، وقد أشار إلى وقوع الالتفات في هذه الآية كثير من أئمة التفسير منهم الإمام القرطبيَ «[2624]»، والإمام ابن عادل . «[2625]»

ــ الإشارة إليه مع تجويز وقوعه دون بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ﴾«[2626]»

قال ــ رحمه الله ــ قوله : «أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ» معناه : أن نخزيهم ، فنجعلهم قردة كما أخزينا أصحاب السبت الذين اعتدوا فيه . قاله قتادة والحسن والسدي وابن زيد ، وهذا

[2622] ــ سورة الإسراء : الآية 2

[2623] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 6 ، ص 4135

[2624] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 10 ، ص 213

[2625] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 12، ص 206

[2626] ــ سورة النساء : الآية 47

من الرجوع إلى الغيبة بعد المخاطبة مثل :«حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ »«[2627]» ، وقد قيل : معناه : أو نلعن أصحاب الوجوه ، فلا يكون فيه خروج من خطاب إلى غيبة على هذا ».

فالإمام مكي يشير إلى وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في خروجه جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله :« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم »«[2628]» إلى أسلوب الغيبة في قوله :«أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ » ، ثمّ يجوّز رأيا آخر وهو عدم وجود التفات في هذه الآية ، وذلك على تفسير من أرجع الضمير في نلعنهم إلى أصحاب الوجوه المراد به وجهاء القوم لا إلى أصحاب السبت ، فلا يكون بناء على هذا القول خروج ، وعدول إلى أسلوب الغيبة ، لكنّه لم يبيّن حسن الالتفات وفائدته على القول الأول ، وقد قال برأي مكي في هذه الآية كثير من أئمة التفسير منهم الإمام الرّازي ، إذ يقول : «وعندنا أنه لا بدّ من طمس في اليهود أو مسخ قبل قيام الساعة ، ومما يدل على أن المراد ليس طمس وجوههم بأعيانهم ، بل طمس وجوه غيرهم من أبناء جنسهم قوله : «أَوْ نَلْعَنَهُمْ» فذكرهم على سبيل المغايبة ، ولو كان المراد أولئك المخاطبين لذكرهم على سبيل الخطاب ، وحمل الآية على طريقة الالتفات وإن كان جائزا إلا أنّ الأظهر ما ذكرناه»«[2629]» .

فالإمام الرّازي ــ رحمه الله ـ يجوز حمل الآية على الالتفات ، وذلك برجوع الضمير إلى الذين أو توا الكتاب لا إلى أصحاب الوجوه ، كما أنّه يجوز ويرجح عدم وجود التفات وعدول في الآية بحجة أنّ الضمير راجع إلى أصحاب الوجوه ، كما نبّه على ما ذهب إليه الإمام مكي الإمام البيضاوي«[2630]» والإمام القرطبي«[2631]» والإمام ابن عادل«[2632]» ، وأشار إلى فائدة هذا الالتفات وحسنه الإمام أبو حيّان حيث ذكر كلاما جميلا يحسن إيراده ، فقال : «والضمير المنصوب في نلعنهم قيل : عائد على الوجوه إن أريد به الوجهاء ، أو عائد على أصحاب الوجوه

[2627]ــ سورة يونس : الآية 22

[2628]ــ سورة النساء : الآية 47

[2629]ــ مفاتح الغيب : ج 10 ، ص 92

[2630]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 77

[2631] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 5 ، ص 245

[2632]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 1 ، ص 551

، لأن المعنى : من قبل أن نطمس وجوه قوم ، أو على الذين أوتوا الكتاب على طريق الالتفات ، وهذا عندي أحسن . ومحسن هذا الالتفات هو أنه تعالى لما ناداهم كان ذلك تشريفاً لهم ، وهز السماع ما يلقيه إليهم ، ثم ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل ، ثم ذكر أنّ الذي نزل هو مصدق لما معهم من كتاب ، فكان ذلك أدعى إلى الإيمان ، ثم ذكر هذا الوعيد البالغ فحذف المضاف إليه من قوله : من قبل أن نطمس وجوهاً والمعنى : وجوهكم ، ثم عطف عليه قوله : أو نلعنهم ، فأتى بضمير الغيبة ، لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللعنة ليس لهم ليبقى التأنيس والهمّ والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب ويصير أدعى إلى عدم القبول ، وهذا من جليل المخاطبة . وبديع المحاورة »«[2633]».

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾«[2634]»

قال ــ رحمه الله ــ :«... هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويراد به أمته ... وقيل : إن هذا من الانتقال من المخاطبة ، كما قال :«حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ » ثم قال : «وَجَرَيۡنَ بِهِم » ، وقيل : إنّه كله مخاطبة للنبي ، لكن خوطب بلفظ الجمع على التعظيم والإجلال ، كما يقال للرجل الجليل : أنتم فعلتم»«[2635]».

فالإمام مكي يرى أنّ المخاطب في هذه الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم ويندرج معه في الخطاب المؤمنون ، فهو من الخاص الذي يراد به العموم ، ثمّ يروي رأيا آخر مفاده أنّ هذا من قبيل الالتفات ، إذ فيه خروج من أسلوب الخطاب عند لفظة « يأيها النبي »إلى أسلوب الغيبة في لفظة: « إذا طلقتم» شبيها بالخروج الذي في سورة يونس عند قوله تعالى : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِوَجَرَيۡنَ بِهِم »«[2636]» ، ثمّ يروي رأيا آخر يقرر فيه أنّ المخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ونودي فيه بلفظ الجمع تعظيما وتفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم ، والأرجح من هذه الأقوال والله أعلم هو الرأي الأول القاضي بأنّ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو وأمّته ، فهم مندرجون معه في هذا الأمر الخاص بالطلاق ، وغيرها من الأحكام الواردة على مثل

[2633] ــ البحر المحيط : 3 ، ص 276

[2634] ــ سورة الطّلاق : الآية 1

[2635] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية ، ج 12 ، ص 7519 ـ 7520

[2636] ــ سورة يونس : الآية 22

هذا الخطاب وهذا هو الذي قال به أئمة التفسير من أمثال الإمام الفخر الرّازي الذي يقول في تفسيره :« وفي قوله تعالىالْحَكِيمُ:«يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ »«[2637]»وجهان أحدهما : أنه نادى النبي صلى الله عليه وسلّم ثمّ خاطب أمته لما أنه سيدهم وقدوتهم ، فإذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب. قال أبو إسحاق : هذا خطاب النبي عليه السلام ، والمؤمنون داخلون معه في الخطاب وثانيهما : أن المعنى يا أيها النبي قل لهم : إذا طلقتم النساء فأضمر القول ، وقال الفراء : خاطبه وجعل الحكم للجميع ، كما تقول للرجل : ويحك أما تتقون الله أما تستحيون ، تذهب إليه وإلى أهل بيته»«[2638]» ، وقال الإمام البيضاوي :«خصّ النداء وعمّ الخطاب بالحكم لأنّه أمام أمته فنداؤه كندائهم أو لأنّ الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه»«[2639]».

وأمّا القول الثالث فإنّه ضعيف لأنّه يقتضي تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم دون أمّته وهذا ما قال به ابن جزي ، حيث ردّ هذا الرأي قائلا :« وقيل : إنه خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطلقتم تعظيماً له ، كما تقول للرجل المعظم : أنتم فعلتم ، وهذا أيضاً ضعيف ، لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة السلام بالحكم دون أمته »«[2640]» وأمّا قول الإمام مكي بوقوع التفات في هذه الآية ، فقد وافقه فيه الإمام القرطبي ، ويبدو والله أعلم أنّه قد نقله عنه ، حيث قال في بيان معنى هذه الآية ما نصّه «[2641]»: «وقد قيل : إنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ، وغاير بين اللفظين من حاضر وغائب وذلك لغة فصيحة ، كما قال : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِوَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ »«[2642]» .

وفي خلاصة الحديث عن هذه النماذج التي أوردها من تفسير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ تبيّن لي أنّه اهتم بأسلوب في الالتفات في تفسيره . وذلك بتنبيهه عليه في كثير من المواضع ، وقد كان منهجه

[2637] ـ سورة الطلاق: الآية 1

[2638] ـ مفاتح الغيب : ج 30 ، ص 563

[2639] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 1 ، ص 348

[2640] ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 2 ، ص 425

[2641] ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج 18 ، ص 148.

[2642] ـ سورة يونس : الآية 22

في الحديث عنه بالإشارة إليه في الغالب دون التصريح باسمه وإنّما يعبّر عنه بالخروج وهو يريد بذلك العدول والانتقال من أسلوب إلى أسلوب . ويكتفي بشرحه وبيان الانتقال دون ذكره للغرض والفائدة التي أفادها هذا الانتقال . وتارة يكون تنبيه عليه بتجويز وقوعه في الآية حيث يذكر آراء في تفسير الآية يجوز فيها احتمال الالتفات على قول من الأقوال التي يوردها دون بيان للفائدة أو الغرض من هذا العدول ، فهذه هي ملامح وسمات منهجه في تناول أسلوب الالتفات .

المطلب الرابع : الالتفات في تفسير الإمام ابن عطية

لم يحتف الإمام ابن عطية في تفسيره بالالتفات كثيرا ، حيث قلّت إشارته إليه ، فلم يتردد ذكره عنده ، إلاّ في أربعة مواضع فحسب ، وقد تنوعت طريقة إشارته إليه في هذه المواضع الأربعة على النحو الآتي :

ـــ نقل الالتفات عن غيره دون بيان الغرض منه :

في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾«[2643]» .

قال ــ رحمه الله ــ « ...وذكر أيضا من فصيح كلام العرب الخروج من الغيبة إلى الخطاب وبالعكس ، كقول أبي بكير الهذلي :

يا ويح نفسي كان جلدة خالد   وبياض وجهك للتراب الأعفر ، وكما قال لبيد :

قامت تشكي إليّ النفس مجهشة   وقد حملتك سبعا بعد سبعينا«[2644]» ، وكقول الله تعالى :

«حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ »«[2645]» .

فالإمام ابن عطية ينقل الالتفات عن الإمام الطبري ، إذ الضمير في «و ذكر أيضا» راجع إليه ، فهو من أورد هذا تفسيره ، والإمام ابن عطية اكتفى بنقله عنه فحسب ، مبيّنا نوع هذا الالتفات

[2643] ـ سورة الفاتحة :الآية 4

[2644] ـ ينظر : معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ط 1 . تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ـ دار الفكر ـ 1399 هـ ـ 1979 م ، ج 1 ، ص 489

[2645] ـ سورة يونس : الآية 22

والخروج ، وهو عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في قوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾«[2646]» إلى أسلوب الخطاب في قوله : «إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ »«[2647]» لكنّ الإمام ابن عطية لم يبيّن غرض هذا الالتفات ، واكتفى بما أورده الإمام الطبري ، وهو أنّ الالتفات من فصيح الكلام وبلاغة العرب ممثّلا له ببعض أشعار العرب ، والمقصود من هذا الالتفات والله أعلم هو تعظيم شأن المخاطب ، والتنبيه على أهمّيّة العبادة وضرورة القيام بها لله تعالى ، وقد أشار إلى وقوع الالتفات في هذه الآية كثير من الأئمة منهم الإمام الزمخشري «[2648]»، والإمام أبو حيّان«[2649]» ، والإمام أبو السعود«[2650]» ، والإمام الطاهر بن عاشور«[2651]» ، وللإمام ابن الأثير كلام جميل في بيان فائدة الالتفات ، حيث قال :

« ... وبما يختصّ به هذا الكلام من الفوائد قوله : «إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ » بعد قوله : «ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ »، فإنّه إنّما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب ، لأنّ الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده ، فلمّا كانت الحالة كذلك ، استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال :«ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ » ، ولم يقل الحمد لك ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطّاعات قال :«إِيَّاكَ نَعۡبُدُ» ، فخاطب بالعبادة إصراحا بها وتقربا منه عزّ اسمه بالانتهاء

[2646] ـ سورة الفاتحة : الآيات 1 ـ 3

[2647] ـ سورة الفاتحة : الآية 4

[2648] ـ الكشاف : ج 1، ص 56

[2649] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 141

[2650] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1، ص 16

[2651] ـ التحرير والتنوير : ج 1، ص 178

إلى محدود منها »«[2652]»، وقال في موضع آخر :« وهذه السورة ، قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب »«[2653]».

ــ النصّ عليه دون بيان الغرض منه

عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾«[2654]» قال ــ رحمه الله ــ « ... وقوله:« بهم »خروج من الحضور إلى الغيبة ، وحسن ذلك لأنّ قوله : «كنتم في الفلك» هو بالمعنى المعقول حتّى إذا حصل بعضهم في السفن والريح إذا أفردت فعرفها أن ستعمل في العذاب والمكروه لكنّها لا يحسن في البحر أن تكون إلاّ واحدة متصلة ، لا نشرا فقيدت المفردة بالطيب فخرجت عن ذلك العرف ، وبرع المعنى »«[2655]».

فالإمام ابن عطية ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب عند قوله : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ»، إلى أسلوب الغيبة في قوله : «وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ» ، لكنّه لم يبين فائدة هذا الانتقال ولم يعرج عليه ، بل اكتفى فحسب بتوجيه لمجيئ لفظة الريح مفردة واستعمالها في الخير عندما وصفت بكونها طيبة ، وفي ذلك خروج عن المألوف والمعروف في استعمال هذه اللفظة بأنّها إذا جاءت مفردة فهي للعذاب ، والسرّ في هذا العدول والله أعلم هو أنّ الله جلّ وعلا قصد به الإعراض عنهم وتصوير حالهم لغيرهم حتّى يبالغوا في الإنكار عليهم وتقبيحهم فيما هم عليه ، وقد أشار إلى هذا الالتفات وهذا التوجيه كثير من أئمة التفسير منهم الإمام أبو السعود ، حيث قال :« وجرين بهم أي السفن« بهم » باللذين

[2652] ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج 2 ، ص 5

[2653] ــ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 5

[2654] ــ سورة يونس : الآية 22

[2655] ــ المحرر الوجيز : ج 3 ، ص 128

فيهما ، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنّه يذكر لغيرهم مساوي أحوالهم ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح »«[2656]».

ـــ الإشارة إليه دون بيان الغرض منه :

أشار الإمام ابن عطية في تفسيره للالتفات الحاصل عن الاختلاف في القراءات القرآنية بين القرّاء ، حيث كان في بعضها عدول وانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، كما أشار إليه في سياق تفسيره للنّص القرآني ، إلاّ أنّه لم يشر إلى فائدة ذلك الالتفات ، ومن صور ذلك :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾«[2657]» قال الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــــ « وقرأ ابن عامر وحده أشدّ منكم بالكاف ، وكذلك هي في مصاحف الشام ، وذلك على الخروج من غيبة إلى الخطاب »«[2658]» ، فالإمام ابن عطيّة ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية بناء على قراءة ابن عامر بالكاف بدلا من الهاء ، وفي ذلك عدول من أسلوب الغيبة عند قوله تعالى :« أولم يسيروا في الأرض ...» إلى أسلوب الخطاب في قوله : « كانوا هم أشدّ منكم قوّة » ، لكنّه لم ينصّ على فائدته ، وقد أشار إلى هذا الالتفات كثير من أئمة التفسير منهم الإمام أبو حيّان«[2659]» ، وابن عادل«[2660]»، والشيخ الطاهر ابن عاشور ، حيث قال هذا الأخير : «وقرأ الجمهور « منهم » بضمير الغائب ، وقرأه ابن عامر « منكم» بضمير خطاب الجماعة وكذلك رسمت في مصحف الشام ، وهذه الرواية جارية على طريقة الالتفات »«[2661]».

[2656] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 134 .
[2657] ــ سورة غافر : الآية 21
[2658] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 4 ، ص 620
[2659] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 439
[2660] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 17 ، ص 35
[2661] ــ التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 120

ومن صور إشارته للالتفات في سياق تفسيره للنصّ القرآني :

ــ في تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾«[2662]».

قال ــ رحمه الله ــ :«وقوله تعالى :« أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ » رجوع من الخطاب إلى ذكر الغيب كأنه قال ومن فعل هذا وقبله وشكر عليه فأولئك هم الراشدون»«[2663]» ، فالإمام ابن عطيّة ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله: «وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» إلى أسلوب الغيبة في قوله : «أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ » ، غير أنّه لم ينصّ على فائدته ، وقد أشار إلى هذا الالتفات ونبّه عليه كثير من أئمة التفسير منهم الإمام القرطبي«[2664]» ، والإمام ابن عادل«[2665]» ، والإمام أبو السعود«[2666]» .

فمن خلال هذه النماذج يظهر أنّ الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ لم يهتم كثيرا بأسلوب الالتفات في تفسيره . لذلك لم يتردد ذكره كثيرا ، وتنبيهه عليه في هذه النماذج كان تارة بنقله عن غيره من المفسرين مع بيان الغرض منه . وتارة بالنص عليه مع شرحه وتحليله وبيان كيفية الانتقال من أسلوب إلى أسلوب دون بيان الفائدة منه .وتارة يشير إليه دون تسميته وذلك بشرحه وتحليله لكن دون ذكر غرضه وفائدته ، فهذه هي أهم سمات وملامح طريقته المستنبطة من هذه الأمثلة .

[2662] ــ سورة الحجرات : الآية 7

[2663]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج1 ، ص 145.

[2664]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 16 ، ص 314

[2665]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 17 ،ص 534

[2666]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8 ، ص 120

المطلب الخامس : الالتفات في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي

لقد تردّدت الاشارة للالتفات عند الإمام ابن الزبير ، وذلك في معرض توجيهه للآيات المتشابهة في كتابه ملاك التّأويل القاطع لذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل ، وقد تنوعت هذه الاشارات ويمكن إيجازها في النقاط التالية :

ــ النّص عليه مع بيان الغرض منه

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾«[2667]» مع المتشابه من قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾«[2668]».

أورد تساؤلا حول السّر في ختم سورة البقرة بقوله تعالى : «فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ» ، وفي الأنعام :«فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ» ، فقال «[2669]»: «يتعلق بهذه الآي الأربع خمس سؤلات ... الثالث : تخصيص آية الأنعام بقوله : فإنّ ربّك غفور رحيم ، ثمّ أجاب عن هذا السؤال قائلا : « والجواب عن السؤال الثالث : إنّ الله لما قدّم في آية الأنعام زجر من قدّم ذكره وتعنيفهم بقوله : ﴿ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾«[2670]» أتبعه بقوله :«قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ

[2667]ــ سورة البقرة : الآيتان : 72 ــ 73

[2668] ــ سورة الأنعام : الآية 145

[2669]ــ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 248.

[2670]ــ سورة الأنعام : الآية 144

إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» ثمّ قال : «فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »«[2671]»، وهذا التفات لأنّ الجاري على لا أجد فيما أوحي إليّ أن لو قيل فإنّ ربيّ غفور ، أو فإنّ الله ، فعدل إلى الخطاب التفاتا ، فقيل : فإنّ ربّك لأنّ الكلام إذا تنوّع حرّك الخواطر إلى تفهمه ، فقال تعالى : فإنّ ربّك ، وعلى قصد الالتفات لم يعدل فيه عن تخصيص الخطاب لأنّه موضع تعنيف وزجر لمن تقدّم ، فورد الالتفات باسم الربوبية مع الاضافة إلى ضمير خطابه صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل : فإنّ الله ، وكان يكون فيه الإلتفات لما قصد فيه من نحو الوارد في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾«[2672]» ، وما ورد من مثله ليكون معرّفا بمكانته عليه السّلام وتحكيما للإعراض عنهم وعدم التفاتهم وتناسب آخر الكلام مع أوّله »«[2673]» .

فالإمام ابن الزبير ينصّ على وقوع الالتفات في آية الأنعام . وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في قوله :«قُل لَّآ أَجِدُ » إلى أسلوب الخطاب في قوله : « فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »، وقد بيّن الغرض العام من الالتفات ، وهو أنّه في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب تحريك للخواطر ، وتنشيط للسامع في فهم ما ألقي عليه ، وهذا غرض ومقصد عام من مقاصد الالتفات عند البلاغيين كما هو معروف ، لكنّه لم يكتف بهذا الغرض العام فحسب ، بل أضاف غرضا حواه هذا الالتفات ، وهو التشريف والتعريف بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في ورود الإلتفات باسم الربوبية ، وإضافته إلى ضمير خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فورد تعريف المسند إليه هنا بالإضافة ، وهذه الإضافة بلفظ الربوبية تقتضي التشريف والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم لما يحمله لفظ الربوبية من معاني النصر والولاية، وعليه يكون المعنى أنّ الله تعالى ربّ للنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المؤمنين بمقتضى اللطف والنصر والولاية والإعانة ، وأنّه ليس ربّ للمشركين بهذه المعاني ، فأعرض عنهم ، ثمّ جعله الشيخ من قبيل قوله تعالى : «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ »«[2674]».

[2671]ـ سورة الأنعام : 145

[2672]ـ سورة محمد : الآية 11

[2673] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص251 ـ 252 .

ولم أجد من المفسّرين من أشار إلى هذا الالتفات ولا من نصّ عليه ، أو بيّن السّر في ختم هذه الآية بهذا القول إلاّ إشارة لطيفة من الإمام أبي حيان والشيخ الطّاهر بن عاشور ، حيث قال الأول : «ولما كان صدر الآية مفتتحاً بخطابه تعالى بقوله :«**قُل لَّآ أَجِدُ**»«[2675]» اختتم الآية بالخطاب فقال: «**فَإِنَّ رَبَّكَ**»ودلّ على اعتنائه به تعال بتشريف خطابه افتتاحاً واختتاماً»«[2676]»، وقال الإمام ابن عاشور :« وإنّما جاء المسند إليه معرّفا في جملة الجزاء ، وهو ربّك معرّفا بالإضافة دون العلمية لما يؤذن به لفظ الرب من الرأفة واللطف بالمربوب والولاية ، تنبيها على أنّ الله جعل هذه الرخصة للمسلمين الذين عبدوه ، ولم يشركوا به ، وأنّه أعرض عن المشركين الذين أشركوا معه غيره ، لأنّ الإضافة تشعر بالاختصاص»«[2677]» .

ــ النّص عليه دون بيان الغرض منه :

في معرض توجيهه للمتشابه في قوله تعالى من سورة آل عمران :﴿ **كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾«[2678]»، مع المتشابه من قوله تعالى في سورة الأنفال :﴿ **كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾«[2679]» مع المتشابه في الموضع الثاني من نفس السورة في قوله تعالى :﴿ **كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ** ﴾«[2680]».

أورد ــ رحمه الله ــ تساؤلا حول السّر والحكمة في تخصيص الإضافة للكذب في سورة آل عمران بقوله :« آياتنا» ، وفي الموضع الأول من الأنفال بقوله :« بآيات الله» ، وفي الموضع الثاني من الأنفال بقوله : «بآيات ربّهم »، حيث قال :« للسّائل أن يسأل عن هذه الآية في ستة مواضع

2675 ــ سورة الأنعام : الآية 145

2676 ــ تفسير البحر المحيط ، ج 4 ، ص 244

2677 ــ التحرير والتنوير : ج 8، ص 140 ــ 141

2678 ــ الآية 11

2679 ــ الآية 52

2680 ــ الآية 54

... والثاني : ما وجه اختلاف الإضافة في كذبهم وتكذيبهم ، ففي آل عمران «بآياتنا » ، وفي الأول من الأنفال :« بآيات الله » ، وفي الثانية :«بآيات ربّهم »«[2681]» ، ثمّ أجاب عن هذا التساؤل قائلا : « والجواب عن السؤال الثاني : أنّ الآية الأولى من سورة الأنفال إنّما جيء فيها بالاسم الظاهر ، فقيل : كفروا بآيات الله ، لتقدّم ذكر الملائكة في قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾«[2682]» ، بنسبة الفعل للملائكة ، وتقدّم أيضا :﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾«[2683]» ، ولم يتقدّم في آل عمران ذكر فعل لغير الله سبحانه ولا نسبة شيء لسواه ، فقال : كذّبوا بآياته على طريقة الالتفات ...»«[2684]».

فالإمام ابن الزبير في معرض توجيهه للمتشابه في هذه الآيات يشير إلى وقوع الإلتفات في قوله تعالى : «كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا» وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الإضمار في قوله : « كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا » إلى أسلوب الاظهار في قوله : «فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» ، ثمّ علل مجيئ آية الأنفال في الموضع الأول :«كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ» فيها بالاسم الظاهر لتقدّم ذكر الملائكة ، فناسب ذلك أمّا آية آل عمران فلم ينسب فيها سابق لغير الله ، لذلك ناسب مجيئه هنا بإضافة الآيات إلى ضميره تعالى فقال : «كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا» ، لكنّ الإمام ابن الزبير لم يذكر حكمة هذا العدول ، وقد أشار قبله الإمام الإسكافي لذلك ، والإمام ابن الزبير ناقل عنه ذلك التوجيه للمتشابه دون ذكره لفائدة هذا العدول ، وممّا قاله الخطيب الإسكافي في ذلك ما نصّه : « أمّا المسألة الأولى : قوله : كذّبوا بآياتنا وقع الإخبار عن النّفس كما يجب في مثله إذ أخبر المتكلم عن نفسه بفعل فعله ، فأتى بلفظ المضمر دون المظهر ، ثمّ خالف ذلك إلى غيره ، فقال:« فأخذهم الله » ، والجواب عن هذا أن يقال : العدول عن المنهج الأول المستمر في الإخبار عن النفس إلى لفظ ظاهر هو لفائدة تضمنّتها هذه اللفظة من الاحتجاج ، وليست هذه الفائدة في لفظة الإضمار »«[2685]» ،

[2681] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 290

[2682] ـ سورة الأنفال : الآية 50

[2683] ـ سورة الأنفال : الآية 48

[2684] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 291 ـ 292

[2685] ـ درّة التنزيل وغرّة التأويل : ص 60 .

والمقصود من كلام الخطيب الاسكافي أنّ السّر في هذا العدول هو بيان العلة التي استحقوا من أجلها الأخذ وهو التكذيب مع بيان قوة الله جلّ وعلا لذلك أسند الأخذ إليه بلفظ الجلالة الظاهر، ولم يسنده بضمير إليه تعالى.

ـ النّص عليه مع بيان الغرض منه :

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة النحل :﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾«[2686]» مع قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾«[2687]» .

أورد ابن الزبير تساؤلا حول السّر في ثبوت الضمير المنفصل الواقع مبتدأ ، وهو «هم » في آية النحل ، وعدم ثبوته في سورة العنكبوت ، فقال : « للسّائل أن يسأل عن ثبوت الضمير المنفصل المبتدأ في قوله : «هُمۡ يَكۡفُرُونَ » في آية النحل ، وسقوطه من آية العنكبوت ، مع أنّ المعنى متحدّ والعبارة متكررة أعني قوله : «أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ »، فما وجه ذلك ؟»«[2688]» ثمّ أجاب عن ذلك بأنّ الخطاب في آية النحل راجع إلى من تقدّم ذكرهم في قوله :﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ﴾«[2689]»،وفي قوله: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾«[2690]»، وقوله: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ ﴾«[2691]» ، وليس راجعا إلى قوله : « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا» ، فلهذا أتى بضمير الغائب باعتبار أنّ الكلام راجع إلى من تقدّم

[2686] ـ الآية 72

[2687]ـ الآية 67.

[2688]ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 303

[2689]ـ سورة النحل : الآية 56

[2690]ـ سورة النحل : الآية 57

[2691]ـ سورة النحل : الآية 62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتباعد ذكرهم ، فناسب ذلك»«[2692]» ، ثمّ أورد اعتراضا يمكن أن يعترض به على هذا الكلام ، ومفاده أنّه لو جاءت الآية على الخطاب فقيل :« أفبالباطل تؤمنون وبنعمة الله تكفرون » لكان الخطاب راجعا إلى قوله تعالى: « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا»«[2693]» ، وليس راجعا إلى من تباعد ذكرهم في الآيات السابقة فلا داعي حينئذ للإتيان بضمير الغائبين ، فأجاب بأنّ هذا إلتفات ، فقد رجع المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله : « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا » إلى أسلوب الغيبة في قوله :«أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ » ، ونصّ كلامه كالآتي : «...قلت هذا لو لم يكن الالتفات من فصيح كلام العرب ، وهو الرجوع عن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى الخطاب كقوله :

تطاول ليك بالإثمد ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني وخبّرته عن أبي الأسود «[2694]»

فتأمل كيف التفت في قوله : « وبات وباتت له ليلة » بعد الخطاب بقوله : « تطاول ليلك ولم ترقد »، فرجع الخطاب إلى الغيبة ، ثمّ قال: «و ذلك من نبأ جاءني» ، فرجع إلى المتكلم ، وإنّما خاطب بكلّ ذلك نفسه ، وفي الكتاب العزيز : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾«[2695]» ، فقوله :«وَجَرَيۡنَ بِهِم» رجوع من الخطاب إلى الغيبة ، وفي الكتاب من ذلك كثير ، فإذا تقرّر أنّ الالتفات من فصيح كلامهم ، فما يمنع من احتمال أن يفهم قوله : «أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ» على أنّه راجع إلى المخاطبين بقوله : «وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً» على طريقة الالتفات رجوعا من الخطاب إلى الغيبة ، فجاء قوله : «وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ » بضمير الغائبين رافعا لهذا الإبهام ، وما للمعنى المقصود

1886ـ ينظر : ملاك التأويل : ج 2 ، ص 303 ـ 304

[2693]ـ سورة النحل : الآية 72

[2694]ـ الأبيات لامرؤ القيس : ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، الحموي ، ج 1 ، ص 135

[2695]ـ سورة يونس : الآية 22

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالكلام من رجوعه إلى من تقدّم ذكره ، فهذا موجب ورود هذا الضمير المبتدأ هنا »«[2696]».

فابن الزبير يعترض على من يمنع وقوع الالتفات على هذا التوجيه ، ويقرّر أنّ الفائدة في الإتيان بضمير الغائب «هم» هو رفع إبهام من يرجع إليه الكلام المقصود ، وهم من تباعد ذكرهم ، وهذه هي الفائدة في هذا الإلتفات ، وقد أشار إلى هذا الإلتفات قبله الإمام الإسكافي ، حيث قال : « ... للسّائل أن يسأل فيقول : ما بال الآية من سورة النحل زيد فيها هم ، وخلت منها الآية من سورة العنكبوت ؟ الجواب أن يقال : إنّ الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم ، وهو قوله : « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ »«[2697]» ، ثمّ انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص ، فقال : «أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ » ، فأكّد الكلام بقوله : «هم» لئلا يتوهم أنّ هذا الاخبار خطاب ، وهو بالتاء دون الياء إذ لا وزن في الخلط بينهما ، ولم يكن الأمر كذلك في سورة العنكبوت ...»«[2698]»

فهذا النقل عن الخطيب الاسكافي يفيد أنّ الإمام ابن الزبير ، قد نقل عنه هذا القول ، ولم ينفرد به هو ، لكنّه لم يصرح بذكر الخطيب الإسكافي.

ـــ نقل الالتفات عن غيره مع بيان الغرض منه

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة الأنبياء :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾«[2699]» مع المتشابه من قوله تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾«[2700]».

[2696]ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 751 ـ752.

[2697]ـ سورة النحل : الآية 72

[2698] ـ درّة التنزيل وغرّة التأويل ، ص 270

[2699]ـ الأنبياء : الآيتان 92 ـ 93

[2700]ـ المؤمنون : الآيتان 52ـ 53

أورد أسئلة حول الاختلاف في الموضعين ، فقال :« للسّائل أن يسأل عن قوله في الأولى :« فَٱعۡبُدُونِ » ، وفي الثانية :«فَٱتَّقُونِ » ؟ ، وفي الأولى : « وَتَقَطَّعُوٓاْ »، وفي الثانية: « فَتَقَطَّعُوٓاْ »؟ ، وفيها أيضا : «زُبُرًا » ، ولم يرد في الأولى بقوله : «كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ »، والثانية بقوله : « كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ»«[2701]» ، فهذه أربع مواضع يسأل عنها ؟ »«[2702]» ، ثمّ أجاب عن تلك التساؤلات ممهدا لها بتمهيد قال فيه :« الأمة هنا الملة ، وقوله : إنّ هذه إشارة إلى ملة الإسلام ، قال الزّمخشري : أي ملّة الإسلام هي ملّتكم التي يجب أن تكونوا عليها ، لا تنحرفون عنها ملّة واحدة وغير مختلفة ، وأنا إلهكم واحد فاعبدون ، والخطاب للناس كافة ، قال والأصل وتقطّعتم إلاّ أنّ الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات ، كأنّه ينفي عنهم ما أفسدوه ويقبّح عندهم فعله ، ويقول لهم : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ...»«[2703]» .

فالإمام ابن الزبير ينقل عن الامام الزّمخشري قوله بالإلتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله : « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ »«[2704]» إلى أسلوب الغيبة في قوله : «وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ»«[2705]» ، إذ كان الأصل في الكلام أن يكون وتقطّعتم ، لكنّه صرف للغيبة مبالغة في التشنيع عليهم والتقبيح من صنيع فعلهم ، حتّى يكونوا على حذر من الوقوع في مثل ما وقع فيه هؤلاء ، وقد أشار إلى هذا الالتفات إضافة للإمام الزّمخشري كلّ من الإمام البيضاوي«[2706]» والإمام النسفي«[2707]»، والإمام أبو السّعود«[2708]».

[2701] ـ سورة المؤمنون : الآية 53
[2702] ـ ملاك التأويل : ، ج 2 ،ص 353
[2703] ـ المصدر نفسه : ج 2، ص 354
[2704] ـ سورة الأنبياء : الآية 92
[2705] ـ سورة الأنبياء : الآية 93
[2706] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4 ، ص 60
[2707] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3 ، ص 78
[2708] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6 ، ص 84

ـــ الإشارة إليه دون تسميته مع بيان الغرض منه

في معرض توجيهه للمتشابه من سورة القيامة عند قوله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾«[2709]».

أورد تساؤلا حول السّر الذي تضمنته إعادة اللفظ وتكريره مرتين ، فقال : « يسأل عن إعادة اللفظ وفائدة ذلك ، ويستجرّ من ذلك استدعاء اشتقاق اللفظ ومعناه »«[2710]» ، ثمّ أجاب عن هذا التساؤل قائلا :« والجواب والله أعلم أنّه لما تقدّم وصف المجرم المكذّب بقوله : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾«[2711]» أي يختال في مشيته ويتبختر عضدا لتكذيبه وإغناء بكفره ، وكان مظنّة للتعريف بسوء عاقبته واستحقاقه العذاب فقيل :«أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ» ، فعدل بالكلام عن إخبار الغيبة إلى الخطاب تحكيما لاستحقاقه نيل الجزاء على فعله ...»«[2712]».

فالإمام ابن الزبير ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية دون تسميته بالالتفات ، بل عبّر عنه بالعدول ، وذلك في انتقال المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في الآيات السّابقة عند قوله :«فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ»«[2713]»إلى أسلوب الخطاب في قوله : «أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ »«[2714]» ،ثمّ قام ببيان الغرض من هذا الالتفات وهو التأكيد على استحقاقه هذا الجزاء ، جرّاء فعله ، والقول بالالتفات في هذه الآية لم أجد من المفسّرين من نبّه عليه أو أشار إليه ، فيكون الإمام ابن الزبير قد انفرد به .

وكخلاصة لما تقدّم إيراده وبسطه من نماذج من كتاب الإمام ابن الزبير اتضح أنّه اعتنى ــ رحمه الله ـ بأسلوب الالتفات على الرغم من كون كتابه موضوع لتوجيه المتشابه القرآني إلاّ أنّه حرص على التنبيه عليه في كثير من المواضع . وتطرقه إليه كان متنوعا فتارة يكون بالنص عليه مع شرحه وتحليله

2709 ــ سورة القيامة : الآيتان 34 ـ 35 .

2710ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 495

2711ــ سورة القيامة : الآيات 31 ـ 33

2712 ــ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 495

2713ــ سورة القيامة : الآيتان 31 ـ 32

2714ــ سورة القيامة : الآيتان 34 ـ 35

وبيان كيفية الانتقال من أسلوب إلى أسلوب مع ذكر الفائدة من هذا الانتقال ، وتارة يكون بالنص عليه دون بيان الغرض منه مع شرحه وتحليله ، وتارة ينقله عن غيره كالإمام الزمخشري مع بيان الفائدة منه ، وتارة يشير إليه دون تسميته مع شرحه وبيان الفائدة منه. وتنبيهاته كانت فيها موافقة لكثير من آراء المفسرين من قبله ومن بعده ممّا يؤكد صحة الالتفات في الآيات التي ذكرها وممّا يؤكد اهتمامه بهذا الفنّ من فنون البلاغة .

المطلب السادس : الالتفات في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (لابن جزي)

أوّل ما ينبغي ذكره عن الالتفات في تفسير الامام ابن جزي أنّه قد نصّ عليه في المقدمة التي عقدها لكتابه و أورده في الباب العاشر من أبواب مقدمته والّذي جعل تحت عنوان : «الباب العاشر في الفصاحة و البلاغة وأدوات البيان» . وكلامه عليه كان بذكر أقسامه دون التّعريف به حيث قال:« الثالث: الالتفات وهو على ستة أقسام خروج من التكلم الى الخطاب أو الغيبة و خروج من الخطاب الى التكلم أو الغيبة وخروج من الغيبة الى التكلم أو الخطاب »«[2715]»

هذا فيما يتعلّق بذكره في المقدمة أمّا حديثه عنه في تفسيره فقد نبّة على وقوعه في كثير من آيات القرآن الكريم وقد أحصيت عدد المواضع التي أشار فيها إليه فكانت عشرة وقد تنوعت طريقة نصّه عليه ويكن بيان ذلك تحت النقاط الآتية:

ــ النّص عليه مع بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾«[2716]» قال ــ رحمه الله ــ :«ذكر الله تعالى في أول هده السورة على طريقة الغيبة ثمّ على الخطاب في إيّاك وما بعده وذلك يسمى الالتفات وفيه إشارة الى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناداه »«[2717]».

[2715] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص22

[2716] ــ سورة الفاتحة : الآية 5

[2717] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 22

فابن جزي ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية لأنّ ابتداء الخطاب في سورة الحمد كان على طريقة الغيبة ، ثمّ عدل عنه في قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾«[2718]»إلى الخطاب ثم زاد على النّص عليه بيان الغرض منه وذلك عند قوله :«وفيه إشارة الى أنّ العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناداه»«[2719]» ومقصود عبارته هذه هو التنبيه على عظيم الشأن المخاطب فالعبد إذا ذكر الله قريبا منه و كان من أهل حضرته والذكر مصدره العبادة والاستعانة بالله والله تعالى قريب من عبده الدّائم على ذكره وهذا هو السر في العدول عن الغيبة إلى الخطاب ليشعر خلقه بأنّه قريب منهم إذا ما خصّوه بالعبادة و الاستعانة وحده.

هذا وقد سبقت الإشارة للالتفات في هذه الآية عند الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ .

ـفي تفسير قوله تعالى:﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾«[2720]»

قال ـ رحمه الله ـ : «سمعتموه: بلفظ الخطاب ثمّ عدلّ إلى لفظ الغيبة في «ظنّ المؤمنون» ولم يقل ظننتم؟ فالجواب : أنّ ذلك التفات قصد به المبالغة و التّصريح بالإيمان الذّي يوجب أن لا يصدّق المؤمن على المؤمن شرّا»«[2721]».

فالإمام ابن جزي ينص على وقوع الالتفاتفي هذه الآية حيث يرى أنّ الله جلّ وعلا عدل في كلامه من الخطاب في قوله: «سَمِعْتُمُوهُ» إلى الغيبة في قوله:«ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ » وذلك قصدا للمبالغة و المبالغة التي يعنيها الامام ابن جزيّ هي المبالغة في وصفهم بالإيمان عند قوله:«ظنّ

[2718] ـ سورة الفاتحة : الآية 5

[2719]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 22

[2720]ـ سورة النور : الآية 12

[2721]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 72

المؤمنون» ، لينبههم على أنّ الإيمان المتّصفين والمتحلين به يمنعهم من الخوض في الأعراض ، وتصديق الشائعات والأخبار الكاذبة ضدّ إخوانهم المؤمنين ، وممّن نصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية من المفسّرين الإمام الزّمخشري ، حيث قال :« فإن قلت : هلاّ قيل : لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا ؟ ، وقلتم ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن الضمير إلى الظاهر ؟ قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات ، وليصرّح بلفظ الإيمان ، دلالة على أنّ الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدّق مؤمن على أخيه ، ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن»«[2722]» .

ـــ الاشارة إليه دون تسميته مع بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾«[2723]»

قال ـ رحمه الله ـ « أي هبة المرأة نفسها مزّية خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخصّ المخاطب وحده»«[2724]»

فالإمام بن جزي ـ رحمه الله ـ ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في عدول المولى جلّ و على من الغيبة في قوله : «وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ» إلى الخطاب في قوله تعالى «خَالِصَةٗ لَّكَ »، ثمّ بيّن الغرض منه و هو الاختصاص ، أي تخصيص النبي صلى الله عليه و سلّم بذلك التحليل دون غيره من النّاس وممّن أشار الى وقوع الالتفات في هذه الآية الإمام الزّمخشري حيث قال في تفسيره : «فإن قلت : لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى

[2722] ـ الكشاف : ج 3 ، ص 222

[2723] ـ سورة الأحزاب : الآية 50

[2724] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 175

:«نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ »«[2725]» ورجع الى الخطاب؟ قلت : للإيذان بأنّه ممّا خصّ به وأوقر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أنّ الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة»«[2726]».

عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾«[2727]»

قال:«هذا خطاب للمنافقين المذكورين خروج من الغيبة إلى الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ والمضي هل يتوقع منكم إلّا فساد في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم»«[2728]».

فالإمام ابن جزي ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في خروج المولى جلّ و على من الغيبة عند قوله:﴿ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾«[2729]»إلى الخطاب في قوله:« فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ » ، ثمّ بيّن الغرض منه وهو قصد المبالغة في التوبيخ و قد أشار الإمام الزّمخشريّ إلى هذا الالتفات في تفسيره فقال «....وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد»«[2730]»

[2725]_ سورة الأحزاب : الآية 50

[2726]_ الكشاف : ج 3 ، ص 558

[2727]_ سورة محمد : الآية 22

[2728]_ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 316

[2729]_ سورة محمد : الآية 21

[2730]_ الكشاف : ج 4 ، ص 327

_النّص عليه دون بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾«[2731]»

قال ـ رحمه الله ـ«الضمير المؤنث في جرين للفلك والضمير في بهم للناس وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة وهو يسمى الالتفات »«[2732]»

فالإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في عدول المولى جلّ وعلى من الخطاب عند قوله :« حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ » إلى الغيبة في قوله:«وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ »بيد أنّه لم ينص على الغرض المراد منه والفائدة المرجوّة من هذا العدول والذي يقصد منه كما ذكر بعض المفسرين هو قصد المبالغة في الانكار عليهم والتعجيب من حالهم وممن نصّ على هذا الالتفات الامام البيضاوي حيث قال :«حتى إذا كنتم في الفلك «في السفن»وجرين «بهم» بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنّه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم»«[2733]» .كما أشار إليه أبو السعود فقال:««وجرين» أي السفن «بهم» باللّذين فيها والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنّه يذكر لغيرهم مساوي أحوالهم ويستدعي منه الانكار والتّقبيح....»«[2734]».

[2731]_ سورة يونس : الآية 22

[2732]_ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 372

[2733] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 109

[2734]_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 4 ، ص 134

عند تفسير قوله تعالى :﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾«[2735]»

قال ـ رحمه الله ـ :«وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله ﴿ مَآ أَنزَلْنَا ﴾«[2736]» ثمّ رجع إلى الغيبة في قوله :« تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ » وذلك هو الالتفات »«[2737]»، فالإمام ابن جزيّ ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في عدول المولى جلّ و علا من أسلوب المتكلّم عند ابتداء السورة إلى الغيبة عند قوله :« تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ » ، لكنّه لم يشر إلى الغرض من هذا الالتفات والمقصود منه كما يراه البعض هو التفحيم والتعظيم لذات الله تعالى في إسناد الفعل إليه بنون العظمة في الابتداء ثمّ أضاف إليه التنزيل في الثانية مقترنا بصفة من صفاته الدّالة على ربوبيته وممّن أشار إلى هذا الالتفات من أئمة التفسير الإمام الزّمخشريّ حيث قال:«...فإن قلت : ما فائدة النقلة من لفظ المتكلّم إلى لفظ الغائب ؟ قلت:غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن و الروعة ومنها أنّ هذه الصفات إنّما تسرّدت مع لفظ الغيبة ومنها أنّه قال أوّلا:أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثمّ ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فوضعت الفخامة من طريقتين...»«[2738]»

كما أشار إلى الالتفات في هذه الآية الإمام أبو السعود حيث «....ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الأفعال و الصفات إثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ، ثمّ التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر....»«[2739]»

[2735] ــ سورة طه : الآية 4

[2736] ــ سورة طه : الآية 2

[2737] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 5

[2738] ــ الكشاف : ج 3 ، ص 51

[2739] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6 ، ص 4

في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾«[2740]».

قال رحمه الله :«وفي هذه الجملة الالتفات لخروجه من الخطاب إلى الغيبة وكان الأصل أن يقال: وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون »«[2741]».

فالإمام ابن جزي نصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في خروج المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب عند قوله :«وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ »«[2742]» إلى أسلوب الغيبة في قوله :«فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ» غير أنّه لم ينصّ على الفائدة من هذا الالتفات وقد أشار الإمام الزّمخشريّ إلى هذا الالتفات واستحسنه وبيّن المراد منه وهو المبالغة في مدح المبتغين بزكاتهم وجه الله وممّا قاله في هذا المقام ما نصّه :««فأولئك هم المضعفون» التفات حسن كأنّه قال: لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقائهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون....»«[2743]».

ـ الإشارة إليه دون بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾«[2744]» قال ـ رحمه الله ـ :«خروج من الخطاب إلى الغيبة »«[2745]»

[2740] ـ سورة الروم : الآية 39

[2741] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 151

[2742] ـ سورة الروم : الآية 39

[2743] ـ الكشاف : ج 3 ، ص 487

[2744] ـ سورة الأنعام : الآيتان 61 ـ 62

[2745] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 271

فالإمام ابنجزي نصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في خروج المولى جلّ و علا من أسلوب الخطاب عند قوله :«حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ »«[2746]»إلى أسلوب الغيبة في قوله :«ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ»«[2747]» إلّا أنّه لم يبيّن الغرض والفائدة منه ،والذي يظهر والله أعلم أنّ الغرض هو قصد المبالغة في بيان قدرة الله تعالى على الخلق وإحاطته بهم وتأكيدا لليوم الآخر الذي أنكره المشركون وممّن أشار إلى الالتفات في هذه الآية الإمام أبو السعود حيث قال:«وقوله تعالى :«ثمّ ردوا» عطف على توفّته والضّمير للكل المدلول عليه بأحكام وهو السّر في مجيئه بطريق الالتفات »«[2748]» في حين ذهب الشيخ الطاهر ابن عاشور إلى منع الالتفات وعدم تجويزه في هذه الآية و ذلك بإرجاعه الضمير في قوله تعالى :«ردّوا »إلى واحد وليست للكل حيث قال :«والضمير في «ردّوا»عائد إلى أحد باعتبار تذكيره الصادق بكل أحد أي ثمّ يردّ المتوفون إلى الله و المراد رجوع الناس إلى أمر الله يوم القيامة أي ردّوا إلى حكمه من نعيم وعذاب فليس في الضمير التفات»«[2749]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾«[2750]».

قال رحمه الله « خروج من الغيبة إلى المتكلم لأنّ الغائب هو المتكلم »«[2751]»فالإمام ابن حزي ينصّ على وقوع الالتفات في هده الآية وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب المتكلم عند قوله:«وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ » إلى أسلوب الغيبة في قوله «فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ » غير

2746_ سورة الأنعام : الآية 61

2747_ سورة الأنعام : الآية 62

2748_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 144

2749_ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 279

2750_ سورة النحل : الآية 51

2751_ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 372

أنّه لم يبيّن الفائدة والذي يبدوا من هذا الالتفات و الله أعلم أنّه قصد به بالاهتمام بالرّهبة و ذلك في تحريك نفوس المخاطبين إلى الخوف و الرهبة من الله تعالى و قد أشار إلى الالتفات في هذه الآية الإمام أبو السعود حيث قال :«...وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقيق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فإياي فارهبون التفات في الغيبة الى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب...»«[2752]».

ـ تجويز وقوعه دون بيان الغرض منه

عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾«[2753]»

قال ـ رحمه الله ـ« أو نلعنهم ، أي : نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت وقد ذكر في البقرة أو يكون من اللحن المعروف و الضمير يعود على الوجوه و المراد أصحابها أو على الذين أتوا الكتاب على الالتفات»«[2754]»

فالإمام ابن جزي يجوز وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك بوضع لفظ الجلالة موضع المضمر مع احتمال عودة الضمير في نلعنهم على أهل الكتاب والمراد بهم اليهود وقد ذهب إلى ما ذهب إليه الإمام ابن جزي الإمام الألوسي حيث قال في تفسيره لهذه الآية «.....و الضمير المنصوب في نلعنهم لأصحاب الوجوه أو للذين على طريق الالتفات لأنّه بعد تمام النداء يقتضي الظاهر الخطاب و أمّا قبله فالظّاهر الغيبة و يجوز الخطاب لكنّه غير فصيح»«[2755]»كما نبّه عليه و بيّن

[2752] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5 ، ص 118

[2753] ـ سورة النساء : الآية 47

[2754] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 195

[2755] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :ج ، ص

الغرض منه الإمام أبو السعود حيث قال:«.... ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة و تعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستغلال»«[2756]».

لقد ظهر من خلال هذه النماذج التي عرضتها من تفسير الإمام ابن جزي اهتمامه البالغ بأسلوب الالتفات ،حيث أكثر من التنصيص والتنبيه عليه في كثير من الآيات . وقد كان منهجه يتنوع عند ذكره فتارة يصرح باسمه مع شرحه وتحليله ببيانه لكيفية الانتقال من أسلوب إلى أسلوب مع ذكر الغرض والفائدة منه ، وتارة بالنص عليه مع شرحه دون ذكر الغرض منه ، وتارة بالإشارة إليه مع بيان الغرض ، وتارة بالإشارة إليه دون ذكر الفائدة منه ، ومرّة يفترض احتمال وقوعه ويجوز وجوده في الآية مع شرحه غير أنّه لا ينبه على الفائدة . والملاحظ على غالب الالتفاتات التي أوردها أنّه نقل كثيرا منها عن الإمام الزمخشري . وهذا يبرز مدى تأثره به في صناعته البيانية ، وبالجملة فإنّه اهتمّ بهذا الأسلوب واحتفى به في تفسيره كثيرا وأحسن تحليله والتنبيه على الأغراض التي يؤديها في بعض المواضع .

المطلب السابع : الالتفات في تفسير أبي حيّان الأندلسي البحر المحيط

لقد تردّدت الاشارة للالتفات في تفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي ، فلقد نصّ عليه في كم موضع من تفسيره ، وتنوّعت طريقة عرضه له ، وسأجمل مجموع إشاراته له تحت العناصر الآتية :

ـ النّص عليه مع بيان الغرض منه

عند تفسير قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾«[2757]» قال رحمه الله ـ « وإيّاك التفات لأنّه انتقال من الغيبة ، إذ لوجرى على نسق واحد لكان إيّاه ، والانتقال من فنون البلاغة ، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم ، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم ، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب ، والغيبة تكون تارة بالظاهر ، وتارة تكون بالمضمر ، وشرطه أن يكون

[2756]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 2 ، ص 186

[2757]ـ سورة الفاتحة : الآية 5

المدلول واحد ا ، ألا ترى أنّ المخاطب بإيّاك هو الله تعالى ؟ ، وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام ، والاقتدار على التصرف فيه ، وقد ذكر بعضهم مزيدا على هذا ، وهو إظهار فائدة تخصّ كلّ موضع ، ونتكلم على ذلك ، حيث يقع لنا منه شيء ، وفائدته في إيّاك أنّه لما ذكر أنّ الحمدالمتّصف به بالربوبية والرحمة والملك لليوم المذكور أقبل الحامد مخبرا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره أنّه وغيره يعبده ويخضع له ... ونظير هذا أنّك تذكر شخصا متصفا بأوصاف جليلة مخبر عنه إخبار الغائب ، ويكون ذلك الشخص حاضرا معك ، فتقول له إيّاك أقصد ، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ إيّاه »«[2758]».

فالإمام أبو حيّان ينصّ على وقع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة إلى الخطاب ، ليخبر بعد ذلك أنّ الالتفات من فنون البلاغة ، وأنّه على أ قسام ، ليخلص في الختام لبيان الغرض منه ، فأخبر أنّه يدّل على القدرة في التفنن في الكلام ، ويدّل على الملكة في التصرف ، إضافة إلى أغراض أخرى تختص بمواضعه ، ثمّ بيّن الغرض من هذا الالتفات ، وأنّه يقصد به كمال العناية والاهتمام في تخصيص الباري جلّ وعلا بالعبادة دون سواه ، وقد سبقت الإشارة للالتفات في هذه الآية عند الحديث عن النماذج التي أوردها من تفسير الإمامين ابن عطية وابن جزي .

في تفسير قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾«[2759]»

قال: ــ رحمه الله ــ «... انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء ، وهو التفات... وهو من أنواع البلاغة كما تقدّم ، إذ فيه هزّ للسّامع وتحريك له ، إذ هو خروج من صنف إلى صنف ...»«[2760]» .

[2758]ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص141

[2759] ــ سورة البقرة : الآية 21

فالإمام أبو حيّان ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في الآية السابقة :﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾«[2761]» إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ «[2762]» . وقد بيّن الغرض العام من الالتفات دون الغرض الخاص بهذا الموضع ، وذلك في قوله : « وهو من أنواع البلاغة كما تقدّم ، إذ فيه هزّ للسّامع وتحريك له » . والغرض من الالتفات في هذه الآية والله أعلم هو قصد الاستعطاف والتأنيس ، فبعد ذكره جلّ وعلا لأصناف وأقسام الفرق اتجاه القرآن الكريم الذي أنزله على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيّن أنّ فيهم المؤمنون ومنهم الكفار ، ومنهم المنافقون ، انتقل إلى خطاب هؤلاء جميعا قصد استعطافهم وتأنيسهم علّهم يرجعون وينيبون ويتركوا الشرك ، ويؤمنوا بهذا القرآن، فالحكمة من هذا الالتفات إذن هي التأنيس والاستعطاف بغية الاقبال إلى الموعظة ، وقد أشار إلى هذا الالتفات الإمام الزمخشري«[2763]» . والإمام الرّازي «[2764]»

ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾«[2765]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي قوله : «قلنا» التفات ، وهو من أنواع البديع ، إذ كان ما قبل هذه الآية قد أخبر عن الله بصورة الغائب ، ثمّ انتقل إلى ضمير المتكلم ، وأتى بنا ضمير التي تدّل على التعظيم وعلو القدرة ، وتنزيله منزلة الجمع ، لتعدد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة ،وحكمة هذا الالتفات وكونه بنون المعظم نفسه ، أنّه صدر منه الأمر للملائكة بالسجود ، ووجب عليهم

[2760]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 232

[2761]ـ سورة البقرة : الآية 20

[2762]ـ سورة البقرة : الآية 21

[2763]ـ الكشاف :ج 1 ، ص 120 ـ 121

[2764]ـ مفاتح الغيب : ج 3 ، ص 319

[2765]ـ سورة البقرة : الآية 34.

الامتثال ، فناسب أن يكون الأمر في غاية من التعظيم ، لأنّه متى كان كذلك كان أدعى لامتثال المأمور فعل ما أمر له من غير بطء ولا تأول لشغل خاطره بورود ما صدر من المعظّم»«[2766]».

فالإمام أبو حيّان ينصّ هنا على وقوع الالتفات ،وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة عند قوله : في الآية السّابقة : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾«[2767]» إلى أسلوب المتكلم في قوله : «وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ »«[2768]» ، ثمّ بيّن الغرض منه ، وهو قصد التعظيم والتجليل ، وذلك بتعظيم المولى جلّ وعلا وتجليله ، إذ كان هو الآمر بالسّجود ، و المسجود له ينبغي أن يكون عظيما في نفسه ، ومعظّما عند السّاجدين ، وأكد هذا المعنى بإتيانه بنون العظمة الدّالة على ذلك ، وقد ذهب إلى القول بوقوع الالتفات في هذه الآية الإمام أبو السّعود حيث قال : «... والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة ، مع ما فيه من تأكيد الاستقلال ، وكذا إظهار الملائكة في موضع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر»«[2769]».

[2766] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 302.

[2767] ـ سورة البقرة : الآية 33.

[2768] ـ سورة البقرة : الآية 34

[2769] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 1 ، ص 88

ـــ النّص عليه دون بيان الغرض منه

لقد كثر تنصيص أبي حيّان على وقوع الالتفات في كثير من الآيات القرآنية ، دون بيان منه للغرض أو الفائدة المرّجوة من هذا الالتفات ، ومن المواضع التي وقع فيها هذا النوع من التنصيص

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[2770]» قال ـ رحمه الله ـ « »«[2771]» هذا من الالتفات ، إذ لو جرى على الكلام السابق لكان إذ قلنا له أسلم ، وعكسه في الخروج من الغائب إلى الخطاب قوله :

باتت تشكي إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا »«[2772]» .

فالإمام أبو حيّان ينصّ على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في انتقال المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب في قوله :﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾«[2773]» إلى أسلوب الغيبة في قوله : « إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ»«[2774]» ، ثمّ قام بالتمثيل لعكس هذا الالتفات ببيت من الشعر خرج فيه صاحبه من الغيبة عند قوله : «وباتت تشكي إلى النفس مجهشة » إلى الخطاب في قوله : « وقد حملتك سبعا بعد سبعينا » ، لكنّه لم ينصّ على فائدة هذا الالتفات ، ولم يعرّج إليه ، وقد نقل عنه القول بوقوع الالتفات في هذه الآية الامام ابن عادل ، حيث قال :« وفي قوله :« إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ» التفات ، إذ لو جاء على نسقه لقيل : إذ قلنا ، لأنّه بعد واصطفيناه . وعكسه في الخروج من الغيبة إلى الخطاب قوله :

2770 ـ سورة البقرة : الآية 131

2771 ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 566

2772ـ البيت للبيد بن ربيعة : ينظر : الأغاني ، الأصفهاني ، ج 15 ، ص 351.

2773ـ سورة البقرة : الآية 30

2774ـ سورة البقرة : الآية 131

باتت تشكي إليّ النفس وقد حملتك سبعا بعد سبعينا «[2775]».

ــ في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾«[2776]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ... وعنّي فالضمير فيه لله تعالى ، وهو من باب الالتفات ، لأنّه سبق «ولتكبروا الله على ما هداكم »«[2777]» ، فهو خروج من غائب إلى متكلم »«[2778]».

فالإمام أبو حيّان ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغائب في قوله : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى » ، إلى أسلوب المتكلم في قوله : « فَإِنِّى قَرِيبٌ » غير أنّه لم يبيّن فائدة هذا الالتفات ، وقد نقل عنه القول بالالتفات في هذه الآية الإمام السمين الحلبي ، حيث قال : « وفي قوله : عنّي وإنّي التفات من غيبة إلى تكلم ، لأنّ قبله « ولتكبروا الله» والاسم في ذلك كالضمير الغائب »«[2779]»، كما نقل عنه كذلك القول بالالتفات في هذه الآية الإمام ابن عادل «[2780]»

ــ نقل الالتفات عن غيره مع بيان الغرض منه

عند تفسير قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾«[2781]» قال ــ رحمه الله ــ : « ... والضمير في بهم عائد على الكائنين في الفلك

[2775] ــ اللباب في علوم الكتاب ، ج 2 ، ص 499

[2776] ــ سورة البقرة : الآية 186

[2777] ــ سورة البقرة : الآية 185

[2778] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 52

[2779] ــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، ج 1 ، ص 430.

[2780] ــ اللباب في علوم الكتاب ، ج 3 ، ص 292.

[2781] ــ سورة يونس : الآية 22

، وهو التفات ، إذ هو خروج من خطاب إلى غيبة ، وفائدة صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة ، قال الزمخشري المبالغة ، كأنّه يذكرهم لغير حالهم ليعجبهم منها ، ويستدعي منهم الانكار والتقبيح ، والذي يظهر والله أعلم أنّ حكمة الالتفات هنا هي أنّ قوله : «هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ»«[2782]» ، خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين ، والمسيّرون في البرّ والبحر مؤمنون وكفار ، والخطاب شامل ، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ، ولعلّ الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع ، فلما ذكرت حاله آل الأمر في آخرها إلى أنّ المتلبس بها هو باغ في الأرض بغير حق ، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي ...»«[2783]».

فالإمام أبو حيان ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب عند قوله : «حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ»إلى أسلوب الغيبة في قوله : «وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ » ، فالضمير في بهم عائد على من في الفلك ، وهم من عناهم بالخطاب أوّلا ، ثمّ قام بذكر فائدة هذا الالتفات ، بنقل عن الإمام الزمخشري مفاده أنّ القصد من هذا العدول هو المبالغة في تصوير حال هؤلاء ليتعجب منهم المؤمنون فيبالغون في الإنكار عليهم ، ثمّ أورد فائدة أخرى من عنده ، مفادها أنّ حكمة هذا الالتفات هو التمييز والتفريق بين المؤمنين والكفار ، فالخطاب الأوّل شامل للمؤمنين والكفار ، باعتبار أنّ الله تعالى هو الذي يسيرهم في البحر والبحر ، وهذا امتنان منه تعالى عليهم ، لكنّ البعض منهم وهو الكفار ظهر منهم بغي وفساد فخاطبهم سبحانه وتعالى بأسلوب الغيبة مبيّنا لهم جزاء صنيعهم ، ولم يجر على نسق الخطاب .

[2782]_ سورة يونس : الآية 22

[2783]_ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 142

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾«[2784]».

قال ـ رحمه الله ـ :«وقال الزمخشري : «فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ »، التفات حسن ، كأنّه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون »«[2785]» .

فالإمام أبو حيان ينقل عن الإمام الزمخشري قوله بالالتفات في هذه الآية ، وذلك في انتقال المولى جلّ وعلا من أسلوب الخطاب عند قوله : «وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ » إلى أسلوب الغيبة في اسم الاشارة عند قوله : «فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ » ، والغرض من هذا الالتفات عند الإمام الزمخشري هو المبالغة في مدح المؤمنين المتصفين بهذه الصفات ، وذكرهم عند خواص خلقه من ملائكته ، كما يمكن أن يكون المقصود منه هو التعميم بحيث يدخل في خطاب هؤلاء كل من كان على شاكلتهم ، واتصف بصفتهم ، وقد أشار إلى هذا الالتفات كل من الإمام النسفي«[2786]» ، والإمام أبو السعود«[2787]» ، والإمام الطاهر بن عاشور«[2788]» .

ــ نقل الالتفات عن غيره دون بيان الغرض منه

عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾«[2789]» قال ـ رحمه الله ـ « وقال الزمخشري : وأصله من ثمرنا ، كما قال وجعلنا وفجّرنا ، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات ، والمعنى ليأكلوا ممّا خلقه الله من الثمر وما

[2784] ـ سورة الروم : الآية 39.

[2785] ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 170.

[2786] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3 ، ص 219

[2787] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 7 ، ص 62

[2788] ـ التحرير والتنوير : ج 21 ، ص 106

[2789] ـ سورة يسن : الآية 35.

عملته أيديهم من الغرس ، والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه»«[2790]».

فالإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ ينقل عن الإمام الزمخشري قوله بالالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب التكلم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾«[2791]»: إلى أسلوب الغيبة في قوله :«لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ »«[2792]» إلاّ أنّه لم يبين فائدة هذا الالتفات ، والذي يظهر والله أعلم أنّ القصد منه هو تأكيد نسبة الخلق والفعل لله تعالى ، فهو سبحانه من أحيا الأرض وأنبت فيها الزرع وأخرج منها الثمرات ، وكل ما كان من الآدمي فهو سبب من الأسباب فحسب ، وقيل إنّ السّر في عدم إسناد خلق الثمر إليه عندما قال : «لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ » هو أنّ التمر أحطّ مرتبة من الإحياء والإخراج والتفجير ، فهي أفعال كاملة في الدلالة على القدرة ، والتمر أحط فلا يستحق ذلك التفخيم والتعظيم ، ولذلك لم يورد على سبيل الاختصاص «[2793]» ، وقد أشار إلى هذا الالتفات الإمام ابن عادل«[2794]» ، والإمام أبو السعود«[2795]» ، والشيخ الطاهر بن عاشور«[2796]» .

وفي ختام الحديث عن هذه النماذج الموردة من تفسير الإمام أبي حيّان نرى أنّه احتفى واعتنى ــ رحمه الله ــ بمبحث الالتفات في تفسيره كثيرا وحرص على التنبيه عليه في الآيات الواقع فيها . وكان منهجه في تناوله متنوعا فتارة يذكره باسمه مع شرحه وبيان كيفية الانتقال من أسلوب إلى آخر وهذه سمة بارزة وواضحة في النماذج الموردة ، ثمّ يزيد على ذلك بيان فائدته والغرض منه

[2790]ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 320.

[2791]ــ سورة يسن : الآية 34

[2792]ــ سورة يسن : الآية 35

[2793]ــ روح المعاني : الألوسي ،ج 12 ،ص 9

[2794]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 16 ، ص 213

[2795]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 7 ، ص 166

، وفي بعض الأحيان يذكره باسمه مع شرحه دون النص على فائدته وفي البعض الآخر ينقله عن غيره كالإمام الزمخشري مع بيان الغرض منه وفي بعض المواضع ينقله عن غيره مع شرحه دون بيان الغرض منه ، كما أنّه كان يعمد في توضيحه للاستشهاد بالشعر حتّى يعضد ويقوي ما يراه . وبذلك يزيد الالتفات الموجود في الآية وضوحا . كما أنّنا نلمس موافقة غالب المفسرين له فيما يورده من الالتفاتات وهذا يدل على إلمامه بهذا البحث من مباحث البلاغة .

ـــ المطلب الثامن : الالتفات في تفسير الإمام ابن عرفة

لقد تردّدت الاشارة للالتفات في تفسير الإمام ابن عرفة ، فلقد نصّ عليه في كم موضع من تفسيره ، وتنوّعت طريقة عرضه له ، وسأجمل مجموع إشاراته له تحت العناصر الآتية :

ـــ النّص عليه مع بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾«[2797]».

ـــ قال رحمه الله ـــ : « هذا التفات ، فإن قلت ما فائدة هذا الالتفات هنا في الانتقال من الغيبة إلى المتكلم؟ قلنا : فائدته أنّ هذا الباب أعجب وأغرب من الأول ، ففيه ردّ على الطبائعية ، إذ لو كانت هذه الأشياء أصل بالطبيعة لكان الشجر المسقي بالماء الحلو حلو أكله ، والمسقي بالماء المالح مالحا أكله ... فأسند تعالى فعلها إليه إشارة إلى أنّه خالق كل شيء»«[2798]».

فالإمام ابن عرفة ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية وذلك في انتقال المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة عند قوله : « وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً » إلى أسلوب المتكلم في قوله : «فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ » ، وقد نبّه على فائدة هذا العدول والانتقال بأنّ فيه ردّا على

[2797] ـــ سورة الأنعام : الآية 99

[2798] ـــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 176

القائلين بأنّ أصل الأشياء عائد إلى الطبيعة ، كما أنّ فيه إظهار لكمال قدرة الله تعالى وأنّ كل شيء راجع إلى مشيئته وقدرته سبحانه وتعالى ، وقد وافقه على القول بالالتفات في هذه الآية كثير من أئمة التفسير منهم الإمام الرّازي«[2799]» ، والإمام أبو حيّان«[2800]» ، والإمام ابن عادل الحنبلي«[2801]» .

ــــ النّص عليه دون بيان الغرض منه

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾«[2802]»

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب ، لأنّه تقدّم الكلام بين المسلمين والكفار والمنافقين بلفظ الغيبة ، ثمّ أقبل على الجميع بالنداء ، وهو خطاب لمشركي مكة ، قال القاضي العماد في هذا اضطراب وتناقض لأنّ جعله التفاتا يقتضي خطابه لجميع الناس مسلمهم وكافرهم ، وأجاب ابن عرفة بأنّه خطاب لجميع الناس الذين منهم مشركي مكة ، إلاّ أن يقال إنّه خطاب للجميع ويتناول مشركي مكة ، وإن كانوا غائبين من باب تغليب المخاطب على الغائب »«[2803]».

فالإمام ابن عرفة ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغيبة في الآيات السابقة ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[2799] ــ مفاتح الغيب : ج 13 ، ص 88

[2800] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 192

[2801] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 8 ، ص 318

[2802] ــ سورة البقرة : الآية 21

[2803] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 66

ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ «[2804]» والتي كان الكلام فيها عن أحوال المنافقين والكفار ، وما كان بينهم وبين المسلمين من التحاور في الآيات التي سبقت هذه الآية إلى أسلوب الخطاب في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ «[2805]» . وقد اختار ابن عرفة تخصيص مشركي مكة بالخطاب ، فهم المعنيون بهذا النداء ، ثمّ أورد اعتراضا للقاضي العماد يقول فيه أنّ تخصيص مشركي مكة بالخطاب فيه تناقض واضطراب ، لأنّنا إذا قلنا بالالتفات هنا جعلنا الخطاب لجميع الناس مسلمهم وكافرهم ، ولدفع هذا الاعتراض أجاب بأنّ الخطاب لجميع الناس بما فيهم مشركي مكة ، والصحيح والله أعلم أنّ الخطاب لجميع من يعقل ، كما ذهب إليه ابن عباس وكثير من المفسرين من أمثال الإمام أبي حيّان الذي أورد أقوالا في معنى النداء ليخلص في الأخير لترجيح قول ابن عباس القاضي بأنّ الخطاب للجميع ، حيث قال :«« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ» خطاب لجميع من يعقل ، قاله ابن عباس ، أو اليهود خاصة قاله الحسن ومجاهد ، أولهم وللمنافقين ، قاله مقاتل ، أو لكفار مشركي العرب وغيرهم قاله السّدي ، والظاهر قول ابن عبّاس لأنّ دعوى الخصوص تحتاج إلى دليل »«[2806]» ، لكنّ الإمام ابن عرفة لم يبيّن فائدة هذا الالتفات ، والغرض من هذا العدول والله أعلم : هو إيقاظ السّامعين وتنشيط قلوبهم وتحريك خواطرهم لسماع النداء والخطاب الملقى إليهم وهو إقامة العبادة لله تعالى ، وقد أشار إلى هذا الالتفات من أئمة التفسير الإمام الزّمخشري الذي يقول في بيان فائدته : « لما عدّد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين ، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم ، وما اختصت به كل فرقة بما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله تعالى ويرديها أقبل عليهم بالخطاب ، وهو من الالتفات ...

[2804] ـ سورة البقرة : الآيات 17 ـ 20

[2805] ـ سورة البقرة : الآية 21

[2806] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 232

وهو فنّ من الكلام جزل ، فيه هزّ وتحريك من السّامع ، كما أنّك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما : إنّ فلانا من قصته كيت وكيت ، فقصصت عليه ما فرط منه ، ثمّ عدلت بخاطبك إلى الثالث فقلت : يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك ، وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك ، نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيهه ، واستدعيت اصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء ، وأو جدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجه هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة ، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف ، يستفتح الأذان للاستمتاع ، ويستهش الأنفس للقبول »«[2807]» ، كما أشار إليه الإمام الرّازي«[2808]» ، والإمام أبو حيّان«[2809]» ، والإمام أبو السعود«[2810]» .

ـ في تفسير قوله تعالى :﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾«[2811]».

قال ــ رحمه الله ــ : « التفات وانتقال من الغيبة إلى المتكلم ...»«[2812]».

فالإمام ابن عرفة ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية ، وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب الغائب عند قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾إلى أسلوب المتكلم في قوله : «وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا» غير أنّه لم يبيّن فائدة هذا الانتقال والعدول ، واكتفى بالإشارة فحسب ، وقد نبّه على وقوع الالتفات في هذه الآية بعض أئمة التفسير منهم الإمام أبو السعود الذي أشار إليه وبيّن الغرض منه عندما قال : « والالتفات في : «وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا» للجري على سنن الكبرياء ، أو لأنّ البعث كان بواسطة موسى عليه السلام

[2807]ـ الكشاف : ج 1 ، ص 120 ـ 121
[2808]ـ مفاتح الغيب : ج 3 ، ص 319
[2809]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 232
[2810] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 1 ، ص 58.
[2811] ـ سورة المائدة : الآية 12
[2812] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 98

»«[2813]» ، فهذا النّص من أبي السعود يشير فيه إلى فائدة هذا الالتفات ، وأنّ المقصود منه هو بيان عظمة الله جلّ وعلا ، والتأكيد على أنّ البعث يكون منه سبحانه وتعالى بواسطة أنبيائه ورسله ، كما ذكر وقوع الالتفات في هذه الآية الإمام الطاهر ابن عاشور«[2814]» .

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾«[2815]»

قال رحمه الله : « هذه الآية إذا كانت في النزول متصلة بما قبلها ، فالفاء للاستئناف ، وعلى الأول ، فالآية التفات بالخروج من التكلم إلى الغيبة ... »«[2816]»

فالإمام ابن عرفة يفترض في كلامه هذا افتراضا مفاده أنّ هذه الآية «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ » إذا كان لها تعلق بما قبلها من ناحية النزول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾«[2817]» ، فإنّ الفاء تكون للاستئناف ، ويكون في الآية التفات ، وذلك بخروج المولى جلّ وعلا من أسلوب المتكلم في قوله : « وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» إلى أسلوب الغائب في قوله : «فَمَنْ أَظْلَمُ» ، ويجاب عن افتراضه هذا بأنّه لا دليل ولا مستند يدل على أنّ هذه الآية لها تعلق بما قبلها من ناحية النزول ، فإنّه لا سبيل للعلم بذلك ولا للجزم به ، حيث يصعب معرفة ترتيب الآيات في النزول بخلاف ترتيب السور ، إلاّ ما دلّ عليه دليل بأنّ هذه الآية نزلت بعد آية معينة . وهو مع ذكره للالتفات فإنّه نصّ عليه دون تحليله وبيان الغرض منه .

[2813] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 3 ، ص 14.

[2814] ــ التحرير والتنوير : ج 6 ، ص 140.

[2815] ــ سورة الأعراف : الآية 37 .

[2816] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 225.

[2817] ــ سورة الأعراف : الآية 36 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾«[2818]».

قال ــ رحمه الله ــ : « التفات بالخروج عن التكلم إلى الغيبة ، إذ لم يقل فصّل لنا ، ويحتمل أن يريد بالصلاة المفروضة والنافلة ، فيكون من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، لأنّ صيغة الفعل حقيقتها للوجوب »«[2819]»

فالإمام ابن عرفة ينص على وقوع الالتفات في هذه الآية . وذلك في عدول المولى جلّ وعلا من أسلوب المتكلم إلى أسلوب الغائب ، أو بالأحرى الانتقال من المضمر في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾«[2820]» إلى أسلوب المظهر في قوله : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ» . بيد أنّه لم يشر إلى فائدة هذا الالتفات والانتقال ، والذي يظهر والله أعلم أنّه قصد به المبالغة في تعظيم شأن الصلاة ، والتأكيد على مكانتها في شريعة الاسلام ،كما يقصد به إضافة إلى ذلك ، قصد التأكيد على إخلاص تلك الفريضة لله تعالى ، ولذ لما يشعره ضمير الخطاب على ذلك ، بخلاف ما لو جرى الكلام على ضمير المتكلم ونون العظمة ، فإنّه لا يؤكد ذلك الشيء هو الحال في جريان الكلام على أسلوب الخطاب والإظهار ،وقد أشار إلى هذا الالتفات بعض أئمة التفسير منهم الإمام الرّازي وممّا قاله مبيّنا فيه فائدة هذا الالتفات ما نصّه : « ... المسألة السادسة : كان الأليق في الظاهر أن يقول : إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لنا وانحر ، لكنّه ترك ذلك إلى قوله : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ» لفوائد إحداها : أنّ وروده على طريقة الالتفات من أمّهات أبواب الفصاحة ، وثانيها : أنّ صرف الكلام من المضمر إلى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة ، ومنه قول الخطباء لمن يخاطبونهم : يأمرك أمير المؤمنين ، وينهاك أمير المؤمنين ، وثالثها : أنّ قوله : « إنّا أعطيناك » ليس في صريح لفظه أنّ هذا القائل هو الله أو غيره ، وأيضا كلمة إنّا تحتمل ، كما تحتمل الواحد المعظم نفسه ، فلو قال : صلّ لنا ، لنفي ذلك الاحتمال ، وهو أنّه ما كان يعرف

[2818]ــ سورة الكوثر : الآية 2

[2819]ــ تفسير ابن عرفة : ج 4 ، ص 351

[2820]ــ سورة الكوثر : الآية 1

أنّ هذه الصلاة لله وحده ، أم له ولغيره على سبيل التشريك ، فلهذا ترك اللفظ وقال : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ »«[2821]»، ليكون لذلك الاحتمال ، وتصريحا بالتوحيد في طاعة الله والعمل لله تعالى »«[2822]».

وكخلاصة لما استعرضه من نماذج عن تناول الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ لأسلوب الالتفات تبيّن أنّه أشار إليه في تفسيره ونبّه عليه . ومنهجه في التنويه كان بالنص عليه باسمه مع بيان نوع الانتقال من أسلوب إلى أسلوب فهو يقوم بشرحه وتحليله وتوضحيه ،كما أنّه ينص على الفائدة والغرض منه في بعض المواضع وفي بعضها يكتفي بذكره وشرحه دون بيان فائدته . والمواضع التي نصّ على الالتفات فيها وافقه فيها كثير من المفسرين ، وبالجملة فقد اعتنى بهذا النوع من فنون البلاغة وحرص على الإشارة إليه .

[2821]ـ سورة الكوثر : الآية 2

[2822]ـ مفاتح الغيب : ج 32 ، ص 330.

الفصل الثالث

جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البيان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : مفهوم البيان لغة واصطلاحا ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة

إنّ الحديث عن علم البيان كقسم من أقسام البلاغة الثلاث يستدعينا للبحث عن أصل كلمة البيان في اللغة ، كما يستوقفنا للحديث عن نشأة و تطور هذا المصطلح في علم البلاغة العربية ،وهذا ما سأسعى لبيانه في هذا المبحث .

المطلب الأول : مفهوم البيان لغة

جاء في لسان العرب :« ... والبيان الفصاحة واللَّسَن وكلام بيّن فصيح والبيان الإفصاح مع ذكاء ، والبيّن من الرّجال الفصيح ، والبيّن من الرّجال السّمح اللّسان الفصيح الظّريف العالي الكلام القليل الرّتج ، وفلان أبين من فلان أفصح منه وأوضح كلاما ورجل بيّن فصيح »«[2823]».

وجاء في تاج العروس من جواهر القاموس : « والبيان الإفصاح مع ذكاء »، وفي الصّحاح هو الفصاحة واللّسن ، وفي النهاية هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللّسن وهو الكشف والظهور ...»«[2824]» .

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى الإفصاح والإيضاح والكشف.

وقد وردت الإشارة في القرآن لمصطلح البيان وما تصرّف منه ، فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾«[2825]» ، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾«[2826]» ، كما تردّد هذا المصطلح في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وذلك

2823 ـ اللسان : مادة (بين) ، ج 13 ، ص 62 .

2824 ـ تاج العروس من جواهر القاموس : فصل الباء ، ج 13 ، ص 304 .

2825 ـ سورة الرحمان : الآيتان 3 ـ 4

2826 ـ سورة النحل : الآية 89

عند قوله : « إنّ من البيان لسحرا وإنّ من الشعر لحكمة »[2827] ، وقد حمل شراح السنة لفظ البيان في الحديث على ما قرّره أئمة العربية ، حيث جاء في عون المعبود : « والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء الفهم مع اللسن »[2828].

المطلب الثاني : مفهوم البيان اصطلاحا ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة

بعد بيان معنى البيان في اللغة أسعى في هذا المطلب لضبط مفهوم البيان في اصطلاح أئمة البلاغة أمّا البيان في معناه الاصطلاحي فإنّه يستدعي تتبع هذا المصطلح عند النقاد والبلاغيين الأوائل لمعرفة مدلوله عندهم .

وأوّل من نقف عنده لنستبين حقيقة ومدلول هذا المصطلح الإمام الجاحظ ــ رحمه الله ــ الذي سمّى أحد كتبه بالبيان والتبيين ، وقد تعرّض لمعنى البيان قائلا : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتّى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[2829] .

فهذا النّص من الإمام الجاحظ يظهر فيه إطلاقه هذا المصطلح بمدلوله الواسع الذي يعني الإيضاح والكشف والظهور ، وهو بذلك يوافق اللغوين فيما ذهبوا إليه عند تحديد المعنى اللغوي للفظة البيان .

[2827] ــ أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في إنّ من البيان سحرا ، رقم 2028 ، ج 4 ، ص 376 ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

[2828] ــ عون المعبود في شرح سنن أبي داود : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ،ط 2 ، ت 1415 هـ، ج 13 ، ص 240 .

[2829] ــ البيان والتبيين : ص 54 .

ومن العلماء الذين أطلقوا مصطلح البيان وأرادوا به معناه الواسع المألوف والمعروف عند اللغويين الإمام الرّماني فقال : « البيان هو الإحضار لما يظهر به تميز الأشياء من غيره في الإدراك ، والبيان على أربعة أقسام :كلام ، وحال ، وإشارة ، وعلامة »«[2830]» وقد جعل كثير من الباحثين والدّارسين كلامه هذا قريبا ممّا أورده الجاحظ .

وليس ببعيد عن الإمام الرّماني الإمام ابن رشيق القيرواني الذي ساق كلامه وأضاف إليه تعريفا يتأكد فيه إرادته منه معناه الواسع ، فقال : « هو الكشف عن المعنى حتّى تدركه النّفس من غير عقلة ، وإنّما قيل ذلك لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم بيان »«[2831]»

وأمّا إمام الصناعة ، وصاحب نظرية النّظم الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فإنّه عدّ الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة شيئا واحدا ، حيث قال في معرض حديثه عن دواعي تأليفه للكتاب ما نصّه : «ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وفي بيان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها »«[2832]» ،وقال في موضع آخر قريب من الأول :« في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ، وكلّ ما شاكل ذلك ، ممّا يعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض ، من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السّامعين عن الأغراض والمعاني وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »«[2833]» .

فهذا النّص من الإمام عبد القاهر يفهم منه أنّ يجعل هذه الألفاظ بمعنى واحد ، والبيان إذن عنده يتطابق مع المفهوم والمدلول الواسع له عند اللغوين الذي يعني الإيضاح والكشف عن الأغراض والمقاصد ، ففي كلامه إشارة إلى ذلك ، وقد تطرّق في كتابيه الدلائل والأسرار إلى كثير من

[2830]ـ النكت في إعجاز القرآن : ، ص 106
[2831]ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 1 ، ص 254
[2832] ـ دلائل الإعجاز : ص 34 .
[2833] ـ المصدر نفسه : ص 43 .

مباحث البيان التي استقرت في تقسيم المتأخرين وكان له أثر كبير في تأصيلها وتقنيها كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز .

ومن العلماء الذين نظروا للبيان نظرة واسعة المعنى الإمام ابن الأثير الذي جعل موضوع البيان هو الفصاحة و البلاغة ، فقال : « موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أنّ النّحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب »«[2834]» .

وبمجيئ الإمام السّكاكي ، وتقسيمه الجديد لعلوم البلاغة وحصرها في أنواع ثلاث أخرج مفهوم البيان من معناه الواسع الذي كان مهيمنا على أذهان البلاغيين والنقاد ، فعرّفه بقوله : « وأمّا علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »«[2835]» .

وقد انحصرت مباحث علم البيان عنده في التشبيه والمجاز بأنواعه بما فيه الاستعارة والكناية .

وقد سار الإمام القزويني على خطى الإمام السّكاكي فتبع تقسيمه لعلوم البلاغة وحذا حذوه في تحديد مباحث وموضوعات علم البيان التي حصرها هو كذلك في التشبيه والمجاز والكناية ، حيث قال : « فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية »«[2836]»، وقد عرّف علم البيان بقوله : « هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »«[2837]» ، كما سار

[2834] ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :ج 1 ، ص 26 .

[2835] ـ مفتاح العلوم : ص 162 .

[2836] ـ الإيضاح في علوم البلاغة :ص 202 .

[2837] ـ المصدر نفسه : ص 201 .

على نهج الإمام القزويني في كتابه الإيضاح جلّ البلاغيين من بعده فلم يخرجوا على ما قسّمه وحدّده من مباحث هذا الفنّ .

وبهذا نكون قد عرفنا أنّ مصطلح البيان أخذ عند المتقدمين مدلولا واسعا فكانوا يطلقونه على كثير من المباحث البلاغية ، وبتقسيم المتأخرين لعلوم البلاغة أصبح منحصرا في موضوعات محددة هي التشبيه والمجاز والكناية ، ولهذا فإنّي سأحصر حديثي عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البيان في موضوعات التشبيه والاستعارة والكناية .

المبحث الثاني : جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ التشبيه

سأسعى في هذا المبحث إن شاء الله تعالى لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ التشبيه ، وذلك بالتعرض لبعض النماذج التي حللّوها في كتبهم بغية الوقوف على إسهاماتهم في إثراء هذا النوع من علم البيان بالإضافة للكشف عن منهجهم في تقرير هذا المبحث وطريقة عرضهم له ، وقبل الخوض والولوج في ذلك ارتأيت أن أتحدّث عن فنّ التشبيه ببيان حدّه لغة واصطلاحا ، ثمّ الحديث عن بلاغته في لغة العرب .

المطلب الأول : مفهوم التشبيه لغة واصطلاحا

الفرع الأول : مفهوم التشبيه لغة

قبل بيان معنى التشبيه عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاّ الوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم البيان ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جاء في لسان العرب : « الشِبه والشَّبه والشَّبيه المثلُ ، والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء ماثله ، وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم ، وأشبه الرجل أمّه وذلك إذا ضعف وعجز ، وأشبهت فلانا وشابهته ، واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد صاحبه ، وفي التنزيل مشتبها وغير متشابه ، وشبّهه إيّاه وشبَهه به مثّله ، والمشتبهات من الأمور المشكلات ، والمتشابهات المتماثلات ، وتشبّه فلان بكذا ، والتشبيه التمثيل »«[2838]» .

وقال الإمام الزبيدي ـ رحمه الله ـ : « الشِبه بالكسر والتحريك كأمير المثل والجمع أشباه ، كجذع وأجذاع وسبب وأسباب وشهيد وأشهاد ، وشابهه وأشبهه ماثله ، ومنه من أشبه أباه فما ظلم »«[2839]».

فالمادة اللغوية من هذبن المعجمين تفيدنا أنّ مدلول اللفظ وأصله يرجع لمعنى المثل والتماثل ، وذلك لأنّ الشيء إذا شابه شيئا ، فإنّ ذلك يعني أنّه يماثله ويضاهيه في كل شيء .

ـ الفرع الثاني : التشبيه في الاصطلاح

بعد بيان معنى التشبيه في اللغة والخلوص إلى أنّ مدلوله يفيد معنى التماثل، بقيت الإشارة للمعنى الاصطلاحي لهذا الفن البلاغي من فنون البيان .

وأوّل ما يقال في تعريفه أنّ التشبيه من الفنون والأساليب المتأصلة في لغة العرب ، فقد عرف منذ القديم واستعملته العرب في كلامها نثرا وشعرا ، إلاّ أنّ هذا الاستعمال والتفنن في توظيفه لتحقيق بعض الأغراض التي يوصل إليها كان عاريا عن تحديده بحد ، أو ضبطه بضابط ، وإنّما ظهر الحد والتعريف لهذا الأسلوب عند بعض البلاغيين الذين جاءوا بعض المتقدمين من اللغوين والنّحاة .

[2838] ـ ابن منظور : ج 13 ، ص 503 مادة ـ شبه ـ

[2839] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 1 ، ص 8224 فصل الشين

وممّن تعرَّض له بالتعريف الإمام الرّماني ، حيث قال : « التشبيه هو العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل ، ولا يخلوا التشبيه من أن يكون في القول أو في النّفس »«[2840]» .

وعرّفه الإمام أبو هلال العسكري بقوله : « التشبيه الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه »«[2841]» وتعريف الإمام العسكري هذا قريب من تعريف الإمام الرّماني إلاّ أنّه زاد في ذكر الأداة ، وذكر الأداة ليس شرطا في تحقق التشبيه ، فقد يكون التشبيه خاليا من الأداة .

ولما جاء الإمام السّكاكي وقسّم البلاغة إلى تلك الأقسام الثلاث أدرج فنّ التشبيه ضمن علوم البيان ، وعرّفه بقوله : « لا يخفى عليك أنّ التشبيه مستدع طرفين مشبّها ومشبّها به ، واشتراكا بينهما وافتراقا من آخر »«[2842]»

ويظهر على تعريف الإمام السّكاكي أنّه ذكر فيه طرفي التشبيه المشبّه والمشبّه به ، والجامع بينهما وهو وجه الشبه .

ولما قام الإمام القزويني باختصار كتاب السّكاكي أدرج التشبيه كذلك في فنون البيان ، وحدّه بقوله : « التشبيه الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى »«[2843]».

وقريب من تعريف الإمام القزويني تعريف الإمام العلوي الذي قال فيه : « وحاصله : أنّه اللفظ الدّال على مشاركة أمر لأمر في معنى »«[2844]»

[2840] ـ النكت في إعجاز القرآن : ص 80

ذ[2841]ـ الصناعتين : ص 239

[2842]ـ مفتاح العلوم : ص 332

[2843] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 203

[2844] ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطرّاز في علوم حقائق الإعجاز : ص 316 .

ولنرتض من بين التعاريف التي أوردناها التعريفين الأخيرين للإمام القزويني والإمام العلوي ، وملّخص ما اتضح تقريره في الجانب الاصطلاحي أنّ التشبيه عبارة عن علاقة واتصال بين شيئين في جانب من الجوانب أو جهة من الجهات ، وبهذا يظهر التقارب بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي .

ــ المطلب الثاني : بلاغة التشبيه في لغة العرب

التشبيه من فنون البيان العظيمة الموقع والكبيرة المنزل ، فدرجته ومنزلته لا تخفى على ذي لب من متذوقي أساليب وأفانين الكلام ، وقد فطن الأوائل من رجال البلاغة إلى حسن موقعه وذلك لما وقفوا عليه من أغراض عظيمة ومقاصد جسيمة يؤديها هذا الفنّ من فنون البلاغة ، فراحوا ينوهون بذلك وينبهون عليه .

فهذا الإمام العسكري يتحدث عن أثره في إيضاح المعنى وتأكيده وتقريبه إلى الأذهان مؤكدا أنّ القدماء من الحكماء أشادوا بهذا الفنّ وبيّنوا فضله ، فقال : « والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيدا ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة ...»«[2845]» .

ولقد جعل إمام الصناعة عبد القاهر الجرجاني ــ رحمه الله ــ التشبيه إضافة إلى التمثيل والاستعارة أحق وأولى ما يستوفيه النظر ويبحث عنه ، مرجعا محاسن الكلام جميعها إليها ، فقال : « وأوّل ذلك وأولاه وأحقه بأن يستوفيه النّظر ويتقصاه ، القول : على التشبيه والتمثيل والاستعارة ، فإنّ هذه أصول كبيرة ، كأنّ محاسن الكلام إن لم نقل : كلّها متفرعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأنّها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها »«[2846]» .

[2845] ــ الصناعتين : ص 243.

[2846] ــ أسرار البلاغة : ص 15 ــ 16

كما جعل من لم يقف عليه ويتشرف بمعرفته بمثابة الضعيف الهمة في طلب الحقائق والفضائل ، والرّاضي بالدون ، فقال : « من لم يقف عليها كان قصير الهمة في طلب الحقائق ، ضعيف المنّة في البحث عن الدقائق ، قليل التوق إلى معرفة اللّطائف ، يرضى بالجمل والظواهر ، ويرى ألا يطيل سفر الخاطر ...»«[2847]» .

ومن خلال هذه النقول عن أئمة البلاغة تبيّنت منزلة التشبيه وظهرت مكانته من بين الأساليب العربية وما له من أثر عظيم في تحسين الكلام وتأكيده وزيادته وضوحا . وبعد بيان هذا سأنتقل للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول هذا الفنّ بغية الوقوف على منهجهم في التعرض له عند تفسير الآيات القرآنية .

ـــ المطلب الثالث : التشبيه في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾«[2848]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « المثل هنا : بمعنى الشبه ، ومعناها : شبه ما يتصدّق به الكافر كشبه ريح فيها صر ، وهو البرد الشديد ، «أصابت حرث قوم » أي : زرعهم الذي أملوا إدراكه ، كما أمل الكفار وجود عملهم في الآخرة »«[2849]».

يشير الإمام مكي ـــ رحمه الله ـــ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية ، حيث أخبر في ابتداء تفسيره لها أنّ المثل يراد به الشبه . ثمّ بيّن حقيقة التشبيه فذكر أنّ المولى سبحانه وتعالى شبّه ما ينفقه الكفار من أموال في الحياة الدنيا كمثل أو شبه ريح فيها برد شديد ضرب وأصاب حرث

[2847] ـــ أسرار البلاغة : ص 16.

[2848] ـــ سورة آل عمران : الآية 117.

[2849] ـــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص 1103 .

قوم ظالمين فلم يعد عليهم ذلك الزرع والحرث بنفع فيما أمّلوا وطمعوا ، وكذلك هؤلاء الكفار لم يعد عليهم نفع فيما أنفقوا من أموال في الحياة الدنيا.

والملاحظ على تحليل الإمام مكي ــ رحمه الله ــ لهذا التشبيه أنّه اكتفى بوصف عام له بيّن في ذلك طرفا التشبيه ــ المشبّه والمشبه به ــ مع وجه الشبه ،ولم يتعرض لنوع هذا التشبيه باعتبار وجه الشبه أو طرفيه .

وهذا التشبيه الوارد في الآية هو تشبيه تمثيلي باعتبار وجه الشبه . والتشبيه التمثيلي عند البلاغين ما كان وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور . وهذا التعريف صادق على هذا التشبيه الوارد في الآية ، وذلك أنّ تشبيه نفقة الكفار بحال حرث قوم ظالمين أصاب حرثهم ريح فيها برد شديد فأهلكته منتزع من متعدد ، وهو عدم النفع والإغناء وقلة الجدوى وعدم حصول المرام والمطلوب ، مع ما يصحب ذلك من الحسرة والخذلان على فوات المطلوب . كما أنّ هذا التشبيه باعتبار طرفيه من تشبيه المعقول بالمحسوس الذي يعرف عند البلاغين بإخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، ومعناه أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا ،ففي الآية تشبيه الإنفاق الذي هو عقلي بالريح التي هي حسية .

هذا وقد أشار إلى هذا التشبيه الإمام الزمخشري ، حيث قال «[2850]»: « شبّه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسّه البرد ، فذهب حطاما . وقيل : هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم ، وقيل : ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنّهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله . وشبّه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأنّ الهلاك عن سخط أشدّ و أبلغ ، فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصّر . والكلام غير

[2850] ــ الكشاف : ج 1 ، ص 433

مطابق للغرض . حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح ، قلت: هو من التشبيه المركب الذي مرّ في قوله : «كمثل الذي استوقد نارا »«[2851]» ...».

وقد تعرّض الشيخ الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ لهذا التشبيه وعلق عليه قائلا : « ضرب لأعمالهم المتعلقة بالأموال مثلا فشبّه هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرها المخيب آخرها . حين يحبطها الكفر ، بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ، تشبيه المعقول بالمحسوس ، ولما كان التشبيه تمثيليا لم يتوخ فيه موالاة ما شبّه به إنفاقهم لأداة التمثيل ، فقيل : كمثل ريح ، ولم يقل : كمثل حرث قوم »«[2852]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾«[2853]».

قال ــ رحمه الله ــ : « هذا مثل ضربه الله لصدر الكافر في شدة ضيق صدره عن قبول الإسلام ، ونفوره عنه ، فهو بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه ، كما أنّ من تكلف صعود السماء تكلف ما لا يطاق »«[2854]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية . وقد عبّر عنه بالمثل ، حيث أخبر أنّ الله تعالى ضرب هذا المثل مريدا به تشبيه صدر الكافر في شدة ضيقه عن قبول الإسلام بحال من تكلّف صعود السماء . فلا ريب أنّ من رام صعود السماء رام أمرا مستحيلا لا طاقة له به . فكذلك حال من لم يقبل هدى الإسلام وضاق صدره ضيقا حرجا منه فقد تكلف بذلك ما لا طاقة له به .

[2851] ــ سورة البقرة : الآية 17

[2852] ــ التحرير والتنوير : ج 4، ص 61

[2853] ــ سورة الأنعام : الآية 125

[2854] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، ص 2180 .

والملاحظ على تحليل الإمام مكي ـ رحمه الله ـ لهذا التشبيه أنّه اكتفى فيه بوصف عام بيّن فيه طرفي التشبيه المشبه والمشبه به دون أن يبيّن نوعه . وهذا التشبيه الوارد في الآية هو تشبيه تمثيلي لأنّ وجهه وصورته عبارة عن وصف منتزع من متعدد فحال من أعرض عن قبول هدى الإسلام فضاق صدره ضيقا حرجا كحال من كلف الصعود إلى السماء «[2855]» والوجه الجامع بينهما ـ أي المشبه والمشبه به في الآية هو تكلف ما لا يطاق والخروج عن دائرة الاستطاعة .

هذا وقد نبّه على هذا التشبيه وعبّر عنه بلفظ المثل الإمام الطبري ، حيث قال : « وهذا مثل من الله تعالى : ذكره ، ضربه لهذا الكافر في شدّة تضيقه إيّاه عن وصوله إليه . مثل امتناعه من الصعود إلى السماء . وعجزه عنه ،لأنّ ذلك ليس في وسعه»«[2856]» .

وقد ذكر لفظ التشبيه في الآية الإمام القرطبي فقال :« شبّه الله الكافر في نفوره من الإيمان . وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه ، كما أنّ صعود السماء لا يطاق »«[2857]». كما نبّه على هذا التشبيه وعلّق عليه الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال : « مثّل حال المشرك حين يدعى إلى الإسلام أو حين يخلوا بنفسه ، فيتأمل في دعوة الإسلام بحال الصاعد ، فإنّ الصاعد يضيق تنفسه في الصعود . وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة ، لأنّ الصعود في السماء غير واقع »«[2858]».

[2855] ـ ينظر : إعراب القرآن وبيانه ،محي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، ط4 ، دمشق ، دار اليمامة ، 1403 هـ ، ج 3، ص 221

[2856] ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن : ج 12، ص 109

[2857] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 7 ، ص 82

[2858] ـ التحرير والتنوير : ج 8، ص 60

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾»«[2859]» .

قال ـ رحمه الله ـ هذا مثال ضربه الله لأعمال الكفار ، أي : والذين جحدوا آيات الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا مثل سراب ، و السراب ما لصق بالأرض وذلك يكون نصف النهار ، وحين يشتد الحر ، وإذا أرئي من بعد ظنّ أنّه ماء ، والآل ما رأيت أوّل النهار وآخره الذي يرفع كل شيء ... و « يحسبه الظمآن ماء »، أي يحسب العطشان ذلك السراب ماء حتّى إذا جاء السراب ليشرب منه لم يجده شيئا ، وقيل : المعنى جاء موضع السراب ، لأنّ السراب ليس بشيء ، وكذلك الكافر بالله ، عمله يحسب أنّه ينجيه عند الله من عذابه ، حتّى إذا هلك وجاء وقت حاجته إلى عمله لم يجده شيئا يفعله إذا كان على كفر بالله»«[2860]».

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لتضمن هذه الآية لفنّ التشبيه معبّرا عنه بلفظة « هذا مثال » فهو يطلق لفظة المثل ويريد به التشبيه ، حيث أخبر أنّ الله تعالى ضرب هذا المثل لبيان أعمال الكافر التي يعملها في الدنيا معتقدا نفعها له حتّى إذا جاء يوم القيامة حيل بينه وبين تلك الأعمال فلم تعد عليه بنفع وخاب أمله فيما أمل ، بل على النقيض من ذلك وجد الله فوّفاه حسابه الذي استحقه نظير عمله ، فحاله كحال الظمآن الذي أنهكه العطش وبلغ به مبلغا شديدا فيرى سرابا يحسبه ماء . حتّى إذا بلغه ليروي ظمأه لم يجده شيئا .

والملاحظ على تحليل الإمام مكي ـ رحمه الله ـ لهذا التشبيه أنّه اكتفى فيه بوصف عام بيّن فيه طرفي التشبيه المشبه والمشبه به دون أن يبيّن نوعه . وهذا التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه تمثيلي . ووجه الشبه فيه هو فوات المطلوب وعدم حصول المأمول والانتفاع بما رجي نفعه . كما أنّ هذا

[2859] ـ سورة النور: الآية 39

[2860] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 8 ، ص 5120 ـ 5121 .

التشبيه وقع فيه إخراج ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه أخرج ما لا يحس ــ وهو الإيمان ــ إلى ما يحس وهو السراب والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدّة الحاجة وعظم الفاقة «[2861]»

هذا وقد ذكر وقوع التشبيه في الآية الشيخ الطاهر بن عاشور وعلّق عليه بقوله : « فتشبيه الكافرين وأعمالهم تشبيه تمثيلي : شبّهت حالهم كدّهم في الأعمال وحرصهم على الاستكثار منها مع ظنّهم أنّها تقرّبهم إلى رضى الله ثمّ تبيّن أنّها لا تجديهم . بل يلقون العذاب في وقت ظنّهم الفوز : شبّه ذلك بحالة ظمئان يرى السراب فيحسبه ماء فيسعى إليه فإذا بلغ المسافة التي خال أنّها موقع الماء لم يجد ماء ووجد هناك غريما يأسره ويحاسبه على ما سلف من أعماله السيئة .واعلم أنّ الحالة المشبهة مركبة من معقول ومحسوس و الحالة المشبه بها محسوسة ، أي داخلة تحت إدراك الحواس »«[2862]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾«[2863]»

قال ــ رحمه الله ــ : «هذا مثل للمؤمن والكافر ، فالكافر يعبد أربابا كثيرة مختلفين من الشياطين والأصنام فهو بينهم مقسم، وجميعهم مشتركون فيه ، والمؤمن يعبد الله وحده لا شرك لأحد فيه ، قد تسلم له عبادته ، فهو سا لم من الإشراك ».«[2864]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ لوجود فنّ التشبيه في الآية معبرا عنه كعادته بلفظة المثل . فقد أخبر أنّه سبحانه وتعالى ضرب هذا المثل للمؤمن والكافر في العبادة ، فالكافر يعبد آلهة كثيرة هو متردد ومنقسم بينها وهم مشتركون فيه . والمؤمن يعبد إلها واحد فهو سا لم ممّا يجده الكافر في عبادته .

[2861] ــ ينظر: البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، ج 3، ص421 ، و معترك الأقران : السيوطي ، ص 206

[2862] ــ التحرير والتنوير : ج 18 ، ص 251

[2863] ــ سورة الزمر : الآية 29

[2864] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، ص 6332 .

والذي يظهر من تحليل الإمام مكي ــ رحمه الله ــ لهذا التشبيه أنّه أغفل ذكر المشبّه به ووجه الشبه . ولم ينصّ على نوع التشبيه، و التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه تمثيلي ، حيث شبّه المولى سبحانه وتعالى المشرك الذي يعبد آلهة كثيرة بحال العبد المملوك الذي يملكه أسياد كثر وقع بينهم خلاف فتردد في شأنهم فلم يدر من يطع ومن يتبع فكذلك حال الذي يعبد آلة كثيرة فهو منقسم بينهم متردد وحائر أيّهم يطيع . فالوجه الجامع بينهما هو التردد والحيرة ، وشبّه سبحانه وتعالى المؤمن الذي يعبد إلها واحد بمثل العبد المملوك لسيد واحد فهو يطيعه ولا يتردد في ذلك فهو مطمئن في نفسه . وكذلك حال المؤمن الموحد فهو يعبد إلها واحد مطمئن إليه لا تعترضه حيرة ولا تردد في ذلك . والوجه الجامع بينهما هو الاطمئنان ، وقد بيّن الإمام الزمخشري ــ رحمه الله ــ مقصود التشبيه في الآية ، حيث قال: « والمراد : تمثيل حال من يثبت آلهة شتّى ، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته ، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا ، كما قال تعالى : «﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾«[2865]» . ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيّهم يعبد ؟ وعلى ربوبيتهم أيهم يعتمد ؟ وممّن يطلب رزقه ؟ وممّن يلتمس رفقه؟ فهمّه شعاع وقلبه أوزاع ، وحال من لم يثبت إلاّ إلها واحدا ، فهو قائم بما كلفه ، عارفا بما أرضاه وبما أسخطه . متفضل عليه في عاجله ، مؤمل للثواب من أجله ...»«[2866]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾«[2867]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أولئك ينادون من مكان بعيد » هذا تشبيه لبعد قلوبهم عن الحق والموعظة ، والعرب تقول للرجل البعيد الفهم : «إنّك لتنادي من بعد» ، ويقولون للفهيم : « إنّك لتأخذ الأمر من قريب »«[2868]»

[2865] ــ سورة المؤمنون : الآية 91

[2866] ــ الكشاف : ج 4، ص 128.

[2867] ــ سورة فصلت : الآية 44.

[2868] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 10 ، ص 6540 .

يفهم من هذا النّص أنّ الإمام مكي ــ رحمه الله ــ يرى في جملة :« أولئك ينادون من مكان بعيد » تشبيه ، فقد أخبر أنّها تشبيه لبعد قلوبهم عن الحق والموعظة ـ أي موعظة القرآن ـ وقد عضّد ما ذهب إليه بما ذكره عن العرب من أنّها تقول للرجل البعيد الفهم إنّك لتنادي من بعد وتقول للرجل القريب الفهم :« إنّك لتأخذ الأمر من قريب » . والذي يظهر حسب مقتضيات الصناعة البلاغية أنّ ما في هذه الجملة استعارة تمثيلية وليس تشبيها ، فقد شبّهت صورتهم في بعد قلوبهم عن قبول الحق ومواعظ القرآن وعدم الانتفاع بذلك بصورة من ينادى ويدعى من مكان بعيد فيسمع الصوت ولا يفقه المعنى المراد منه . والجامع هو عدم السماع والانتفاع ، فوجه الشبه في هذه الحالة منتزع من متعدد . وهذه هي حقيقة الاستعارة التمثيلية .

هذا وقد اكتفى كثير من المفسرين بذكر لفظ المثل أو التمثيل في الآية ولم يصرّحوا بلفظ الاستعارة فيها منهم الإمام الزمخشري والإمام البيضاوي«[2869]» والإمام أبو السعود«[2870]» والشيخ الطّاهر بن عاشور «[2871]».

وفي ختام الحديث عن النماذج الموردة من تفسير الإمام مكي والتي تعرض فيها لفنّ التشبيه اتضح أنّ منهجه وطريقته في التنبيه عليه غالبا اتسم بالإشارة العابرة غير الدقيقة التي تفتقر إلى التحليل والشرح والإيضاح ، حيث يصرح في بيانه للآية المتضمنة للتشبيه أنّ فيها مثلا بقوله : «هذا مثل » أو « هذا تشبيه »وإن غلّب لفظة المثل على التشبيه ، ثمّ يزيد بعد تصريحه بوجود التشبيه على شرحه شرحا مقتضبا يبيّن فيه على الغالب طرفي التشبيه ولا يذكر وجه الشبه أو نوع هذا التشبيه وتعريفه . كما لا يصرّح بفائدته ووظيفته والناحية الجمالية التي أضفاها على النّص القرآني ، كما يظهر عليه عدم ضبط للصور البيانية فوقع عنده خلط بينها، حيث أشار إلى وجود تشبيه في المثال الأخير وهو متضمن للاستعارة ممّا يؤكد عدم تبلور تلك المفاهيم واتضاحها في تلك الفترة

2869 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل :ج ، ص

2870 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 7، ص 253

2871 ـ التحرير والتنوير : ج 23، ص 400 ـ 401

بالشكل الذي استقرت عليه فيما بعد ويعد هذا من الأعذار التي تلتمس له ، فهذه هي أهم المعالم التي ميّزت منهجه في الإشارة لتشبيهات القرآن.

ـــ المطلب الرابع : التشبيه في تفسير الإمام ابن عطية

عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾«[2872]»

قال ــ رحمه الله ــ : « المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلاّ دعاءه ونداءه ، ولا تفقه ما يقول هكذا فسّر ابن عباس وعكرمة والسّدي وسيبويه ... وقال قوم : إنّما وقع هذا التشبيه براعي الضأن لأنّها من أبلد الحيوان فهي تحمق راعيها وفي المثل : أحمق من راعي ضأن ثمانين ، وقد قال دريد لمالك بن عوف في يوم هوزان راعي ضأن والله ، وقال الشاعر :

أصبحت هزءا لراعي الضأن يهزأ بي ماذا يريبك مني راعي الضأن «[2873]»

فمعنى الآية : أنّ هؤلاء الكفرة يمر الدعاء على آذانهم صفحا يسمعونه ولا يفقهونه ، إذ لا ينتفعون بفقهه ...»«[2874]».

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لوقوع تشبيه فيها . وذلك في تشبيه المولى جلّ وعلا داعي وواعظ الكفار للهدى والإيمان بحال الراعي الذي يدعوا وينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلاّ نداءه ودعاءه وهي لا تعقل ولا تفهم شيئا . ولم يذكر الإمام ابن عطية نوع هذا التشبيه الوارد في الآية . وهو تشبيه تمثيلي لأنّ وجه الشبه فيه وهو عدم الفهم والعقل هيئة منتزعة من أمور متعددة ، وفي كلام الإمام ابن عطية إشارة لا حتمال أنّ يكون هذا التشبيه من

2872 ـ سورة البقرة : الآية 171 .

2873ـ البيت لأمية بن الأسكر : ينظر : الأغاني ، الأصفهاني ،ج 10 ، ص 19

2874 ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 224 .

تشبيه متعدد بمتعدد أو تشبيه مفرد بمفرد ودليل الأول قوله : «المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلاّ دعاءه ونداءه ، ولا تفقه ما يقول»«[2875]» والمعنى تشبيه الدّاعي للكفار والكافرين بالناعق للغنم والغنم . ودليل الثاني قوله : «وقال قوم : إنّما وقع هذا التشبيه براعي الضأن لأنّها من أبلد الحيوان فهي تحمق راعيها» والمعنى تشبيه داعي الذين كفروا بالذي ينعق . وقد ذكر الإمام أبوحيان عدة أوجه في هذا التشبيه وقدّره بعدة تقديرات فممّا قال في ذلك : « وهذه الآية لا بدّ في فهم معناها من تقدير محذوف . واختلفوا، فمنهم من قال : المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق . ومنهم من قال : هو مضروب بتشبيه الكافر بالمنعوق به . ومنهم من قال : هو مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق . ومنهم من قال : هو مضروب بتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به ...»«[2876]» .

ونصّ الشيخ الطاهر بن عاشور على أنّ التشبيه الواقع في الآية تشبيه تمثيلي ، حيث قال : « ... وعليه فالتقديرات الواقعة للمفسرين هنا تقادير لبيان المعنى ، والآية تحتمل أن يكون المراد تشبيه حال المشركين في إعراضهم عن الإسلام بحال الذي ينعق بالغنم ، أو تشبيه حال المشركين في إقبالهم على الأصنام بحال الداعي للغنم ، وأيّا ما كان فالغنم تسمع صوت الدعاء والنداء ولا تفهم ما يتكلم به الناعق ، والمشركون لم يهتدوا بالأدلة التي اهتدى بها النبي صلى الله عليه وسلم فيكون قوله : إلاّ دعاء ونداء من تكملة بعض أوصاف أجزاء المركب التمثيلي في جانب المشبه به ...»«[2877]».

[2875]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 224.

[2876]ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 656 .

[2877]ـ التحرير والتنوير : ج 2 ، ص 112

في تفسير قوله تعالى :﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[2878]»

قال ــ رحمه الله ــ : «« وحرث » تشبيه لأنّهن مزدرع الذرية ، فلفظة الحرث تعطي أنّ الإباحة لم تقع إلاّ في الفرج خاصة إذ هو المزدرع »«[2879]».

يفهم من هذا النّص عن الإمام ابن عطية أنّه يقر بوجود تشبيه في هذه الآية وبالضبط في لفظة حرث مخبرا أنّ النساء مزدرع الذرية لذلك شبّهن بالحرث ، والملاحظ عليه أنّه اكتفى فقط بذكر التشبيه دون بيان نوعه وذكر الوجه الجامع بين المشبّه والمشبّه به . فهي إشارة عابرة منه لهذا التشبيه ، والذي يظهر حسب أصول الصناعة البلاغية أنّ هذا التشبيه هو تشبيه بليغ الذي يعرّفه البلاغيون بأنّه ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه ، فالأداة هنا محذوفة وتقديرها : نساؤكم كالحرث لكم ، ووجه الشبه هو أنّ كلا منهما مصدر للإلقاء وما يحصل منه ، فالأرحام تلقى فيه النطف . والأرض تلقى فيها البذور .

هذا وقد نقل الإمام القرطبي قول الإمام ابن عطية وزاده توضيحا لهذا التشبيه فقال: « وحرث تشبيه لأنّهنّ مزدرع الذرية ، فلفظ الحرث يعطي أنّ الاباحة لم تقع إلاّ في الفرج خاصة ، إذ هو المزدرع وأنشد ثعلب : إنّما الأرحام أرض ونحن لنا محترثات

فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

ففرج المرأة كالأرض ، والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات ، فالحرث بمعنى المحترث »«[2880]» .وقد نصّ كل من الشيخ عبد الرحمان صافي «[2881]» ومحي الدين درويش «[2882]» على تضمن الآية للتشبيه البليغ .

[2878] ــ سورة البقرة : الآية 223 .

[2879] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 287 .

[2880] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 3 ، ص 93

[2881] ــ الجدول في إعراب القرآن ، ط 4 ، دمشق ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان ، 1418 هـ ، ج 2، ص 466.

[2882] ــ إعراب القرآن وبيانه :ج 1 ، ص 333.

في تفسير قوله تعالى :﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ «[2883]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ونرد على أعقابنا » تشبيه ، وذلك أنّ المردود على العقب هو أن يكون الإنسان يمشي قدما وهي المشية الجيدة ، فيرد يمشي القهقرة ، وهي المشية الدنية فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير إلى شرّ ، ووقعت في هذه الآية في تمثيل الرجع من الهدى إلى عبادة الأصنام »«[2884]».

يشير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود تشبيه في هذه الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه من يرجع من طريق الخير إلى طريق الشر أو من طريق الهدى إلى طريق الضلال بحال وهيئة من يرجع في مشيته على عقبه وطرفة أي يرجع ماشيا على ورائه من حيث أتى ،. وهذا التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه تمثيلي باعتبار وجه الشبه لأنّه وصف منتزع من متعدد . وذلك أنّ الآية شبهت خوف رجوع المؤمنين في الكفر بعد مخالطة بشاشة الإيمان لقلوبهم بحال وهيئة من مشى في أمر ثمّ رجع أدراجه على أعقابه دون أن يكمل ما مضى فيه . وهذا الوجه وصف منتزع من متعدد . والوجه الجامع بين المشبّه والمشبّه به هو الرجوع من حق إلى باطل أو من خير إلى شر ، وقد علّق على هذا التشبيه كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي ،حيث قال : « ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا إلى الإسلام ؟ ويقال : لكل من أعرض عن الحق إلى الباطل أنّه رجع إلى الخلف ، ورجع على عقبيه ورجع إلى القهقرى ، والسبب فيه أنّ الأصل في الإنسان هو الجهل ، ثمّ إذا ارتقى وتكامل حصل له العلم ... فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى ، فكأنّه رجع إلى أول مرّة ، فلهذا السبب يقال : فلان رد عقبيه »«[2885]» .

[2883] ـ سورة الأنعام : الآية 71 .

[2884] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 361 .

[2885] ـ مفاتح الغيب : ج 13، ص 27 .

وقد ذكر لفظ التمثيل على الآية الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال: « ... وعقب كل شيء طرفه وآخره . ويقال : رجع على عقبه وعلى عقبيه ونكص على عقبيه بمعنى رجع إلى المكان الذي جاء منه ، لأنّه كان جاعلا إيّاه وراءه فرجع . وحرف على فيه للاستعلاء ، أي رجع على طريق جهة عقبه ، كما يقال : رجع وراءه ، ثمّ استعمل تمثيلا شائعا في حال التلبس بحالة ذميمة كان فارقها صاحبها ثمّ عاد إليها وتلبس بها ، وذلك أنّ الخارج إلى سفر أو حاجة ، فإنّما يمشي إلى غرض يريده ، فهو يمشي القدمية ، فإذا رجع قبل الوصول إلى غرضه فقد أضاع مشيه . فيمثل حال بحال من رجع على عقبيه . وفي الحديث : «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم »«[2886]». فكذلك في الآية هو تمثيل الحال المرتد إلى الشرك بعد أن أسلم بحال من خرج في مهم فرجع على عقبيه ولم يقض ما خرج له . وهذا أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال : ونرجع إلى الكفر بعد الإيمان »«[2887]».

في تفسير قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾«[2888]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وشبهت أعمال الكفرة ومساعيهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها بالرماد الذي تذروه الرياح وتفرقه بشدتها حتّى لا يبقي أثر ولا يجتمع من شيء ووصف اليوم بالعصوف وهي من صفة الريح بالحقيقة لما كانت في اليوم ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

لقد لمتنا يا أمّ غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم «[2889]» ... ، فأعمال الكفرة لتلاشيها لا يقدرون منها على شيء »«[2890]».

[2886]ـ أخرجه البخاري : كتاب الجنائز ، باب رثي النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم 1233 ، ج 1 ، ص 435 ، عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -

[2887] ـ التحرير والتنوير : ج 7، ص 300 .

[2888] ـ سورة إبراهيم : الآية 18 .

[2889]ـ البيت لجرير : ينظر : خزانة الأدب ، الحموي ، ج1 ، ص 443

[2890] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، 332 ـ 333.

يشير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوقوع التشبيه في هذه الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه أعمال الكفار في بطلانها وفسادها وقت الحاجة إليها بحال الرماد الذي فرّقته الرياح فتلاشى وتطاير حتّى لم يبقى منه شيء . ويلحظ على هذه الإشارة من الإمام ابن عطية لهذا التشبيه أنّه اكتفى بذكر المشبّه وهم الكفار و أعمالهم . و المشبّه به وهو الرماد . والوجه الجامع بينهما وهو بطلان الأعمال وفسادها كما أنّ الرياح تفرق الرماد وتلاشيه ولم يشر إلى نوع هذا التشبيه وهو تشبيه تمثيلي باعتبار وجه الشبه لأنّه وصف منتزع من متعدد . والمشبه فيه مركب وهم الكفار وأعمالهم . ووجه الشبه مفرد وهو الرماد . والوجه الجامع بينهما هو التفريق والإبطال ،. وهو كذلك من تشبيه المعقول بالمحسوس باعتبار طرفيه فقد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة وهو المشبّه الذي هو عقلي ـــ أي الكفار وأعمالهم ـ إلى ما تقع عليه الحاسة وهو المشبّه به الذي يكون حسيا ـ أي الرماد ـ .

هذا وقد نصّ على التشبيه التمثيلي في الآية الشيخ الطاهر بن عاشور«[2891]» والشيخ عبد الرحمان صافي «[2892]» ومحي الدين درويش «[2893]» فيما نقلاه عن الإمام الزمخشري وزادوا عليه توضيحا ، وأشار إلى تشبيه المعقول بالمحسوس الإمام الزركشي «[2894]»والإمام السيوطي«[2895]» .

[2891] ـ التحرير والتنوير : ج 13، ص 212

[2892] ـ الجدول في إعراب القرآن : ج 13، ص 174

[2893] ـ إعراب القرآن وبيانه : ج 5، ص 174

[2894] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3، ص 420 .

[2895] ـ معترك الأقران : ص 204 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا ﴾«[2896]».

قال ــ رحمه الله ــ : « شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد أو يبرم عقدة بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكما ، وشبّه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذ نقضت قوى ذلك الغزل فحلته بعد إبرامه ، ويروى أنّ امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ريطة بنت سعد كانت تفعل ذلك ، فبها وقع التشبيه قاله عبد الله بن كثير والسدي »«[2897]».

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لتضمن هذا الآية لفنّ التشبيه مخبرا أنّه سبحانه وتعالى : شبّه الذي يأخذ عهدا ثمّ ينكثه أو يبرم عهدا ثمّ يخلفه بالمرأة التي تقضي نهارها في الغزل . ثمّ تعود آخر الليل فتنقض ما غزلته بالنهار . والظاهر على تحليل الإمام ابن عطية أنّه اكتفى فيه بوصف عام ذكر فيه طرفي التشبيه المشبّه والمشبّه به دون أن يبيّن نوع هذا التشبيه ووجه الشبه فيه . وهذا التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه تمثيلي لأنّ وجه الشبه فيه منتزع من عدة الصفات ، فوجه الشبه حاصله الإفساد بعد الإصلاح فهذه المرأة غزلت ثمّ عادت فنقضت ما غزلت . ولا ريب أنّ الغزل يعود بنفع وصلاح على صاحبه وعلى غيره ، ثمّ نقض هذا الغزل يكون فيه مفسدة بعد ذلك الإصلاح . وكذلك المولى سبحانه وتعالى نهى وحذّر المؤمنين أن يكونوا مثل هذه المرأة فيرجعوا إلى الكفر بعد أن خالط قلوبهم بشاشة الإيمان وقذف في قلوبهم نوره ، فالعهد المأخوذ عليهم هو الإيمان ونقضه هو الكفر ، وفي هذا يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : « فالتي نقضت غزلها امرأة تسمى ريطة بنت سعد التيمية من بني تيم من قريش ، وعبّر عنها بطريق الموصولية لاشتهارها بمضمون الصلة . ولأنّ مضمون الصلة ، وهو الحال المشبه بها في هذا التمثيل ، ولأنّ القرآن لم يذكر فيها الاسم بالعلم إلاّ من اشتهر بأمر عظيم مثل جالوت وقارون ، وذكر من قصتها أنّها كانت امرأة خرقاء مختلة العقل ، ولها جوار ، وقد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنّارة مثل

[2896]ــ سورة النحل : الآية 92 .

[2897]ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 422.

أصبع وفلكة عظيمة على قدر ذلك ، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ، ثمّ تأمرهن فتنقضن ما غزلته ، وهكذا تفعل كل يوم فكان حالها إفساد ما كان نافعا محكما من عملها وإرجاعه إلى عدم الصلاح ، فنهوا عن أن يكون حالهم كحالها في نقضهم عهد الله . وهو عهد الإيمان بالرجوع إلى الكفر وأعمال الجاهلية . ووجه الشبه الرجوع إلى فساد بعد التلبس بصلاح »«[2898]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾«[2899]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ووصف الليل باللباس تشبيها من حيث يستر الأشياء ويغاشاها »«[2900]».

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود التشبيه في قوله تعالى : « وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا » مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه الليل باللباس لكونه يستر الأشياء ويغشاها . وقد نقل الإمام ابن عطية هذا الكلام عن الإمام الطبري «[2901]».وهذا التنبيه من الإمام ابن عطية للتشبيه لم يبين فيه نوعه ، وهو من التشبيه البليغ والوجه الجامع بين المشبّه والمشبّه به هو الستر . وقد نصّ الشيخ الطّاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ عليه في تفسيره ، حيث قال معلقا على هذه الآية : « ولباسا مشبّه به على طريقة التشبيه البليغ ، أي ساترا لكم يستر بعضكم عن بعض . وفي هذا الستر منن كثيرة لقضاء الحوائج التي يجب إخفاؤها »«[2902]».

[2898] ــ التحرير والتنوير : ج 14 ، ص 264 .

[2899] ــ سورة الفرقان : الآية 47 .

[2900] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 258 .

[2901] ــ جامع البيان في تأويل آي القرآن : ج 19، ص 278

[2902] ــ التحرير والتنوير : ج 19، ص 44 ـ 45

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾«[2903]».

قال ــ رحمه الله ــ : «وقوله تعالى: « كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ » اختلف الناس في معناه فقالت فرقة شبه بثمر شجرة معروفة يقال لها « رؤوس الشياطين » وهي بناحية اليمن يقال لها الأستق وهو الذي ذكر النابغة في قوله: تحيد من أستق سودا أسافله ويقال : إنه الشجر الذي يقال له الصوم وهو الذي يعني ساعدة بن جوبة في قوله:

موكل بشدوق الصوم يرقبهامن المغارب مخطوف الحشا زرم

وقالت فرقة شبه ب « رؤوس » صنف من الحيات يقال لها الشياطين وهي ذوات أعراف ومنه قول الشاعر:

عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف «[2904]»

قالت فرقة: شبه بما استقر في النفوس من كراهة « رؤوس الشياطين » وقبحها وإن كانت لم تر وهذا كما تقول لكل شعث المنتفش الشعر الكريه المنظر هذا شيطان ونحو هذا قول امرىء القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعيومسنونة زرق كأنياب أغوال »«[2905]».

يشير الإمام ابن عطية في هذا النّص لاختلاف أقوال المفسرين واللغوين في حاصل هذا التشبيه ومقصوده ، مخبرا أنّ منهم من قال بأنّ التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه طلع شجرة الزقوم بثمر شجرة معروفة ، يقال لها : رؤوس الشياطين وتسمى الأستق تنبت بأرض اليمن . وهذه الشجرة ذكرها الشعراء القدامى في شعرهم ، ومنهم من قال بأنّه شبّه طلع شجرة الزقوم برؤوس نوع من الحيات تسمى الشياطين ، ومنهم من ذهب إلى أنّ التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه طلع شجرة الزقوم بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين لأنّ صورهم قبيحة في النفوس مؤكدا قول هذه الفرقة بما أورده عن امرئ القيس من شعر ، غير أنّه لم يذكر رأيا راجحا من بين الأقوال والآراء التي أوردها .

[2903] ــ سورة الصافات : الآيتان 64 ـ 65 .

[2904] ــ البيت منسوب للفراء : ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، الأنباري ، ج 1 ، ص 35

[2905] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 445 ـ 446

وما ذكره ابن عطية من اختلاف العلماء والمفسرين في حقيقة هذا التشبيه قد تعرّض له القدامى من أساطين البلاغة كالجاحظ وابن رشيق وغيرهم . وقد فصّل الجاحظ ـ رحمه الله ـ القول في نوع هذا التشبيه ووجه وجلاّه . وعلى رأيه وقوله كان المعوّل عند المتأخرين من البلاغيين والمفسرين ، حيث قال معلقا عليه في موضع : « وليس أنّ النّاس رأوا شيطانا قط على صورة . ولكن لما كان الله تعالى جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهيته . وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين . وعند جميع الأمم على خلاف طباع جميع الأمم . وهذا التشبيه أشبه من قول من زعم من المفسرين أنّ رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن »، وقال في موضع آخر : « فزعم أناس أنّ رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه . والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير وقالوا : ما عني إلاّ رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الشياطين . ومردتهم ، فقال : أهل الطعن والخلاف : ليس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق . ومخرج الكلام يدل على أنّ التخويف بتلك الصورة والتفزيع منها ، وعلى أنّه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره . فكيف يكون الشأن كذلك والنّاس لا يفزعون إلاّ من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صورّه لهم واصف صدوق اللسان بالغ في الوصف ونحن لم نعافيها ولا صوّرها لنا صادق ، وعلى أنّ أكثر الناس من هذه الأمم لم تعايش أهل الكتابين وحملة القرآن من المسلمين . ولم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك ، ولا يقفون عليه ولا يفزعون منه فكيف يكون ذلك وعيدا عاما؟ قلنا : وإن كنّا نحن لم نر شيطانا قط ، ولا صوّر رؤوسها لنا صادق بيده ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتّى صاروا يضعون ذلك في مكانين أحدهما: أن يقولوا : لهو أقبح من الشيطان والوجه الآخر : أن يسمى الجميل شيطانا على جهة التطير ، كما تسمى الفرس الكريمة شوهاء ، والمرأة الجميلة صمّاء وقرناء وخنساء وجرباء وأشباه ذلك على جهة التطير ، ففي إجماع العرب والمسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنّه في الحقيقة أقبح من كل قبيح »[2906] « .

[2906] ـ الحيوان : ط 1 ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، 1416 هـ ـ 1996 م ، ج 6، ص 211 ـ 212 ـ 213

وقد ذكر الإمام ابن رشيق قول من قال بأنّ المراد برؤوس الشيطان شجرة الأستق التي تنبت بأرض اليمن ، ثمّ رجح أن يكون الأجود في هذا التشبيه هو أنّه أريد به تشبيه ما هو أقبح وأنكر في الصورة ورجح الذي ذهب إليه الإمام الجاحظ «[2907]»

وهذا التشبيه الوارد في الآية والذي فصّله الإمام الجاحظ أطلق عليه المتأخرون من أئمة البلاغة اسم التشبيه التخيلي ، وهو ما كان في وجه فيه لا يوجد إلاّ بالتخييل . وهو من تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد فإنّ إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة «[2908]» فالمولى سبحانه وتعالى شبّه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين ورؤوسهم عند الناس غير معروفة ولا يتوصل لإدراكها إلاّ بصورة متخيلة في الذهن ولا شك ولا ريب أنّ الطباع مألوفة على أنّ الشياطين قبيحة المنظر ، فشبهت بها شجرة الزقوم مبالغة في تقرير قبح وبشاعة ذلك المنظر ، فوجه الشبه هنا لا يدرك إلاّ بصورة تخيلية في الذهن .

هذا وقد أشار إلى هذا التشبيه وتخريجه بهذه الصورة كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري«[2909]» والرازي«[2910]» والبيضاوي«[2911]» وابن جزي«[2912]» وأبو حيّان«[2913]» و الشيخ الطاهر بن عاشور وأحسن هذا الأخير تحليله ، فقال : « ورؤوس الشياطين يجوز أن يكون مرادا بها رؤوس الشياطين بالمعنى المشهور ورؤوس هذه الشياطين غير معروفة لهم ، فالتشبيه بها حوالة على ما تصوره لهم المخيلة ، وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوصف للناس فظيعا بشعا ، وشبهت بشاعته برؤوس الشياطين، وهذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول ... والمقصود منه هنا تقريب حال المشبه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف . ولا كون المشبه كذلك ...»«[2914]».

[2907] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 1 ،ص 288

[2908] ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص440 ، ومعترك الأقران : السيوطي ، 3 ص 233

[2909] ـ الكشاف : ج 4، ص 48

[2910] ـ مفاتح الغيب : ج 26، ص 343

[2911] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج5 ، ص 12

[2912] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2 ، ص 218

[2913] ـ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 348

[2914] ـ التحرير والتنوير : ج 23 ، ص 124

وفي ختام الحديث عن النماذج الموردة من تفسير الإمام ابن عطية والتي تعرض فيها لفنّ التشبيه اتضح أنّ منهجه وطريقته في التنبيه عليه غالبا اتسم بالتصريح بلفظ التشبيه مع ذكر طرفيه في بعض الأحيان المشبه والمشبه به دون إشارة لوجه الشبه كما أنّه لا ينص على نوع هذا التشبيه ولا تعريفه ولا يعرج بذكر الوظيفة الجمالية التي يؤديها والميزة البلاغية الموجودة فيها و مدى تأثيرها على فهم المعنى من الآية ، فهو يكتفي في الغالب بتحليل بسيط يتوقف عليه توضيح التشبيه الوادر في الآية دون العمق في التحليل . ممّا يؤكد عدم اهتمامه بالتحليل الذي يكون عند البلاغيين ولا سيّما المتأخرين وإنّما يكتفي فقط بالتحليل العام الذي تتضح به الصورة البيانية وإن كان هذا المنهج موجود عند كثير من المتأخرين .

المطلب الخامس : التشبيه في كتاب ملاك التأويل للإمام أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى :﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾«[2915]» مع قوله تعالى :﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾«[2916]» تساءل ـ رحمه الله ـ عن حذف المضاف في الموضع الأول ، والإتيان بكاف التشبيه في الموضع الثاني ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « ... أنّ آية آل عمران على حذف المضاف كما تقدّم أي عرضها مثل عرض السموات والأرض ، وقد أفصحت آية الحديد بما يقوم مقام هذا المضاف ويحصل معناه وهو كاف التشبيه إذ معناها معنى مثل ، وحذف المضاف ممّا يكون كثيرا عند قصد المبالغة ، وكذلك جعل الشيء نفس الشيء ، وهو ممّا يتقدّم في آية آل عمران وهو نحو قول الشاعر :

إنّ الربيع والجود و الخريفا   يدا أبي العبّاس والصيوفا «[2917]»

[2915]ـ سورة آل عمران : الآية 133 .

[2916]ـ سورة الحديد : الآية 21 .

[2917]ـ البيت لرؤبة بن العجاج ، ينظر : المقتضب ، المبرد ، ج 2، 124

وهذا كثير ، وإليه يرجع الوارد في قولهم : نهارك صائم وليلك قائم ، وباب ذلك ممّا يقصد به المبالغة ، فيجعل نفس الشيء »«[2918]».

يشير الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيهه للمتشابه بين هاتين الآيتين وإجابته عمّا تساءل عنه أنّ آية آل عمران جاءت على حذف مضاف . فكان تقديرها : مثل «عرض السموات والأرض » وقد أخبر أنّ آية الحديد دلّت على هذا المضاف المحذوف . وذلك أنّ كاف التشبيه فيها قامت مقام المضاف إليه وبهذا يكون التشبيه الوارد في سورة آل عمران هو من التشبيه البليغ الذي تحذف منه الأداة ووجه الشبه ، فالأداة المحذوفة هي الكاف ووجه الشبه في العمق والاتساع . ثمّ تطرق لفائدة وهي فيما يتعلق بالقصد من حذف المضاف مخبرا أنّ الغرض منه هو قصد المبالغة . وهو في هذا يخلط بين التشبيه والمجاز العقلي فحذف المضاف من صور المجاز وليس من التشبيه ، وفي تمثيله أيضا بقولهم : «نهارك صائم وليلك قائم» يخلط بين التشبيه والمجاز فما ذكره هو من المجاز العقلي . وفي إيراده للبيت الشعري الذي ذكره تمثيل لنوع آخر من التشبيه غير المذكور في الآية وهو التشبيه المقلوب لأنّ القصد منه هو تشبيه يدي الممدوح أبو العباس بالأمطار التي تهطل في الخريف والربيع والصيف .

وخلط ابن الزبير ـ رحمه الله ـ بين هذه المفاهيم أرجعه بعضهم لسببين هما :

ـ عدم حرصه على ضبط المصطلحات البلاغية والالتزام بها مع إغراقه في المنهج التطبيقي التحليلي

ـ تركيزه في كلامه على المبالغة «[2919]».

وبالنسبة للتشبيه الواقع في سورة آل عمران فقد أشار إليه بعض المفسرين منهم الشيخ الطاهر بن عاشور الذي قال : « ... ووصف الجنة بأنّ عرضها السموات والأرض على طريقة التشبيه البليغ بدليل التصريح بحرف التشبيه في نظيرتها في آية سورة الحديد »«[2920]»

[2918] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 448 .

[2919] ـ ينظر : البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل ، إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، ط 1، السعودية ـ دار كنوز إشبيلية ، 1431 هـ ـ 2009 م ، ج2 ، ص 447 ـ 448 .

[2920] ـ التحرير والتنوير : ج 4 ، ص 89

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾«[2921]» قال ـــ رحمه الله ـــ : « وأمّا قوله : «فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » فمبني على قوله : « يأيّها النّا س إنّ وعد الله حق »«[2922]» والمراد بهذا العودة الأخراوية فأرى سبحانه مثالا يوضحها لمن تدبر وعقل فقال تعالى : «فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » ثمّ قال : «كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ » والآي قبلها لم يتقدمها مثل ما تقدّم هذه من تحريك الخلق وتخويفهم ، فلم تعقب بمثل ما أعقبت به هذه من تحرير التشبيه وإن كان التشبيه على إحياء الموتى ، ولكنّه ليس كالواقع هنا »«[2923]».

يظهر من تعليق ابن الزبير ـ رحمه الله ـ على هذه الآية الإشارة لتشبيه عبّر عنه بلفظة «مثالا» وقد بيّن أنّ القصد منه هو التوضيح ، أي : توضيح كيفية إحياء الموتى وبعثهم وبيان قدرة الخالق جلّ وعلا على ذلك . وذلك بضرب مثال عن كيفية إحياء الأرض الميتة بالماء ، فيكون المعنى أنّه كما نقدر على إحياء الأرض الميتة كذلك نقدر على إحياء الموتى وبعثهم . وهو الذي قصده سبحانه وتعالى : من قوله : « كذلك النشور » . والتشبيه الواقع في هذه العبارة الأخيرة هو تشبيه مرسل للتصريح بالأداة فيه ووجه الشبه هو في الكيفية والقدرة ، وقد أشار لهذا التشبيه من المفسرين وبيّن وجوهه الإمام أبو حيّان ، حيث قال: « ... والتشبيه وقع لجهات لما قبلت الأرض الميتة الحياة اللائقة بها ، كذلك الأعضاء تقبل الحياة . أو كما أنّ الريح يجمع قطع السحاب ، كذلك تجمع أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء ، أو كما يسوق الرياح والسحاب إلى البلد الميت ، يسوق الروح والحياة إلى البدن »«[2924]».

[2921] ــ سورة فاطر : الآية 9

[2922] ــ سورة فاطر : الآية 5

[2923] ــ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 509 .

[2924] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 289

وفي ختام الحديث عن النماذج الموردة من كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير والتي تعرض فيها لفنّ التشبيه اتضح أنّه لم يشر للتشبيه في كتابه كثيرا وعلة ذلك أنّ موضوع كتابه هو توجيه المتشابه القرآني وليس تفسير القرآن كله . وهذا المقصد لا ريب يفوّت عليه التعرض لكثير من الآية المتضمنة لفنّ التشبيه ، كما يظهر من منهجه فيما أوردته من نماج عنه أنّه يهتم بالجانب التحليلي التطبيقي ولا يهتم بالحدود والمصطلحات فلا ينص على نوع التشبيه ولا ذكر أركانه . وهو في جانب التحليل يعضد ما يذكر بالشعر كي يقرّب الصورة كما أنّه نصّ في المثال الأخير على الغرض من التشبيه الموجود في سورة فاطر وهو زيادة التوضيح والإيضاح .

ــ المطلب السادس : التشبيه في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (للإمام ابن جزي)

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾«[2925]»

قال ــ رحمه الله ــ «[2926]» : « فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافق بصاحب النار التي أضاءت ثمّ أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدهما : أنّ منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور ، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده ، والثاني : أنّ استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أنّ ذلك فيمن آمن منهم ثمّ كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله : « ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا »«[2927]».

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن جزي يذكر فيه ــ رحمه الله ــ ثلاثة أوجه في تقدير وجه الشبه الموجود في الآية والملاحظ عليه أنّه لم يتعرض للتشبيه بالشرح والتحليل أو بذكر اسمه ونوعه . وإنّما انتقل مباشرة لبيان وجه الشبه فأورد هذه الأقول الثلاثة . والتشبيه الوارد في الآية هو تشبيه تمثيلي لأنّ وجه الشبه في الحقيقة أيّا كان تقديره فإنّ صورته منتزعة من أمور متعددة وهذه الصور

2925 ــ سورة البقرة : الآية 17 .

2926 ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 62 .

2927 ــ سورة المنافقون : الآية 3

التي هي حالة الكافر فيما هو عليه من الكفر والنفاق والاستتار على ذلك وإظهاره خلاف ما يبطن هي شبيهة بحال الذي قام ليستضيئ بنور نار فانطفأت فهذه الحالة بمجموعها لا ريب أنّها مشكلة من صور عدة والفائدة في الغالب من هذا التشبيه هو تجسيد الصور وتأكيدها . وفي ذكر الإمام ابن جزي لهذه الأقوال الثلاثة في تقدير وجه الشبه يظهر من كلامه أنّه ارتضى الوجه الأخير لوجود ما يدل عليه من القرآن ، وقد أشار لهذا التشبيه الواقع في الآية كثير من المفسرين منهم الشيخ الطاهر الذي صرّح بأنّه تمثيلي وذكر وجه الشبه فيه وهو يقارب الوجه الأخير الذي ذكر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ ، حيث قال : « ... وهذا التمثيل تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر فوجه الشبه هو ظهور أمر نافع ثمّ انعدامه قبل الانتفاع به ، فإنّ في إظهارهم الإسلام مع المؤمنين صورة من حسن الإيمان وبشاشته لأنّ للإسلام نور وبركة ، ثمّ لا يلبثون أن يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك ويرجعوا في ظلمة الكفر أشدّ ممّا كانوا عليه ، لأنّهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكذب وما يتفرع عن النفاق من المذام ، فإنّ الذي يستوقد النّار في الظلام يتطلب رؤية الأشياء فإذا انطفأت النار صار أشدّ حيرة منه في أول الأمر ، لأنّ ضوء النار قد عوّد بصره فيظهر أثر الظلمة في المرة الثانية ويرسخ الكفر فيهم ...»«[2928]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾»«[2929]»

قال ــ رحمه الله ــ : ««مثل الفريقين» يعني المؤمنين والكافرين «كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع » شبّه الكفار بالأعمّ والأصمّ ، وشبّه المؤمنين بالبصير والسميع ، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين ، وتمثيل للكافرين بمثالين ، وقيل : التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ،

[2928] ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 312

[2929] ــ سورة هود : الآية 24

فالواو لعطف الصفات ، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد ، وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم »«[2930]»

يشير الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود تشبيه في هذه الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبّه المؤمنين بالبصير والسميع . وعلى هذا يكون قد شبّه الكفار بمثالين والمؤمنين بمثالين ، ثمّ ذكر تقديرا آخر يحتمله التشبيه الوارد في الآية وهو أن يكون قد شبّه المؤمنين بمثال واحد والكفار كذلك على تقدير أنّ الواو لعطف الصفات وليست للاستئناف ، والملاحظ على إشارة ابن جزي ـ رحمه الله ـ لهذا التشبيه أنّه اكتفى بذكر طرفي التشبيه المشبّه والمشبّه به دون ذكر لوجه الشبه . والتشبيه الوارد في الآية هو تشبيه تمثيلي ، فقد شبّه سبحانه وتعالى الكفار في عدم نظرهم في ملكوت الله والتفكر فيه الموصل لتوحيده بحال من هو أعمى لا يبصر شيئا ، كما شبّه حالهم في عدم الانتفاع بمواعظ القرآن والاهتداء بآياته بحال من هو أصم لا يسمع شيئا ، كما شبّه فريق المؤمنين الذين أمعنوا النظر في ملوكات الله فأفضى بهم إلى توحيده بحال البصير الذي ينتفع ببصره ، كما شبّههم أيضا في انتفاعهم بمواعظ القرآن بحال السميع الذي انتفع بسمعه . وهذا التشبيه التمثيلي الواقع في الآية يحتمل أن يكون كما ذكر الإمام ابن جزي من تشبيه اثنين بأربعة أي تشبيه الكفار بالأعمى والأصم وتشبيه المؤمنين بالبصير والسميع . وقد ورد في الشعر نظائر هذا التمثيل غير أنّه في العدد أقل من تشبيه القرآن هذا . ومن ذلك قول امرئ القيس :

« كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي »[2931]

والتشبيه الواقع في هذا البيت هو تشبيه اثنين باثنين ، فقد شبّه قلوب الطير الرطبة بالعناب ، وشبّه قلوب الطير اليابسة بالحشف البالي . كما يحتمل أن يكون من تشبيه اثنين باثنين على تقدير أنّ الواو للعطف أي عطف الصفات . وقد ذكر الإمام الزمخشري هذا التخريج الذي أورده الإمام ابن

[2930] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 386 ـ 387
[2931] ـ ينظر : الأغاني ، الأصفهاني ، ج 3 ص 192

جزي ، فقال : « شبّه فريق الكافرين بالأعمى والأصم ، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ، وهو من اللف والطباق ، وفيه معنيان أن يشبه الفريقين تشبيهين اثنين ، كما شبّه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب ، وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصم ، أو الذي جمع بين البصر والسمع ، على أن تكون الواو في والأصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة ...»«[2932]» .كما ذكر هذا التخريج أيضا الإمام أبو حيّان «[2933]» والإمام ابن عادل«[2934]» والشيخ الطاهر بن عاشور «[2935]». ونصّ على التشبيه التمثيلي في الآية الشيخ عبد الرحمان صافي «[2936]» والشيخ محي الدين درويش«[2937]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾«[2938]».

قال رحمه الله ــ : « هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، فمثّل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية ، وينتفع به أهل الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصفر (النحاس) وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس ، وشبّه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يربى به السيل ويريد تلك المعادن التي يطفوا فوقها إذا أذيبت وليس في الزبد منفعة ، وليس له دوام »«[2939]»

[2932] ــ الكشاف : ج 2، ص 367

[2933] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 214

[2934] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 10، ص 463 ـ 464

[2935] ــ التحرير والتنوير : ج 12، ص 41

[2936] ــ الجدول في إعراب القرآن :ج 12، ص 246

[2937] ــ إعراب القرآن وبيانه : ج 4، ص 334

[2938] ــ سورة الرعد : الآية 17 .

[2939] ــ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1 ، ص 422 ـ 423 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية فيمكث في الأرض فتنتفع به الأرض فتخضر وتزهر وينتفع به النّاس فيحيون ويستقون وبالمعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد التي ينتفع بها النّاس في لباسهم وصناعتهم ، وشبّه الباطل وأهله في سرعة زواله ودحوضه واضمحلاله بما يطفوا من زبد السيل الذي لا يعود بنفع لا على الأرض ولا على النّاس . وبالوضر الذي يطفوا فوق المعادن المذابة فلا ينتفع بها أصحابها ، وهذا التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه تمثيلي لكون وجه الشبه وهو قابلية الانتفاع أو عدمه منتزع من جملة من الصفات كما ورد ذلك في الآية .وقد نقل الإمام ابن جزي هذا المعنى في بيان التشبيه عن الإمام الزمخشري «[2940]» بشيء من الاقتضاب والاختصار .

هذا وقد أورد هذا المعنى الذي أورده الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ــ في تحليل هذا التشبيه جماعة من المفسرين تبعوا الإمام الزمخشري فيما ذكره منهم الإمام البيضاوي فقال : « مثّل للحق والباطل فإنّه مثّل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه وبعضه يسلك في عروق الأرض والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم في ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبيّن ذلك بقوله : « فأمّا الزبد فيذهب جفاء » يجفأ به أي يرمي به السيل والفلز المذاب »«[2941]» ونقل هذا الكلام كذلك الإمام النسفي«[2942]» والإمام أبو السعود«[2943]» .

[2940]ــ الكشاف : ج 2، ص 493

[2941]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3، ص 185

[2942]ــ مدارك التنزيل وأسرار التأويل : ج 2 ، ص 205

[2943]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5 ، ص 14 ـ 15

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾«[2944]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ومعنى المثل : تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته »«[2945]»

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه الدنيا في فنائها وهلاكها وانقضائها بحال النبات الذي يكون أخضر يانعا ثمّ تصيبه الصفرة فيصبح يابسا جافا تطيره الرياح وهذه هي علامة فناءه . والملاحظ على إشارة ابن جزي للتشبيه الاكتفاء بذكر المشبه والمشبه به دون بيان نوعه ، وهذا التشبيه الواقع في الآية هو تشبيه تمثيلي لأنّ وجه الشبه فيه وهو الهلاك والفناء وصف منتزع من متعدد . وهو أيضا من التشبيه المقلوب وتوجيهه في الأصل أن يقال : فاختلط بنبات الأرض أي أنّ الماء هو الذي اختلط بالنبات لكنّه عكس وجعل النبات هو الذي اختلط بالماء . والسّر في هذا العكس هو المبالغة . وإنّما عكس لأنّ كلا من المختلطين ــ النبات والماء ــ موصوف بصفة الآخر ، فلذلك جاز فيهما العكس «[2946]». وفي هذا التشبيه أيضا تشبيه معقول بمحسوس باعتبار طرفي التشبيه ، فقد شبهت الآية حالة بوادر تقلص الدنيا وانقراضها واضمحلالها وهذه الحالة لم يرها النّاس ولم يبصروها . وأمّا الحالة المشبه بها وهي اصفرار النبات ويبسه وتطيره وتناثره فإنّها مدركة بأحد الحواس الخمس وهي العين «[2947]».

[2944] ــ سورة الكهف : الآية 45 .

[2945] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 495 .

[2946] ــ ينظر : الجدول في إعراب القرآن :عبد الرحمان صافي، ج 15، ص 198, وإعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش ، ج 5،ص 618 ــ 619.

[2947] ــ ينظر: التحرير والتنوير بتصرف : ج 15، ص 331 ـ 332

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾«[2948]»

قال ــ رحمه الله ــ : « تشبيه بالسّكارى من شدّة الغم »«[2949]».

يشير الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ لوجود تشبيه في هذه الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه النّاس بالسكارى من شدّة الغمّ غدا يوم القيامة ، غير أنّ لم يذكر نوع هذا التشبيه . وهو تشبيه بليغ لأنّه حذفت منه الأداة ووجه الشبه ، فكان الأصل في تقدير الكلام : وترى النّاس كالسكارى وما هم بالسكارى . وإنّما شبّهوا بالسّكارى من شدّة الخوف والفزع والغمّ وعظيم الموقف . ووجه الشّبه هو عدم العقل والتمييز من شدّة الهول كما أنّ السكران لا يميز من شدّة سكره وعظم النّشو ، والسكر الوارد في الآية سكر مجازي أثبت ثمّ نفي للتأكيد على أنّ ما أصاب النّاس من سكر ليس كسكر الدنيا .

هذا وقد نصّ على التشبيه البليغ في الآية الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « ووصف النّاس بذلك على طريقة التشبيه البليغ »«[2950]»

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[2951]».

قال ــ رحمه الله ـ : « يعني هالكين كالغثاء ، والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره ممّا يبلى ويسود ، فشبّه به الهالكين »«[2952]».

[2948] ــ سورة الحج : الآية 2

[2949] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 36 .

[2950] ــ التحرير والتنوير : ج 17، ص 191 .

[2951] ــ سورة المؤمنون : الآية 41 .

[2952] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 58 .

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ : لوجود تشبيه في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه قوم صالح لما أخذتهم الصيحة بحال ما يحمله السيل من أعواد وأوراق يابسة وهو الذي يسمى بالغثاء . والإمام ابن جزي كعادته يكتفي بذكر المشبه والمشبه دون تحديد نوع التشبيه بأحد الاعتبارات ممّا يدّل على أنّه لا يعتني بالمصطلحات والحدود والتقسيمات وإنّما يكتفي فحسب بالتحليل والوصف الظاهر للتشبيه الذي يوضحه ويبينه . والتشبيه الواقع في الآية هو تشبيه بليغ لأنّ وجه الشبه فيه محذوف . وهو هنا التكدس والبلى والسواد الحاصل من السيل .

هذا وقد صرّح بتضمن الآية للتشبيه البليغ الشيخ الطاهر بن عاشور فقال :« والغثاء ما يحمله السيل من الأعواد والأوراق اليابسة . والكلام على التشبيه البليغ ، فهو تشبيه حالة بحالة ، أي جعلناهم كالغثاء في البلى والتكدس في موضع واحد . فهلكوا هلكة واحد ة »«[2953]» . ونصّ على التشبيه في الآية دون ذكره الإمام الزمخشري«[2954]» وتبعه في ذلك الإمام البيضاوي«[2955]» والإمام النسفي «[2956]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾«[2957]»

قال ــ رحمه الله ــ : « العرجون هو غصن النخلة شبّه القمر به إذا انتهى في نقصانه ، والتشبيه في ثلاثة أوصاف ، وهي :الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنّه حنيئذ تكون له هذه الأوصاف »«[2958]».

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه القمر في نقصانه وانتهائه بالعرجون الذي هو غصن النخلة وتشبيه القمر بالعرجون عنده واقع

[2953] ــ التحرير والتنوير : ج 18، ص 59

[2954] ــ الكشاف : ج 3، ص 189

[2955] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3، ص 189

[2956] ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3، ص 102

[2957] ــ سورة يسن : الآية 39

[2958] ــ التسهيل لعلوم التنزيل: ج 2 ، ص 206 .

في ثلاث صفات . وهي الرقة والصفرة والانحناء ، والملاحظ على تحليل ابن جزي لهذا التشبيه أنّه اكتفى فيه بوصف عام ذكر فيه طرفي التشبيه المشبه والمشبه به ووجه الشبه . وفي ضمن هذا التحليل لم يشر لنوع هذا التشبيه ممّا يزيده وضوحا ويجعله أكثر تقريرا وتأكيدا ، وهذا التشبيه هو تشبيه مرسل لأنّ الأداة فيه مذكورة . وهو أيضا باعتبار طرفيه من تشبيه محسوس بمحسوس لأنّ كلاّ من المشبه والمشبه به يمكن إدراكه بالعين التي هي الحواس الخمس «[2959]» وقد أشار الإمام أبو حيّان لتشبيه القمر بالعرجون في ثلاث أوجه ، فقال: « فإذا كان في آخر منازله دقّ واستقوس واصفر ، فشبّه بالعرجون القديم من ثلاثة أوجه »«[2960]».

وفي ختام الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ اتضح أنّ منهجه في الإشارة للتشبيه اتسم في الغالب بأمور منها:

ـ إطلاقه لفظ التشبيه والمثل بمعنى واحد فهو لا يفرق بينهما إذ يعتبرهما معنى واحد وهذا إن كان من جهة اللغة فصحيح ، أمّا في الجانب الاصطلاحي فثمّت فرق بينهما.

ـ غالب إشاراته للتشبيه يكتفي فيها تارة بذكر وجه الشبه فقط أو بالإشارة لطرفي التشبيه المشبه والمشبه به فقط دون ذكر وجه الشبه ، كما أنّه لا يذكر نوع التشبيه ولا سمه ولا تعريفه .

ـ يكتفي في التنبيه عليه بالتحليل المقتضب والمختصر بما يوضح معنى الآية فحسب . وهذا بسب المنهج الذي اعتمده في كتابه وهو التلخيص ، كما أنّه لا يعتني بإبراز القيمة الجمالية أو الوظيفة التي يؤديها هذا التشبيه من تجسيد أو تقرير أو تأكيد أو إيضاح إلى غير ذلك من الأغراض

ـ ينقل كثيرا من هذه التشبيهات عن الإمام الزمخشري ويقلده فيها شأنه شأن غيره من المفسرين دون التصريح باسمه.

[2959] ـ ينظر: الجدول في إعراب القرآن: عبد الرحمان صافي ، 23 ، ص 13، وإعراب القرآن وبيانه : محي الدين درويش ، ج 8 ، ص 202 .

[2960] ـ تفسير البحر المحيط :ج 7 ، ص 322 .

وبالجملة فإشاراته لا تختلف عن إشارات الإمام ابن عطية ومكي بن أبي طالب القيسي فجميعها تمتاز بنفس المنهج والطريقة .

ــ المطلب السابع : التشبيه في تفسير البحر المحيط للإمام لأبي حيّان الأندلسي

لقد اعتنى الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في تفسيره بفنّ التشبيه ، حيث حرص عند تفسيره للآيات على التعرض لما تضمنتها من تشبيهات محللا لها ومعلقا عليها وقد كان له في ذلك منهج وطريقة، ومن جملة التشبيهات التي توضح ذلك المنهج والطريقة :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾«[2961]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قال الزّمخشري شبّه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسّه البرد فصار حطاما ، وقيل : هو ما يتقربون به إلى الله مع كفرهم ، وقيل : ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنّهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله«[2962]» ، انتهى .وقال ابن عطية : معناه المثال القائم في النفس من إنفاقهم الذي يعدّونه قربة وحسبة وتحنثا ، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباء منثورا ،وذهابه كالمثال القائم في النفس من زرع قوم نبت واخضرّ وقوي الأمل فيه فهبّت عليه ريح صر محرق فأهلكته «[2963]»، انتهى ... والظاهر تشبيه ما ينفقونه بالريح ، والمعنى تشبيهه بالحرث ، فقيل : هو من التشبيه المركب لم يقابل فيه الإفراد بالإفراد ، وقد مرّ نظيره في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾«[2964]» ، ولذلك قال ثعلب بدأ بالريح ، والمعنى على

[2961] ــ سورة آل عمران : الآية 117 .
[2962] ــ الكشاف : ج 1 ، ص 139
[2963] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 519.
[2964] ــ سورة البقرة : الآية 17 .

الحرث ، وهو اختيار الزمخشري ، وقيل : وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ، وذكر أحد المشبهين ، وترك ذكر الآخر ، ثمّ ذكر أحد الشيئين المشبّه بها وليس الذي يوازن المذكور الأول وترك ذكر الآخر ، وهذا اختيار ابن عطية ، قال : وهذه غاية البلاغة والإعجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : « وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ »«[2965]» انتهى ، ويجوز أن يكون على حذف مضاف من الأول تقديره ، كمثل :مهلك ريح ، قيل : ويجوز أن يكون ما مصدرية ، أي : مثل إنفاقهم ، فيكون قد شبّه المعقول بالمحسوس ، إذ شبّه الإنفاق بالريح »«[2966]».

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تشبيها ، حيث نقل عن الإمام الزمخشري نصا مفاده أنّ الآية شبّهت ما ينفقه الكفار بحال الزرع الذي أصابه البرد فصار حطاما ، ثمّ نقل رأيا آخر عن الإمام ابن عطية في بيان حقيقة هذا التشبيه ، ليخلص بعدها إلى تقرير رأي وهو أنّ ظاهر هذا التشبيه أريد به تشبيه ما ينفقونه بالريح وفي الحقيقة هو تشبيه بالحرث وهذا التشبيه الوارد في الآية هو تشبيه تمثيلي باعتبار وجه الشبه . والتشبيه التمثيلي عند البلاغين ما كان وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور . وهذا التعريف صادق على هذا التشبيه الوارد في الآية ، وذلك أنّ تشبيه نفقة الكفار بحال حرث قوم ظالمين أصاب حرثهم ريح فيها برد شديد فأهلكته منتزع من متعدد ، وهو عدم النفع والإغناء وقلة الجدوى وعدم حصول المرام والمطلوب ، مع ما يصحب ذلك من الحسرة والخذلان على فوات المطلوب ، كما أنّ هذا التشبيه باعتبار طرفيه من تشبيه المعقول بالمحسوس الذي يعرف عند البلاغين بإخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، ومعناه أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا ،ففي الآية تشبيه الإنفاق الذي هو عقلي بالريح التي هي حسية .

[2965]ـ سورة البقرة : الآية 71

[2966]ـ البحر المحيط : ج 3 ،ص 40.

هذا وقد أشار إلى هذا التشبيه الإمام الزمخشري ، حيث قال «[2967]»: « شبّه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسّه البرد ، فذهب حطاما . وقيل : هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم . وقيل : ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنّهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله . وشبّه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأنّ الهلاك عن سخط أشدّ وأبلغ ، فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصّر . والكلام غير مطابق للغرض . حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح ، قلت: هو من التشبيه المركب الذي مرّ في قوله : «كمثل الذي استوقد نارا »«[2968]» ...».

وقد تعرّض الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ لهذا التشبيه وعلق عليه قائلا : « ضرب لأعمالهم المتعلقة بالأموال مثلا فشبّه هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرها المخيب آخرها . حين يحبطها الكفر ، بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ، تشبيه المعقول بالمحسوس ، ولما كان التشبيه تمثيليا لم يتوخ فيه موالاة ما شبّه به إنفاقهم لأداة التمثيل ، فقيل : كمثل ريح ، ولم يقل : كمثل حرث قوم »«[2969]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾«[2970]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وقد تضمنت هذه الآيات من الفصاحة والبديع فنونا ... والتشبيه في فتذروها كالمعلقة »«[2971]».

[2967] ـ الكشاف : ج 1 ، ص 433

[2968] ـ سورة البقرة : الآية 17

[2969] ـ التحرير والتنوير : ج 4، ص 61

[2970] ـ سورة النساء : الآية 129

[2971] ـ البحر المحيط : ج 3 ، ص 392.

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تشبيها . وذلك في لفظة المعلقة ، حيث شبّهت المرأة التي يميل عنها زوجها لأخرى بالشيء المعلق . والوجه الجامع بينهما هو التردد بين حالين أو أمرين فكما أنّ الشيء المعلق ليس بمستقر وثابت في الأرض ولا هو محمول على ما علق عليه فهو إذن متردد بينهما فكذلك حال المرأة التي مال عنها زوجها إلى أخرى فهي معلقة بين الزواج والطلاق فلا هي مطلقة ولا متزوجه ، وهذا التشبيه باعتبار أداته تشبيه مرسل لذكر الأداة فيه . وقد أشار إلى هذه التشبيه الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ ، حيث قال :« ... أي لا هي مطلقة ولا ذات زوج ، قاله الحسن . وهذا تشبيه الشيء المعلق من شيء ، لأنّه لا على الأرض استقر . ولا على ما علق عليه انحمل ...»«[2972]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾«[2973]»

قال ـ رحمه الله ـ : « لما ذكر ما يؤول إليه الكفار من النار ، ذكر ما يؤول إليه المؤمنون من الجنة ، والفريقان هنا : الكافر والمؤمن ، ولما كان تقدّم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا : مبتدأ بالكافر فقال: كالأعمى والأصم ، ويمكن أن يكون من تشبيه اثنين باثنين ، فقوبل الأعمى بالبصير ، وهو طباق ، وقوبل الأصمّ بالسميع وهو طباق أيضا ، والعمى والصمم آفتان تمنعان من البصر والسمع وليس بضدين ، لأنّه لا تعاقب بينهما ، ويحتمل أن يكون من تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه ، فيكون من عطف الصفات ... وهذا التشبيه تشبيه معقول بمحسوس ، فأعمى البصيرة أصمها ، شبّه بأعمى البصر أصمّ السمع ، ذلك في ظلمات الضلالات متردد تائه ، وهذا في الطرقات محيّر لا يهتدى إليها »«[2974]».

[2972] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 5 ، ص 407
[2973] ـ سورة هود : الآية 24 .
[2974] ـ البحر المحيط : ج 5 ، ص 214 .

يشير الإمام أبوحيان ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود تشبيه في هذه الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبّه المؤمنين بالبصير والسميع . وعلى هذا يكون قد شبّه الكفار بمثالين والمؤمنين بمثالين ، ثمّ ذكر تقديرا آخر يحتمله التشبيه الوارد في الآية وهو أن يكون قد شبّه المؤمنين بمثال واحد والكفار كذلك على تقدير أنّ الواو لعطف الصفات وليست للاستئناف . والملاحظ على إشارة أبي حيّان ـ رحمه الله ـ لهذا التشبيه أنّه اكتفى بذكر طرفي التشبيه المشبه والمشبه به دون ذكر لوجه الشبه ، والتشبيه الوارد في الآية هو تشبيه تمثيلي ، فقد شبّه سبحانه وتعالى الكفار في عدم نظرهم في ملكوت الله والتفكر فيه الموصل لتوحيده بحال من هو أعمى لا يبصر شيئا ، كما شبّه حالهم في عدم الانتفاع بمواعظ القرآن والاهتداء بآياته بحال من هو أصم لا يسمع شيئا ، كما شبّه فريق المؤمنين الذين أمعنوا النظر في ملكوت الله فأفضى بهم إلى توحيده بحال البصير الذي ينتفع ببصره ، كما شبّههم أيضا في انتفاعهم بمواعظ القرآن بحال السميع الذي انتفع بسمعه . وهذا التشبيه التمثيلي الواقع في الآية يحتمل أن يكون كما ذكر الإمام أبي حيان من تشبيه اثنين بأربعة ،أي تشبيه الكفار بالأعمى والأصم وتشبيه المؤمنين بالبصير والسميع . ويحتمل أن يكون من تشبيه اثنين باثنين على تقدير أنّ الواو للعطف أي عطف الصفات . وقد ذكر الإمام الزمخشري هذا التخريج الذي أورده الإمام أبو حيّان ، فقال : « شبّه فريق الكافرين بالأعمى والأصم ، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ، وهو من اللف والطباق ، وفيه معنيان أن يشبه الفريقين تشبيهين اثنين ، كما شبّه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب ، وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصم ، أو الذي جمع بين البصر والسمع ، على أن تكون الواو في والأصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة ...»«[2975]».

وقد سبقت الإشارة للتشبيه في هذه الآية عند الحديث عن أسلوب التشبيه عند الإمام ابن جزي . وذكرت من أشار إلى ذلك من المفسرين .

[2975] ـ الكشاف : ج 2، ص 367

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾«[2976]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وهواء تشبيه محض ، لأنّها ليست بهواء حقيقة ، ويحتمل أن يكون التشبيه في فراغها من الرجاء والطمع في الرحمة ، فهي منحرفة مشبهة الهواء في تفرغه من الأشياء وانحرافه وأن يكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور ، وأنّها تجيئ وتذهب وتبلغ على ما روي حناجرهم ، فهي كالهواء الذي هو أبدا في اضطراب »«[2977]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تشبيها ، وذلك في تشبيه المولى جلّ وعلا قلوب الكفار بالهواء . والوجه الجامع بينهما هو الخلاء والفراغ ، فكما أنّ الهواء فارغ وخاوي لا يوصف بإدراك وتمييز ، كما أنّه لا تدخله الأجسام المادية لاضطرابه وعدم استقراره وكثرة ميله وانحرافه شبّهت به قلوب الكافرين يوم القيامة إذ أنّ حالها كحال الهواء في فراغها وخلوها من الرحمة والرجاء والطمع كما أنّها مضطربة كاضطراب الرياح التي لا تستقر وفي إشارته إليه يلاحظ أنّه أشار إلى الوجه الجامع بين المشبه والمشبه به وهو الفراغ. ولم يذكر نوع هذا التشبيه مكتفيا بتحليله بما يزيد إيضاح معنى الآية وتفسيرها ، وهذا النوع من التشبيه هو تشبيه بليغ لأنّه حذفت منه الأداة ووجه الشبه . وقد ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ ونصّ على أنّه تشبيه بليغ ، فقال : « ... وقوله : « أفئدتهم هواء » تشبيه بليغ ، إذ هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول والهواء في كلام العرب الخلاء ...»«[2978]».

[2976] ــ سورة إبراهيم : الآية 43

[2977] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 424 .

[2978] ــ التحرير والتنوير : ج 13 ، ص 247

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾«[2979]»

قال ــ رحمه الله ــ : « أثبت أنّهم سكارى على طريق التشبيه ثمّ نفى عنهم الحقيقة ، وهي السكر من الخمر ، وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل »«[2980]».

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تشبيها ، حيث شبّه سبحانه وتعالى النّاس غدا يوم القيامة بالسكارى ، ثمّ نفى عنهم حقيقة السكر التي تكون تحت تأثير الخمر كما هو الشأن في خمر الدنيا . والإمام أبو حيّان في نصّه على التشبيه لم يذكر وجه الشبه الجامع بين الوصفين ، كما أنّه لم يشر لنوع هذا التشبيه . والتشبيه الوارد في الآية هو تشبيه بليغ لأنّ الأداة فيه محذوفة ووجه الشبه كذلك . والوجه الجامع بين المشبه والمشبه به الذي لم يذكره الإمام أبو حيّان هو عدم العقل والتمييز وذلك أنّ السكر الواقع للناس غدا يوم القيامة هو بسبب شدة الفزع والهول الحاصل من ذلك الموقف فيمنعهم من التمييز والإدراك ، كما أنّ السكر الحاصل بسبب الخمر يمنع صاحبه من التمييز والإدراك بسبب عظم النشو وذهاب العقل . وقد سبقت الإشارة لهذا التشبيه عند الحديث عن جهود الإمام ابن جزي في تناول أسلوب التشبيه وذكرت من نصّ عليه من المفسرين .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾«[2981]».

قال ــ رحمه الله ــ : « شبّهها قال الجمهور : ببيض النعام المكنون في عشّه ، وهو الأدحية ولونها بياض به صفرة حسنة ، وبها تشبّه النساء فقال: مضيئات الخدود ، وقال امرئ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجّل

[2979] ــ سورة الحج : الآية 2

[2980] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 325 .

[2981] ــ سورة الصافات : الآية 49

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل «[2982]»

وقال السدي وابن جبير : شبّه ألوانهن بلون قشر البيضة الداخل ، وهو غرقئ البيضة ، وهو المكنون في كن ، ورجحه الطبري وقال : وأمّا خارج قشر البيضة فليس بمكنون ، وعن ابن عباس ، البيض المكنون : الجوهر المصون ، واللفظ ينبو عن هذا القول ، وقالت فرقة : هو تشبيه عام جملة المرأة بجملة البيضة ، أراد بذلك تناسب أجزاء المرأة ، وأنّ كل جزء منها نسبته في الجودة على نوعه الآخر من أجزائها إلى نوعه ، فنسبة شعرها إلى عينها مستوية ، إذ هما غاية في نوعها ، والبيضة أشدّ الأعضاء تناسب الأشياء فيها ، لأنّها من حيث حسنها في النظر واحد »«[2983]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها تشبيه . وذلك في تشبيه النساء بالبيض المكنون ، ثمّ ذكر عدّة تفسيرات لطرف المشبه به ، حيث ذكر أنّ المقصود بالبيض المكنون بيض النعام فلونها فيه بياض مشوب بصفرة ، ثمّ ذكر قولا آخر في تفسير البيض المكنون مخبرا أنّه قشر البيضة من الداخل ، ثمّ روى عن ابن عباس تفسير البيض المكنون بالجوهر المصون وقد استبعده ذاكرا أنّ اللفظ لا يحتمله . وروى في الأخير أنّ منهم من قال هو تشبيه عام أي تشبيه المرأة بالبيضة . وعلى أي تقدير في الطرف المشبه به فإنّ الحور شبّهن بالبيض لكمال حسنهن وصفائهنّ في اللون ونقائهنّ . وإن كان تخصيصه ببيض النعام هو الذي ذاع وشاع عند غالب المفسرين . وهذا النوع من التشبيه هو تشبيه مرسل لكون الأداة فيه مذكورة . والوجه الجامع بين المشبه والمشبه به هو حسن اللون وصفاءه.

[2982] ــ ينظر : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، ص 27.

[2983] ــ تفسير البحر المحيط : ج 7 ، ص 346 ـ 347 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾«[2984]»

قال ــ رحمه الله ــ : « كأنّهم جراد منشر : جملة حالية أيضا ، شبّههم بالجراد في الكثرة والتموج ، ويقال : جاءوا كالجراد في الجيش الكثير المتموج ، ويقال كالذباب ، وجاء تشبيههم أيضا بالفراش المبثوث ، وكل من الفراش والجراد في الخارجين يوم الحشر شبه منهما ، وقيل :يكونون أوّلا كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون ، لأنّ الفراش لا جهة له يقصدها ، ثمّ كالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر والداعي ، فهما تشبيهان باعتبار وقتين ، قال : معناه مكي بن أبي طالب القيسي »«[2985]» .

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها تشبيها ، حيث شبّه المولى جلّ وعلا خروج الناس من قبورهم للبعث بحال الجراد الكثير الانتشار والتموج في مختلف الأماكن والأقطار ، فهم في خروجهم يشبهون الجراد في انتشاره . وذكر أنّهم شبّهوا أيضا في موضع آخر بالفراش المبثوث . وعلى ذلك جوّز أن يكونوا شبهوا بشيئين باعتبار وقتين مختلفين ، أوّلا بالفراش ، ثمّ بالجراد . والملاحظ على تشبيهه أنّه اكتفى بذكر المشبه والمشبه به ووجه الشبه وهو كثرة التموج والانتشار . ولم يذكر نوع هذا التشبيه ممّا يؤكد عدم الاهتمام بالتعريفات والتقسيمات وإنّما يعنى فقط بإيضاح الصورة البيانية التي تساعد على تفسير الآية وإيضاح معناها ، وهذا النوع من التشبيه يسمى باعتبار أركانه تشبيها مرسلا لأنّ جميع أركانه مذكور من أداة ومشبّه ومشبّه به ووجه الشبه . وباعتبار وجه الشبه فهو تشبيه تمثيلي لأنّ وجه الشبه منتزع من صور متعددة .

هذا وقد أشار إلى هذا التشبيه في الآية بكلام قريب ممّا ذكره الإمام أبو حيّان الإمام القرطبي ، حيث قال : «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ»«[2986]» ، وقال في موضع آخر ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ

[2984] ــ سورة القمر : الآية 7 .

[2985] ــ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 174 .

[2986] ــ سورة القمر : الآية 7

﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾«[2987]» فهما صفتان في وقتين مختلفين أحدهما : عند الخروج من القبور ، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوزعون ، فيدخل بعضهم في بعض فهم حينئذ ، كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها الثاني : فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر ، لأنّ الجراد له يقصدها »«[2988]» . وقد نصّ الشيخ الطاهر بن عاشور على التشبيه التمثيلي في الآية ، حيث قال : « ... وهذا التشبيه تمثيلي لأنّه تشبيه هيئة خروج الناس من القبور متراكمين بهيئة خروج الجراد متعاظلا يسير غير ساكن »«[2989]» .

ونصّ على التشبيه في الآية من المعاصرين الشيخ محي الدين درويش محللا إيّاه بقوله : «تشبيه مرسل مفصل ، لأنّ الأركان الأربعة موجودة فيه فقد شبّههم بالجراد في الكثرة والتموج ... وقد أفاد هذا التشبيه تجسيد الصورة وتشخيصها فهذه الجموع الخارجة من الأجداث في مثل رجع الطرف تشبه الجراد الذي اشتهر بانتشاره واحتشاده دون أن يكون له هدف من هذا الانتشار والاحتشاد وكذلك هذه الجمع قد ألجمها الخوف وعقد الهول أفهامها وضرب عليها رواكد من الحيرة وغشيها بأمواج من الضلالة والرين فهي تسير تلبية لدعوة الداع دون أن تعرف لم يدعوها ، ولكنّها تعرف بصورة مبهمة أنّه يدعوها إلى شيء نكر لا تكتنه حقيقته و لا تعرف فحواه »«[2990]» .

وفي ختام الحديث عن النماذج الموردة من تفسير الإمام أبي حيّان ــ رحمه الله ــ اتضح أنّ منهجه في التنبيه على تشبيهات القرآن تميز في الغالب بميزة محددة . وهي أنّه في الغالب ما يحرص على ذكر مصطلح التشبيه إذا كانت الآية متضمنة له غير أنّ تحليله وبيانه له يكون بذكر إمّا طرفي التشبيه أو وجه الشبيه أو نوع التشبيه في بعض الأحيان باعتبار طرفيه ، مع الاعتماد على الإمام الزمخشري فيما ينقله عنه من الكشاف . كما يظهر عليه توظيف الشعر في توضيح صورة التشبيه

[2987]ــ سورة القاعة : الآية 4

[2988]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 17 ، ص 130

[2989]ــ التحرير والتنوير : ج 27 ، ص 179

[2990]ــ إعراب القرآن وبيانه : ج 9 ، ص 374

وتقريبه كوسيلة من وسائل الإيضاح والتبيين ، غير أنّه لا يغوص في عمق التحليل الذي يجلي حسن التشبيه ويبيّن القيمة والوظيفة الجمالية التي أدّاها ومسحها على الآية ، وبالجملة فهو يتماشى في المنهج مع من سبقه من المفسرين وإن كان أنضح منهم في بعض الأحيان من ناحية التحليل . ولعلّ أنّ السّر الذي جعل معالجة الإمام أبي حيّان لفنّ التشبيه بهذه الطريقة هو ميوله للصناعة النحوية وللقراءات القرآنية ممّا جعله يميل للاستفاضة في تلك الشروح والتحليلات المتعلقة بمسائل الإعراب وتوجيه القراءات على حساب المسائل البلاغية التي كان يطبق عليها منهج الإيجاز والاختصار .

المطلب الثامن : التشبيه في تفسير الإمام ابن عرفة

لم يعتن الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ بفنّ التشبيه في تفسيره حيث أغفل الحديث عنه في كثير من الآيات المتضمنة له . وعليه فإنّ المواضع التي نبّه بوقوع التشبيه فيها قليلة جدا إذا ما قورنت بجملة التشبيهات الواردة في القرآن ، وجملة التشبيهات التي علّق عليها هي:

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾«[2991]» قال ــ رحمه الله ــ :« ... وأورد الطيبي أنّ القلوب شبّهت بالحجارة ، وإنّما هو قسوتها بقسوة الحجارة ، فأجاب بأنّ التشبيه راجع في الحقيقة للقسوة ، ابن عطية : أي صلبت وخلت من الإنابة والإذعان »«[2992]».

يشير الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ لوجود تشبيه في الآية ابتدأ بيانه بذكر اعتراض اعترض به على الإمام الطيبي الذي قال : إنّ القلوب شبّهت بالحجارة ، فأخبر ــ ابن عرفة ــ بأنّ التشبيه وقع لقسوة القلب وليس له في حدّ ذاته ، ثمّ نقل عن الإمام ابن عطية معنى هذه القسوة وهي الصلابة التي أدّت إلى خلو قلوبهم من الانابة والرجوع ، وقد اكتفى الإمام ابن عرفة في تنبيهه على هذا التشبيه بذكر المشبه والمشبه به ولم يشر لنوعه . والتشبيه الواقع هنا هو تشبيه مرسل لأنّ الأداة فيه

[2991] ــ سورة البقرة : الآية 74 .

[2992] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 132 .

مذكورة . ووجه الشبه مذكور في الآية وهو القسوة . وأشار إلى هذا التشبيه وأرجعه لقسوة القلب ذاته كثير من أئمة التفسير منهم الإمام أبو حيّان«[2993]» والإمام النسفي«[2994]» والإمام أبو السّعود «[2995]»والشيخ الطاهر بن عاشور«[2996]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾«[2997]».

قال ــ رحمه الله ــ : « ابن عرفة : إنّما هو تشبيه حكم بحكم ، والحكم لا يتبدل ولا يتفاوت ، فهو تشبيه وجوب بوجوب ، ابن عرفة : وهذا التشبيه إن رجع إلى الحكم فهو تشبيه لنا لأنّ الإعلام بفرضيته على ما مضى يوجب حقيقته على النفوس وقبولها إيّاه ، وإن رجع إلى الثبوت نظير نعمة لنعمة ، أي أنعم عليكم بالنعم لصوم المحصل للثواب الأخروي ، كما أنعم على من قبلكم مع أنّ ثوابكم أعظم ، وحذف الفاعل للعلم به وزيادة تنبيهه على عموم ذلك في كلّ أمة من الأمم السالفة تلي حين نزول هذه الآية »«[2998]»

يشير الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود تشبيه الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه حكما بحكم أي شبّه فرض الصيام وإلزامه على أمة النبي صلى الله عليه وسلم بفرضه على الأمم السابقة . وأخبر أنّ هذا تشبيه وجوب بوجوب إي إيجاب فرض بفرض . ومعنى قوله تشبيه حكم بحكم أي تشبيه فرض بفرض وليس تشبيه لحقيقة الصيام وماهيته المفروضة . وهذا التشبيه هو تشبيه مرسل لأنّ الأداة فيه مذكورة . ووجه الشبه فيه هو الفرض والإلزام . وما ذكره الإمام ابن عرفة من أنّه تشبيه حكم بحكم أشار إليه الشيخ الطّاهر بن عاشور حيث قال: « ولم يكن صيامنا

[2993] ــ تفسير البحر المحيط : ج1 ، ص 428

[2994]ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 72

[2995]ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 1 ، ص 115 .

[2996]ــ التحرير والتنوير : ج1 ، ص 563

[2997]ــ سورة البقرة : الآية 183

[2998]ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 533

مماثلا لصيامهم تمام المماثلة . فقوله : «كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ» تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات . والتشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة . وهو وجه الشبه المراد في القصد وليس المقصود من هذا التشبيه الحوالة في صفة الصوم على ما كان عليه عند الأمم السابقة »«[2999]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾«[3000]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قال ابن عرفة : والصواب في تقرير كونه من تشبيه المركب بالمركب ، وأن يقال : شبّه الشّرك بالله والمشرك مع من خرّ من السماء فتخطفه الطير ، فالمشرك كالخار من السماء ، وشبّه المشرك بالطير الخار من السماء ، فجعل ... ونحوها كالطير المتخطفة للخار من السماء ناقلة عضوا عضوا ، فهو تشبيه المجموع بالمجموع ، أو هذا بهذا ، وهذا بهذا ، فهو تشبيه المجموع قوله:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تدار كواكبه «[3001]»

ومثله قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾«[3002]» ، ومنه قوله :

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي »«[3003]».

[2999] ـ التحرير والتنوير : ج 2، ص 156

[3000] ـ سورة الحج : الآية 31 .

[3001] ـ البيت لبشار بن برد ، ينظر : الأغاني ، الأصفهاني ، ج 3 ، ص 134

[3002] ـ سورة البقرة : الآية 17

[3003] ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 188 ـ 189 .

يشير الإمام ابن عرفة ـــ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية مخبرا أنّه من تشبيه المركب بالمركب الذي حقيقته عند البلاغين أن يكون كل من المشبّه والمشبّه به كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاحقت حتّى صارت شيئا واحدا «[3004]» وقد ذكر الإمام ابن عرفة صورة هذا التشبيه وحقيقته عندما أخبر أنّه سبحانه وتعالى شبّه المشرك به بالخار من السماء فتتخطفه الطير فتنتهبه وتمزقه فلا تترك منه شيئا . وسمّى هذا التشبيه بتشبيه مجموع بمجموع ويريد به التشبيه المركب بالمركب ، ثمّ ذكر نظائر لهذا التشبيه من الشعر والقرآن .

هذا وقد جوّز الإمام الزمخشري أن يكون هذا التشبيه مركبا ومفرقا مع بيان تقدير كل واحد منهما ، فقال : « ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المفرق والمركب ، فإن كان تشبيها مركبا فكأنّه قال : «من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية ، بأن صوّر حاله بحال من خرّ من السماء فاختطفته الرياح ، فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتّى هوت به في بعض المطاوح البعيدة . وإن كان مفرقا فقد شبّه الإيمان في علوّه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء . والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة . والشيطان الذي يطوّح في واد الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة »«[3005]» وقد ذكر هذا القول الذي أورده الإمام الزمخشري الإمام الرازي«[3006]» والإمام النّسفي«[3007]» والإمام أبو السعود«[3008]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[3009]» . وهذا التشبيه إضافة إلى كونه مركبا فهو تشبيه تمثيلي لأنّ وجه الشبه وهو الهلاك وصف منتزع من صورة متعددة .

[3004] ـ الطراز : العلوي ، ج 1 ، ص 289 .

[3005] ـ الكشاف : ج 3، ص 157 .

[3006] ـ مفاتح الغيب : ج 23، ص 225 .

[3007] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل :ج 3، ص 87 .

[3008] ـ تفسير أبي السعود : ج 6، ص 105 .

[3009] ـ التحرير والتنوير : ج 17، ص 254 ـ 255 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾«[3010]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وشبّهها بالوردة في الإنسان لأنّه مناسب للون النار التي يقع بها العذاب حينئذ ، قال ابن عرفة : وانظر هل التشبيه راجع أولي بالوردة ، فهل المراد أنّها مشبّهة بالوردة المشابهة للدّهان يحتمل الأمرين ، فإن قلت : هذا قياس على الفروع ، وهو ممنوع عندهم قلت : إنّما ممنوع في القصة ، وأمّا الأصول فهو جائز ، ويكون القياس على الفرع حتّى نشر الفرع ، قيل له : هلاّ شبّهه بالدهان من غير قياس ، ولا فائدة إذن في تشبيهها بالوردة ، فقال : شبّهه بالوردة المشابهة للدهان ، لأنّه لو اقتصر على تشبيهها بالوردة ، لأفاد الاحمرار فقط ، وذكر الدهان يفيد الاحمرار والرطوبة»«[3011]».

يشير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود تشبيه في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى شبّه السّماء حال انشقاقها بالوردة المشابهة للدهان والاحمرار . وهذه الآية تحتمل تشبيهين التشبيه الأول هو تشبيه بليغ . حيث شبهت السماء بالوردة وحذفت الأداة . فكان الأصل في تقدير الكلام : أي كانت وردة «[3012]» والتشبيه الثاني : هو تشبيه تمثيلي على تقدير أنّه أريد بالوردة الغرس . والوردة تكون في الربيع أميل إلى الصفرة . فإذا اشتدّ البرد تكون وردة حمراء ، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة أميل إلى الغبراء ، فشبّه حال السماء حال انشقاقها بالوردة . وشبهت الوردة في اختلافها بالدهن . واختلاف ألوانه ، فالتشبيه تمثيلي مركب من قسمين أو صورتين متعاقبتين صورة السماء منشقة و صورة الوردة ثمّ صورة الدهان والصورتان الأخيرتان لتوضيح وجه الشبه . وهو أحوال تلونها . فهي في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء ثمّ غبراء داكنة عند الذبول . وهذا التلون التدريجي من اللون الناصع إلى اللون الداكن يشبه أيضا لون الدهن وقد عملت فيه النار فاشتعل بلون أصفر ثمّ بدت بألسنة محمرة إذ آذن بالانطفاء. ثمّ يتحول إلى رماد داكن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3010] ــ سورة الرحمان : الآية 37 .

[3011] ــ تفسير ابن عرفة : ج 4 ، ص 130 ــ 131 .

[3012] ــ ينظر : التحرير والتنوير : ج 27 ، ص 261

»[3013]. وهذه الإشارة من الإمام ابن عرفة اكتفى فيها بذكر المشبّه والمشبّه به فحسب دون بيان وجه الشبه ولا نوع هذا التشبيه . ممّا يدّل على أنّه لا يعنى بالحدود والمصطلحات وإنّما يحرص فقط على تحليل التشبيه الذي يوضح المقصود والمراد منه والذي يساعد على فهم الآية .

وكخلاصة لما أوردته من نماذج عن الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ تعرّض وتطرّق فيها لفنّ التشبيه ظهر أنّ منهجه في الغالب يقوم على تحليل الصورة التشبيهية الواقعة في الآية إمّا بذكر طرفي التشبيه دون ذكر نوعه أو وجه الشبه . أو يكون بتحليل الصورة التشبيهية من خلال وجه الشبه دون التعرض للمشبه والمشبه به ، كما يظهر عليه التعرض في بعض الأحيان لنوع التشبيه باعتبار طرفيه وهو في بيان ذلك يؤكد ما يذهب إليه ويراه بالأبيات الشعرية الموجود فيها نفس التشبيه الواقع في الآية ممّا يؤكد وقوفه على كتب البلاغة كما أنّه يورد أسماء بعض البلاغين وينقل عنهم آراءهم كما هو الحال في ذكره للإمام الطيبي صاحب كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان . كما أنّ تحليله وشرحه لصور التشبيه لا يختلف عمّن سبقه من الأئمة فهو لا يعتني بإبراز القيم الجمالية للتشبيه ولا التعرض للوظيفة التي أدّاها

ــ المبحث الثالث : جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ الاستعارة

سأسعى في هذا المبحث إن شاء الله تعالى لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ الاستعارة ، وذلك بالتعرض لبعض النماذج التي حللّوها في كتبهم بغية الوقوف على إسهاماتهم في إثراء هذا النوع من علم البيان بالإضافة للكشف عن منهجهم في تقرير هذا المبحث وطريقة عرضهم له ، وقبل الخوض والولوج في ذلك ارتأيت أن أتحدّث عن فنّ الاستعارة ببيان حدّها لغة واصطلاحا ، ثمّ الحديث عن بلاغتها في لغة العرب .

[3013] ــ ينظر : إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش ، ج 9، ص 411 ، و الجدول في إعراب القرآن : عبد الرحمان صافي ، ج 27، ص 100.

المطلب الأول : مفهوم الاستعارة لغة واصطلاحا

الفرع الأول : مفهوم الاستعارة لغة

قبل بيان معنى الاستعارة عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاً الوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم البيان ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

الاستعارة في اللغة مشتقة من العارية فقد جاء في لسان العرب ما نصّه « والعارية والعارة ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه ، وعاوره إيّاه والمعاورة والتعاور شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين ... واستعارة طلب العارية واستعاره الشيء واستعاره منه طلب منه أن يعيره إيّاه »«[3014]»

وقال الإمام الزبيدي : « واستعاره الشيء واستعاره منه : طلب منه إعارته ، أي أن يعيره إيّاه وهذه عن اللّحياني ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه ، وعاوره إيّاه ، والمعاورة والتعاور : شبه المداولة ، والتداول في الشيء يكون بين اثنين »«[3015]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا أنّ مدلول الكلمة وأصلها يرجع إلى معنى النقل و المداولة والتداول بين شيئين.

[3014] ـ ابن منظور : ج 4 ، ص 612 ـ مادة عور ـ

[3015] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 13 ، ص 162 .

الفرع الثاني : الاستعارة اصطلاحا

بعد بيان معنى الاستعارة في اللغة والخلوص إلى أنّ مدلولها يفيد معنى النقل والمداولة ، بقيت الإشارة للمعنى الاصطلاحي لهذا الفن البلاغي من فنون البيان .

وأوّل ما يقال في تعريفها أنّ الاستعارة من الفنون والأساليب المتأصلة في لغة العرب ، فقد عرفت منذ القديم واستعملته العربُ في كلامها نثرا وشعرا ، كما تعرّض لها المتقدمون الأوائل من اللغويين و النحاة ، ولقد كان بحث اللغويين الأوائل لها تحت دائرة المجاز والاتساع في الكلام ، فممّن أشار إليها تحت دائرة المجاز الإمام أبو عبيدة ، وذلك باستعماله لفظة المجاز على كثير من الاستعارات القرآنية مثل قوله تعالى :﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾«[3016]» قال ـ رحمه الله ـ : « أي يفرغ عليهم الصبر ، وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم »«[3017]» ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾«[3018]» قال : « أي ما ظفرت ، ولا أصبت ، ولكنّ الله أظفرك »«[3019]» ، وقد أشار إليها مسميّا إيّاها باسمها ، حيث علّق على بيت الفرزدق القائل فيه :

لا قوم أكرم من تميم إذ عدت   عوذ النّساء يسقن كالآجال

بقوله : « وقوله : « عوذ النّساء » هنّ اللاتي معهنّ أولادهن ، والأصل في عوذ الإبل التي معها أولادها فنقلته العرب للنّساء ، وهذا من المستعار ، وقد تفعل العرب ذلك كثيرا »«[3020]» ، فالإمام أبو عبيدة يعلّق على بيت الفرزدق بأنّ فيه نوعا من الاستعارة ، وذلك بنقل لفظ مخصوص

[3016] ـ سورة الأنفال : الآية 11

[3017] ـ مجاز القرآن : ج 1، ص 242

[3018] ـ سورة الأنفال : الآية 17

[3019] ـ مجاز القرآن : ج 2، ص 244

[3020] ـ كتاب النقائض نقائض جرير والفرزدق : ط1 ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 1419 هـ ـ 1998م ، ج 1، ص

ومستعمل للإبل إلى النّساء ، وهذا يصدق على المعنى اللغوي للاستعارة الذي بيّناه في تعريفها لغويا ويتضح بها وجه الترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي .

ويعدّ الجاحظ من بين الأوائل الذين رسموا للاستعارة تعريفا عندما قال : « الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذ أقام مقامه »«[3021]» ، كما أطلق عليها اسم المثل والبديع والبدل .

وممّن بحثها تحت دائرة المجاز بمفهومه العام الإمام ابن قتيبة عندما أشار إليها على أنّها من مجازات العرب في الكلام ، فقال : « وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ...»«[3022]»

وبعد كلامه عن المجاز عقد ـ رحمه الله ـ بابا للحديث عن الاستعارة فعرّفها بقوله : « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاورا لها أو مشاكلا »«[3023]».

ثمّ قام بعد ذلك بالتمثيل لها من القرآن الكريم ونثر العرب وشعرها ، فقال : « ومن الاستعارة في كتاب الله قوله عزّ وجل : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾«[3024]» ، أي عن شدة ، وأصل هذا أنّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى المعاناة والجدّ فيه شمّر عن ساقه فاستعير الساق في موضع الشدّة »«[3025]» ، وقال في موضع آخر : « فيقولون للنبات نوء ، لأنّه يكون عن النوء عندهم ، قال رؤبة بن العجاج : «وجفّ أنواع السّحاب المرتزق» ، أي جفّ البقل ، ويقولون للمطر سماء ، لأنّه ينزل من السماء »«[3026]» ففي هذين المثالين الأخيرين دليل واضح على إطلاقه ـ رحمه الله ـ

[3021] ـ البيان والتبيين : ج 1 ، ص 153 .
[3022] ـ تأويل مشكل القرآن : ص 20
[3023] ـ تأويل مشكل القرآن: ص 135
[3024] ـ سورة القلم : الآية 42
[3025] ـ تأويل مشكل القرآن : ص 137
[3026] ـ المصدر نفسه : ص 135

لفظة الاستعارة على نوع المجاز الذي تبلور عند المتأخرين وهو ما يعرف بالمجاز المرسل ، وعلاقته هنا هي : السببية .

ومن اللغويين الذين أشاروا إلى الاستعارة الإمام المبرّد إلاّ أنّ إشارته كانت مقتضبة إذا ما قورنت بإشاراته الأخرى لبعض مباحث البلاغة كالحذف والتقديم والتأخير وغيرها ، وكان تنبيهه عليها عند تعليقه على قول الرّاعي :

يا نعمها ليلة حتّى تخوّلها داع دعا في فروع الصبح شحاج

فقال : « وشحاج إنّما هو استعارة في شدّة الصوت ، وأصله للبغل والعرب تستعير بعض الألفاظ لبعض »«[3027]» فالمبرّد يصرّح بالاستعارة بإخباره أنّ لفظة شحاج تطلق على شدة الصوت بالنسبة للحمار ، غير أنّها نقلت للإنسان ، وهذا من الاستعارة ، وفي كلام الإمام المبّرد إشارة إلى اتفاق المعنى اللغوي للاستعارة مع المعنى الاصطلاحي لأنّ أصلها في اللغة هو النقل ، وهذا يصدق ويطابق المعنى الاصطلاحي المستقر عليه عند البلاغيين .

كما أشار إلى الاستعارة الإمام ابن المعتز«[3028]» ، وابن جنّي«[3029]» ، والقاضي الجرجاني ، وأبو هلال العسكري «[3030]» ، وابن رشيق القيرواني«[3031]» ، وقد كانت إشارتهم لها بالجملة تقتصر على وضع تعريف شبيه وقريب من المعنى اللغوي مع التمثيل لها بالشعر والنّثر ، وخلت بذلك الاستعارة من تحديد واضح ومضبوط يتسم بالدقة حتّى جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ونظر إليها نظرة ثاقبة وبحثها بحث متفحص في كتابيه الدلائل والإعجاز ، فأخرج لنا حدا وتعريفا ألقى بأثره على تعريفات البلاغيين ونظرتهم للاستعارة من بعده ، حيث عرّفها قائلا :« فالاستعارة

[3027]ـ الكامل في اللغة والأدب :محمد بن يزيد المبرد أبو العباس ، ط 3 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1417 هـ ـ 1997م ج 1 ، ص 226 .

[3028]ـ البديع : ص 3

[3029]ـ الخصائص : ج 1 ، ص39 - ج 3 ، ص 348

[3030]ـ الصناعتين : ص 268

[3031]ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 1 ، ص 268

أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره ، وتجئ إلى اسم المشبه فتعيره المشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول : رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء ، فتدع ذلك ، وتقول رأيت أسدا »«[3032]».

وهذا التعريف الذي ذكره الإمام عبد القاهر أصبح يطلق عند المتأخرين على نوع من أنواع الاستعارة ، وهي ما تعرف بالاستعارة التصريحية ، وهي ما صرّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه .

وللإمام عبد القاهر تعريف آخر للاستعارة قال فيه : « اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع ، ثمّ يستعمله الشاعر ، أو غير الشاعر في ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلا غير لازم ، فيكون هناك كالعارية »«[3033]».

فيلحظ على تعريف الإمام عبد القاهر ـ رحمه الله ـ أنّه ركّز على المعنى اللغوي للاستعارة الذي سبقنا وأن أشرنا إليه وبيّنا أنّه يعني في الأصل نقل شيء من شيء .

ومجمل القول أنّ الإمام عبد القاهر ر بحث موضوع الاستعارة بحثا مستفيضا كان يجدر الوقوف عنده وتفحصه فحصا دقيقا لما اشتمل عليه من فوائد عظيمة في هذا الباب .

ولما جاء الإمام السّكاكي ـ رحمه الله ـ نظر فيما قرّره الإمام عبد القاهر وأفاد منه ، فجعل الاستعارة من موضوعات علم البيان ، وعرّفها بتعريف شبيه ومماثل لما ذكره الإمام عبد القاهر ، فقال : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبّه به »«[3034]» .

[3032] ـ دلائل الإعجاز : ص 67 .

[3033] ـ أسرار البلاغة : ص 17

[3034] ـ مفتاح العلوم : ص 369

ويرى بعض الباحثين في تعريف الإمام السّكاكي شيئا من الدّقة لأنه حصر ثلاثة أنواع من الاستعارات ، وهي الاستعارة التصريحية ، والاستعارة بالكناية ، والاستعارة المكنية «[3035]» .

وبعض سرد جملة من التعريفات للاستعارة نكتفي بما أورده الإمام السّكاكي ، ونرتضيه ، لأنّه يمتاز بشيء من الجمع والمنع والاستقراء ، فصاحبه خبر وفحص ما ذكره المتقدّمون ، وخلص لهذا الرأي وأخرج لنا هذا التعريف الذي اعتمده جلّ من جاء بعده من مختصري كتابه وشراح التلخيص للإمام القزويني .

ــ المطلب الثاني : بلاغة الاستعارة في اللغة العربية

إنّ الاستعارة أسلوب من أساليب العرب في الكلام وسنة من سننهم في التعبير عن المعاني ، ولقد أدرك البلاغيون أسرارها ، ونبّهوا على عظيم موقعها في لغة العرب ، وذلك لما تحققه من مقاصد وأغراض بلاغية جميلة ، ولذلك راحوا يعدّدون أغراضها ، وينوهون بمزاياها الجميلة ، ومن جملة ما ذكروه في ذلك :

ــ الإيجاز

من جملة الأغراض التي وقف عليها البيانيون للاستعارة هي الإيجاز والاختصار ، مقصودهم بذلك أنّه يمكن للمتكلم أن يحصّل بالاستعارة كثيرا من المعاني بألفاظ موجزة ، وممّن تفطّن لذلك ونبّه عليه الإمام عبد القاهر ، حيث قال ــ رحمه الله ــ : « ومن خصائصها التي تذكر بها ، وهي عنوان مناقبها ، أنّها تعطيك كثيرا من المعاني باليسير من اللفظ حتّى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثّمر »«[3036]».

والذي يجلي ذلك ويوضحه هو التمثيل ، فلو أخدنا على سبيل المثال قول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحته   بجنان الحسن عنابا

[3035] ــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، ص 85.

[3036] ــ أسرار البلاغة : ص 23 .

فهو في هذا البيت استعار الأغصان للأصابع ، والعناب للأنامل ، والمعنى أثمرت أصابع يده الشبيهة بالأغصان بنانا مخضوبة كالعناب ... و لا يخفى عليك ما أحدثته الاستعارة من إيجاز مع حسن بيان وجمال تصوير «[3037]».

ــــ المبالغة

من جملة الأغراض التي نبّه عليها البلاغيون للاستعارة غرض المبالغة ، ومقصودهم بها المبالغة في تأكيد المعاني ووصفها وتفخيمها ، وقد فطن لهذا وتنبّه له الإمام عبد القاهر ــ رحمه الله ــ حيث أكّد في الدلائل والإعجاز على هذا الغرض وجلاّه وشفعه بالتمثيل ، وهذا كلّه في سياق إثباته لنظريته القائمة على أنّ الألفاظ خادمة للمعاني ، فقال في أحد المواضع : « وأمّا المفيدة فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك ... ومثاله قولنا : «رأيت أسدا» وأنت تعني رجلا شجاعا ، «وبحرا» تريد رجلا جوادا ، وبدرا وشمسا تريد إنسانا مضيئ الوجه متهللا ، «وسللت سيفا على العدو » تريد رجلا ماضيا في نصرتك ، أو رأيت نافذا ، وما شاكل ذلك ، فقد استعرت اسم الأسد للرجل ، ومعلوم أنّك أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك ، وهو المبالغة في وصف المقصود بالسعادة ، وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدّته وسائر المعاني المركوزة في طبيعته ، ممّا يعود إلى الجرأة ، وهكذا أفدت باستعارة البحر سعته في الجود وفيض الكف ، وبالشمس والبدر مالهما من الجمال والبهاء والحسن المالئ للعيون ، الباهر للنواظر »«[3038]».

وقال في موضع آخر : « اعلم أنّ سبيلك أوّلا أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره ، والمبالغة التي تدّعي لها في أنفس المعاني المتكلم إليها بخبره ، ولكنّها في طريق إثباته لها وتقريره إيّاها ... وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك : رأيت أسدا ،

[3037] ــ علم البيان : بسيوني فيود ،ط 2 ، القاهرة ـ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ــ 1418 هـ ــ 1998 م ص 232 .

[3038] ــ أسرار البلاغة : ص 18 .

على قولك رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته أنّك قد أفدت بالأول : زيادة في مساواته الأسد ، بل أن أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة في إثباتك له هذه المساواة ، بل أن أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة في إثباتك له هذه المساواة ، وفي تقريرك لها ، فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته ، بل في إيجابه والحكم به ». «[3039]» .

ـــ التجسيد :

من جملة الأغراض التي نبّه عليها البلاغيون للاستعارة غرض التجسيد ، و مقصودهم بذلك أنّه يمكن للمتكلم أن يجّسد بالاستعارة الأمور المعنوية فتصبح في صورة مرئية يراها النّاظر رأي العين ، كما أنّها تصيّر الماديات والجمادات حية روحية ، ويعود الفضل في التنبيه على هذه الفضيلة والمزية للإمام عبد القاهر ــ رحمه الله ــ حيث قال : « ... فليس لها في الحسن حظ كامل ، فإنّك لترى بها الجماد حيّا ناطقا ، والأعجم فصيحا ، والأجسام الخرّس مبيّنة ، والمعاني الخفية البادية جليّة ، وإذا نظرت في أمر المقاييس ، وجدتها ولا ناصر لها أعزّ منها ، ولا رونق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ، كأنّها قد جسّمت حتّى رأتها العيون ، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتّى تعود روحانية لا تنالها إلاّ الظنون »«[3040]».

والذي يبرهن على هذا ويعضده التمثيل ، فلو أخذنا على سبيل المثال قوله تعالى :﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾«[3041]» نجد أنّه قد استعير في هذه الآية التنفس للصبح ، وهذه علامة من علامات الحياة في الكائن الحي ، فالصبح يتنفس كما يتنفس الكائن الحي ليزيح عن نفسه ظلمات الليل وتنفسه يكون ببدء انتشار ضوئه ليعم الأفق «[3042]».

[3039] ـ دلائل الإعجاز : ص 71 .

[3040] ـ أسرار البلاغة : ص 23 .

[3041] ـ سورة التكوير : الآيتان 17 ـ 18

[3042] ـ علم البيان : بسيوني فيود ، ص 231 .

ونجد في قول أبي العتاهية مبشرا ومهنئا الخليفة العباسي بالخلافة قائلا :

أتته الخلافة منقادة   إليه تجرّر أذيالها «[3043]»

استعارة ، حيث استعار المشي والانقياد للملك والخلافة ، ومعلوم أنّ ذلك ثابت ولازم للكائنات الحية ، وأكمل هذه الاستعارة بوصف الأذيال التي تجر .

ولو تأمل في قول أبي ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

لوجد أنّه استعار للمنية وهي الموت أنيابا ، ومعلوم أنّ ذلك ثابت ولازم للسباع الضارية فهي التي تنهال بأنيابها على فريستها ، وفي هذا تصوير للموت وتجسيد له في صورة محسوسة ملموسة .

ونظائر هذا كثير في نثر العرب وشعرها ، فلنكتفي بما ذكرنا من أغراض للاستعارة والتمثيل لها ، لنشرع بعدها في مقصود الموضوع ولبّه ، وهو بيان جهود المفسرين المغاربة في تناول هذه الظاهر البلاغية من ظواهر البيان .

المطلب الثالث : الاستعارة في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي

تحدّث الإمام مكي في تفسيره عن الاستعارة وذكر أنّها باب من أبواب العرب في الكلام وعرّفها وذكر أمثلة عنها من القرآن الكريم . وذلك في معرض :

تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾«[3044]».

قال ـــ رحمه الله ـــ : « قوله : «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا » أدخله بعضهم في باب الاستعارة لأنّه أريد به تحقيق الأمر واستيقانه ، والاستعارة في كلام العرب باب ، وهذا فصل نبيّن فيه نبذا من معاني

[3043]ـ ينظر : ديوان أبو العتاهية ، ط 1 بيروت ـ دار بيروت للطباعة والنشر ، 1406 هـ ـ 1986 م ، ص 375

[3044]ـ سورة النّساء : الآية 157

الاستعارة ، فالاستعارة معناها أن نضع الكلمة في موضع ما هو قريب منها أو ما هو سببها أو ما يشبه الآخر أي مقارب له بمعنى كقولك :« النبات نوء » ، لأنّه عنه يكون والمطر سماء ، لأنّه منها ينزل ، ويقولون : ضحكت الأرض لأنّها تبدي عن حسن النبات ، وتفتر عنه كما يفتر الضاحك عن الثغر ، ويقولون : لقيت من فلان عرق القربة ، أي : شدّة ، وأصل هذا أنّ حامل القربة يتعب في نقلها حتّى يعرق جبينه ، فاستعير عرقه في موضع ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾«[3045]» أي : شدّة الأمر ، وذلك أنّ الرجل إذا وقع في أمر يحتاج إلى معاناة شمّر عن ساقه ، فاستعير الساق في موضع الشدّة ، وهو كثير في القرآن ، وإنّما هذا في أصل كلام العرب ، ثمّ خاطبهم الله على ما يعقلون في كلامهم وما اعتادوا منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾»«[3046]» ،﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾«[3047]» إذ لم يرد أنّهم لا يظلمون ذلك بعينه ، إنّما أردا مقدار هذين الحقيرين ، والعرب تقول : ما رزانه ، زبالا ، فالزبال ما تحمله النملة بفيها ، ومنه قوله : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾«[3048]» يريد به التقليل ، أي ما يملكون من شيء ، ومنه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾«[3049]» ، أراد به أبطلناه ، كما أنّ الهباء المنثور مبطل لا فائدة فيه ، وهو ما سطع في شعاع الشمس من كوة البيت ، والمنبث ما سطع من سنابك الخيل ، ومنه:« أفئدتهم هواء »، أي : لا تغني خيرا ، لأنّ المكان إذا خاليا فهو هواء لا شيء فيه ، ومنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾«[3050]»، أي : أطلعنا ، وأصله من عثر بشيء وهو غافل ، ثمّ نظر إليه فاطلع عليه

[3045] ـ سورة القلم : الآية 42

[3046] ـ سورة النساء :الآية 49

[3047] ـ سورة النساء : الآية 124

[3048] ـ سورة فاطر: الآية 13

[3049] ـ سورة الفرقان : الآية 23

[3050] ـ سورة الكهف : الآية 21

فصار العثار سببا للتبين فاستعير مكان التبيين والاطلاع ، ومنه : ﴿ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾«[3051]» يريد الخيل سميت خيرا لما فيها من الخير ، وهو منافعها ، ومنه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ ﴾«[3052]» ، أي : كافرا فهديناه ، «وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا » أي نورا ، «كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ» أي في الكفر فاستعير الموت مكان الكفر ، والحياة مكان الهدى والنور مكان الإيمان ، ومنه :﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾»«[3053]» ، أي : إثمك وأصل الوزر ما حمل على الظهر ، فشبه الإثم بالحمل ، وشبّه بالثقل ، لأنّ الحمل والثقل سواء ، فقال : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾«[3054]» ، أي آثاما مع آثامهم ، ومنه :﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾«[3055]» أي : نكاحا لأنّ النكاح يمون سرا ، ولا يظهر فاستعير له السر ، ومنه : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾«[3056]»كما تزرع الأرض ، فشبّه الولد بالزرع والبطن بالأرض ، ومنه : ﴿ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ ﴾«[3057]» أي ترخصوا ، وأصله أن يصرف المرء بصره عن الشيء ويغمضه فسمي الترخيص إغماضا ، ومنه : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾«[3058]» جعل كلّ واحد لصاحبه كالثوب للإنسان يتضامان ، ويلتصقان كالثوب في تضامه ، والتصاقه على الإنسان ، وقد قال

[3051] ـ سورة العاديات : الآية 8

[3052] ـ سورة الأنعام : الآية 122

[3053] ـ سورة الانشراح : الآية 2

[3054] ـ سورة العنكبوت : الآية 13

[3055] ـ سورة البقرة : الآية 135

[3056] ـ سورة البقرة : الآية 223

[3057] ـ سورة البقرة : 267

[3058] ـ سورة البقرة : الآية 187

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾«[3059]» ، وكما قال أبو سفيان : ذق عقق ، وحقيقة الذوق إنّما هي في حاسة اللسان ، وهي في هذا كلّه مستعارة فيما بوشر بالنفس »«[3060]».

في هذا النّص الذي تعرّض فيه الإمام مكي ـ رحمه الله ـ لتفسير قوله : «وما قتلوه يقينا» أخبر أنّ بعض المفسرين أدخل هذه الآية في باب الاستعارة عندما ذكر «أنّه أريد به تحقيق الأمر واستيقانه» وكلامه فيه نوع من الإبهام إذ لم يوضح الصورة أو المعنى التي تكون به الآية داخلة في دائرة الاستعارة ، فظاهر الآية نفت تيقن النّصارى أنّهم قتلوا عيسى عليه السلام حقيقة بل توهموا ذلك و ظنّوه ، إلاّ أن يكون ـ رحمه الله ـ يقصد بذلك رأيا آخر لم يفصح عنه ويصرح به . وقد ذكر بعض المفسرين أنّ الضمير في «قتلوه» عائد على الظنّ يقولون : قتلت هذا الأمر علما إذا قطعت به وجزمت الجزم الذي لا يخالجه شيء . فيكون المعنى : وما صحّ ظنّهم عندهم وما تحققوه يقينا ...وقال الفراء وابن قتيبة الضمير عائد على العلم أي : ما قتلوا العلم . يقال : قتلت العلم والرأي يقينا ، وقتلته علما ، لأنّ القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء ، فكأنّه قيل : لم يكن علمهم بقتل المسيح علما أحيط به «[3061]». ولعلّ الإمام مكي ـ رحمه الله ـ يريد بهذا القول الأخير وهو إطلاق قتل العلم على التحقق والتيقن والتثبت لنفي القتل الحقيقي الوارد في الآية الذي توهمه النّصارى ، ثمّ بعد ذكره لهذا المعنى أشار ـ رحمه الله ـ إلى أنّ الاستعارة باب كبير في كلام العرب وذكر تعريفا لها بأنّها وضع الكلمة في موضع ما هو قريب منها أو ما هو سببها أو ما يشبه الآخر أي مقارب له بمعنى ، ثمّ شرع في إيراد جملة من النماذج على ما ذكره . وقبل التعليق على ما أورده من نماذج أحب التنبيه على أنّه ـ رحمه الله ـ أخذ هذا الباب بجميعه بدأ من تعريفه للاستعارة وذكر النماذج عن الإمام ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ فهو من أشار إلى هذه المسائل

3059 ـ سورة النحل : الآية 112

3060 ـالهداية إلى بلوغ النهاية : ج 2 ، ص1520 ـ 1523

3061 ـ ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية ، ج 2 ، ص 158 ، والبحر المحيط : الإمام أبو حيّان ،ج 3 ، ص 406.

في كتابه تأويل مشكل القرآن . وقد توسع الإمام ابن قتيبة فيه فأدخل جملة من الصور تحت دائرة المجاز واستطرد في ذلك فأطلق بعض الصور البيانية ومباحث علم المعاني تحت مسمّاه «[3062]». وتابعه الإمام مكي ـ رحمه الله ـ على ذلك . فقد كانت تلك المباحث البيانية والبلاغية في بداية الأمر تطرق وتبحث بمسمى المجاز ، إذ لم تتضح في تلك المرحلة معالم المصطلحات والحدود والتقسيمات . بل تبلورت وتشكلت عند المتأخرين ، ولو عدنا لاستعراض النماذج التي أوردها الإمام مكي ونقلها عن الإمام ابن قتيبة وجدناها كذلك . فقوله : «النبات نوء» هذا مجاز مرسل علاقته السببية لأنّ المطر سبب للإنبات ، وقوله : «ضحكت الأرض» يحتمل أن تكون استعارة . حيث استعير الضحك للأرض وهو للإنسان وأريد به حسن النبات ونضارته فالجامع بينهما هو الحسن ، وقوله : «لقيت من فلان عرق القربة» كناية عن الشدّة كما ذكر اللغويون ، وأمّا قوله تعالى : «﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾«[3063]» فهي استعارة تمثيلية ، وقوله : «﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾«[3064]» استعارة تمثيلية كذلك . الفتيل هو الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة استعير هنا لبيان القلة ، وقوله: «﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾«[3065]»كناية عن القلة ، وأصل النقير ما يكون في ظهر النواة من نكتة كني بها عن القلة و يمكن أن تكون استعارة تمثيلية استعيرت للقلة كذلك . وقوله : «﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾«[3066]»استعارة تمثيلية ، فالقطمير هو القشرة التي بين التمرة والنواة ، أو هي النكتة البيضاء التي في ظهر النبات التي تنبت منها النخلة استعيرت للقلة . وقوله : «﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾«[3067]» تشبيه بليغ شبهت أعمالهم في عدم الانتفاع بها مع

[3062]ـ تأويل مشكل القرآن : ص 135 ـ 146

[3063] ـ سورة القلم : الآية 42

[3064]ـ سورة النساء : الآية 49

[3065] ـ سورة النساء : الآية 124

[3066]ـ سورة فاطر : الآية 13

[3067] ـ سورة الفرقان : الآية 23

كونها موجودة بالهباء في عدم إمساكه مع كونه موجودا «[3068]»، وقوله : «لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ »«[3069]» استعارة استعير فيها اسم الخير للمال أو للخيل باعتباره تؤول إلى المال ، وقوله :«أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ »«[3070]» تشبيه تمثيلي ، حيث شبّه سبحانه وتعالى من هداه بحال من كان ميتا ثمّ أحياه وجعل له نورا يهتدي به في الظلمات . وسمي تمثيليا لأنّ صورة وجه الشبه وصفٌ منتزع من أمور متعددة، وفي قوله : «وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ »«[3071]» استعارة تمثيلية المراد منها عصمته صلى الله عليه وسلم من الوزر ، حيث لا وزر ، فشبّه حاله وهو ينوء تحت ما يتخيله وزرا وليس بوزر بحال من آداه الحمل الثقيل وبرح به الجهد والحر اللافح فهو يمشي مكدودا يكاد يسقط من ثقل ما ينوء «[3072]»، وقوله : « إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ »«[3073]»كناية عن التغاضي أو استعارة تصريحية ، حيث شبّه التجاوز عن الشيء الجدير بغض العين والبصر عمّا يكره المرء رؤيته ، وقوله : «نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ »«[3074]» تشبيه بليغ وليس باستعارة ، فقد شّبه النساء بالحرث لما يلقى في أرحامهن كما تلقى البذور في الأرض فيخرج النبات والزرع ، وقوله : «هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ »«[3075]» استعارة ، حيث اللباس الذي يستر جسم الإنسان ويتصل به ويلابسه في جميع أحواله للعلاقة التي بين الرجل والمرأة فكل منهما يلابس الآخر ويشتمله كما يشتمل الثوب الجسد علاوة على أنّ الثوب يستر الجسد وكذلك كل

[3068] ـ التحرير والتنوير : ج 19، ص 8

[3069] ـ سورة العاديات : الآية 8

[3070] ـ سورة الأنعام : الآية 122

[3071] ـ سورة الشرح : الآية 2

[3072] ـ ينظر: إعراب القرآن : محي الدين درويش ، ج 10 ، ص522، والجدول في إعراب القرآن : عبد الرحمان صافي ، ج 30 ، ص 357

[3073] ـ سورة البقرة : الآية 267

[3074] ـ سورة البقرة : الآية 223

[3075] ـ سورة البقرة : الآية 187

واحد منهما يستر الآخر ويصونه. وبعضهم حملها على سبيل الكناية ، وقوله: «فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ »«[3076]» تضمنت هذه الآية هنا استعارتان مكنيتان . فقد شبه المولى تعالى ما ينزل من الضرر والبؤس وما يدرك منهما بحال الطعام الذي الذي يذاق بالحاسة غير أنّه حذف ذكر الطعام وأتى بشيء من لوازمه وهو الذوق ، وأمّا استعارة اللباس فقد شبّه المولى تعالى الجوع والخوف الذي يشمل الجسم ويحيط به بالثوب الذي يشمل لابسه ويحيط به فيغشاه من كل جانب .

وفي ختام الحديث عمّا تعرض له الإمام مكي في تفسيره وجعله من قبيل الاستعارة يتأكد ما ذكرته سابقا من تعميمه لمصطلح الاستعارة وإطلاقه على كثير من فنون البيان كالتشبيه والكناية والمجاز . وهو في ذلك يضاهي المتقدمين من علماء البلاغة والعربية في إطلاقهم لكثير من المباحث البلاغة تحت دائرة الاتساع وعموم المجاز .

المطلب الرابع : الاستعارة في تفسير الإمام ابن عطية

وردت الاشارة للاستعارة في تفسير الإمام ابن عطية حيث حرص على النّص والتنبيه عليها في بعض الآيات التي تضمنتها وجملة المواضع التي ذكرها هي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾«[3077]»

قال رحمه الله ـ : « وقوله : « فذقوا » استعارة بليغة ، والمعنى باشروه مباشرة الذائق إذ هي أشدّ المباشرات »«[3078]»

[3076] ـ سورة النحل : الآية 112

[3077] ـ سورة الأنعام : الآية 30

[3078] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 333 .

يشير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة بليغة مخبرا أنّها في لفظة «فذقوا» التي أريد بها مباشرة العذاب كما يباشر الطعام .وهذا ما اكتفى به ـ رحمه الله ـ في بيانه لها دون بيان نوعها . وهي هنا استعارة مكنية وهي التي يختفى أو يحذف فيها اللفظ المشبه ويكتفى بذكر شيء من لوازمه يكون دليلا عليه ، ووجهها هنا أنّه سبحانه وتعالى شبّه من يباشر العذاب ويقاسيه ويعاني ألامه بحال الذي يأكل طعام ويتذوقه . وقد حذف اللفظ المشبه هنا وهو الطعام واكتفى بذكر شيء من لوازمه التي يدرك بها الطعام وهو الذوق الذي يدرك بالحاسة و الجامع بينهما هو الإحساس.

هذا وقد أشار إلى الاستعارة في الآية ونقل كلام الإمام ابن عطية الإمام أبو حيّان فقال : « والذوق في العذاب استعارة بليغة والمعنى باشروه مباشرة الذائق إذ هي أشدّ المباشرات »«[3079]» كما نصّ عليها أيضا الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وذوق العذاب استعارة لإحساسه ، لأنّ الذوق أقوى الحواس المباشرة للجسم ، فشبّه به إحساس الجلد »«[3080]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾«[3081]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ... والمراد ولما سكت موسى عن الغضب ، فهو من باب : أدخلت فمي في الحجر ، وأدخلت القلنسوة في رأسي ، وفي هذا أيضا استعارة ، إذ الغضب ليس يتكلم فيوصف بالسكوت »«[3082]»

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة . وهي في استعارة السكوت للغضب كما يفهم من مضمون كلامه . وقد اكتفى بذكر الاستعارة فحسب

[3079] ـ تفسير البحر المحيط : ج4 ، ص 110

[3080] ـ التحرير والتنوير : ج 7، ص 188

[3081] ـ سورة الأعراف : الآية 154.

[3082] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 527 .

دون شرحها وتحليلها وبيان نوعها . والذي يظهر أنّ الاستعارة في هذه الآية هي استعارة مكنية ، حيث استعار السكوت للغضب وكأنّ الغضب شخص ناطق آمر وناه فلمّا أحدث في موسى عليه السلام الغضب والانفعال أمره بالسكوت والسكون عن ذلك فيعود لحالة الطبيعية من الهدوء . وحذف في هذا التشبيه اللفظ المشبه وهو الإنسان وأتى بشيء من لوازمه وهو السكوت ، كما تحتمل الآية استعارة تبعية وذلك في تشبيه سكون الغضب وذهابه بسكوت وسكون الشخص الآمر الناهي .

هذا وقد ذكر الاستعارة في توجيه هذه الآية الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال : « والسكوت مستعار لذهاب الغضب عنه ، شبّه ثوران الغضب في نفس موسى المنشئ خواطر العقوبة لأخيه وقومه ، وإلقاء الألواح حتّى انكسرت ، بكلام شخص يغريه بذلك ، وحسن هذا التشبيه أنّ الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفئ بها ثوران غضبه ، فإذا سكن غضبه وهدئت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغري . وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المغري على طريقة المكنية فاجتمع استعارتان ، أو هو استعارة تمثيلية مكنية ، لأنّه لم تذكر الهيئة المشبه بها ورمز إليها بذكر شيء من روادفها وهو السكوت ...»«[3083]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[3084]»

قال ـ رحمه الله ـ : « واخفض لهم جناحك ، وهذه أيضا استعارة بمعنى ليّن جناحك ووطئ أكنافك ، والجناح الجانب والجنب ، ومنه : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾«[3085]» ، فهو أمر بالميل إليهم ، والجنوح الميل »«[3086]»

[3083] ـ التحرير والتنوير : ج 9 ، ص 122

[3084] ـ سورة الشعراء : الآية 215

[3085] ـ سورة القصص : الآية 32

[3086] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 371 .

يخبر الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة في لفظة :«واخفض جناحك» مخبرا أنّها استعيرت للين الجانب والتواضع للمؤمنين. وقد اكتفى ـ رحمه الله ـ في بيانها بشرح بسيط ، حيث ذكر اللفظ المستعار وهو خفض الجناح والمعنى المستعار له وهو التواضع . ولم يشر إلى نوعها .

والاستعارة الواردة هنا هي استعارة مكنية فقد شبّه المولى تعالى لين جانب نبيه وتواضعه بطائر يريد الهبوط فيخفض جناحه لذلك ، غير أنّه لم يصرّح بالمشبّه وأتى بشي من لوازمه وهو الجناح فهذه استعارة مكنية . وحقيقة الخفض إنّما هو للطائر عندما ينزل إلى الأرض شبّه به إلانة الجانب للمؤمنين والتواضع لهما .

وقد ذكر الاستعارة في هذه الآية كثير من أئمة التفسير منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال : « لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط »«[3087]» كما نبّه عليها أيضا الإمام أبو السعود«[3088]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾«[3089]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : فأذاقها الله لباس الجوع استعارت أي لما باشرهم ذلك صار كاللباس ، وهذا كقول الأعشى :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها   تثنت عليه فصارت لباسا «[3090]»

ونحو قوله تعالى : «هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ»«[3091]»، ومنه قول الشاعر :

[3087] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 4 ، ص 151

[3088] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6، ص 268

[3089] ــ سورة النحل : الآية 112

[3090] ــ البيت : ينسب للنابغة الجعدي وليس للأعشى ، ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، ابن الأنباري ، ج 2 ، ص 48 .

وقد لبست بعد الزبير مجاشع ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما«[3092]» .

كأنّ العار لما باشرهم وألصق بهم جعلهم لبسوه ...»«[3093]».

يشير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارات في لفظة «فأذاقها الله لباس الجوع» مخبرا أنّ هؤلاء المذكورين في الآية لما باشرهم ما نزل بهم من الجوع والخوف صار ذلك كاللباس المباشر لأجسادهم . وإطلاقه للفظ استعارات يحتمل عددا كبيرا من الاستعارات في الآية ، غير أنّ الوارد فيها استعارتان فحسب ، والاستعارتان هنا استعارتان مكنيتان ، فقد شبه المولى تعالى ما ينزل من الضرر والبؤس وما يدرك منهما بحال الطعام الذي الذي يذاق بالحاسة غير أنّه حذف ذكر الطعام وأتى بشيء من لوازمه وهو الذوق . وأمّا استعارة اللباس فقد شبّه المولى تعالى الجوع والخوف الذي يشمل الجسم ويحيط به بالثوب الذي يشمل لابسه ويحيط به فيغشاه من كل جانب .

هذا وقد نصّ على الاستعارتين في الآية الإمام الزمخشري وحلّلهما بقوله : « ... فإن قلت اللباس والذوق استعارتان ، فما وجه صحتهما ؟ والاستعارة موقعة على اللباس المستعار . فما وجه صحة إيقاعها عليه ؟ قلت : أمّا الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذب شبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من الطعم المر البشع . وأمّا اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس : ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وأمّا إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف ، فلأنّه لما وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويلابس ، فكأنّه قيل : فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف ...»«[3094]» وقد نقل قول الإمام الزمخشري وتبعه عليه كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي

[3091]ـ سورة البقرة : الآية 187

[3092]ـ البيت لجرير : ينظر : خزانة الأدب ، الحموي ، ج 6 ، ص 340 .

[3093]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 433 .

[3094]ـ الكشاف : ج 2، ص 596 ـ 597

«[3095]»والإمام السمين الحلبي«[3096]» والإمام النسفي«[3097]» والإمام ابن جزي«[3098]» والإمام أبو حيّان «[3099]» والإمام أبو السعود«[3100]» ،كما نبّه عليها الشيخ الطاهر بن عاشور«[3101]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾«[3102]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وقوله : « رجما بالغيب » معناه ظنّا وهو مستعار من الرجم كأنّ الإنسان يرمي الموضوع المشكل المجهول عنده بظنّه المرة بعد المرة يرجمه به عسى أن يصيب ، ومن هذا هو الترجمان ، وترجمة الكتاب ، ومنه قول زهير :

وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم »«[3103]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة . وذلك في لفظة رجما ، حيث أخبر أنّها استعيرت للرمي بالظنّ علّ الرامي يصيب برميه الظنّ الحقيقة . ودعّم هذا المعنى ببيت لزهير ذكر فيها الحديث بالرجم .وهذا ما اكتفى به ـ رحمه الله ـ في التنبيه عليها دون بيان نوعها ، والاستعارة هنا هي استعارة مكنية حيث استعار الرجم الذي يراد به الرمي بحجر أو غيره من الأدوات لإطلاق القول بغير تثبت أو روية على سبيل الظنّ . وحذف لفظ الرمي وأتى بشيء من روادفه وهو الرجم فصار الرجم هنا في معنى الظنّ.

[3095]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 242

[3096]ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج ، ص

[3097]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل :ج 2 ، ص 251

[3098]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 461

[3099]ـ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 524ـ 525 .

[3100]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5، ص 145

[3101]ـ التحرير والتنوير : ج14، ص 306

[3102]ـ سورة الكهف : الآية 22.

[3103]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 530ـ 531 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذا وقد نقل قول الإمام ابن عطية في بيان معنى هذه الاستعارة كل من الإمامين ابن جزي«[3104]» وأبو حيان «[3105]»، كما أشار إلى الاستعارة ونبّه عليها الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال : « والرجم حقيقته : الرمي بحجر ونحوه ، واستعير هنا لرمي الكلام من غير روية ...»«[3106]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾«[3107]».

قال ــ رحمه الله ــ : « واشتعل مستعارة للشيب من اشتعال النار على التشبيه »«[3108]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها استعارة . وذلك باستعارة لفظ الاشتعال للشيب على طريقة التشبيه . وهذا ما اكتفى بذكره عند الإشارة إليها ، وهذه الاستعارة الواردة في الآية هي استعارة مكنية أو استعارة بالكناية . ووجه ذلك أنّه سبحانه وتعالى شبّه انتشار الشيب في الشعر باشتعال النّار بعامل من العوامل التي يوقد لهيبها ويزيد في اضطرامها غير أنّه حذف النّار ورمز إليها بشيء من روادفها الدالة عليها وهو الاشتعال . وقد ذكر الاستعارة في الآية ووجهها كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري ، حيث قال في بيانها : « شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ ، باشتعال النّار ، ثمّ أخرجه مخرج الاستعارة ، ثمّ أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس . وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس ، اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأس زكريا ...»«[3109]». وقد تبع الإمام

[3104] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 489
[3105] ــ تفسير البحر المحيط : ج 6، ص 109
[3106] ــ التحرير والتنوير : ج 15 ، ص 291
[3107] ــ سورة مريم : الآية 4
[3108] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 4 .
[3109] ــ الكشاف : ج3 ، ص 6

الزمخشري في تقرير هذا الكلام كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبي «[3110]» والإمام النّسفي «[3111]» والإمام أبو حيّان «[3112]» والإمام أبو السعود«[3113]» .

ـ المطلب الخامس : الاستعارة في ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي

ورد ذكر اسم الاستعارة في توجيه الإمام ابن الزبير للمتشابه القرآني غير أنّ ذكرها كان قليلا . فجملة ما نبّه عليه من الاستعارة ثلاث مواضع فحسب . وذلك :

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾«[3114]»

قال ــ رحمه الله ــ«[3115]» : « وهذه الآية وأمثالها مراد بها من تعامى عن النظر في الدلالات وترك واضح الاعتبار ، وحمل نفسه بقدر الله على ما لا يشهد له نظر ولا يقوم عليه برهان ، فكأنّ هؤلاء تعلموا في ذلك وعالجوا أنفسهم حتّى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة ، ولذلك استعير لمن جرى على حال هؤلاء البيع والشراء ، فقيل : «﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾«[3116]» .

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ــ في معرض توجيهه لهذه الآية أنّه استعير البيع والشراء في القرآن الكريم لمن أعرض عن سبيل الهدى واتبع سبيل الضلالة بتعاميه عن النظر في الدلائل والآيات فاستبدل الهدى بالضلالة . كما يحصل البدل في عملية البيع والشراء . وأشار إلى هذه الآية

3110 ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 11 ، ص 77

3111 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج 3، ص 32

3112 ـ تفسير البحر المحيط : ج 6، ص 164

3113 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5، ص 253

3114 ـ سورة القصص : الآية 50

3115 ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 191 ـ 192

3116 ـ سورة البقرة : الآية 16

:« أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ» وهذه إشارة سريعة منه لها دون أن يقف معها بالشرح والتحليل ويفيض في ذلك وإنّما اكتفى ببيان اللفظ المستعار والمعنى المستعار له ، والاستعارة الواردة هنا هي استعارة تصريحية فقد صرح بالمشبه والمشبه به . وقد شبّه هيئتهم في اختيار الضلال بحال من اشتراها ودفع في ثمنها نقيضها وهو الهدى فكانت عوضا وبدلا عنه ، وزاد هذه الاستعارة ترشيحا ذكر الربح والتجارة ، وقد ذكر الاستعارة في الآية ونبّه عليها الإمام الزمخشري ، فقال : « ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأنّ الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ...»«[3117]» ،كما نبّها عليها الإمام البيضاوي«[3118]» والإمام الرازي«[3119]»والإمام القرطبي«[3120]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[3121]».

في معرض تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾«[3122]» قال ــ رحمه الله ــ : « وهي استعارة عبّر بها عن التوصل للغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفاتح إلى الغيب عن الإنسان ممّا لا يصل إليه من ليست عنده مفاتحه »«[3123]».

يظهر من توجيه الإمام ابن الزبير ــ رحمه الله ــ لهذه الآية أنّه ينصّ على وجود استعارة فيها . وذلك باستعارة المفاتح للتوصل لعلم الغيب كما يتوصل للاطلاع على الشي الغائب عن الإنسان بالمفاتيح ، والاستعارة الواردة في الآية هي استعارة تصريحية ، حيث شبّه العلم بالغيب واستعار له المفاتح ليتوصل إليه كما يتوصل بالمفاتح لما غاب عن أعين الناس وكان مقفلا عليه من الأشياء النفيسة والثمينة .

[3117] ــ الكشاف : ج 1، ص 107
[3118] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 48
[3119] ــ مفاتح الغيب : ج 3، ص 311
[3120] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 1، ص 210
[3121] ــ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 299
[3122] ــ سورة الأنعام : الآية 59
[3123] ــ ملاك التأويل : ج 2 ،ص 1005 .

هذا وقد أشار إلى الاستعارة كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري ،فقال :« جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة ، لأنّ المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلال والأقفال . ومن علم مفاتحها وكيف تفتح وتوصل إليها »«[3124]»وتبعه في تقرير هذا القول كثير من المفسرين منهم الإمام النسفي«[3125]» والإمام أبو السعود«[3126]» ، كما نبّه عليها أيضا الإمام ابن عطية«[3127]» وتبعه في إيراد كلامه كثير منهم الإمام القرطبي«[3128]» وابن جزي«[3129]»كما نبّه عليها الإمام أبو حيّان«[3130]» والشيخ الطاهر بن عاشور «[3131]»وبيّن هذا الأخير نوعها . فذكر أنّها استعارة تخيلية مكنية كما يصح أن تكون تصريحية على تقديرات وتأويلات .

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾«[3132]» ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾«[3133]» أورد تساؤلا أخبر فيه أنّ كلاّ من الطامة والصاخة أريد به يوم القيامة ، فلماذا افترقا في العبارة ؟

ثمّ أجاب عن هذا التساؤل بقوله : « والجواب عن ذلك والله أعلم أنّ الطامة والصاخة ، وإن أريد بهما في السورتين شيء واحد ، فإنّ اسم الطامة أرهب وأنبأ بأهوال القيامة ، لأنّها من قولهم :« طمّ السيل » إذا علا وغلب ، وأمّا الصاخة فالصيحة الشديدة من قولهم صخ بأذنيه مثل أصاخ

[3124] ـ الكشاف : ج2 ، ص 30 ـ 31

[3125] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج2 ، ص 16

[3126] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج3، ص 143

[3127] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2، ص 353

[3128] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 7، ص1

[3129] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 271

[3130] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4، ص 148

[3131] ـ التحرير والتنوير : ج 7، ص 270 ـ 271

[3132] ـ سورة النازعات: الآية 34

[3133] ـ سورة عبس : الآية 33

، فاستعيرت من أسماء القيامة مجازا ، لأنّ الناس يصيخون لها ، فلمّا كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلى أهوالها خصّ بها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار ...»«[3134]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في معرض توجيهه للمتشابه من الآيتين أنّ لفظة الصاخة التي هي مشتقة من الفعل صاخ الذي معناه الصيح بشدة في الأذن استعير مجازا ليوم القيامة نظرا لصياح الناس وصياخهم لها غدا يوم القيامة ، ويظهر من كلامه هذا أنّه أطلق لفظ الاستعارة لغة دون إيراد معناه الاصطلاحي المعهود والمعروف وإنّما أردا أن يخبر فحسب أن يوم القيامة سمي الصاخة مجازا لانتقاله من هذا المعنى المذكور ، وظاهر كلامه أنّه أخذه من كلام الإمام الزمخشري فهو من أورد هذا في تفسيره ، حيث قال :« يقال : صخّ لحديثه ، مثل أصاخ له ، فوصفت النفخة بالصاخة مجازا ، لأنّ النّاس يصخون لها »«[3135]»

وفي ختام الحديث عن النماذج التي أوردتها من كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير اتضح أنّه لم يشر كثيرا للاستعارة عند توجيهه للمتشابه القرآني . وعذره في ذلك كما قلت سابقا هو تخصيص الكتاب لتوجيه المتشابه وليس لتفسير القرآن الكريم كله ، كما أنّ طبيعة منهجه في الإشارة إليها يتسم في الغالب بالتصريح بلفظ الاستعارة مريدا بذلك المعنى اللغوي أكثر منه المعنى الاصطلاحي ، حيث يحرص على بيان اللفظة المستعارة للفظ المستعار له دون ذكر نوع الاستعارة أو التنبيه على قيمتها وما تؤديه من وظيفة بلاغية ومدى تأثيرها في الآية القرآنية .

[3134] ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 1335 .

[3135] ـ الكشاف : ج 4، ص 706

ـ المطلب السادس : الاستعارة في تفسير الإمام ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)

وردت الاشارة للاستعارة في تفسير الإمام ابن جزي حيث حرص على النّص والتنبيه عليها في كثير من الآيات التي تضمنتها وجملة المواضع التي ذكرها هي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾«[3136]»
قال ــ رحمه الله ــ : « صبغة الله »أي : دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره »«[3137]».

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود استعارة مخبرا أنّها في لفظة «صبغة » والمراد بها ما صبغ به الثوب استعيرت للدين . غير أنّه لم يبيّن وجه الاستعارة ولم يشرحها ويحللها ممّا يجعلها قريبة في الأذهان . فاكتفى بشرح لفظة صبغة وأخبر أنّ المراد بها في الآية دين الله فحسب . وهذه الاستعارة تعدّ استعارة تصريحية حيث صرّح المولى جلّ وعلا بالمشبه به وهو الصبغة . وحذف المشبه وهو في الآية الدين أو الإيمان ، وعليه فيكون شبّه الإيمان أو الدين بالصبغة على اعتبار أنّ أثرها يظهر على الثوب المصبوغ فكذلك الإيمان أو الدين يظهر أثره على قلوب أتباعه. والقرينة فيها هي المشاكلة التقديرية أو التحقيقية . وقد نبّه على هذه الاستعارة الإمام ابن عطية«[3138]» والإمام القرطبي ، حيث قال هذا الأخير : « فسمي الدين صبغة استعارة ومجازا من حيث تظهر أعماله وسمته على المبتدئين . كما يظهر أثر الصبغ في الثوب ...»«[3139]» كما أشار إليها أيضا الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال :« ... فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة ، والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة وإنّما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة ، وإنّما سمّاها العلماء

[3136] ـ سورة البقرة : الآية 138 .

[3137] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 90 .

[3138] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 202

[3139] ـ الجامع في أحكام القرآن : ج 2 ، ص 144

مشاكلة لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة وسموها المشاكلة ، وإنّما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه . فإن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكورا فهي المشاكلة ولنا أن نصفها بالمشاكلة التحقيقية »«[3140]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾«[3141]»

قال ــ رحمه الله ــ : « أي : تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذي تشدّ عليه اليد ، والمراد به هنا : القرآن ، وقيل : الجماعة »«[3142]».

يخبر الإمام ابن جزي ـرحمه الله في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ لفظ الحبل الوارد فيها مستعار من الحبل الذي تشدّ عليه اليد ، ثمّ بيّن المراد بالحبل في الآية وهو القرآن أو الجماعة . ففي كلامه ــ رحمه الله ــ إيماء بوجود الاستعارة في الآية غير أنّه اكتفى ببيان الشيء المستعار فقط وهو الحبل المراد به في الآية القرآن أو الجماعة كما قال. وبالتالي لم يحدد نوع هذه الاستعارة ولم يوضح صورتها بالشيء اللازم فهي إشارة سريعة . وهذه الاستعارة الواردة في الآية هي استعارة تمثيلية ، فإنّه حصل في الآية تشبيه الوثوق بالله والاعتماد عليه والالتجاء إليه وذلك بالتمسك بدينه وقرآنه بحال من يتمسك بحبل وثيق يتدلى وينزل به من مكان عال يأمن انقطاعه «[3143]»

هذا وقد أشار إلى استعارة الحبل للوثوق والاعتصام في الآية كثير من المفسرين منهم الإمام ابن عطية . كما نبّه على الاستعارة الإمام البيضاوي ، حيث قال : « ... استعار له الحبل من حيث التمسك به سبب للنجاة من الردي ، كما أنّ التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي والوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز »«[3144]»، كما جوّز أن يكون الوارد في الآية تمثيلا

[3140] ــ التحرير والتنوير : ج 1، ص 744

[3141]ــ سورة آل عمران : الآية 103

[3142]ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 158

[3143]ــ ينظر:الجدول في إعراب القرآن وبيانه ، عبد الرحمان صافي ، ج 4 ص 264، وإعراب القرآن وبيانه : محي الدين درويش ،ج 2، ص 12

[3144]ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل :ج 2 ، ص 31

أو استعارة الإمام ابن عادل والشيخ الطاهر بن عاشور ، وجوّز الإمام أبو السعود أن يكون ذلك مجازا في المفردات أو استعارة والاعتصام ترشيح لها.

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾«[3145]»

قال ـ رحمه الله ـ : « الذوق هنا مستعار لأنّ حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا ما لزمه من التكفير »«[3146]»

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ لفظة الذوق مستعارة للعذاب لأنّ حقيقتها في المطعومات التي تكون بحاسة اللسان ، وفي هذا إيماء بوجود استعارة في الآية دون التعرض لها بالشرح والتحليل المبين لصورتها الحقيقية . وهذه الاستعارة هي استعارة مكنية وهي التي يختفي أو يحذف فيها اللفظ المشبه ويكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه . ووجهها هنا أنّه سبحانه وتعالى شبّه من تعدّى حرمة الإحرام وانتهكها بشيء من المحظورات بصورة من أكل الطعام المستوبل الثقيل . غير أنّه حذف ذكر الطعام . واكتفى بالإشارة لشيء من لوازمه وهو الذوق .

هذا وقد نصّ على استعارة الذوق للعذاب الإمام ابن عطية فقال : « والذوق هنا مستعار كما قال تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾«[3147]» . وكما قال : ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ «[3148]» . وكما قال أبو سفيان : ذق عقق ، وحقيقة الذوق إنّما هي

[3145] ـ سورة المائدة : الآية 95 .

[3146] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 250 .

[3147] ـ سورة الدخان : الآية 49

[3148] ـ سورة النحل : الآية 112

في حاسة اللسان وهي في هذا كله مستعارة لما بوشر بالنفس »«[3149]» ، كما نقل الإمام القرطبي«[3150]»كلام الإمام ابن عطية وضمنّه في تفسيره ، ممّا يؤكد أيضا نقل الإمام ابن جزي هذا المعنى الإمام ابن عطية دون التصريح بذلك .

وقد صرّح الشيخ الطاهر بن عاشور بالاستعارة وحللها فقال : « والذوق مستعار للإحساس بالكدر ، شبّه ذلك الإحساس بذوق الطعم الكريه كأنّهم راعوا فيه سرعة اتصال ألمه بالإدراك ، ولذلك لم نجعله مجازا مرسلا بعلاقة الإطلاق إذ لا داعي لاعتبار تلك العلاقة ، فإنّ الكدر أظهر من مطلق الإدراك . وهذا الإطلاق معتنى به في كلامهم ، لذلك اشتهر الذوق على الآلام واللذات ... وقال أبو سفيان يوم أحد مخاطبا جثة حمزة« ذق عقق » وشهرة هذه الاستعارة قاربت الحقيقة ...»«[3151]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾«[3152]».

قال ــ رحمه الله ــ : « أمر بالنفير إلى الغزو ، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصعوبة ...»«[3153]»

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارتين مخبرا أنّ الخفة والثقل في الآية مستعاران لمن يمكنه السفر للجهاد والغزو بسرعة أو ببطء وصعوبة . مكتفيا بهذا الشرح الوجيز دون بيان نوع الاستعارة فيهما . وهما من استعارة محسوس لمحسوس ووجه ذلك أنّ أصل الخفة في الأجسام فيظهر عليها قلة في تركيبها ،كما أنّ الثقل أصله في الأجسام فيظهر

[3149] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج2 ، 282

[3150] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 6، ص 317

[3151] ـ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 50

[3152] ـ سورة التوبة : الآية 41 .

[3153] ـ التسهيل لعلوم التنزيل :ج 1 ، ص 351 .

عليها كثرة في تركيبها وكلا الأمران مشاهدان بحاسة البصر . واستعيرت هنا الخفة لسرعة تحرك الجيش وانتقاله وهذا أمر مشاهد بالبصر ، كما استعير الثقل لبطء الجيش وصعوبة تنقله وهو أمر مشاهد كذلك بالبصر .

هذا وقد أشار إلى هذه الاستعارة الإمام ابن عطية وذكر الكلام الذي أورده الإمام ابن جزي ممّا يؤكد نقل هذا الأخير عنه ، فقال : « ومعنى الخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة . وأمّا من لا يمكنه كالعمي ونحوهم فخارج عن هذا »«[3154]» كما أشار إلى هذا المعنى الإمام أبو حيّان«[3155]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[3156]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾«[3157]».

قال ــ رحمه الله ــ : « الإذاقة هنا واللبس مستعاران ، أمّا الاذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا ، حتّى صارت كالحقيقة ، وأمّا اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب »«[3158]».

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارتين مصرحا بأنّهما في لفظتي الإذاقة واللباس فهما اللفظان المستعاران ذاكرا أنّ لفظة الإذاقة ذاع استعمالها في البلايا وما ينزل من العذاب والضر بالإنسان حتّى صارت كالحقيقة ملازمة لهذا المعنى ، ثمّ ذكر أنّ اللباس استعير للجوع والخوف لاشتمالها على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب . ويظهر من هذا التحليل من الإمام ابن جزي لهذه الاستعارة أنّه ارتقى في التحليل والشرح لهذه الصور وبيّن

[3154] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 41 .

[3155] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 46 .

[3156] ــ التحرير والتنوير :ج 10 ، ص 206 .

[3157] ــ سورة النحل : الآية 112 .

[3158] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : الآية ج 1 ، ص 461 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اللفظ المستعار والمعنى المستعار له مع الوجه الجامع بينهما غير أنّه لم ينص فقط على نوعها . والاستعارتان هنا استعارتان مكنيتان ، فقد شبّه المولى تعالى ما ينزل من الضرر والبؤس وما يدرك منهما بحال الطعام الذي الذي يذاق بالحاسة غير أنّه حذف ذكر الطعام وأتى بشيء من لوازمه وهو الذوق . وأمّا استعارة اللباس فقد شبّه المولى تعالى الجوع والخوف الذي يشمل الجسم ويحيط به بالثوب الذي يشمل لابسه ويحيط به فيغشاه من كل جانب .

هذا وقد نصّ على الاستعارتين في الآية الإمام الزمخشري وحلّلهما بقوله : « ... فإن قلت اللباس والذوق استعارتان ، فما وجه صحتهما ؟ والاستعارة موقعة على اللباس المستعار . فما وجه صحة إيقاعها عليه ؟ قلت : أمّا الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذب شبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من الطعم المر البشع . وأمّا اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس : ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وأمّا إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف ، فلأنّه لما وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويلابس ، فكأنّه قيل : فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف ...»«[3159]»

وقد نقل قول الإمام الزمخشري وتبعه عليه كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي«[3160]» والإمام النسفي«[3161]»والإمام أبو حيّان«[3162]» والإمام أبو السعود«[3163]» . وهو الظاهر أيضا من نصّ الإمام ابن جزي فإنّ ألفاظه متطابقة مع نصّ الإمام الزمخشري مع شيء من الاختصار اقتضاه منهجه .

[3159]ـ الكشاف : ج 2 ، ص 596 . 597

[3160]ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 3 ، ص 242

[3161]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 2، ص 251

[3162]ـ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 525

[3163]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5، ص 145

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾«[3164]».

قال ــ رحمه الله ــ : « استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما ، فهو كقوله : « واخفض جناحك للمؤمنين » وأضافه إلى الذّل مبالغة في المعنى ، كأنّه قال : الجناح الذليل »«[3165]».

يشير الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية بأنّها متضمنة لاستعارة . حيث صرّح بمضمون كلامه أنّ خفض الجناح مستعارة لمعنى التواضع والرفق وقرن هذا الجناح المخفوض بالذل مبالغة في الوصف . وقد اكتفى كعادته في بيانها بشرح بسيط بيّن فيه اللفظ المستعار. والمعنى المستعار له دون بيان نوعها . والاستعارة الواردة هنا هي استعارة مكنية تخيلية فقد شبّه المولى تعالى الذل بطائر يريد الهبوط فيخفض جناحه لذلك ، غير أنّه لم يصرّح بالمشبه وأتى بشي من لوازمه وهو الجناح فهذه استعارة مكنية ووجه كونها تخيلية أنّ إثبات الجناح للذل يخيل في نفس السامع أنّ هناك جناحا يخفض . وحقيقة الخفض إنّما هو للطائر عندما ينزل إلى الأرض شبّه به إلانة الجانب للوالدين والرفق بهما .

هذا وقد نبّه على هذه الاستعارة كثير من أئمة التفسير منهم الإمام ابن عطية«[3166]» والإمام القرطبي«[3167]» والإمام الرازي «[3168]» والإمام ابن عادل «[3169]»والشيخ الطاهر بن عاشور الذي نصّ على كونها تخيلية مكنية فقال : « وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل

[3164] ــ سورة الإسراء : الآية 24

[3165] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 470 .

[3166] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3، ص 461

[3167]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 10 ، ص 243

[3168]ــ مفاتح الغيب : ج 20، ص 328

[3169]ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 12، ص 259

الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشدّ منه إذ يخفض جناحه متذللا . ففي التركيب استعارة مكنية والجناح تخييل ...»«[3170]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾«[3171]».

قال ــ رحمه الله ــ : «عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ» استعارة فصيحة كأنّهم : من فرط إدبارهم قد بعدوا ، فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم »«[3172]».

يخبر الإمام ابن جزي في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة وسمها بأنّها فصحية فذكر أنّه صلى الله عليه وسلم يتبع آثار هؤلاء القوم الذين لم يؤمنوا حزنا وأفرطوا في الإدبار والبعد عن الهدي تأسفا عليهم . وقد اكتفى كعادته بشرح عام لها . وهذه الاستعارة هي استعارة تمثيلية لأنّها مثّلت حالته صلى الله عليه وسلم في الأسى والحزن والوجد على عدم إيمان أولئك الكفار بحال من أشرف على قتل نفسه وإهلاكها من شدّة الغيظ والحزن والوجد والأسى الذي يجده من فارقه أحبته فيحصل له ذلك . ووجه الشبه في هذه الصورة وصف منتزع من متعدد .

هذا وقد نصّ على الاستعارة في الآية الإمام ابن عطية فقال : « وقوله : على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم إدبار وتباعد عن الإيمان وإعراض عن الشرع فكأنّهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو في آثارهم يحزن عليهم »«[3173]» .

وقد تبع الإمام ابن عطية في النّص على هذه الاستعارة الإمام أبو حيّان «[3174]»، كما أنّ في كلام الإمام بن عطية دليل قوي على أنّ ابن جزي نقل عنه هذا المعنى دون التصريح بذلك .

[3170] ــ التحرير والتنوير : ج 15، ص 70

[3171] ــ سورة الكهف : الآية 6

[3172] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 486 .

[3173] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3، ص 516

[3174] ــ تفسير البحر المحيط : ج6 ، ص 96

وكخلاصة لما أوردته من نماذج عن الإمام ابن جزي اتضح أنّه لا يختلف عن سابقه من الأئمة في المنهج والطريقة التي تناول بها فنّ الاستعارة . فجلّ تنبيهاته يكتفي فيها ببيان اللفظ المستعار أو المستعار له في بعض الأحيان دون أن يرتقي إلى مستوى التحليل العميق الذي يوضح فيه نوع الاستعارة واسمها وتعريفها مع تحليلها تحليلا دقيقا أو التأكيد على قيمتها البلاغية في الآية ووظيفتها الجمالية فهو يطبق منهج الاختصار في الإشارة لهذه المسائل .

ــ المطلب السابع : الاستعارة في تفسير الإمام أبي حيان الأندلسي

أشار الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في تفسيره لبعض الاستعارات القرآنية ، حيث كان ينصّ ويصرّح عند تعرضه لتفسير الآية بتضمنها للاستعارة التي هي أحد فنون البيان والبديع على حدّ تعبيره ، ومن جملة الإشارات التي ذكرها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾«[3175]»

قال ــ رحمه الله ــ : « جمعت الآية ثلاثة أنواع من البيان : الطباق المعنوي بقوله : « أحلّ لكم » ، فإنّه يقتضي تحريما سابقا ، فكأنّه أحلّ لكم ما حرّم عليكم ما حرّم عليكم ، أو ما حرّم على من قبلكم ، والكناية بقوله : الرفث ، وهو كناية عن الجماع ، والاستعارة البديعة بقوله : « هنّ لباس لكم »«[3176]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّهما متضمنة لجملة من فنون البيان منها الطباق والكناية والاستعارة وهذه الأخيرة واقعة في قوله تعالى: «**هُنَّ لِبَاسٌ** »«[3177]»، وقد

ــ[3175] سورة البقرة : الآية 187.
ــ[3176] تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 55 .
ــ[3177] سورة البقرة : الآية 187

اكتفى رحمه الله بوسمها بديعة فحسب .ولم يحللها ويشرحها بما يجعلها أكثر وضوحا . ووجهها أنّه استعار اللباس الذي يستر جسم الإنسان ويتصل به ويلابسه في جميع أحواله للعلاقة التي بين الرجل والمرأة فكل منهما يلابس الآخر ويشتمله كما يشتمل الثوب الجسد علاوة على أنّ الثوب يستر الجسد وكذلك كل واحد منهما يستر الآخر ويصونه . وقد نصّ على الاستعارة هنا الشيخ الطاهر بن عاشور فقال : « فقوله تعالى : «**هُنَّ لِبَاسٌ**» استعارة بجامع شدّة الاتصال حينئذ وهي استعارة أحياها القرآن ، لأنّ العرب كانت اعتبرتها في قوله : لابس الشيء الشيء ، إذا اتصل به لكنّهم صيروها في خصوص رنة المفاعلة حقيقة عرفية فجاء القرآن فأحياها وصيرها استعارة أصلية جديدة بعد أن كانت تبعية منسية ...»«[3178]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** ﴾«[3179]»

قال ــ رحمه الله ــ : « أي : استمسكوا وتحصنوا ، وحبل الله : العهد أو القرآن أو الدين أو الطاعة ، أو إخلاص التوبة ، أو الجماعة أو إخلاص التوحيد ، أو الإسلام ، أقوال للسلف يقرب بعضها من بعض ، وروى أبو سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض ، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال :« القرآن : حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا تخلق على كثرة الرد من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم »«[3180]» ، وقولهم : اعتصمت بحبل فلان يحتمل أن يكون من باب التمثيل ، مثل استظهاره به ووثوقه بإمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق

[3178] ــ التحرير والتنوير : ج 2، ص 182

[3179] ــ سورة آل عمران : الآية 103.

[3180] ــ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف : كتاب فضائل القرآن ، باب في التمسك بالقرآن ، رقم 30629، ، ج 10 ، ص 482.

يأمن انقطاعه ، ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة ، استعار الحبل للعهد والاعتصام للوثوق بالعهد »«[3181]».

يخبر الإمام أبو حيان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ قوله تعالى : « وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ »«[3182]» يحتمل أن يكون من باب التمثيل للمتمسك بالقرآن أو من باب الاستعارة ، حيث استعير الحبل للعهد والاعتصام للوثوق بالعهد . دون ترجيحه لرأي معين .

وقد سبق القول في النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ أنّ الصورة البيانية الواردة في الآية هي استعارة تمثيلية ، فإنّه حصل في الآية تشبيه الوثوق بالله والاعتماد عليه والالتجاء إليه وذلك بالتمسك بدينه وقرآنه بحال من يتمسك بحبل وثيق يتدلى وينزل به من مكان عال يأمن انقطاعه «[3183]». وعلى تقدير الإمام أبي حيّان للاستعارة في الآية فإنّه اكتفى بذكر اللفظ المستعار والمعنى المستعار له دون أن يفيض في شرحها وتحليلها .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾«[3184]».

قال ــ رحمه الله ــ : « والذوق في العذاب استعارة بليغة ، والمعنى باشروه مباشرة الذاق ، إذ هي أشدّ المباشرات »«[3185]».

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة . وذلك في لفظة : «فذقوا» مخبرا أنّه استعير الذوق لألم العذاب بسبب المباشرة فكأنّهم يباشرون مباشرة الذائق

[3181] ــ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 20 ــ 21

[3182] ــ سورة آل عمران : الآية 103

[3183] ــ ينظر:الجدول في إعراب القرآن وبيانه ، عبد الرحمان صافي ، ج 4 ص 264، وإعراب القرآن وبيانه : محي الدين درويش ،ج 2، ص 12.

[3184] ــ سورة الأنعام : الآية 30

[3185] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 110 .

للطعام . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الاستعارة عند الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن عطية وذكرت أنّها استعارة مكنية ، حيث شبّهت الآية العذاب الذي يقاسيه الكفار ويعانونه ويباشرون بحال من يتذوق طعام . فحذف اللفظ المشبه به وهو الطعام وأتى بشيء من روادفه الذي يكون دليلا عليه وهو التذوق . وإشارة الإمام أبي حيّان لهذه الاستعارة كانت إشارة سريعة لم يحللها ويشرحها . وهذا غالب منهجه عند الوقوف على مثل هذه الصور .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾«[3186]».

قال ـ رحمه الله ـ : « النزغ من الشيطان أخف من مسّ الطائف من الشيطان لأنّ النزغ أدنى حركة والمسّ الإصابة والطائف ما يطوف به ويدور عليه ، فهو أبلغ لا محالة فحال المتقين تزيد في ذلك على حال الرسول ...وعلى هذا فالنزغ يمكن أن يقع ، ويمكن ألا يقع والمسّ واقع لا محالة ، أو يرجح وقوعه وهو إلصاق البشرة ، وهو هنا استعارة »«[3187]».

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لاستعارة في لفظة «مسّهم» مخبرا أنّ حقيقة المسّ هي إلصاق البشرة للجسم واستعيرت هنا للإصابة بأذى الجنّ . وهذا ما اكتفى ـ رحمه الله ـ بذكره في الإشارة إليه .وهذه الاستعارة يحتمل أن تكون من استعارة محسوس لمعقول أو استعارة محسوس لمحسوس . ووجه ذلك في الأول : أنّه استعير المس الذي معناه وضع اليد على الجسم وإلصاقها به وهذا شيء محسوس إلى إصابة الجنّي وأذاه وحقيقة هذه الإصابة لا تظهر على قول من ينكر القول بتلبس الجني فتكون عقلية تخيلية ، فهذا وجهها وقد تكون استعارة محسوس إلى محسوس على تقدير أنّ أذى الجني يظهر على الجسد بالاضطراب وغيرها من أنواع المس . ولم أجد من ذكر الاستعارة هنا من المفسرين غير الشيخ الطاهر بن عاشور

[3186] ـ سورة الأعراف : الآية 201

[3187] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 445

فقد ذكر أنّ المس استعير للإصابة بأذى الشيطان فقال : « والمسّ حقيقته وضع اليد على الجسم . واستعير هنا للإصابة أو لأدنى الإصابة »«[3188]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾«[3189]».

قال ـ رحمه الله ـ : « والإنبات استعارة في الإنشاء ، أنشأ آدام من الأرض وصارت ذريته منه ، فصّح نسبتهم كلّهم إلى أنّهم أنبتوا من الأرض »«[3190]».

يصرّح الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ لفظة الإنبات الواردة فيها استعيرت لمعنى الإنشاء . وبالتالي تكون في الآية استعارة . وهذا ما اكتفى به في التنبيه عليها ، فلم يتعرض لبيان نوعها أو الإفصاح عن حقيقتها وتحليليها بشيء من الدقة يجعلها أقرب للفهم . والاستعارة الواردة هنا هي استعارة تصريحية لأنّه صرّح فيها باللفظ المشبه به وهو الإنبات ولم يصرح باللفظ المشبه وهو الإنشاء . فالآية شبّهت الخلق بالنبات في الإنشاء والتكوين وزاد هذه الاستعارة حسن فائدة هو الدلالة على الحدوث ، فإذا كانوا نباتا لابدّ أن يكون محدثين وكذلك أصل الإنسان فهو محدث بعد عدم . وقد أشار إلى هذه الاستعارة وهذا المعنى كثير من المفسرين منهم الإمام الزمخشري فقال : « استعير الإنبات للإنشاء ، كما يقال : زرعك الله للخير ، وكانت هذه الاستعارة أدّل على الحدوث ، لأنّهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات »«[3191]» ، كما أشار إليها الإمام البيضاوي ، حيث قال : «أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنّه أدّل على الحدوث والتكوين من الأرض »«[3192]».

[3188] ـ التحرير والتنوير : ج 9، ص 232.

[3189] ـ سورة نوح : الآية 17

[3190] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8 ، ص 334 .

[3191] ـ الكشاف : ج 4 ، ص 621

[3192] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 5 ، ص 249

وباستعراض هذه النماذج الموردة من تفسير الإمام أبي حيّان ـ رحمه الله ـ تبيّن أنّ منهجه في تناول فنّ الاستعارة لا يختلف عن منهجه في تناول فنّ التشبيه . وذلك أنّ السمة الغالبة عليه هي النّص على الاستعارة فحسب أو ذكر اللفظ المستعار والمستعار له دون التعرض لذلك بالشرح والتحليل والتوضيح أو إبراز الغاية والغرض من الصور وما أضفته على النّص القرآني من وجوه الإعجاز ، فهي بالجملة إشارات وجيزة مقتضبة روعي فيه منهج الاختصار والإيجاز مقارنة بعرضة للمسائل النحوية أو اللغوية أو القراءات القرآنية وتوجيهها .

ـ المطلب السابع : الاستعارة في تفسير الإمام ابن عرفة

في تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾«[3193]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفسّر ابن عطية الختم بثلاثة أوجه :

الأول : أنّه حسي حقيقة فإنّ القلب على هيئة الكف ينقض مع زيادة الضلال كيف ينقض الكف إصبعا إصبعا

الثاني : أنّه مجاز عبارة عن خلق الضلال في قلوبهم

الثالث : أنّه مجاز في الإسناد كما يقال : أهلك المال فلانا ، وإنّما أهلكه سوء تصرفه فيه .

قال ابن عرفة : وسكت ابن عطية عن هذا الثالث ، وهو إنّما يناسب مذهب المعتزلة ، ولما جاءت الآية مصادقة لمذهبهم تناولها الزمخشري وأطال ، وقال : إنّه مجاز واستعارة ، وقال ابن عرفة : فجعله تمثيلا ، قال والفرق بين التشبيه والتمثيل والاستعارة أنّ إطلاق الصفة على الموصوف إن كان بآداة التشبيه مثل : زيد كالأسد فهو تشبيه ، وإلاّ فإن كان بواسطة ما يدّل على التمثيل فهو

[3193] ـ سورة البقرة : الآية 7

تمثيل نحو : زيد الأسد ، وإن لم يكن بواسطة فهو استعارة مثل : رأيت أسدا يكرّ ويفرّ في الحرب »«[3194]».

في هذ النّص المنقول عن الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ يظهر فيه تطرقه لجملة من المسائل :

أولاها : نقله عن الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ تفسير الختم المراد بالآية فأورد عنه ثلاثة أقوال في تفسيره وقد استعرضها رحمة الله كما هي مذكورة في تفسير الإمام ابن عطية ، ثمّ أشار إلى سكوته ــ أي ابن عطية ــ عن الرأي الأخير ذاكرا أنّ هذا الرأي يخدم مذهب المعتزلة ويناسبهم لذلك أفاض الإمام الزمخشري القول فيه وجعله من باب الاستعارة والتمثيل . وما عزاه ابن عرفة للإمام الزمخشري مذكور في كتابه غير أنّه لم يجعله خادما لمذهبه أو مناسبا له وإنّما خرّجه على باب الاستعارة والتمثيل كما ظهر له ، حيث قال : « ... فإن قلت : ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار ، قلت : لا ختم ولا تغشية تمّ على الحقيقة ، وإنّما هو من باب المجاز ، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه الاستعارة والتمثيل ، أمّا الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأنّ الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنّها تمجه وتنبوا عن الاصغاء إليه وتعاف استماعه كأنّها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائلها المنصوبة . كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين . كأنّما غطى عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك . وأمّا التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية .وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها الختم والتغطية »«[3195]». وما ذكره الإمام الزمخشري من حمل الختم على المجاز هو الصحيح إذا يبعد حمله على الحقيقة . وبالتالي لا يعترض عليه جعله منه وتخريجه له على وجه الاستعارة والتمثيل فوجه الاعتراض من الامام ابن عرفة غير جلي وواضح . وحمل الختم على الاستعارة الأصلية والتبعية أولى في الآية ، حيث شبّه عدم الانتفاع بما يلقى على أسماعهم . وعدم الانتفاع بما يشاهدونه بأعينهم

[3194] ــ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 47 .
[3195] ــ الكشاف : ج 1، ص 88

من المعجزات بحال من ختم على قلوبهم ، وهذا ما قرّره الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « ... بل ذلك جار على طريق المجاز بأن جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق ، والإرشاد إليها . وجعل أسماعهم في استكانتها عن سماع الآيات والنّذر ، وجعل أعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية ، كأنّها مختوم عليها ومغشى دونها إمّا على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم والغشاوة ، ثمّ إطلاق لفظ ختم على وجه التبعية ولفظ الغشاوة على الأصلية وكلاتهما استعارة تحقيقية إلاّ أنّ المشبه محقق عقلا لا حسّا »«[3196]».

ثانيها : تعرّضه لقضية بلاغية عندما أورد الفروقات بين كل من التشبيه والتمثيل والاستعارة ، حيث ذكر أنّ إطلاق الصفة على الموصوف إن كان بواسطة أداة فهو تشبيه . وإن كان بواسطة ما يدل على التمثيل فهو تمثيل . وإن لم يكن بواسطة فهو استعارة ، وما ذكره ـ رحمه الله ـ ليس فيه ضابط كبير للتفريق بين هذه المباحث فما ذكره من إطلاق الصفة على الموصوف بأداة فهو تشبيه ليس بضابط فقد يكون بغير أداة وما كان بالأداة هو أحد الأنواع فحسب ، كما أنّ ما ذكره في ضبط التمثيل ليس بواضح بل هو مبهم إذ لا يفهم مقصود كلامه إن كان يدل على التمثيل فهو تمثيل . وكذلك القول في ضبط حدّ الاستعارة .

وما ذكره ـ رحمه الله ـــ من التفريق بين التشبيه والتمثيل قد تعرّض له البلاغيون وكان من أوائل من ميّز بينهما الإمام عبد القاهر ، حيث أخبر أنّ التشبيه إذا كان مخرجا على تشبيه شيء بشيء على جهة الوضوح والتبيين دون الاحتياج إلى تأويل فهو تشبيه . وإن كان التشبيه محصلا بضرب من التأويل فهو تمثيل . وجعل الإمام السّكاكي التمثيل ما كان وجه الشبه فيه غير حقيقي ومنتزعا من عدّة أمور ، وأمّا الاستعارة فهي كما ذكر الإمام عبد القاهر ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل . وذكر أيضا أنّ التشبيه أصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره .

[3196]ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 254 ـ 255

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾«[3197]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله تعالى : «كَأَنَّهَا جَآنٌّ » بهذه الآية يقع الجمع بين قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾«[3198]» وبين قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾«[3199]» فشبهها بالثعبان في عظم جرمها ، وبالحية وإن كانت صغيرة الجرم في سرعة حركتها ، فهو استعارة ، أو يقال : إنّها في أوّل حالها حية ، ثمّ عظمت وصارت ثعبانا »«[3200]».

يظهر من خلال توجيه الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ للمتشابه من هذه الآيات في وصف عصا موسى عليه السلام أنّه يرى وجود استعارة في قوله تعالى : « فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ» ، وذلك باستعارة السعي الذي هو المشي الشديد دون عدو للحية الصغيرة للتدليل على خفتها وسرعة حركتها . فيكون الجامع هو خفة الحركة . وتكون الاستعارة هنا من استعارة محسوس لمحسوس فالسعي مرئي ومشاهد وكذلك خفة الحية وحركتها مشاهدة ، وقد علّق الإمام الجاحظ على هذه الاستعارة . فقال: « ... وأمّا قولكم إنّ المشي لا يكون إلاّ بالأرجل فينبغي أيضا أن تقولوا فإذا هي حية تسعى إنّ ذلك خطأ لأنّ السعي لا يكون إلاّ بالأرجل . وفي هذا الذي جهلتموه ضروب من الجواب . أمّا وجه منه : فهو قول القائل وقول الشاعر ما هو إلاّ كأنّه حية وكأنّ مشيته مشية حية يصفون ذلك . ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب . وذكور الحيات ومن جعل للحيات مشيا

[3197] ــ سورة النمل : الآية 10

[3198] ــ سورة طه : الآية 20

[3199] ــ سورة الشعراء : الآية 32

[3200] ــ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 251 .

من الشعراء أكثر من أنقف عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسياحها مشيا وسعيا لكان ذلك ممّا يجوز على التشبيه والبدل وأن أقام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه...»«[3201]» وفي عبارة الإمام الجاحظ «والبدل» إشارة منه إلى الاستعارة «[3202]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾«[3203]»

قال ــ رحمه الله ــ : « الزمخشري : هذا استعارة إمّا لفظية أو معنوية ، قال الطيبي : ذلك الشيء نفس الشيء وليس به ، وهو أن يطلق اسم المشبه على المشبه به من غير الأول : أداة تشبيه ، مثل : رأيت أسدا تريد رجلا كالأسد ، والمعنوية جعلك الشيء للشيء وليس له ، كقولك : إذا أصبحت بيد الشمال زمامها ، فهذا مدّع أنّ للريح الشمال يدا ، وللسحاب زمام ، وأيضا خفي الأول بحسن الرجوع للتشبيه ، فيقال :رأيت رجلا كالأسد ، وفي الثاني لا يحسن ذلك فقال : ... أمّا اللفظية فهي أنّ الطلع موضوع لحمل الشجرة مع قصد أن تكون نخلة باستعمال هنا غيرها ، كالرسن فإنّه موضوع للأنف بشرط أن يكون فيه رسن ، فإذا استعمل في أنف الإنسان كان مجازا لفظيا ، وللمعنوي هو أن يشبه حمل تلك الشجرة بالطلع الحقيقي تشبيها بليغا ، ثمّ يطلق على ذلك الحمل اسم الطلع فاستعير لحمل شجرة الزقوم اسم الطلع ، وشبهه برؤوس الشياطين ...

قال ابن عرفة : وعادتهم يقررونه قبل وصول كتاب الطيبي لنا بأنّ الاستعارة على ما قال ابن مالك : هي استعمال اللفظ في غير موضوعه ، كضرب من التأويل ، فاللفظية هي استعمال اللفظ مطلقا من غير استحضار لثبوت المعنى المجازي فيه ولا نفيه ، والمعنوي اطلاق اللفظ مستحضرا فيه المعنى المجازي ، كإطلاق لفظ الأسد على الرجل ، فتارة يطلقه عليه غافلا عن معنى الشجاعة ، وكتسمية رجل بكلب مع الغفلة عن استحضار صفة الذم فيه ، فإنّه لا يكون ذما ، فهي استعارة

[3201] ــ الحيوان : ج 4 ، ص 273

[3202] ــ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية : ص 84

[3203] ــ سورة الصافات : الآية 65 .

لفظية ، وإذا أطلقت لفظ الأسد على الرجل الشجاع مستحضرا المعنى الذي لأجله أطلقته عليه ، كان استعارة معنوية ، وكذلك لفظ كلب على رجل تريد به الذم ...»«[3204]»

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ يتعرّض فيه لجملة من المسائل :

أولاها : نقله عن الإمام الزمخشري القول بتضمن هذه الآية لاستعارة لفظية أو معنوية على تقدير ، حيث استعير الطلع الذي هو ثمر النخيل لشجرة الزقوم . وما ذكره عن الإمام الزمخشري مبثوت في تفسيره ، حيث قال : ــ رحمه الله ــ : « والطلع للنخلة ، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها ، إمّا استعارة لفظية ، أو معنوية »«[3205]».

ثانيها : نقله عن الإمام الطيبي ــ رحمه الله ــ الفرق بين الاستعارة اللفظية أو المعنوية كما يفهم من مضمون كلامه ، حيث أخبر أنّ اللفظية هي جعل المشبه به نفس المشبه وليس به أي إطلاق اللفظ المشبه على المشبه به ولكنّه ليس هو بل أريد به صفة من صفاته أو خصيصة من خصائصه مثل إطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع . وكل ذلك من غير أداة وإلاّ أصبح تشبيها ، وأمّا المعنوية فهي إطلاق اللفظ المشبه على المشبه به وهو ليس له أي لا يملكه المشبه به كما مثلّ هو له عندما ادّعى ثبوت يد للريح وليس لها ذلك وإنّما هي للإنسان ، كما أنّ المعنوية لا يحسن الرجوع فيها للتشبيه لصعوبة إثبات الأداة لها . وما نقله عن الإمام الطيبي في تقرير هذه الفروق لم أجده بنصّه في كتابه . وإنّما أورده ــ ابن عرفة ــ بمعناه واستخلصه بفهمه ، فإنّ الذي ذكره الإمام الطيبي عند تعرضه للاستعارة وتعريفه لها هو كالآتي : « وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه ، وتريد به الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا عليه بإثباتك للمشبه ما يخص المشبّه به من اسم جنسه ، أو لازمه، أو لفظ يستعمل فيه نحو : في الحمام أسد . والمنية أنشبت أظفارها . وفي الصيف ضيعت اللبن » وإنّما سميت استعارة لأنّ الشجاع حال كونه فردا من أفراد الأسد يكتسي

[3204] ــ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 364 ـ 365 .

[3205] ــ الكشاف : ج 4، ص 48

اسمه اكتساء الهيكل المخصوص إيّاه وهكذا العارية . وهكذا العارية فإنّ المستعير إلاّ في الملكية ...»«[3206]»

ثالثا : توجيهه لكل من الاستعارة اللفظية والمعنوية في الآية . ويؤخذ هذا من قوله : «أمّا اللفظية فهي أنّ الطلع موضوع لحمل الشجرة مع قصد أن تكون نخلة باستعمال هنا غيرها ، كالرسن فإنّه موضوع للأنف بشرط أن يكون فيه رسن ، فإذا استعمل في أنف الإنسان كان مجازا لفظيا» فيفهم من كلامه هذا أنّ وجه كونها استعارة لفظية أنّه استعير لفظ الطلع الذي يطلق على حمل النخلة وثمرتها لشجرة الزقوم وهي ليست نخلة فاستعمل هذا المعنى فيها فهذا وجه كونها لفظية . وتوجيهه للمعنوية فيؤخذ من قوله : «وللمعنوي هو أن يشبه حمل تلك الشجرة بالطلع الحقيقي تشبيها بليغا ، ثمّ يطلق على ذلك الحمل اسم الطلع فاستعير لحمل شجرة الزقوم اسم الطلع ، وشبهه برؤوس الشياطين ...» فيفهم من هذا أنّ وجه كونها معنوية هو أنّه شبّه حمل تلك الشجرة أي ثمرها بالطلع ، ثمّ يطلق عليها الطلع الحقيقي . فاستعير بالتالي اسم الطلع لحمل شجرة الزقوم .

رابعا : نقله تعريف الاستعارة عن الإمام ابن مالك وإعادة ذكره للفرق بين الاستعارة اللفظية والمعنوية . وما أورده عن الإمام ابن مالك موجود في كتاب المصباح لهذا الأخير ، حيث قال : « والاستعارة من المجاز اللغوي لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له ...»«[3207]». وقد خلص ــ ابن عرفة ــ لوضع ضابط يفرق فيه بين الاستعارتين ، فأخبر أنّ إطلاق اللفظ دون استحضار معناه المجازي إثباتا أو نفيا يعدّ استعارة لفظية . وإطلاقه مع استحضار معناه المجاز يعدّ استعارة معنوية.

ومن خلال هذه النماذج الثلاثة الموردة من تفسير الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ تبيّن أنّه لم تكثر الإشارة منه للاستعارة في تفسيره فثلاثة مواضع إذا ما قورنت بتفسير للقرآن كله يظهر حقيقة إغفاله لكثير من الاستعارات الواردة في الآيات القرآنية . وبالنسبة للمواضع التي أشار فيها

[3206] ــ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : شرف الدين حسين بن محمد الطيبي ، ط 1 ، تحقيق : هادي عطية مطر الهلالي ، بيروت ــ دار عالم الكتب ــ ، 1432 هـ ــ ، 2011ص

[3207] ــ ينظر: المصباح : في المعاني والبيان والبديع ص 146 .

للاستعارة اتضح أنّ تنبيهه يخلوا من تحليل واضح فهو في الغالب كما في المثال الأول والأخير يثير جملة من المسائل البلاغية ويناقشها ويورد أقوالا لأئمة البلاغة ويذكر كتبهم ممّا يدل على وقوفه على الكتب المصنفة في البلاغة واطلاعه عليها لكنّه لا يهتم بتحليلها وتوضحيها أو ببيان حقيقتها من تحديد للفظ المستعار والمستعار له أو النّص على نوعها أو التطرق لوظيفتها البلاغية وجمالها الفنّي ، فهي بالجملة إشارة عابرة غير دقيقة ، كما أنّ أسلوبه في التفسير المعتمد على السؤال والجواب والافتراضات والمناقشات أعاق نوعا ما عمق التحليل والشرح .

ــ المبحث الثالث: جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ الكناية

سأسعى في هذا المبحث إن شاء الله تعالى لبيان جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ الكناية ، وذلك بالتعرض لبعض النماذج التي حلّلوها في كتبهم بغية الوقوف على إسهاماتهم في إثراء هذا النوع من علم البيان بالإضافة للكشف عن منهجهم في تقرير هذا المبحث وطريقة عرضهم له ، وقبل الخوض والولوج في ذلك ارتأيت أن أتحدّث عن فنّ الكناية ببيان حدّها لغة واصطلاحا ، ثمّ الحديث عن بلاغتها في لغة العرب .

المطلب الأول : مفهوم الكناية لغة واصطلاحا

الفرع الأول : مفهوم الكناية لغة

قبل بيان معنى الكناية عند البلاغيين اصطلاحا ، وجب أولاً الوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح، لأنّ هذا أدعى لإظهار حقيقة هذا المبحث من مباحث علم البيان ، كما أنّه يظهر وجه الاشتقاق والعلاقة بين المعنيين لغة واصطلاحا.

وللوقوف على المدلول اللغوي لهذا المصطلح لزم الرجوع للمعاجم والقواميس اللغوية حتّى نقف على ذلك :

قال الإمام الجوهري ــ رحمه الله ــ : « الكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره ، وقد كنيت بكذا عن كذا وكنوت ، وأنشد أبو زياد :

وإنّي لأكنوا عن قذور بغيرها   وأعرب أحيانا بها فأصارح

ورجل كان وقوم كانون ، والكُنية والكِنية أيضا بالكسر ، واحدة الكنى ، واكتنى فلان بكذا »«[3208]»

وجاء في لسان العرب : « الكنى جمع كنية من قولك كنيت عن الأمر ، وكنوت عنه إذا ورّيت عنه بغيره »«[3209]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا أنّ مدلول اللفظة وأصلها يرجع لمعنى التورية عن الشيء وعدم الإفصاح عنه ، مع ذكره بشيء آخر ، ويلحظ من كلام الإمام الجوهري في بيانه لمعنى لفظة كنى أنّه أورد المعنى الاصطلاحي الذي سار متعارفا عليه بعد عند البلاغيين .

ـــ الفرع الثاني : مفهوم الكناية في الاصطلاح

بعد بيان معنى الكناية في اللغة والخلوص إلى أنّ مدلولها يفيد معنى التورية عن الشيء وذكره بشيء آخر، بقيت الإشارة للمعنى الاصطلاحي لهذا الفن البلاغي من فنون البيان .

وأوّل ما يقال في تعريفها أنّ الكناية من الفنون والأساليب المتأصلة في لغة العرب ، فقد عرفت منذ القديم واستعملته العرب في كلامها نثرا وشعرا ، كما تعرّض لها المتقدمون الأوائل من اللغويين والنحاة ، فممّن بحثها الإمام أبو عبيدة في ضمن حديثه عن المجاز في القرآن الكريم ، كما نبّه عليها الإمام الجاحظ هي والتعريض في البيان والتبيين ، وفي البديع لابن المعتز تحدّث عنها تحت موضوع التعريض والكناية ، كما تعرّض لها كل من أبي هلال العسكري ، وابن رشيق القيرواني ، إلاّ أنّ هذه التنبيهات والإشارات منهم كانت خالية من ضبطها وتحديدها بمفهوم دقيق يخرج به ما ليس منها ممّا ألحق بباب آخر وبحث تحت مسمى مغاير ، ويعزوا البعض ظهور أوّل تعريف جامع مانع للكناية للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ : فقد عرّفها عند حديثه عنها بقوله :

[3208] ـ الصحاح : ج 6 ، ص 327 ـ مادة كنى ـ

[3209] ـ ابن منظور : ج 15 ، ص 233 ـ مادة كنى ـ

«الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه »«[3210]».

وقد أدرج الإمام السّكاكي ــ رحمه الله ــ الكناية تحت دائرة البيان ، وعرّفها بقوله : « هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك »«[3211]» .

وقد كان لتعريف الإمام السّكاكي تأثير على الإمام القزويني ، فإنّه لما اختصر المفتاح وشرحه في كتابه الإيضاح عرّفها بقوله :« هو لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ »«[3212]» ، وبالتأمل فإنّ تعريف القزويني مستمد في أصله من تعريف الإمام السّكاكي مع شيء من التغيير والاختصار ، وقد ذاع تعريف الإمام القزويني وشاع عند شرّاح تلخيصه وصار معتمدا عندهم في ذلك ، ولهذا فإننّا نرتضيه ونكتفي به في بيان حدّ هذا الفنّ .

ــــ المطلب الثاني : بلاغة الكناية في اللغة العربية

إنّ الكناية من الأساليب البيانية العظيمة الموقع والكبيرة المنزل ، فدرجتها ومنزلتاه لا تخفى على ذي لب من متذوقي أساليب وأفانين الكلام ، وذلك لما تحققه من مقاصد وأغراض بلاغية جميلة ، فالكناية عن الشي وعدم التصريح بذكره لا يكون إلاّ فائدة ونكتة بليغة وجب أن يتنبه لها ويفطن إليها ، وهذا ما أكّده الإمام ابن مالك ــ رحمه الله ــ عندما تحدّث عنها بقوله : « لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلاّ لتوخي نكتة كالإيضاح أو بيان حال الموصوف ، أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح ، أو الذمّ ، أو الاختصار ، أو الستر أو الصيانة ، أو التعمية ، أو الالغاز أو التعبير عن الصعب بالسهل ، أو عن الفاحش بالطاهر ، أو عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن »«[3213]» .

[3210] ــ دلائل الإعجاز : ص 52 .

[3211] ــ مفتاح العلوم : ص 402

[3212] ــ الإيضاح في تلخيص علوم البلاغة : ص 301

[3213] ــ المصباح في المعاني والبيان والبديع : ص 147

ومن أهمّ مقاصد الكناية التي يمكن الإشارة إليها بإيجاز هي :

ـ المبالغة في المعنى :

من المقاصد والأغراض التي ذكرها النقاد والبلاغيون للكناية المبالغة في المعنى ، ويعنون به أنّ ترك التصريح عن الشيء والإتيان بشيء من لوازمه وتوابعه فيه نوع من المبالغة في الوصف وتأكيد المعنى ما لا يكون في إيراد اللفظ الصريح الموضوع لذلك الشيء ، والأمثلة هي التي توضح ذلك وتبرزه .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : « من ذبّ عن لحم أخيه من الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النّار »«[3214]» قال الإمام الزّمخشري ـ رحمه الله ـ :« إنّه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان ، ولم يقتصر ، بل جعلها كأكل لحم أخيه ، لأنّه أشدّ نفارا من لحم الأجانب ، وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتا »«[3215]»

ومن ذلك أيضا تكنية بعضهم عن طول الجيد والعنق ببعيدة مهوي القرط في قوله :

أكلت دما إن لم أعرك بضبوة   بعيدة مهوى القرط طيبة النّشر «[3216]».

وكقول الآخر : بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل   أبوها وإمّا عبد شمس وهاشم «[3217]».

ففي كلا البيتين عدول عن التصريح باللفظ وهو الطول إلى التورية والتكنية عنه بشيء من لوازمه وهو طول القرط .

[3214] ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند ، رقم 27609 ، ج 45 ، ص 583 ، عن أسماء بنت يزيد .

[3215] ـ الكشاف : ج 4 ، ص 367 .

[3216] ـ البيت مجهول النسبة ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص 28 .

[3217] ـ البيت لعمر بن أبي ربيعة ، ينظر : الأغاني ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 137 .

ــ العدول عن اللفظ المستفحش والقبيح إلى لفظ آخر :

من الفوائد والأغراض التي تخرج إليها الكناية هي العدول عن التصريح بالقبيح من القول إلى لفظ آخر يدل على المقصود والمعنى المراد ، ولقد أشار الإمام المبّرد ــ رحمه الله ــ إلى ذلك وجعله من أحسن الكناية وأعذبها فقال : « ويكون من الكناية ــ وذاك أحسنها ــ الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره »«[3218]»

ولقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك في التعبير عن المعاني التي تمج الآذان من سماعها وتستنكف الأنفس عن تذوقها ، فورد فيه كثير من هذه الأساليب ولا شك ولا ريب أنّه هو أفصح الكتب ، فيكون سلوك منهجه في هذا الأسلوب انتهاج واتباع لأصل من أصول الفصاحة .

ومن الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم بخصوص هذا الأسلوب تكنيته سبحانه وتعالى عن الجماع بقوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ ﴾«[3219]» ، وقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾«[3220]» ، وكنّى جلّ وعلا عن الفرج مع الجماع فقال : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾«[3221]»، وكنّى جلّ وعلا عن قضاء الحاجة فقال : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾«[3222]» وقال تعالى :﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾«[3223]»

ونظائر هذا كثير في لغة العرب نثرا وشعرا ، فهذه أحد أغراض الكناية وفوائدها التي تبرزها قيمتها وجمالها في التعبير عن المعاني.

[3218] ــ الكامل في اللغة والأدب : ج 2، ص 215

[3219] ــ سورة البقرة : الآية 187

[3220] ــ سورة النساء : الآية 43

[3221] ــ سورة البقرة : الآية 223

[3222] ــ سورة النساء : الآية 43

[3223] ــ سورة المائدة : الآية 75

ـ التغطية والتعمية

من الأغراض التي تخرج إليها الكناية التغطية والتعمية ، والمقصود بها إخفاء ما يودّ المتكلم إخفاءه حرصا على المكنى عنه ، ورغبة في عدم تردده على الألسنة «[3224]» ، وقد أشار الإمام المبرّد إلى هذا الغرض واعتبره أحد أضرب الكناية التي تأتي عليها ، فقال : « والكناية تقع على ثلاثة أضرب أحدها التغطية والتعمية ، كقول النّابغة الجعدي :

أكنّي بغير اسمها وقد علم الله خفيات كلّ مكتم «[3225]».

وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم ، فقد كنّى الله تعالى عن امرأة العزيز بقوله : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾«[3226]» ، فقد غطى وتعامى عن ذكرها وترديد اسمها أو اسم زوجها ، واكتفى بذكر التي هو في بيتها وهي كما علم امرأة العزيز .

وقد كان من عادات الشعراء التكنية عن اسم صويحباتهم صونا لهم عن تردد ذكرهم وحفاظا على سمعتهم ، ومن ذلك تكنية عمر بن أبي ربيعة عن صويحباته بقوله :

أيا نخلتى واد بوانة حبّذا إذا نام حرّاس النخيل جناكما

فطيبكم أربى على النخل بهجة وزاد على طول الفتاء فتاكما «[3227]»

فكنّى عن صاحبتيه بقوله : « بنخلتى وادى بوانة » صونا لهما عن الألسن ، وكنّى عن أهلهما بقوله : « بحرّاس النخيل » تحاشيا لحميتهما وغضبهما «[3228]».

[3224] ـ ينظر :علم البيان ، بسيوني فيود : ص 268 .

[3225] ـ الكامل في اللغة والأدب : ج2 ، ص 215

[3226] ـ سورة يوسف : الآية 23

[3227] ـينظر : الأغاني ، الأصفهاني ، ج 13 ، ص 359.

[3228] ـ ينظر : علم البيان ، بسيوني فيود : ص 268 .

ـ التفخيم والتعظيم :

من الأغراض التي تخرج إليها الكناية وتؤديها تعظيم المعنى وتفخيمه في نفوس السامعين ، وقد جعل الإمام المبرّد هذا الغرض أحد أضرب الكناية التي تأتي عليها ، فقال : « والضرب الثالث من الكناية : التفخيم والتعظيم ، ومنه اشتقت الكنية ، وهو أن يعظّم الرجل أن يدعى باسمه ، ووقعت في الكلام على ضربين : وقعت في الصبي على جهة التفاؤل ، بأن يكون له ولد ويدعى ولده كناية عن اسمه ، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه»«[3229]».

ولقد أكثر القرآن الكريم من استخدام هذا الغرض من أغراض الكناية ، ويتضح ذلك بجلاء في تكنيته عن يوم القيامة بما يقع فيها من أهوال وأحداث من شأنها أن تؤثر في نفوس السامعين وتلحق بهم الفزع والخوف الذي من شأنه أن يبعثهم على العمل للاستعداد إلى ذلك اليوم العظيم ، ففي قوله تعالى :﴿ ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾«[3230]» ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾«[3231]» ، وقوله تعالى :﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾«[3232]» وقوله تعالى : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾«[3233]» ففي هذا كلّه كنايات عن يوم القيامة بتنويع أسماءها لبيان ما يحدث فيه من أمور تشيب لها الولدان لعلّ النّاس يرعوا ويعودوا لرشدهم فيذعنوا وينقادوا لأمر ربّهم بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وبذلك يستعدوا لذلك الموقف العظيم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3229]ـ الكامل في اللغة والأدب : ج 2 ، ص 216

[3230]ـ سورة الحاقة : الآيات 1 ـ 3

[3231]ـ سورة النازعات : الآية 34

[3232]ـ سورة عبس : الآية 33

[3233]ـ سورة القارعة : الآيات 1 ـ 5

ـ تصوير المعاني :

من الأغراض التي تؤديها الكنايه هي تصوير المعاني لتتجسد في صورة حقيقية محسوسة ليقوى بذلك التوكيد والإقناع في نفوس السّامعين ، والأمثلة في ذلك كثيرة نثرا وشعرا ، وقد ذاع هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيرا فمن ذلك تكنية المولى جلّ وعلا عن البخل بشدّ اليد إلى العنق بقوله :﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾«[3234]» فجسّد البخل في صورة الشّاد يده إلى عنقه ، حتّى ينفر النّاس من صفة البخل ، وبهذا يترسخ في الأذهان قبح البخل وذمّ صفته.

وكنّى سبحانه وتعالى عن النّدم في صورة من يضع يده في فمه ويعضها تصويرا وتجسيدا لمعنى التحسر والنّدامة المنجرّ عن عدم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴾«[3235]» وبهذا يتأكد المعنى ويتقوى .

ومن فصيح الشعر قول أبي فراس الحمداني مكنيا عن بعده عن ابن عمه سيف الدولة:

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع   وفي كل يوم لقية وخطاب

فكيف وفيما بيننا ملك قيصر   وللبحر حولي زخرة وعباب

فقد جسّد بعد المسافة عنهما وتناء الديار بهما في صورة ملك قيصر والبحر .

[3234] ـ سورة الإسراء : الآية 29

[3235] ـ سورة الفرقان : الآية 27

ـــ المطلب الثالث : الكناية في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي

تردّد ذكر الكناية في تفسير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ حيث نبّه عليها عند تعرضه لتفسير الآيات القرآن . ومن جملة تلك التنبيهات والإشارات :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾«[3236]»

قال ــ رحمه الله ــ : « قال ابن عبّاس : الرفث الجماع ، ولكنّ الله كريم يكني ، وهو قول جميع المفسرين »«[3237]»

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في هذه الفقرة لوجود كناية في الآية عندما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ لفظة الرفث معناها الجماع والله سبحانه وتعالى كنّى بها عنه لأنّه كريم ، ثمّ ذكر أنّ هذا القول عليه إجماع المفسرين .

وما ذكره من الكناية في هذه اللفظة صحيح وهي كناية عن موصوف وغرضها هو العدول عن اللفظ المستفحش إلى غيره ليكون أخف منه في الدلالة على المعنى المراد وهذا أحد أغراض الكناية التي تختصّ بها . وقد ذكر الكناية في هذه الآية الإمام البيضاوي ، فقال : « والرفث كناية عن الجماع لأنّه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه »«[3238]» ،كما نبّه عليها أيضا الإمام الرازي«[3239]» والإمام القرطبي«[3240]» والإمام النّسفي«[3241]» والإمام أبو حيّان «[3242]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[3243]» وكثير من أئمة التفسير .

[3236] ـ سورة البقرة : الآية 187

[3237] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 1 ، ص 615 .

[3238] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 1، ص 126

[3239] ـ مفاتح الغيب : ج 5، ص 267

[3240] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 2، ص 315 ـ 316

[3241] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1، ص 105

[3242] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ص 55

[3243] ـ التحرير والتنوير : ج 2، ص 182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾«[3244]».

قال ــ رحمه الله ــ : « قوله : «كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ» كناية عن إتيان الحاجة ، فنبّه بأكل الطعام على عاقبته ، وغلّب المذكر على المؤنث ، وقيل : المعنى كانا يتغديان كما يتغدّى البشر ، ومن كان هكذا فليس بإله ، لأنّ الإله لا يحتاج إلى شيء »«[3245]».

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود كناية في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى بقوله : «كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ» حكاية عن مريم وعيسى عليهما السلام عن قضاء الحاجة لأنّ من كان يجري عليه ما يجري على البشر من الحاجة إلى الطعام والشراب كان ولا بدّ أن يحتاج إلى استفراغ ذلك الداخل إلى البطن فيطرح . وما ذكره ــ رحمه الله ــ عن هذه الكناية صحيح ، فهي كناية عن صفة جيء بها للرد على النّصارى في نسبهم الألوهية لمريم وعيسى عليهما السلام . وذلك أنّ من كان إلها لا يجري عليه ما يجري على البشر من قضاء حاجة وغيرها . وقد عدل المولى جلّ وعلا بلفظة : «كانا يأكلان الطعام» عن قضاء الحاجة ترفعا وتنزها وعدولا عن اللفظ المستهجن والمستقبح .

هذا وقد نبّه على الكناية في هذه الآية كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبي ، حيث قال : « وقال بعض المفسرين في قوله : «كانا يأكلان الطعام إنّه كناية عن الغائط والبول وفي هذا دلالة على أنّهما بشران »«[3246]» . كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الرحمان صافي«[3247]»ومحي الدين

[3244]ــ سورة المائدة : الآية 75

[3245]ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 3 ، ص 1816 .

[3246]ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 6 ، ص 250 ـ 251

[3247]ــ الجدول في إعراب القرآن : ج 6، ص 422

درويش «[3248]». وارتأى بعض المفسرين أنّه لا حاجة تدعوا لادّعاء الكناية وتقديرها منهم الإمام ابن عطية «[3249]»والإمام الرازي «[3250]» والإمام أبو حيّان«[3251]» والإمام ابن عادل «[3252]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾«[3253]»

قال ـ رحمه الله ـ : ««فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا »كناية عن الجماع »«[3254]».

يخبر الإمام مكي رحمه الله في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ لفظة « فلمّا تغشاها » فيها كناية ، حيث كنّى بها المولى جلّ وعلا عن الجماع . وما ذكره الإمام مكي ـ رحمه الله ـ صحيح ، فهي كناية قصد بها العدول عن اللفظ المستهجن والقبيح في الذكر إلى لفظ آخر يدل على المعنى المراد . وهذا أحد أغراض الكناية . وإشارة الإمام مكي لها كان بذكرها فحسب دون بيان غرضها .

هذا وقد ذكر الكناية في هذه الآية الإمام ابن عطية ، حيث قال: « أي غشيها وهي كناية عن الجماع »«[3255]»، كما نبّه عليها أيضا الإمام القرطبي ، حيث قال: «كناية عن الوقاع »«[3256]» وأشار إليها أيضا الإمام ابن جزي«[3257]» والإمام أبو حيان«[3258]» .

[3248] ـ إعراب القرآن وبيانه : ج 2، ص 534

[3249] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2، ص 25

[3250] ـ مفاتح الغيب : ج 12، ص 409

[3251] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3، ص 545

[3252] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 7، ص 463

[3253] ـ سورة الأعراف : الآية 189

[3254] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 2669 .

[3255] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2، ص 557

[3256] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 7 ، ص 337 .

[3257] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 325

[3258] ـ تفسير البحر المحيط : ج 4، ص 437

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾«[3259]».

قال ـ رحمه الله ـ :« أي : وإخوان الشياطين تمدّهم الشياطين في الغي ، « ثمّ لا يقصرون » وهذا خبر من الله عن حال المؤمنين وحال الكفار ، أنّ المؤمن إذا أصاب الذنب تذكر العقوبة فتاب ورجع وأبصر رشده ، والكافر يمدّ له إخوانه من الشياطين في الغي ، ثمّ لا يقصر عن غيّه ، ولا يرجع كما فعل المؤمن ، والمدّ الزيادة ، فالهاء والميم في : وإخوانهم تعود على الشياطين ، ودلّ الشيطان في قوله :﴿ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾«[3260]» على الشياطين ، «والإخوان » كناية عن الكفار »«[3261]».

يشير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود كناية في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى بلفظ الإخوان عن الكفار . فهم إخوان الشيطان باعتبار أنّهم يسوّلون ويمدون لغيرهم من الإنس في الغواية ويزيدون لهم فيها كما يمدّهم الشيطان بذلك . فهم يعينون الشياطين على عملهم .وهذه الكناية هي كناية عن موصوف وهو الكافر . والغرض منها هو تجسيد المعنى وتصويره ممّا يجعله قريبا للأفهام والأذهان وهذا يزيد المعنى تقرير وتأكيدا.

هذا وقد ذكر لفظ الكناية في الآية وأشار إليه الإمام الرازي ، حيث قال : « أمّا قوله تعالى : « وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ» ففيه مسائل : المسألة الأولى : اختلفوا في أنّ الكناية في قوله : وإخوانهم إلى ماذا تعود على قولين : القول الأول : وهو الأظهر أنّ المعنى : و إخوان الشياطين يمدون الشياطين في الغي ، وذلك لأنّ شياطين الإنس إخوان لشياطين الجن ، فشياطين الإنس يغوون النّاس فيكون ذلك إمداد منهم لشياطين الجنّ على الإغواء والإضلال ، والقول الثاني : أنّ

[3259] ـ سورة الأعراف : الآية 202

[3260] ـ سورة الأعراف : الآية 201

[3261] ـ الهداية إلى بلوغ النهاية : ج 4 ، ص 2697 .

إخوان الشياطين هم النّاس ليسوا بمتقين ، فإنّ الشياطين يكونون مددا لهم فيه. والقولان مبنيان على أنّ لكل كافرا أخا من الشياطين»«[3262]»

فهذا النّص يذكر فيه الإمام الرازي قولان في بيان على من تعود إليه مرجحا القول القائل بأنّها تعود على إخوان الشياطين المراد بهم شياطين الإنس .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾«[3263]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ثمّ قال : « إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً» ، فكنّى عن الحور العين ، ولم يجر لهنّ ذكر من لدن قوله : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾«[3264]» ، وذلك لأنّه لما ذكر الفرش استغنى عن ذكر من يفترش عليها من الحور ، ثمّ أخرج الكناية عنهن للمعنى المفهوم في الكلام »«[3265]» .

يشير الإمام مكي ــ رحمه الله ــ في هذا النّص لوجود كناية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى : كنّى عن الحور العين بقوله : «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً» فلمّا ذكر الفرش استغنى عن ذكر من يفترش عليها في الجنة وهنّ الحور العين . وتأويل الكناية في هذه الآية على تقدير أنّ المراد بالفرش النّساء لأنّ من عادات العرب أن تسمي المرأة فراشا أمّا إذا حملت كلمة الفرش على الحقيقة فإنّ الكناية تنعدم في هذه الآية«[3266]» غير أنّ ما يقوي وقوع الكناية هو قوله :«إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً »

[3262] ــ مفاتح الغيب : ج 15، ص 438

[3263] ــ سورة الواقعة : الآية 34 ــ 35 .

[3264] ــ سورة الواقعة : الآية 28

[3265] ــ الهداية إلى بلوغ النهاية : 11 ، ص 7266 .

[3266] ــ إعراب القرآن وبيانه : ج ، 9 ، ص 432 .

هذا وقد ذكر احتمال الكناية في الآية الإمام القرطبي حيث قال :« وقيل : إنّ الفرش كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدّم لهنّ ذكر ...»«[3267]»وذكر هذا القول أيضا الإمام أبو حيّان«[3268]» والإمام ابن عادل«[3269]» والإمام النسفي«[3270]» والإمام أبو السعود«[3271]» .

وفي ختام الحديث عن النماذج الموردة من تفسير الإمام مكي ـ رحمه الله ــ تبيّن أنّه اهتم بمبحث الكناية نوعا ما في تفسيره وذلك في تصريحه بها وتنصيصه عليها في الآيات التي تضمنتها ، فجملة ما أشار إليها من كنايات هي صحيحة يصدق عليها مسمى الكناية وهو يوافق كثيرا من المفسرين في آرائه . وتنبيهاته على الكنايات كان يكتفي فيها في الغالب ببيان اللفظ المكنى عنه دون ذكر لنوع الكناية أو فائدتها إلاّ في النموذج الأول ذكر أنّه كني بالرفت عن الجماع لكونه تعالى كريما وفي هذا إشارة لغرض العدول عن اللفظ المستقبح وأمّا غالب النماذج الأخرى ، فإنّه يكتفي فيها بذكر اللفظ المكنى عنه .

ــ المطلب الرابع : الكناية في تفسير الإمام ابن عطية

لم ترد الإشارة للكناية في تفسير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ـ كثيرا ، فكان ما أشار إليه من الكنايات القرآنية بحجم تفسيره قليلا جدا ، وجملة تلك التنبيهات هي:

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾«[3272]».

قال ــ رحمه الله ــ : « وسعيرا معناه : احتراقا وتلهبا والسعيرة شدّة توقد النّار ، فهذا كناية عن شدّة العذاب والعقوبة »«[3273]»

[3267] ـ الجامع في أحكام القرآن : ج 8 ،ص 193 .
[3268] ـ تفسير البحر المحيط : ج 8، ص 207
[3269] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 18، ص 401
[3270] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 4، ص 170
[3271] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 8، ص 193
[3272] ـ سورة النساء : الآية 55.
[3273] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 83 .

يشير الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود كناية فيها مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى عن النّار بقوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾«[3274]» فلفظة السعير معناها شدّة توقد النّار ولهيبها ، فكنّى هو بها هنا عن شدّة العذاب والعقوبة . فهي إذن كناية عن موصوف .

هذا وقد نقل الإمام أبو حيان قول الإمام ابن عطية في تفسيره . ونصّ على الكناية فيها ، حيث قال: « وكفى بجهنّم سعيرا : أي احتراقا والتهابا أي لمن صدّ عنه . وسعيرا تمييز وهو شدّة توقد النّار . والتقدير : وكفى بسعير جهنّم سعيرا ، وهو كناية عن شدّة العذاب والعقوبة »«[3275]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[3276]»

قال ــ رحمه الله ــ : « الدّابر آخر الأمر الذي يدبره أي يأتي من خلفه ، ومن قول الشاعر أمية بن الصلت : فأهلكوا بعذاب حصّ دابرهم فما استطاعوا له دفعا ولا انتصروا ... وهذه كناية عن استئصال شأفتهم ، ومحو آثارهم كأنّهم وردوا العذاب حتّى ورد آخرهم الذي دبرهم »«[3277]».

يشير الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود كناية في الآية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى عن استئصالهم جميعا بقوله :«فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ » وقد وجّه هذه الكناية وحلّلها وذلك ببيانه لمعنى الدابر لغة فأخبر أنّه آخر الشيء الذي يأتي من الخلف محتجا لذلك بما ساقه من أبيات شعرية تؤكد هذا المدلول اللغوي للكلمة ، ثمّ ذكر وجه التكنية بها عن قطع واستئصال الجميع وذلك أنّ المستأصل والقاطع يبدأ بمن يليه ثمّ يرد إلى من يليه حتّى يصل إلى الآخر أو الأخير وهو الدابر .

[3274] ـ سورة النساء : الآية 55.

[3275] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 285 .

[3276] ـ سورة الأنعام : الآية 45.

[3277] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 344

هذا وقد ذكر الكناية في هذه الآية من المفسرين الشيخ الطاهر بن عاشور فقال : « وقطع الدابر كناية عن ذهاب الجميع لأنّ المستأصل يبدأ بما يليه ويذهب يستأصل إلى أن يبلغ آخره . وهو دابره . وهذا ممّا جرى في المثل . وقد تكرر في القرآن ...»«[3278]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾«[3279]»

قال ــ رحمه الله ــ : « هذه الآية ردّ على كفار قريش في استبعادهم أن يكون من البشر رسول ، وقولهم : «مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» فأخبر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته أنّه لم يرسل قبل في سائر الدّهر نبيا إلاّ بهذه الصفة ، والمفعول ب أرسلنا محذوف يدّل عليه الكلام تقديره : رجالا أو رسلا ، وعلى هذا المحذوف المقدّر يعود الضمير في قوله : « إلا أنّهم» ، وذهبت فرقة إلى أنّ قوله : ﴿ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾«[3280]» كناية عن الحدث »«[3281]».

يخبر الإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ في هذا النّص أنّ طائفة وفرقة من المفسرين رأت أنّ قوله تعالى : «لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ» كناية عن الحدث أي قضاء الحاجة . وقد تقدّم نظير هذا التعبير في القرآن عند قوله تعالى : «كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»«[3282]» . والإمام ابن عطية ــ رحمه الله ــ ذكر هذا القول فحسب دون أن يرجحه أو يضعفه ودون أن يحرر ويبين وجه الكناية ، وحاصل هذه الكناية أنّها كناية عن صفة . ووجهها في الآية أنّ المشركين والكفار احتجوا في نفي الرسالة والنبوة عن النبي صلى الله عليه وسلم بكونه مماثلا ومشابها للبشر في الأكل والمشي في الأسواق

[3278] ــ التحرير والتنوير : ج 7، ص 231

[3279] ــ سورة الفرقان : الآية 7.

[3280] ــ سورة الفرقان : الآية 20

[3281] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 4 ، ص 249 .

[3282] ــ سورة المائدة :الآية 75

وغيرها من العادات التي ألفها النّاس . وذلك لزعمهم أنّ النبي أو الرسول لا ينبغي أن يكون بشرا ولا فيه شيء من الصفات والأحوال التي عهدوها فيهم .

هذا وقد نبّه على وقوع الكناية في الآية الإمام القرطبي ونقل معناها عن الإمام ابن عطية ، فقال :«[3283]» وذهبت فرقة إلى أنّ قوله :« لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ» كناية عن الحدث ، قلت : وهذا بليغ في معناه ، ومثله :«مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ »«[3284]» .

كما أشار إليها أيضا الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وكنّوا بأكل الطعام والمشي في الأسواق عن مماثلة أحواله لأحوال النّاس تذرعا منهم إلى إبطال كونه رسولا لزعمهم أنّ الرسول عن الله تكون أحواله غير مماثلة لأحوال النّاس . و خصّوا أكل الطعام والمشي في الأسواق لأنّهما من الأحوال المشاهدة المتكررة »«[3285]».

فهذه هي إذن جملة المواضع التي نصّ ـ رحمه الله ـ على ذكر الكناية فيها ، والملاحظ عليه في ذلك هو سلوكه نفس المسلك في تناول التشبيه والاستعارة حيث يكتفي دائما بذكر اللفظ المكنى عنه فحسب دون ذكر لنوع الكناية أو تحليلها وشرحها أو إبراز القيمة الجمالية التي أضافتها على الآية فهي إذن تلميحات وإشارات منه لهذا الفنّ من فنون البيان دون تحليل وتوضيح.

[3283] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 13 ، ص 13 .

[3284] ـ سورة المائدة : الآية 75

[3285] ـ التحرير والتنوير : ج 18، ص 327

ــ المطلب الخامس : الكناية في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي

لم يرد ذكر الكناية في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير ــ رحمه الله ــ إلاّ في موضع واحد . وهذا أمر لا يستغرب منه لأنّ طبيعة الكتاب هي من أملت ذلك ، فكتابه كما قلت مرارا مخصص لتوجيه المتشابه وليس لتفسير القرآن الكريم كله . وهذا لا ريب يجعله يغفل كثيرا من المواضع التي تضمنتها الكناية ، والموضع الذي ورد فيه ذكر الكناية هو :

في توجيهه للمتشابه من قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾«[3286]» وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾«[3287]»

أورد ــ رحمه الله ــ تساؤلا قال فيه : « للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف الكنايتين عمّا إليه الهداية الممنوعة عمّن ذكر في الآيتين مع استواء حال من ذكر فيهما من التلبس بالزيادة على الكفر وفي الجزاء بعدم الغفران ومنع الهداية ومع أنّ مسمى السبيل والطريق واحد فما وجه اختلاف الكناية عنه باسم السبيل في الأولى والطريق في الثانية »«[3288]»

وقد أجاب ــ رحمه الله ــ عن اختلاف الكنايتين بأنّ الموصوفين في الآية الأولى قد سبق منهم الإيمان ثمّ كفروا فحالهم أسوأ ممن لم يقع في الإيمان ثمّ كفر ، فلذلك ناسب الكناية لفظ السبيل دون الطريق ، وذلك لأنّ لفظ السبيل وإن كان يتحد في المعنى مع لفظ الطريق إلاّ أنّه أعمق وأعمّ وأوسع دلالة من لفظ الطريق مع كثرة تردده في القرآن أكثر من لفظ الطريق ، وأمّا الموصوفون في الآية الثانية ، فإنّه لم يتقدمهم إيمان ولم تكن حالهم كحال من سبق منه إيمان ، فلذلك ناسب

3286 ــ سورة النّساء : الآية 137

3287 ــ سورة النساء : الآية 168

3288 ــ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 359 .

الكناية لفظ الطريق الذي هو أخف في الإطلاق من لفظ السبيل ، وجرى كل على ما يتناسب والله أعلم .

يظهر من خلال توجيه الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ لهاتين الآيتين أنّه يرى في لفظتي الطريق والسبيل كناية عن أسباب الهدى ، وما ذكره ـ رحمه الله ـ استعارة وليس بكناية ، وتوجيه ذلك أنّ الطريق والسبيل استعيرا للأسباب والأعمال الموصلة للهداية كما أنّ قاصد طريق أو سالك سبيل يريد هدفا من طريقه الذي لزمه وسلكه. وهذه الاستعارة من استعارة محسوس لمعقول ، فإنّ المستعار منه وهو السبيل والطريق حسيان والمستعار له وهو أسباب الهدى عقلي . والجامع بينهما هو بلوغ المقصود والهدف .

فمن خلال هذا المثال الوحيد من كتاب ملاك التأويل يظهر خلط الإمام ابن الزبير بين مفهوم الاستعارة والكناية وعدم تمييزه بينهما .

ـــ المطلب السادس : الكناية في تفسير الإمام ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ ﴾«[3289]» قال ـ رحمه الله ـ :« الغائط : أصله المكان المنخفض ، وهو كناية عن الحدث الخارج من المخرجين ، وهو العذرة ، والريح ، والبول لأنّ من ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث ، وقيل : إنّما هو كناية عن العذرة ، وأمّا البول والريح ، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة ، وكذلك الودي والمذي »«[3290]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لكناية . وذلك عندما صرّح أنّ قوله : «أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ» كناية عن الحدث ، وقد ابتدأ تحليله لها بشرح معنى الغائط فذكر أنّه المكان المنخفض من الأرض ، ثمّ ذكر أنّ العادة فيمن أراد قضاء حاجته أن

[3289] ـ سورة النساء : الآية 43 .

[3290] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 194 .

يأتي ذلك المكان المنخفض من الأرض حتّى يتوارى عن أعين النّاس . وهذه الكناية الواردة في الآية جيئت في الآية ليعدل بها عن اللفظ المستهجن والمستقبح والتعبير عنه بشيء من لوازمه . وهو هنا المكان المنخفض من الأرض ، كما أنّ من محاسن هذه الكناية أنّ الآية أسند فيها المجيئ إلى واحد مبهم من المخاطبين دون تعيينه للتفادي عن التصريح بنسبته إلى ما يستحيا منه أو يستهجن التصريح به «[3291]».

هذا وقد نبّه الشيخ الطاهر بن عاشور على الكناية ونصّ على الغرض منها ، حيث قال : « كناية عن قضاء الحاجة البشرية ، شاع في كلامهم التكني بذلك لبشاعة التصريح »«[3292]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾«[3293]»

قال ــ رحمه الله ــ : ««فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ » : أي اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين وذلك كناية عن السرايا »«[3294]».

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود كناية مصرحا بأنّه سبحانه وتعالى كنّى عن السرايا التي هي الجماعات المتفرقة بلفظة ثبات التي تعنى الجماعات المتفرقة . والذي يظهر من إشارته إليها أنّه يبيّن معنى الكلمة في اللغة ثمّ يبيّن الوجه المكنىّ به مكتفيا بإشارة وجيزة سريعة .

والظاهر أنه قد نقل القول بالكناية في هذه الآية عن الإمام ابن عطية . فهو من صرّح بذلك بنفس التعبير. فقال:« وثبات معناه جماعات متفرقة .فهي كناية عن السرايا »«[3295]» ، كما نقلها عن الإمام ابن عطية الإمام القرطبي «[3296]»

[3291] ــ الجدول في إعراب القرآن : عبد الرحمان صافي ، ج 5 ، ص 47 .

[3292] ــ التحرير والتنوير : ج 5، ص 66

[3293] ــ سورة النساء : الآية 71

[3294] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 198 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾«[3297]»

قال ــ رحمه الله ــ : « غلّ اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾«[3298]» أي لا تبخل كل البخل ولا تبسطها كل البسط : أي لا تجد كل الجود »«[3299]».

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود كناية مصرحا بأنّ غلّ اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود . وليؤكد هذا المعنى ذكر آية أخرى وردت فيها الكناية بنفس المعنى .

وما ذكره ابن جزي ــ رحمه الله ــ ليس بكناية على مقتضيات الصناعة البلاغية . بل هو مجاز مرسل علاقته السببية فاليد هي السبب في الإنفاق ، وفائدة هذا المجاز هي تصوير الحقيقة بصورة حسية تلازمها غالبا «[3300]».

وقد أشار إلى هذا المجاز في الآية كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي ، حيث قال «[3301]» :« وغلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه إلى إثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حتّى لا يتصور ذلك » ، كما نصّ عليه أيضا الإمام الرازي ، حيث قال : « غلّ اليد

[3295] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 92
[3296] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 274
[3297] ـ سورة المائدة : الآية 64 .
[3298] ـ سورة الإسراء : الآية 29
[3299] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 243 .
[3300] ـ إعراب القرآن وبيانه : ج 2، ص 519
[3301] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج1 ، ص 345 .

وبسطها مجاز مشهور عن البخل والجود.....قالوا : والسبب فيه أنّ اليد آلة لأكثر الأعمال لا سيما لدفع المال ولإنفاقه ، فأطلقوا اسم السبب على المسبب ...»«[3302]».

والملاحظ على تنبيه ابن جزي للكناية أنّه اكتفى فيها بإشارة سريعة دون تحليل ،كما يظهر أنّه لا يعنى بتحديد المصطلحات وتدقيقها فيخلط بين الصور البيانية . وهذا وإن دلّ على شيء فهو ينبئ على عدم تحريره لتلك المباحث بشكل دقيق .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾«[3303]»

قال ــ رحمه الله ــ : «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ » كناية عن البخل »«[3304]».

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها محتوية ومتضمنة للكناية ذاكرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى بلفظة : «ويقبضون أيديهم» عن الشح والبخل عن الإنفاق في سبيل الله .فقبض اليد هنا كناية عن البخل . فهي كناية عن صفة . وضدها بسط اليد فهي كناية عن الجود ، ولقد جسدّت البخل الكامن في نفوسهم وصورته في صورته من يقبض بيده على شيء حرصا على ألاّ يتفلت .

هذا ولقد نصّ على وقوع الكناية في الآية كثير من أئمة التفسير منهم الإمام أبو حيّان«[3305]»والإمام أبو السعود «[3306]» والإمام الألوسي «[3307]»والشيخ الطاهر بن عاشور«[3308]» .

[3302] ــ مفاتح الغيب : ج 12، ص 393

[3303] ــ سورة التوبة : الآية 67 .

[3304] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 355 .

[3305] ــ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 69

[3306] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 4، ص 80

[3307] ــ روح المعاني والسبع المثاني : ج 5، ص 323

[3308] ــ التحرير والتنوير : ج 10، ص 254

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَـقُولُ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾«[3309]»

قال ـ رحمه الله ـ : « عضّ اليدين : كناية عن النّدم والحسرة ، والظالم هنا عقبة بن أبي معيط ، وقيل : كلّ ظالم ، والظلم هنا الكفر »«[3310]».

يشير الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في هذا النّص لوجود كناية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنى عن النّدم والتحسر والغيظ الذي يحصل للكافر غدا يوم القيامة بعضّ اليدين . وهي كناية عن صفة سيقت في هذا المقام لتصور وتجسد حال النّادم والمتحسر على ما فاته من الهدى والإيمان ولم يتبعه في صورة من يعض يديه ، فغاية من يتلبس بهذا الفعل هو من يتحسر على شيء فاته .

هذا وقد ذكر الكناية في الآية الإمام الزمخشري«[3311]» وتبعه في ذلك جماعة من المفسرين نقلوا كلامه منهم الإمام البيضاوي«[3312]» . والإمام النّسفي «[3313]» والإمام أبو حيّان«[3314]» والإمام أبو السعود «[3315]» ، كما نبّه عليها أيضا الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال: « والعض على اليد كناية عن النّدامة لأنّهم تعارفوا في بعض أغراض الكلام أن يصحبوها بحركات بالجسد مثل الشذر »«[3316]».

[3309] ـ سورة الفرقان : الآية 27.

[3310] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 92 .

[3311] ـ الكشاف : ج 3، ص 280

[3312] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج4 ، ص 122

[3313] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3، ص 136

[3314] ـ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 454

[3315] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 6، ص 213 .

[3316] ـ التحرير والتنوير : ج 19، ص 12

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾«[3317]»

قال ــ رحمه الله ــ : ««أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ » كناية عن الجماع »«[3318]».

يخبر الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها متضمنة لكناية وهي عند قوله تعالى : «أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ » فصرّح بأنّ المولى سبحانه وتعالى كنّى بها الجماع . وهي بالتالي كناية عن موصوف سيقت للإعراض عمّا يستفحش ويستقبح ذكره واستبداله بشيء من لوزامه وتوابعه الذي يدّل على المعنى الأصلي المراد .ونظائر هذه الكناية في القرآن كثير فإنّه سبحانه وتعالى دائما يكني بألفاظ عن هذه المعاني ترفعا وتنزها .

هذا وقد نبّه على وقوع الكناية في الآية الإمام ابن عطية«[3319]» والإمام القرطبي«[3320]» والإمام الرّازي«[3321]» والإمام ابن عادل «[3322]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦ ﴾»«[3323]»

قال ــ رحمه الله ــ : « تغشاها »كناية عن الجماع »«[3324]».

يشير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية تضمنها للكناية مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى بلفظة «تغشاها» عن الجماع ، ولقد سبقت الإشارة إلى هذه الكناية عند الحديث عن

[3317] ــ سورة النساء : الآية 21.
[3318] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 184
[3319] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ص 35
[3320] ــ الجامع لأحكام القرآن : ج 5، ص 102
[3321] ــ مفاتح الغيب : ج 10 ، ص 11
[3322] ــ اللباب في علوم الكتاب : ج 6 ، ص 268
[3323] ــ سورة الأعراف : الآية 189 .
[3324] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 325 .

جهود الإمام مكي ـ رحمه الله ـ في تناول أسلوب الكناية . وذكرت أنّه قد نبّه عليها جماعة من المفسرين.

ـ المطلب السابع : الكناية في تفسير الإمام أبو حيّان (البحر المحيط)

ورد ذكر الكناية في تفسير الإمام أبي حيّان ــ رحمه الله ـ ونصّ عليها في بعض الآيات المتضمنة لها ، وللوقوف على جهده في ذلك سأعرض جملة من النماذج والأمثلة التي توضح ذلك وتبيّن أسلوبه في تناولها .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾«[3325]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقرأ الجمهور : الرفثُ ، وقرأ عبد الله : الرفث ، وكنى به هنا عن الجماع ، والرفث قالوا هو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه ، كلفظ : النيك ، وعبّر باللفظ القريب عن لفظ النيك تهجينا لما وجد منهم ، إذ كان ذلك حراما عليهم ، فوقعوا فيه كما قال فيه : « تختانون أنفسكم » فجعل ذلك خيانة ، وعدي بإلى ، وإن كان أصله تعديته بالباء لتضمينه معنى الإفضاء »[3326].

يخبر الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّها فيه كناية ، حيث كنّى المولى جلّ وعلا عن الجماع بلفظ الرفث ولم يفصح ويصرح بلفظ الجماع عدولا عن اللفظ المستهجن . وتنزيها لألفاظ القرآن الكريم عن ذلك ، وقد سبقت الإشارة إلى الكناية في هذه الآية عند إيراد النماذج من تفسير الإمام مكي ـ رحمه الله ـ وبيّنت أنّ هذه الكناية كناية عن موصوف قصد بها العدول عمّا يستقبح ذكره . وقد صرّح بالكناية في هذه الآية كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي والنسفي والقرطبي . وتنبيه الإمام أبي حيّان رحمه الله عليها يظهر فيه ذكره للفظ المكنى عنه وكذلك الغرض من التكنية

[3325] ـ سورة البقرة : الآية 187

[3326] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 55 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦ ﴾«[3327]»

قال ــ رحمه الله ــ :« إن كان الخبر عن آدم فخلق حواء كان في الجنة ، وأمّا التغشي والحمل فكانا في الأرض والتغشي والغشيان كناية عن الجماع »«[3328]»

يخبر الإمام أبو حيّان ــ رحمه الله ــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه سبحانه وتعالى كنّى في هذه الآية عن الجماع بلفظة «تغشاها » ولقد سبقت الإشارة إلى هذه الكناية في الآية عند الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمامين مكي وابن جزي ــ رحمها الله ــ وذكرت أنّه أشار إليه كذلك كل من الإمام ابن عطية والإمام القرطبي . وصنيع أبي حيان ـ رحمه الله ــ في التنبيه عليها اكتفى بذكرها فحسب دون تحليها أو بيان الغرض والقصد منها . ممّا يدل على أنّه لايقف عند هذه الصور بالشرح والتحليل المبين لحقيقتها وغرضها وبيان أثرها في الكلام شأنه في ذلك شأن المسائل النحوية التي يستطرد فيها ويطيل الحديث عنها .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾«[3329]» قال ــ رحمه الله ــ : « وجعل الزمخشري كلام الشافعي وتفسيره : تعولوا تكثر عيالكم على أن جعله من قولك : عال الرجل عياله يعولوهم ، وقال : لا يظنّ به أنّه حول : تعيلوا إلى تعولوا ، وأثنى على الشافعي بأنّه كان أعلى كعبا وأطول باعا في كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا، قال : ولكن للعلماء طرقا وأساليب ، فسلك في تفسيره هذه الكلمة طريقة الكنايات ... وروي عن الشافعي أنّه أيضا أنّه فسّر قوله : ألا تعولوا بمعنى : ألا تفتقروا ، ولا يريد أن تعولوا

3327ــ سورة الأعراف : الآية 189

3328ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 437 .

3329 ــ سورة النساء : الآية 3

من مادة تعيلوا من عال يعيل إذا افتقر ، إنّما يريد أيضا الكناية ، لأنّ كثرة العيال يتسبب عنه الفقر »«[3330]».

يفهم من كلام الإمام أبي حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه نقل عن الإمام الزمخشري القول بتضمن هذه الآية للكناية وذلك عند قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعُولُوا ﴾«[3331]» وهذا الرأي مبني على تفسير الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ للفظة ألاّ تعولوا بمعنى : «تكثر عيالكم » فهي إذن كناية عن صفة وهي خشية الفقر . ووجه ذلك أنّه كنّى عن خشية الفقر بكثرة العيال لأنّ العادة أنّ في تكثير العيال سبب للفقر .

هذا وقد نقل الكلام الذي ذكره الإمام الزمخشري الإمام البيضاوي . فقال : « ... وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنّه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانعهم فعبّر عن كثرة العيال بكثرة المؤمن على الكناية .ويؤيده قراءة : « فلا تميلوا » من أعال الرجل إذا كثر عياله »«[3332]» كما نبّه عليه الإمام الرازي«[3333]» وانتصر له وردّ على الطاعنين في تفسير الإمام الشافعي . وأشار إليه أيضا الإمام النسفي«[3334]» والإمام أبو السعود «[3335]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[3336]» وعدّها ـ الكناية ـ من الكنايات البعيدة الخفية .

فيظهر من هذا أنّ الإمام أبا حيّان ناقل عن الإمام الزمخشري هذا الكلام ومقرر لما أورده. ووافقه في هذا النقل جماهير من المفسرين ، وعليه فالإمام أبو حيّان يظهر عليه التأثر بالزمخشري في تقرير هذه المسألة وعرضها .

[3330] ـ البحر المحيط : ج 3 ، ص 173

[3331] ـ سورة النساء : الآية 3

[3332] ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج 2، ص 59

[3333] ـ مفاتح الغيب : ج 9 ، ص 482

[3334] ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 1 ، ص 202

[3335] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج 2 ، ص 143

[3336] ـ التحرير والتنوير : ج 4، ص 228

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾«[3337]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقطعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا » كناية عن استئصالهم بالعذاب بالهلاك »«[3338]».

يشير الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية لوجود كناية فيها مخبرا أنّه سبحانه وتعالى كنّى عن استئصالهم وإهلاكهم بالعذاب بقوله : «وَقَطَعْنَا دَابِرَ» وقد سبق بيان وجه التكنية في هذه اللفظة عند توجيه قوله تعالى : «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين» ضمن النماذج التي أوردتها من جهود الإمام ابن عطية في تناول أسلوب الكناية . والدابر هو الآخر ، فالقاطع يبدأ بمن يليه ثمّ يرد إلى من يليه حتّى يصل إلى الآخر أو الأخير وهو الدابر . فالكناية في الآية كناية عن صفة . وهي الهلاك والاستئصال وإشارة الإمام أبي حيّان لها اكتفى فيها بذكرها فحسب مبيّنا الوجه الذي كني عنه وهي إشارة سريعة لم يقف معها طويلا بالشرح والتحليل . هذا وقد نصّ على الكناية في هذه الآية الشيخ عبد الرحمان صافي«[3339]» .

في تفسير قوله تعالى :﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ﴾«[3340]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وقيل : كنّى بالوجه عن البصر ، لأنّه أشرف وهو المستعمل في طلب الرغائب ، تقول : بذلت وجهي في كذا ، وفعلت لوجه فلان ، وقال رجعت بما أبغي ووجهي بمائه

[3337] ــ سورة الأعراف : الآية 72

[3338] ــ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 329 .

[3339] ــ الجدول في إعراب القرآن : ج 8، ص 454

[3340] ــ سورة البقرة : الآية 144

، وهو من الكناية بالجزء عن الكل ، ولا يحسن أن يقال : أنّه على حذف مضاف ويكون التقدير : بصر وجهك ، لأنّ هذا لا يكاد يستعمل »«[3341]»

يفهم من كلام الإمام أبي حيّان ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ يروي رأيا بصيغة التمريض مفاده أنّ قوله تعالى : « تَقَلُّبَ وَجْهِكَ » كناية عن البصر مخبرا أنّه من الكناية بالجزء عن الكل ، كما يظهر كذلك من كلامه ترجيح هذا القول . وذلك بدفعه لقول من قال أنّ تقدير الكلام على حذف مضاف أي : «بصر وجهك » . وقد بيّن ضعفه بأنّه لا يكاد يستعمل في الكلام .

هذا وقد نقل كلام الإمام أبي حيّان ـ رحمه الله ـ كل من الإمامين السمين الحلبي والإمام ابن عادل . حيث قال كل واحد منهما : « وقيل : كنّي بالوجه عن البصر لأنّه محله »«[3342]» كما نصّ على الكناية تنصيصا سريعا ومقتضبا الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال«[3343]» :« والفاء في فلنولينك فاء التعقيب لتأكيد الوعد بالصراحة بعد التمهيد لها بالكناية في قوله : «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ »

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾«[3344]»

قال ـ رحمه الله ـ : « والظاهر أنّ الظالم يعض على يديه فعل النادم المتفجع ، وقال الضحاك يأكل يديه إلى المرفق ثمّ تنبت ولا يزال كذلك كلمّا أكلها نبتت ، وقيل : هو مجاز عبّر به عن التحير والغم والندم والتفجع ، ونقل أئمة اللغة أنّ المتأسف المتحزن المتندم يعض على إبهامه ندما

[3341] ــ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 602

[3342] ــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج2 ، ص160 ، واللباب في علوم الكتاب ، ج 3، ص 30

[3343] ــ التحرير والتنوير : ج 2، ص 27

[3344] ــ سورة الفرقان : الآية 27 .

... وقال الزمخشري : عض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والإرم وفروعها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنّها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجد عند لفظ المكنى عنه » «[3345]»

يظهر في هذا النّص من الإمام أبي حيّان ــ رحمه الله ــ :أنّه نقل القول بوجود كناية في هذه الآية عن الإمام الزمخشري حيث صرّح بذلك وأخبر أنّها كناية عن النّدم والتحسر والغيظ ، حيث أطلق المولى تعالى الرادفة وهي عض اليدين ليدل بها عن المردوف وهو الندم وهذا من مراتب الفصاحة وطبقاتها لأنّه يحصل بها من التلذذ والروعة في نفس السامع ما لا يحصل لو صرّح باللفظ المكنى عنه . هذا وقد سبقت الإشارة لهذه الكناية عند إيراد النماذج الواردة في تفسير الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ وذكرنا أنّه أشار إليها كثير من المفسرين .

وفي ختام الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام أبي حيّان ـ رحمه الله ــ تبيّن أنّه اهتم بمبحث الكناية في تفسيره إلى حدّ ما ، حيث حرص على التنصيص عليها في الآيات التي تضمنتها وذكره لها يكون تارة بذكر اللفظ المكنى عنه وبيان الغرض منه . وتارة من غير ذكر الغرض وهو الغالب ، كما ظهر نقله عن الإمام الزمخشري القول بالكناية في كثير من الآيات وهو يقلده في شرحه ويتبعه في تحليله فقد بدا تأثره به واضحا ، كما أنّ الكنايات التي نبّه عليها أكّدها كثير من المفسرين بل منهم من نقل عنه كالإمامين السمين الحلبي وابن عادل.

[3345]ــ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 454 .

ــــ المطلب الثامن : الكناية في تفسير الإمام ابن عرفة

إذا ما جئنا نستعرض إشارات الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ لفنّ الكناية في تفسيره فإنّنا لا نجد ذكرا لها في تفسيره إلاّ في موضع واحد فقط ، وحتّى هذا الموضع الواحد لم يكن فيه تنصيص بعينه لكناية وجدت في آية تعرّض لها بالشرح والتحليل . وإنّما هي إشارة أثار فيها مسألة من المسائل البلاغية وهي مسألة الفرق بين التعريض والكناية وحديثه عن ذلك كان في:

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ ﴾«[3346]»

قال ــ رحمه الله ــ : « الزمخشري : الكناية : أن يذكر اللفظ بغير اللفظ الموضوع له مثل : فلان جبان القلب ، عظيم الرماد ، والتعريض أن يذكر شيئا يستدل به على شيء لم يذكره ، ابن عرفة : فلفظه يقتضي أنّ الكناية ترجع إلى دلالة المطابقة والتعريض لدلالة الالتزام ، ولهذا كان بعضهم يقول في قولك: رأيت أسدا يريد به رجلا شجاعا إنّه مطابقة ويرد على من كان يقول : إنّه مجاز ، ولذلك فرّقوا بين دلالة اللفظ وبين الدلالة باللفظ ، لأنّ المطابقة دلالة اللفظ على تمام مسماه بالإطلاق ، وما عورض من فسّره مجاز ، إلاّ أنّه فسر دلالة المطابقة بأنّها دلالة اللفظ على تمام ما وضع له أولا ، قلت: قال القزويني في الإيضاح : الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك كقولك : فلان كثير رماد القدر كناية عن الكرم ، وطويل نجاد السيف كناية عن طول قامة الرجل ، ومثله : بعيدة مهوى القرط كناية عن طول قامة المرأة » .«[3347]»

في هذا النّص ينقل الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ عن الإمام الزمخشري تفريقه بين الكناية والتعريض مخبرا أنّ الكناية هي ذكر الشيء بغير اللفظ الموضوع له ، والتعريض هو ذكر اللفظ يستدل به على لفظ لم يذكر . وعلى هذا التفريق خرّج ـ رحمه الله ــ رأيا مفاده أنّ الكناية

[3346]ـ سورة البقرة : الآية 235

[3347]ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 676 ـ 677

مرجعها لدلالة المطابقة . والتعريض مرجعه لدلالة الالتزام . وما نقله الإمام ابن عرفة عن الزمخشري من التفريق بين الكناية والتعريض قد تعرّض له أئمة البلاغة لأنّهم رأوا أنّ كثيرا من العلماء يلتبس عليه الأمر فيهما ومنهم من يخلط بينهما فيعدّهما شيء واحد . وممّن ميّز بينهما الإمام ابن الأثير ، حيث قال : « وأمّا التعريض فهو اللفظ الدّال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فإذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : «والله إنّي لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني » فإنّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا ، إنّما دلّ عليه من طريق المفهوم »«[3348]». كما فرّق بينهما الإمام التنوخي فقال : « ومن البيان الكناية والتعريض وهما معنيان متقاربان جدا وربّما التبس على كثير من الفضلاء أمرهما فمثل أحدهما بما يستحق أن يكون مثلا للآخر وربّما كان ذلك لكون اللفظ صالحا للكناية من وجه وللتعريض من وجه والفرق بينهما أنّ الكناية وضع لفظ يراد به معنى يعرف من لفظ آخر هو أحق به لكن يعدل عنه لقبحه في العادة أو لعظمه أو لستره أو لما ناسب ذلك من الأغراض . والتعريض أن يذكر شيء يفهم منه غير ما وضع له لمناسبة ما بين المعنيين »«[3349]».

والإمام ابن عرفة اكتفى في توجيهه لهذه الآية بذكر تلك الآراء في الفرق بين الكناية والتعريض ولم ينص أو يشير إلى الصورة البيانية فيها هل هي كناية أو تعريض . والذي في الآية هو تعريض وليس كناية ، فالمولى سبحانه وتعالى نفى الحرج عن التعريض بخطبة النساء دون التصريح بذلك . فيورد الخاطب مثلا عبارة يومئ ويلوح بها على الخطبة كأن يقول مثلا : أنت جميلة ، أو غير ذلك من الألفاظ الغير الدالة على المقصود صراحة .

[3348]_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج 2، ص 186

[3349]_ ينظر : الأقصى القريب في علم البيان ،ص 72 .

هذا وقد أشار إلى التعريض في الآية وفرّق بينه وبين الكناية كثير من أئمة التفسير منهم الإمام الزمخشري«[3350]» والإمام الرازي «[3351]» والشيخ الطاهر بن عاشور«[3352]».

وعليه فإنّه يمكننا القول بأنّ فنّ الكناية منعدم في تفسير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ وهذا لا يرقى بحجم كتاب سعى فيه صاحبه لتفسير القرآن كلّه ، ففي هذا دليل على إغفاله لهذا الباب من أبواب البيان وعدم اهتمامه به وتوليته مكانة في منهجه التفسيري

[3350] ـ الكشاف : ج 1، ص 311

[3351] ـ مفاتح الغيب : ج 6 ، ص 469

[3352] ـ التحرير والتنوير : ج 2، ص 451

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البديع

المبحث الأول : مفهوم البديع في اللغة ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة

إنّ الحديث عن علم البديع كقسم من أقسام البلاغة الثلاث يستدعينا للبحث عن أصل كلمة بديع في اللغة ، كما يستوقفنا للحديث عن نشأة وتطور هذا المصطلح في علم البلاغة العربية ، وهذا ما سأسعى لبيانه في هذا المبحث

المطلب الأول : مفهوم البديع في اللغة

جاء في لسان العرب لابن منظور : «بدع الشيء يبْدعُه بدعا وابتدعه أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع الشيء الذي لا يكون أولا : وفي التنزيل : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾«[3353]» ، أي ما كنت أول من أرسل ، والبديع المحدث ، والبديع المبدع ، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء ، وإحداثه إيّاه ، والبديع الأول قبل كل شيء» «[3354]» ، وقال الإمام الزبيدي : « البديع : المبتدع ، وهو من أسماء الله الحسنى ، لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها ، وهو الأول قبل كل شيء ، قال الله جلّ شأنه :﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾«[3355]»، أي مبتدعها ، ومبتدئها لا على مثال سابق » «[3356]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع إلى معنى الشيء الجديد الذي لم سبق له نظير ولا مثيل .

[3353]ـ سورة الأحقاف : الآية 9

[3354]ـ : ج 8 ، ص 6 ، مادة ـ بدع ـ

[3355]ـ سورة الأنعام : الآية 101

[3356]ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 20 ، ص 307 ، مادة ـ بدع ـ

المطلب الثاني: مراحل تطور مصطلح البديع في علم البلاغة

وأمّا بالنسبة للأمر الثاني ، فإنّ علم البديع كمركب إضافي يطلقه البلاغيون ويريدون به : « العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة » «[3357]»

أي أنّ هذه الوجوه تعتبر محسنة للكلام بعد رعاية هذين الأمرين ، وإلاّ لكان البديع كتعليق الدّر على أعناق الخنازير «[3358]» ، ومعنى هذا الكلام أنّ البديع تابع لعلم المعاني والبيان ومكمل لهما

وقد وردت الإشارة إلى هذا المصطلح في كلام المتقدمين ، ويعزوا البعض ذكره وابتكاره إلى الشاعر العباسي صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري (ت 208 هـ) ، حيث قال الإمام الأصفهاني : « وهو فيمن زعموا أوّل من قال الشعر المعروف بالبديع هو لقّب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي ، فإنّه جعل شعره كلّه مذهبا واحدا فيه » «[3359]».

وذكر الإمام الجاحظ أنّ الرواة والشعراء الأوائل يطلقون مصطلح البديع على المستغرب الجديد من الشعر وفنونه ، فيقول مثلا : معلقا على بيت للأشهب بن رميلة :

هم ساعد الدّهر الذي يتقى به   وما خير كفّ لا تنوء بساعد

قوله : « هم ساعد الدّهر» إنّما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع » «[3360]» ، وبعد تبيانه لهذا نوّه ـ رحمه الله ـ بولوع العرب بالبديع واختصاصهم به ، حتّى فاقوا فيه غيرهم من الأمم ، فقال : « والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، ورابت على كلّ لسان » «[3361]»

[3357] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ج 1 ، ص 317.

[3358] ـ فنّ البديع : عبد القادر حسين ، ط 1 ، القاهرة ـ دار الشروق ـ ، 1403 هـ ـ 1983م ، ص 43

[3359] ـ الأغاني : ج 19 ، ص 36 .

[3360] ـ البيان والتبيين : ج 1 ، ص 584

[3361] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 584

ويفهم من هذه النقولات أنّ هذا المصطلح متردد وشائع عند النقاد والشعراء الأوائل ، وأنّهم أطلقوه على كثير من الصور الفنية ، وحتّى الإمام الجاحظ ضرب بسهم في تأصيل هذا الفنّ وتقعيده ، وذلك بالإشارة إلى الأبيات الشعرية التي حوت مثل هذه البديعيات والمحسنات بيد أنّه لم يهتم ويعتني بتوضيح المصطلحات وتحديدها ، وإنّما اعتنى بالشرح والتحليل والتنبيه على مواطن الحسن فيها .

وجاء بعد الإمام الجاحظ الإمام والخليفة أبو العباس عبد الله بن المعتز المتوكل (ت 269 هـ) فنهض بعمل جديد سعى فيه لتحديد بعض أنواع هذا الفنّ ولمّ شتاته ببيان ألقابه وتحديد مصطلحات هذه الأنواع ، وقد بيّن غرضه من وضع هذا الكتاب وهو بيان أنّ المحدثين من الشعراء لم يسبقوا المتقدمين في الإشارة إلى هذه الفنون من باب البديع ، فقال : « وإنّما غرضنا في هذا الكتاب تعريف النّاس أنّ المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع »«[3362]» .

وأمّا عن المواضع التي تناولها في كتابه ، فإنّه تطرّق إلى خمسة فنون رئيسية هي : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها ، والمذهب الكلامي ، ثمّ أورد بعدها ثلاثة عشر فنّا من محاسن الكلام والشعر كما سمّاها هو ، وهي : الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج من معنى إلى معنى ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، هزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الافراط في الصفة ، حسن التشبيه ، اعنات الشاعر نفسه في القوافي ، حسن الابتداءات .

ويلحظ من عمل ابن المعتز إدخاله بعض الفنون التي من مباحث علم البيان في علم البديع كالاستعارة والكناية ، وكذلك إدراجه لبعض موضوعات علم المعاني تحت مسمى البديع ، كما هو الحال في إيراده الاعتراض الذي هو أحد أساليب الإطناب ، والإطناب كما هو معروف من مباحث علم المعاني ، ولا ريب أنّ هذا يدّل على تداخل هذه الموضوعات في بعضها البعض

[3362] ـ البديع : ص 3

وبحثها في إطار ما يسمى بالبديع عند المتقدمين ، وأنّ التقسيم المتداول عند البلاغيين إلى يومنا هذا هو من صنيع المتأخرين من أمثال الإمام السّكاكي والخطيب القزويني.

وكيف كان الحال ، فإنّ صنيع ابن المعتز يعتبر قفزة جديدة في علم البديع ، حيث حاول لمّ شتاته ومباحثه من كلام المتقدمين ، وذلك بتحديد مصطلحاته وضبطها .

ومن المعاصرين لابن المعتز ، والذين اقتفوا أثره في التأصيل لعلم البديع وتقنينه قدامة بن جعفر (ت 337هـ) ، حيث أورد في كتابه الذي وسمه : بنقد الشعر بعض المحسنات البديعية ، وقد بلغت ثلاثة عشر نوعا ، فيها ما ذكره ابن المعتز ، وفيها ما انفرد به وكان من ابتكاره ، والمحسنات التي أوردها في كتابه هي الترصيع ، الغلو ، صحة التقسيم ، صحة المقابلات ، صحة التفسير ، التتميم ، المبالغة ، الإشارة ، الإرداف ، التمثيل ، التكافؤ ، التوشيح ، الإيغال ، الالتفات .

وجملة ما اهتدى إليه قدامة من محسنات جديدة هي تسعة : الترصيع ، والغلو ، وصحة التقسيم ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، والإشارة ، والارداف ، والتمثيل ، والإيغال ، وأمّا بقية المحسنات الأخرى ، فإنّه التقى فيها مع ابن المعتز على اختلاف في الاصطلاح والتسمية في بعضها ، والاتفاق في البعض الآخر .

وليس ببعيد عن قدامة أبو هلال العسكري ، فقد حدا حدوه في تقنين مباحث هذا العلم وتأصيله ، حيث تناول في كتابه الماتع : « الصناعتين » مسائل البديع ، وذلك بتخصيصه للباب السابع من هذا الكتاب للكلام عن هذا الفن ، وقد ذكر أنّه خمس وثلاثون فصلا وبعد سرده لها ردّ على من اتهم المتقدمين بعدم الاعتناء والاهتمام بها ، ونسب الفضل في ذلك إلى المحدثين ، فقال : «فهذه أنواع البديع التي ادّعى من لا رواية له ولا دراية عنده أنّ المحدثين ابتكروها ، وأنّ القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين ، لأنّ هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف ، وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة » «[3363]» .

[3363] ـ كتاب الصناعتين : ص 267 .

ثمّ قام بشرحها وبيانها ، كما أشار إلى فنون البديع التي انفرد بها هو ، ولم يشر إليها المتقدمون ، حيث قال : « وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع : التشطير ، والمحاورة ، والتطريز ، والمضاعف ، والاستشهاد ، والتلطف » «[3364]» .

ويلاحظ على عمل أبي هلال أنّه أدرج بعض مباحث علم البيان تحت مصطلح البديع : كالاستعارة والكناية ، وأدرج مباحث علم المعاني كالتذييل والاعتراض اللذين هما من صور الاطناب ، وهذا يؤكد ما تقرّر سابقا من تداخل مباحث البلاغة وامتزاجها ببعضها البعض ، كما يفهم من إطلاقات هؤلاء الأئمة في مصنفاتهم ، وأنّ التفريق بين هذه المباحث لم يحصل حتّى جاء الإمام السّكاكي ، وقسّم مباحث البلاغة إلى هذا التقسيم المعروف والمتداول عليه اليوم .

وفي القرن الخامس ظهر الإمام ابن رشيق القيرواني ، فاعتنى بالبديع وذلك بإفراده لباب له في كتابه«[3365]» ، حيث تناول فيه بعض المحسنات البديعية وقام بتعريفها والتمثيل لها مع شرحها ، فاستهل حديثه عنها بالكلام عن موضوع المخترع والمبتدع من الشعر مفرقا بين هذين المصطلحين ، ليتحدّث بعضها عن واضعي مسائله من العلماء عانيا بذلك ابن المعتز الذي جمع شتاته في كتابه البديع ، وابن رشيق أورد تسعة وعشرين نوعا من البديع بعضها أو أغلبها سبقه إليه ابن المعتز ، وابن قدامة بن جعفر ، وأ بو هلال العسكري ، عشرون نوعا أخذها من ابن المعتز ، وابن قدامة ، والتسع الباقية لم يصرح بذكرها فقد يكون كما يقول الدكتور عبد العزيز عتيق أنّه أخذها عن بعض المتقدمين من رجال البديع غير ابن المعتز ، وابن قدامة ،و أبي هلال ، وثانيها أنّه هو نفسه قد زادها على ما أ ورده المتقدمون ...»«[3366]» ، وتناوله لهذه المباحث يكون بتعريفها ، ثمّ ضرب الأمثلة والشواهد عليها مع التفصيل .

[3364] ــ كتاب الصناعتين : ص 267 .

[3365] ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج 1 ، ص 262 ـ 265

[3366] ــ في تاريخ البلاغة العربية : ص 234

ولقد كانت لطائفة من العلماء ممّن اعتنوا ببحوث الإعجاز القرآني والتفسير إشارات إلى بعض مصطلحات البديع ، لكنّها لم تكن بتلك العمق الذي أخذ نظرهم واهتمامهم مقارنة بعلمي المعاني والبيان ، ومن هؤلاء الإمام الجرجاني الذي كانت له أياد سابغة على علم البلاغة لا سيما علمي المعاني والبيان ، فإليه يرجع الفضل في تأصيلهما وتقنينهما ، غير أنّ علم البديع لم يحظ بكبير اهتمام عنده ، حيث بلغ مجموع ما أشار إليه من محسنات بديعية في كتابيه سبعة ، فتكلم عن التجنيس ، والسجع ، وحسن التعليل ، والطباق ، و التجريد ، والمزاوجة ، والتقسيم .

ولقد كان حديثه عنها كما يقول الدكتور عبد العزيز عتيق : «غير مقصود لذاته ، وإنّما جاء كلامه عنها في معرض الاستدلال على نظريته القائلة بأنّ الألفاظ ليست لها مزية ذاتية في الكلام من حيث هي ألفاظ ، وإنّما المزية تأتي دائما من قبل التراكيب وصورة نظمها وتأليفها ...» «[3367]»

ومن هؤلاء الأعلام كذلك الإمام الباقلاني الذي تعرّض في كتابه إعجاز القرآن لبعض المباحث البلاغية تحت مصطلح البديع ، وذلك في معرض بيانه لوجوه إعجاز القرآن ، والتي جعل منها الوجه الثالث ، والذي حصره في : نظمه البديع ، وتأليفه العجيب ، وبلاغته المتناهية التي يعجز البشر عن محاكاتها .

والإمام الباقلاني له نظرة تختلف عن سابقيه وبعض معاصريه اتجاه الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، فهو يستبعد حصول الإعجاز من جانب البديع ، وذلك لكون تلك المباحث البلاغية ممّا يمكن اكتسابها وتحصيلها ، وبالتالي لا يكون فيها وجه للإعجاز ، وفي هذا يقول : « لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك لأنّ هذا الفنّ ليس فيه ما يخرق العادة ، ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به ، والتصنع له ، كقول الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحذق في البلاغة ، وله طريق يسلك ووجه يقصد ، وسلم يرتقى فيه » «[3368]» .

[3367] ـ في البلاغة العربية علم البديع ، د ط ، بيروت ـ دار النهضة ـ ، 1405 هـ ـ 1985 م ، ص 31 ـ 32 .

[3368] ـ إعجاز القرآن : د ط ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ـ القاهرة ـ دار المعارف ، د ت ، ص 111 .

ومن المباحث البلاغية التي أوردها في كتابه وأطلق عليها اسم البديع : التشبيه ، الاستعارة ، الكناية ، الارداف والتتبيع ، المماثلة ، الغلو والافراط في الصفة ، المطابقة والطباق ، المقابلة ، الاشارة ، العكس والتبديل ، الالتفات ، التذييل ، الاستطراد ، التكرار ، الاستثناء ، التجنيس ، المساواة ، الايغال ، التوشيح ، ردّ العجز على الصدر ، صحة التقسيم ، صحة التفسير ، التكميل التتميم .

ويلاحظ على عمل الامام الباقلاني في هذا الجانب توسعه في إطلاق مصطلح البديع على كثير من المباحث البلاغية التي لا تدخل تحت دائرته ، بل هي من موضوعات المعاني والبيان ، وهذا جار وسار في كلام كثير من أئمة البلاغة الأوائل على اعتبار أنّ تقسيم تلك المباحث وتصنيفها بشكل مستقل لم يحدث إلاّ على أيدي المتأخرين ، وبشكل أخصّ الإمام السّكاكي والخطيب القزويني .

وممّن اقتفى أثر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بيان وجوه إعجاز القرآن من جهة علمي المعاني والبيان في القرن السادس الإمام الزمخشري ، فقد كان كشّافه روضا نظيرا لمباحث المعاني والبيان ، فإذا كان عبد القاهر المنظر ، فإنّ الزمخشري هو المطبق ، وإنّ من تأثر الزمخشري به كذلك أنّه أغفل في كتابه الحديث عن وجوه البديع التي حوتها كثير من آيات القرآن الكريم ، ولم يعرّج إليها تعريجه لمباحث المعاني والبيان ، فأشار في تفسيره إشارة خفيفة إلى بعض المحسنات البديعية كالطباق ، واللف والنشر ، والسجع ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ومراعاة النظير والتناسب ، والتقسيم ، والالتفات ، والاستطراد ، والتجريد ، وهذا الذي دفع النقاد والبلاغيين للجزم بأنّ الإمام الزمخشري رجل بيان ومعان وليس رجل بديع ، وقد أكّد هذا كثير من الباحثين ، إذ يقول أحدهم مبيّنا قيمة البديع عند الزمخشري ونظرته إليه قائلا : « الباحث المدقق في بحوث الزمخشري البلاغية ، يدرك أنّ الزمخشري ، يصب اهتمامه ابّان العملية التفسيرية في قالبي علمي البيان والمعاني ، وهو بهذا يتأثر بعبد القاهر الجرجاني الذي يرى مزّية الكلام الجمالية في معناه ، وأمّا اللفظ فهو

خادم المعنى ، ولا شكّ أنّ اهتمامه بهذين العنصرين ، جعله يتخفف كثيرا من سرد وتحليل ما يتصل بعلم البديع ، ولهذا فلم نظفر في مباحثه البلاغية إلاّ بالنّذر القليل » «[3369]» .

وفي القرن السّابع لما صنّف الإمام السّكاكي كتابه المفتاح ،وتكلم عن علمي المعاني والبيان ألحق بهما علم البديع ، بيد أنّه لم ينظر إليه كعلم مستقل بذاته ، والدّليل على ذلك أنّه خصصّ القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم لعلمي المعاني والبيان ، فقال : « القسم الثالث في علمي المعاني والبيان ، وفيه مقدمة لبيان حدّي العلمين ، والغرض فيها ، وفصلان لضبط معاقدهما والكلام فيهما » «[3370]» ، ولما تكلّم عن البديع جعله لا حقا وتابعا لهما ولم يجعله مستقلا ، فقال : «وإذ قد تقرّر ، أنّ البلاغة بمرجعيها وأنّ الفصاحة بنوعيها ، ممّا يكسوا الكلام حلية التزيين ، ويرقيه أعلى درجات الحسن ، فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها ، لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا ألاّ نشير إلى الأعرف منها » «[3371]» .

بيد أنّ الذي يحسب للإمام السّكاكي فيما تعلّق بحديثه عن البديع أنّه هو أوّل من قسّم هذه المحسنات إلى لفظية ومعنوية ، إذ كانت تذكر عند متقدميه من البلاغيين مختلطة دونما تمييز «[3372]».

وكانت جملة ما أشار إليه من المحسنات نحو ست وعشرين محسنا لفظيا ومعنويا كما قسّمها هو ، وإنّما اقتصر على الأعرف والأشهر منها والأهمّ في التحسين والتزيين .

ومن علماء القرن السابع الذي تناول علم البديع وتكلّم عنه في مؤلفاته الإمام بدر الدين بن مالك (ت 686 هـ) فقد اختصر كتاب المفتاح للسّكاكي ، وسمّاه «المصباح في علوم المعاني

[3369] ــ المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتّى القرن السابع الهجري : أحمد جمال العمري ، ص 117 .

[3370] ــ مفتاح العلوم : ص 167 .

[3371] ــ المصدر نفسه : ص 423

[3372] ــ ينظر: البلاغة العربية في علم البديع : عبد العزيز عتيق : ص 43

والبيان والبديع » ، وفي حديثه عن البديع سار على نهج السّكاكي في عدّه من توابع الفصاحة ، غير أنّه جعل البديع علما مستقلا بذاته ، وقد قسّمها ـ رحمه الله ـ إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الراجع إلى الفصاحة اللفظية ، وذكر منه أربعة وعشرين نوعا .

القسم الثاني : الراجع إلى الفصاحة والمختص بالإفهام والتبيين ، وذكر منه تسعة عشر نوعا.

القسم الثالث : الراجع إلى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه وتحسينه ، وذكر منه أحد عشر نوعا « [3373] ».

ولما جاء الإمام القزويني في القرن السابع واختصر كتاب المفتاح للسّكاكي تطرّق للبديع ، وجعل وجوهه ترجع إلى ضربين : المعنى واللفظ « [3374] »، فالتي ترجع إلى اللفظ عدّ فيها المقابلة ، ومراعاة النظير ، والإرصاد ، والمشاكلة ، العكس والتبديل ، والرجوع ، والتورية ، والاستخدام ، والجمع ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والتجريد ، والتفريع ، والمذهب الكلامي ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذّم بما يشبه المدح ، والاستتباع ، والإدماج ، والتوجيه ، والهزل يراد به الجد ، وتجاهل العارف ، والقول بالموجب ، والاطراد .

والتي ترجع إلى اللفظ عدّ فيها : الجناس ، والسجع ، والتشطير ، والتصريع ، والموازنة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم .

وقد سار شراح التلخيص من السعد التفتازاني ، والسبكي ، وابن يعقوب المغربي على ما ذكره القزويني في الإيضاح ، مع إضافات يسيرة لعضهم لبعض الفنون .

[3373] ـ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، ص 424 ، في البلاغة العربية : علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، ص 54

[3374] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 317

المبحث الثاني : تعريف علم البديع وبيان أثره في علم البلاغة

بعد بيان معنى البديع في لغة العرب وإيضاح المراحل التي مرّ بها هذا المصطلح من حيث التطور عند النقاد البلاغيين أنتقل في هذا المبحث للحديث عن مفهوم علم البديع في اصطلاح أئمة البلاغة مع التطرق لبيان أثره على البلاغة العربية .

المطلب الأول : تعريف علم البديع

سبقت الإشارة إلى أنّ كلمة البديع تعني في اللغة الشيء الجديد المبتكر الذي لم يسبق له مثيل ولا نظير ، وأمّا في الجانب الاصطلاحي ، فقد علمنا أنّ مصطلح البديع في القرون الستة الأولى كان يطلق بمعناه الواسع على مباحث البلاغة كلّها بما فيها : المعاني ، والبيان ، والبديع ، وبمجيئ الإمام السّكاكي في القرن السابع الذي يعدّه النقاد والبلاغيون هو صاحب تقسيم وتقنين البلاغة لهذه العلوم الثلاث ، فقد جعل البلاغة في كتابه المفتاح راجعة إلى علمي المعاني والبيان ، وأمّا موضوعات البديع ، فجعلها من الوجوه التي يصار إليها بغية تحسين الكلام ، فهي من توابع البلاغة ، وقد بقي الأمر على ما هو عليه من عدم تحديد مصطلح خاص لهذه الوجوه التي يصار إلى لتحسين الكلام أي ــ البديع ـ إلى أن جاء الإمام محمد بن علي الجرجاني ، فقام بوضع تعريف محدد ومقنن لهذه الموضوعات ، فعرّف علم البديع بقوله : « هو علم يعرف منه وجوه تحسين الكلام باعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض بغير الإسناد والتعليق ، مع رعاية أسباب البلاغة » «[3375]»

فهذه محاولة من الإمام الجرجاني لتحديد مصطلح لموضوعات البديع ، ومن خلال تعريفه يظهر أنّه قصد لبيان الغرض منه عندما قال : « علم يعرف منه وجوه تحسن الكلام » ، فأخرج به علمي المعاني و البيان ، كما يلحظ عليه جعل البديع من توابع البلاغة ، وبالتالي لا يتأتى الغرض المرجو منه إلاّ بعض مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فهو متأخر عن رتبة المعاني والبيان ، ولا

[3375] ــ الإشارات والتنبيهات إلى علم البلاغة : د ط، تحقيق عبد القادر حسين ، القاهرة ـ دار النهضة ـ ، د ت ، ص 257 .

يكون إلاّ بعدهما أي بعد رعاية المطابقة ، وهذا علم المعاني ، وبعض وضوح الدلالة وهذا علم البيان .

وقد جعل مباحثه في ركنيين هما :

ـ الركن الأول : المحسنات المعنوية : وذكر فيها المطابقة والمقابلة ، والمناسبة ، والتفويف ، والمشاكلة ، والاستطراد ، والعكس ، والإرصاد ، والنقض ، والتورية ، والمزاوجة ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسم ، والجمع مع التقسيم والتفريق ، واللف ، والنشر ، والتجريد ، والمبالغة ، والمحاجة ، والتعليل ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والاستتباع ، والإدماج ، والتوجيه ، والتجاهل ، والقول بالموجب والاطّراد .

ـ الركن الثاني : المحسنات اللفظية : وهي الجناس التام ، والجناس الناقص ، والملحق بالجناس ، وردّ العجز على الصدر ، والأسجاع ، والتصريع ، ولزوم ما لا يلزم .

وتعريف الإمام الجرجاني كان له تأثير على الإمام القزويني ، فقد استلّ تعريفه للبديع منه مع شيء من التغيير والتبديل ، فقال : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وهو ضربان معنوي ولفظي » «[3376]» ،

والفنون التي تناولها قد أوردت ذكرها سابقا عند الحديث عن نشأة البديع ، وقد سار شرّاح التلخيص ، وناظموه على تعريف الإمام القزويني ، فهو المستقر عند دراسي البلاغي إلى زماننا هذا . وما لوحظ على تعريف الجرجاني يلاحظ كذلك على تعريف الإمام القزويني ، فقد جعل علم البديع تابعا لعلمي المعاني والبيان ، فهو من توابع البلاغة والفصاحة ، لا يتأتى الكلام أو الحديث عنه في نظم أو نثر إلاّ بعد المطابقة ووضوح الدلالة .

وبهذا أكون قد بيّنت تعريف علم البديع عند البلاغيين بما نقلته عن هذين الإمامين ، واتضح أنّه علم يقصد منه تزيين الكلام وتحسينه بعد مراعاة قواعد علمي المعاني والبيان .

[3376]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 317

المطلب الثاني : أثر علم البديع في علم البلاغة

بعد بيان حدّ البديع أنتقل في هذا المطلب للحديث عن بلاغة هذا الفنّ من فنون البلاغة الثلاث ، وبيان فائدته ، ومدى تأثيره في بلاغة الكلمة .

أقول : إنّ فائدة علم البديع تظهر لأوّل وهلة من تعريفه ، فقولنا :« علم يعرف به وجوه تحسين الكلام » ، ندرك منه أنّ ثمرته تكمن في تزيين الكلام وتنميقه ، وذلك بعد ضرورة مراعاة المطابقة ووضوح الدلالة ، فهو إذن يسهم في تحسين الكلام وتزيينه بشرط مراعاة المطابقة ووضوح الدلالة ، وعلى هذا فالبديع لا يكون بليغا أو لا يسهم في بلاغة الكلام إلاّ بعد مراعاة هذين الشرطين ، وهذا ما يؤكّده كثير من البلاغيين ، وفي هذا يقول الإمام أبو جعفر ابن الزبير : « العلم بوجوه تحسين الكلام لا يسمى بديعا إلاّ بشرطين : أن يكون ذلك الكلام مطابقا لمقتضى الحال ، وأن تكون كيفية طرق دلالته معلومة الوضوح والخفاء ، فالشرط الأول : هو علم المعاني ، و الشرط الثاني : هو علم البيان ، فلو عدم الشرطان أو أحدهما من الكلام لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعا »«[3377]» .

ويرى البعض أنّ في هذا انتقاصا من شأن البديع ، فاشتراط وجود علمي المعان والبيان حتّى نستطيع تزيين كلمة أو جملة يعدّ انقاصا وإهمالا لهذا العلم ووظيفته ، ودليل على أنّه تابع لهما وأنّه في رتبة متأخرة عنهما .

ولذا يقول بعضهم في معرض الدّفاع عنه : « البديع ليس ترفا في الأسلوب الأدبي ، أو حلية تكون بمثابة الفضول التي يستغنى عنها ، حتّى يكون مكانه في المؤخرة من عناصر العمل الفني ، ولا هو يأتي بعد استفاء البلاغة لعلمي المعاني والبيان ، بل منزلته لا تقل عن شأنهما ، وأستسمح القارئ العذر إذا قلت : إنّ مرتبته في المقدمة منهما ...» «[3378]»

[3377] ـ طراز الحلة وشفاء الغلة : ص ، 79 نقلا من كتاب : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، جميل عبد المجيد ، مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ، 1998 م ، ص 32.

[3378] ـ فنّ البديع : عبد القادر حسين ، ص 11

لقد نظر كثير من البلاغيين والنقاد لعلم البديع نظرة تختلف عن نظرتهم لعلمي المعاني والبيان ، فصوّبوا جهودهم للحديث عنهما ، وحرصوا كلّ الحرص على جعل البلاغة راجعة إليهما دون البديع ، والذي دفعهم إلى تلك النظرة للبديع هو إسراف كثير من المتقدمين وبعض المتأخرين في إيراده واستعماله ، فأصل المشكلة إذن راجع إلى الإفراط والتكلف في صناعته لا للبديع في حدّ ذاته ، ولقد كان لأساطين النقد من الأدباء والشعراء انتقادات لاذعة لمن ولع بهذا النوع من الصنعة ، فأخرج الشعر عن حقيقته عندما راح يتكلف اجتلاب هذه المحسنات ، وممّن اشتهر بهذا من الشعراء أبو تمام ، فقد طالته الألسن بسبب إغراقه في هذه المحسنات على حساب عمود الشعر ، ولبيان مذهبه في الشعر وارتضائه لهذه الطريقة التي سلكها قال الإمام الجرجاني في وصفه : « ... فإنّه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه ، فحصل منه على توعير اللفظ ، فقبح في غير موضع من شعره ... ، ثمّ لم يرض بذلك حتّى أضاف إليه طلب البديع فتحمله من كلّ وجه ، وتوصّل إليه بكل سبب ، ولم يرض بهاتين الخلتين حتّى اجتلب المعاني الغامضة ، وقصد الأغراض الخفية ، فاحتمل فيها كلّ غثّ ثقيل ... ، فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع الأسماع لم يصل إلى القلب إلاّ بعد إتعاب الفكر ، وكدّ الخاطر .... ، فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة ، وتلك الحالة لا تهتزّ فيها النفس للاستماع بحسن ، أو الالتذاذ بمستطرف ، وهذه جريرة التكلف »

فهذا الكلام من الإمام الجرجاني على شعر أبي تمّام يوضح فيه أنّ السبب الذي جعل شعره صعب المأخذ وأدّى إلى إعراض البعض عنه إنّما جاء من جهة التكلف في البديع والغلو فيه حتّى أدّاه ذلك للخروج عن عمود الشعر وقواعده عند النقاد .

وإذا ما جئنا لشاعر آخر معاصر لأبي تمّام وممّن حذا حذوه في استعمال البديع إلاّ أنّه كان محلّ إعجاب النقاد ولم تطله ألسنتهم مثلما فعلوا مع أبي تمّام ، هو الإمام البحتري ، فقد علّق الآمدي على شعره وتكلّم عنه وذكر بأنّه من المعتنين بالبديع إلاّ أنّ بديعه لم يخرجه عن عمود الشعر ، مقارنة بأبي تمام فقال : « و حصل للبحتري أنّه ما فارق عمود الشعر ، وطريقته المعهودة ، مع ما

نجده في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفراد بحسن العبارة ، وحلاوة اللفظ ، وصحة المعاني ، وحتّى وقع الاجماع على استحسان شعره ، وروى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم »«[3379]» ، وفي كلامه عن أبي تمام قال : « أمّا أبو تمّام فقد كان يتكلف البديع فيخرج إلى المحال ، ولا تكاد تخلوا له قصيدة واحدة يكون فيها مخطئا أو محيلا ... أو مفسدا للمعنى الذي يقصده بطلب الطباق ، والتجنيس أو مبهما بسوء العبارة والتعقيد حتّى لا يفهم »«[3380]»

فمن هذا الكلام من الآمدي يفهم منه أنّ مرّد الحسن أو السوء في البديع راجع إلى كيفية استعماله واستخدامه لا للبديع في حدّ ذاته ، ولذا وجب أن لا يذّم البديع بسبب سوء استعماله من الشعراء والأدباء ، وفي هذا يقول الدكتور عبد القادر حسن : « ... فكما يكون استخدام البديع علة للاساءة والذّم ، يكون أيضا من دواعي الحسن والحمد ، فالعبرة ـ إذن ـ في معالجة البديع وطريقة استخدامه ، وليست العلة في البديع نفسه ، فهذا مصيب وهذا مخطئ ، وهذا رديء » «[3381]»

هذا وإنّ لكلام الدكتور عبد القادر حسين ما يؤيده من كلام الأوائل ممّن يجعل معيار أو ميزان البديع في حسنه وسوءه يرجع إلى طريقة استعماله ، فهذا الإمام الآمدي ينقل عن ابن مهرويه ما نصّه : « ... فإنّ أوّل من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، وإنّ أبا تمّام تبعه فسلك في البديع مسلكه فتحيّر فيه ، كأنّهم يريدون إغراقه في طول طلب الطباق والتجنيس والاستعارات ، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها ... ، ولو كان أخذ عفو هذه الأشياء ، ولم يوغل فيها

[3379] ـ الموازنة بين أبي تمام والبحتري : د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العلمية ، د ت ، ص 20 .

[3380] ـ المصدر نفسه : ص 48

[3381] ـ فنّ البديع : ص 22

، ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذبة ، ويقتسرها مكارهة ، وتناول ما يسمح به الخاطر ... لظننته كان يتقدّم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراء المتأخرين »«[3382]»

فهذا الكلام من ابن مهرويه يبيّن فيه أنّ الشيء الذي شنع به على أبي تمّام في طريقة شعره هو غلوّه وإسرافه في استعماله حتّى أدّى به إلى الغموض والتعقيد ، فلو تركه ـ البديع ـ يأتي عفوا بما يسنح به الخاطر ويستدعيه من غير كلفة لكان أسلم له وأروع له ولشعره .

وكما أثر عن النقاد ذمهم لمن أسرف في البديع ، فإنّهم كذلك على الطرف الآخر استحمدوا ما جاء منه عفوا وأثنوا على من ضمنه شعره أو نثره سجية من دون كلفة ، فأدى ذلك البديع دوره المنوط به من التحسين والتنميق من غير خروج عن المألوف وميل إلى الغموض والتعقيد ، ولو استقرينا كلامهم في هذا لطال بنا الحديث ، ولكن نكتفي بما ورد عن إمامين من أئمة العربية والبلاغة هما : الإمامان ابن جنّي ، والإمام عبد القاهر الجرجاني ، فالأوّل يتحدّث عن السّجع ووقوعه في الأمثال مبيّنا مدى تأثيره على الأمثال في نفس المستمع ، فيقول : « ألا ترى أنّ المثل إذا كان مسجوعا ، لذّ سامعه فحفظه ، فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله ، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به ، ولا أنقت لمستمعه ، وإذا كان كذلك لم تحفظه ، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له ، وجيء به من أجله »«[3383]» .

وأمّا الثاني ، فإنّه وإن قلّ حديثه عن فنون البديع في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة مقارنة بفني المعاني والبيان ، إلاّ أنّه وضع قانونا يكون به البديع محمودا ومطلوبا ، وهو موافقة المحسن البديعي للمعنى ، ففي معرض حديثه عن التجنيس مبيّنا وجه الحسن فيه يقول : « أمّا التجنيس فإنّك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بمذُهبه السّماحة فالتوت   فيه الظنون أمذهب أمْ مذْهَبُ

[3382] ـ الموازنة : ص 125

[3383] ـ الخصائص : ج 1 ، ص 216

واستحسنت تجنيس القائل : حتّى نجا من خوفه وما نجا«[3384]»

وقول المحدث : ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني«[3385]»

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنّك رأيت الفائدة ضعفت عن الأوّل وقويت في الثاني ، ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكرّرة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلاّ مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنّه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنّه لم يزدك ، وقد أحسن الزيّادة و وفّاها ، فبهذه الصريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ، ومذكورا في أقسام البديع» «[3386] ».

فهذا النّص من الإمام عبد القاهر يبيّن فيه أنّ مكمن الحسن في التسجيع إنّما هو راجع إلى المعنى لا اللفظ .

ويقرّر في موضع آخر السّر الذي من أجله ذمّ التجنيس واستهجن ، وهو إغفال المعاني وعدم مراعاتها ، والانسياق وراء الألفاظ ، فيقول : « فقد تبيّن لك أنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتمّ إلاّ بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلاّ مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن ، ولذلك ذمّ الاستكثار منه والولوع به ، وذلك لأنّ المعاني لا تدين في كلّ المواضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعاني ، والمصرّفة في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكة سياستها ، المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنّة الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب ، والتعرض للشين » «[3387]».

[3384] ـ البيت مجهول النسبة : ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ ، ص 93

[3385] ـ البيت : لشمسويه البصري ، ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، الحموي ، ج1 ، ص 58

[3386] ـ أسرار البلاغة : ، ص 5 .

[3387] ـ المصدر نفسه : ص 5 ـ 6 .

ويختم الإمام عبد القاهر كلامه بوضع ضابط يكون به المحسن البديعي مطلوبا ومؤديا للغرض عندما يقرّر أنّه لا يمكن الاتيان به على الوجه المستحسن إلاّ إذا طلبه المعنى واستدعاه ، فيقول : متحدّثا عن السجع والتجنيس « وعلى الجملة فإنّك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا حتّى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه » «[3388]»

ويجعل في موضع آخر الإعراض عن التجنيس أو السجع إذا طلبه المعنى بمثابة العقوق ، أي عقوق المعنى وعدم طاعته لأنّه لم تلبى حاجته ، كما يدخل المعنى في الوحشة والغربة ، فيقول : « فقد تبيّن من هذه الجملة أنّ المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول ، هو أنّ المتكلم لم يقدم المعنى نحو التجنيس والسّجع ، بل قاده المعنى إليهما ، وعثر به عليهما ، حتّى أنّه لو رام تركهما إلى خلافهما ممّا لا تجنيس فيه ولا سجع ، لدخل من عقوق المعنى ، وإدخال الوحشة عليه في شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره والسّجع النافر » «[3389]».

والذي يخلص إليه ممّا سبق أنّ ما أخذ على البديع من تلك النظرة ينبغي أن يصحّح ويعدّل بالرجوع والوقوف على قواعد المتقدمين ونظرياتهم ، فإنّ مكمن الحسن أو السوء في البديع يرجع إلى كيفية استعماله ، وطريقة توظيفه ، وأنّ الإسرف والغلو فيه لا ينبغي أن يتخذ مبرّرا وذريعة للحطّ منه أو انتقاصه في حدّ ذاته ، فهو تبقى له درجته ومنزلته من التحسين والتزيين إذا روعي فيه حسن التصرف والاستعمال ، وذلك عند استدعاء المعنى وطلبه له فبذلك يحقق القيمة الجمالية المرجوّة منه .

وبعد بيان هذا كله سأنتقل للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول مباحث هذا الفنّ من فنون البلاغة مع الإشارة مسبقا إلى أنّ منهم من لم يشر لموضوعات علم البديع مطلقا ومنهم من أشار إلى فنّ أو فنين فحسب ومنهم من أولع بذلك وأكثر . وعليه فإنّ من لم يتردد في تفسيره إشارة لبعض مباحث هذا الفنّ فإنّي لا أخصّه بالبحث في هذا الفصل .

[3388] ـ المصدر نفسه : ص 7 .

[3389] ـ أسرار البلاغة :ص 10

ـ المبحث الثالث : البديع في كتاب(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام ابن عطية

لم ترد الإشارة إلى فنون البديع في تفسير الإمام ابن عطية كثيرا ، فتفسيره يخلوا من الإشارة والتنبيه على مواضعه في القرآن الكريم ، وبالتالي فقد كان جملة ما تردّد من فنونه في تفسيره نوعان فحسب هما : الطباق ، واللف والنشر ، كما أنّ تردّدهما كان في مواضع معدودة وسأنبّه في هذا المبحث على إشارته لهما :

المطلب الأول : الطباق

الطبّاق أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن عطية له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه .

فالطباق في اللغة : مشتق من المطابقة ، يقال :« طابقه مطابقة وطباقا وتطابق الشيئان تساويا ، والمطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق ، وطابقت بين الشيئين إذ جعلتهما على حذو واحد ، وألزقتهما » «[3390]»

وجاء في تاج العروس للإمام الزبيدي : «تطابَق الشّيئانِ : تَساوَيا واتّفَقا . وطابَقْتُ بيْن الشّيْئَين : إذا جعَلْتَهما على حَذْوٍ واحدٍ ، وألْزَقْتَهما»«[3391]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة يرجع إلى الموافقة والمساواة .

هذا فيما تعلّق بالجانب اللغوي للكلمة ، أمّا في اصطلاح البلاغيين ، فإنّهم يسمونه بعدّة تسميات ، فيطلقونه على : المطابقة ، والتطبيق ، والتضاد ، والتكافؤ ، فهذه اصطلاحات شاع ذكرها واطلاقها عند أهل البلاغة على هذا المحسن المعنوي ، وقد عرّف الطباق كثير من أئمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3390] ـ لسان العرب : ابن منظور : ج 10 ، ص 209 ـ مادة طبق ـ

[3391] ـ ج : 26 ، ص 60 ، فصل ـ الطاء مع القاف ـ .

البلاغة منهم الإمام أبو هلال العسكري الذي يقول : « هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء منه أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والنهار ، والسواد والليل والنهار ، والحرّ والبرد »«[3392]»

ويظهر من هذا التعريف الاصطلاحي لهذا المحسن ، أنّه لا يوجد وجه من التوافق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ، فاللغوي دلّ على الموافقة ، والاصطلاحي دلّ على التضاد ، وهذا التغاير بين المعنيين دفع الإمام ابن الأثير إلى التساؤل عن ذلك ، فقال : « إنّهم سمّوا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ، ولا مناسبة بينه وبين مسمّاه ، هذا الظّاهر لنا من القول ، إلاّ أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن »«[3393]». وقد أفصح الإمام التفتازاني عن وجه التغاير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ، فقال : « إنّما سميّ هذا النوع مطابقة ، لأنّ في ذكر المعنيين المتضادين معا توفيقا ، وايقاع توافق بين ما هو في غاية التخالف كذكر الإحياء مع الإماتة ، والإبكاء مع الضحك ونحو ذلك »

ويرى البعض أنّ التعبير بالتضاد على هذا الفنّ أكثر دلالة من التعبير بالطباق أوالمطابقة ، لأنّ التضاد يدلّ على الخلاف «[3394]»

هذا فيما تعلّق ببيان حدّ هذا المحسن المعنوي ، وأمّا عن ذكر الإمام ابن عطية له في تفسيره ، فقد أشار إليه ونبّه عليه مرّة واحدة في تفسيره ، وذلك :

[3392] ــ الصناعتين الكتابة والشعر : ص 307

[3393]ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج 2 ، ص 265

[3394] ــ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ص 368 .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ «[3395]»

قال ـ رحمه الله ـ : « واللعنة الإبعاد من رحمة الله ومن الخير جملة ، وسوء الدّار ضد عقبى الدار ، والأظهر في الدّار هنا أنّها دار الآخرة ، ويحتمل أنّها الدنيا على ضعف » «[3396]»

فالإمام ابن عطية يشير في قوله : « وسوء الدار ضد عقبى الدار » إلى الطباق الواقع بين سوء ، وعقبى ، وقد عبّر عنه بالضدد ، وهذه الإشارة تشعرنا بأنّه يطلق اسم التضاد على هذا الفنّ دون الطباق ، كما أنّ هذه الإشارة منه تعدّ إشارة عامة وعابرة لم يقف فيها على نوع هذا الطباق ولا على بيان وجه الحسن فيه .

والطباق الوارد في الآية هو من طباق الإيجاب لأنّه صرّح بالضدين في الآية ، وأمّا عن بلاغة هذا الطباق ، فإنّ الذي تقرّر عند كثير من البلاغيين أن الجمع بين الضدين ليس فيها كبير فائدة«[3397] » بمعنى أنّ ذكر لفظين متضادين لا يرى فيه جمال وحسن إلاّ إذا وشّح هذا التضاد بنوع آخر من البديع يزيده بهاء ورونقا ، وهذا الطباق الوارد هنا قد جمع معه التفريق ، وذلك ببيان حال الفريقين وذكر أوصافهم وجزاءهم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾«[3398]» مع قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي

[3395] ـ سورة الرعد : الآية 25

[3396] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 3 ، ص 315 .

[3397] ـ ينظر: فنّ البديع : عبد القادر حسين ، ص 49 ، علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص 82 .

[3398] ـ سورة الرعد : الآيتان 21 ـ 22

ٱلْأَرْضِۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾«[3399]»، فهذا الطباق إذن قد ضمّن إليه محسن آخر وهو التفريق أضفى عليه نوعا من الحسن .

ولقد أشار الشيخ الطّاهر بن عاشور إلى وقوع تضاد بين هاتين اللفظتين فقال«[3400]» :« والعقبى : العاقبة ، وهي الشيء الذي يعقُب ، أي يقع عقب شيء آخر . وقد اشتهر استعمالها في آخرة الخير ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾«[3401]» ، ولذلك وقعت هنا في مقابلة ضدها في قوله : «وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ »«[3402]».

ـ المطلب الثاني : اللّف والنشّر :

اللّف والنشر أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن عطية له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه .

فاللّف من التفّ الشيء إذا تجمّع وتكاثف «[3403]» ، « ولفّه يلفُّه لفًّا ضدّ نشره ، كلفّفه» «[3404]»

« و النَّشْر مصدر نَشَرت الثوب أَنْشُره نَشْراً والنَّشْر خلاف الطيّ نَشَر الثوبَ ونحوه يَنْشُره نَشْراً ونَشَّره بَسَطه» «[3405]»

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تبيّن بأنّهما متناقضين ، فالأول معناه طيّ الشيء ، والثاني معناه بسطه .

[3399] ـ سورة الرعد : الآية 25 .

[3400] ـ التحرير والتنوير : ج 13، ص 130

[3401] ـ سورة الأعراف : الآية : 128

[3402] ـ سورة الرعد : الآية 25

[3403] ـ لسان العرب : ابن منظور ، ج 9 ، ص 317 ، مادة ـ لفف ـ

[3404] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، 24 ، ص 369. مادة ـ لفف ـ

[3405] ـ لسان العرب : ابن منظور : ج 6 ، ص206 ، مادة ـ نشر ـ

هذا في اللغة ، وأمّا في الاصطلاح فإنّ الإمام المبرّد يعد من أوائل الذين نبّهوا عليه ، عندما عرّفه قائلا :« والعرب تلفّ الخبرين المختلفين ثمّ ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلّ خبره ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾«[3406]» علما بأنّ المخاطبين يعرفون وقت السكوت ووقت الاكتساب »«[3407]»

وجاء الإمام السّكاكي وعدّه من جملة المحسنات المعنوية ، وعرّفه بقوله : « اللّف والنشّر ، وهي أن تلفّ بين شيئين في الذكر ثمّ تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأنّ السامع يردّ كلاّ منهما إلى ما هو له »«[3408]» .

وعرّفه الإمام القزويني بتعريف قريب من تعريف الإمام السّكاكي عندما قال : «هو ذكر متعددّ على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثمّ ذكر ما لكلّ واحد من غير تعيين ثقة بأنّ السامع يردّه إليه »«[3409]».

هذا فيما تعلّق بحدّ هذا المحسن المعنوي ،وأمّا عن إشارة الإمام ابن عطية له في تفسيره ، فقد ذكره رحمه الله في ثلاثة مواضع في تفسيره :

[3406] ـ سورة القصص : الآية 73

[3407] ـ الكامل في اللغة والأدب : ج 1 ، ص 107

[3408] ـ مفتاح العلوم : ص 425

[3409] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 331 ـ 332

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾«[3410]»

قال ـ رحمه الله ـ :« ومعناه ولا ينفي بعضكم بعضا بالفتنة والبغي ولما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحدا وكانوا في الأمم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم لبعض ونفي بعضهم بعضا قتلا لأنفسهم ونفيا لها وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللف في القول » «[3411]».

يرى الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ التعبير القرآني في النهي عن القتل والنفي فيه نوع من اللف . وذلك عندما نهوا عن قتل أنفسهم ونفيها ومعلوم أنّهم لا يقومون بذلك ، لكنّهم خوطبوا بذلك مبالغة لأنّ في قتلهم ونفيهم لغيرهم من بني دينهم ومعتقدهم قتل لأنفسهم . وقد ذكر الإمام القرطبي معنى كلام الإمام ابن عطية ، حيث قال : « ... فإن قيل : وهل يسفك أحد دمه ويخرج نفسه من داره ؟ قيل له : لما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحد وكانوا في الأمم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضا وإخراج بعضهم بعضا قتلا لأنفسهم ونفيا لها ...»«[3412]» ، كما بيّن الشيخ الطاهر بن عاشور مراد الإمام ابن عطية باللف ، حيث قال : «... وإلى هذا الوجه أشار ابن عطية وسمّاه اللف في القول ، أي الإجمال المراد به التوزيع »«[3413]» . وبهذا يتضح مراد ابن عطية باللف وأنّه يريد إجمال القول ثمّ قيام الذهن بتوزيعه. وقد جعل الإمام الزمخشري هذا الأسلوب من تشبيه النفس بالغير أو من باب القصاص ، حيث قال : « لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا . وقيل : إذا قتل غيره فكأنّما قتل نفسه لأنّه يقتص منه »«[3414]».

[3410] ـ سورة البقرة : الآية 84 .

[3411] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 1 ، ص 155

[3412] ـ الجامع لأحكام القرآن : ج 2 ، ص 18

[3413] ـ التحرير والتنوير: ج 1 ص 585

[3414] ـ الكشاف : ج 1، ص 187

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾»«[3415]»

قال ـ رحمه الله ـ : « في الكلام لف وإيجاز يحال المستمع على تفريقه بذهنه وذلك أن ظاهر اللفظ يقتضي أن جميع اليهود والنصارى يقولون عن جميعهم « نحن أبناء الله وأحباؤه » وليس الأمر كذلك بل كل فرقة تقول خاصة « نحن أبناء الله وأحبّاؤه » «[3416]»

يشير الإمام بن عطية ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّ فيها لفا وإيجاز . ووجه اللف في الآية أنّه جمع في الآية بين خبرين عن اليهود والنصارى في قولهما : «نحن أبناء الله وأحباؤه» غير أنّ ظاهر اللفظ يقتضي أنّهم جميعا قالوا ذلك إخبارا عن أنفسهم وليس كذلك ، لأنّهما طائفتين مختلفتين ، بل كل طائفة أخبرت عن نفسها بذلك . وهذا النوع من اللف يمكن للسامع أن يفرق بذهنه بينهما إذا تبصر معنى الكلام . وقد نقل عن الإمام ابن عطية هذا القول وأيّده في تفسيره الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « ظاهر اللفظ أنّ جميع اليهود والنصارى قالوا عن جميعهم ذلك . وليس كذلك ، بل في الكلام لف وإيجاز . والمعنى : وقالت كل فرقة من اليهود والنصارى عن نفسها خاصة : نحن أبناء الله وأحباؤه ...»«[3417]»

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾

«[3418]»قال ـ رحمه الله ـ : « وأو في هذا الموضع كما تقول النّاس في فلان صنفان حامد أو ذام فكأنّه قال جاءهم بأسنا فرقتين بائتين أو قائلين ، وهذا هو الذي يسمى اللف ، وهو إجمال في اللفظ يفرقه دهن المخاطب دون كلفة » «[3419]»

فالإمام ابن عطية يرى أنّ في الآية لفا ونشرا ، فاللّف في قوله تعالى : « فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا »

والنّشر في قوله : «بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ » ، ووجه ذلك : أنّ المولى جلّ وعلا ذكر مجيئ البأس

[3415] ـ سورة المائدة : الآية 18 .

[3416] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 200

[3417] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3، ص 465

[3418] ـ سورة الأعراف : الآية 4 .

[3419] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج 2 ، ص 437 .

للقرية المهلكة مجملا دونما تفصيل أو تحديد ، ثمّ بيّن وقت مجيئ الإهلاك تارة بياتا وتارة نهارا ،دون بيان من خصّ بالإهلاك في الوقتين علما أنّ المخاطب يفرّق ذلك في ذهنه ويفصّله ، وقد أشار الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ إلى هذا اللّف والنشر الواقع في الآية ـ فقال رحمه الله ـ : « فجاءها بأسنا بياتا أو قائلون : وأو هنا للتنويع أي : جاءها مرّة ليلا كقوم لوط ، ومرّة وقت القيلولة كقوم شعيب ، وهذا فيه نشر لما لفّ في قوله :««فجاءها »» «[3420]» .

من خلال بيان ما أشار إليه الإمام ابن عطية من محسنين معنويين في تفسيره يظهر أنّ منهجه في التنبيه والتنصيص على ذلك هو الإشارة فحسب إلى ذلك النوع من فنون البديع إمّا بالتصريح باسمه كما هو الأمر في اللف والنشر أو بالإشارة إليه كما في الطباق . دون تعرض لكبير تحليل أو بيان وجه الحسن والفائدة التي أفادها هذا المحسن على الآية . وهذا يؤكد عدم اهتمامه بهذا الجانب فيما تعلق بعلم البديع وعدم اهتمامه بعمق التحليل والاكتفاء فحسب ببيان ما يتوقف عليه مدلول الآية ومفهومها .

ـ المبحث الرابع : البديع في كتاب (ملاك التأويل) للإمام ابن الزبير الغرناطي

المطلب الأول : الفواصل

من مسائل البديع التي تعرّض لها الإمام ابن الزبير مسألة الفواصل ، أو موضوع الفواصل ، حيث حرص عند توجيهه للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم على الاشارة لبعض الأسرار التي أدت إلى ختم بعض الآيات بمثل هذه الكلمات وبيان مناسبتها ومراعاتها لما ختمت بها الآيات السابقة لها ، أو الواردة بعدها ، وقبل استعراض ما أورده الإمام ابن الزبير من إشارات لهذا المبحث ارتأيت أن أمهد لهذا الموضوع بالحديث على معنى الفاصلة لغة واصطلاحا ، مع بيان الفرق بينها وبين السّجع كمحسن من المحسنات البديعية .

[3420]ـ تفسير البحر المحيط : ج 4 ، ص 269 .

الفرع الأول : معنى الفواصل لغة

الفواصل : مفرد فاصلة ، وهي مشتقة من الفصل ، والفصل بون ما بين الشيئين ، والفصل من الجسد موضع المفصل «[3421]» .

وجاء في تاج العروس : « الفصل الحاجز بين الشيئين ، والفصل الحجز بين شيئين اشعارا بانتهاء ما قبله ، قاله : الراغب ، والفصل القطع وإبانة أحد الشيئين عن الآخر ، والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النّظام »«[3422]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ معناها يرجع إلى القطع بين الشيئين .

الفرع الثاني : معنى الفواصل اصطلاحا

بعد بيان معنى الفواصل والفاصلة في اللغة ، بقي الحديث عن المعنى الاصطلاحي عند البلاغيين ،والذي تجدر الاشارة إليه أنّ هذا الموضوع قد لاقى اهتمام الباحثين الأوائل من أئمة اللغة والأدب والتفسير ، فأئمة اللغة الأوائل كانوا يجعلونها ـ الفاصلة ـ رديفا للسجع والقوافي ، فهذا الإمام الخليل يقول : «فسجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي في الشعر من غير وزن »«[3423]» ، وهذا الإمام سيبويه يقول : « وجميع ما لا يحذف في الكلام ، وما يختار فيه أن لا يحذف في الفواصل والقوافي »«[3424]» .

ومن أئمة اللغة والتفسير الذين صرّحوا باسمها الإمام الفرّاء ، حيث قال معلّقا عن قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾«[3425]» ، «وقد يكون في العربية جنة تثنيها العرب في أشعارها ...

[3421] ـ ينظر: لسان العرب ، ابن منظور ، ج 11 ، ص 521 ـ مادة فصل ـ .

[3422] ـ ج 30 ، ص 162 ـ مادة فصل ـ

[3423] ـ كتاب العين : ج1 ، ص 214 .

[3424] ـ الكتاب : ج 1 ، ص 184 ـ 185 .

[3425] ـ سورة الرحمان : الآية 46 .

وذلك أنّ الشعر له قوافي يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله سائر الكلام »«[3426]».

وعرّفها الإمام الزركشي من المتأخرين بقوله : « وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر ، وقرينة السجع »«[3427]».

فيلاحظ على تعريف الزركشي أنّه مستمد من الاشارات الأولى التي ذكرها أئمة اللغة المتقدمين كالخليل وسيبوبه والفرّاء .

وقد ذهب كثير من العلماء لا سيّما المعتنين بالإعجاز إلى ضرورة إطلاق مصطلح الفواصل على آخر الآي ورؤوسها ، واجتناب لفظ السجع ، لأنّ السجع يعدّ عيبا عندهم ، وممّن قال بذلك الإمام الباقلاني ، والإمام الرّماني ، حيث قال هذا الأخير : « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني ، وأمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها »«[3428]».

وقد كان لهذا الكلام صدى عند المتأخرين ، فقد دفعهم إلى التفرقة بينهما ــ الفواصل والسجع ـ ففي تناولهم للسجع ينبهون على الفاصلة ، فهذا الإمام السّكاكي عندما تحدّث عن السّجع جعل قرينه في المعنى رؤوس آي القرآن ، فقال: « ومن جهاته الفواصل القرآنية »«[3429]» ، وعلى هذا الحذو حذا الإمام القزويني عندما قال : « وقيل : إنّه لا يقال في القرآن أسجاع ، وإنّما يقال : فواصل »«[3430]».

[3426] ـ معاني القرآن : ط 3 ، تحقيق محمد على النجار ـ أحمد يوسف نجاتي ، بيروت ، دار عالم الكتب ، 1403هـ ـ 1983 م ج 3 ، ص 118

[3427] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 1 ، ص 65 .

[3428] ـ النكت في إعجاز القرآن : ، ص 97

[3429] ـ مفتاح العلوم : ص 203 .

[3430] ـ الإيضاح : ص 395 .

والفواصل في القرآن عند البلاغيين لها أثر كبير في تحسين الكلام وتزيينه فهو يظهر سرّ التناسب والتناسق بين الآيات في المعاني ، وفي هذا يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ « النّسق القرآني قد جمع مزايا النّثر والشعر جميعا ، فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدّة والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة الوزن التي تغني عن التفاعيل والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي ... وحيثما تلا الإنسان القرآن أحسّ بذلك الإيقاع الدّاخلي في سياقه يبرز بروزا واضحا في السور القصار ، والفواصل السّريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ، ويتوارى قليلا أو كثيرا في السّور الطوال ، ولكنّه على كل حال ـ ملحوظ دائما في بناء النّظم القرآني »«[3431]».

وأمّا عن الفواصل التي أشار إليها ابن الزبير ، فأذكر منها :

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾«[3432]» مع المتشابه من قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾«[3433]» تساءل ـ رحمه الله ـ عن السّر الذي اختلفت فيه خاتمة الآيتين بالتقديم والتأخير ، مع أنّ معناهما وغرضهما واحد .

وكان من جملة ما أجاب به عن ذلك هو مراعاة الفواصل في سورة النساء لأنّها جاءت على نمط واحد بخلاف سورة النحل فإنّه لم يراعى فيها ذلك. فقال : « وأيضا : فإنّ قوله : «شهيدا » في آية النحل لم يقع في الفواصل بل أثنائها وتأمل ذلك من لدن قوله :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ

[3431] ـ التصوير الفنّي في القرآن الكريم :ط 9 ، مصر ، دار المعارف ، ص 87

[3432] ـ سورة النساء : الآية 41

[3433] ـ سورة النحل : الآية 89

﴿أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾«[3434]» إلى قوله : «لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ»«[3435]» ، ثمّ قال : «﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾«[3436]» إلى قوله : «لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ »«[3437]» واستمرار الآيات على ذلك إلى آخر السورة . ولم يتخلل فيما اكتنف الآية قبلها وبعدها فيما قرب منها غير ذلك فقد تقررت فواصل هذه الآي من سورة النحل ، أمّا سورة النّساء فبناء نظمها على فواصل روعي فيها مجيئ المنون المنصوب من غير التزام حرف بعينه واستمرت الآيات قبلها على ذلك، وقوله : « وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ »«[3438]» فاصلة استدعى ورودها على ذلك ما تقدّمها من الفواصل وما تأخر عنها وانتظم ذلك على أعلى نظام وأجلّ مناسبة »«[3439]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيهه للمتشابه بين آيتي النساء وسورة النحل أنّ السرّ الذي من أجله أخرت لفظة «شهيدا» على الجار والمجرور في سورة النساء هو مراعاة فواصل السورة إذ أنّ جميع رؤوس آيها ختمت بمنون منصوب دون الالتزام بحرف بعينه . فلذلك جيء بلفظ «شهيدا» رأس آية وتأخر عن الجار والمجرور حتّى يناسب رؤوس آي السورة ، وأمّا سورة النحل فإنّه لم يراعى فيها التزام فاصلة بعينها بل اختلفت رؤوس آيها ، فلذلك لم يلتزم إيقاعها رأس آية . وبهذا يظهر أنّه وجه الاختلاف بسبب مراعاة الفواصل.

[3434] ـ سورة النحل : الآية 78

[3435] ـ سورة النحل : الآية 78

[3436] ـ سورة النحل : الآية 79

[3437] ـ سورة النحل : الآية 79

[3438] ـ سورة النساء : الآية 41

[3439] ـ ملاك التأويل : ج 1 ، س 140.

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة طه :﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾«[3440]» مع المتشابه من قوله تعالى في سورة ق : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾«[3441]» تساءل عن الفرق في ختم الآيتين في لفظة الغروب بإثبات الألف في الأولى وحذفها في الثانية ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عن ذلك والله أعلم : لرعي الفواصل ومقاطع الآي ، ألا ترى ما تقدّم قبل آية ق من قوله :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾«[3442]» فناسب هذا قوله : «وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ » وأمّا آية طه فقد اكتنفها أي مقاطعها الألف المفتوح ما قبلها نطقا وتقديرا ، فجاء ذلك على ما يجب في السورتين »«[3443]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في توجيهه للمتشابه بين آيتي «طه» و«ق» بأنّ السر في ختم لفظة «الغروب» في طه بالألف وفي ق بدون ألف مع أنّ معناهما واحد هو ضرورة مراعاة فواصل كل سورة ، وذلك أنّ سورة طه ختمت رؤوس آيها في الغالب بألف فناسب ذلك مجيء لفظة الغروب على ذلك الوزن والنظم . وكذلك الحال بالنسبة للفظة الغروب في سورة « ق » فإنّها ناسبت ما ختمت به رؤوس آي السور إذ أنّ أغلبها قبله واو أو ياء . وقد سبق لفظة الغروب قوله تعالى: «وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ » فختمت بباء قبلها واو ونظائر هذا في السورة كثير ، فناسب ذلك مجيء لفظة الغروب على نظم ما قبلها . وقد أشار إلى هذا التوجيه الذي ذكره الإمام ابن الزبير الخطيب الإسكافي ،حيث قال : « ... والجواب قريب وهو أنّ فواصل أكثر الآيات في سورة طه أواخرها ألف ، فعدل إلى «غروبها » وهو الأصل ، لأنّ الطلوع مضاف إلى الشمس وحق

[3440] ـ سورة طه : الآية 130

[3441] ـ سورة ق : الآية 39

[3442] ـ سورة ق : الآية 38

[3443] ـ ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل : ج 2 ، ص 343 .

الغروب أن يكون مضافا إلى ضميرها وضميرها بعدها ألف . وأمّا سورة ق فإنّ فواصلها مردفة بواو أو ياء ،كالسجود والجلود ، والقعيد والعتيد والمريج والغروب متى ذكر علم أنّه أريد به غروبها ، فكان ذلك أشبه بالفواصل إلى تقدمتها في المكانين، فلذلك اختلفا »«[3444]» وهذا الكلام من الخطيب الإسكافي يؤكد احتمال نقل الإمام ابن الزبير عنه هذا المعنى في توجيه المتشابه بين الآيتين .

عند تحليله لقوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾«[3445]» وبحثه عن السّر الذي ختمت به الآية بقوله تعالى : «كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ» قال ـ رحمه الله ـ : « ولما ورد في سورة الملائكة قوله سبحانه : «فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا» قوبل تشبيها بقوله : «كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ» ولم يكن ليتحرر المراد لو قيل : كذلك إحياء الموتى لاجتمع فيه الطول مع مخالفة الفواصل فيما قبل الآية وما بعدها ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾«[3446]» ، قوله : بعد الآية ﴿ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾«[3447]» وما تخلل الآيتين ، وما ورد بعدهما ، ثمّ إنّ النشور هو إخراج الموتى وإحياؤهم مع أنّه أو جز وأطبق للفواصل فجاء كل على ما يناسب »«[3448]» .

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في جوابه عن السر الذي من أجله ختمت آية فاطر بقوله تعالى : «كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ» هو وقوع لفظة النشور في مقابلة الإحياء ، فالنشور هو إخراج الموتى من قبورهم وإحياؤهم بعد موتهم وهو أي النشور أوجز في الدلالة على المقصود من التعبير بالإحياء ،

[3444]ـ درة التنزيل وغرة التأويل : ج 1، ص 1002 ـ 1003

[3445]ـ سورة فاطر: الآية 9 .

[3446]ـ سورة فاطر : الآية 5

[3447]ـ سورة فاطر : الآية 10

[3448]ـ ملاك التأويل : ج 1 ، ص 266

يضاف إلى ذلك كلّه مراعاة فواصل السورة فإنّه وقع قبل لفظ النشور لفظة « الغرور » ، ووقعت بعدها لفظة « يبور » فختم الآية بلفظة النشور يناسب ما تقدّم وما تأخر بعدها من الآي.

في معرض تعليقه على قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾«[3449]» تساءل ـ رحمه الله ـ عن إعادة القمر في الفاصلتين ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « والجواب عنه : أنّ ذلك لبيان أهوال يوم القيامة وتعظيمها ، والعرب تستعمل هذا فيما تقصد به التهويل والتعظيم ومنه :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا «[3450]»

فكررت الموت ثلاث مرات تعظيما لأمره ، كما قال تعالى :﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾«[3451]» وقد اجتمع في آية القيامة قصد التعظيم ورعي الأسجاع فتأكد الحامل على التكرير . وإذا تكرر أحد النيرين المراد اجتماعهما أغنى عن تكرر الآخر ، وطلبت الفواصل منها ما يناسب فجاء على أتم وجه في البلاغة والله أعلم .»«[3452]».

يخبر الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ في جوابه عن سبب تكرر لفظ القمر في الفاصلين بأنّه كان لقصد التعظيم والتهويل ، أي تعظيم ليوم القيامة وأهوالها وما يحدث فيها من أمور عظام ، وإلى قصد التعظيم روعي كذلك ضرورة الأسجاع ، أي مراعاة فواصل السورة . وهو بهذا يرى أنّ السبب في التكرير هو قصد التعظيم ومراعاة الفاصلة ، كما يظهر أنّه أطلق لفظ الأسجاع لأول مرة على الفاصلة في مجموع ما أشار إليه من فواصل السور . هذا وقد ذكر الإمام الخطيب الإسكافي الغرض الذي ذكره ابن الزبير من التكرير وهو قصد التعظيم غير أنّه لم يتعرض للقصد الآخر وهو مراعاة الفواصل .

[3449] ـ سورة القيامة : الآيات 7 ـ 9 .

[3450] ـ البيت لعدي بن زيد : ينظر : خزانة الأدب ونهاية الأرب ، الحموي ، ج 6 ، ص 85

[3451] ـ سورة ص : الآيتان 67 ـ 68

[3452] ـ ملاك التأويل : ج 2 ، ص 1120.

في معرض تعليقه على المتشابه من قوله تعالى في سورة ص: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾«[3453]»مع المتشابه من قوله تعالى في سورة ق :﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾«[3454]» أورد ـ رحمه الله ـ تساءلا عن السّر في ختم آية ص بلفظة :«فَحَقَّ عِقَابِ » ، وآية ق بقوله : «فَحَقَّ وَعِيدِ» ، ثمّ أجاب عن ذلك بقوله : « وأمّا المعقب به كل واحدة من الآيتين من قوله في سورة ص : « إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ » ، وقوله بعد آية ق :«فَحَقَّ وَعِيدِ» مراعى في ذلك فواصل في كل من السورتين ، وإلاّ فالعقاب والوعيد حق على كل من هؤلاء المكذبين ، فإنّما روعي الفواصل ، فقوله : قبل آية ص :﴿ بَل هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾«[3455]» ، واستمرت فواصل الآي هكذا إلاّ ما بعد الآية فاستدعى ذلك مناسبة الآية المتكلم فيها ، فقيل : « إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ » وأمّا آية ق فنوسب بها أيضا ما تقدّم من قوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾«[3456]»،ثمّ قال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾«[3457]» وورد أيضا في الفواصل بعدها ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾«[3458]» إلى بضع عشرة آية جارية في مقاطعها على ما

[3453] ـ سورة ص : الآية 14

[3454] ـ سورة ق : الآية 14

[3455] ـ سورة ص : الآيتان : 8 ـ 9

[3456] ـ سورة ق : الآية 9

[3457] ـ سورة ق : الآية 10

[3458] ـ سورة ق : الآية 15

ذكر ، فناسب ذلك قوله :﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾«[3459]» وجاء كل على ما يناسب وذلك واضح »«[3460]».

يخبر الإمام ابن الزبير رحمه الله في جوابه عمّا تساءل عنه من اختلاف ختم كل آية من السورتين بأنّ القصد من ذلك هو مراعاة فواصل كل سورة ، حيث وضح أن لفظة «عقاب» تقدّم قبلها رؤوس آي ختمت بنفس الحرف وجاءت آيات بعدها على نفس النظم ، وكذلك الحال بالنسبة للفظة «وعيد» في سورة ق ، فإذا هو يوجه الاختلاف بضرورة مراعاة الفاصلة . وقد سبق الإمام ابن الزبير في التعرض لتوجيه المتشابه بين هاتين الآيتين والإجابة بنفس الجواب الخطيب الإسكافي ، فقال «[3461]»: «... والجواب أن يقال إنّ صورة «ص» مبينة فواصلها أن تردف أواخرها بالألف ، فكانت الآية من هذه العشر مختومة الفاصلة بوصف فرعون بذي الأوتاد ، وبعدها «أولئك الأحزاب » ، وبعدها « فحق عقاب » وجاء بإزاء ذلك في سورة ق « وأصحاب الرس وثمود » ، ومكان فحق عقاب ، قوله تعالى : « فحق وعيد » ...» وهذا الجواب من الخطيب الإسكافي يؤكد تعويل الإمام ابن الزبير عليه في توجيه كثير من المتشابه القرآني .

المطلب الثاني : الطباق

في معرض توجيهه للمتشابه من قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾«[3462]» مع المتشابه من قوله تعالى في نفس السورة ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾«[3463]» تساءل ـ رحمه الله ـ عن السّر الذي نفي فيه الشعور في الآية الأولى . والعلم في الآية الثانية ، ثمّ أجاب عن ذلك رحمه الله بقوله : « والجواب عن ذلك إنّ الشعور راجع

[3459] ـ سورة ق : الآية 14

[3460] ـ ملاك التأويل : ج 2، ص 419

[3461] ـ درة التنزيل وغرة التأويل : ص 1002 ـ 1003

[3462] ـ سورة البقرة : الآية 12

[3463] ـ سورة البقرة : الآية 13

إلى معنى الإحساس مأخوذ من الشعار . وهو ما يلي الجسد ويباشره فيدرك ويحس من غير افتقار إلى فكر أو تدبر ، فيشترك في مثل هذا الإدراك العاقل من الحيوان وغير العاقل ، وأمّا العلم فلا يكون إلاّ عن فكر ونظر يحصله . وتكون مقدّماته حسيّة أو غير حسية على قول المحققين من أرباب النّظر ، فهو ممّا يخصّ العقلاء . ولما كان الإيمان وهو التصديق لا يحصل إلاّ عن نظر وفكر يحصل العلم المصدق به ، ولا يكون الفكر والنّظر إلاّ من عاقل يعرف الصواب من الخطأ . وقد نفى المنافقون ذلك عن المؤمنين ونسبوهم إلى السّفه وهو خفة الحلم وعدم التثبت في الأمور . وذلك في قولهم : أنؤمن كما آمن السّفهاء فردّ الله ذلك عليهم بقوله: «**أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ**»«[3464]» ونفى عنهم العلم . فنفى عنهم ما نفوه عن غيرهم ووصفوا بما نسبوه إلى غيرهم . ولما كان الفساد في الأرض وروم مخادعة من لا ينخدع منتحل لا يخفى فساده على أحد ويوصل إلى ذلك بأول إدراك ناسبه أيضا نفي الشعور . ولم يكن ليناسبه نفي العلم فجاء كل على ما يناسب ويلائم . وتعرّض أبو الفضل ابن الخطيب لما ورد في هذه الآية فقال : «إنّما قال في آخر هذه الآية لا يعلمون وفيما قبلها لا يشعرون لوجهين : أنّ الوقوف على أنّ المؤمنين على الحق وهم على الباطل أمر عقلي نظري. وأمّا أنّ النفاق وما فيه من البغي يقضي إلى الفساد في الأرض فضروري جارى مجرى المحسوس، والثاني أنّه لما ذكر السفه وهو جهل كان ذكر العلم أحسن طباقا له والله أعلم»«[3465]» انتهى، وما ذكرته أجرى مع لفظ الآي وأبين »«[3466]».

[3464] ـ سورة البقرة : الآية 13

[3465] ـ انظر : مفاتح الغيب ، ج 1 ، ص 230

[3466] ـ ملاك التأويل : ج 1، ص 27

في معرض توجيهه لقوله تعالى :﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾«[3467]»

قال ـ رحمه الله ـ : « فإن قيل قد وصفوا بما يفهم كفرهم وهو الاستكبار قلت : قوبل بهذا وصف مخاطبيهم بالاستضعاف وليس كالإفصاح بالكفر »«[3468]».

يفهم من هذا النّص المنقول عن الإمام ابن الزبير ـ رحمه الله ـ أنّه يرى أنّ لفظة الاستكبار جاءت في مقابلة لفظة الاستضعاف ، أي ضدّها . وفي هذا مطابقة حقيقية بين الاستكبار والاستضعاف . وإن كانت إشارته ليس فيه تصريح واضح بتضمن الآية للطباق إلاّ أنّ لفظة قوبل توحي بأنّه يقصد هذا المعنى ويريده .

ومن خلال بيان ما أشار إليه الإمام ابن الزبير من محسنين معنويين اتضح أنّه لم يعن كثيرا بمباحث البديع . مع أنّه من أئمة البلاغة كما صرّح بذلك الإمامان ابن جزي وأبو حيان وهما من تلامذته ويمكن التماس العذر له في ذلك أنّ قصده من وضع هذا الكتاب لا يناسب ذلك لأنّه لم يفرد كتابه للتفسير وإنّما قصد به توجيه المتشابه القرآني وعمل كهذا سيكون فيه إغفال لكثير من الآيات التي تضمنت فنونا بديعية ، كما أنّ إشارته لمبحثي الفواصل والطباق يظهر فيها خصوصا في مبحث الفواصل الحرص على توجيه المتشابه بالنّص على أنّ الآية جاءت على هذا النسق لمراعاة الفواصل والمحافظة عليها دون أن يبيّن جمال الفاصلة ويخرج بها إلى أغراض أخرى . وفي مبحث الطباق لم يكن لديه تنصيص على الفنّ بعينه وإنّما هي إشارات فحسب في التوجيه تفهم من سياق كلامه . وكما قلت يمكن التماس العذر له في ذلك لكونه لم يخصص كتابه للتفسير وإنّما أراد به توجيه ما يعنّ من متشابه فقط .

[3467] ـ سورة الأعراف : الآية 88.

[3468] ـ ملاك التأويل :ج 1 ، ص 277

المبحث الخامس : البديع في كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام ابن جزي

قبل الحديث عن جهود الإمام ابن جزي في تناول علم البديع تجدر الاشارة إلى أنّه ـ رحمه الله ـ قد عقد بابا في مقدمته التي قدّم بها لتفسيره في « الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان » فذكر شروط الفصاحة ، ثمّ عرّف البلاغة ، ثمّ ذكر أنّ أدوات البيان : هي صناعة البديع وقام بتعريفه قائلا : « وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب »«[3469]» ثمّ أخبر بعدها أنّه وقف على اثنين وعشرين نوعا منها في القرآن الكريم ، مع تنبيهه على كل نوع في كل موضع .

وأمّا الأنواع التي ذكرها فهي : المجاز ، الكناية ، الالتفات ، التمديد ، الاعتراض ، التجنيس ، الطباق ، المقابلة ، المشاكلة ، الترديد ، لزوم ما لا يلزم ، القلب ، التقسيم ، التتميم ، التكرار ، التهكم ، اللف والنشر، الجمع ، الترصيع ، التشجيع ، الاستطراد ، المبالغة .

وقد قام ـ رحمه الله ـ بالتعريف لكل نوع من هذه الأنواع التي ذكرها .

ويسجل على الإمام ابن جزي في عرضه لأدوات البيان وتكلمه عنها بعض الملاحظات :

أولا : إطلاق مصطلح البيان على صناعة البديع ، وإطلاق البديع على جملة من المباحث البلاغية التي تدخل تحت مسمّاه ممّا يدل على عدم استقرار أقسام البلاغة بموضوعاتها في ذهنه ، وأنه يجعل هذ المصطلح شاملا لكلّ أنواعها الثلاثة ، مع أنّه في تلك الفترة قد استقر تقسيم علوم البلاغة إلى أنواع ثلاث في كتب المنظرين والمقعدين لهذا العلم .

ثانيا : إدراجه لبعض موضوعات علمي المعاني والبيان تحت مسمى البديع ، كالمجاز والكناية اللذين هما من علم البيان ، والاعتراض والتكرار اللذين هما من مباحث الإطناب الذي هو أحد موضوعات علم المعاني .

[3469]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 22

ثالثا : حصره لفنون البديع في القرآن إلى اثنين وعشرين نوعا ، وذلك بقوله أنّه وجد في القرآن الكريم اثنين وعشرين نوعا هي التي نبّه عليه ، مع أنّه توجد أنواع أخرى من فنون البديع قد غفل عنها ، كالتورية ، والتدبيج ، والعكس والتبديل ، والتجريد ، والمذهب الكلامي ، وغيرها من المحسنات البديعية ، فحصر محسنات القرآن في هذا العدد غير صحيح ومنضبط .

وبعد هذا التمهيد سأنتقل لبيان الفنون والموضوعات التي ذكرها ابن جزي ونبّه عليها :

المطلب الأول : الطباق

سبق تعريف الطباق في اللغة والاصطلاح عند الحديث عن جهود الإمام ابن عطية في تناول علم البديع ، فلذا فإنّي لن أعيد ذكر ذلك .

وقبل إيراد المواضع التي نبّه فيها الإمام ابن جزي على الطباق ، فإنّه ينبغي التذكير بأنّه تعرّض لهذا النوع في مقدّمته بالتعريف فقال : « الطباق : وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت ، والليل والنّهار ، وشبه ذلك » «[3470]».

وأمّا المواضع التي ذكر فيها الطباق فهي كالآتي :

ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾«[3471]»

قال ــ رحمه الله ــ : « وفي ذكر الحي من الميت المطابقة ، وهي من أدوات البيان » «[3472]».

فالإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ ينص على وجود الطباق في هذه الآية بين لفظتي الحي والميت ، فقد جمع بينهما وهما ضدان ، لكنّه لم ينص على نوع هذا الطباق ، وهو من طباق الإيجاب إذ جمع فيه بين الشيء وضده ، وقد اكتفى بعدّ هذا النوع من المحسنات المعنوية من أدوات البيان ،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3470] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج ، 1 ، ص 22

[3471] ــ سورة آل عمران : الآية 27 .

[3472] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 145 .

وفيه دليل واضح على إطلاقه لفظ مصطلح البيان بمدلوله الواسع على جميع فنون البلاغة ، وأنّه لا يراعي تلك التقسيمات المعهودة عند المتأخرين .

وقد أشار إلى وقوع الطباق في هذه الآية الإمام أبو حيّان ، حيث قال: « و تضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة ، والبلاغة ، والبديع ... والطباق في الحي و الميت »«[3473]».

كمّا نبّه على وقوع الطباق في هذه الآية الإمام السمين الحلبي ، فقال : « واشتملت هذه الآية على أنواع من البديع ، ومنها الطباق وهو الجمع بين متضادين أو شبههما و في قوله :« ... الحي و الميت »«[3474]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾«[3475]»

قال ـ رحمه الله ـ : « المعنى : إنّ الله يسمع كل شيء فالجهر والإسرار عنده سواء ، وفي هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنّه ذكر أربعة أقسام ، وفيه أيضا مطابقة » «[3476]» .

فالإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ يصرّح بتضمن هذه الآية للطباق دون تعيينه، وهو في الجمع بين السر والجهر ،وبين مستخف و سارب وبين الليل والنهار ، لكنّه لم يذكر نوعه ، وهو من طباق الإيجاب ، ومن محاسن هذا الطباق أنّه شفع ورشّح بنوع آخر من البديع صرّح هو به ، وهو التقسيم ،حيث قسّم المولى جلّ وعلا أحوال الخلق الذين جعلوا سواء في علم الله إلى هذه الأقسام واستوفى الحديث عن كل قسم ، والطباق في القرآن الكريم كلّما شفع بنوع آخر من فنون البديع كان أجمل وأروع .

[3473]ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 438 .
[3474] ـ الدر المصون في علم الكتاب : ج 1 ، ص 738 .
[3475] ـ سورة الرّعد : الآية 10 .
[3476] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 421 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ ﴾«[3477]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي وقوله : أيقاظا ورقود مطابقة ، وهي من أدوات البيان » «[3478]» .

فهذا النّص من الإمام ابن جزي يصرح بتضمن هذه الآية لمحسن الطباق مع تعيينه ، وذلك بين لفظتي: أيقاظ ورقود ، وهذا النوع من طباق الإيجاب ، ولقد وقع مع هذا الطباق تشبيه أصحاب الكهف في نومهم بالأيقاظ لما رؤي منهم من فتح الأعين عند النوم .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ «[3479]»

قال ـ رحمه الله ـ « والظاهر والباطن ... وفي ذلك مطابقة لفظية ، وهي من أحسن أدوات البيان » «[3480]» .

فالإمام ابن جزي يصرّح ـ رحمه الله ـ بتضمن هذه الآية للطباق ، وذلك بين لفظتي الظاهر والباطن ، وقد أشار إلى نوع هذه المطابقة بأنّها لفظية ، أي : من الطباق اللفظي ، وقد اعتبرها من أحسن أدوات البيان ، وهو كعادته في الاصطلاح يطلق مصطلح البيان على جميع فنون البلاغة ، وقد أشار الإمام الطاهر بن عاشور لهذا الطباق الواقع في الآية فقال : « والجمع بين وصفه بالظاهر بالمعنى الراجح وبالباطن كالجمع بين وصفه بالأول والآخر ، كما علمته آنفا ، وفي الجمع بينهما محسن المطابقة »«[3481]».

[3477] ـ سورة الكهف : الآية 18 .

[3478] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 488 .

[3479] ـ سورة الحديد : الآية 3

[3480] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ،ص 382 .

[3481] ـ التحرير والتنوير : ج 27، ص 363

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : التجنيس

التجنيس أحد المحسنات اللفظية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

قال الإمام ابن منظور : « الجنس الضرب من كل شيء ، وهو من النّاس ومن الطير ، ومن حدود النحو والعروض ، والأشياء جملة ... ومنه المجانسة والتجنيس ، ويقال : هذا يجانس هذا أي يشاكله ، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس النّاس إذا لم يكن له تجنيس ولا عقل » «[3482]» .

وقال الإمام الزبيدي : « الجنس بالكسر أعمّ من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس ، وهو كل ضرب من الشيء ، ومن النّاس ومن الطير ، ومن حدود النحو والعروض ، ومن الأشياء جملة ، والمجانس المشاكل ، يقال : هذا يجانس هذا ، أي يشاكله ، وفلان يجانس البهائم ، ولا يجانس النّاس ، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل » «[3483]» .

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة يرجع لمعنى المماثلة و المجانسة ، كما أخبرتنا أنّ الجناس والتجنيس شيء واحد ، فكلها مشتقة من الجنس .

هذا في اللغة ، وأمّا في الاصطلاح فإنّ الإمام سيبويه يعدّ من بين الأوائل الذين أشاروا إلى هذا الفنّ البديعي ، حيث سمّاه : « اتفاق اللفظين والمعنى مختلف » ، ويعزى للإمام الخليل تسميته ، حيث قال ابن المعتز : « وقال الخليل : الجنس لكل ضرب من النّاس والطير والعروض ونحوه ، فمنه ما تكون للكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر :

[3482]_ لسان العرب : ج 6 ، ص 43 _ مادة جنس _ .

[3483]_ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 15 ، ص 515 _ 516 _ مادة جنس _

يوم خلجت على الخليج نفوسهم ، أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر : إنّ لوم العاشق اللوم » «[3484]» ، وقد ذكرت كتب التراجم والفهرسات كتبا لكثير من اللغوين المتقدمين في هذا المحسن اللفظي ، فذكروا أنّ للإمام الأصمعي كتابا سمّاه الأجناس ، ولأبي عبيد القاسم بن سلام كتابا سمّاه : «كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى» .

ولما جاء الإمام ابن المعتز ، وصنّف كتابه البديع جعل فنّ الجناس ثاني موضوعاته ، وعرّفه بقوله : « وهو أن تجئ الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على سبيل الذي ألفّ الأصمعي كتاب الأجناس عليها »«[3485]» .

وقد تعرّض له بالتعريف من المتأخرين الإمام ابن الأثير وبين وجه الربط بين المدلول اللغوي والاصطلاحي ، فقال : « وإنّما سمي هذا من الكلام مجانسا ، لأنّ ألفاظ حروفها يكون تركيبها من جنس واحد ، وحقيقته أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا »«[3486]».

وبمجيئ الإمام السّكاكي ـ رحمه الله ـ أدرج موضوع التجنيس ضمن المحسنات اللفظية ، وعرّفه قائلا : هو تشابه الكلمتين في اللفظ » «[3487]» .

وعلى شاكلة الإمام السّكاكي مضى الإمام القزويني ، ومن تبعه من شرح التلخيص له في ذكرهم الجناس ضمن المحسنات اللفظية ، مع ذكر أنواعها والتمثيل لكل نوع .

ومن تعريفات المتّأخرين التي تمتاز بشيء من الدقة لكونها تصدق على سائر أنواع الجناس تعريف الإمام العلوي الذي عرّفه بقوله : « هو أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما » «[3488]» .

[3484] ـ البديع : ص 25 .

[3485] ـ المصدر نفسه : ص 25

[3486] ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج 1، ص 241

[3487] ـ مفتاح العلوم : ص 429

166 ـ الطِّراز : ج 2 ، ص 356 .

هذا فيما تعلّق بالمعنى الاصطلاحي ، وأمّا فيما يتعلق بإيراد الإمام ابن جزي في تفسيره له وتنبيه عليه ، فإنّه قام أوّلا بتعريفه في مقدمة تفسيره قائلا : « التجنيس : هو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ثمّ الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة ، أو في الحروف خاصة ، أو في أكثر الحروف لا جميعها ، أو في الخط لا في اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف » «[3489]» .

ويلاحظ على تعريف الإمام ابن جزي أنّه حرص فيه على أن يكون شاملا ومستغرقا لجميع أنواعه.

وأمّا المواضع التي نبّه على وقوع الجناس فيها في آي القرآن الكريم فهي :

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾«[3490]» قال ـ رحمه الله ـ : « وفي قوله : ينهون وينأون ضرب من ضروب التجنيس » «[3491]» .

فالإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ ينصّ على قوع نوع من الجناس في الآية ، وذلك بين قوله تعالى : «يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ » غير أنّه لم يبيّن نوع هذا الجناس ، وهو من الجناس المضارع الذي تختلف فيه الكلمتان المتجانستان في حرف واحد مع تقاربهما في المخرج ، وهو هنا بين الهاء والهمزة ، فهما مشتركان في مخرج واحد ، وهو أقصى الحلق .

وقد أشار إلى هذا الجناس الإمام أبو حيّان«[3492]» والإمام السمين الحلبي وسمّاه هذا الأخير تجنيس التصريف ، فقال : «وفي قوله :«ينهون وينأون تجنيس التصريف ، وهو عبارة عن انفراد كل كلمة عن الأخرى بحرف فينهون انفردت بالهاء ، وينأون بالهمزة»«[3493]» وكذلك الإمام ابن عادل

[3489] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 22 .

[3490] ـ سورة الأنعام : الآية 26

[3491] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 265 .

[3492]ـ تفسير البحر المحيط : ج 4، ص 104

[3493]ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج3 ، ص 35

وسمّاه بنفس تلك التسمية «[3494]» ،كما نبّه عليه الشيخ الطاهر ابن عاشور ، فقال: « وبين قوله : ينهون وينأون الجناس القريب من التمام »«[3495]».

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾«[3496]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي قوله : « يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ » تجنيس وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف » «[3497]».

فالإمام ابن جزي ينصّ على وقوع التجنيس في هذه الآية ، وذلك بين لفظتي : «يحسبون و«يحسنون » ، وقد نبّه في هذه المرّة على نوع هذا التجنيس فسمّاه بتجنيس التصحيف ، وهذا صحيح ، وبعضهم يسميه الجناس المصحف ، وهو ما تماثلت الكلمتين فيه الحروف واختلفت في المعنى «[3498]» ، وقد ذكر هذا التجنيس في الآية بنوعه واسمه كل من الإمام أبي حيّان«[3499]» وابن عادل«[3500]» ، والشيخ الطّاهر بن عاشور الذي قال في تعليقه على ذلك : « وبين يحسبون و يحسنون جناس مصحف ، وقد مثّل بهما في مبحث الجناس »«[3501]».

[3494]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 8، ص 84

[3495]ـ التحرير والتنوير : ج 7 ، ص 183

[3496]ـ سورة الكهف : الآية 104 .

[3497]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 505 .

[3498]ـ ينظر: فنّ البديع ، عبد القادر حسين ، ص 114 .

[3499]ـ تفسير البحر المحيط : ج 6، ص 158

[3500]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 12، ص 572

[3501]ـ التحرير والتنوير: ج 16، ص 47

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾«[3502]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي قوله : «قال إنّي لعملكم من القالين » ضرب من ضروب التجنيس » «[3503]» .

فالإمام ابن جزي رحمه الله ـ يصرح بوجود جناس في هذه الآية ، وذلك بين لفظتي :« قال» و «القالين» غير أنّه لم يبيّن نوعه واكتفى بعدّه من أضرب التجنيس فحسب ، وهذا الجناس يسمى الجناس الاشتقاقي ، وهو أن يؤتى بألفاظ يجمعها حروفها الأصلية في معنى ، وقد اختلف في هذا الاشتقاق فمنهم من جعله نوعا من الجناس كالإمام الطيبي«[3504]»، ومنهم من جعله فنّ مستقلا عن الجناس ويسمى الاشتقاق كالإمام العلوي ، وجعله الإمام الزركشي قريبا من الاقتضاب«[3505]» ، وكلّ واحد منهم مثّل له بهذه الآية ، وعليه فيكون ما جنح إليه ابن جزي هو رأي من يعدّه من التجنيس والله أعلم .

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾«[3506]»

قال ـ رحمه الله ـ: « وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله : «من سبأ بنبأ» ضرب من أدوات البيان وهو التجنيس » «[3507]»

فالإمام ابن جزي ينص ـ رحمه الله ـ على تضمن هذه الآية للجناس ، وذلك بين لفظتي : «سبأ» و «نبأ» ، غير أنّه لم يبين نوع هذا الجناس واسمه ، وهو من الجناس المكرر أو المزدوج ، وهو أن

[3502]ـ سورة الشعراء : الآية 168 .
[3503] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 106
[3504] ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 410
[3505]ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3، ص 451 ـ 452
[3506]ـ سورة النمل : الآية 22
[3507]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 112 .

يلي أحد المتجانسين الآخر «[3508]» ، أو أن يقع في أثناء القرائن لفظان متجانسان «[3509]» ، وقد نبّه على وقوعه في هذه الآية الإمام الطيبي ـ رحمه الله ـ : « والسابع : المزدوج ويسمى مرددا ، وهو أن يقع في أثناء القرائن لفظان متجانسان ، قال تعالى : «وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ » ، وفيه إدماج معنى »«[3510]»

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾«[3511]»

قال ـ رحمه الله ـ : « في قوله : فأقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس » «[3512]» .

فالإمام ابن جزي ينص على وقوع التجنيس في هذه الآية ، وذلك بين لفظتي : « فأقم » و « القيّم » ، لكنّه لم يصرح بنوعه واسمه ، وهذا النوع من الجناس يسميه البلاغيون بجناس الاشتقاق ، وهو ما كانت فيه اللفظتان لهما أصل واحد في اللغة «[3513]»، فأقم والقيم مشتقان من مصدر واحد وهو القيام .

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ «[3514]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي قوله : «وجنى الجنتين دان» ضرب من ضروب التجنيس »«[3515]».

فالإمام ابن جزي يصرح بتضمن هذه الآية للجناس ، وذلك بين لفظتي : « جنى »و «الجنتين »دون أن يبيّن نوع هذا الجناس ، وهو من الجناس الاشتقاقي ، وبعضهم يجعل هذا النوع فنّا

[3508] ـ فنّ البديع : عبد القادر حسين ، ص 119 .
[3509] ـ التبيان في علم المعاني والبيان والبديع : الطيبي ، ص 401 .
[3510] ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 401 .
[3511] ـ سورة الروم : الآية43 .
[3512] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2 ، ص 149.
[3513] ـ فنّ البديع : ص 120 .
[3514] ـ سورة الرحمان : الآية 54 .
[3515] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 369 .

مستقلا بذاته كما ذكرت ذلك سابقا ومنهم الإمام العلوي الذي مثّل له بهذه الآية«[3516]» ، كما أشار إليه أيضا الإمام الزركشي «[3517]» .

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾«[3518]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي قوله : السّاق والمساق ضرب من ضروب التجنيس »«[3519]».

فالإمام ابن جزي يصرّح بتضمن هذه الآية للجناس ، مع تحديده ، وذلك بين لفظتي: « الساق والمساق » ، غير أنّه لم يسمّ نوع هذا الجناس ، وهو من الجناس الناقص الذي تختلف فيه اللفظتان في عدد الأحرف زيادة أو نقصا ، فلفظة الساق الأولى بدون ميم والثانية بزيادة الميم وإثباتها ، فهذه الزيادة بحرف واحد في الكلمة الثانية ، وقد أشار إلى وقوع التجنيس بين هذين اللفظتين الإمام الزركشي ، حيث قال«[3520]» : وإمّا في احدى الكلمتين ، كقوله تعالى : «وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ» ، كمّا نبّه عليه الإمام الطيبي ـ رحمه الله ـ واعتبره من الجناس الزائد ، حيث قال «[3521]» : « والثالث : الزائد وهو أن يزاد حرف في الأول ، كقوله تعالى : «وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ» .

[3516]ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ص 410
[3517]ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، 452
[3518]ـ سورة القيامة : الآية 29
[3519]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2، ص 483 .
[3520]ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 450 .
[3521]ـ التبيان في علم المعاني والبيان والبديع : ص 399 .

المطلب الثالث : الترديد

الترديد أحد المحسنات اللفظية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

قال ابن منظور : « الرّد صَرف الشيء ورجعه ، والرّد مصدر رددت الشيء وردّه عن وجهه يردّه ردّا ومردّا» «[3522]» فالمادة اللغوية من هذا المعجم تخبرنا أنّ مدلول الكلمة يرجع لمعنى الصرف ، كما أنّ الترديد في اللغة يطلق على تكرير الشيء وإعادته ، وهذا هو المعنى القريب من المعنى الاصطلاحي ، كما سوف نرى .

بعد بيان معنى الترديد في اللغة نريد أن نقف على معناه في اصطلاح البلاغيين ، فقد عرّفه كثير منهم ، وهو نوع سابق في الظهور معهود ومعروف عندهم ، ومن الأوائل الذين تعرَّضوا لتعريفه الإمام الحاتمي بقوله : « هو تعليق الشاعر لفظة في البيت متعلقة بمعنى ثمّ يردّدها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر في البيت نفسه» «[3523]».

وعرّفه من المتأخرين الإمام الزملكاني بقوله : « هو أن تعلق لفظة بمعنى ثمّ تردها بعينها وتعلقها بمعنى آخر » «[3524]» فتعريف الإمامين متقارب وكلاهما بمعنى واحد .

وأمّا بالنسبة لحديث ابن جزي عنه في تفسيره وتنبيهه عليه في مواضع الآيات ، فقد عرّفه أولاً في المقدمة التي عقدها لبيان الفصاحة والبلاغة بقوله : « وهو ردّ الكلام على آخره ويسمى في الشعر بردّ العجز على الصدر»«[3525]» .

هذا بالنسبة لتعريفه له ، وأمّا المواضع التي ذكر وقوع الترديد فيها ، فهي :

[3522] ــ لسان العرب : ج 3 ،ص 172 مادة ـ ردد ـ.

[3523] ــ الروض المريع : ص 162 .

[3524] ــ التبيان : ص 186 .

[3525] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 23

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾«[3526]»

قال ـ رحمه الله ـ :« وفي الآية من أدوات البيان الترديد ، وهو ذكر الشهادة أوّلا ، ثمّ ذكرها في آخر الآية » «[3527]».

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـــ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها ترديد ، حيث ذكر لفظة الشهادة في أول الآية ثمّ أعيد ذكرها في آخرها . وقد قام في إشارته لهذا الترديد بتحليله وبيانه. هذا وقد أشار إلى تضمن هذه الآية لفنّ الترديد الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـــ ، حيث قال «[3528]»: « وأمّا التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها قد تقدّمت في أول الآية ، ويسمى أيضا رد العجز على الصدر . وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام الأول : أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو : «أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا »«[3529]»

ـ عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾«[3530]»

قال ـ رحمه الله ـ :« وفي الآية من أدوات البيان الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله ، ثمّ ردّه في أوّل كلامه »«[3531]».

[3526] ـ سورة النساء : الآية 166

[3527] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 219 .

[3528] ـ معترك الأقران : ص 38

[3529] ـ سورة النساء : الآية 166

[3530] ـ سورة الأنعام : الآية 124

[3531] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ،ص 282 .

يخبر الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ في بيانه لمعنى هذه الآية أنّه وقع فيها ترديد ، حيث ختم الكلام الأول بلفظ الجلالة ، ثمّ استأنف كلاما جديدا افتتح بلفظة الجلالة ، وهذه هي حقيقة الترديد . وهو في توجيهه قام بتعينه وتحليله .

المطلب الرابع : الترصيع

الترصيع أحد المحسنات اللفظية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

قال ابن منظور : « رصع الشيء عقده عقدا مثلثا متداخلا كعقد التميمة، ونحوها وإذا أخذت سيرا فعقدت فيه عقدا مثلثة فذلك الترصيع وهو عقد التميمة ، والترصيع التركيب يقال تاج مرصّع بالجوهر وسيف مرصّع ، أي محلى بالرصائع وهي حلق يحلى بها الواحدة رصيعة ، ورصّع العقد بالجوهر نظّمه فيه وضمّ بعضه إلى بعض » «[3532]» .

فالمدلول اللغوي لهذه الكلمة يرجع لمعنى العقد والتركيب ، وأمّا في اصطلاح البلاغيين فهو أحد الفنون البديعية التي أشار إليها متقدموهم على غرار أبي هلال العسكري الذي عرّفه بقوله : « هو أن يكون حشو البيت مسجوعا»«[3533]» ، وعرّفه ابن سنان الخفاجي قائلا : « هو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة ، وكأنّ ذلك شبّه بترصيع الجوهر في الحلي »«[3534]» فالإمام ابن سنان يجمع في المعنى الاصطلاحي المدلول اللغوي للفظة الترصيع .

[3532]ـ لسان العرب : ج 8 ، ص 124 .

[3533]ـ كتاب الصناعتين : ص 375

[3534]ـ سر الفصاحة : ص 190

وارتأى الإمام الرّازي أن يعرّفه بقوله :« هو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز »«[3535]»فمن خلال تعريف الرّازي هذا يتضح مفهوم الترصيع ، وهو أن يحرص الشاعر في نظمه أو المتكلم في نثره على مراعة استواء الأوزان وتوافق الأعجاز.

هذا فيما تعلّق بالمعنى الاصطلاحي للترصيع ، أمّا عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، فإنّه عرّفه أوّلا في مقدمته قائلا : « وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوفية الوزن ، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوّله »«[3536]». وهذا الكلام قريب من كلام الإمام الرّازي وإن اختلفت التعبيرات .

وقد أشار الإمام ابن جزي للترصيع في موضعين من تفسيره هما:

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ «[3537]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع »«[3538]».

فالإمام ابن جزي يصرّح ـ رحمه الله ـ بتضمن هذه الآية والتي تليها للترصيع وذلك بين قوله تعالى : « وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ»، حيث أنّ لفظة الصراط والكتاب ولفظة المستقيم والمستبين مستوفيان ومستويان في الوزن ، وقد نبّه على وقوع الترصيع في هذه الآية الإمام العلوي فقال : « وقوله تعالى : « وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ » ، فالصراط والكتاب سواء ، والمستقيم والمستبين سواء »«[3539]» ، كما نبّه

[3535]ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص 71

[3536] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 23

[3537]ـ سورة الصافات : الآية 117 ـ 118 .

[3538]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 222

[3539] ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز ، ص 405 .

عليه أيضا الإمام الزركشي ، وسمّاه بالمتوازن ، ومثّل له بهذه الآية ، فقال : « فلفظ الكتاب والصراط متوازنان ، ولفظ المستقيم والمستبين متوازنان »«[3540]» كما نبّه عليه الإمام السيوطي أيضا ، وذكره في أقسام الفواصل .«[3541]»

ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾»«[3542]»

قال ـ رحمه الله ـ :« في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع » «[3543]».

فالإمام ابن جزي ينص على وقوع الترصيع في هذه الآية ، فقوله تعالى: «إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ»متوازن ومتساوي مع قوله تعالى: « وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ» فآخر ألفاظ الآيتين متوازن مع الآخر ومتفقان في الحرف الأخير وهو الميم ، ومن محاسن هذا الترصيع أنّه شفع بنوع آخر من البديع وهو الطباق وقد ذكره الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ ، وذلك بين لفظتي الأبرار والفجار ، والنعيم والجحيم ، ولقد أشار إلى وقوع الترصيع في الآية الإمام الطيبي ، عندما تحدث عن الترصيع مثّل له بهذه الآية ، فقال : « وإذا روعي فيه الطباق كقوله تعالى: «إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ » ... كان أحسن »«[3544]» كما نبّه عليه الإمام السيوطي «[3545]».

[3540] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 1 ، ص 76

[3541] ـ الإتقان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 78

[3542] ـ سورة الانفطار : الآيتان 13 ـ 14 .

[3543] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 509

[3544] ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 415

[3545] ـ الإتقان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 278 .

المطلب الخامس : التقسيم

التقسيم أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

قال الإمام ابن منظور ـ رحمه الله ـ :« القسْم مصدر قسم الشيء يقسمه قسْما ، والموضع مقسْم مثال مجلس ، وقسّمه جزّأه ، وهي القِسمة » «[3546]» .

فالمدلول اللغوي لهذه الكلمة يرجع لمعنى التجزئة والتفريق بين الأشياء .

هذا في اللغة ، وأمّا التقسيم في اصطلاح البلاغيين فقد حدّه الإمام القزويني بقوله : «هو ذكر متعدد ثمّ إضافة ما لكل إليه على التعيين »«[3547]».

والتقسيم من جملة فنون البديع التي فطن لها البلاغيون ووقف عنده أعمدة هذه الصناعة ، فقد أقرّوا بعظيم موقعه في الكلام ، وقد نقل الإمام الجاحظ بعض الآثار عن سيدنا عمر رضي الله عنه تظهر إعجابه بهذا النوع من نظم الكلام ، ومن جملة ما ذكره إعجابه رضي الله عنه بقول زهير :

وإنّ الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء ، فقال عمر رضي الله عنه معلقا : « من علّمه بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها» «[3548]» ، وصفوة القول كما قال الإمام العلوي ـ رحمه الله ـ أنّه إذا وقع في الكلام بلغ مبلغا عظيما في حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها «[3549]»

وقبل إيراد المواضع التي نبّه فيها الإمام ابن جزي على التقسيم ، فإنّه ينبغي التذكير بأنه تعرّض لهذا النوع في مقدّمته بالتعريف ، فقال : « وهو أن تقسّم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه » «[3550]».

[3546] ـ لسان العرب : ج 12 ، ص 498 ـ مادة قسم ـ .
[3547] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 334
[3548] ـ البيان والتبيين : ج 1 ، ص 240 .
[3549] ـ الطراز : ج 3 ، ص 73 .
[3550] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 23 .

وأمّا عن إشارته له في تفسيره فقد ذكره في موضعين هما :

ـ عند تفسير قوله تعالى :﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ «[3551]»

قال ـ رحمه الله ـ : « المعنى إنّ الله يسمع كل شيء ، فالجهر والإسرار عنده سواء ، وفي هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنّه ذكر أربع أقسام ، وفيه أيضا مطابقة » «[3552]».

فالإمام ابن جزي يصرّح بتضمن هذه الآية لمحسن التقسيم ، حيث قسّم المولى جلّ وعلا أحوال الخلق الذين جعلوا سواء في علم الله إلى هذه الأقسام : قسم مسر وقسم مجهر ، وقسم مستخف وقسم سارب ، واستوفى الحديث عن كل قسم ، وقد شفع هذا التقسيم بنوع آخر من البديع ، وهو الطباق ، وقد صرّح به ابن جزي دون تحديده ، وهو بين السر والجهر ، والمستخف والسارب ، وقد أشار إلى وجود التقسيم في هذه الآية الإمام أبو حيّان في تفسيره وعلّق على هذه الأقسام «[3553]»

ـ عند تفسير قوله تعالى :﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾«[3554]»

قال ـ رحمه الله ـ :« وفي الآية من أدوات البيان التقسيم » «[3555]».

[3551] ـ سورة الرعد : الآية 10 .

[3552] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 420 .

[3553] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 362 .

[3554] ـ سورة الشورى : الآيتان 49 ـ 50

[3555] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2 ، ص 284 .

فالإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ ينص على تضمن هذه الآية للتقسيم ، دون تحديده وتبيينه مكتفيا بعدّه أحد أدوات البيان ، والتقسيم الحاصل في الآية هو تقسيمه سبحانه وتعالى لأحوال الخلق في ما يتعلق بهبة الأولاد ، فقسم يخص بالذكور ، وقسم يخص بالإناث ، وقسم يجمع له بينهما ، وقسم لا يخص بشيء فيجعل عقيما ، فهذه هي التقسيمات التي تضمنتها الآية ، وقد أشار إلى تضمن هذه الآية للتقسيم الإمام القزويني ، والإمام العلوي حيث قال هذا الأخير : « وكما قال تعالى : «يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» ، فهذا تقسيم ظاهر ، كأنّه قال النّاس منهم ذو بنات ، ومنهم ذو بنين ، ومنهم ذو بنات وبنين ، ومنهم عقيم »«[3556]».

المطلب السادس :اللف والنّشر

سبق تعريف اللف والنّشر في اللغة والاصطلاح عند الحديث عن جهود الإمام ابن عطية في تناول علم البديع ، فلذا فإنّي لن أعيد ذكر ذلك .

وقبل إيراد المواضع التي نبّه فيها الإمام ابن جزي على اللّف والنّشر ، فإنّه ينبغي التذكير بأنّه تعرّض لهذا النوع في مقدّمته بالتعريف فقال : « هو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر ، ثمّ تذكر متعلقات بها ، وفيه طريقتان : أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول ، وأن تبدأ بالآخر » «[3557]».

هذا فيما تعلّق بتعريفه له ، أمّا عن إشارته له في تفسير فقد نبّه عليه في موضع واحد فحسب ، وذلك عند:

[3556]ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز : ص 447

[3557]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 23

ـ تفسير قوله تعالى :﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾«[3558]» قال ـ رحمه الله ـ : « «لِتَسْكُنُواْ فِيهِ » أي في الليل ، «وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ » أي في النّهار ففي الآية لف ونشر » «[3559]».

فالإمام ابن جزي يصرّح بوجود لف ونشر في هذه الآية مع تعيينه بشيء من الاجمال والاختصار ، ووجه هذا اللف والنّشر ، أنّ الله تعالى ذكر كلاًّ من الليل والنهار ، ثمّ ذكر ما يقع في كل واحد منهم على وجه التفسير ، فأجمل في الأول ، ثمّ فسّر وشرح في المرة الثانية بقوله : « لِتَسْكُنُواْ فِيهِ »فهذا راجع لليل ، ثمّ قوله : «وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ » وهذا راجع للنهار ، ولقد نبّه على وقوع اللف والنّشر في هذه الآية كثير من أئمة البلاغة منهم الإمام الرازي فقد مثّل بها للف بعد تعريفه ، فقال «[3560]»: « اللف والنّشر وهو أن تلف شيئين ثمّ ترمي بتفسيرهما جملة ، ثقة بأنّ السامع يرد كلّ واحد منهما ما له ، كقوله تعالى : «وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ»«[3561]» ، كما نبّه عليه الإمام القزويني«[3562]» والطيبي «[3563]».

[3558]ـ سورة القصص : الآية 73 .

[3559]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج2 ، ص 134 .

[3560]ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص 179 .

[3561]ـ سورة القصص : الآية 73

[3562]ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 333

[3563]ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 324.

المطلب السابع : لزوم ما لا يلزم

لزوم ما لا يلزم أحد المحسنات اللفظية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

اللزوم في اللغة مشتق من الالتزام ، وفعله لزم ، يقال :« لزم الشيء يلزمه لزاما ولزوما ولازمه ملازمة ولزاما ، والتزمه وألزمه إيّاه فالتزمه ، ورجل لزمة يلزم الشيء فلا يفارقه »«[3564]».

فاللزوم في اللغة معناه تحتم الشيء والارتباط به ، وأمّا في اصطلاح البلاغيين فقد سمّوه بتسميات عديدة منها الالتزام والاعنات والتضييق والتشديد ، وقد عرّفه الإمام العلوي بقوله :« أن يلتزم الناظم قبل حرف الروي حرفا مخصوصا أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي » ، وعرّفه ابن الأثير بقوله : «هو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحد ، وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية »«[3565]»

وقبل إيراد المواضع التي نبّه فيها الإمام ابن جزي على التقسيم ، فإنّه ينبغي التذكير بأنه تعرّض لهذا النوع في مقدّمته بالتعريف ، فقال :« وهو أن يلتزم قبل حروف الروي حرفا آخر ، وكذلك عند رؤوس الآيات » «[3566]»

وأمّا عن إشارته له في تفسير فقد نبّه عليه في موضع واحد فحسب ، وذلك عند:

[3564] ـ لسان العرب : ابن منظور ، ج 12 ، ص 541 .

[3565] ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج 1، ص 262

[3566] ـ التسهيل لعوم التنزيل : ج 1 ، ص 22 .

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾«[3567]»

قال ـ رحمه الله ـ : « «لا يقصرون » أي لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار ، أو لا يقصر الكفار عن غيّهم ، وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم بالتزام الصاد قبل الراء في مبصرون ولا يقصرون » «[3568]».

فالإمام ابن جزي ينصّ على تضمن هذه الآية لنوع من أنواع البديع وهو لزوم ما لا يلزم ، وقد قام بتحديده وتعيينه عندما أخبر بأنّه التزم إثبات الصاد قبل الراء في لفظة «مبصرون» ، وكذلك في لفظة «يقصرون» ، وحقيقة هذا النوع من البديع عند البلاغيين أنّه أحد صور السجع ، ولقد نبّه على وقوعه في هذه الآية من أئمة البلاغة الإمام القزويني و الإمام الطيبي «[3569]» والإمام العلوي«[3570]».

ـ المطلب الثامن : الجمع

الجمع أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه :

الجمع في اللغة مصدر جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا ، وجمّعه وأجمعه فاجتمع ، وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا «[3571]».

فالجمع في اللغة معناه الضم ، أي ضم الشيء بعضه إلى بعض بعد أن كان متفرقا .

[3567]ـ سورة الأعراف : الآية 202

[3568] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ، ص 329 .

[3569]ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 420

[3570]ـ الإيجاز لأسرار الطراز : ص 411

[3571]ـ لسان العرب : ابن منظور ، ج 8 ، ص 53.

هذا في اللغة ، وأمّا في اصطلاح البلاغيين فقد عرّفه الإمام السّكاكي بقوله : « هو أن تدخل شيئين فصاعدا في شيء واحد »«[3572]»

وقبل إيراد المواضع التي نبّه فيها الإمام ابن جزي على الجمع، فإنّه ينبغي التذكير بأنه تعرّض لهذا النوع في مقدّمته بالتعريف ، فقال :« وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد ، وفي صف واحد ، وشبه واحد »«[3573]».

ويظهر من تعريف الإمام ابن جزي أنّه موافق لماحدّه به الإمام السّكاكي ، وأمّا عن إشارته له في تفسير فقد نبّه عليه في موضع واحد فحسب ، وذلك عند:

ـ تفسير قوله تعالى :﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾«[3574]»

قال ـ رحمه الله ـ : ««المال والبنون » هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد ، وهو من أدوات البيان »«[3575]» .

فالإمام ابن جزي يصرح بتضمن هذه الآية لنوع من المحسنات البديعية ألاّ وهو الجمع ، وتنبيهه على قوعه في هذه الآية قام بتعريفه وتحديده عندما أخبر أنّه عبارة عن جمع بين شيئين في خبر واحد وأنّه واقع بين لفظتي :« المال والبنون » ، فقد جمعت الآية بين المال والبنون في الزينة .

هذا ومثلّ بهذه الآية للجمع كثير من أئمة البلاغة يأتي في طليعتهم من المتأخرين الإمام القزويني«[3576]»، والإمام الطيبي«[3577]» ، والإمام السيوطي «[3578]»

[3572] ـ مفتاح العلوم : ، ص 425

[3573] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص23

[3574] ـ سورة الكهف : الآية 46

[3575] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1، ص 495 .

[3576] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 334

[3577] ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 326

[3578] ـ الإتقان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 240.

المطلب التاسع : التتميم

التتميم هو أحد موضوعات علم المعاني المدروسة تحت مبحث الإطناب ، وقد أدرجه ابن جزي ضمن البديع بناء على مذهبه في إطلاق لفظة البديع على جميع فنون البلاغة الثلاث ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام ابن جزي له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

التتميم في اللغة مصدر من: « تمّ الشيء يتم تما وتُما وتَمامة وتَماما وتِمامة وتُماما وتِماما وتمّة وأتمّه غيره وتمّمه واستتمه بمعنى وتمام الشيء وتمامه وتتمته ما تمّ به »«[3579]».

فالتتميم في اللغة معناه إكمال الشيء .

هذا في اللغة ، وأمّا في اصطلاح البلاغيين فقد حدّه بعض المتأخرين منهم كالإمام القزويني بقوله : « هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة »«[3580]»

وعرّفه الإمام الزرّكشي قائلا : «هو أن يتمّ الكلام فيلحق به ما يكمله إمّا مبالغة او احترازا أو احتياطا، وقيل : هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربّما كان السّامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا »«[3581]» .

ففي التعريف الأول للإمام الزّركشي يظهر منه أنّه يجعل وظيفة التتميم في ثلاثة أمور ، وهي المبالغة ، والصيانة ، وقد سمّاه ابن المعتز في كتابه البديع بالاعتراض«[3582]»، أي اعتراض كلام في كلام لم يتمّ معناه .

[3579] ـ انظر : لسان العرب: ابن منظور ، ج 12 ، ص 67 ـ مادة تمّ ـ

[3580] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 194

[3581] ـ البرهان في علوم القرآن : ج 3، ص 70

[3582] ـ ص 59

ولما استقرت أقسام البلاغة الثلاث أدرجه الإمام القزويني في مباحث علم المعاني تحت دائرة الإطناب ، وعلى شاكلته سار معظم شراح التلخيص وسائر البلاغيين من بعده .

وأمّا عن إشارته له في تفسير فقد نبّه عليه في موضع واحد فحسب ، وذلك عند:

ــ تفسير قوله تعالى :﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾«[3583]»

قال ــ رحمه الله ــ :« ففي قوله : «عَلَىٰ حُبِّهِۦ» تتميم، وهو من أدوات البيان »«[3584]» .

فالإمام ابن جزي يصرّح بتضمن هذه الآية للتتميم مع تعيينه وتحديده ، ففي قوله تعالى : « على حبّه » إتمام للمعنى الذي تضمنته الآية من كون هؤلاء يطعمون الطعام لكنّ هذه الزيادة تضمنت مبالغة في تأكيد المعنى ، فلفظة :« على حبه » أفادت أنّهم يطعمون الطعام مع حبّهم ورغبتهم فيه وشدّة حاجتهم إليه ، وهذا المعنى حاصل على قول من حمل الضمير في :«حبّه » على الطعام ، وقد مثّل بهذه الآية للتتميم كثير من المتأخرين من أئمة البلاغة منهم الإمام القزويني«[3585]» ، والإمام العلوي«[3586]» ، كما مثل به أيضا الإمام الزركشي «[3587]» و الإمام السيوطي «[3588]».

وفي خلاصة ما ذكرته من نماذج تظهر اعتناء ابن جزي بعلم البديع مقارنة بمن سبقه من الأئمة يظهر على منهجه في الإشارة لتلك المباحث ما يلي :

ــ النّص على تسمية المحسن في الغالب

[3583] ــ سورة الإنسان : الآية 8 .

[3584] ــ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ،ص 485 .

[3585]ــ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 194

[3586]ــ الإيجاز لأسرار الطراز : ص 288

[3587]ــ البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 70 .

[3588]ــ الإتقان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 200.

ـ عدّه جميع فنون البديع من أدوات البيان وهو في هذا يطلق لفظة البيان على سائر علوم البلاغة الثلاث . فهو لا يتقيد بالمصطلحات .

ـ الغالب عليه في الإشارة لتلك المباحث أنّه لا يوضحها ويشرحها بما يقربها فيوقف القارئ على ما هيتها وحقيقتها إلاّ في القليل .

منهجه في الإشارة على المحسن البديعي هو النص عليه فحسب دون بيان ما أفاده من جمال أو ذوق على الآية في الغالب .

المبحث السادس : البديع في كتاب (البحر المحيط) للإمام أبي حيّان الأندلسي:

لقد أشار الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ في تفسيره لجملة من المحسنات البديعية تنوعت بين المعنوية واللفظية ، ونبّه على كثير منها في مواضع تفسيره للآيات ، وسأسعى في هذا المبحث لبيان تلك الإشارات وتحليلها :

المطلب الأول : الطباق

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾«[3589]»

قال ـ رحمه الله ـ :«[3590]» ثمّ الآية المكرمة فيها مقابلة القصاص بالحياة فهو من مقابلة الشيء بضدّه ، وهو نوع من البيان يسمى الطباق ، وهو شبه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾«[3591]».

فالإمام أبو حيّان ينص على تضمن هذه الآية للطباق مع تعيينه وتحديده ، وذلك بين لفظتي القصاص والحياة ، إلاّ أنّ لفظة القصاص ليست في مقابلة الحياة ظاهرا ، وإنّما هي مطابقة خفية

[3589] ـ سورة البقرة الآية 179

[3590] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 19

[3591] ـ سورة النجم : الآية 43.

، وتوجيهها أنّ القصاص معناه القتل الذي هو سبب الحياة ، وبهذا يكون القصاص الذي هو القتل ضد الحياة ، وقد أشار إلى وقوع الطباق في هذه الآية الإمام ابن عادل ، حيث قال : « ومنها : أنّ في الآية نوعا من البديع يسمى الطباق ، وهو مقابلة الشيء بضده ، فهو يشبه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾[3593] »[3592].

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ ﴾[3594].

قال ـ رحمه الله ـ : « قيل : وقد تضمنت هذه الآية ستة أنواع من ضروب الفصاحة ، والبلاغة من علم البيان ، الأول : الطباق ، وهو الطلاق والإمساك ، فإنّهما ضدّان ... »[3595]

فالإمام أبو حيّان يشير إلى تضمن هذه الآية للطباق . وذلك بين لفظتي الطلاق والإمساك فقد ذكر بأنّهما ضدان فالطلاق الذي هو الإرسال نقيض الإمساك إلاّ أنّ الإمام أبا حيان لم يصرح بنوع الطباق . وهذا الطباق الوارد في الآية من طباق الإيجاب اللفظي .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ ﴾[3596]

قال ـ رحمه الله ـ : « قيل : وقد تضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة ، والبلاغة ، والبديع ... والطباق في تؤتي وتنزع ، وتعزّ تذل ، وفي الليل والنهار ، وفي الحي والميت »[3597]

3592 ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 3 ، ص 230 .

3593 ـ سورة النجم : الآية 43.

3594 ـ سورة البقرة : الآية 229

3595 ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 221 .

3596 ـ سورة آل عمران : الآية 26

3597 ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، 436 .

فالإمام أبو حيّان يشير إلى تضمن هذه الآية للطباق ، وذلك بين عدّة ألفاظ قام بتعيينها ، وهي تؤتي وتنزع ، وتعزّ تذل ، والليل والنهار ، والحي والميت ، إلاّ أنّه لم يصرّح بنوع الطباق فيها ، وهو طباق الإيجاب اللفظي الحقيقي ، وقد أشار إلى تضمن الآية للطباق كثير من أئمة البلاغة المتأخرين منهم الإمام السّكاكي الذي مثّل بها للطباق لما تحدّث عنه فقال«[3598]»: « المطابقة : وهي أن تجمع بين متضادين ... وقوله :« **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ** »«[3599]» كما مثّل بها للطباق الإمام القزويني«[3600]» ، والإمام الطيبي«[3601]» .«[3602]» .

ـ المطلب الثاني : المقابلة

في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟** ﴾«[3603]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنّت هذه الآيات ستة أنواع من ضروب الفصاحة ، والبلاغة من علم البيان ... الثاني : المقابلة في فأمسكوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا قابل الضرار بالمعروف ، والضرار منكر ، فهذه مقابلة معنوية »«[3604]».

فالإمام أبو حيّان يصرّح بتضمن هذه الآية للمقابلة محدّدا إيّاها ومبيّنا نوعها ، أمّا تحديده لها عندما أخبر أنّها بين قوله تعالى : «**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** » وقوله : «**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا** »

[3598] ـ مفتاح العلوم : ص 423

[3599] ـ سورة آل عمران : الآية 26

[3600] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 317

[3601] ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 278

[3603] ـ سورة البقرة : الآية 231

[3604] ـ البحر المحيط : ج 2 ، ص 221

وأمّا بيانه لنوعها فإنّه أخبر بأنّها معنوية ، ثمّ وجه الجانب المعنوي في المقابلة بذكره أنّ الضرار أصله منكر فهو في مقابلة المعروف الذي هو ضده ، وهذه المقابلة عند البلاغيين هي من المقابلة التي لا تكون بالأضداد بل بما يقاربها من المعاني ، فالضرار هنا يقارب المعروف في الضدية وليس عينها .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾«[3605]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الآيات ضروبا من البلاغة والفصاحة ... والمقابلة في تأمرون وتنهون ، وفي المعروف والمنكر ، ويجوز أن يكون طباقا معنويا »«[3606]».

فالإمام أبو حيّان يصرّح بتضمن الآية للمقابلة وذلك بين قوله تعالى :« تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» وقوله : «وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ»«[3607]»، ففي هذا الموضع مقابلة بين ضدين في الأول بين تأمرون وتنهون ، والمعروف والمنكر ، وهذه هي حقيقة المقابلة ، فإنّ الآية جمعت بين أربعة ألفاظ متضادة ، وهي أقل المقابلة .

وقد نقل القول بتضمن الآية للمقابلة الشيخ محمود بن عبد الرحمان صافي ، حيث قال : «في الآية فنّ المطابقة ، فقد تعدّد الطباق بين تأمرون وتنهون ، وبين المعروف والمنكر ...»«[3608]».

[3605] ـ سورة آل عمران : الآية 110

[3606] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 30 .

[3607] ـ سورة آل عمران : الآية 110

[3608] ـ الجدول في إعراب القرآن : ج 4 ، ص 273 .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾«[3609]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وقد تضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع ، منها ...والمقابلة في من ذكر أو أنثى »«[3610]».

فالإمام أبو حيّان يصرّح بوجود فنّ المقابلة في هذه الآية مع تعيينه ، عندما ذكر أنّه واقع بين ذكر وأنثى ، والظاهر والله أعلم هو وقوع الطباق في الآية بين ذكر وأنثى ، وليس مقابلة لأنّ الجمع وقع بين ضدين وليس أكثر من ذلك ، ومن محاسن هذا الطباق أنّه شفّع بمحسن آخر هو التتميم وذلك في لفظة «وهو مؤمن »، فهي تتميم للمعنى المقصود ، أي :أنّ العمل الصالح المقبول من الذكر أو الأنثى يشترط فيه إيمان صاحبه .

المطلب الثالث : التجنيس

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾«[3611]»

قال ـ رحمه الله ـ : « قيل : ... وفي هذه الآيات من بدائع البدائع ... والتجنيس المماثل وهو أن يكون بفعلين أو باسمين ، وذلك في : علمكم ما لم تكونوا تعلمون »«[3612]» .

[3609]ـ سورة النساء : الآية 124

[3610]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 373 .

[3611] ـ سورة البقرة : الآية 239

[3612] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 255 .

فالإمام أبو حيّان يصرّح بوجود محسن الجناس في هذه الآية بين لفظتي: « علمكم » و «تعلمون» ، وقد بيّن نوع هذا الجناس وأنّه من الجناس المماثل ، وحقيقته كما أخبر هو أن تكون اللفظتان المتجانستان فعلا أو اسما ، والتجانس في هذه الآية وقع بين فعلين كما هو ظاهر .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ ﴾«[3613]»

قال ـ رحمه الله ـ : « قيل ... وفي هذه الآيات من بدائع البدائع ، وصنوف الفصاحة ... والتجنيس المغاير في غير إخراج فإن خرجن »«[3614]».

في كلام الإمام أبي حيّان تصريح بوجود محسن الجناس في هذه الآية وقد حدّده مخبرا أنّه بين لفظتي : « إخراج » و «خرجن» ، كما ذكر نوعه وأنّه من التجنيس المغاير ، ويعني به أن تكون احدى الكلمتين المتجانستين اسما والأخرى فعلا ، كما صرّح بهذا المعنى وكرّره كثيرا في تفسيره ، والتعريف الذي أورده الإمام أبو حيّان للتجنيس المغاير ذكره الإمام المصري ، فيحتمل أن يكون الإمام أبو حيّان نقله عنه واعتمده ، والجناس الواقع في هاتين اللفظتين ينطبق عليه التعريف المذكور فإنّ إخراج الأولى اسم ، والثانية فعل.

3613 ـ سورة البقرة : الآية 240

3614 ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 255 .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾«[3615]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وذكروا في هذه الآية أنواعا من الفصاحة والبلاغة ... والتجنيس المغاير في ترونهم مثليهم رأي العين »«[3616]».

فالإمام أبو حيّان ينصّ على تضمن هذه الآية لمحسن الجناس ، مع تعيينه مخبرا أنّه بين لفظتي « ترونهم» و«رأي» ، ثمّ ذكر نوعه بأنّه من التجنيس المغاير ، وقد سبق بيان معنى هذا التجنيس وحقيقته ، وهو أن تكون احدى اللفظتين فعلا والأخرى اسما ، وقد اجتمعت في هذا المثال فلفظة « ترونهم » فعل «ورأي» اسم .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾«[3617]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة ، والبلاغة ، والبديع ... والتجنيس المماثل في مالك الملك »«[3618]».

فالإمام أبو حيّان ينصّ على تضمن هذه الآية لمحسن الجناس ، مع تعيينه مخبرا أنّه بين «مالك » و « الملك » وقد سمّى هذا الجناس مماثلا ، وحقيقة هذا الجناس هو الاشتقاق وهذا النوع من الجناس يسميه البلاغيون الجناس الاشتقاقي ، فمالك والملك في الآية مصدرهما واحد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3615] ـ سورة آل عمران : الآية 13

[3616] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 415 .

[3617] ـ سورة آل عمران : الآية 26

[3618] ـ تفسير البحر المحيط ج 2 ، ص 440.

وقد ذكر ورود الجناس في هذه الآية بين هاتين اللفظتين الإمام السمين الحلبي ، حيث قال: « واشتملت هذه الآية على أنواع من البديع منها : التجنيس المماثل في قوله : « مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ »«[3619]» ، فيظهر من كلام الإمام السمين الحلبي نقله عن الإمام أبي حيّان القول بوجود الجناس بين هاتين اللفظتين ، كما أنّه جاراه في التسمية ، كما ذكر وقوع الجناس الإمام ابن عادل«[3620]» ،وهو أيضا ناقل عن الإمام أبي حيّان .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾«[3621]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الآيات ... والتجنيس المماثل في يغل وما غلّ ، »«[3622]»

في هذا النّص تصريح من الإمام أبي حيّان بتضمن هذه الآية للتجنيس مع تحديده وبيان نوعه ، فالجناس بين لفظتي : « يغل »و «غلّ» ، وأمّا نوعه فقد سمّاه المماثل ، ويمكن أن يكون مقصوده بالمماثل هو التماثل في المصدر أو أغلب الحروف ، وحقيقة هذا الجنّاس أنّه من الجناس الناقص الذي ينقص فيه حرف أو أكثر من أحد اللفظين المتفقين لكنّهما يختلفان بزيادة حرف أو نقصانه ، فاللفظة الأولى في هذه الآية بزيادة ياء في قوله تعالى: «يَغُلَّ » والثانية بدون ياء في قوله :«غَلَّ » فاللفظان متفقان لكنّهما مختلفان في عدد الأحرف . وقد نصّ على وقوع الجناس في الآية الإمام السمين الحلبي ، حيث قال : « واشتملت هذه الآيات على الطباق... والتجنيس المماثل

[3619]ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 1 ، ص 738 .
[3620]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 5، ص 135
[3621]ـ سورة آل عمران : الآية 161
[3622]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 120 .

في: « يغل» و «بما غلّ»»«3623».وفيما ذكره دليل قوي على إفادته هذا المعنى ونقله عن الإمام أبي حيّان دون التصريح بذلك .

المطلب الرابع : التتميم

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾«[3624]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وقد تضمنت هذه الآية الكريمة والتي قبلها أنواع من الفصاحة ، وضروبا من علم البيان والبلاغة ... والاختصاص في حقا على المحسنين ، ويمكن : أن يكون من التتميم ، لما قال: حقا أفهم الإيجاب ، فلمّا قال : على المحسنين تمّم المعنى، وبيّن أنّه من باب التفضل والإحسان ، لا من باب الإيجاب ، فلمّا قال على المحسنين تمّ التعميم »«[3625]» .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾«[3626]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الجملة أنواعا من الفصاحة والبديع ... والتتميم ، وهو أن يتبع الكلام كلمة تزيد المعنى تمكنا وبيانا للمعنى المراد ، وهو في قوله : «قولا بليغا » ، أي يبلغ إلى قلوبهم ألمه أو بالغا في زجره »«[3627]».

ففي هذا تصريح من الإمام أبي حيّان بتضمن هذه الآية للتتميم ، وقد ذكر أنّه في لفظة «قولا بليغا » ، وليجلي هذا النوع ويوضحه في اللفظة قام بتعريفه مع بيان الوجه الذي تمّ به الكلام في هذه اللفظة ، وذلك بيّن في قوله : « أي يبلغ إلى قلوبهم ألمه أو بالغا في زجره » .

[3623]ـ الدر المصون في تفسير الكتاب المكنون : ج 1 ، ص 976 .

[3624] ـ سورة البقرة : الآية 236

[3625] ـ البحر المحيط : ج 2 ، ص 242 .

[3626] ـ سورة النساء : الآية 63

[3627]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 305 ـ 306 .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾«[3628]» .

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبيان والبديع منها : ... والتتميم في قوله : «وهو معهم» للإنكار عليهم ، والتغليظ لقبح فعلهم ، لأنّ حياء الإنسان ممّن يصحبه أكثر من حيائه وحده »«[3629]»

يشير الإمام أبو حيّان في هذه الفقرة لوجود تتميم تضمنته هذه الآية ، وقد قام بتعيينه مخبرا أنّه في لفظة : «وهو معهم » ثمّ وجّه هذا التتميم وبيّن الغرض منه ، عندما أخبر أنّه قصد منه الإنكار عليهم أي : المنافقين كيف لا يستحيون من الله وهو معهم بعلمه محيط بهم ، فلا شك ولا ريب أنّ من كان معه إنسان آخر يستحي أن يفعل بحضرته أشياء غير محمودة ، فكيف بالباري سبحانه وتعالى الذي أحق من وجب الاستحياء منه ، فلفظة : «وهو معهم» تمّمت المعنى المقصود ، وهو وجوب الاستحياء من الله واستحضار مراقبته .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾«[3630]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنّت هذه الآيات من البلاغة والبيان والبديع أنواعا : التتميم في ومن أصدق من الله حديثا »«[3631]».

[3628] ـ سورة النّساء : الآية 108

[3629] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 363 .

[3630] ـ سورة النساء : الآية 87

[3631] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 340 .

فالإمام أبو حيّان يشير في هذا النص لوجود تتميم في الآية ، وهو عند قوله تعالى :﴿ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾«[3632]»

فهذه العبارة أتمّت معنى وكملته ، وهو أنّه سبحانه وتعالى صادق في كلّ أقواله وأنّ الكذب منفي عنه عزّ وجل ، ولا يجوز في حقه ، وقوى هذا التتميم افتتاحه بالاستفهام المتضمن للإنكار ، أي إنكار أن يكون الكذب جائزا عليه .

ـ المطلب الخامس : التقسيم

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾«[3633]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنّت هذه الآيات من البيان والبديع ضروبا من ذلك ... والتقسيم في منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة »«[3634]».

فالإمام أبو حيّان يشير إلى تضمن الآية للتقسيم الذي هو أحد فنون البديع ، وقد حدّده وبيّنه عندما أخبر أنّه في قوله تعالى: «مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ » فالله عزّ وجل قسّم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صنفين أو قسمين صنف يبغي الآخرة ، وصنف يبغي الدنيا ، وهذا لما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد نتيجة مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم والسعي في طلب الغنائم من المشركين لما هزموا في بداية الأمر .

[3632] ـ سورة النساء : الآية 87

[3633] ـ سورة آل عمران : الآية 152

[3634] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾«[3635]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وقد تضمّنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبيان والبديع ... والتقسيم في : فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه »«[3636]» .

فهذا نصّ صريح من الإمام أبي حيّان يؤكد فيه تضمن هذه الآية للتقسيم مع تعينه ، و هو في قوله تعالى : «فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ» ، ففي هذه العبارة قسّم المولى جلّ وعلا أحوال النّاس في شأن نبيّه إبراهيم عليه السلام ، حيث أخبر أنّ منهم من آمن به ، ومنهم من صدّ عنه ، فهو تقسيم .

في تفسير قوله تعالى :﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾«[3637]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الجملة أنواعا من الفصاحة والبديع ... والتقسيم البليغ في قوله : من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »«[3638]».

فالإمام أبو حيّان يشير إلى تضمن هذه الآية للتقسيم ، وقد قام بتعيينه عندما ذكر أنّه في «من النبييّن والصديقين والشهداء والصالحين » وهذا تقسيم صريح لحال أولئك الذين أنعم الله عليهم.

[3635] ـ سورة النّساء : الآية 55

[3636] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 287 .

[3637] ـ سورة النساء : الآية 69

[3638] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3، ص 306 .

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾«[3639]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الآيات من البلاغة والبيان والبديع أنواعا ...والتقسيم في : ومن قتل إلى آخره »«[3640]».

فالإمام أبو حيّان ينَص على تضمن هذه الآية للتقسيم مع تحديه بإخباره أنّه في : «ومن قتل إلى آخره» وهذه الآية قد قسّمت أصناف المقتولين خطأ لبيان ما يترتب على كل قسم من كفارة ، ولم أجد من المفسرين من أشار إلى هذا التقسيم .

ـ المطلب السادس : الاحتجاج النّظري (المذهب الكلامي)

الاحتجاج النّظري أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام أبي حيّان له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه

الاحتجاج مصدر مشتق من الحجة ، يقال : «احتج بالشيء اتخذه حجة ، والحجة الدليل والبرهان ، يقال : حاججته فأنا محاج وحجيج ، وحجه يحجه حجا غلبه على حجته »«[3641]».

فالمادة اللغوية من هذا المعجم تفيدنا بأنّ مقصود الكلمة يرجع لمعنى طلب الدليل الذي يدفع الشخص حجي خصمه المحاج والمناظر له في شيء ما .

هذا فيما يتعلق بالجانب اللغوي .وأمّا في الجانب الاصطلاحي عند البلاغين فإنّ هذا المحسن اشتهر عند البلاغيين القدامى باسم المذهب الكلامي ، وتصرف بعض المتأخرين منهم في التسمية ، فسمّاه بعضهم بالاحتجاج النّظري ، وبعضهم بإلزام الخصم بالحجة ، وأي كانت التسمية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3639] ـ سورة النساء : الآية 92

[3640] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 340.

[3641] ـ لسان العرب : ج 2 ، ص 226 مادة ـ حجج ـ

فهو لون من أول البديع القديمة والأولى ، فقد ذكره ابن المعتز وجعله الفنّ الخامس من فون البديع التي جمعها في كتابه ، ونسب تسميته إلى الإمام الجاحظ ، فقال: « وهو مذهب سمّاه عمرو بن الجاحظ المذهب الكلامي ، وهذا باب ما أعلم أنّي وجدت في القرآن منه شيئا ، وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »«[3642]» ووجه اعتراضه عليه وامتعاضه منه كما يرى البعض أنّه فهم منه ضرورة استعمال أساليب الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال والمناظرة وتطبيقها في القرآن الكريم «[3643]».

وبعد ابن المعتز تتابع البلاغيون في الإشارة إليه والحديث عنه بالشرح والتحليل لما يورد من شواهد ونماذج عليه ، منهم الإمام أبو هلال العسكري«[3644]» والإمام ابن رشيق القيرواني«[3645]» وغيرهم ، وفي ضوء هذه الإشارات بدأت تتضح معالم هذا المحسن وتظهر أكثر فأكثر مما ساعد المتأخرين من البلاغين في وضع حد وتعريف يضبط به هذا المحسن ، وممّن تعرّض له بالتعريف الإمام ابن الأصبغ المصري . فقال :« المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ، لأنّه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية . وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ وزعم ابن المعتز أنّه لا يوجد في الكتاب العزيز وهو محشو منه »«[3646]» . وعرّفه الإمام ابن مالك بقوله : « المذهب الكلامي أن تورد مع الحكم ردا لمنكره حجة على طريق المتكلمين أي صحيحة مسلمة الاستلزام. وينقسم إلى منطقي و جدلي ، فالمنطقي ما كانت حجته برهانا يقيني التأليف قطعي الاستلزام ، والجدلي ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلاّ الرجحان . وأوّل من ذكر المذهب الكلامي الجاحظ وزعم أنّه

[3642]ـ البديع : ص 53

[3643] ـ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، ص 37 .

[3644]ـ الصناعتين الكتابة والشعر : ص 123

[3645]ـ العمدة في محسان الشعر وآدابه : ج 2، ص 78 ـ 79

[3646] ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، د ط ، تحقيق حفني محمد شرف ـ القاهرة ـ 1383هـ ، : ص 119 .

ليس في القرآن منه شيء ، ولعلّه إنّما عني القسم المنطقي فإنّ الجدلي في القرآن منه كثير »«3647».

ولما جاء الإمام القزويني ولخّص كتاب المفتاح للإمام السّكاكي أدرج المذهب الكلامي ضمن المحسنات المعنوية وعرّفه قائلا : « هو أن يريد المتكلم حجة لما يدّعيه على طريقة أهل الكلام »«3648» .

وسار شراح التلخيص على إدراجه ضمن المحسنات المعنوية .

وأمّا عن إشارة الإمام أبي حيّان له فقد نبّه عليه في بعض المواضع في تفسيره منها :

عند تفسير قوله تعالى :﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾«3649». قال ـ رحمه الله ـ : « وتضمنت هذه الآيات ... والمذهب الكلامي في فلم قتلتموهم »«3650» .

في هذا النّص تصريح من الإمام أبي حيّان باحتواء هذه الآية على محسن بديعي هو المذهب الكلامي أو ما يسمى بالاحتجاج النظري ، وقد عيّنه عندما أخبر أنّه في لفظة « فلم قتلتموهم » بيد أنّه لم يحلل ويبين وجه الاحتجاج فيه ، ووجه أنّه لما سبق من الكفار زعمهم أنّ الله أخذ عليهم العهد والميثاق ألاّ يؤمنوا لرسول حتّى يأتيهم بالبراهين والمعجزات ، فكذّب الله تعالى زعمهم الكاذب بدليل عقلي قاطع ودامغ لحجتهم وهو أنّه قد أرسل إليهم رسلا قبل محمد صلى الله عليه وسلم كموسى وزكريا ويحي وعيسى جاؤوهم بالبينات فقتلوهم ، فلو كانوا صادقين في زعمهم لما قتلوهم ، فهذا دليل على كذبهم .

[3647] ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع: ص 94

324 ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 341

[3649] ـ سورة آل عمران : الآية 183

[3650]ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 140 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾«[3651]».

قال ـ رحمه الله ـ :« الظاهر أنّ المضمر فيه عائد على القرآن ، وهذا في علم البيان الاحتجاج النظري ، وقوم يسمونه المذهب الكلامي »«[3652]» .

في هذا النّص تصريح من الإمام أبي حيّان بتضمن هذه الآية لمحسن المذهب الكلامي أو ما يعرف بالاحتجاج النظري ، لكنّه لم يوجه ويوضحه ، ووجهه في الآية والله أعلم أنّه سبحانه وتعالى أمر الكفار والمنافقين الشاكين في كون القرآن من عنده والشاكين فيما جاءهم به النبي صلى الله عليه وسلم من التعاليم والشرائع التي تضمنها هذا الكتاب ، أن يتدبروا القرآن بإعمال النظر الدقيق في ألفاظه ومعانيه فإنّ هذا التدبر سيوصلهم إلى حقيقة ثابتة وهي أنّ هذا القرآن من عند الله ، لأنّه لو لم يكن من عنده سبحانه وتعالى لوجدوا فيه جملة من المتناقضات ،وفي هذا كلّه إعمال لدليل عقلي على إبطال زعم هؤلاء الكفار والمنافقين .

في تفسير قوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾«[3653]»

قال ـ رحمه الله ـ : « أي أنشأناه واخترعناه من العدم الصرف إلى الوجود ، فكيف ينكر النشأة الثانية ، وهذه الحجة في غاية الاختصار والالزام للخصم ، ويسمى هذا النوع الاحتجاج النظري ، وبعضهم يسميه المذهب الكلامي ، وقد تكرّر هذا الاحتجاج في القرآن »«[3654]».

في هذا النّص تصريح من الإمام أبي حيّان بتضمن هذه الآية لمحسن الاحتجاج النظري أو ما يعرف بالمذهب الكلامي ، وقد قام بتوجيهه في الآية عندما بين أنّه قصد به إلزام الخصم الحجة

[3651] ـ سورة النساء : الآية 82

[3652] ـ تفسير البحر المحيط : ج 3 ، ص 317 .

[3653] ـ سورة مريم : الآية 67

[3654] ـ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 195,

على إنكاره البعث والإحياء بعد الموت ، لأنّه لو تدبّر في نفسه كيف وجد من العدم أول مرّة ما استكبر وأنكر إحياءه بعد موته مرة أخرى .ولم أجد من أشار من المفسرين لتضمن هذه الآية للمذهب الكلامي ،إلاّ كلاما للإمام أبي السعود قريب من حقيقة الاحتجاج النظري ومقصوده ، حيث قال: « ففيه إثبات للبعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجه وآكده كأنّه أمر واضح غني عن التصريح به »«[3655]» وتبع الإمام أبا السعود في تقرير هذا المعنى الإمام الألوسي«[3656]» فنقل نفس كلام الإمام أبي السّعود .

ـ المطلب السابع : الاحتراس

الاحتراس أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام أبي حيّان له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه.

الاحتراس في اللغة مأخوذ من الفعل احترس ، يقال :« حرس الشيء يحرسُه ويحرِسُه حرْسا حفظه . واحترس منه تحرّز وتحرّست من فلان . واحترست منه بمعنى أي: تحفظت منه »«[3657]» وقال الإمام الزبيدي : « حرسه يحرُسه ويحرِسه حرْسا وحراسة ، بالكسر حفظه فهو حارس»«[3658]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ مدلول الكلمة يرجع لمعنى الاحتراز والحفظ ، هذا في الجانب اللغوي ، أمّا في الجانب الاصطلاحي فقد عرّفه الإمام ابن مالك بقوله : « الاحتراس أن تأتي في المدح أو غيره بكلام فتراه مدخولا بعيب من جهة دلالة منطوقه أو فحواه فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ»«[3659]» .

[3655] ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 5، ص 275

[3656] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج ، ص

[3657] ـ لسان العرب : ابن منظور ، ج 6 ، ص 48 ـ مادة حرس ـ

[3658] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 15 ، ص 531 ـ مادة حرس ـ

[3659] ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع : ص 215

وعرّفه الإمام ابن القيم بقوله : « وهو أن يذكر لفظا ظاهره الدعاء بالخير وذلك بما في ضمنه ممّا يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهن وتدفع ذلك الوهن »«[3660]».

وأمّا عن إشارة الإمام أبي حيّان له في تفسيره فقد ذكره في بعض المواضع ونبّه عليه منها :

في تفسير قوله تعالى :﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ﴾«[3661]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وذكروا في هذه الآية أنواعا من الفصاحة والبلاغة ... والاحتراس : في رأي العين قالوا لئلاّ يعتقد أنّه من رؤية القلب ، فهو من باب الحرز وغلبة الظنّ »«[3662]».

فالإمام أبو حيّان يشير إلى تضمن هذه الآية نوعا من البديع يعرف بالاحتراس ، ولقد حدّده وبيّن الوجه المحترز منه ، عندما أخبر أنّه سبحانه وتعالى أكّد الرؤية بالعين ليحترز بها عن الرؤية القلبية ، فكلمت رأي العين دفعت توهم أن تكون الرؤية قلبية .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾«[3663]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي هذه الآيات من ضروب الفصاحة والبديع ...والاحتراس في وكهلا ، من ما جرت به العادة أنّ من تكلم في حالة الطفولة لا يعيش »«[3664]»

في هذا النّص يصرّح الإمام أبو حيّان بوجود محسن بديعي في الآية وهو ما يعرف بالاحتراس ، ولقد قام بتعيينه وتحديده مع بيان الوجه المحترز منه ، عندما ذكر أنّ لفظة وكهلا جيئت ليحترز بها من شيء كان سائدا عند الناس ، وهو أنّه من تكلم في المهد أو الطفولة لا يعيش ، فلفظة

[3660]ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : ص 152

[3661]ـ سورة آل عمران : الآية 13

[3662]ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 416 .

[3663]ـ سورة آل عمران : 46

[3664]ـتفسير البحر المحيط :ج 2 ، ص 474 .

كهلا دفعت ذلك المتوهم وأزالته وقرّرت أنّ عيسى عليه السلام يبلغ سنّ الكهولة ، وقد نصّ على وجود الاحتراس في هذه الآية ، أو بالأحرى مثّل بها عليه الإمام الزركشي ، حيث قال : « وقوله : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾«[3665]». وإنّما ذكر الكهولة مع أنّه لا إعجاز فيه ، لأنّه كان في العادة أنّه من يتكلم في المهد لا يعيش ، ولا يتمادى به العمر فجعل الاحتراس بقوله : «وكهلا »«[3666]»

ـ المطلب الثامن : الترديد

في تفسير قوله تعالى :﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ ﴾«[3667]»

قال ـ رحمه الله ـ: « قيل : وتضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبلاغة ، والبديع ...وردّ العجز على الصدر في تولج وما بعده »«[3668]» .

فالإمام أبو حيّان يشير إلى تضمن هذه الآية لنوع من أنواع البديع ، وهو ما يسمى بالترديد أو رد الأعجاز على الصدور ، وقد قام بتعينه مبينا أنّه في لفظة تولج وما بعد ،وتوضيح ذلك : أنّه لفظة تولج الثانية ردّت على تولج الأولى التي في صدر الكلام ، وردّت لفظة تخرج الثانية على الأولى التي لها صدر الكلام .

وقد أشار إلى تضمن هذه الآية للترديد الإمام السمين الحلبي فقال : « واشتملت هذه الآية على أنواع من البديع ... ومنها ردّ الأعجاز على الصدور ، والصدور على الأعجاز في قوله تولج اليل والنهار وتولج النهار في الليل ، وفي قوله : « وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» ، ونحوه

[3665] ـ سورة آل عمران : 46

[3666] ـ تفسير البرهان في علوم القرآن : ج 3 ، ص 67 .

[3667] ـ سورة آل عمران : الآية 27

[3668] ـ البحر المحيط : ج 2 ، ص 440 .

عادات السادات سادات العادات »«[3669]» وهذا النّص من الإمام السمين الحلبي يكون من الأرجح قد نقله عن الإمام أبي حيّان دون التصريح بذلك ، فإنّه كثير ما ينقل عنه هذه المسائل اللغوية والبيانية دون نسبتها إليه وبالرجوع إلى البحر وجدت هذه النصوص مبثوثة فيه ، كما نبّه على تضمن هذه الآية للترديد الإمام ابن عادل«[3670]» ، وما ذكره هو نفس ما أورده الإمام السمين الحلبي بحرفه ، ففي هذا دليل قوي على نقلهما من الإمام أبي حيّان وإفادتهما منه في هذه المباحث البلاغية وغيرها من القضايا اللغوية .

ـ المطلب التاسع : اللّف والنّشر

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾«[3671]»

قال ـ رحمه الله ـ : « وقال الزّمخشري هذا من باب اللّف وترتيبه : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار ، إلاّ أنّه فصل بين الفريقين الأولين بالقرنيين الآخرين لأنّهما زمانان ، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على ذلك ...»«[3672]»

فالإمام أبو حيّان ينقل عن الزمخشري تصريحه بتضمن هذه الآية للف والنّشر ، وهذا النوع من اللف والنّشر جاء في الآية على غير الترتيب ، ولقد بيّن الإمام الزمخشري تقديره على وجه الترتيب عندما قال : «ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار » وهذا يعني أنّ هذان الفعلان حاصلان في الزمانين ، ولقد نبّه الإمام الطيبي على تضمن هذه الآية للّف واستعان بكلام الإمام الزمخشري في إيضاحه كما صنع الإمام أبو حيّان «[3673]» ،كما أشار إلى اللف في هذه الآية

[3669]ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج 2 ، ص 58

[3670] ـ اللباب في علو م الكتاب : ج 5 ، ص 136

[3671] ـ سورة الروم : الآية 23

[3672]ـ البحر المحيط : ج 7 ، ص 162 .

[3673]ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 325

وحكى كلام الإمام الزمخشري الإمام السيوطي «[3674]» ، وممّن أشار إلى اللف من المفسرين الإمام الرازي«[3675]» ،والإمام النّسفي«[3676]»، وأبو السّعود«[3677]».

ـ المطلب العاشر : الترصيع

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾«[3678]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وفي هذه الجمل من أنواع البديع نوع يسمى الترصيع ، وهو أن يكون الكلام مسجوعا »«[3679]».

فالإمام أبو حيّان يصرح بتضمن هذه الآية للترصيع الذي هو أحد أنواع البديع ، لكن دون تحديده وتعيينه ، وهو في هذه الآية واقع في موضعين بين لفظتي : «اتبعوا واتبعوا »، وبين لفظتي : «العذاب والأسباب »، ففي اتبعوا واتبعوا تساوي في الوزن واتفاق في الأعجاز ، وكذلك الحال بالنسبة للعذاب والأسباب ، ولقد نصّ على تضمن هذه الآية للترصيع الإمام السمين الحلبي فقال: « وقد وجد نوع من أنواع البديع هو الترصيع ، وهو : عبارة عن تسجيع الكلام ، وهو هنا في موضعين ، أحدهما : « اتبعوا من الذين اتبعوا » ، ولذلك حذف عائد الموصول ، فلم يقل : اتبعوهم لفوات ذلك ، والثاني : « ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب » وهو كثير في القرآن »«[3680]» ، كما أشار إلى الترصيع في هذه الآية الإمام ابن عادل «[3681]».

[3674]ـ الإتقان في علوم القرآن : ج 2 ، 252

[3675]ـ مفاتح الغيب : ج 25، ص 96

[3676]ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج 3، ص 216

[3677]ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ج 7، ص 57

[3678] ـ سورة البقرة : الآية 166

[3679] ـ تفسير البحر المحيط : ج 1 ، ص 646 .

[3680]ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ج 1 ، ص 431 .

[3681]ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 3 ، ص 146 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ المطلب الحادي عشر : التلميح

التلميح أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام أبي حيّان له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه.

التلميح مشتق في اللغة من الفعل لمح ، قال الإمام الجوهري ـ رحمه الله ـ : « لمحه وألمحه والتمحه إذا أبصره بنظر خفيف»«[3682]» ، وقال الإمام ابن منظور ـ رحمه الله ـ : « لمح إليه يلمح لمحا وألمح اختلس النّظر »«[3683]».

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع لمعنى النّظر باختلاس .

هذا في الجانب اللغوي ، وأمّا في الجانب الاصطلاحي ، فقد عرّفه الإمام الامام الرازي بقوله : « هو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره»«[3684]» . وأدرجه الإمام القزويني في باب السرقات الشعرية معرّفا إيّاه بقوله : «وأمّا التلميح فهو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره »«[3685]».

هذا فيما تعلق ببيان معناه ، وأمّا عن ذكر الإمام أبي حيّان له في تفسيره فقد أشار إليه في موضع واحد فحسب وذلك :

[3682] ـ الصحاح : ج 1، ص 425 ـ مادة لمح ـ

[3683] ـ لسان العرب : ج 2، ص 584 ـ مادة لمح ـ

[3684] ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :ص 112

[3685] ـ الإيضاح : ص 388 .

عند تفسير قوله تعالى :﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾«[3686]».

قال ـ رحمه الله ـ : « قيل : وقوله: «مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ» ، فيه نوع من البديع يسمى التلميح ، وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر ، أو قصة مشهورة ، أو ما يجري مجرى المثل ، ومنه قول يسار بن عدي حين بلغه قتل أخيه ، وهو يشرب الخمر :

اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر من بين إنعام وإيئاس »«[3687]».

فالإمام أبو حيّان يشير لتضمن هذه الآية لمحسن بديعي وهو التلميح مع تحديد موقعه في الآية وتعريفه ، عندما قال: « وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر ...» ، وهو في تعريفه موافق لتعريف البلاغيين له ، وليؤكد ـ رحمه ـ الله هذا التعريف قام بالتمثيل عليه والاستشهاد ببيت ليسار بن عدي ، ولقد أشار إلى هذا التلميح في هذه الآية الإمام ابن عادل ، حيث قال «: قال : بعضهم وفي الآية نوع من البديع ، يسمى التلميح وهو أن يشار إلى قصة مشهورة ، أو مثل سائر ، أو شعر نادر ، في فحوى كلامك من غير ذكره »«[3688]».

وهذا النّص فيه احتمال كبير أن يكون الإمام ابن عادل نقله عن الإمام أبي حيّان دون التصريح باسمه في العزو مكتفيا بقوله : «قال بعضهم» ، كما نقل بعض المصنفين في إعراب القرآن هذا الكلام عن الإمام أبي حيّان وأقروا بتضمن هذه الآية للتلميح ، منهم محمود بن عبد الرحمان صافي«[3689]» ، ومحي الدين درويش«[3690]».

[3686] ـ سورة التوبة : الآية 91 .

[3687] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 88 .

[3688] ـ اللباب في علوم الكتاب : ج 10، ص 171

[3689] ـ الجدول في إعراب القرآن : ج 11، ص 8

[3690] ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه : ج 4، ص 152

ـ المطلب الثاني عشر : التجريد

التجريد أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وقبل الحديث عن إشارة الإمام أبي حيّان له في تفسيره ، وجب الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ هذا أدعى لتجلية حقيقته وبيان وجه الحسن فيه.

التجريد في اللغة مأخوذ من الفعل جرّد ، يقال : « جرَد الشيء يجرده جردا وجرّده قشَره . وجرد الجلد يجردُه جردا نزع عنه الشعر وكذلك جرَّده »«[3691]» وقال الإمام الزبيدي : « وجرَدهُ ، أي الشيء يجردُه جرْدا وجرّده تجريدا قشره . وجرَد الجلد يجرُده جرْدا نزع عنه شعره . وكذلك جرّده تجريدا »«[3692]»

فالمادة اللغوية من هذين المعجمين تفيدنا بأنّ أصل الكلمة ومدلولها يرجع لمعنى النّزع والانتزاع .هذا في الجانب اللغوي ، وأمّا في الجانب الاصطلاحي . فقد عرّفه الإمام الامام ابن مالك بقوله : « التجريد أن تدل على أنّ الشيء بليغ في وصف بدعوى ما يستلزم صحة استخلاص موصوف تهيأ منه ، كما تقول : «لي من فلان صديق حميم» على دعوى أنّه قد بلغ من الصداقة مبلغا صحّ معه أن يستخلص منه مثله فيها »«[3693]». وعرّفه الإمام القزويني قائلا : « وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها »«[3694]».

هذا فيما تعلق بتعريف البلاغين له وأمّا عن إشارة الإمام أبي حيّان له في تفسيره فقد ذكره في موضع واحد وذلك :

[3691] ـ لسان العرب : ابن منظور ، ج 3 ، ص 115 ـ مادة جرد ـ

[3692] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : ج 7، ص 488 ـ مادة جرد ـ

[3693] ـ المصباح في المعاني و البيان والبديع : ص 236

[3694] ـ الإيضاح في علوم البلاغة : ص 338

في تفسير قوله تعالى :﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾«[3695]».

قال ـ رحمه الله ـ : « وقرأ علي وابن عباس والجحدري «يرثني وارث من آل يعقوب » قال أبو الفتح هذا هو التجريد التقدير : يرثني منه وارث ، وقال الزمخشري : وارث أي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان »«[3696]».

فالإمام أبو حيّان ينقل عن الإمام الزمخشري قوله بتضمن هذه الآية للتجريد على قراءة ابن عباس رضي الله عنه « يرثني وارث من آل يعقوب» والمعنى على هذه القراءة : هب لي من لدنك وليا يرثني منه أو به وارث ، فهو بهذا جرّد من الوالي وارثا ، وقد نقل الإمام الزمخشري عن الإمام ابن جني نصه على وقوع التجريد على هذه القراءة«[3697]» ، ففي هذا كلّه يكون الإمام أبو حيّان قد أخذ الكلام من الإمام الزمخشري ، وضمنّه في تفسيره ، وممّن نبّه على وقوع التجريد بناء على هذه القراءة الإمام الطيبي فقال : « أو على طريق الكناية كقراءة من قرأ :« فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب» أي يرث به ، أو منه وارث ، وهو الوارث نفسه ، فكأنّه جرّد من الوالي وارثا »«[3698]».

وفي ختام الحديث عن جهود الإمام أبي حيان ـ رحمه الله ـ في تناول مباحث البديع في تفسيره يمكن تسجيل جملة من الملاحظات :

ـ اهتمامه بمسائل البديع حيث أورد مجموعة من المحسنات المعنوية واللفظية ونصّ على تضمن كثير من الآيات القرآنية لهذه الفنون

ـ من منهجه في إيراد هذه المحسنات أنّه يهتم أولا ببيان المحسن في الآية وذلك بتعينه وتعريفه في الغالب مع تحليله وتوضيحه .

[3695] ـ سورة مريم : الآية 6

[3696] ـ تفسير البحر المحيط : ج 6 ، ص 165.

[3697] ـ الكشاف : ج 3 ، ص 7

[3698] ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص 233.

ـ نقله لكثير من هذه المحسنات عمّن سبقه من المفسرين أو اللغوين كما هو الشأن في نقله عن الزمخشري وسيبويه وابن جني .

ـ الحرص على التمثيل للمحسن البديعي بشواهد من النثر والشعر ممّا يساعد على فهمه في الآية ويقربه .

المبحث السابع : البديع في تفسير الإمام ابن عرفة :

لقد ترددت الإشارة لجملة من فنون البديع في تفسير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ حيث اهتم في تفسيره إلى حد لا بأس به بالمحسنات اللفظية والمعنوية . وكان له منهج في إيرادها ، وهذا ما أسعى لإيضاحه وبيانه إن شاء الله في هذا المبحث

ــ المطلب الأول: اللّف والنّشر

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾«[3699]»

قال ـ رحمه الله ـ : « قال ابن عرفة : هذا لف ونشر ، لأنّه لما تقدّم ذكر المثل ، وذكر بعده الفريقين عقبه ببيان أنّه يضل به قوما ويهدي به آخرين ، واللف والنشر قسمان : موافق كقوله تعالى : ﴿ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ ﴾«[3700]»، ومخالف كقوله تعالى :

[3699] ـ سورة البقرة : الآية 26

[3700] ـ سورة هود : الآيتان 5 ـ 6

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾«[3701]» ، قال وحكمة ذلك في الجمع الاهتمام بمقام التخويف والإنذار ، فلذلك بدأ بأهل الشقاوة في الآيتين »«[3702]».

في هذا النّص المنقول عن الإمام ابن عرفة تصريح بتضمن هذه الآية لمحسن اللّف والنّشر مع توجيهه بشيء من الاقتضاب ، وبيانه في الآية أنّه لما سبق ضرب المثل منه سبحانه وتعالى في : قوله : «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة » اختلفت أحوال النّاس في هذا المثل المضروب فإنّ منهم المؤمن والكافر فأجمل سبحانه وتعالى حالهم في الانتفاع به أو عدم الانتفاع به ، ثمّ فصّل هذا الإجمال بشيء من التفصيل بيّن فيه أحوالهم ، ولذلك أتى بلفظ «فأمّا » التي تستعمل لهذا الغرض ، ففصّل قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴾»«[3703]» النّاس اتجاه هذا المثل إلى قسمين ، لكن لما بقي في الجملتين المصدرتين بأمّا الموضوعتين للتفصيل شيء من الإجمال أعقبه بتفصيل وتفسير وبيان لهما بقوله تعالى : « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا » فكلمة يضل به كثيرا راجعة إلى قوله :« وأمّا الذين كفروا » وكلمة يهدي به كثيرا راجعة إلى قوله : « فأمّا الذين آمنوا » فلفّ في الجملتين الأولتين ثمّ نشر في الثانيتين ، وهذه هي حقيقة اللف والنّشر الموجودة في الآية والله أعلم .

هذا وقد نصّ على وجود اللف والنشر في الآية الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « ولما كان في النّاس مؤمنون وكافرون وكلا الفريقين تلقى ذلك المثل واختلفت حالهم في الانتفاع به نشأ في الكلام إجمال مقدّر اقتضى تفصيل حالهم ، وإنّما عطف بالفاء لأنّ التفصيل حاصل عقب الإجمال ... «يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا » بيان وتفسير للجملتين المصدرتين بأمّا على طريقة

[3701] ـ سورة آل عمران : الآية 106

[3702] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 83

[3703] ـ سورة البقرة : الآية 26 .

النّشر المعكوس ، لأنّ معنى هاتين الجملتين قد اشتمل عليهما معنى الجملتين السالفتين إجمالا فإنّ علم المؤمنين أنّه الحق من ربّهم هدى ، وقول الكافرين : ماذا أراد الله إلخ ضلال »«[3704]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾»«[3705]»

قال ـ رحمه الله ـ : « »«[3706]قال ابن عطية : سببها أنّهم كانوا في الجاهلية يدعون في مصالح الدنيا فقط إذ كانوا لا يعرفون الآخرة فنهوا عن ذلك ، قال ابن عرفة : فتقدير السببية على هذا إمّا أنّهم نهوا عن الاقتصار في الدّعاء بمصالح الدنيا فقط ، وأمروا بالشعور بالآخرة واستحضار وجودها، قال : ويحتمل تقدير السببية بوجهين آخرين :

أحدهما : أنّ في الآية اللف والنشر من يقول ربّنا آتنا راجع إلى لقوله تعالى :﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾«[3707]» ، وقوله تعالى :﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾: «[3708]» حسن راجع إلى قوله : «أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا»«[3709]».

في هذا النّص يقدّر الإمام ابن عرفة احتمال وجود محسن اللف والنّشر في الآية مع توجيه هذا التقدير ، فأخبر أنّ جملة :«فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا»«[3710]» راجعة إلى قوله تعالى : « كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ »«[3711]» وأنّ جملة: « وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي

[3704]ـ التحرير والتنوير : ج 1 ، ص 363 ـ 365

[3705]ـ سورة البقرة : الآية 200.

[3706]ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 245 ـ 246

[3707]ـ سورة البقرة : الآية 200

[3708]ـ سورة البقرة : الآية 201

[3709]ـ سورة البقرة : الآية 200

[3710]ـ سورة البقرة : الآية 200

[3711]ـ سورة البقرة : الآية 200

ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً »«[3712]» راجعة إلى قوله تعالى : «أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا»«[3713]» وعليه فيكون المعنى : إنّ الذين يذكرون آباءهم في مناسك الحج ويفتخرون بهم هم الذين يسألون أمور الدنيا دون الآخرة وأنّ الذين يذكرون الله ذكرا كثيرا هم الذين يسألون الله خير الدنيا والآخرة .

وما قدّره الإمام ابن عرفة في الآية لم أجد من ذهب إليه من المفسرين ، فهذا يعدّ من انفراداته ، وإنّما الذي نبّه و أشار إليه بعض المفسرين هو وجود محسن التقسيم في الآية ، وممّن أشار إلى ذلك الإمام أبو حيّان ، حيث قال : « ... والذي يظهر أنّ هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك ، وأنّهم ينقسمون في السؤال إلى من يغلب عليه حبّ الدنيا ، فلا يدع إلاّ بها ، ومنهم من يدعو إلاّ بصلاح حاله في الدنيا والآخرة ، وأنّ هذا من الالتفات ولو جاء على الخطاب ، لكان : فمنكم من يقول : ومنكم ، وحكمة هذا الالتفات أنّهم ما وجّهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلكه عاقل ، وهو الاقتصار على الدنيا ، فأبرزوا في صورة أنّهم غير المخاطبين بذكر الله بأن جعلوا في صورة الغائبين ، وهذا من التقسيم الذي هو من جملة ضروب البيان ، وهو تقسيم بديع يحصره المقسّم إلى هذين النوعين »«[3714]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾«[3715]» قال ـ رحمه الله ـ : « وفي الآية لف ونشر بقوله : «أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا» راجع لقوله : «لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ» ، وقوله : «مُّبِينًا » راجع لقوله : «مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ» فمن اتخذتم أولياء

[3712] ـ سورة البقرة : الآية 201

[3713] ـ سورة البقرة :الآية 200

[3714] ـ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 112 ـ 113 .

[3715] ـ سورة النساء : الآية 144 .

من دون الله بالإطلاق ترتب لله عليه حجة مطلقا ومن اتخذهم من دون الله ترتب عليه حجة واضحة »«[3716]».

في هذا النّص يرى الإمام ابن عرفة تضمن الآية لمحسن اللف والنّشر ، مع شرحه وتوضيحه ، حيث أخبر أنّ قوله تعالى : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾«[3717]» راجع لقوله تعالى : «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ» ، ويكون المعنى : أنّكم إن استمررتم على موالاة الكافرين جعلتم لله عليكم سلطانا مبينا ، أي حجة واضحة على فساد إيمانكم «[3718]» ثمّ أخبر أنّ قوله : «مُّبِينًا » راجع لقوله تعالى :«مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ» ويكون المعنى على هذا أنّكم إن اتخذتم الكافرين أولياء من دون المؤمنين كانت بيّنة على نفاقكم «[3719]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾«[3720]»

قال ـ رحمه الله ـ : « فتقعد ملوما محسورا : هذا لف ونشر فاللوم راجع إلى البخل لأنّ الإنسان يلام على عدم النفقة ، ولم يقل مذموما ليتناول ذلك النهي عن البخل الواجب ، وبغيره وقوله : محسورا راجع إلى النهي عن بسط اليد، لأنّه إذا بالغ في بسطها يقل درهمه ورزقه ويتغير عليه فيبقى محسورا »«[3721]».

فالإمام ابن عرفة ينصّ على تضمن هذه الآية للف والنّشر مع تعيينه وشرحه وتوضيحه ، فأخبر أنّ «اللوم» راجع إلى البخل و«محسورا» راجع إلى الإسراف ، وهذا النوع من اللف والنّشر جاء على

[3716] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 65 ـ 66 .

[3717]ـ سورة النساء : الآية 144 .

[3718]ـ التحرير والتنوير : ج 5 ، ص 243.

[3719] ـ الكشاف : ج 1، ص 614

[3720]ـ سورة الإسراء : الآية 29

[3721]ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 63 .

الترتيب ، أي أنّ ترتيب النّشر على ترتيب اللف ، فالآية ذكرت أوّلا البخل فرجع إليها اللوم ، ثمّ ذكرت الإسراف فرجع إليها اللوم ، وهذا هو ذكر المتعدد على جهة التفصيل مع الترتيب . هذا وقد ذكر رجوع اللوم إلى البخل والمحسور إلى الإسراف الإمام أبو حيّان«[3722]» والإمام الألوسي«[3723]» دون أن يصرّحا بوجود اللف والنّشر في الآية .

المطلب الثاني : الاحتراس

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ ﴾«[3724]»

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا احتراس لأنّه لما تقدّم الأمر بقتال من قاتل أمكن أن يتوهم أنّه لا يقاتل إلاّ من قاتل ، فهذا إمّا نسخ له أو تخصيص »«[3725]».

يرى الإمام ابن عرفة أنّ الآية تضمنت نوعا من الاحتراس ، ووجهه أنّه لما سبق هذه الآية قوله تعالى :﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾«[3726]» فقد يفهم منه أنّهم أمروا بمقاتلة من قاتلهم فحسب غير أنّ هذه الآية أزالت ذلك المفهوم وأمرتهم بمقاتلة من وجدوه من المشركين ، ثمّ اعتبر الإمام ابن عرفة هذا الأمر المحترس به عن الأمر الثاني إمّا نسخ أو تخصيصا للأول . وقد افترض الحكمين الإمام ابن جزي مع ترجيحه للنسخ ، حيث قال : « فهذه الآية منسوخة ، وقيل : إنّها محكمة وأنّ المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر »«[3727]». ورأى الإمام أبو حيّان أنّ الخطاب في الآيتين

[3722]ـ تفسير البحر المحيط : ج 6، ص 29
[3723]ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج 8، ص 64
[3724]ـ سورة البقرة : الآية 91
[3725]ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 231
[3726]ـ سورة البقرة : الآية 190
[3727]ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 1 ، ص 105

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خطاب واحد أمر فيه المؤمنون بقتال من قاتلهم ، ونفى أن يكون قوله : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾«[3728]» أمر بتعميم القتال ، فقال : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم ضمير المفعول عائد على : الذين يقاتلونكم ، وهذا أمر بقتلهم ، وحيث ثقفتموهم عام في كل مكان حل أو حرم ويلزم منه عموم الأزمان ، في شهر الحرام وفي غيره ، وفي المنتخب أمر في الآية: الأولى بالجهاد بشرط إقدام الكفار على المقاتلة ، وفي هذه الآية زاد في التكليف . فأمر بالجهاد معهم سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا ، واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام .انتهى ، وليس كما قال : إنّه زاد في التكليف فأمر بالجهاد سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا ، لأنّ الضمير عائد على الذين يقاتلونكم ، فالوصف باق إذ المعنى : واقتلوا الذين يقاتلونكم حيث ثقفتموهم ، فليس أمرا بالجهاد سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا ».«[3729]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾«[3730]»

قال ــ رحمه الله ــ : « ولم يقولوا : أرسلت إلينا ، لأنّهم ينكرون رسالته فهو احتراس منهم ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾«[3731]» برفع أساطير ...».«[3732]».

في هذا النّص يرى الإمام ابن عرفة وجود فنّ الاحتراس في الآية مع تعيينه وتوضيحه ، فأخبر أنّه في لفظة « أجئتنا » ومعناه أنّ قوم هود عليه السلام أنكروا عليه ما يأمرهم به من التوحيد وإفراد الله

[3728] ــ سورة البقرة : الآية 91

[3729] ــ تفسير البحر المحيط : ج 2 ، ص 71 ــ 72 .

[3730] ــ سورة الأعراف : الآية 70 .

[3731] ــ سورة النحل : الآية 24

[3732] ــ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 231 .

بالعبادة وساقوا هذا الإنكار في استفهام غير أنّ اللفظة التي استفهموا بها عدلوا بها إلى لفظة أخرى ليحترسوا من إثبات حقيقة هم ينكرونها وهي الرسالة فعبّروا ب: «أجئتنا » بدل «أرسلت إلينا ».

ثمّ ذكر نظيرا لهذا الاحتراس من القرآن الكريم في آية دون بيان وجه الاحتراس فيها ، ووجه الاحتراس فيها أنّ المشركين لما سئلوا عن الذي يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن أجابوا بجواب احترسوا فيه أن يثبتوا نزوله من عند الله ، فقالوا: « أساطير الأولين» والأساطير معروفة عندهم بأنّها قصص وأخبار وخرافات ، والقرآن خلافها فالأساطير غير منزلة لأنّها معروفة ، فأبطلوا بهذا الجواب نزول القرآن من عنده سبحانه وتعالى .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾«[3733]»

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا نسميه احتراس لأنّه تقدّم ، قوله : «﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ﴾«[3734]» ، فقد يتوهم أنّ ضعفهم وعدم قوتهم يوجب عدم الاستعداد لهم »«[3735]».

في هذا النّص يصرّح الإمام ابن عرفة بتضمن هذه الآية لفنّ الاحتراس مع توجيهه وتوضيحه ، حيث ذكر أنّ هذه الآية جاءت في الترتيب عقب قوله تعالى : « وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ» التي أفادت إضعاف المشركين والتقليل من شأنهم ، وهذا المعنى المستفاد من الآية قد يتوهم منه عدم الاستعداد لمواجهة المشركين والأخذ بالأسباب لمواجهتهم ، فجاءت هذه الآية ليحترس بها من ذلك المعنى المتوهم ، مع إثبات ضرورة الاستعداد لهم والأخذ بالأسباب لذلك .

[3733] ـ سورة الأنفال : الآية 60.

[3734] ـ سورة الأنفال : الآية 59

[3735] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 290.

هذا وقد أشار إلى وجود الاحتراس في هذه الآية الشيخ الطّاهر بن عاشور ، حيث قال : « عطف جملة « وأعدّوا » على جملة : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾«[3736]» أو على جملة: « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا» فتفيد مفاد الاحتراس عن مفادها ، لأنّ قوله : « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا » يفيد توهينا لأمر لمشركين ، فتعقيبه بالأمر للاستعداد لهم : لئلا يحسب المسلمون أنّ المشركين قد صاروا في مُكنتهم ، ويلزم من ذلك أنّ الاحتراس لهم هو سبب جعل الله إيّاهم لا يعجزون الله ورسوله ، لأنّ الله هيأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها »«[3737]».

ـ المطلب الثالث : المذهب الكلامي

تردد الإشارة للمذهب الكلامي في ثنايا تفسير الإمام ابن عرفة ، حيث نبّه عليه في بعض المواضع ونبّه عليه منها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾«[3738]»

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا يسميه البيانيون المذهب الكلامي ، وهو الإتيان بالدعوى مصاحبة للدليل وعلى طريقة المتكلمين ، لذلك سمّوها المذهب الكلامي »«[3739]».

في هذا النّص يصرّح الإمام ابن عرفة بتضمن الآية لمحسن المذهب الكلامي أو ما يسمى بالاحتجاج النظري ، بيد أنّه لم يشرحه ويوضحه ، وتوجيهه في الآية أنّ إخوة يوسف عليه السلام عليه استدلوا على براءتهم ممّا نسب إليهم من السرقة بما عرف وعهد منهم من الصلاح بأرض مصر عندما نزلوا فيها ، ومن ذلك ما ذكره المفسرون من تحرجهم من أكل الطعام الذي وجدوه

[3736] ـ سورة الأنفال : الآية 57

[3737] ـ التحرير والتنوير : ج 10 ، ص 54 ـ 55

[3738] ـ سورة يوسف : الآية 73 .

[3739] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 400 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في بضاعتهم ، وكذلك ما اشتهر عنهم من أنّهم كانوا يضعون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع النّاس إلى غيرها من الفضائل التي عرفوا بها ، فاستدلوا بذلك على براءتهم من السرقة ، وفي هذا إعمال للدليل العقلي لإقناع الخصم بالحجة .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾«[3740]»

قال ـ رحمه الله ـ : « أي : كما علمت أنّ جميع الأشياء هيّن على الله فاعلم أنّ هذا هيّن عليه ، واستدّل بخلقه إيّاه من عدم ، وهذا هو المذهب الكلامي وهو الإتيان بالحكم مقرونا بدليله »«[3741]».

فالإمام ابن عرفة يصرّح بتضمن الآية لفنّ الاحتجاج النّظري أو ما يسمى بالمذهب الكلامي ، مع بيانه وتفسيره ، فأخبر أنّ الله تعالى احتج على تعجب زكريا عليه السلام من حصول الولد منه وهو في هذا السنّ وزوجته على تلك الحالة بخلقه هو وكيف أوجده من عدم ، فكل شيء هيّن على تعالى لا يعجزه شيء ، فكما أوجدك أنت يوجد غيرك .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾«[3742]»
قال ـ رحمه الله ـ : « قال أبو الأصبغ : المذهب الكلامي الاحتجاج على المقصود بحجة عقلية ، لأنّه من علم الكلام وهو إثبات أصول الدين بالبراهين ، ونسبت تسميته إلى الجاحظ ، وزعم ابن المعتز أنّه لا يوجد في القرآن ، وهو محشو به ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾«[3743]» ،

[3740] ـ سورة مريم : الآية 9

[3741] ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 110 .

[3742] ـ سورة يسن : الآية 79

[3743] ـ سورة الأنعام :الآية80

إلى قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾«[3744]» ، وقوله تعالى :﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ ﴾«[3745]» وقوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾«[3746]» وقوله تعالى : «قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ»«[3747]»

تضمّن هذا النّص المأخوذ من تفسير الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ مسألتان متعلقتان بالمذهب الكلامي ، أولاها : الإقرار بوجود هذا الفنّ في هذه الآية ، إلاّ أنّه لم يبين وجهه في الآية وتوجيهه أنّ الله تعالى احتج على المنكرين للبعث والإحياء بعد الإماتة بحجة عقلية تلجمهم وتسكتهم وتقطع عنادهم ، وهي أنّه سبحانه وتعالى هو من بدأ خلقهم من العدم فلا يعجزه بدلالة العقل الإعادة بعد الابتداء . هذا وقد نصّ على وجود الاحتجاج النظري في هذه الآية الإمام أبو هلال العسكري ـ رحمه الله ـ : « ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ فهذه دلالة واضحة على أنّ الله تعالى قادر على إعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها ، لأنّ الإعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء ...»«[3748]».

ثانيها : نقله وذكره لبعض مسائل هذا الفنّ من فنون البديع ، منها :إيراده لتعريف الإمام ابن الأصبغ المصري له في كتابه تحرير التحبير مع شيء من التصرف ، وكذلك إشارته لنسبته للإمام الجاحظ فهو الذي شهره وبيّنه في كتبه ومثّل له ، كما تعرّض لموقف الإمام ابن المعتز من هذا الفنّ وادّعائه لخلو القرآن منه . وموقف ابن المعتز معروف لدى البلاغيين اتجاه المذهب الكلامي ، فهو

[3744] ـ سورة الأنعام :الآية 83

[3745] ـ سورة يسن : الآية 81

[3746] ـ سورة الأنبياء : الآية 22

[3747] ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 358 .

[3748] ـ كتاب الصناعتين : ص 17 . 18

جعله من باب التكلف لما فيه من سلوك طرق أهل الكلام والفلاسفة في الاستدلال والمناظرة . وهذه مسالة تراجع في أصولها بشكل أوسع ممّا أشار إليه الإمام ابن عرفة عند تعليقه على هذه الآية .

ـ المطلب الرابع : تأكيد الذّم بما يشبه المدح

تأكيد الذمّ بما يشبه المدح أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وهو رديف تأكيد المدح بما يشبه الذّم ، وقد ذكر أئمة البلاغة أنّ له صورتين يأتي عليهما :

الأولى : «أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذمّ بتقدير دخولها فيها ، ومثاله قولهم : فلان لا خير فيه إلاّ أنّه يسئ إلى من أحسن إليه »

الثانية : أن يثبت للشيء صفة ذمّ ، ثمّ تعقبه بأداة استثناء تليها صفة ذمّ أخرى ، وهذا كقولك فلان فاسق إلاّ أنّه »«[3749]»

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾«[3750]» قال ـ رحمه الله ـ :«[3751]»« قلت : وتقدّم لنا في الختمة الأخرى أنّه من تأكيد الذّم بما يشبه المدح كقوله :

هو الكلب إلاّ أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب«[3752]» ، وعكسه ، كقوله :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب »«[3753]» .

[3749] ـ ينظر : الإيجاز لأسرار كتاب الطراز ، العلوي ، ص458 .

[3750] ـ سورة البقرة : الآية 78 .

[3751] ـ تفسير ابن عرفة : ج 1 ، ص 135

[3752] ـ البيت مجهول النسبة ينظر : زهر الأداب وثمر اللباب ،أبو إسحاق بن إبراهيم بن علي الحصري ، ط 1 ، تحقيق يوسف على طويل ، بيروت ـ دار ا ـ 1417 هـ ـ 1997 م ، ج2 ، ص 120

[3753] ـ البيت للنابغة الذبياني ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، الحموي ، ج 2 ، ص 399

في هذا النّص يصرّح الإمام ابن عرفة بتضمن الآية لفنّ تأكيد الذّم بما يشبه المدح ، غير أنّه لم يعينه ويوضحه بما يقرّبه إلى الأذهان ، وتوجيهه في الآية أنّه سبحانه وتعالى وصف اليهود بأنّهم أميون جهلة لا يحسنون القراءة فيطالعوا التوراة ليعلموا ما فيها من الأحكام فهذه صفة ذمّ لهم ، ثمّ أعقب هذه الصفة بأداة الاستثناء التي توهم أنّه سينتقل من ذمّ إلى مدح أي يستثني من الذم صفة مدح إلاّ أنّه أعقبها بصفة ذمّ أخرى أبلغ من الأولى ، فهم مع جهلهم وعدم معرفتهم بالتوراة وما جاء فيها يعتقدون أماني ، أي أكاذيب سمعوها من آبائهم يقلدونهم فيها يحرفون بها الكلم عن مواضعه .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴾«[3754]» .

قال ـ رحمه الله ـ : « من تأكيد الذّم بما يشبه المدح ... وفيه دليل لأهل السنة في أنّ الله يخلق الخير والشّر »«[3755]».

فالإمام ابن عرفة ينصّ على تضمن هذه الآية لمحسن تأكيد الذمّ بما يشبه المدح غير أنّه لم يعينه ويفسره بما يجعله واضحا ومقربا إلى الأذهان ، وتوجيهه في الآية أنّه سبحانه وتعالى نفى أن يغفر للذين كفروا وظلموا ، كما نفى أن يهديهم إلى طريق الهدى في الدنيا أو طريق واضح غدا يوم القيامة ، ثمّ أعقب هذا النفي بأداة استثناء في قوله :« إلاّ » يتوهم منها السامع استثناء شيء من ذلك النفي يكون فيه فرح أو سرور للكافرين والظالمين غير أنّ هذا الاستثناء أكدّ المعنى الأول وزادهم تأييسا. وقد أشار لوجود هذا المحسن في هذه الآية الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال : « وقوله : « إلاّ طريق جهنّم » استثناء متصل إن كان الطريق الذي نفي هديهم إليه الطريق الحقيقي ، ومنقطع إن أريد بالطريق الأوّل الهدى . وفي هذا الاستثناء تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه : لأنّ

[3754]ـ سورة النّساء : الآية 168

[3755]ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 74 .

الكلام مسوق للإنذار . والاستثناء فيه رائحة إطماع ، ثمّ إذا سمع المستثنى تبيّن أنّه من قبيل الإنذار »«[3756]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾«[3757]»

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا من تأكيد الذّم بما يشبه المدح فعلى هذا لا سؤال وأن لم يكن بمعنى ، أجاب : يرد فيه أنّ استجابة خاصة بمن أجاب بما يوافق غرض السائل ، وأجاب : عامة في المجيب بالموافق والمخالف ، فيقال : لم تفاخرا لهم بالموافق مع أنّهم لا يجيبون بشيء على الإطلاق ، فيجاب بأنّ مطلوبهم في الآلهة إنّما هو حصول غرضهم فنفاه وإمّا غيره فليس مطلوبا لهم فلم يحتج إلى نفيه ، قوله تعالى : «إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ » هذا من تأكيد الذّم بما يشبه المدح ...»«[3758]».

في هذا النّص يصرّح الإمام ابن عرفة بتضمن الآية لمحسن تأكيد الذّم بما يشبه المدح مع تعيينه بأنّه في جملة :« إلاّ كباسط كفيّه إلى الماء » إلاّ أنّه لم يجليّه ويشرحه بما يفسره ويقربّه ، ووجهه أنّ الله تعالى أخبر أنّ الذين يدعون من دونه آلهة أخرى لا يستجيبون لهم بشيء في جميع الأحوال وهذه صفة ذمّ لهم ثمّ أعقب هذه الصفة بأداة استثناء التي يمكن أن يظن السامع منها ورود صفة مدح ، ثمّ تلتها صفة ذمّ أخرى في قوله تعالى : «إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ » فهذه أشدّ من الأولى ففيها تأكيد عدم الاستجابة تشبيها بحال الذي يقبض الماء بكفيه المبسوطتين ليغرف منهما فلا يستقر فيهما شيء ولا يظفر بمطلوب ، فكذلك الذين يدعون غير الله لا يستجاب لهم في جميع الأحوال . وقد أشار إلى وجود هذا المحسن في الآية الشيخ الطّاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ ، حيث قال : « والاستثناء في إلاّ كباسط كفيه من عموم أحوال الداعين والمستجيبين والدعوة

[3756] ـ التحرير والتنوير : ج 6 ، ص 48

[3757] ـ سورة الرعد : الآية 14 .

[3758] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 424

والاستجابة ، لأنّه تشبيه هيئة فهو يسري إلى جميع أجزائها فلك أن تقدّر الكلام إلاّ كداع باسط أو إلاّ كحال باسط ، والمعنى لا يستجيبونهم والاستجابة في حال من أحوال الدّعاء والاستجابة إلاّ في حال لداع ومستجيب كحال باسط كفيه إلى الماء ، وهذا الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه فيؤول إلى نفي الاستجابة في سائر الألواح بطريق التلميح والكناية »«[3759]»

ـ المطلب الخامس : تأكيد المدح بما يشبه الذّم

تأكيد المدح بالذم أحد المحسنات المعنوية المندرجة تحت فنون البديع ، وهو أسلوب قديم استعمله الشعراء وأكثروا منه . لا سيّما النّابغة الذبياني ، فإنّه يعدّ من السابقين في توظيفه في الشعر العربي ، كما يقول الإمام الحاتمي : « وأحسب أنّ أوّل من بدأ به النابغة فأحسن كل الإحسان في قوله : ولا عيب »«[3760]» .

وقد فطن له المتقدمون من النحاة كأمثال سيبويه ، فقد أشار إليه دون الاصطلاح عليه بهذه التسمية وتحدّث عنه تحت باب « ما يكون إلاّ على معنى » وذكر أبيات للنابغة الجعدي بيّن فيها هذا الأسلوب«[3761]» . ولما صنّف الإمام ابن المعتز كتابه البديع تطرّق له وأطلق عليه اسم تأكيد المدح بما يشبه الذّم وذكر أنّه من محاسن الكلام«[3762]» ، ثمّ تعرّض له البلاغيون من بعده في كتبهم واصطلحوا عليه بأسماء كثيرة ، وبمجيئ الإمام السّكاكي وتصنيفه لكتاب مفتاح العلوم أدرج هذا النوع من فنون البديع ضمن المحسنات المعنوية ، وعلى نهجه سار ملخصو ومهذبو كتابه كالإمام ابن مالك الذي تعرّض له في كتابه المصباح وعرّفه بقوله : « أن تنفي عن الممدوح وصفا معيبا ثمّ تعقبه بالاستثناء فتوهم أنّه ستثبت له ما يذّم به فتأتي بما من شأنه أن يذمّ به وفيه المبالغة بالمدح »«[3763]».

[3759] ـ التحرير والتنوير : ج 13 ، ص 109

[3760] ـ

[3761] ـ الكتاب : ج 2، ص 325 ـ 326

[3762] ـ ص 62

[3763] ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع : ص 239

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾«[3764]»

قال ـ رحمه الله ـ : « أي وما أنكروا وما عابوا إلاّ أن أغناهم والضمير عائد على المنافقين ، ابن عرفة : وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذّم ، كقوله :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب.

ويحتمل أن يكون من تأكيد الذّم بما يشبه المدح كقوله :

هو الكلب إلاّ أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب«[3765]»

لكن هذا يحتاج إلى إضمار وعامة »«[3766]» .

في هذا النّص يجوز الإمام ابن عرفة احتمال أن تكون الآية متضمنة لفنّ تأكيد المدح بما يشبه الذّم أو بعكسه ، أي تأكيد الذمّ بما يشبه المدح ،ثمّ ضعف هذا الوجه الثاني لأنّه يفتقر إلى إضمار يدل عليه ، وما ذكره صحيح ، فإنّ الذي يظهر من الآية أنّ فيها توكيد المدح بما يشبه الذمّ . وتوجيهه أنّ الله تعالى تكلم عن المنافقين في المدينة كيف استغنوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم إليهم بعد أن كانوا في فقر وضنك من العيش ، فعاتبهم الله سبحانه وتعالى على تنكرهم لذلك وعدم شكرهم ، مخبرا أنّهم لم يجدوا شيئا ينقمون به على النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ أن أصبحوا به أغنياء ، فقال :« وما نقموا » أي : ما عابوا وما أنكروا ، ثمّ أعقب هذا بأداة استثناء توهم منها أنّه يستثني شيئا ممّا ذكره غير أنّ هذا الاستثناء أكّد الخبر الأول . وقد نبّه على تضمن الآية لهذا المحسن الشيخ الطاهر بن عاشور ، فقال : « وقوله : « إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله » استثناء تهكمي . وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه كقول النابغة :

3764 ـ سورة التوبة : الآية 74.

3765 ـ

3766 ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 320 .

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ونكتته أنّ المتكلم يظهر كأنّه يبحث عن شيء ينقض حكمه الخبري ونحوه فيذكر شيئا هو من مؤكدات الحكم للإشارة إلى أنّه استقصى فلم يجد ما ينقضه »«[3767]» كما أشار إلى هذا المعنى الإمام أبو حيّان«[3768]» .و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي«[3769]» .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾«[3770]»

قال ـ رحمه الله ـ : « قوله تعالى : « إلاّ في كتاب مبين » من باب تأكيد المدح بما يشبه الذّم ، وإن جعلنا الاستثناء متصلا لأنّه يوهم أنّه يعزب مع أنّه معلوم له »«[3771]» .

في هذا النّص ينصّ الإمام ابن عرفة ويصرّح بتضمن الآية لمحسن تأكيد المدح بما يشبه الذّم ، غير أنّه لم يفسّره ويوضحه توضيحا دقيقا يجعله قريبا من الأذهان ، وتوجيهه في الآية أنّه سبحانه وتعالى نفى أن يبعد أو يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا ما هو أكبر من ذلك ، فهو سبحانه وتعالى محيط بكل شيء علما ، فالله سبحانه وتعالى نفى عن نفسه وصفا معيبا في حقه ، ثمّ أتى بأداة استثناء وهي :« إلاّ » التي قد توهم السامع استثناء شيء من ذلك النفي أو إثبات ضدّه ، غير أنّ ما جاء بعدها يؤكد المعنى الأول ويقويه . وذلك في قوله تعالى :« فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ» فقد أفادت أنّ ماتوّهم عزوبه معلوم ومحفوظ في كتاب مبين ، فإذا كان العلم بالغيب مكتوبا ومحفوظا أمن أن يغيب أو يبعد . وقد حمل الإمام ابن عرفة هذا المعنى كلّه على

[3767] ـ التحرير والتنوير : ج 10، ص 270

[3768] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5، ص 74

[3769] ـ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : ط 1 ، بيروت ـ دار الفكر ـ ، 1415 هـ ـ 1995 ، ج 2 ، ص 146

[3770] ـ سورة يونس : الآية 61 .

[3771] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 347 .

تقدير كون الاستثناء في هذه الآية متصلا ، لأنّ هناك من يقدر كونه استثناء منقطعا بناء على اختلاف القراءات في بعض كلمات هذه الآية .

هذا وقد أشار إلى وقوع تأكيد المدح بما يشبه الذم في الآية الشيخ الطاهر بن عاشور، حيث قال :« والاستثناء على الوجهين الأولين من قراءتي نصب «أصغر» ورفعه استثناء منقطع بمعنى « لكن » أي : لا يعزب ذلك ولكنّه حاضر في كتاب ، وجوّز أن يكون استثناء متصلا من عموم أحوال عزوب مثقال الذرة وأصغر منها وأكبر . وتأويله أن يكون من باب تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه .والمعنى لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السّماء إلاّ في حال كونه في كتاب مبين ، أي إلاّ معلوما مكتوبا ويعلم السّامع أن المكتوب في كتاب مبين لا يمكن أن يعزب ، فيكون انتفاء عزوبه حاصلا بطريق برهاني »«[3772]».

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾«[3773]»

قال ـ رحمه الله ـ : « قوله تعالى : « ولكن تصديق الذي بين يديه » هذا تأكيد المدح بما يشبه الذّم ...»«[3774]».

فالإمام ابن عرفة ينّص على وجود محسن تأكيد المدح بما يشبه الذّم في هذه الآية ، مع تعيينه عندما أخبر أنّه في قوله تعالى : «وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ» إلاّ أنّه لم يشرحه بالوجه الكافي الذي يقربه ويبيّنه ، وتوجيهه أنّ الله تعالى أثبت أنّ قصص الأنبياء الذي قصه في قرآنه فيه عبرة لأولي الألباب ونفى أن يكون حديثا مفترى ومختلقا ، ثمّ أعقب هذا المعنى بجملة :

[3772] ـ التحرير والتنوير : ج 11، ص 215

[3773] ـ سورة يوسف : الآية 111.

[3774] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 412

«ولكن تصديق الذي بين يديه » التي أوهمت وجود قدح في هذا القصص ثمّ أعقبت بجملة : « وتفصيل كل شيء وهدى » التي أزالت ذلك التوهم وأتممت المدح .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾»«[3775]»

قال ـ رحمه الله ـ : « الصواب أنّ هذا من تأكيد المدح بما يشبه ...»«[3776]».

في هذا النّص من الإمام ابن عرفة تصريح بتضمن الآية لمحسن تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، غير أنّه لم يوضحه ويفسره ، واكتفى بالتمثيل له ببيت النابغة الجعدي، وقد سبق توجيه هذا المحسن في نظيرة هذه الآية من سورة يونس فأغنى ذلك عن الإعادة .

المطلب السادس : الطباق

أشار الإمام ابن عرفة رحمه الله لمحسن الطباق في تفسيره وذكره في بعض المواضع منبها عليه منها:

في تفسير قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾«[3777]»

قال ـ رحمه الله ـ : « أشار الزمخشري إلى أنّ في الآية الطباق واللّف والنّشر ، أمّا الطباق فبين إحكام الآية وتفصيلها ، فإن قلت : ليس أحدهما ضدّ الآخر ، قلنا : أحدهما ليس نسب مع ضدّ الآخر ، وأمّا اللف والنّشر ففي «حكيم خبير »«[3778]».

في هذا النّص ينقل الإمام ابن عرفة عن الإمام الزمخشري قوله بتضمن الآية لمحسن الطباق بين أحكمت وفصّلت ، ثمّ أورد سؤالا يمكن أن يعترض به معترض على عدم وجود طباق وتضاد بين

3775 ـ سورة سبأ : الآية 3 .
3776 ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 315 .
3777 ـ سورة هود : الآية 1
3778 ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 353 .

اللفظتين لأنّ أحدهما ليس ضد الآخر ، ودفع هذا الاعتراض بأنّه لم يقصد بهذا التضاد التضاد الحقيقي ، بل أريد به الضد المعنوي كما يفهم من كلام الزمخشري لأنّ الإحكام معناه الإتقان والتفصيل معناه التوضيح والبيان وإحكام القرآن معناه إتقانه ونظمه على أكمل وجه لا يعترضه خلل ولا نقص ثمّ النّظم المحكم فصل وشرح ووضح وبيّن كما تفصل القلائد فكان في مقابل الإحكام بهذا المعنى ، وهذا هو الذي يفهم من كلام الإمام الزمخشري في قوله : « وفيه طباق حسن ، لأنّ المعنى أحكمها حكيم وفصلها : أي بيّنها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور »«[3779]» . هذا وقد نقل هذا الكلام عن الإمام الزمخشري وقال بوجود الطباق في الآية الإمام أبو حيّان«[3780]» ، ثمّ ذكر الإمام ابن عرفة وجود محسن آخر في الآية شفع بالطباق وهو اللف والنّشر في لفظتي : «حكيم خبير » إلاّ أنّه لم يوضحه ويبيّنه ، وتوجيهه أنّ في قوله تعالى : « كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ »«[3781]» إجمال لأمرين هما الإحكام والتفصيل فهذا لف ، ثمّ جيء بما يتعلق بكل واحد من المجملين دون تعينهما في لفظتي :« حكيم خبير» علما بأنّ السامع يمكنه أن يرجع كل واحد منهما إلى ما تعلق به وهذا هو النّشر . فالحكيم راجعة للإحكام ، والخبير راجعة إلى التفصيل .هذا ما أراد الإمام ابن عرفة أن يقرره والله أعلم .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾«[3782]»

قال ـ رحمه الله ـ : «... ويجيئ في الآية طباق خمسة لخمسة يطابق بأمر ينهي ، والباقي بالعدل يعني قوله : « عن الفحشاء » لأنّ الباء للاتصاف أو للمصاحبة ، وعن للمزوالة أو للمجاوزة ، وذلك عند الاتصاف والعدل يطابقه الفحشاء والإحسان يطابقه المنكر « وإيتاء ذي القربى

[3779] ـ الكشاف : ج 2 ، ص 385

[3780] ـ تفسير البحر المحيط : ج 5 ، ص 201

[3781] ـ سورة هود : الآية 1

[3782] ـ سورة النحل : الآية 90

»يطابقه البغي ، قال وهذا أكثر ما ينتهي إليه المطابقة ، قال ابن مالك : والطباق يكون في اثنين باثنين كقوله تعالى : « فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا »«[3783]» ...»«[3784]» .

فالإمام ابن عرفة يصرّح بوجود الطباق في هذه الآية ، مع تعيينه وبيان أنّه وقع بين خمسة أشياء ، وفي الحقيقة أنّ ما تضمنته هذه الآية هي مقابلة ، فالطباق لا يكون إلاّ بين ضدين ، والمقابلة لا تكون إلاّ بما زاد عن ذلك ، وفي هذه الآية وقعت مقابلة أربعة أشياء بأربعة أشياء، ففي قوله تعالى «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ »«[3785]» قابل بين الأمر والنهي ، وبين العدل والفحشاء ، وبين الإحسان والمنكر ، وبين إيتاء ذي القربى والبغي ، فهذه مقابلة أربعة بأربعة .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾«[3786]» قال ـ رحمه الله ـ : « وفي الآية طباق ، وهو تارة يكون بين الشيء وضدّه ، وهذه كقوله تعالى :﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾«[3787]» ، كقول الشاعر :

لا تضحكي يا سلم من رجل   ضحك المشيب بوجهه فبكى «[3788]»

ابن عرفة وتارة يكون بين المنفي والإثبات ، كقوله :

يقيض إليّ من حيث لا أعلم النّوى   ويرسل إليّ الشوق من حيث لا أعلم «[3789]».

[3783] ـ سورة التوبة : 82

[3784] ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص 45 .

[3785] ـ سورة النحل : الآية 90

[3786] ـ سورة الحج : الآية 2

[3787] ـ سورة التوبة : الآية 82

[3788] ـ البيت لدعبل الخزاعي ينظر : الأغاني ، الأصفهاني ، ج 16 ، ص 25

[3789] ـ البيت للبحتري ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، الحموي ، ج 1 ، 159

أنشدهما ابن مالك في المصباح«[3790]» .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾«[3791]»، ومنه هذه الآية »«[3792]».

في هذا النّص تصريح من الإمام ابن عرفة بوجود محسن الطباق في هذه الآية مبيّنا نوعه بأنّه من الطباق الذي يكون بين المنفي والإثبات وهذا يسمى عند البلاغيين طباق السلب ووقع في الآية بين لفظتي : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾«[3793]» فطابق المولى سبحانه وتعالى بين سكارى وما هم بسكارى . ومن محاسن ومزايا الإمام ابن عرفة في ذكره لهذا الطباق أنّه شفعه بأمثلة تجليه وتبيّنه من القرآن والشعر ، كما يظهر فيما ذكره أيضا اطلاعه على الكتب المصنفة في البلاغة ، فقد ذكر كتاب المصباح للإمام ابن مالك الذي اختصر فيه كتاب المفتاح للسّكاكي وقد راج هذا الكتاب في أوساط الدارسين لفنون البلاغة في بلاد المغرب في تلك الحقبة.

المطلب السابع : الاستطراد

في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾«[3794]»

[3790] ـ المصباح : ص 191 ـ 192

[3791] ـ سورة الروم : الآية 6 ـ 7

[3792] ـ تفسير ابن عرفة : ج 3 ، ص179 .

[3793] ـ سورة الحج : الآية 2

[3794] ـ سورة المائدة : الآية 75 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال ـ رحمه الله ـ :« قوله تعالى : كانا يأكلان هذا استطراد لأنّهم إنّما تكلموا في عيسى ونسبوه إلى الألوهية ، فلم يتكلموا في مريم بشيء ، فإنّه ذكرها استطرادا وسبب ذكرها قيام عيسى عليها ، أي كما تعلمون احتياج مريم إلى الطعام ، وأنّ ذلك موجب لحاجتها وافتقارها لحاجتها كذلك هو في عيسى عليه السلام »«3795»

في هذا النّص يصرّح الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ بتضمن الآية لفنّ الاستطراد الذي هو أحد فنون البديع ، وقد حدّده وبيّنه عندما أخبر أنّه في لفظة :« كانا يأكلان الطعام»، ثمّ قام بتفسيره وتوجيهه ، فذكر أنّ سياق الكلام في الأصل كان مسوقا لذكر عيسى عليه السلام وليس لأمّه مريم ، لأنّ الحديث لم يكن عنها وليس في ذكر عيسى عليه السلام قصد للحديث عن مريم ، لكنّه جيء بها في سياق الكلام ، وقد بيّن وجه الإتيان بها وهو أنّها لما كانت هي الأصل والسبب في وجود عيسى عليه السلام وكانت محتاجة إلى الطعام ، فكذلك يكون الفرع محتاجا لما يحتاج إليه الأصل .

المطلب الثامن : التتميم

لم ترد الإشارة لمحسن التتميم في تفسيره الإمام ابن عرفة . ولم ينص عليه في الغالب ، حيث ورد ذكره مرة واحدة في ثنايا تفسيره وذلك :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾«[3796]»

قال ـ رحمه الله ـ : « هذا احتراس أو تتميم ، أمّا تقرير كونه احتراسا فلأنّه لما تقدّمها﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾«[3797]» فقد يتوهم من وصف النحاة في الحدود فاحترس من

[3795] ـ تفسير ابن عرفة : ج 2 ، ص 118 ـ 119

[3796] ـ سورة غافر : الآية 17 .

[3797] ـ سورة غافر : الآية 16.

ذلك بما يتضمن أنّ من صفته العدل ، فيجزي كل نفس بما كسبت لا يزيد عليها ولا ينقص ، وأمّا تقدير كونه تتميما ، فلأنّه لما تقدّم اختصاص الله يومئذ بالملك والقهر والغلبة تمّمه بأنّ السلاطين والجبابرة أذّلاء محكمون ، فهو ينصف المظلوم من ظالمه ، وإن كان جبّار عنيدا »«[3798]»

في هذا النّص يجوز الإمام ابن عرفة احتمال أن تكون هذه الآية متضمنة لمحسن الاحتراس أو التتميم ، ثمّ بيّن التقدير الذي يكون فيه الاحتراس في الآية وهو أنّه تقدّم في الآية السابقة وصف المولى سبحانه وتعالى نفسه بالقهر والغلبة ، ومدلول القهر يستلزم القوة . والمنقدح في الأذهان أنّ الملك في الدنيا الموسوم بالقهر قد لا يعدل ، وحتّى يزال هذا الوهم في حقه سبحانه وتعالى جاءت الآية بالاحتراس عن ذلك في قوله تعالى : «ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ»«[3799]» فأفادت أنّه مع كونه سبحانه وتعالى ملكا وقاهرا فإنّه عادل بين العباد بخلاف ملوك الدنيا . فهذا وجه الاحتراس . ثمّ قدّر وجه التتميم فأخبر أنّه سبحانه وتعالى أتى بهذه الآية ليتمم بها معنى وهو تقرير حال الملوك والسلاطين كيف أنّهم أذلاء صاغرون محكمون ، وأنّه سبحانه بملكه وعدله ينصف المظلوم من ظالمه وإن كان ملكا جبار عنيدا .

وفي ختام الحديث عن جهود الإمام ابن عرفة في تناول فنّ البديع في تفسيره سجلت جملة من الملاحظات يمكن إبرازها في النقاط الآتية:

ـ إشارته لجملة من المحسنات المعنوية واللفظية ممّا يؤكد اهتمامه به

ـ في تنبيهه على المحسن البديعي في الآية يقوم في الغالب بتسميته وشرحه وتوضيحه . وفي بعض المواضع ينص عليه دون تحليل وتوضيح

[3798] ـ تفسير ابن عرفة : ج3 ، ص 393 .

[3799] ـ سورة غافر : الآية 17

ـ يعضد ويشفع تحليله لتلك المحسنات بجملة من الشواهد من القرآن والشعر

ـ تطرقه لجملة من مسائل علم البديع وإثارته لكثير من مباحثه مع إيراده لكلام بعض أئمة البلاغة في ذلك ممّا يؤكد وقوفه على الكتب المصنفة في هذا الفنّ وإلمامه بها .

يوافق بعض المفسرين فيما يذكره من محسنات معنوية أو لفظية تضمنتها الآية ، حيث يؤكدها ويبينها غيره من المفسرين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي الختام يمكن القول بأنّي قد أتممت هذا البحث الذي قضيت معه أربع سنوات كاملة عشتها معه نفسا بنفس ولحظة بلحظة تخللت تلك السنوات مراحل همة وفتور وجد وتقصير ، حتّى أذن سبحانه وتعالى في إكماله وإتمامه وإخراجه على هذا الوجه . وقد كان من الواجب الوفاء بما تعهدت الجواب عنه في إشكالية البحث ، ومن ثمّ فإنّه كان ولا بدّ من تسجيل جملة من النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ، مع ذكر جملة من التوصيات والمقترحات .

من النتائج المتوصل إليها في البحث:

1 ـ نشاط الحركة التفسيرية في بلاد المغرب والأندلس في الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري على يدي ثلة من العلماء منهم على وجه الخصوص المفسرون الذين عنيناهم بهذا البحث . وقد أفرزت هذه الحركة بروز اتجاهات تفسيرية متنوعة أبرزها الاتجاه الأثري واللغوي والفقهي .

2 ـ تطور الدرس البلاغي وازدهاره في منطقة المغرب والأندلس في الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري . وذلك بفضل جهود كثير من البلاغيين كالإمام ابن رشيق والقاضي عياض والإمام حازم القرطاجني . وابن البناء العددي . وأبو القاسم السجلماسي . وقد أفرز هذا النشاط بروز اتجاهين بلاغيين بالمنطقة هما الاتجاه الأدبي والاتجاه الفلسفي .

3 ـ بروز كثير من البلاغيين وظهور كثير من المصنفات البلاغية في منطقة المغرب والأندلس في تلك الحقبة الزمنية يناقض وينافي من اتهم المغاربة بقصورهم في علم البلاغة وأنّ بضاعتهم في فنونها مزجاة .

4 ـ تعرّض أغلب المفسرين المغاربة لكثير من المباحث والفنون البلاغية في جميع الأقسام الثلاثة التي انتهى إليها علم البلاغة على تفاوت بينهم . وتعرضهم لها كان دون اعتناء بالتقسيمات الأخيرة .

5 ــ يسجل على بعض المفسرين المغاربة خلطهم بين أنواع وأقسام البلاغة ، فمنهم من يطلق مصطلح البديع على جميع الفنون والمباحث البلاغية كما هو الحال عند ابن جزي . وبعضهم يعبر عنها بضروب البيان والفصاحة كما هو الشأن عند أبي حيّان ممّا يؤكد عدم اهتمامهم بالتقسيمات التي آلت إليها البلاغة في تلك الفترة .

6 ــ بعض المفسرين المغاربة المتقدمين كمكي بن أبي طالب القيسي وابن عطية بحثوا كثيرا من الظواهر والمباحث البلاغية تحت دائرة الاتساع والمجاز . ممّا أو قعهم في الخلط بين كثير من الصور البيانية كما هو الشأن في التشبيه والاستعارة والكناية . فبعضهم يسمي التشبيه استعارة أو العكس . وهذا كله يؤكد عدم اكتمال مباحث البلاغة في حدودها وتقسيمها بالحال الذي وصلت إليه بعدهم ، ولكنّ هذا كله لا يعنى القدح في جهودهم ، فإنّه لا يمكننا أن نحاكم المتقدمين لقواعد المتأخرين .

7 ــ ظهر من خلال البحث اعتناء المفسرين المغاربة بعلم المعاني واهتمامهم به اهتماما كبيرا، فإشارتهم لفنونه وموضوعاته إذا ما قورنت بإشارتهم لمباحث علمي البيان والبديع كانت أكثر وأكبر. فقد تناولوا الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والحذف والفصل الوصل والإيجاز والإطناب والالتفات.

8 ــ أشار المفسرون المغاربة لكثير من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر والإنشاء . وقد كان من منهجهم النص على نوع الأسلوب الخبري والإنشاء مع تحليله وشرحه والاستعانة في ذلك باللغة العربية من نثر وشعر ونحو وصرف وبين غريب إلى غير ذلك من صور الاستعانة ، كما أشاروا لكثير من أسرار التقديم والتأخير الواردة في الآيات القرآنية ، كالاهتمام والتخصيص والاعتناء والحصر ومراعاة الفاصلة، كما أشاروا إلى كثير من صور الحذف والإيجاز والإطناب والالتفات مع التحليل والشرح على تفاوت بينهم في الإيجاز والاستطراد في ذلك على حسب مناهجهم ومقاصد في كتبهم . وفي باب الالتفات أشاروا لكثير من أنواع الخروج في الأساليب من غيبة إلى خطاب أو من خطاب لغائب إلى غير ذلك من صور الخروج مع نصهم على اسمه عند

بعضهم والاكتفاء بتحليل صورته وبيان نوع الخروج عند بعضهم . مع ذكرهم للأغراض والوظائف التي أفادها هذا الخروج .

9 ــ ظهر في باب المعاني تأثر كثير من المفسرين المغاربة بمفسرين آخرين من المشرق و المغرب . فالإمام أبو حيّان وابن جزي والإمام ابن عرفة بان تأثرهم الكبير بالإمام الزمخشري وابن عطية . فالإمام ابن جزي أخذ كثيرا من المسائل البلاغية من الكشاف دون تصريح بذلك مع تلخيص قوله والاختصار فيه . بينما نقل أبو حيّان كثيرا من الأقوال عنه تارة بالتصريح وهو الغالب مع مناقشته في بعضها كما هو الحال في باب التقديم و التأخير . كما نقل عن الإمام ابن عطية كثيرا من الإشارات . وكذلك هو الشأن عند ابن عرفة فقد نقل عنهما بعض الأقوال في بعض المسائل مع تصريحه بذلك في الغالب . وفي الجانب الآخر فقد برز تأثر كثير من المفسرين المشارقة المتأخرين بمفسري المغرب في كثير من أبواب الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والحذف والالتفات كما هو الشأن عند الإمام السمين الحلبي والألوسي . فقد نقل هؤلاء كثيرا عن الإمام ابن عطية والإمام أبي حيّان على وجه الخصوص

10 ــ تطرّق المفسرون المغاربة لمباحث علم البيان وعلى وجه الخصوص التشبيه والاستعارة والكناية . فقد أكثروا من ذكرها عند تفسير الآيات القرآنية على تفاوت بينهم .

11 ــ تناولهم لفنّ التشبيه كان بالتطرق لكثر من أنواعه كالتشبيه التمثيلي وهو الأكثر والتشبيه البليغ والتشبيه التخيلي وتشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المفرد بالمركب . وقد كان من منهجهم العام في تناولها هو التصريح بلفظ التشبيه أو المثل مع شرحه وتحليله تحليلا عابرا بذكر طرفيه دون ذكر نوع التشبيه ووجه ولا ذكر الوظيفة الجمالية في الغالب . وهذا منهج سيطر على الإمامين مكي وابن عطية فهما اللذان كانا يكتفيان بالشرح المقتضب دون الافاضة في شرح التشبيه ، كما وقع عندهم خلط بين الاستعارة والتشبيه في بعض الأمثلة ممّا يؤكد عدم تبلور تلك المفاهيم واتضاحها في أذهانهم في تلك الفترة . وأمّا الإمام ابن الزبير فإنّه لم يشر لكثير من التشبيهات وعذره في ذلك كما قلت مرار هو تخصيص كتابه لتوجيه المتشابه من الآيات . ومع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ذلك فما أورده من نماذج كان يكتفي فيها بالشرح والتحليل دون ذكر نوع التشبيه . ونصّ في موضع أو موضعين على الغرض منه وهو التأكيد والتقرير . وأمّا الإمام ابن جزي فإنّه لا يختلف كثيرا عن الإمام ابن عطية . وذلك في إطلاقه لفظ المثل والتشبيه وإرادته بهما معنا واحد .وفي نصّه على التشبيه يكتفي بذكر وجه الشبه أو بذكر طرفي التشبه دون ذكر وجه الشبه . ولا ينص على نوع التشبيه أو اسمه . ولا يتعرض لبيان الغرض منه إلاّ في القليل كما غلب عليه منهج الإيجاز والاقتضاب وهو منهج متبع في الكتاب كله. كما بدا تأثره بالإمام الزمخشري في كثير من التشبيهات . وأمّا الإمام أبو حيّان فقد امتاز بالجدية نوعا ما في بحث فنّ التشبيه . وذلك بنًصه على التشبيه وبيان نوعه في بعض الأحيان مع ذكر طرفي التشبيه ووجه الشبه ، كما ظهر تأثره بالإمام الزمخشري وذلك بنقله عنه وإبداءه لبعض آرائه عند تحليل التشبيه وقد استعان الإمام أبو حيّان في تحليل صورة التشبيه بالشعر حيث كان يورد الأبيات المؤيدة لأقواله في تحليل التشبيه وتفسيره ، غير أنّ ما يؤخذ عليه هو قلة اعتناءه ببيان وظيفة التشبيه وأغراضه التي يؤديها فهو لا ينص على ذلك ولا يشير إليه في الغالب . وما قيل عن الإمام أبي حيّان يصدق إلى حدّ ما على الإمام ابن عرفة فمنهجه لا يختلف عن سابقه وإن كان أبو حيّان أكمل وأنضج منه في التحليل

11 ــ تناول المفسرون المغاربة فنّ الاستعارة وأكثروا من الإشارة إليها في تفاسيرهم للآيات القرآنية على تفاوت بينهم في ذلك . وقد شملت تنبيهاتهم كثيرا من أنواع الاستعارة المعروفة عند المتأخرين كالاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية والاستعارة التمثيلية والاستعارة التخيلية والاستعارة الترشيحية .

12 ــ من المفسرين المغاربة من وقع لهم خلط بين الاستعارة والكناية . ومنهم من بحثها على دائرة الاتساع في المجاز كما هو الحال عند الإمام مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية .

13 ــ منهجهم الغالب في تناول هذه الاستعارات هو الاكتفاء بذكر اللفظ المستعار والمستعار له دون تحديد اسم الاستعارة وبيان نوعها . فهم يكتفون بتحليل الاستعارة وفق سياق الآيات

وشرحها شرحا موجزا ، دون ذكر للأغراض والوظائف التي أدّتها تلك الاستعارات إلاّ في القليل النادر عند بعضهم .

14 ــ توظيف بعضهم الشعر كأداة لتحليل كثير من الاستعارات كما هو الحال عند ابن عطية وأبي حيّان . وبشكل قليل عند الإمام ابن عرفة .

15 ــ تناول المفسرون المغاربة فنّ الكناية وأكثروا من الإشارة إليها في تفسيرهم للآيات القرآنية على تفاوت بينهم في ذلك . وقد شملت تنبيهاتهم كثيرا من أنواع الكناية المعروفة عند المتأخرين كالكناية عن موصوف والكناية عن صفة .

16 ـ منهجهم العام في تناول هذه الكنايات هو الاكتفاء بذكر اللفظ المكنى عنه وشرحه . وفي القليل النادر الإشارة للغرض من هذه التكنية . دون التعرض لذكر نوع الكناية .

17 ـ الخلط بين المجاز والكناية عند بعض المفسرين كما هو الشأن عند الإمام ابن جزي

18 ـ جملة الكنايات التي ذكرها المفسرون المغاربة صحيح ويصدق عليها اسم الكناية على الحال المستقر عليها مباحث هذا الفن.

17 ـ بدا تأثر بعض المفسرين المغاربة كما هو الشأن عند الإمام ابن جزي وأبي حيّان بالإمام الزمخشري في كشافه ، كما ظهر تأثير الإمام أبي حيّان في بعض المفسرين كالسمين الحلبي وابن عادل .

18 ـ تناول المفسرون المغاربة فنّ البديع وتعرّضوا للكثر من موضوعاته على تفاوت بينهم في ذلك . فمنهم من لم ترد عنه إشارة لهذه المحسنات المعنوية واللفظية في تفسيره مطلقا . ومنهم من ورد في تفسيره ذكر محسن أو محسنين كما هو الشأن عند الإمام ابن عطية وابن الزبير .

19 ــ تطور البديع وازدهاره في بلاد المغرب خلال القرن السابع والثامن ساعد المفسرين على توظيفه في الدرس التفسيري والاستعانة به في كشف وجوه الإعجاز القرآني .

20 ــ يعدّ الإمام ابن جزي من بين المفسرين المغاربة المكثرين من الإشارة لفنون البديع . فقد حرص على التنبيه عليه عند تعرضه لتفسير الآيات وذكر في مقدمته أدوات البيان التي تضمنها القرآن .

21 ــ من منهج الإمام ابن جزي في تناول قضايا البديع هو إطلاقه لهذا المصطلح ـ البديع ـ على جميع فنون البلاغة بما في ذلك علمي المعاني والبيان . وهذا يؤكد عدم اهتمامه بالتقسيمات والحدود التي آلت عند المتأخرين . كما أنّ منهجه في تناول البديع اطلاقه مصطلح البيان على كثير من المحسنات المعنوية .

22 ــ منهج ابن جزي في الإشارة لفنون البديع قائم على الإيجاز والاختصار . وذلك بذكر المحسن وتعيينه في الآية دون الافاضة في شرحه وتحليله ووظيفته الجمالية .

23 ــ يعدّ الإمام أبو حيّان الأندلسي من بين المفسرين المغاربة المكثرين من الإشارة لفنون البديع في تفاسيرهم .

24 ــ من منهج الإمام أبي حيان في إيراد هذه المحسنات أنّه يهتم أولا ببيان المحسن في الآية وذلك بتعينه وتعريفه في الغالب مع تحليله وتوضيحه.

25 ــ ينقل الإمام أبو حيان كثيرا من هذه المحسنات عمّن سبقه من المفسرين أو اللغوين كما هو الشأن في نقله عن الزمخشري وسيبويه وابن جني .

26 ــ يحرص الإمام أبو حيان على التمثيل للمحسن البديعي بشواهد من النثر والشعر ممّا يساعد على فهمه في الآية ويقربه.

27 ــ يعد الإمام ابن عرفة من بين المفسرين المغاربة المهتمين بفنّ البديع في تفاسيرهم . وقد تجلى هذا في جملة المحسنات اللفظية والمعنوية التي نبّه عليها في تفسيره .

28 ــ منهج الإمام ابن عرفةفي تنبيهه على المحسن البديعي يقوم في الغالب بتسميته وشرحه وتوضيحه . وفي بعض المواضع ينص عليه دون تحليل وتوضيح ، كما أنّه يعضد ويشفع تحليله لتلك المحسنات بجملة من الشواهد من القرآن والشعر .

وبعض تقرير هذه النتائج أسجل بعض التوصيات والمقترحات :

1 ــ ضرورة توجيه الباحثين وتصويب أنظارهم نحو الدراسات البلاغية القرآنية لما لها من الأثر الكبير في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن من الجهة البيانية.

2 ــ ضرورة الاستمرار والمواصلة في البحث عن تطبيقات الدرس البلاغي في كتب المفسرين المغاربة والمشارقة منهم على حدّ سواء . فإنّ في ذلك مجالا خصبا في التأصيل للبلاغة العربية .

3 ــ أقترح دراسة بعض الظواهر البلاغية في كتب المفسرين المغاربة لم أتعرض لها كدراسة بقية أساليب الإنشاء الأخرى غير الأمر والاستفهام . كالنهي والنداء .

4 ــ كما أقترح دراسة مبحث التعريف والتنكير . وكذلك مبحث القصر والحصر وتطبيقاته في كتب المفسرين المغاربة والأندلسين . وعند مفسرين آخرين .

5 ــ وفي ختام التوصيات أقترح دراسة ظاهرة المجاز وتطبيقاتها في كتب التفسير المغربية والأندلسية لاستبانة منهجهم في تناولها وبيان نظرتهم وموقفهم من المجاز .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	2	63 ـ 406 ـ 419 ـ 420 ـ 596 ـ 606
﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	3	406 ـ 606
﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	4	606
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	5	63 ـ 408 ـ 412 ـ 415 ـ 430 ـ 436 ـ 596 ـ 619 ـ 620 ـ 628
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	2	22 ـ 64 ـ 151 ـ 444 ـ 514 ـ 515 ـ 516
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	5	516
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	6	226 ـ 385
﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	7	409 ـ 438 ـ 444 ـ 445

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		ـ738
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾	10	61
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾	11	65 ـ 496 ـ 518
﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾	12	518 ـ 812
﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾	13	812 ـ 813
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾	14	62
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾	16	54 ـ 62 ـ 721
﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾	17	65 ـ 530 ـ 531 ـ 639 ـ 653 ـ 675 ـ 684 ـ 696
﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾	20	40 ـ 630 ـ 639
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	21	63 ـ 629 ـ 630 ـ 639
﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	22	482
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ	23	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾		
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾	24	568 ـ 72
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾	26	346 ـ 276 ـ 387 ـ 865 866 ـ
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾	28	246ـ 40 ـ 332 ـ 267
﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	30	227 ـ 23 ـ
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	31	310 ـ 28
﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾	33	631
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	34	631 ـ 630
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾	35	557ـ 380
﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾	36	25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	44	389 - 421 - 422
﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾	45	39
﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾	48	421
﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	53	533
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾	54	446
﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾	57	39
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ ﴾	74	694
﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	75	229 - 262 - 388
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	78	876
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾	84	801
﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾	92	594 - 595

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾	93	596
﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	94	311
﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾	95	186 ـ 199 ـ 195
﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾	98	536 ـ 559 ـ 578
﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	100	360
﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	106	263 ـ 363
﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	111	71
﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾	111	393
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ ﴾	114	306
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾	123	421
﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	124	146 ـ 415
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	127	519

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	130	632
﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	131	632
﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾	132	446 ـ 439
﴿ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	135	26
﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾	138	725
﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	141	544
﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾	142	24
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾	143	432
﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ ﴾	144	772
﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ ﴾	145	ـ 181ـ 193 200 ـ 189
﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾	150	534

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	150	254 ـ 351
﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾	152	52 ـ 539
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾	163	70
﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾	165	541
﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾	166	860
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾	168	288 ـ 289 ـ 382
﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	171	409 ـ 550 ـ 661 ـ 685
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾	172	288 ـ 289 ـ 382 ـ610
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	173	288 ـ 610
﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	177	29 ـ 177
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ	179	111 ـ 582 ـ 840

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تَتَّقُونَ ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾	183	695
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾	186	633
﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾	187	710 ـ 713 ـ 717 ـ 733 ـ 749 ـ 753 ـ 769
﴿ ولكن البرّ لمن اتقى ﴾	189	455
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾	190	870
﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	191	25 ـ 870 ـ 871
﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	195	72
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ﴾	196	22

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾	200	868 ـ 867
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾	201	868 ـ 867
﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾	211	318
﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	212	490
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾	214	492
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	223	ـ 710 ـ 663 749 ـ 713
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴾	228	190 ـ 194
﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾	229	841
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾	231	842
﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾	233	ـ 190 ـ 182 195
﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ	235	775ـ 352

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾		
﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	236	848
﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾	238	50 ـ 536 ـ 537
﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾	239	844
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾	240	845
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾	245	196 ـ 340
﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ ﴾	246	390
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	255	246
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾	261	51
﴿ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾	267	710 ـ 713
﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾	276	119
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾	282	196

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عَلِيمٌ ﴾		
الآية	الرّقم	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	3	41
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	11	612
﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾	13	846 - 857
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ﴾	14	42
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ ﴾	20	242 - 243
﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ ﴾	24	367
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	25	343
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ ﴾	26	841 - 842 - 846
﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ ﴾	27	55 - 816 - 858
﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ	36	189 - 440

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾		
﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	46	858 - 857
﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ﴾	47	368 - 277
﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾	48	576
﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	49	201
﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	66	43
﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾	73	30
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾	75	30
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾	81	27
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	83	431 - 361
﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	93	312
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾	96	27
﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	97	43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	99	391
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	103	726 ـ 737
﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾	101	333
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾	106	269
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	110	843
﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾	115	31
﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾	117	653
﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾	119	205 ـ 206 ـ319 ـ 354
﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾	122	255
﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾	124	336
﴿ وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ ﴾	125	425
﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾	126	425 ـ 426
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	133	479 ـ 480 ـ 672

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ	144	232
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾	152	850
﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى ﴾	156	442
﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	157	443
﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾	158	443 ـ 441
﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾	161	847
﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	162	369
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾	178	489
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾	180	ـ488 527
﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	183	854

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾	187	191
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	188	463
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة النساء		
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	1	153
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾	3	770 - 771
﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾	6	51 - 78 - 320
﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	9	468
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾	10	50
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ﴾	11	50 - 177

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾		
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾	13	584
﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾	21	768
﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾	29	50
﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾	32	469
﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	38	424
﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾	41	423 ـ 424 ـ 806 ـ 807
﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾	42	489 ـ 490 ـ 571
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	43	554 ـ 749 ـ 763
﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾	45	569

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾	47	601 ـ 602 ـ 627
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	49	393 ـ709 ـ 712
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾	50	192
﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾	53	330 ـ 362
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	54	362
﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾	55	758 ـ 759 ـ 851
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾	60	369
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾	63	581 ـ 848
﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	69	851
﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾	72	416 ـ764
﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾	74	208

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾	75	378
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	76	207
﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾	78	325
﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	79	597
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾	80	598 ـ 597
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	82	855 ـ 341
﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾	83	28
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا	87	850 - 849
﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾	88	326ـ 284
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾	92	852
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ﴾	97	270
﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾	108	849

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾	115	80
﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾	124	709 - 712 - 844
﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾	127	50
﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾	129	686
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾	137	762
﴿ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ ﴾	141	421
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾	144	868 - 869
﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾	157	706
﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	166	827
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴾	168	762 - 877
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ	2	77 - 256 -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ﴾		258 ـ 257
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾	3	288 ـ 73
﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾	4	322 ـ 53
﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾	6	554
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	9	584
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ	10	584
﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾	12	640
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾	18	802ـ 393
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	26	470
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾	45	79
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	48	38
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	49	364
﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ	50	ـ 327 ـ 234 364

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يُوقِنُونَ ﴾		
﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ ﴾	64	765
﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾	75	754 ـ 760 ـ 761 ـ 886
﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	91	243 ـ 244 ـ 348 ـ 375 ـ 376
﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	95	727
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾	105	212
﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ ﴾	110	295
﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ ﴾	116	295 ـ 394
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الأنعام		
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾	3	189
﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا	4	76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُعۡرِضِينَ ﴾		
﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ﴾	6	598
﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	11	322
﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ ﴾	19	235
﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾	26	821
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾	27	561 - 542
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾	30	484 - 338 735 – 714–
﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾	41	437
﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾	42	24
﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	45	759
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ﴾	50	294
﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	53	365

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾	59	722
﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾	61	626 ـ 625
﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾	62	626 ـ 625
﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾	71	664
﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾	72	202
﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	74	237 ـ 71
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾	80	874
﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ﴾	83	875
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾	90	38
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾	91	265
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	93	542
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾	99	637 ـ 77
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	101	779

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾	105	355- 76
﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	109	74
﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾	114	370
﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾	119	266
أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ﴾	122	713 ـ 710
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾	123	413
﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾	124	827
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	125	655
﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ﴾	137	461
﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾	138	81

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	143	312
﴿كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾	144	272
﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ﴾	145	288 - 610 - 611
﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾	151	178 - 212
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾	164	339
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الأعراف		
﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾	4	802
﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا	19	557 - 570

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾		
﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾	36	641
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾	37	641
﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	44	483
﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	57	493 - 492
﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾	58	493 - 492
﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾	70	871 - 587
﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	72	772
﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾	75	285
﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ﴾	81	74
﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾	88	814
﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾	101	24
﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾	113	510
﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	128	799

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾	148	484
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾	154	715
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾	143	52
﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ ﴾	155	395
﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾	160	494 ـ 495 ـ 554
﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾	163	218
﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾	177	432
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾	179	517
﴿ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	186	223
﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾	187	24
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ ﴾	189	755 ـ 768 ـ 770
﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾	190	464 ـ 465

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾		
﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴾	194	313
﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾	195	356 - 328
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾	201	756
﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾	202	836 – 756
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾	206	434

الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ ﴾	7	426
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	10	425
﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾	11	701
﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾	12	259

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	17	701
﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾	34	366
﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	48	613
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾	50	613 - 571
﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾	52	612
﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾	54	612
﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾	57	873
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾	59	872
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	60	872
﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	66	192

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾	67	81
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة التوبة		
﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾	5	26
﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾	7	278 ـ 334ـ 481
﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾	8	462 ـ 481 ـ 487
﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	13	238
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	18	183
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	36	184
﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	37	497
﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	41	728
﴿ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾	52	314
﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾	53	220 ـ 324 ـ221ـ 358

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾	67	766
﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ ﴾	74	880
﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ﴾	80	220 - 221 - 222 - 217 - 324 - 358
﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾	82	885
﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾	83	383
﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾	86	477
﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	87	476
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	91	862
﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	93	476
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾	105	249 - 359
﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ ﴾	109	337

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾	127	119 ـ 203
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾	22	590 ـ 595 ـ 597 ـ 599 ـ 600 ـ 602 ـ 603 ـ 604 ـ 605 ـ 615 ـ 623 ـ 633 ـ 634
﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	33	512
﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾	38	314
﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾	42	409
﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ ﴾	61	881
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾	76	297
﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا	77	296

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾		
﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾	80	253
﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾	99	330
﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	103	568
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	1	884 - 883
﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾	10	555
﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	14	347
﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	24	55 - 676 - 687
﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾	27	429 - 428
﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾	28	428 - 427
﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾	31	294
﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا﴾	41	406

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	44	112
﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴾	62	427 - 429
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾	63	427 - 429
﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾	74	572 - 573
﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾	92	187
﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴾	93	250 - 315 - 316
﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾	101	77
﴿ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴾	105	865
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ ﴾	106	865
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴾	121	291 - 316 - 317 - 353
﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾	122	316 - 353
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة يوسف		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾	9	75
﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾	16	510
﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾	17	510
﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾	18	74
﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾	23	750
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾	24	562
﴿ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾	38	179
﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾	72	79
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾	73	873
﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾	82	101 - 455 - 456 - 465 - 540
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾	111	882
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الرّعد		
﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾	10	817 - 832
﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾	14	878
﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ	17	678

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ ﴾		
﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	19	337
﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾	21	798
﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾	22	798
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾	25	798 ـ 799
﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ ﴾	31	456 ـ 471 ـ 472 ـ 542
الآية	**الرّقم**	**الصفحة**
سورة إبراهيم		
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾	6	558 ـ 559
﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	10	340
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾	18	665
﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾	19	591
﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾	21	591

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾	43	689
﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾	46	473
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الحجر		
﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾	3	249 ـ 213
﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾	41	38
﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾	54	279
﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	72	466
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة النحل		
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞ ﴾	9	38
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	14	512 ـ 511
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	24	871 ـ 587
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ	51	626

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فَارْهَبُونِ ﴾		
﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾	52	273
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾	53	290
﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾	54	290
﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	55	317 - 290
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾	56	614
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ ﴾	57	614
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾	62	614
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾	72	- 615 - 614 616
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	78	807
﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾	89	- 423- 643 806 - 424
﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾	79	807
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾	90	885 - 884

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا ﴾	92	667
﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾	112	711 ـ 714 ـ 717 ـ 727 ـ 729
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾	114	288
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	115	288
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الإسراء		
﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴾	2	601
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾	9	500
﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	24	124 ـ 731
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾	29	752 ـ 765 ـ 869
﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ	62	563

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾		
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ﴾	110	407
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الكهف		
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	6	732
﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾	18	818
﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ ﴾	21	709
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾	22	719
﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾	29	214 ـ 215 ـ 291
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾	30	547
﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾	45	680
﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾	46	837
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾	57	305
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾	60	485
﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾	75	296

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾	94	348
﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾	104	822
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة مريم		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾	4	124 ـ 447 ـ 720
﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴾	6	864
﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾	9	874
﴿ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾	67	855
﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا ﴾	75	206 ــ 221 ـ 222ـ 223
﴿ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾	98	371
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة طه		
﴿ مَآ أَنزَلۡنَا ﴾	2	624
﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴾	4	624
﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	9	282
﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	17	240
﴿ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴾	20	741

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾	22	125 ـ 580
﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾	25	576
﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾	26	576
﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾	39	184 ـ 204
﴿ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾	53	417
﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	70	417
﴿ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾	120	373
﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾	127	303
﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾	128	302
﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾	130	808
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الأنبياء		
﴿ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾	3	371
﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾	6	236
﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾	21	331
﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾	22	875

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾	34	232
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	35	418
﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	39	471
﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾	43	335
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾	48	534
﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	69	125
﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾	80	375
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	92	617 ـ 616
﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾	93	617 ـ 616
﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	108	376
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الحج		
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾	2	ـ 690 ـ 681 886 ـ 885

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	الرَّقم	الصفحة
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾	15	207 ـ 206
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾	31	696
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾	46	238
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾	14	486
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	41	681
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	52	616
﴿ فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	53	615 ـ 616
﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	69	274
﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾	70	274
﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	91	659
الآية	الرَّقم	الصفحة

الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة النور		
﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾	16	435
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾	10	552
﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾	12	620
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	20	552
﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾	33	256
﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	37	119
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾	39	657 ـ 116
﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾	50	328
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	56	212
سورة الفرقان		
﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	3	207
﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾	7	760ـ 374

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾	17	377
﴿ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾	20	760
﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾	23	712 ـ 709
﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ ﴾	27	ـ 767 ـ752 773
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾	47	668
﴿ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾	59	174
الآية	**الرّقم**	**الصفحة**
سورة الشعراء		
﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾16	529	
﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾23	529	
﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾32741		
﴿ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ ﴾63		553
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ 69	298	
﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾70		300 ـ 298
قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾71		298

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴾	72	299
﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾	74	299
﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴾	128	275
﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾	168	823
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	215	716
﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾	221	283
سورة النمل		
﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾	10	741
﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ ﴾	12	530
﴿ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾	20	247
﴿ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾	22	823
﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ ﴾	29	564
﴿ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	30	564ـ407
﴿ وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	44	119
﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	59	241
﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن	60	242 ـ 241

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾		
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة القصص		
﴿ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ ﴾	32	714
﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾	38	71
﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	47	531
﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	50	719
﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾	73	834 ـ 800
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	10	363 ـ 264
﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ ﴾	13	710
﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ	40	415 ـ 112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾		
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾	65	290
﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾	66	290
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾	67	614
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة الروم		
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	6	886
﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	7	886
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾	23	859-410
﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾	29	228
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾	33	290
﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾	34	290-251
﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾	39	635 - 625
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾	43	824
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة لقمان		

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	28	480
سورة السجدة		
﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾	18	305
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾	22	434 - 305
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	23	538
﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾	26	302
سورة الأحزاب		
﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾	6	151
﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾	24	573
﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	50	622 - 621
﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾	61	178
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة سبأ		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾	3	883
﴿ وَهَلْ نُجَزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾	17	228
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	24	467
﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾	45	286
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾	51	111
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة فاطر		
﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾	5	809 ـ 674
﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾	9	809 ـ 674
﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾	10	809
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ	12	511

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾		
﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾	13	712 ـ 709
﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾	18	498
الآية	الرَّقم	الصفحة
سورة يس		
﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾	34	636
﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾	35	636 ـ 635
﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾	39	682
﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾	59	448
﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾	67	499
﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾	79	875 ـ 874
﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ﴾	81	875
الآية	الرَّقم	الصفحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الصافات		
﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾	47	444
﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾	49	690
﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾	62	146
﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴾	63	146
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾	64	669 ـ 142
طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	65	742 ـ 669
﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾	83	298
﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	84	298
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾	85	249 ـ 298 ـ 299 ـ 300
﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾	86	294 ـ 298 ـ 300
﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	87	298
﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	95	300
﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴾	97	299 ـ 300
﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾	117	829
وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ	118	829
﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾	164	564
﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾	153	271
﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾	154	329
﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾	175	475

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	178	574
﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾	179	475
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة ص		
﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾	3	197
﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا ﴾	8	811
﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾	9	811
﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾	26	549
﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾	29	543
﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾	67	810
﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾	68	810
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الزمر		
﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ ﴾	8	260
﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾	15	260
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾	29	658
﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ	39	215

فسوف تعلمون ﴾		
﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾	47	307
﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾	71	551
﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾	73	455 - 551 - 552
الآية	**الرّقم**	**الصفحة**
سورة غافر		
﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾	4	512
﴿ فكيف كان عقاب ﴾	5	280
﴿ وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾	6	512 -
﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾	16	588 - 884
﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾	17	588 - 887 - 888
﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة ﴾	21	608
﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ	36	577

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾		
﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾	37	577
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	38	557 - 556
﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ ﴾	39	557 - 556
﴿ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾	40	102
﴿ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾	67	590
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة فصلت		
﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾	34	112
﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾	40	-215 -213 -252 -250 -291 -260 354
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾	44	659
﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي ﴾	47	555

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾	50	555
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الشورى		
﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	24	187
﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾	49	832
أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	50	832
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الزخرف		
﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾	23	230
﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾	45	230
﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾	57	71
﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	89	216
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الدخان		
﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾	24	179
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾	49	168-173 -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	الرَّقم	الصفحة
		219 ـ 294 ـ 315 ـ 727
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الجاثية		
﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾	13	284
﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	36	419 ـ 420
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الأحقاف		
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	4	372
﴿ : قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	9	
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	10	566
﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	35	228
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة محمد		
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾	11	611
﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾	20	188

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾	21	188 - 455 - 456 - 478 - 622
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾	22	622

الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الحجرات		
﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾	7	609
﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾	12	204

الآية	**الرقم**	**الصفحة**
سورة ق		
﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾	9	811
﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾	14	811 - 812
﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	15	811
﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾	19	22 - 513

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴾	20	513
﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾	21	513
﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾	23	514 ـ 513
﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ ﴾	27	514 ـ 513
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾	38	808
﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾	39	808
سورة الذاريات		
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾	24	344
﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾	53	281
سورة الطور		
﴿ وَٱلطُّورِ ﴾	1	449
﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾	2	449
﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴾	9	449 ـ 448
سورةالنجم		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

301	21	﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾
301	22	﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾
549 - 548	23	﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾
277	24	﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾
841 - 840	43	﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾
		سورة القمر
346	5	﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾
692	7	﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾
		سورة الرحمان
645	3	﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾
645	4	﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾
645	13	﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
546 - 545	16	﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
261	33	﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾
698	37	﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾
804	46	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾
824	54	﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾	64	125
﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾	68	536
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالواقعة		
﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴾	28	757
﴿ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴾	34	757
﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴾	35	757
﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴾	71	41
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالحديد		
﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾	3	818
﴿ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾	12	449
﴿ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾	13	384
﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	21	479-672
﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾	24	472
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الحشر		
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾	11	396

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورةالصف		
﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	11	185
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الجمعة		
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	10	258 ـ 256
سورة المنافقون		
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	3	675
سورة التغابن		
﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	15	439
سورةالطلاق		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾	1	604 ـ 603
﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾	7	212
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة التحريم		
﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾	4	590
﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾	8	450
سورة الملك	**الرقم**	**الصفحة**

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾	5	52
سورة القلم	**الرَّقم**	**الصفحة**
﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾	14	30ـ 231
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾	42	709 ـ 712
سورة الحاقة		
﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾	1	127 ـــ 307 ـ 379 ـ 751
﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾	2	128 ـ 307 ـ343ـ 379 ـ 751
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾	3	345 ـ 751
سورة المعارج		
﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾	42	216
سورة نوح		
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	17	737
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالمدثر		
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	4	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾	18	306
﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	19	306
﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	20	306
﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾	37	208 ـ 209
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة القيامة		
﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴾	7	810
﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴾	8	810
﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾	9	810
﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾	29	56 ـ 825
﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾	30	56
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾	31	618
﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	32	618
﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾	33	618
﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾	34	618
﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾	35	293 ـ 618
﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾	36	373
الآية	**الرقم**	**الصفحة**
سورة المرسلات		
﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾	1	575

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴾	2	575
﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴾	3	575
﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴾	4	575
﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾	5	575
﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾	7	575
﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	15	288 ـ 292
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴾	41	292
﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾	42	292
﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	43	292
﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	44	292
﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	45	292
﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴾	46	292 ـ 217 ـ 294 ـ 293
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴾	48	293
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالإنسان		
﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾	1	390 ـ 180
﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾	2	411
﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	3	585

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	8	102 ـ 537 ـ 839
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالنازعات		
﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾	18	374
﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾	34	723 ـ 751
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة عبس		
﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾	33	723 ـ 751
سورةالتكوير		
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	17	707
﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	18	707
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالمطففين		
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾	10	292
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الانفطار		
﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾	13	830
﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾	14	830
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة الغاشية		
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾	1	180 ـ 349

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾	17	448
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورةالضحى		
﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾	6	264 ـ 363
سورةالانشراح		
﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾	1	245 ـ 264 ـ 364
﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾	2	710 ـ 713
الآية	**الرَّقم**	**الصفحة**
سورة التين		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	4	528
﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	8	264 ـ 363
سورة العلق		
﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾	11	350
﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾	17	356
سورة القدر		
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾	**2**	342
سورة العاديات		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾	2	41
﴿ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾	8	713 ـ 710
سورة القارعة		
﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾	1	247ـ 308 ـ 379 ـ 751
﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾	2	247 ـ 308 ـ 343 ـ 379 ـ 380ـ 751
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾	3	751
﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾	4	693 ـ 751
﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾	5	751
سورة التكاثر		
﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾	1	198
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	3	535 ـ 566 ـ 579
﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	4	535 ـ 579
سورةالكوثر		
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	1	642
﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾	2	642 ـ 643
سورةالاخلاص	الرقم	الصفحة
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	4	428

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الحديث	الصفحة
أبو زرع ، فما أبو زرع	12 7
إخراج البيضة	55
إذا أكل فكل	53
اذكروني بالطاعة	52
أسلم سالمها الله	119
أطلق وأعلق	122
أمروا ألاّ يقاتلوهم	25
إن أسكت أعلق ، وإن أنطق أطلق	117
إن أكل اقتف	118
إنّ السّاعة تهيج والرجل	24
إنّ الله قال لموسى	52
أن تعبد اللّه كأنّك تراه	72
إن خرج أسد	118
إن دخل فهد	124
إنّ للّه في السّموات السّبع ملائكة يصّلون	23
إنّ مكة حرام بحرمة الله	26
إنّ من البيان لسحرا	646
أن يستلف الوصي الفقير	51
أنا منه على مثل حدّ السّنان المذلق	117
إنّه أنقى لثوبك	118
أنهلك وفينا الصالحون	395
بالبأساء الفقر ، والضّراء المرض	24
بيتها فساح	118
تعشيشا وتغشيشا	118122
تقوم الساعة والرجلان	24
خلق الله النجوم	52

خمس يقتلن في الحرم	178
ذلك الفضل المبتغى	258
ذلك يوم أخذ منهم الميثاق	24
رحلا سريا ركب شريا	118 - 119 - 123
شجك أو فلك	119 - 123
شغلونا عن الصلاة الوسطى	51
صلّى نحو بيت المقدس	25
طويل النجاد	127
عجره وبجره	119
عظيم الرماد	127
فإن أكل منه فلا تأكل	53
في سائمة الغنم الزكاة	42
القرآن حبل الله المتين	734
قريب البيت من النادي	127
قوموا فلأصل لكم	185 - 186 - 198 - 204
كان رسول الله إذا كربه	39
كان في علمه عزّ وجّل يوم	24
كلمّا صلحت أحوالهم	40
الكمأة ممّا منّ الله	39
لا تبث حديثنا تبثيثا	118
لا حرّ ولا قرّ	118
لا سهل فيرتقى	121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا يولج الكف	125
لك بها يوم القيامة	51
لمّا أراد إبليس من آدم	25
اللهم أمض لأصحابي هجرتهم	665
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسّر شيئا	49
ما نهاني ولكنه خيرني	358
مالك وما مالك	128
مالك وذلك	123
مالك وذلك	123
المسّ مسّ أرنب ، والريح ريح زرنب	117 ـ 118 ـ 123
المعنى ليس يؤمنوا	24
من ذبّ عن لحم أخيه	748
من قال في القرآن برأيه وأصاب	49
نعي إليه أخوه	39
هي النطفة تخرج من الرجل	53
هي حجارة الكبريت	72
وإذا هجع التف	125
وأشرب فأتقنع	118 ـ 123
والغيث غيث غمامة	118
ولا يرفع اليوم لغد	125
يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون	72
يلعبان من تحت خصرها برمانتين	118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أبلغ كليبا وأبلغ عنك شاعرها إنّي الأعزّ وإني زهرة اليمن	1	زهرة اليمن	173
أتته الخلافة منقادة إليه تجرّر أذيالها	1	أبو العتاهية	708
أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب في الزيت والفتل	1	الأعشى	65
أثمرت أغصان راحته بجنان الحسن عنابا	1	ابن المعتز	705
إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت عليه فصارت لباسا	1	الأعشى	717
إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ... تقول هزيز الريح مرت بأثأب	1	امرؤ القيس	102
أسيء بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت	1	كثير	220 ـ 358
أصبحت هزءا لراعي الضأن يهزأ بي ماذا يريبك مني راعي الضأن	1	أمية بن الأسكر	661

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أكلت دما إن لم أعرك بضبوة بعيدة مهوى القرط طيبة النّشر	1	مجهول النسبة	748
أكنّي بغير اسمها وقد علم اللّه خفيات كلّ مكتم	1	النابغة الجعدي	750
ألا حي من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى مما لبسن اللياليا	2	أبو حية	103
ألم تكن في وسوم قد وسمت من كان موعظة يا زهرة اليمن	1	زهرة اليمن	173
إنّ الربيع والجود و الخريفا يدا أبي العبّاس والصيوفا	1	رؤبة بن العجاج	672
إنّما الأرحام أرض ونحن لنا محترثات فعلينا الزرع فيها وعلى اللّه النبات	2	ثعلب	663
أيا نخلتي واد بوانة حبّذا إذا نام حرّاس النخيل جناكما	2	عمر بن أبي ربيعة	750
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال	1	امرؤ القيس	669
أيّما شاطن عصاه عكاه ثمّ يلقى في السجن والأكبال	1	أمية بن الصلت	62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بع بصوت المال مما منك يشكو ويصيح	1	أبو نواس	96
بسمر كالقداح مسومات عليها معشر أشباه جن	1	النابغة	42
بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل أبوها وإمّا عبد شمس وهاشم	1	عمر بن أبي ربيعة	748
بكى الخزّ من روح وأنكر جلده وعجّت عجيجا من جذام المطارف	1	حميدة بنت النعمان	62
تطاول ليك بالإثمد وناو الخلي ولم ترقد	3	امرؤ القيس	615
تعلّى النّدى في متنه وتحدّرا	نصف	مجهول النسبة	151
حتّى نجا من خوفه وما نجا	نصف	مجهول النسبية	794
ذهبت بمذهبه السّماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أمْ مذْهَبُ	1	أبو تمام	793
شكى إلي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلّنا مبتلى	1	مجهول النسبة	75
عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف	1	الفرّاء	669
فأهلكوا بعذاب حصّ دابرهم فما استطاعوا له دفعا ولا انتصروا	1	أمية بن الصلت	759

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي	1	طرفة بن العبد	101
فنيت وما يفنى صنيعي ومنطقي ... وكل امرئ إلا أحاديثه فاني	1	الربيع بن ضبيع	106
في أخاديد السياط المشنّ شافٍ لبغي الكلب المشيطن	1	الأعشى	62
في ليلة مرضت من كل ناحية فما يحس بها نجم ولا قمر	1	أبو حية	61
قاعدا حوله النّدامى فما ينفك يؤتى بموكر محذوف	1	الأعشى	451
قامت تشكي إليّ النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا	1	لبيد بن ربيعة	605 – 632
قد نطعن العين في مكنون فائلة وقد تشطوا على أرماحنا البطل	1	الأعشى	62
قيد الأوابد هيكل	نصف	امرؤ القيس	124
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً .. لدى وكرها العناب والحشف البالي	1	امرؤ القيس	100 – 116 677_

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

			– 696
كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تدار كواكبه	1	بشار بن برد	696
لا تضحكي يا سلم من رجل ضحك المشيب بوجهه فبكى	1	دعبل الخزاعي	885
لا قوم أكرم من تميم إذ غدت عوذ النّساء يسقن كالآجال	1	الفرزدق	701
لف الثريا في ملاءته الفجر	نصف	ذو الرمة	124
لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم .. . طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم	2	الفرزدق	105
لقد لمتنا يا أمّ غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم	1	جرير	665
لو أنّ الباخلين، وأنت منهم، ... رأوك تعلموا منك المطالا	1	كثير عزة	106
مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل	1	امرؤ القيس	108
موكل بشدوف الصوم يرقبها من المغارب مخطوف الحشا زرم	1	ساعد بن جوية	669

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني	1	شمسويه البصري	794
هو ساعد الدّهر الذي يتقى به وما خير كفّ لا تنوء بساعد	1	الأشهب بن رميلة	780
هو الكلب إلاّ أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب	1	مجهول النسبة	876 ـ 880
وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم	1	زهير بن ابي سلمى	719
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع	1	أبو ذؤيب	708
وأعلم اليوم والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غد عمي	1	زهير بن أبي سلمى	73
وأقطع الهوجل مستأنساً بهوجل عيرانة عيطموس	1	الأودي	102 – 120
وإنّي لأكنوا عن قذور بغيرها وأعرب أحيانا بها فأصارح	1	أبو زياد	746
وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجّل	2	امرؤ القيس	.690
وجدت رقاب الوصل أسياف هجرها	1	بشار بن برد	96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقدت لرجل البين نعلين من خدي			
وخبرتماني أنّما الموت في القوى فكيف وهاتا هضبة وقليب	1	كعب بن سعد الغنوي	462 ـ 487
وغداة ريح قد وزعت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها	1	لبيد	96
وغداة قاع القرنتين أتينهم زجلا يلوح خلالها التسويم	1	لبيد	42
وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع وفي كل يوم لقية وخطاب فكيف وفيما بيننا ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب	2	أبو فراس الحمداني	752
وقد لبست بعد الزبير مجاشع ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما	1	جرير	718
وقد لبست لبس الملوك ثيابها .. . وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم	2	كثير عزة	97
ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب	1	النابغة الذبياني	876 ـ 880

			881ـ
وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل	1	امرؤ القيس	98
ويتمنى في أورمتنا ونفقأ عين من حسدا	1	مسافر بن أبي عمرو	207
ويضحى فتيت المسك فوق فراشها .. نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل	1	امرؤ القيس	100
يا نعمها ليلة حتّى تخولها داع دعا في فروع الصبح شحاج	1	الراعي	703
يا ويح نفسي كان جلدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر	1	أبو بكير الهذلي	605
يقيض إليّ من حيث لا أعلم النّوى ويرسل إليّ الشوق من حيث لا أعلم	1	البحتري	885
اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر من بين إنعام وإيئاس	1	يسار بن عدي	862

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم . د ط . مجمع الملك فهد . المملكة العربية السعودية

1) ابن جزي و منهجه في التفسير، علي محمد زبيري، ط1 ، دمشق ، دار العلم، ج 1407هـ، 1987م

2) الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، د ط ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، د ت

3) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ط1، تحقيق محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، 1395هـ -1975م

4) أدب الكاتب : ابن قتيبة الدينوري ، ط 4 ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مصر ، المكتبة التجارية ، 1963 م

5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1411هـ-1990م

6) أسباب الخطأ في التفسير:، طاهر محمود محمد يعقوب ، ط 1 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1425 هـ.

7) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ، ط 1 ، مصر ـ دار ابن الجوزي ـ ، 1431 هـ ـ 2010 م.

8) الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي، ط4،القاهرة، مكتبة وهبة ، 1990م

9) الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشائب ، ط 7 ، د م ، 1976 م .

10) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : حسن طبل ، د ط ، القاهرة ـ دار الفكر العربي ، 1418 هـ ـ 1999 م

11) أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز : مصطفى شاهر خلوف ، ط 1، عمّان ـ دار الفكر ـ 1430 هـ ـ 2009 م

12) الإشارات والتنبيهات إلى علم البلاغة : الجرجاني ، د ط، تحقيق عبد القادر حسين ، القاهرة ـ دار النهضة.

13) الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ، ط 3 ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1988 م

14) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1416 هـ ـ 1996 م

15) الاعتصام : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ابن محمد الغرناطي الشاطبي ، د ط ، تحقيق سيد إبراهيم ،القاهرة ، دار الحديث ، 1424 هـ ـ 2003 م.

16) إعجاز القرآن : أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم الباقلاني ، د ط ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ـ القاهرة ـ دار المعارف ، د ت.

17) إعراب القرآن : أبو جعفر النحاس ، د ط ، تحقيق زهير زاهد غازي ، بيروت ـ عالم الكتب ـ 1409 هـ ـ 1988 م.

18) إعراب القرآن وبيانه :محي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، ط4 ، دمشق ، دار اليمامة ، 1403 هـ .

19) الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، ط 2 ، تحقيق سمير جابر، بيروت ، دار الفكر ، د ت .

20) الإكسير في علم التفسير : نجم الدين الطوفي ط 1، تحقيق محمد عثمان ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ، 2009 م.

21) الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيّان التوحيدي ، تصحيح أحمد أمين ـ أحمد الزين ، د ط . بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، د ت .

22) إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: د ط، مراجعة و تعليق نجيب الحامدي، بيروت، المكتبة العصرية، 1428هـ/ 2001م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

23) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو الخير البيضاوي الشافعي، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمان المرعشلي ، ط 1 بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت .

24) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، ط 1 ، تحقيق بن عيسى بالطاهر ، بيروت ـ دار المدار الإسلامي ـ 2007 م .

25) الايضاح في علوم البلاغة : ط 4 ، دت ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1998 م.

26) البحث البلاغي بالمغرب : عبد الوهاب الأزدي ، ط 1 ، مراكش ـ المطبعة والوراقة الوطنية ـ ت 2008م.

27) البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، ط1 ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993 م

28) البحر المحيط :أبو حيان الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق عبد الرزاق مهدي، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ،1423 هـ ـ 2002م

29) بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، فهد بن عبد الرحمان الرومي ، ط4 ، مكتبة وهبة ، 1419 هـ

30) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ـ 1998 م

31) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتّاح القاضي ، ط 5 ، القاهرة ، دار السلام ، 1432 هـ 2011م

32) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، جميل عبد المجيد ، مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ، 1998 م.

33) البديع : عبد الله بن المعتز ، ط 3 ، نشر وتعليق : إغناطيوس كراتشقو فيسكي ، بيروت ، دار المسيلة ، 1402 هـ ـ 1982 م.

34) البرهان في علوم القرءان ،ط 3، دار الفكر ، 1400 هـ ـ 1980م

35) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع : عبد المتعال الصعيدي ط 18 ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1430 هـ ـ 2009 م

36) بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد : القاضي عياض ، ط 1 ، تحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبي ومجموعة من الباحثين ، المملكة المغربية ـ مطبعة وزارة الأوقاف ـ 1395 هـ ـ 1975 م.

37) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، المكتبة العصرية ، د ت.

38) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : على أبو القاسم عون ، ط 1 ، بنغازي ـ ليبيا ـ دار الكتب الوطنية ـ ، 2006 م

39) البلاغة العالية علم المعاني : عبد المتعالي الصعيدي ، ط 2 ، القاهرة ـ مكتبة الآداب ـ ، 1411 هـ ـ 1991 م.

40) البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل : محمد بركات حمدي أبو علي ، ط 1 ، الأردن ـ عمّان ـ ، دار البشر، 1412 هـ ـ 1992م.

41) البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي : إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، ط 1 ، السعودية ـ دار كنوز إشبيليا ـ ، 1431 هـ ـ 2010 م .

42) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، محمد حسين أبو موسى ، د ط ، ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ، د ت.

43) البلاغة النبوية : محمد رجب بيومي ، ط 1 ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 1429 هـ .2008م

44) البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ط 8 ، مصر ، دار المعارف

45) البلاغة عند المفسرين حتّى نهاية القرن الرابع عشر ، رابح دوب ، ط 2 ، مصر ، دار الفجر ، 1999م.

46) البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي : عبد الجليل ناظم ، ط 1 ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، 2002 م

47) البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، بدوي طبانة، ط 2، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1956 م ــ 1357 هـ.

48) البيان والتبين ، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، ط 1 ، تحقيق المحامي فوزي عطوي ، بيروت ، دار صعب ، 1968م.

49) تاج العروس من جواهر القاموس : أبو فيض مرتضى الزبيدي ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1994م

50) تاج العروس من جواهر القاموس ، د ط ، تحقيق علي شبري ، بيروت ، دار الفكر ، 1414 هـ 1994 م ،ج 12 ، ص 7 ــ 8 ،ــ باب الغين ــ.

51) تاج العروس من جواهر القاموس: م ط، تحقيقي عبد الستار أحمد فرّاج، الكويت، وزارة الإرشاد و الأنبياء، 1965م

52) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس :أبوالوليدعبداللهبنمحمدبنيونسالأزديابن الفرضي ،ط 2 ، نشر وتصحيح : عزت العطار الحسيني ، مصر ، مطبعة المدني ، 1408 هـ ــ 1988 م.

53) تاريخ مدينة دمشق : أبوالقاسمعليبنالحسنابنهبةاللهبنعبداللهالشافعي ، تحقيق :محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، بيروت ، دار الفكر ، 1995 م.

54) تأويل مشكل القرءان ،: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ط1، تحقيق أحمد صقر ،مصر ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، 1373هـ - 1954م

55) تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، ط 2 ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار التراث 1393هـ ــ 1973 م

56) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : شرف الدين حسين بن محمد الطيبي ، ط 1 ، تحقيق : هادي عطية مطر الهلالي ، بيروت ــ دار عالم الكتب ــ ، 1432 هـ ــ 2011.

57) التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور ، د ط ، تونس ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، 1997 م.

58) تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت

59) التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة حتّى نهاية القرن السادس الهجري : وليد قصّاب ، د ط ، قطر ـ الدوحة ـ دار الثقافة ، 1405 هـ ـ 1985 م

60) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، ط 1 ، تصحيح محمد سالم هاشم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ، 1998م

61) التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي ، ط 1، تحقيق عبد الزاق مهدي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، 1425 هـ ـ 2005م

62) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ط13 ، بيروت ،دار الشروق

63) التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ،ط 4 ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1418هـ ـ 1998م

64) تفسير ابن عرفة : محمد بن عرفة الورغمي التونسي ، تحقيق حسن المناعي ، ط 1 ، تونس ـ مركز البحوث بالكلية الزيتونية ، 1986.

65) تفسير ابن عرفة : محمد بن عرفة الورغمي التونسي ، تحقيق جلال الدين الأسيوطي ، ط 1 ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ، 2008 م.

66) تفسير القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى بن أبي زمنين ، ط 1، تحقيق حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى ، القاهرة ، الفاروق الحديثية للطباعة والنشر ، 1432 هـ ـ2002 م

67) تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، ط 2 ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1420 هـ ـ1999 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

68) التفسير الكبير : (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي ،ط 3،دت ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د ت.

69) التفسير اللغوي للقرآن الكريم : مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، ط 1 ، السعودية ــ دار ابن الجوزي ــ ، 1422 هـ .

70) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ،ط 1 ، مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م.

71) التفسير و رجاله: محمد الفاضل ابن عاشور:ط1، دار السلام، القاهرة، 1429هـ،2008 م

72) التفسير واتجاهاته بإفريقية من النشأة إلى القرن الثامن الهجري ، وسيلة بلعيد ، ط 1 ، تونس ، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، 1414 هـ ، 1994 م.

73) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، ط8 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1424 هـ ـ2003م.

74) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا ، محمد بن رزق بن طرهوني ، ط 1 ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، 2005 م.

75) التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات : أبي المطرف أحمد لن عميرة ، ط 1 ، تحقيق محمد بن شريفة ، الرباط ـ 1412 هـ ـ 1991م.

76) تهذيب الكمال ،يوسفبنالزكيعبدالرحمنأبوالحجاجالمزي ، ط1 ، تحقيق بشار عواد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1400هـ ــ 1980 م.

77) التيسير في قواعد علم التفسير : ط 1 ، تحقيق محمد حسن الذهبي ، القاهرة ــ مكتبة القدسي للنشر والتوزيع ، 1419 هـ.

78) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني : ط 3 ، تحقيق محمد خلف الله ـ محمد زغلول سلام ، مصر ـ دار المعارف ـ د ت

79) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط 1 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1420 هـ ـ 2000 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

80) الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري) ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، ط 3 ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، بيروت ، دار ابن كثير ،1407 هـ ـ 1987 م

81) الجامع المسند «سنن الترمذي» :محمد بن عيسى بن سورة الترمذي،ط 2 ، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان ،بيروت ، دار الفكر ، 1403هـ ـ 1983م .

82) جامع بيان العلم وفضله : ط 1 ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، مؤسسة الريان ـ دار ابن حزم ـ ، 1424 هـ ـ 2003 م.

83) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، د ط ، تحقيق هشام سمير البخاري ، الرياض ، دار عالم الكتب ، 1423 هـ ــ 2003 م.

84) الجدول في إعراب القرآن : عبد الرحمان صافي ، ط 4 ، دمشق ــ دار الرشيد مؤسسة الإيمان ــ ، 1418 هـ .

85) الجملة في الشعر العربي : محمد حماسة عبد اللطيف ، د ط ، القاهرة ــ مكتبة الخانجي ـ ، 1990 م .

86) جمهرة الأمثال ، أبي هلال العسكري ، ط 2 ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ــ عبد المجيد قطامش ، بيروت ، دار الفكر ، 1988 م.

87) حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي : عمر إدريس عبد المطلب ، د ط ، ـ الأردن ـ ، دار الجنادرية للنشر والتوزيع ، 2008م

88) الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ط 1، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، بيروت ــ دار الجيل ،ــ 1416 هـ ــ 1996 م .

89) خزانة الأدب ، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي ، ط1 ، تحقيق عصام شعيتو ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، 1987 م

90) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، ط 2 ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، القاهرة مكتبة الخانجي ، 1408 هـ ـ 1988م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

91) الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، د ط ، تحقيق محمد على النجار ، بيروت ، دار عالم الكتب ، د ت .

92) الدر المصون في علم الكتاب المكنون : السمين الحلبي ، د ط ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دمشق ، دار القلم ، د ت.

93) دراسات في البلاغة العربية : عبد العاطي غريب علاّم ، ط 1 ، ليبيا ، منشورات جامعة بنغازي ، ت 1997 م

94) درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز : الخطيب الإسكافي ، ط 3 ، بيروت ، ـ دار الآفاق الجديدة ــ ، 1979 م.

95) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي ، ط 1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ـ 1997م .

96) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ط 3 ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مصر ، مطبعة المدني ،1413 هـ ـ 1992 م

97) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذاهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، ط 1 دهنيف علي عمر، مصر، مكتبة الدينية، 1423هـ -2003م .

98) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، ط 3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1416 هـ ـ 1996 م

99) ديوان حسّان بن ثابت ، ط2 ، شرح وتقديم عبدا مهنا ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ــ ، 1414 هـ ــ 1994م

100) ديوان طرفة بن العبد : ط3 ، شرح وتقديم محمد ناصر الدين ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 1423 هـ ـ 2002 م

101) رسالة في البلاغة : ط 2 ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1405 هـ ــ 1985 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

102) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي ط1، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت ، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م.

103) الروض المريع في صناعة البديع : ابن البناء المراكشي العددي ، ط ، تحقيق :رضوان بنشقرون ، 1985 م .

104) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ،د ط ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1403 هـ ـ 1983 م

105) الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، ط 1 ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1412 هـ ـــ 1999 م .

106) زهر الأداب وثمر اللباب ،أبو إسحاق بن إبراهيم بن علي الحصري ، ط 1 ، تحقيق يوسف على طويل ، بيروت ـ دار ا ـ 1417 هـ ـ 1997 م.

107) سر الفصاحة: د ط ، د ت بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1402 هـ ـــ 1982 م.

108) سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد بن عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ـ دار الفكر ، د ت.

109) سنن أبي دواد : أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني ، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر ، د ت.

110) سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي ، د ط ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، دت .

111) سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمان أبو محمد الدارمي ، ط 1 ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ـ خالد السبع العلمي ، بيروت ـ دار الفكر العربي ـ 1407 هـ

112) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 2 ، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ـ علي أبو زيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1404 هـ ـ 1984 م

113) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت.

114) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ،أحمد بن الأمين الشنقيطي ،دط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1432هـ ـ2011م

115) شرح مقدمة أصول التفسير لابن تيمية : مساعد الطيار، ط2، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428 هـ

116) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ، دط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت

117) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى : القاضي عياض ، د ط ، بيروت ، دار الفكر ، 1409 هـ ـ 1988 م.

118) الصاحبي في فقه اللغة : ط 1 ، تحقيق عمر فاروق الطبّاع ، بيروت ، دار المعارف ، 1414 هـ ـ 1993 م ، ص 183

119) الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ،ط 4 ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطا، بيروت ،دار العلم للملايين ،1984م

120) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدباءهم ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ، ط 2 ، نشر وتصحيح : عزت عطار الحسيني ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1414 هـ ـ 1994 م

121) الصناعتين الكتابة والشعر : د ط ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ محمد البجاوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1406 هـ ـ 1986 م.

122) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي ، د ط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د ت

123) طبقات علماء إفريقية وتونس ، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ، ط 2 ، تحقيق علي الشابي ــ نعيم حسن اليافي ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1985 م.

124) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . يحي بن حمزة العلوي ، القاهرة ، 1332 هـ ـ 1914 م.

125) عروس الأفراح :بهاء الدين السبكي ، ط 1 ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1423هـ ـ 2003 م.

126) علم البيان : بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط 2 ، القاهرة ـ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ــ 1418 هـ ـ 1998 م .

127) علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ، ط 10 ، مكة ــ دار إحياء التراث الإسلامي ، 1992 م.

128) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ابن رشيق القرواني ، ط 5 ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مصر ، دار الجيل ، 1401 هـ ــ 1989 م.

129) عون المعبود في شرح سنن أبي داود : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، ط 2 ، ت 1415 هـ.

130) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دط ، تصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ محب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، د ت

131) فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن : زكريا الأنصاري ، د ط ، ت بهاء الدين عبد الموجود محمد ، دت ، القاهرة ، ـ دار الكتاب الجامعي.

132) فخر الدين الرازي بلاغيا :. ماهر مهدي هلال ، ط 1 ، بغداد ــ دار الحرية للطباعة ــ ، د ت .

133) فرحة الأديب ، أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاي ، ط 1 ، تحقيق : محمد على سلطاني ، دار النبراس ، د ت

134)الفصل والوصل في القرآن الكريم : شكر محمود عبد الله ، ط 1 ، مصر ـ دار دجلة ناشرون وموزعون ، 2009 م .

135) فصول في أصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار ، ط 3 ،السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1420 هـ ـ 1999 م.

136) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي ، ط4، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ ط4، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ

137) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، ط 2 ، الاسكندرية ، منشأة معارف ، د ت ، ص 12 .

138) فنّ البديع : عبد القادر حسين ، ط 1 ، القاهرة ـ دار الشروق ـ ، 1403 هـ ـ 1983م

139) الفهرست : ابن النديم ، د ط ، بيروت ، دار المعرفة ، 1398 هـ ـ 1978م

140) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ابن القيم الجوزية ،د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت

141) في البلاغة العربية علم البديع : عبد العزيز عتيق ، د ط ، بيروت ـ دار النهضة ـ ، 1405 هـ ـ 1985 م.

142) في تاريخ البلاغة العربية : عبد العزيز عتيق ، د ط ، بيروت ، دار النهضة العربية ، د ت

143) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، د ط ، دم ، دار الفكر ، د ت .

144) الكامل في اللغة والأدب : محمد بن يزيد المبرد أبو العباس ، ط 3 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1417 هـ ـ 1997م .

145) الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ط 3 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ، 1408 هـ ـ 1988 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

146) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، د ط ، تحقيق على محمد البجاوي ـ أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ـ المكتبة العصرية ـ 1406 هـ ـ.1986 .

147) كتاب النقائض نقائض جرير والفرزدق : ط1 ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 1419 هـ ـ 1998م

148) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : ط ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي

149كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، دط ، بيروت ، دار الفكر ، 1402 هـ ـ 1982 م .

149) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، د ط ، تعليق وتصحيح محمد شرف الدين ياتلقايا ـ رفعت بيلكه الكليسي ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ، د ت

150) كشف المعاني في المتشابه من المثاني : بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، ط 1 ، تحقيق عبد الجواد خلف ، المنصورة ـ دار الوفاء ـ ، 1410 ـ 1990 م.

151) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : مكي بن أبي طالب القيسي ، 1 ، تحقيق محمد جمال شرف ، مصر ـ دار الصحابة للتراث والنشر ، 1430 هـ ـ 2009 م

152) اللباب في علوم الكتاب : تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ،أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي ، ط 1 ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ، 1419 هـ ـ 1998

153) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، د ط ، دار المعارف، دت .

154) لسان العرب ، ابن منظور ، ط 1 ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1426 هـ ـ2005م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

155) المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتّى القرن السابع الهجري ، أحمد جمال العمري ، د ط ، ـ القاهرة ـ مكتبة الخانجي ، 1410 هـ ـ 1990 م

156) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ط 1 ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1995 م.

157) مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، د ط ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، د ت

158) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،ابن حجر الهيثمي ، د ط ، بيروت ، دار الفكر ، 1412هـ.

159) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993م .

160) مختصر الصواعق المرسلة: محمد بن عمّار الموصلي ، دط ، بيروت ، دار الندوة الجديدة ، 1405هـ

161) مختصر المعاني : سعد الدين التفتازاني ،ط 1 ، بيروت ، دار الفكر ، 1411 هـ

162) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات أحمد الله بن أحمد بن محمد النسفي، تحقيق مروان محمود الشعار ، د ط ، بيروت ، دار النفائس ، 2005م.

163) مسند الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، ط 1 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، دار الحديث ، 1416هـ ــ 1995م .

164) المصطلح النقدي في نقد الشعر : إدريس الناقوري ، ط 2 ، ليبيا ـ المنشأة للنشر والتوزيع والإعلان ـ ، 1984 م.

165) المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي : رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد : من إعداد الطالبة : سعاد فريح صالح الثقفي ، تحت إشراف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأستاذ : حامد صالح الربيعي ، جامعة أم القرى ـ كلية اللغة العربية ـ 1423 هـ ـ 1424 هـ .

166) المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، د ط ، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي ، دم ، منشورات المجلس العلمي، دت .

167) المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، ط 1، تحقيق مختار أحمد الندوي ، الهند ، الدار السلفية ، د ت.

168) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، عبد الرحمان الأنصاريالدباغ ، تونس ، المطبعة العربية ، 1320 هـ.

169) معالم التنزيل :الحسين بن محمد أبو محمد البغوي، ط1 ،بيروت ، دار المعرفة، 1986 م

170) معاني القرآن : أبو زكريا يحي الفراء ط 3 ، تحقيق محمد على النجار ـ أحمد يوسف نجاتي ، بيروت ، دار عالم الكتب ، 1403هـ ـ 1983 م

171) معاني القرآن و إعرابه : أبو إسحاق إبراهيم السّري بن سهل الزجاج ،ط 1 ، د ت ، بيروت ـ عالم الكتب ـ ، 1408 هـ ـ 1988م

172) معترك الأقران : جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي ، ط 1 ، بيروت ، ـ دار الكتب العلمية ، 1408 هـ

173) معجم المصطلحات البلاغية و تطورها : أحمد مطلوب ، ط 2 . ، بيروت ـ مكتبة لبنان ناشرون ـ 1966 م .

174) معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ط 1 . تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ـ دار الفكر ـ 1399 هـ ـ 1979 م.

175) معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس، د ط ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر، 1402هـ ـ 1981.

176) معرفة السنن والآثار ، أبو أحمد بن الحسين البيهقي ، د ط ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، حلب ، دار الوعي ، 1411هـ ـ 1991م

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

177) مفتاح العلوم : ط 1 ، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1403هـ ـ 1983 م

178) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار ، ط 2 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1427هـ .

179) مقالات في علوم القرآن و التفسير: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، ط1، السعودية، دار المحدث، 1415 هـ

180) المقتضب : أبو العباس المبرد ، ط 3 ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1415 هـ ــ 1994 م

181) مقدمة ابن خلدون « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبرر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمان بن خلدون ،د ط ، بيروت ، دار الجيل ، د ت

182) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل : أبو جعفر بن الزبير الغرناطي ،ط 1، تحقيق سعد الفلاح ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1403 هـ .

183) ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل : أبو جعفر بن الزبير الغرناطي ،ط 1 ، تحقيق عبد الغاني محمد علي الفاسي ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، د ت .

184) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السجلماسي ، ط 1 ، تحقيق علال الغازي ، ـ الرباط ـ ، مكتبة المعارف ، 1401 هـ ـ 1908 م

185) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، ط 3 ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ،بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ ، 1986م.

186) الموازنة بين أبي تمام والبحتري :أبو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ــ المكتبة العلمية ــ ، د ت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

187) الموافقات في أصول الأحكام : أبو إسحاق إبراهيم اللّخمي الشاطبي ، د ط ، بيروت ، دار الفكر ، دت ..

188) الموجز في تاريخ البلاغة : مازن المبارك ، د ط ، دمشق ـ دار الفكر ـ ، 1401 هـ ـ 1981 م

189) نثر الورود على مراقي السعود ، محمد الأمين بن مختار الشنقيطي ، ط 3 ، تحقيق : محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي ، السعودية ـ دار المنارة ـ ، 1423 هـ ـ 2002 م

190) النّظم القرآني في تفسير الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون : عقيد خالد حمودي يحيى العزّاوي ، ط 1 ، دمشق ـ دار العصماء ، 1433 هـ ــ 2012 م.

191) نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب ، أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، د ط ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د ت.

192) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ،ط 1 ، قسطنطينة ــ دار الجوائب ، 1302 هـ

193) الهداية إلى بلوغ النهاية : مكي بن أبي طالب القيسي ، ط 1 ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، جامعة الشارقة كلية الدراسات و البحث العلمي ، 1429 ، 2008 م.

194) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، ط 1، تحقيق أحمد الأرناؤوط ــ تركي مصطفى ، بيروت ، دار إحياء التراث ، 1420 هـ ــ 2000 م.

195) وفيات الأعيان : أبو العباس شمس الدين ابن خلكان ، ط 1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1994 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الإهداء..

المقدمة... أ

الفصل الأول : الدرس التفسيري والبحث البلاغي واتجاهاتهما في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري.. 1

المبحث الأول: مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح.................................. 2

المطلب الأول: التفسير لغة.. 2

المطلب الثاني : التفسير اصطلاحا... 3

المبحثالثاني: الدرس التفسيري واتجاهه في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري 9

المطلب الأول: التفسير في القرن الخامس....................................... 17

الفرع الأول: التعريف بالإمام مكي بن أبي طالب القيسي.......................... 18

الفرع الثاني: التعريف بالكتاب (الهداية إلى بلوغ النهاية)...................... 19

المطلب الثاني: التفسير في القرن السادس 33

الفرع الأول: التعريف بالإمام ابن عطية... 33

الفرع الثاني: التعريف بكتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز..................34

الفرع الثالث: الفرع الثالث الاتجاه العام لتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)..............37

المطلب الثالث : التفسير في القرن الثامن....................................... 44

الفرع الأول : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 45

الفرع الثاني: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي............................ 56

الفرع الثالث: تفسير ابن عرفة 66

المبحث الثالث: تعريف البلاغة لغة واصطلاحا.. 82

المطلب الأول:تعريف البلاغة لغة 82

المطلب الثاني: تعريف البلاغة اصطلاحا................................. 83

المبحث الرابع: الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن...... 90

المطلب الأول: الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن الخامس...................93

الفرع الأول : ترجمة الإمام ابن رشيق.. 94

الفرع الثاني : الدرس البلاغي في كتاب العمدة.. 94

المطلب الثاني:الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن السادس هجري...................109

الفرع الأول :ترجمة القاضي عياض...119

الفرع الثاني: الدرس البلاغي في مؤلفات القاضي عياض واتجاهاته...........................110

المطلب الثالث :الدرس البلاغي واتجاهاته في المغرب في القرن السابع هجري.................128

الفرع الأول :حازم القرطاجني واتجاهه البلاغي من خلال كتابه منهاج البلغاء 129

المطلب الرابع الدرس البلاغي واتجاهه في المغرب في القرن الثامن هجري 140

الفرع الأول:ابن البنّاء المراكشي واتجاهه البلاغي من خلال كتابه (الروض المريع في صناعة البديع
)... 140

الفرع الثاني : أبو محمد القاسم السجلماسي وبيان اتجاهه البلاغي من خلال كتابه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع)..152

الفصل الثاني : جهود المفسرين المغاربة في تناول علم المعاني.................................. 159

المبحث الأول مفهوم المعاني في اللغة ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة..................160

المطلب الأول: مفهوم المعاني في اللغة 160

المطلب الثاني : مراحل تطور مصطلح المعانيفي علم البلاغة..........................161

المبحث الثاني: تعريف علم المعاني وبيان أثره في البلاغة..............................168

المطلب الأول : تعريف علم المعاني... 168

المطلب الثاني: أثر علم المعاني في البلاغة 171

المبحث الثالث: جهودالمفسرين المغاربة في تناول أسلوب الخبر والإنشاء................174

المطلب الأول: تعريف الخبر.. 174

المطلب الثاني:الخبر في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي (الهداية إلى بلوغ النهاية.. 177

المطلب الثالث: الخبر في تفسير الإمام ابن عطية.(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 181

المطلب الرابع: الخبر في تفسير الإمام ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل 193

المطلب الخامس :الخبر في تفسير الإمام أبي حيان (البحر المحيط)...........................199

المطلب السادس: الخبر في تفسير الإمام ابن عرفة...205

المطلب السابع : تعريف الإنشاء... 209

المطلب الثامن: أسلوب الإنشاء في تفسير الإمام مكي(الهداية إلى بلوغ النهاية.)............ 211

الفرع الأول : الأمر.. 211

الفرع الثاني : الاستفهام.. 224

المطلب التاسع: أسلوب الإنشاء في تفسير الإمام ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.. 248

الفرع الأول: الأمر 249

الفرع الثاني: الاستفهام... 262

المطلب العاشر : أسلوب الإنشاء في ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي.................. 287

الفرع الأول: الأمر... 287

الفرع الثاني : الاستفهام... 294

المطلب الحادي عشر : أسلوب الإنشاء في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الغرناطي... 309

الفرع الأول: الأمر 309

الفرع الثاني: الاستفهام 325

المطلب الثاني عشر : أسلوب الإنشاء في كتاب البحر المحيط للإمام أبي حيّان الأندلسي 351

الفرع الأول : الأمر 351

الفرع الثاني: الاستفهام... 360

المبحث الثالث عشر :أسلوب الإنشاء في تفسير الإمام ابن عرفة 380

الفرع الأول : الأمر........... 380

الفرع الثاني: الاستفهام 385

المبحث الرابع :التقديم والتأخير... 398

المطلب الأول : التقديم والتأخير لغة واصطلاحا 398

الفرع الأول : التقديم لغة 398

الفرع الثاني : التقديم والتأخير اصطلاحا 399

المطلب الثاني : بلاغة التقديم والتأخير وأهميته في اللغة العربية............................... 404

المطلب الثالث: أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي... 406

المطلب الرابع : أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) 412

المطلب الخامس :أسلوب التقديم والتأخير في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي

.... 419

المطلب السادس : أسلوب التقديم والتأخير في كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل)للإمام ابن جزي 430

المطلب السابع: أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي (البحر المحيط).. 436

المطلب الثامن: أسلوب التقديم والتأخير في تفسير الإمام ابن عرفة.................... . 444

المبحث الخامس : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الحذف................... 451

المطلب الأول : مفهوم الحذف لغة واصطلاحا.. 451

الفرع الأول : الحذف لغة 451

الفرع الثاني : الحذف اصطلاحا.. .... .452

المطلب الثاني : بلاغة الحذف في اللغة العربية.. 459

المطلب الثالث : أسلوب الحذف في تفسير الإمام مكي الهداية إلى بلوغ النهاية........ 461

المطلب الرابع : أسلوب الحذف في تفسير الإمام ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).. 468

المطلب الخامس : أسلوب الحذف في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي...... 475

المطلب السادس : أسلوب الحذف في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام (ابن جزي).. 481

المطلب السابع: أسلوب الحذف في تفسير البحر المحيط للإمام (أبي حيّان الأندلسي).... 487

المطلب الثامن : أسلوب الحذف في تفسير الإمام ابن عرفة 495

المبحث السادس : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الفصل والوصل............... 502

المطلب الأول : مفهوم الفصل والوصل لغة واصلاحا.................................... 502

الفرع الأول: الفصل والوصل لغة 502

الفرع الثاني :الفصل والوصل اصطلاحا.................... 504

المطلب الثاني : بلاغة الفصل والوصل في اللغة العربية............................. 507

المطلب الثالث : الفصل والوصل في كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي........... 510

المطلب الرابع : الفصل والوصل في تفسير الإمام أبي حيّان الأندلسي (البحر المحيط)...... 514

المبحث السابع : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الإيجاز والإطناب 520

المطلب الأول : تعريف الإيجاز والإطناب لغة.. 520

الفرع الأول : الإيجاز والإطناب لغة 520

الفرع الثاني: الإيجاز والإطناب اصطلاحا.. 522

المطلب الثاني :بلاغة الإيجاز والإطناب في اللغة العربية 524

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : الإيجاز والإطناب في كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية (للإمام مكي بن أبي طالب القيسي).. 527

الفرع الأول : الإيجاز 527

الفرع الثاني : الإطناب................................. 533

المطلب الرابع : الإيجاز والإطناب في كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (للإمام ابن عطية..539

الفرع الأول :الإيجاز 539

الفرع الثاني : الإطناب 544

المطلب الخامس :الإيجاز والإطناب في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي...........550

الفرع الأول : الإيجاز......... 550

الفرع الثاني : الإطناب 554

المطلب السادس : الإيجاز والإطناب في كتاب التسهيل للإمام ابن جزي 561

الفرع الأول : الإيجاز 561

الفرع الثاني : الإطناب... 568

المطلب السابع : الإيجاز والإطناب في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي............. .570

الفرع الأول : الإيجاز 570

الفرع الثاني :الإطناب............................ 576

المطلب الثامن : الإيجاز والإطناب في تفسير الإمام ابن عرفة............................... 582

الفرع الأول : الإيجاز.. 582

الفرع الثاني : الإطناب..586

المبحث الثامن : جهود المفسرين المغاربة في تناول أسلوب الالتفات........................ 589

المطلب الأول : معنى الالتفات لغة واصطلاحا..589

الفرع الأول : الالتفات لغة 589

الفرع الثاني : الالتفات اصطلاحا..590

المطلب الثاني : الأغراض البلاغية للالتفات..592

المطلب الثالث : الالتفات في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي..........................596

المطلب الرابع : الالتفات في تفسير الإمام ابن عطية **605**

المطلب الخامس : الالتفات في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي **610**

المطلب السادس : الالتفات في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي...........................619

المطلب السابع : الالتفات في تفسير أبي حيّان الأندلسي البحر المحيط..........................628

المطلب الثامن : الالتفات في تفسير الإمام ابن عرفة..637

الفصل الثالث : جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البيان.....................................644

المبحث الأول : مفهوم البيان لغة واصطلاحا ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة....645

المطلب الأول : مفهوم البيان لغة... 645

المطلب الثاني : مفهوم البيان اصطلاحا ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة...........646

المبحث الثاني : جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ التشبيه.....................................649

المطلب الأول : مفهوم التشبيه لغة واصطلاحا..649

الفرع الأول : مفهوم التشبيه لغة..649

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثاني : مفهوم التشبيه اصطلاحا.. 650

المطلب الثاني : بلاغة التشبيه في لغة العرب 652

المطلب الثالث : التشبيه في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي...........................653

المطلب الرابع : التشبيه في تفسير الإمام ابن عطية.. 661

المطلب الخامس : التشبيه في كتاب ملاك التأويل للإمام أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي..... 672

المطلب السادس : التشبيه في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (للإمام ابن جزي)............675

المطلب السابع : التشبيه في تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيّان الأندلسي..............684

المطلب الثامن : التشبيه في تفسير الإمام ابن عرفة..694

المبحث الثالث : جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ الاستعارة...............................699

المطلب الأول : مفهوم الاستعارة لغة واصطلاحا.................................. 700

الفرع الأول : مفهوم الاستعارة لغة...700

الفرع الثاني : مفهوم الاستعارة اصطلاحا 701

المطلب الثاني : بلاغة الاستعارة في اللغة العربية 705

المطلب الثالث : الاستعارة في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي.............................708

المطلب الرابع :المطلب الرابع : الاستعارة في تفسير الإمام ابن عطية 714

المطلب الخامس :المطلب الخامس : الاستعارة في ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي..721

المطلب السادس : الاستعارة في تفسير الإمام ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) 725

المطلب السابع :المطلب السابع : الاستعارة في تفسير الإمام أبي حيان الأندلسي....... 733

المطلب الثامن : الاستعارة في تفسير الإمام ابن عرفة 738

المبحث الثالث: جهود المفسرين المغاربة في تناول فنّ الكناية 745

المطلب الأول : مفهوم الكناية لغة واصطلاحا 745

الفرع الأول : مفهوم الكناية لغة 745

الفرع الثاني : مفهوم الكناية في الاصطلاح 746

المطلب الثاني : بلاغة الكناية في اللغة العربية 747

المطلب الثالث : الكناية في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي 753

المطلب الرابع : الكناية في تفسير الإمام ابن عطية 758

المطلب الخامس : الكناية في كتاب ملاك التأويل للإمام ابن الزبير الغرناطي............762

المطلب السادس : الكناية في تفسير الإمام ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) 763

المطلب السابع : الكناية في تفسير الإمام أبو حيّان (البحر المحيط)...................769

المطلب الثامن : الكناية في تفسير الإمام ابن عرفة 775

الفصل الرابع : جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البديع 778

المبحث الأول : مفهوم البديع في اللغة ومراحل تطور المصطلح في علم البلاغة............779

المطلب الأول : مفهوم البديع في اللغة 779

المطلب الثاني: مراحل تطور مصطلح البديع في علم البلاغة 780

المبحث الثاني : تعريف علم البديع وبيان أثره في علم البلاغة 788

المطلب الأول : تعريف علم البديع...788

المطلب الثاني : أثر علم البديع في علم البلاغة 790

المبحث الثالث : البديع في كتاب(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام ابن عطية 796

المطلب الأول : الطباق 796

المطلب الثاني: اللف والنشر 799

المبحث الرابع : البديع في كتاب (ملاك التأويل) للإمام ابن الزبير الغرناطي 803

المطلب الأول : الفواصل 803

الفرع الأول : معنى الفواصل لغة 804

الفرع الثاني : معنى الفواصل اصطلاحا 804

المطلب الثاني : الطباق 812

المبحث الخامس : البديع في كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام ابن جزي...........815

المطلب الأول : الطباق..816

المطلب الثاني : التجنيس 819

المطلب الثالث : الترديد 826

المطلب الرابع : الترصيع 828

المطلب الخامس : التقسيم 831

المطلب السادس :اللف والنّشر 833

المطلب السابع : لزوم ما لا يلزم..835

المطلب الثامن : الجمع 836

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب التاسع : التتميم 838

المبحث السادس : البديع في كتاب (البحر المحيط) للإمام أبي حيّان الأندلسي 840

المطلب الأول : الطباق 840

المطلب الثاني : المقابلة..842

المطلب الثالث : التجنيس..844

المطلب الرابع : التتميم..848

المطلب الخامس : التقسيم 850

المطلب السادس : المذهب الكلامي 852

المطلب السابع : الاحتراس 856

المطلب الثامن : الترديد 858

المطلب التاسع : اللف والنشر 859

المطلب العاشر : الترصيع 860

المطلب الحادي عشر : التلميح 861

المطلب الثاني عشر : التجريد 863

المبحث السابع : البديع في تفسير الإمام ابن عرفة..865

المطلب الأول : اللف والنشر 865

المطلب الثاني : الاحتراس 870

المطلب الثالث : المذهب الكلامي 873

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع : تأكيد الذم بما يشبه المدح 876
المطلب الخامس : تأكيد المدح بما يشبه الذم 879
المطلب السادس : الطباق 883
المطلب السابع : الاستطراد 886
المطلب الثامن : التتميم 887
خاتمة 890
الفهارس 898
فهرس الآيات القرآنية 900
فهرس الأحاديث 973
فهرس الأبيات الشعرية 977
فهرس المصادر والمراجع 986
فهرس الموضوعات 1005
ملخص البحث باللغة العربية 1019
ملخص البحث باللغة الانجليزية..1021
ملخص البحث باللغة الفرنسية 1023

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث باللغة العربية

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات التي تعنى بتفسير القرآن الكريم . وهو يهدف للكشف عن جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي والبحث البياني في الحقبة الزمنية الممتدة بين القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري . وذلك بالتعرض لجملة من المفسرين بالدراسة والتحليل للوقوف على مناهجهم في التعرض لتلك المسائل البلاغية والنكات البيانية. وطريقة توظيفهم للدرس البلاغي في العملية التفسيرية .

وجاء هذا البحث في خطة مكونة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، في المقدمة بيّنت حقيقة الموضوع وطبيعته . وذلك ببيان الإشكالية وأهمية الموضوع والأهداف المرجوة منه ، والإشارة للدراسات السابقة التي تلتقي مع البحث أو تناولت بعض جزئياته ومسائله . مع تحديد المنهج المتبع في الدراسة .

تناول البحث في الفصل الأول الدرس التفسيري والبحث البلاغي واتجاهاتهما في بلاد المغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري. وفي الفصل الثاني تعرّضت للحديث عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم المعاني وذلك بعرض نماذج من تفاسيرهم تطرّقوا فيها لبعض مباحث علم المعاني كالخبر والإنشاء والتقديم والتأخير وأسلوب الحذف والإيجاز والإطناب والفصل والوصل. وخصّصت الفصل الثالث من البحث لاستعراض جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البيان وكان الحديث فيه منصبا عن ظواهر بلاغية ثلاث . وهي التشبيه والاستعارة والكناية . وتطرقت في الفصل الرابع من البحث للكلام عن جهود المفسرين المغاربة في تناول علم البديع . وذلك بالإشارة والتنبيه على جميع المحسنات البديعية والمعنوية التي تعرّض إليها المفسرون المغاربة في تفاسيرهم . مع بيان منهجهم في كل الفصول الأربعة في تحليل المباحث البلاغية ومناقشتها وطريقتهم في توظيفها في الدرس التفسيري .

وفي الخاتمة حرصت على إيراد أهمّ النتائج المتوصل إليها. وبالخصوص الإجابة عن الإشكالية التي أوردتها . ويمكن إيجاز النتائج في النقاط الآتية :

ـ تطور الدرس البلاغي وازدهاره في منطقة المغرب والأندلس في الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس إلى القرن الثامن هجري . وذلك بفضل جهود كثير من البلاغيين كالإمام ابن رشيق والقاضي عياض والإمام حازم القرطاجني . وابن البناء العددي . وأبو القاسم السجلماسي . وقد أفرز هذا النشاط بروز اتجاهين بلاغيين بالمنطقة هما الاتجاه الأدبي والاتجاه الفلسفي .

ـ بروز كثير من البلاغيين وظهور كثير من المصنفات البلاغية في منطقة المغرب والأندلس في تلك الحقبة الزمنية يناقض وينافي من اتهم المغاربة بقصورهم في علم البلاغة وأنّ بضاعتهم في فنونها مزجاة .

ـ تعرّض أغلب المفسرين المغاربة لكثير من المباحث والفنون البلاغية في جميع الأقسام الثلاثة التي انتهى إليها علم البلاغة على تفاوت بينهم . وتعرضهم لها كان دون اعتناء بالتقسيمات الأخيرة .

ـ ظهر من خلال البحث اعتناء المفسرين المغاربة بعلم المعاني واهتمامهم به اهتماما كبيرا، فإشارتهم لفنونه وموضوعاته إذا ما قورنت بإشارتهم لمباحث علمي البيان والبديع كانت أكثر وأكبر. فقد تناولوا الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والحذف والفصل الوصل والإيجاز والإطناب والالتفات.

ـ تطرّق المفسرون المغاربة لمباحث علم البيان وعلى وجه الخصوص التشبيه والاستعارة والكناية . فقد أكثروا من ذكرها عند تفسير الآيات القرآنية على تفاوت بينهم .

ـ تطور البديع وازدهاره في بلاد المغرب خلال القرن السابع والثامن ساعد المفسرين على توظيفه في الدرس التفسيري والاستعانة به في كشف وجوه الإعجاز القرآني .

Research Summary

This research is part of the studies on the interpretation of the Holy Qur'an, which aims to reveal the efforts of Maghreb interpreters to face the rhetorical lesson and the graphic research of the period between the fifth century and the eighth century. Moreover, by exposure to a study and group, analysis of interpreters to determine their approaches to exposure to these rhetorical and how they use the rhetorical lesson in the interpretation process.

This research resulted in a plan consisting of an introduction, four chapters and a conclusion, the introduction has showed the truth of the subject and its nature by indicating the issue and the importance of the subject and desired objectives, and reference to previous studies that receive with research or deal with some of its parts and problems. With a definition of the methodology used in the study.

The second chapter focuses on the efforts of Maghreb interpreters in discussing the meanings of the Quran and the introduction of examples of their interpretations in which they discussed some of the meanings such as news, Creation, presentation, delay and style. Cancel, abbreviation, jagging, separation and connection. The third chapter of the research was devoted to examining the efforts of Maghreb commentators by treating the science of the declaration, and the conference focused on three rhetorical phenomena. Metaphor, metonymy. The fourth chapter of the research has explained of the efforts of Maghreb interpreters to treat the science of Badi by the reference and showing of all the virtuous and moral improvements presented to the Maghreb interpreters in their interpretations. With an articulation of their approach in the four chapters in the analysis, discussion and method of rhetorical research in their interpretation bell.

In conclusion, I made sure to point out the most important results, especially the response to the problem I mentioned. The results can be summarized in the following points:

The development of the rhetorical lesson and its prosperity in the region of Maghreb and Andalusia in the period between the fifth century and the eighth century .And that by the efforts of many of the letters such as Imam Ibn al-Rishiq, El Kadi Ayyadh and Imam Hazem al-Qaratjani. And Abu al-Qasim al-Sijlamasi. This activity produced two trends in the region, namely the literary trend and the philosophical trend.

- The appearance of many of letters and as well as many rhetorical works in the region of Maghreb and Andalusia in that period of time contrasts and denies who accused the Maghreb of their lack of knowledge of rhetoric and that their goods in the arts of blending.- Most of the Maghreb interpreters of many mabahith and rhetorical arts in the three sections, which put an end to the science of rhetoric, are different. And their exposure to them was without concern for the last divisions.

- Research has shown that the Maghreb interpreters have taken care of the significance of the meanings and their interest in them, and their reference to their arts and subjects, in relation to their references to the scientific research of the declaration and the Badi'a . More and more. They dealt with news, construction, presentation, delay, suppression, coercion and attention.

- The Maghreb commentators discussed the scholars of the statement and in particular the metaphor and the metaphorical metaphor. They have been more vocal in interpreting the Qur'anic verses about their differences.

-the development of the Badi and its prosperity in the Maghreb during the seventh and eighth centuries helped the interpreters to employ it in the explanatory lesson and to use it in uncovering the faces of Quranic miracles.

-the development of the Badi and its prosperity in the Maghreb during the seventh and eighth

centuries helped the interpreters to employ it in the explanatory lesson and to use it in uncovering the faces of Quranic miracles.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé de la recherche

Cette recherche fait partie des études sur l'interprétation du Saint Coran, qui vise à révéler les efforts des interprètes maghrébins pour faire face à la leçon rhétorique et à la recherche graphique de la période entre le cinquième siècle et le VIIIe siècle. En outre, par exposition à une étude et un groupe, l'analyse des interprètes pour déterminer leurs approches d'exposition à ces rhétoriques et comment ils utilisent la leçon de rhétorique dans le processus d'interprétation.

Cette recherche a abouti à un plan consistant en une introduction, quatre chapitres et une conclusion, l'introduction a montré la vérité du sujet et sa nature en indiquant le problème et l'importance du sujet et les objectifs souhaités, et la référence aux études précédentes qui reçoivent Avec des recherches ou traitent certaines de ses parties et problèmes. Avec une définition de la méthodologie utilisée dans l'étude.

Le deuxième chapitre se concentre sur les efforts des interprètes maghrébins pour discuter des significations du Coran et l'introduction d'exemples d'interprétations dans lesquels ils ont discuté de certaines des significations telles que les nouvelles, la Création, la présentation, le retard et le style. Annulation, abréviation, jagging, séparation et connexion. Le troisième chapitre de la recherche a été consacré à examiner les efforts des commentateurs maghrébins en traitant la science de la déclaration et la conférence s'est concentrée sur trois phénomènes rhétoriques. Métaphore, métonymie. Le quatrième chapitre de la recherche a expliqué les efforts des interprètes maghrébins pour traiter la science de Badi par la référence et l'exposition de toutes les améliorations vertueuses et morales présentées aux interprètes du Maghreb dans leurs interprétations. Avec une articulation de leur approche dans les quatre chapitres de l'analyse, de la discussion et de la méthode de recherche rhétorique dans leur cloche d'interprétation.

En conclusion, je me suis assurée de souligner les résultats les plus importants, en particulier la réponse au problème que j'ai mentionné. Les résultats peuvent être résumés dans les points suivants:

Le développement de la leçon rhétorique et sa prospérité dans la région du Maghreb et de l'Andalousie au cours du cinquième siècle et du VIIIe siècle. Et par les efforts de nombreuses lettres comme Imam Ibn al-Rishiq, El Kadi Ayyadh et Imam Hazem al-Qaratjani. Et Abu al-Qasim al-Sijlamasi. Cette activité a produit deux tendances dans la région, à savoir la tendance littéraire et la tendance philosophique.

- L'apparition de nombreuses lettres et de nombreuses œuvres rhétoriques dans la région du Maghreb et de l'Andalousie dans cette période contrastent et nient qui ont accusé le Maghreb de leur manque de connaissance de la rhétorique et que leurs biens dans les arts du mélange. - La plupart des interprètes maghrébins de nombreux arts mabahith et rhétoriques dans les trois sections, qui mettent fin à la science de la rhétorique, sont différents. Et leur exposition à eux était sans préoccupation pour les dernières divisions.

- La recherche a montré que les interprètes du Maghreb ont pris en compte l'importance des significations et de leur intérêt pour eux, et leur référence à leurs arts et sujets, en relation avec leurs références à la recherche scientifique de la déclaration et à la Badi'a. De plus en plus. Ils ont traité des nouvelles, de la construction, de la présentation, du retard, de la suppression, de la contrainte et de l'attention.

- Les commentateurs maghrébins ont discuté des savants de la déclaration et en particulier de la métaphore et de la métaphore métaphorique. Ils ont été plus audacieux pour interpréter les versets coraniques au sujet de leurs différences.

- Le développement du Badi et sa prospérité au Maghreb au cours des septième et huitième siècles ont aidé les interprètes à l'employer dans la leçon explicative et à l'utiliser pourdécouvrir les visages des miracles du Coran

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية